الفتوحات المكية

التي فتح الله بها على الشيخ الإمام العامل الراسخ الكامل
خاتم الأولياء الوارثين برزخ البرازخ محيي الحق
والدين أبي عبدالله محمّد بن علي المعروف بابن عربي
الحاتمي الطائي قدّس الله روحه و نوّر ضريحه آمين

بقية

الجزء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

(الباب السابع و الثمانون و مائة في معرفة مقام المعجزة و كيف يكون هذا المعجز كرامة لمن كان له معجزا لاختلاف الحال)

ما كان معجزة فلا سبيل إلى — ظهوره مرة أخرى إلى الأبد
لا في ولي و لا في غيره فإذا — حققت قولي فلا تعدل عن الرشد
و لو تحدي به خلق لأكذبه — صدق المقدم في الأدنى و في البعد
لذلك اختلفت في الأنبياء فلم — يظهر لها أثر من بعد في أحد

اختلف الناس فيما كان معجزة لنبي هل يكون كرامة لولي أم لا فالجمهور أجاز ذلك إلا الأستاذ أبا إسحاق الأسفرايني فإنه منع من ذلك و هو الصحيح عندنا إلا أنا نشترط أمرا لم يذكره الأستاذ و هو أن نقول إلا إن قام الولي بذلك الأمر المعجز على تصديق النبي لا على جهة الكرامة به فهو واقع عندنا بل قد شهدناه فيظهر على الولي ما كان معجزة لنبي على ما قلناه و لو تنبه لذلك الأستاذ لقال به و لم ينكره فإنه ما خرج عن بابه فإن الذي وقع فيه الخلاف أنه هل يكون كرامة لولي و هذا ليس بكرامة لولي إلا إن الذين أجازوا ذلك قالوا بشرط أن لا يظهر عليه بالطريق التي ظهرت على يد الرسول الذي بها سميت معجزة و جوزوا أن الولي لو تحدي بذلك على ولايته لجاز أن يخرق الله له تلك العادة و الكاذب لو تحدي بها على كذبه و هو صادق في أنه كاذب فجائز أن يخرق الله له تلك العادة على صدقه أنه كاذب فإن الفارق عندهم حاصل و هو وجه يقال و الصحيح ما ذهب إليه الأستاذ و هو الذي يعطيه الدليل النظري إلا أن يقول الرسول في وقت تحديه بالمنع في الوقت خاصة أو في مدة حياته خاصة فإنه جائز أن يقع ذلك الفعل كرامة لغيره بعد انقضاء زمانه الذي اشترطه و أما إن أطلقه فلا سبيل إلى ما قاله الأستاذ و هذا التفصيل الذي ذكرناه يقتضيه الدليل النظري للطائفتين على أنا ما رأينا أحدا تنبه إلى هذا في علمنا و لا ذكره و الله أعلم و الإعجاز على ضربين الضرب الواحد أن يأتي بأمر لا يكون مقدور البشر و لا يقدر عليه إلا الله و ذلك عزيز أعني الوصول إلى العلم به كإحياء الموتى لا يقدر عليه إلا الله و لكن الوصول إليه على طريق العلم أنه حي في نفس الأمر عزيز فإنا رأينا عصا موسى ع حية و عصى السحرة حيات و لم تفرق العامة بين الحياتين فلهذا قلنا إن الوصول إلى علم ذلك عزيز و الضرب الآخر

و هو الذي يمكن أن يكون أقرب و هو الصرف فيدعي في ذلك أن الذي هو مقدور لكم في العادة إذا أتيت أنا به على صدق دعواي فإن الذي أرسلني يصرفكم عنه فلا تقدرون على معارضته فكل من في قدرته ذلك يجد في نفسه العجز في ذلك الوقت فلا يقدر على إتيان ما كان قبل هذه الدعوى يقدر عليه و هذا أرفع للبس من الأول فهذا معنى الأمر المعجز و مع هذا فقد وقع و عرف أنه معجزة و حصل العلم به عند الناظر بصدق هذا الرسول و ما رزق الايمان به وَجَحَدُوا بِها وَاسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوًّا فتعلم أن الايمان لا تعطيه إقامة الدليل بل هو نور إلهي يلقيه الله في قلب من شاء من عباده و قد يكون عقيب الدليل و قد لا يكون هناك دليل أصلا كما قال تعالى وَلكِنْ جَعَلْناهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبادِنا فاعلم ذلك وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ انتهى الجزء السادس عشر و مائة

((بسم الله الرحمن الرحيم))

(الباب الثامن و الثمانون و مائة في معرفة مقام الرؤيا و هي المبشرات)

بالصدق رؤيا الرجال الصادقين و من ... يصاحب الضد لم تصدق له رؤيا
الصدق بالعدوة القصوى منازله ... و ضده ضده بالعدوة الدنيا
هي النبوة إلا أنها قصرت ... عن نسخ شرع و هذي رتبة عليا
إني رأيت سيوفا للهوى انتضيت ... و في يميني سيف للهوى دنيا
فما تركت لها عينا و لا أثرا ... بذلك السيف في الأخرى و في الدنيا

اعلم أيدك الله أن للإنسان حالتين حالة تسمى النوم و حالة تسمى اليقظة و في كلتا الحالتين قد جعل الله له إدراكا يدرك به الأشياء تسمى تلك الإدراكات في اليقظة حسا و تسمى في النوم حسا مشتركا فكل شيء تبصره في اليقظة يسمى رؤية و كل ما تبصره في النوم يسمى رؤيا مقصورا و جميع ما يدركه الإنسان في النوم هو مما ضبطه الخيال في حال اليقظة من الحواس و هو على نوعين إما ما أدرك صورته في الحس و إما ما أدرك أجزاء صورته التي أدركها في النوم بالحس لا بد من ذلك فإن نقصه شيء من إدراك الحواس في أصل خلقته فلم يدرك في اليقظة ذلك الأمر الذي فقد المعنى الحسي الذي يدركه به في أصل خلقته فلا يدركه في النوم أبدا فالأصل الحس و الإدراك به في اليقظة و الخيال تبع في ذلك و قد يتقوى الأمر على بعض الناس فيدركون في اليقظة ما كانوا يدركونه في النوم و ذلك نادر و هو لأهل هذا الطريق من نبي و ولي هكذا عرفناه فإذا علمت هذا فاعلم أيضا أن النبوة خطاب الله تعالى أو كلام الله تعالى كيفما شئت قلت لمن شاء من عباده في هاتين الحالتين من يقظة و منام و هذا الخطاب الإلهي المسمى نبوة على ثلاثة أنواع نوع يسمى وحيا و نوع

يسمعه كلامه من وَراءِ حِجابٍ و نوع بوساطة رسول فيوحي ذلك الرسول من ملك أو بشر بإذن الله ما يشاء لمن أرسله إليه و هو كلام الله إذ كان هذا الرسول إنما يترجم عن الله كما قال تعالى وَ ما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ من وَراءِ حِجابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فالوحي منه ما يلقيه إلى قلوب عباده من غير واسطة فأسمعهم في قلوبهم حديثا لا يكيف سماعه و لا يأخذه حد و لا يصوره خيال و مع هذا يعقله و لا يدري كيف جاء و لا من أين جاء و لا ما سببه و قد يكلمه من وراء حجاب صورة ما يكلمه به و قد يكون الحجاب بشريته و قد يكون الحجاب كما كلم موسى من الشَّجَرَةِ . . . من جانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ له لأنه لو كلمه من الأيسر الذي هو جهة قلبه ربما التبس عليه بكلام نفسه فجاءه الكلام من الجانب الذي لم تجر العادة أن تكلمه نفسه منه و قد يكلمه بوساطة رسول من ملك كقوله نَزَلَ به الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِكَ يعني بالقرآن الذي هو كلام الله و قد يكون بوساطة بشر و هو قوله فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ فأضاف الكلام إلى الله و ما سمعته الصحابة و لا هذا الأعرابي إلا من لسان رسول الله ص و ليست النبوة بأمر زائد على الإخبار الإلهي بهذه الأقسام و القرآن خبر الله و هو النبوة كلها لأنه الجامع لجميع ما أراد الله أن يخبر به عباده و صح في الحديث أنه من حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيهفإذا تقرر ما ذكرناه فاعلم أن مبدأ الوحي الرؤيا الصادقة و هي لا تكون إلا في حال النوم قالت عائشة في الحديث الصحيح أول ما بديء به رسول الله ص من الوحي الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح و سبب ذلك صدقه ص فإنه ثبت عنه أنه قال أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا فكان لا يحدث أحدا ص بحديث عن تزوير يزوره في نفسه بل يتحدث بما يدركه بإحدى قواه الحسية أو بكلها ما كان يحدث بالغرض و لا يقول ما لم يكن و لا ينطق في اليقظة عن شيء يصوره في خياله مما لم ير لتلك الصورة بجملتها عينا في الحس فهذا سبب صدق رؤياه و إنما بديء الوحي بالرؤيا دون الحس لأن المعاني المعقولة أقرب إلى الخيال منها إلى الحس لأن الحس طرف أدنى و المعنى طرف أعلى و ألطف و الخيال بينهما و الوحي معنى فإذا أراد المعنى أن ينزل إلى الحس فلا بد أن يعبر على حضرة الخيال قبل وصوله إلى الحس و الخيال من حقيقته أن يصور كل ما حصل عنده في صورة المحسوس لا بد من ذلك فإن كان ورود ذلك الوحي الإلهي في حال النوم سمي رؤيا و إن كان في حال اليقظة سمي تخيلا أي خيل إليه فلهذا بديء الوحي بالخيال ثم بعد ذلك انتقل الخيال إلى الملك من خارج فكان يتمثل له الملك رجلا أو شخصا من الأشخاص المدركة بالحس فقد ينفرد هذا الشخص المراد بذلك الوحي بإدراك هذا الملك و قد يدركه الحاضرون معه فيلقي على سمعه حديث ربه و هو الوحي و تارة ينزل على قلبه ص فتأخذه البرحاء و هو المعبر عنه بالحال فإن الطبع لا يناسبه فلذلك يشتد عليه و ينحرف له مزاج الشخص إلى أن يؤدي ما أوحى به إليه ثم يسرى عنه فيخبر بما قيل له و هذا كله موجود في رجال الله من الأولياء و الذي اختص به النبي من هذا دون

الولي الوحي بالتشريع فلا يشرع إلا النبي و لا يشرع إلا رسول خاصة فيحلل و يحرم و يبيح و يأتي بجميع ضروب الوحي و الأولياء ليس لهم من هذا الأمر إلا الإخبار بصحة ما جاء به هذا الرسول و تعيينه حتى يكون هذا التابع على بصيرة فيما تعبده به ربه على لسان هذا الرسول إذ كان هذا الولي لم يدرك زمانه حتى يسمع منه كما سمع أصحابه فصار هذا الولي بهذا النوع من الخطاب بمنزلة الصاحب الذي سمع من لفظ رسول الله ص ما شرع و لذلك جاء في القرآن أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلى بَصِيرَةٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِي و هم هؤلاء الذين ذكرناهم فرب حديث صحيح من طريق رواية الثقات عندنا ليس بصحيح في نفس الأمر فنأخذه على طريق غلبة الظن لا على العلم و هذه الطائفة التي ذكرناها تأخذه من هذا الطريق فنكون من عدم صحة ذلك الخبر الصحيح عندنا على بصيرة أنه ليس بصحيح في نفس الأمر و بالعكس و هو أن يكون الحديث ضعيفا من أجل ضعف الطريق من وضاع فيه أو مدلس و هو في نفس الأمر صحيح فتدرك هذه الطائفة صحته فتكون فيه على بصيرة فهذا معنى قوله تعالى أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلى بَصِيرَةٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِي و هم هؤلاء فهم ورثة الأنبياء لاشتراكهم في الخبر و انفراد الأنبياء بالتشريع قال تعالى يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ فجاء بمن و هي نكرة لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ فجاء بما ليس بشرع و لا حكم بل بإنذار فقد يكون الولي بشيرا و نذيرا و لكن لا يكون مشرعا فإن الرسالة و النبوة بالتشريع قد انقطعت فلا رسول بعده و لا نبي أي لا مشرع و لا شريعة فاعلم ذلك فلنرجع إلى ما بوبنا عليه ثبت عن رسول الله ص أنه قال إن الرسالة و النبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي و لا نبي قال فشق ذلك على الناس فقال لكن المبشرات فقالوا يا رسول الله و ما المبشرات فقال رؤيا المسلم و هي جزء من أجزاء النبوة هذا حديث حسن صحيح من حديث أنس بن مالك حدثنا به إمام المقام بالحرم المكي الشريف تجاه الركن اليماني الذي فيه الحجر الأسود سنة أربع و ستمائة شيخنا مكين الدين أبو شجاع زاهر بن رستم الأصفهاني البزار و غيره عن أبي الفتح عبد الملك بن أبي القاسم بن أبي سهل الكرخي الهروي قال أخبرني أبو عامر محمود بن القاسم الأزدي و أبو نصر عبد العزيز بن محمد الترياقي و أبو بكر أحمد بن أبي حاتم العورجي التاجر قالوا أخبرنا محمد بن عبد الجبار الجراحي قال أخبرنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي قال أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي قال حدثنا الحسن بن محمد الزعفراني حدثنا عفان بن مسلم حدثنا عبد الواحد حدثنا المختار بن فلفل حدثنا أنس بن مالك قال قال رسول الله ص و ذكر هذا الحديث قال و في الباب عن أبي هريرة و حذيفة و ابن عباس و أم كرز فأخبر ص أن الرؤيا جزء من أجزاء النبوة فقد بقي للناس من النبوة هذا و غيره و مع هذا لا يطلق اسم النبوة و لا النبي إلا على المشرع خاصة فحجر هذا الاسم لخصوص وصف معين في النبوة و ما حجر النبوة التي ليس فيها هذا الوصف الخاص و إن كان حجر الاسم فنتأدب و نقف حيث وقف ص بعد علمنا بما قال و ما أطلق و ما حجر فنكون

على بينة من أمرنا و إذا علمت هذا فلنقل إن الرؤيا ثلاث منها بشرى و هي ما نحن بصدده في هذا الباب و رؤيا مما يحدث المرء به نفسه في اليقظة فيرتقم في خياله فإذا نام أدرك ذلك بالحس المشترك لأنه تصوره في يقظته فبقي مرتسما في خياله فإذا نام و انصرفت الحواس إلى خزانة الخيال أبصرت ذلك و سيأتي علم ذلك كله و صورته و الرؤيا الثالثة من الشيطان و روينا في هذا حديثا صحيحا من حديث أبي عيسى الترمذي قال حدثنا نصر بن علي حدثنا عبد الوهاب الثقفي حدثنا أيوب عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال قال رسول الله ص إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب و أصدقهم رؤيا أصدقهم حديثا و رؤيا المسلم جزء من ستة و أربعين جزءا من النبوة و الرؤيا ثلاث فالرؤيا الصالحة بشرى من الله تعالى و رؤيا من تحزين الشيطان و رؤيا مما يحدث الرجل به نفسه و إذا رأى أحدكم ما يكره فليقم و ليتفل و لا يحدث به الناس الحديث و قال فيه حديث صحيح و في حديث أبي قتادة عن رسول الله ص إذا رأى أحدكم شيئا يكرهه فلينفث عن يساره ثلاث مرات و ليستعذ بالله من شرها فإنها لا تضره و هو حديث حسن صحيح و في الحديث الصحيح عن النبي ص أن رؤيا المسلم على رجل طائر ما لم يحدث بها فإذا حدث بها وقعت فاعلم إن لله ملكا موكلا بالرؤيا يسمى الروح و هو دون السماء الدنيا و بيده صور الأجساد التي يدرك النائم فيها نفسه و غيره و صور ما يحدث من تلك الصور من الأكوان فإذا نام الإنسان أو كان صاحب غيبة أو فناء أو قوة إدراك لا يحجبه المحسوسات في يقظته عن إدراك ما بيد هذا الملك من الصور فيدرك هذا الشخص بقوته في يقظته ما يدركه النائم في نومه و ذلك أن اللطيفة الإنسانية تنتقل بقواها من حضرة المحسوسات إلى حضرة الخيال المتصل بها الذي محله مقدم الدماغ فيفيض عليها ذلك الروح الموكل بالصور من الخيال المنفصل عن الأذن الإلهي ما يشاء الحق أن يريه هذا النائم أو الغائب أو الفاني أو القوي من المعاني متجسدة في الصور التي بيد هذا الملك فمنها ما يتعلق بالله و ما يوصف به من الأسماء فيدرك الحق في صورة أو القرآن أو العلم أو الرسول الذي هو على شرعه فهنا يحدث للرائي ثلاث مراتب أو إحداهن المرتبة الواحدة أن تكون الصورة المدركة راجعة للمرئي بالنظر إلى منزلة ما من منازله و صفاته التي ترجع إليه فتلك رؤيا الأمر على ما هو عليه بما رجع إليه و المرتبة الثانية أن تكون الصورة المرئية راجعة إلى حال الرائي في نفسه و المرتبة الثالثة أن تكون الصورة المرئية راجعة إلى الحق المشروع و الناموس الموضوع أي ناموس كان في تلك البقعة التي ترى تلك الصورة فيها في ولاة أمر ذلك الإقليم القائمين بناموسه و ما ثم مرتبة رابعة سوى ما ذكرناه فالأولى و هي رجوع الصورة إلى عين المرئي فهي حسنة كاملة و لا بد لا تتصف بشيء من القبح و النقص و المرتبتان الباقيتان قد تظهر الصورة فيهما بحسب الأحوال من الحسن و القبح و النقص و الكمال فلينظر إن كان من تلك الصورة خطاب فبحسب ما يكون الخطاب يكون حاله و بقدر ما يفهم منه في رؤياه و لا يعول على التعبير في ذلك بعد الرجوع إلى عالم

الحس إلا إن كان عالما بالتعبير أو يسأل عالما بذلك و لينظر أيضا حركته أعني حركة الرائي مع تلك الصورة من الأدب و الاحترام أو غير ذلك فإن حاله بحسب ما يصدر منه في معاملته لتلك الصورة فإنها صورة حق بكل وجه و قد يشاهد الروح الذي بيده هذه الحضرة و قد لا يشاهده و ما عدا هذه الصورة فليست إلا من الشيطان إن كان فيه تحزين أو مما يحدث المرء به نفسه في حال يقظته فلا يعول على ما يرى من ذلك و مع هذا و كونها لا يعول عليها إذا عبرت كان لها حكم و لا بد يحدث لها ذلك من قوة التعبير لا من نفسها و هو أن الذي يعبرها لا يعبرها حتى يصورها في خياله من المتكلم فقد انتقلت تلك الصورة عن المحل الذي كانت فيه حديث نفس أو تحزين شيطان إلى خيال العابر لها و ما هي له حديث نفس فيحكم على صورة محققة ارتسمت في ذاته فيظهر لها حكم أحدثه حصول تلك الصورة في نفس العابر كما جاء في قصة يوسف مع الرجلين و كانا قد كذبا فيما صوراه فكان مما حدثا به أنفسهما فتخيلاه من غير رؤيا و هو أبعد في الأمر إذ لو كان رؤيا لكان أدخل في باب التعبير فلما قصاه على يوسف حصل في خيال يوسف ع صورة من ذلك لم يكن يوسف حدث بذلك نفسه فصارت حقا في حق يوسف و كأنه هو الرائي الذي رأى تلك الرؤيا لذلك الرجل و قاما له مقام الملك الذي بيده صور الرؤيا فلما عبر لهما رؤياهما قالا له أردنا اختبارك و ما رأينا شيئا فقال يوسف قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيانِ فخرج الأمر في الحس كما عبر ثم إن الله تعالى إذا رأى أحد رؤيا فإن صاحبها له فيما رآه حظ من الخير و الشر بحسب ما تقتضي رؤياه أو يكون الحظ في ناموس الوقت في ذلك الموضع و أما في الصورة المرئية فلا فيصور الله ذلك الحظ طائرا و هو ملك في صورة طائر كما يخلق من الأعمال صورا ملكية روحانية جسدية برزخية و إنما جعلها في صورة طائر لأنه يقال طار له سهمه بكذا و الطائر الحظ قال الله عز و جل قالُوا طائِرُكُمْ مَعَكُمْ أي حظكم و نصيبكم معكم من الخير و الشر و يجعل الرؤيا معلقة من رجل هذا الطائر و هي عين الطائر و لما كان الطائر إذا اقتنص شيئا من الصيد من الأرض إنما يأخذه برجله لأنه لا يد له و جناحه لا يتمكن له الأخذ به فلذلك علق الرؤيا برجله فهي المعلقة و هي عين الطائر فإذا عبرت سقطت لما قيلت له و عند ما تسقط ينعدم الطائر لأنه عين الرؤيا فينعدم بسقوطها و يتصور في عالم الحس بحسب الحال التي تخرج عليه تلك الرؤيا فترجع صورة الرؤيا عين الحال لا غير فتلك الحال إما عرض أو جوهر أو نسبة من ولاية أو غيرها هي عين صورة تلك الرؤيا و ذلك الطائر و منه خلقت هذه الحالة و لا بد سواء كانت جسما أو عرضا أو نسبة أعني تلك الصورة كما خلق آدم من تراب و نحن من ماء مهين حتى إذا دلت الرؤيا على وجود ولد فذلك الولد مخلوق من عين تلك الرؤيا ماء في صلب أبيه و إن كان الماء قد نزل في الرحم تصورت فيه تلك الرؤيا ولد فهو ولدا رؤيا و إن لم تتقدم له رؤيا فهو على أصل نشأته كما هو سائر الأولاد فاعلم ذلك فإنه سر عجيب و كشف صحيح و كل ولد يكون عن رؤيا ترى له تميزا على غيره و يكون أقرب إلى الأرواح

من غيره إن جعلت بالك هكذا تبصره و كل مخلوق من حالة أو عرض أو نسبة من ولاية أو غيرها يكون عن رؤيا يكون له ميز على من ليس عن رؤيا و انظر ذلك في رؤيا آمنة أم رسول الله ص يبدلك صحة ما ذكرناه فكان ص عين رؤيا أمه ظهرت في ماء أبيه بتلك الصورة التي رأته أمه و لذلك كثرت المرائي فيه ص فتميز عن غيره و لا يعرف ما قلناه إلا أهل العلم بصورة الكشف و هو من أسرار الله في خلقه و إن أردت تأنيسا لما ذكرناه فانظر في علم الطبيعة إذا توحمت المرأة و هي حامل على شيء خرج الولد يشبه ذلك الشيء و إذا نظرت عند الجماع أو تخيل الرجل صورة عند الوقاع و إنزال الماء يكون الولد على خلق صورة ما تخيل و لذلك كانت الحكماء تأمر بتصوير صور الفضلاء من أكابر الحكماء في الأماكن بحيث تنظر إلى تلك الصورة المرأة عند الجماع و الرجل فتنطبع في الخيال فتؤثر في الطبيعة فتخرج تلك القوة التي كانت عليها تلك الصورة في الولد الذي يكون من ذلك الماء و هو سر عجيب في علم الطبيعة و انظر في تكوين عيسى ع عن مشاهدة مريم جبريل في صورة بشر كيف جمع بين كونه روحا يحيي الموتى و بين كونه بشرا إذا كان الروح به تحيا الأجسام الطبيعية و أقوى من ذلك ما فعله السامري من قبضة أثر جبريل لما علم أن الروح تصحبه الحياة حيث حل فرمى ما قبضه في العجل فخار العجل بذلك الأثر المقبوض من وطء الروح و لو رماه في شكل فرس لصهل أو في شكل إنسان نطق فإن الاستعداد لما ظهر بالحياة إنما كان للقابل و من هنا تعرف صورة الظاهر في المظاهر و أن المظاهر تعطي باستعدادها في الظاهر فيها ما يظهر به من الصور الحاملة و المحمولة و لهذا أظهر الله هذه الحكمة لتقف من ذلك على ما هو الأمر عليه ثم إن تسمية النبي ص لها بشرى و مبشرة لتأثيرها في بشرة الإنسان فإن الصورة البشرية تتغير بما يرد عليها في باطنها مما تتخيله من صورة تبصرها أو كلمة تسمعها إما بحزن أو فرح فيظهر لذلك أثر في البشرة لا بد من ذلك فإنه حكم طبيعي أودعه الله في الطبيعة فلا يكون إلا هكذا (تكملة) للرؤيا مكان و محل و حال فحالها النوم و هو الغيبة عن المحسوسات الظاهرة الموجبة للراحة لأجل التعب الذي كانت عليه هذه النشأة في حال اليقظة من الحركة و إن كان في هواها قال تعالى وَجَعَلْنا نَوْمَكُمْ سُباتاً يقول و جعلنا النوم لكم راحة تستريح به النفوس و هو على قسمين قسم انتقال و فيه بعض راحة أو نيل غرض أو زيادة تعب و القسم الآخر قسم راحة خاصة و هو النوم الخالص الصحيح الذي ذكر الله أنه جعله راحة لما تعبت فيه هذه الآلات و الجوارح و الأعضاء البدنية في حال اليقظة و جعل زمانه الليل و إن وقع بالنهار كما جعل النهار للمعاش و إن وقع بالليل و لكن الحكم للغالب فأما قسم الانتقال فهو النوم الذي يكون معه الرؤيا فتنقل هذه الآلات من ظاهر الحس إلى باطنه ليرى ما تقرر في خزانة الخيال الذي رفعت إليه الحواس ما أخذته من المحسوسات و ما صورته القوة المصورة التي هي من بعض خدم هذه الخزانة لترى هذه النفس الناطقة التي ملكها الله هذه المدينة ما استقر في خزانتها كما جرت العادة في الملوك إذا دخلوا خزائنهم في أوقات خلواتهم

ليطلعوا على ما فيها و على قدر ما كمل لهذه النشأة من الآلات التي هي الجوارح و الخدام الذين هم القوي الحسية يكون الاختزان فثم خزانة كاملة لكمال الحياة و ثم خزانة ناقصة كالأكمه فإنه لا ينتقل إلى خزانة خياله صور الألوان و الخرس لا ينتقل إلى خزانة الخيال صور الأصوات و لا الحروف اللفظية هذا كله إذا عدمها في أصل نشأته و أما إذا طرأت عليه هذه الآفات فلا فإنه إذا انتقل بالنوم إلى باطن النشأة و دخل الخزانة وجد صور الألوان التي اختزنها فيها قبل طرق الآفة و كذلك كل ما أعطته قوة من قوى الحس الذين هم جباة هذه المملكة و لله تجل في هذه الخزانة في صورة طبيعية بصفات طبيعية مثل قوله ص رأيت ربي في صورة شاب و هو ما يراه النائم في نومه من المعاني في صور المحسوسات لأن الخيال هذه حقيقته أن يجسد ما ليس من شأنه أن يكون جسدا و ذلك لأن حضرته تعطي ذلك و ما ثم في طبقات العالم من يعطي الأمر على ما هو عليه سوى هذه الحضرة الخيالية فإنها تجمع بين النقيضين و فيها تظهر الحقائق على ما هي عليه لأن الحق في الأمور أن تقول في كل أمر تراه أو تدركه بأي قوة كان الإدراك إن ذلك الذي أدركته هو لا هو كما قال وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ فلا تشك في حال الرؤيا في الصورة التي تراها أنها عين ما قيل لك إنه هو و ما تشك في التعبير إذا استيقظت أنه ليس هو و لا تشك في النظر الصحيح أن الأمر هو لا هو قيل لأبي سعيد الخراز بم عرفت الله قال بجمعه بين الضدين فكل عين متصفة بالوجود فهي لا هي فالعالم كله هو لا هو و الحق الظاهر بالصورة هو لا هو فهو المحدود الذي لا يحد و المرئي الذي لا يرى و ما ظهر هذا الأمر إلا في هذه الحضرة الخيالية في حال النوم أو الغيبوبة عن ظاهر المحسوسات بأي نوع كان و هي في النوم أتم وجودا و أعمه لأنه للعارفين و العامة و حال الغيبة و الفناء و المحو و شبه ذلك ما عدا النوم لا يكون للعامة في الإلهيات فما أوجد الله شيئا من الكون على صورة الأمر على ما هو عليه في نفسه إلا هذه الحضرة فلها الحكم العام في الطرفين كما للممكن قبول النقيضين فيكون له ذلك ذوقا فإن الذي يستحيل عليه العدم و إن كان له العلم بالعدم لا يكون علمه ذاتيا و هو الذي يسمى ذوقا بخلاف الممكن فإن العدم له ذوق و الذي يستحيل عليه الوجود و العلم به لا ذوق له في الوجود رأسا و الممكن له في الوجود ذوق فأوجد الله هذه الحضرة الخيالية ليظهر فيها الأمر الذي هو الأصل على ما هو عليه فاعلم أن الظاهر في المظاهر مظاهر الأعيان هو الوجود الحق و أنه ما هو لما ظهر به من الأشكال و النعوت التي أعيان الممكنات عليها و جعل هذه الحضرة كالجسر بين الشطين للعبور عليه من هذا الشط إلى هذا الشط فجعل النوم معبرا و جعل المشي عليه عبورا قال تعالى إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيا تَعْبُرُونَ و جعل إدراك ذلك في حالة تسمى راحة و هي النوم من حقيقة قوله وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما في سِتَّةِ أَيَّامٍ فأضاف العمل إليه و ذكر في الخلق أنه بيديه و بأيد و بيده و بقوله ثم أعلمنا أنه و إن اتصف بالعمل إنه لم يؤثر فيه تعب فقال وَما مَسَّنا مِنْ لُغُوبٍ و قال وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ فمن هذه الحقيقة ظهرت الأعمال العظيمة المحرجة المتعبة في

النوم الذي هو راحة البدن أي الطبيعة مستريحة في هذه الحال من الحركات الحسية الظاهرة فهذا هو العمل العظيم في راحة من حيث لا يشعر إنه في راحة و لا سيما إذا رأى في النوم أمورا هائلة مفزعة فإذا استيقظ وجد الراحة فعلم أنه كان في راحة من حيث لا يشعر و منهم من يعلم في النوم أنه في النوم و الناس فيه على طبقات و إنما سمينا هذه الحالة بانتقال لأن المعاني تنتقل من تجريدها عن المواد إلى لباس المواد كظهور الحق في صور الأجسام و العلم في صورة اللبن و ما أشبه ذلك و الانتقال الثاني انتقال الحواس من الظاهر المحسوس إلى هذه الحضرة بالظاهر المحسوس و لكن له في هذه الحضرة ثبوته الذي له في حضرة اليقظة فإنه سريع التبدل في هذه الحضرة كما يتبدل في اليقظة في صور مختلفة في باطنه لا في ظاهره فباطنه في اليقظة هي هذه الحضرة و جعل الليل لباسا لها فإن الليل لا يعطي للناظر في نظرة سوى نفسه فهو يدرك و لا يدرك به فإنه غيب و ظلمة و الغيب و الظلمة يدركان و لا يدرك بهما و الضوء يدرك و يدرك به و هو حال اليقظة فلهذا تعبر الرؤيا و لا يعبر ما أدركه الحس فإذا ارتقى الإنسان في درج المعرفة علم أنه نائم في حال اليقظة المعهودة و أن الأمر الذي هو فيه رؤيا إيمانا و كشفا و لهذا ذكر الله أمورا واقعة في ظاهر الحس و قال فاعتبروا و قال إِنَّ فِي ذلِكَ لَعِبْرَةً أي جوزوا و اعبروا مما ظهر لكم من ذلك إلى علم ما بطن به و ما جاء له قال ع الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا و لكن لا يشعرون و لهذا قلنا إيمانا و قد ذكرنا هذا المقام مستوفى في باب المعرفة من هذا الكتاب و قد تقدم و هو الباب السابع و السبعون و مائة فالوجود كله نوم و يقظته نوم فالوجود كله راحة و الراحة رحمة ف وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فإليها المال تقول الملائكة لله وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً و هنا سر إن بحثت عليه انتهيت إليه و هو رحمته بالأسماء الحسنى في ظهور آثارها فمنتهى علمه منتهى رحمته ثم أرجع و أقول و إن حصل في الطريق تعب فهو تعب في راحة كالأجير يحمل التعب أو يستلذه لما يكون في نفسه من راحة الأجرة التي لأجل حصولها عمل فيحجبه عن التعب وجود راحة الأجرة فإذا قبضها دخل في راحة النوم بالليل فركدت جوارحه عن الحركة فوجد الراحة فانتقل من راحة الأجرة إلى راحة النوم فعلى التحقيق أن صور العالم للحق من الاسم الباطن صور الرؤيا للنائم و التعبير فيها كون تلك الصور أحواله فليس غيره كما أن صور الرؤيا أحوال الرائي لا غيره فما رأى إلا نفسه فهذا هو قوله إنه ما خلق السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما إِلَّا بِالْحَقِّ و هو عينه و هو قوله في حق العارفين وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ أي الظاهر فهو الواحد الكثير فمن اعتبر الرؤيا يرى أمرا هائلا و يتبين له ما لا يدركه من غير هذا الوجه و لهذا ان رسول الله ص إذا أصبح في أصحابه سألهم هل رأى أحد منكم رؤيا لأنها نبوة فكان يحب أن يشهدها في أمته و الناس اليوم في غاية الجهل بهذه المرتبة التي كان رسول الله ص يعتني بها و يسأل كل يوم عنها و الجهلاء في هذا الزمان إذا سمعوا بأمر وقع في النوم لم يرفعوا به رأسا و قالوا بالمنامات يريد أن يحكم هذا خيال و ما هي إلا رؤيا فيستهونوا بالرائي إذا اعتمد عليها و هذا كله

لجهله بمقامها و جهله بأنه في يقظته و تصرفه في رؤيا و في منامه في رؤيا في رؤيا فهو كمن يرى أنه استيقظ في نومه و هو في منامه و هو قوله ع الناس نيام فما أعجب الأخبار النبوية لقد أبانت عن الحقائق على ما هي عليه و عظمت ما استهونه العقل القاصر فإنه ما صدر إلا من عظيم و هو الحق فهذا معنى قولنا في التقسيم إنه قسم الانتقال و أما القسم الآخر من النوم فهو قسم الراحة و هو النوم الذي لا يرى فيه رؤيا فهو لمجرد الراحة البدنية لا غير فهذا هو حال الرؤيا و بقي معرفة المكان و المحل فأما المحل فهو هذه النشأة العنصرية لا يكون للرؤيا محل غيرها فليس للملك رؤيا و إنما ذلك للنشأة العنصرية الحيوانية خاصة و محلها في العلم الإلهي الاستحالات في صور التجلي فكل ما نحن فيه رؤيا الحق في راحة ارتفاع الإعياء و التعب لا غير و أما المكان فهو ما تحت مقعر فلك القمر خاصة و في الآخرة ما تحت مقعر فلك الكواكب الثابتة و ذلك لأن النوم قد يكون في جهنم في أوقات و لا سيما في المؤمنين من أهل الكبائر و ما فوق فلك الكواكب فلا نوم و أعني به هذا النوم الكائن المعروف في العرف و أما الذي ذهبنا إليه أولا في معرفة حال النوم فذلك أمر آخر قد بيناه و صورة مكانه هكذا فانظر إلى ما صورناه في الهامش و هو هذا هذا صورة مكان الرؤيا و هو يشبه بالقرن و هو الصور أعلاه واسع و أسفله ضيق مقلوب النشء فإن الذي يلي الرأس منه هو الأعلى و هو الأوسع و الذي هو الأضيق منه هو الأسفل و هو الذي بعد عن الأصل فذلك القرن مكان الرؤيا فإذا خرج عن هذا الصور خرج عن مكان الرؤيا المعلومة في العرف فلا يرى بعد هذا رؤيا لأنه لا تقوم به صفة نوم فهو في راحة الأبد و هذا القدر كاف فيما نرومه من التعريف بمقام الرؤيا وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ و الذي سكتنا عنه عظيم لأن الفكر يعجز عن تصوره من أكثر الناس وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاٰ يَعْلَمُونَ كما إن أَكْثَرَ النَّاسِ لاٰ يُؤْمِنُونَ و إلى العلم يرجع الفقه و العقل في قوله لا يَفْقَهُونَ و لاٰ يَعْقِلُونَ انتهى الجزء السابع عشر و مائة

((بسم اللّٰه الرحمن الرحيم))

(أبواب الأحوال)

(الباب التاسع و الثمانون و مائة في السالك و السلوك)

إن السلوك هو الطريق الأقوم — فإذا استقمت فأنت فيه السالك

اشتق من سلك اللآلي لفظه — فحسامه عضب المضارب باتك

لا تمنعنك عن السلوك مضايق — من خلفهن أرائك و درانك

لا يسلكن لغاية و نهاية — طرق المحال بمثبتيها فاتك

اعلم وفقك الله أن السلوك انتقال من منزل عبادة إلى منزل عبادة بالمعنى و انتقال بالصورة من عمل مشروع على طريق القربة إلى الله إلى عمل مشروع بطريق القربة إلى الله بفعل و ترك فمن فعل إلى فعل أو من ترك إلى ترك أو من فعل إلى ترك أو من ترك إلى فعل و ما ثم خامس للصورة و انتقال بالعلم من مقام إلى مقام و من اسم إلى اسم و من تجل إلى تجل و من نفس إلى نفس و المنتقل هو السالك و هو صاحب مجاهدات بدنية و رياضات نفسية قد أخذ نفسه بتهذيب الأخلاق و حكم على طبيعته بالقدر الذي يحتاج إليه من الغذاء الذي يكون به قوام مزاجها و اعتدالها و لا يلتفت إلى جوع العادة و الراحة المعتادة فإن الله ما كلف نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا فإذا بذلت الوسع في طاعة الله لم يقم عليها حجة غير إن السالكين في سلوكهم على أربعة أقسام منهم سالك يسلك بربه و سالك يسلك بنفسه و سالك يسلك بالمجموع و سالك لأسألك فيتنوع السلوك بحسب قصد السالك و رتبته في العلم بالله فأما السالك الذي يسلك بربه فهو الذي يكون الحق سمعه و بصره و جميع قواه فإن عينه ثابتة و لهذا أعاد الضمير عليه لوجوده في قوله كنت سمعه فهذه الهاء هي عينك الذي الحق سمعها و بصرها و ما سلكت إلا بهذه القوي و هذه القوي قد أخبر الحق أنه لما أحبك كان سمعك و بصرك فهو قواك فبه سلكت في طاعته التي أمرك بأن تعمل نفسك فيها و تحلى ذاتك بها و هي زينة الله و هو سبحانه الجميل و الزينة جمال فهو جمال هذا السالك فزينته ربه فبه يسمع و به يبصر و به يسلك و لا مانع من ذلك و لهذا قال قُلْ من حَرَّمَ زِينَةَ الله الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ لما أحبهم حين تقربوا إليه بنوافل الخيرات زينهم به فكان قواهم التي سلكوا بها ما كلفهم من الأعمال و هو قوله وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ و هي كلمة تطلبها المجازاة فاستعانوا بالله على عبادته بأن كان قواهم كما أنه بوجود أعيانهم و إن كان وجودهم قد استفادوه منه لم يتمكن خلق الأعمال التي هي محاب الله إلا في وجود أعيانهم فحصل لديهم ضرب من الإعانة على إيجاد الأعمال التي لا تقوم بنفسها فلما عملوا بها و ما زالوا يطلبون الاستعانة منه على ذلك جَزاءً وِفاقاً أعانهم بنفسه بأن قال لهم بي تسمعون و تبصرون و تبطشون و غير ذلك من القوي التي هم عليها ليست غير الحق بأخبار الحق و الناس في عماية لا يعرفون من هذه صورته فكثيرا ما يسيئون الأدب على من هذه صفته فتكون إساءة ذلك الأدب مع الله فالاحتياط تعظيم عباد الله فإنه ما من شخص إلا و يمكن أن يكون هو ذلك العبد فإن الأمر غيب ما هو بمحسوس حتى يتميز إلا عند أهله فوجب مراعاة كل مؤمن على كل مكلف فإنه إذا فعل ذلك أحرز الأمر و استبرأ لنفسه و لا يقال له لم فعلت كذا فإنه قصد جميل فإن وافق محله و إلا فقد و في الأمر حقه لقصده احترام الجناب الإلهي لما دخل في المسألة من الإمكان لكل شخص شخص و هذا لا يكون إلا للادباء من أهل الله و القسم الآخر السالك بنفسه و هو المتقرب إلى ربه ابتداء بالفرائض و نوافل الخيرات الموجبين لمحبة الحق من أتى بهما لتحصيل المحبتين فهو يجهد فيما كلفه الحق و يبذل استطاعته و قوته فيما أمره به ربه و نهاه من عبادة ربه في قوله فَاتَّقُوا الله ما اسْتَطَعْتُمْ و

اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَ لا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ و إن كانوا قد سمعوا هذا الخبر الإلهي و اعتقدوه إيمانا به و لكن ما حصل لهم هذا ذوقا فيكون الحق قواهم فهم سالكون بنفوسهم في جميع مراتب السلوك من حال و عمل و مقام و اسم و تجل و ما يصح فيه الانتقال من أمر إلى أمر و هذا هو سلوك الأدباء من أهل الله و ذلك أن الله كلف عباده فعلموا إن ثم حقيقة تقتضي أن تكون المخاطبة بالتكليف و ما ثم إلا هم فيعلمون أنهم المرادون و إن لم يتعين عندهم بأي حقيقة توجه عليهم الخطاب فيسلكون بنفوسهم في العموم مع علمهم بأن الأمر لا بد فيه من نسبة خاصة أو عين موجودة تستحق التكليف فيبذلون الجهود و يوفون بالعقود و إن جهلوا المقصود إلى أن يفتح الله لهم كما فتح لمن سلك بربه و أما السالك بالمجموع فهو السالك بعد أن ذاق كون الحق سمعه و بصره و علم سلوكه أولا بنفسه على الجملة من غير شهود نفسه على التعيين فلما علم أن الحق سمعه و علم أن السامع بالسمع ما هو عين السمع و رأى ثبوت هذا الضمير و عاين على من عاد فعلم أن نفسه و عينه هي السميعة بالله و الناظرة بالله و المتحركة بالله و الساكنة بالله و إنها المخاطبة بالسلوك و الانتقال فسلك بالمجموع و أما القسم الرابع و هو سالك لا سالك فهو إنه رأى نفسه لم تستقل بالسلوك ما لم يكن الحق صفة لها و لا تستقل الصفة بالسلوك ما لم تكن نفس المكلف موجودة و يكون كالمحل لها فيبدو له أنه سالك بالمجموع فإذا تبين له أن بالمجموع ظهر السلوك بأن له أن المظهر لا وجود له عينا و أن الظاهر تقيد بحكم استعداد المظهر و رأى الحق يقول وَ ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لكِنَّ اللهَ رَمى و كذلك لو قال و ما رمى لصح كما صح في الطرف الأول فمن وقف على هذا العلم من نفسه علم أنه سالك لا سالك ثم اعلم أن السالكين الذين ذكرناهم على مراتب فمنهم السالك منه إليه و منهم السالك منه إليه فيه و منهم السالك منه إليه فيه به و منهم السالك منه لا فيه و لا إليه و منهم السالك إليه لا منه و لا فيه و منهم السالك لا منه و لا إليه و لا فيه و هو موصوف بالسلوك و بأنه سالك و منهم السالك من غير سفر و منهم السالك المسافر و هو في الباب الذي يلي هذا الباب فكل مسافر سالك و ما كل سالك مسافر كما سنذكره إن شاء الله بعد هذا الباب في باب المسافر و أنواع السلوك كثيرة و ما ذكرنا منها إلا القليل فأما السالك منه إليه فهو المنتقل من تجل إلى تجل و أما السالك إليه منه فيه فهو السالك من اسم إلهي إلى اسم إلهي في اسم إلهي و أما السالك منه إليه فيه به فهو السالك باسم إلهي من اسم إلى اسم في اسم و أما السالك منه لا فيه و لا إليه فهو الذي خرج من عند الله في الكون إلى الكون و أما السالك إليه لا منه و لا فيه فهو الفار إليه في الكون من الكون كفرار موسى ع و أما السالك لا منه و لا فيه و لا إليه فهو المنتقل في الأعمال الصالحة من الدنيا إلى الآخرة و هم الزهاد غير العارفين و كلما ذكرناه قد يكون على التقسيم الذي تقدم في حرف الباء من أنه سلك بربه أو بنفسه إلى نهاية التقسيم فيه و للسلوك مراتب و أسرار يطول النظر فيها و يخرجنا عن المقصود في هذا الكتاب من الاقتصاد و الاقتصار على الضروري من العلم الذي يحتاج

إليه أهل طريق الله أن يبينه لهم من فتح عليه به من أمثالنا و هذا الكتاب مع طوله و اتساعه و كثرة فصوله و أبوابه ما استوفينا فيه خاطرا واحدا من خواطرنا في الطريق فكيف الطريق و لا أخللنا بشيء من الأصول التي يعول عليها في الطريق فحصرناها مختصرة العبارة بين إيماء و إيضاح

(الباب التسعون و مائة في معرفة المسافر و هو الذي أسفر له سلوكه عن أمور مقصودة له و غير مقصودة و هو مسافر بالفكر و العمل و الاعتقاد)

إلى أين أو من أين أنت مسافر … و ذاك لعمر الله أمر ينافر
قضية معقول الدليل و شرعه … فلا تك ممن للاله يسافر
و لا تخله من كل كون فإنه … هو العين إلا أنه العبد حائر
ففيه فسافر لا إليه و لا تكن … جهولا فكم عقل عليه يثابر

اعلم أيدك الله أن المسافر في طريق الله رجلان مسافر بفكره في المعقولات و الاعتبارات و مسافر بالأعمال و هم أصحاب العملات فمن أسفر له طريقه عن شيء فهو مسافر و يجب عليه قصر الصلاة على الله و هو مخير في الصوم و من لم يسفر له طريقه عن شيء فهو سالك متصرف في طرق مدينته و شوارعها غير مسافر فليصم و ليتم صلاته فلنذكر حالة المسافر في الطريق و الله المؤيد و الموفق إن شاء الله المسافر من سافر بفكره في طلب الآيات و الدلالات على وجود صانعه فلم يجد في سفره دليلا على ذلك سوى إمكانه و معنى إمكانه هو أن ينسب إليه و إلى جميع العالم الوجود فيقبله أو العدم فيقبله فإذا تساوى في حقه الأمران لم تكن نسبة الوجود إليه من حيث ذاته بأولى من نسبة العدم فافتقر إلى وجود المرجح الذي رجح له أحد الوصفين على الآخر فلما وصل إلى هذا المنزل و قطع هذه المنهلة و أسفرت له عن وجود مرجحه أحدث سفرا آخر في علم ما ينبغي لهذا الصانع الذي أوجده فأسفر له الدليل على انفراده بصفات التنزيه تنزيه ما هو عليه هذا الممكن من الافتقار و أن هذا المرجح واجب الوجود لنفسه لا يجوز عليه ما جاز على هذا الممكن ثم انتقل مسافرا إلى منزلة أخرى فأسفر له عن أن هذا الواجب الوجود لنفسه يستحيل عليه العدم لثبوت قدمه و أنه من ثبت قدمه استحال عدمه لأنه لو كان عدمه لنفسه لما كان واجب الوجود لنفسه و لو انعدم ينعدم فلا بد أن يكون ذلك المعدم له وجودا أو عدما محال أن يكون عدما فبقي أن يكون وجودا و إذا كان وجودا فلا بد أن يكون المعدم شرطا أو ضدا و أن كل واحد من هذين إما أن يكون واجب الوجود أيضا لنفسه فمن المحال وجود هذا الذي دل الدليل على وجوب وجوده لنفسه ثم يساق الدليل على مساق

الأدلة في المعقولات ثم يسافر في منزلة أخرى إلى أن ينفي عنه كل ما يدل على حدوثه فيحيل أن يكون هذا المرجح جوهرا متحيزا أو جسما أو عرضا أو في جهة ثم يسافر في علم توحيده بوجود العالم و بقائه و صلاحه إذ لو كان معه إله آخر لم يوجد العالم على تقدير الاتفاق و الاختلاف كما يعطيه النظر ثم ينتقل مسافرا أيضا إلى منزلة تعطيه العلم بما يجب لهذا المرجح من العلم بما أوجده و خلقه و الإرادة لذلك و نفوذها و عدم قصورها و عموم تعلق قدرته بإيجاد هذا الممكن و حياة هذا المرجح لأنها الشرط في ثبوت هذه النعوت له و إثبات صفات الكمال من الكلام و السمع و البصر بأنه لو لم يكن على ذلك لكان مئوفا لأن القابل لا حد الضدين إذا عرى عن أحدهما لم يعر عن الآخر فإذا عرف هذا سافر إلى منزلة أخرى يعلم منها و تسفر له عن إمكان بعثة الرسل ثم يسافر فيعلم أنه قد بعث رسلا و أقام لهم الدلالة على صدقهم فيما ادعوه من أنه بعثهم و لما تقرر هذا و كان هو ممن بعث إليه هذا الرسول فآمن به و صدقه و اتبعه فيما رسم له حتى أحبه الله فكشف له عن قلبه و طالع عجائب الملكوت و انتقش في جوهر نفسه جميع ما في العالم وفر إلى الله مسافرا من كل ما يبعده منه و يحجبه عنه إلى أن رآه في كل شيء فلما رآه في كل شيء أراد أن يلقي عصا التسيار و يزيل عنه اسم المسافر فعرفه ربه أن الأمر لا نهاية له لا دنيا و لا آخرة و أنك لا تزال مسافرا كما أنت على ذلك لا يستقر بك قرار كما لم تزل تسافر من وجود إلى وجود في أطوار العالم إلى حضرة أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ثم لم تزل تنتقل من منزلة إلى منزلة إلى أن نزلت في هذا الجسم الغريب العنصري فسافرت به كل يوم و ليلة تقطع منازل من عمرك إلى منزلة تسمى الموت ثم لا تزال مسافرا تقطع منازل البرازخ إلى أن تنتهي إلى منزلة تسمى البعث فتركب مركبا شريفا يحملك إلى دار سعادتك فلا تزال فيها تتردد مسافرا بينها و بين كثيب المسك الأبيض إلى ما لا نهاية له هذا سفرك بهيكلك و أما في المعارف فمثل ذلك و كذلك لا تزال مسافرا بالأعمال البدنية و الأنفاس من عمل إلى عمل ما دام التكليف فإذا انتهت مدة التكليف فلا تزال مسافرا سفرا ذاتيا تعبده لذاته لا بأمره سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلًا فسافر به من الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ليريه من آياته و قد ذكرنا هذا السفر في جزء لنا سميناه الأسفار عن نتائج الأسفار و قال تعالى في المسافرين أَ وَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ و قال أَ وَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا ويَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فهذا معنى المسافر

(الباب الحادي و التسعون و مائة في معرفة السفر و الطريق و هو توجه القلب إلى الله بالذكر عن مراسم الشرع بالعزائم لا بالرخص ما دام مسافرا)

توجه القلب بالأذكار مرتحلا   على مراسم دين الله عنوان
على التحقق إن القلب في سفر   عزما و فيه دلالات و برهان

و كل متصف بالسير راحته | معدومة العين و الأحوال سلطان
الرب ينزل من عرش إلى فلك | أدنى أتاك به وحي و فرقان
إليك وحدك دون الخلق كلهم | و في تنزله للكون تبيان
على محبته فينا و صورته | تدعوه مني فلا يحجبك إنسان
و أنت حق و ذاك الحق أنزله | في مظهر قيدته فيه أركان

اعلم أيدك الله أن السفر حال المسافر و الطريق هو ما يمشي فيه و يقطعه بالمعاملات و المقامات و الأحوال و المعارف لأن في المعارف و الأحوال الأسفار عن أخلاق المسافرين و مراتب العالم و منازل الأسماء و الحقائق و لهذا استحقت هذا اللقب و قد مشى الكلام في السالك و السلوك بما قد وقفت عليه و الإنسان لما كان مجموع العالم و نسخة الحضرة الإلهية التي هي ذات و صفات و أفعال احتاج إلى مطرق يطرق له السلوك عليها و السفر فيها ليرى العجائب و يقتني العلوم و الأسرار فإنه سفر تجارة فكان امطرق الشارع و الطريق المطرقة الشريعة فمن سافر في هذه الطريق وصل إلى الحقيقةفثم سفر بحق و سفر بخلق فالسفر بالحق على نوعين سفر ذات و سفر صفة و الإنسان الكامل يسافر هذه الأسفار كلها فيسافر بربه عن كشف إلهي و معية محققة يكون فيها مع الحق كما هو الحق معنا أينما كنا و قد عين سبحانه لنفسه أماكن كما يليق بجلاله و وصف نفسه بتردده فيها فإذا كان العبد معه سافر بسفره فيسفر له إنه هو كما أسفر له أنه ليس هو فالسفر الرباني من العماء إلى العرش فيظهر في العرش بالاسم الرحمن ثم ينزل معه بالاسم الرب كل ليلة إلى السماء الدنيا ثم ينزل بالاسم الإله إلى الأرض ثم يصحبه بالهوية مع كل واحد من الكون ثم يسافر معه بالصحبة في سفر الكون ثم يخلف معه بالخلافة في الأهل ثم يسافر صحبة القرآن في سفره من كونه صفة الله إلى السماء الدنيا ثم يصحبه في سفره ثلاثا و عشرين سنة ثم يصحب الأسماء الإلهية في سفرها في الكون ثم يصحبه الكون في سفره من العدم إلى الوجود ثم يصحب الأنبياء في سفرهم فيصحب آدم في سفره من الجنة إلى الأرض ثم يصحبه في سفره في سبعمائة عمرة و ثلاثمائة حجة ثم يصحب إدريس في سفره إلى المكان العلي ثم يصحب نوحا في سفره في سفينة نجاته إلى الجودي ثم يصحب إبراهيم ع في جميع أسفاره و كذلك كل نبي و ملك كأسفار جبريل إلى كل نبي و رسول و كسفر ميكائيل و الملائكة بالعروج و النزول و سفر السياحين منهم و سفر الكواكب في سيرها و سفر الأفلاك في حركاتها و سفر العناصر في استحالاتها و سفر التجلي في صوره إلى أن يقف على حقائق هذا كله ذوقا من نفسه لا يرتاب و لا يشك و يجرد من ذاته في كل سفر ما يناسب صاحب ذلك السفر من حق و خلق فهذا هو سفر العارفين و طرق العلماء بالله الراسخين

(الباب الثاني و التسعون و مائة في معرفة الحال)

الحال مليهب الرحمن من منح — عناية منه لا كسب و لا طلب
تغير الوصف برهان عليه فكن — على ثبات فإن الحال تنقلب
و لا تقولن إن الحال دائمة — فإن قوما إلى ما قلته ذهبوا
أبو عقال إمام سيد سند — في الحال كان له في حاله عجب
دامت عليه إلى وقت البدور من — المئين أيامها ما أسدلت حجب
و زاد ميقات موسى في إقامته — على المئين كذا جاءت به الكتب

الحال عند الطائفة ما يرد على القلب من غير تعمل و لا اجتلاب فتتغير صفات صاحبه له و اختلف في دوامه فمنهم من قال بدوامه و منهم من منع دوامه و إنه لا بقاء له سوى زمان وجوده كالعرض عند المتكلمين ثم يعقبه الأمثال فيتخيل أنه دائم و ليس كذلك و هو الصحيح لكنه يتوالى من غير أن يتخلل الأمثال ما يخرجه عنه فمنهم من أخذه من الحلول فقال بدوامه و جعله نعتا دائما غير زائل فإذا زال لم يكن حالا و هذا قول من يقول بدوامه قال بعضهم ما أقامني الله منذ أربعين سنة في أمر فكرهته قال الإمام أشار إلى دوام الرضي و هو من جملة الأحوال هذا الذي قاله الإمام يحتمل و لكنه في طريق الله بعيد و إنما الذي ينبغي أن يقال في قول هذا السيد إنه أقام أربعين سنة ما أقامه الله في ظاهره و لا في باطنه في حال مذموم شرعا بل لم تزل أوقاته عليه محفوظة بالطاعات و ما يرضى الله و لقد لقيت شخصا صدوقا صاحب حال على قدم أبي يزيد البسطامي بل أمكن في شغله له إدلال في أدب فقال لي يوما لي خمسون سنة ما خطر لي في نفسي خاطر سوء يكرهه الشرع فهذه عصمة إلهية فيكون كلام ذلك السيد من هذا القبيل و الأحوال مواهب لا مكاسب اعلم أن الحال نعت إلهي من حيث أفعاله و توجهاته على كائناته و إن كان واحد العين لا يعقل فيه زائد عليه قال تعالى عن نفسه كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ و أصغر الأيام الزمن الفرد الذي لا يقبل القسمة فهو فيه في شئون على عدد ما في الوجود من أجزاء العالم الذي لا ينقسم كل جزء منه بهذا الشرط فهو في شأن مع كل جزء من العالم بأن يخلق فيه ما يبقيه سوى ما يحدثه مما هو قائم بنفسه في كل زمان فرد و تلك الشئون أحوال المخلوقين و هم المحال لوجودها فيهم فإنه فيهم يخلق تلك الشئون دائما فلا يصح بقاء الحال زمانين لأنه لو بقي زمانين لم يكن الحق في حق من بقي عليه الحال خلاقا و لا فقيرا إليه و كان يتصف بالغنى عن الله و هذا محال و ما يؤدي إلى المحال محال و هذا مثل قول القائلين بأن العرض لا يبقى زمانين و هو الصحيح و الأحوال أعراض تعرض للكائنات من الله يخلقها فيهم عبر عنها بالشأن الذي هو فيه

دنيا و آخرة هذا أصل الأحوال الذي يرجع إليه في الإلهيات فإذا خلق الله الحال لم يكن له محل إلا الذي يخلقه فيه فيحل فيه زمان وجوده فلهذا اعتبره من اعتبره من الحلول و هو النزول في المحل و قد وجد ثم إنه ليس من حقيقته أن يبقى زمانين فلا بد أن ينعدم في الزمان الثاني من زمان وجوده لنفسه لا ينعدم بفاعل يفعل فيه العدم لأن العدم لا ينفعل لأنه ليس شيئا وجوديا و لا بانعدام شرط و لا بضد لما في ذلك كله من المحال فلا بد أن ينعدم لنفسه أي العدم له في الزمان الثاني من زمان وجوده حكم لازم و المحل لا بقاء له دونه أو مثله أو ضده فيفتقر في كل زمان إلى ربه في بقائه فيوجد له الأمثال أو الأضداد فإذا أوجد الأمثال يتخيل أن ذلك الأول هو على أصله باق و ليس كذلك و إذا كان الحق كل يوم في شأن و كل شأن عن توجه إلهي و الحق قد عرفنا بنفسه أنه يتحول في الصور فلكل شأن يخلقه بصورة إلهية فلهذا ظهر العالم على صورة الحق و من هنا نقول إن الحق علم نفسه فعلم العالم فمثل هذا اعتبر من اعتبر الحال من التحول و الاستحالة فقال بعدم الدوام فلا يزال العالم مذ خلقه الله إلى غير نهاية في الآخرة و الوجود في أحوال تتوالى عليه الله خالقها دائما بتوجهات إرادية تصحبها كلمة الحضرة المعبر عنها بكن فلا تزال الإرادة متعلقة و هو المتوجه و لا تزال كن و لا يزال التكوين هكذا هو الأمر في نفسه حقا و خلقا و قد يطلقون الحال و يريدون به ظهور العبد بصفة الحق في التكوين و وجود الآثار عن همته و هو التشبه بالله المعبر عنه بالتخلق بالأسماء و هو الذي يريده أهل زماننا اليوم بالحال و نحن نقول به و لكن لا نقول بأثره لكن نقول إنه يكون العبد متمكنا منه بحيث لو شاء ظهوره لظهر به لكن الأدب يمنعه لكونه يريد أن يتحقق بعبوديته و يستتر بعبادته فلا ينكر عليه أمر بحيث إذا رىء في غاية الضعف ذكر الله عند رؤيته فذلك عندنا ولي الله فيكون في الكون مرحمة و هو قول النبي صلى الله عليه و سلم في أولياء الله إنهم الذين إذا رأوا ذكر الله من صبرهم على البلاء و محنة الله لهم الظاهرة فلا يرفعون رءوسهم لغير الله في أحوالهم فإذا رىء منهم مثل هذه الصفة ذكر الله بكونه اختصهم لنفسه و من لا علم له بما قلناه يقول الولي صاحب الحال الذي إذا رىء ذكر الله هو الذي يكون له التكوين و الفعل بالهمة و التحكم في العالم و القهر و السلطان و هذه كلها أوصاف الحق فهؤلاء هم الذين إذا رأوا ذكر الله و هذا قول من لا علم له بالأمور و إن مقصود الشارع إنما هو ما ذكرناه و أما هذا القول الآخر فقد ينال التحكم في العالم بالهمة من لا وزن له عند الله و لا قيمة و ليس بولي و إنما سئل النبي و أجاب بهذا عن أولياء الله فقيل له من أولياء الله فقال الذين إذا رأوا ذكر الله لما طحنتهم البلايا و شملتهم الرزايا فلا يتزلزلون و لا يلجئون لغير الله رضي بما أجراه الله فيهم و أراده بهم فإذا رأتهم العامة على مثل هذا الصبر و الرضي و عدم الشكوى للمخلوقين ذكرت العامة الله و علمت أن لله بهم عناية و أصحاب الآثار قد يكونون أولياء و قد تكون تلك الآثار التكوينية عن موازين معلومة عندنا و عند من يعرف همم النفوس و قوتها و انفعال أجرام العالم لها و من خالط العزابية و رأى ما هم عليه من عدم

التوفيق مع كونهم يقتلون بالهمة و يعزلون و يتحكمون لقوة هممهم و أيضا لما في العالم من خواص الأسماء التي تكون عنها الآثا ر التكوينيات عند من يكون عنده علم ذلك مع كون ذلك الشخص مشركا بالله فما هو من خصائص أولياء الله تعالى التأثير في الكون فما بقي إلا ما ذكرناه

(الباب الثالث و التسعون و مائة في معرفة المقام)

إن المقام من الأعمال يكتسب   له التعمل في التحصيل و الطلب
به يكون كمال العارفين و ما   يردهم عنه لا ستر و لا حجب
له الدوام و ما في الغيب من عجب   الحكم فيه له و الفصل و الندب
هو النهاية و الأحوال تابعة   و ما يجليه إلا الكد و النصب
إن الرسول من أجل الشكر قد ورمت   أقدامه و علاه الجهد و التعب

اعلم أن المقامات مكاسب و هي استيفاء الحقوق المرسومة شرعا على التمام فإذا قام العبد في الأوقات بما تعين عليه من المعاملات و صنوف المجاهدات و الرياضات التي أمره الشارع أن يقوم بها و عين نعوتها و أزمانها و ما ينبغي لها و شروطها التمامية و الكمالية الموجبة صحتها فحينئذ يكون صاحب مقام حيث أنشأ صورته كما أمر كما قيل له أَقِيمُوا الصَّلاةَ فأقاموا نشأتها صورة كاملة فخرجت طائرا ملكا روحا مقدسا فلم يكن له استقرار دون الحق ثم ينتقل هذا العبد إلى مقام آخر لينشئ أيضا صورته و بهذا يكون العبد خلاقا هذا معنى المقام و لم يختلف أحد من أهل الله أنه ثابت غير زائل كما اختلفوا في الحال و ليس الأمر عندنا على إطلاق ما قالوه بل يحتاج إلى تفصيل في ذلك و ذلك لاختلاف حقائق المقامات فإنها ما هي على حقيقة واحدة فمن المقامات ما هو مشروط بشرط فإذا زال الشرط زال كالورع لا يكون إلا في المحظور أو المتشابه فإذا لم يوجد أحدهما أو كلاهما فلا ورع و كذلك الخوف و الرجاء و التجريد الذي هو قطع الأسباب و هو ظاهر التوكل عند العامة و من المقامات ما هو ثابت إلى الموت و يزول كالتوبة و مراعاة التكليفات المشرعة و من المقامات ما يصحب العبد في الآخرة إلى أول دخول الجنة كبعض المقامات المشروطة من الخوف و الرجاء و من المقامات ما يدخل معه الجنة كمقام الأنس و البسط و الظهور بصفات الجمال فالمقام هو ما يكون للعبد فيه إقامة و ثبات و هو عنده لا يبرح فإن كان مشروطا و جاء شرطه أظهره ذلك الوقت لوجود شرطه فهو عنده معد فلذلك قيل فيه إنه ثابت لا أنه يستعمل في كل وقت فافهم

(الباب الرابع و التسعون و مائة في معرفة المكان)

نفي المقام هو المكان و إنه   لليثربي بسورة الأحزاب

من كان فيه يكون مجهولا لذا   ما ناله أحد بغير حجاب

رب المكان هو الذي يدعى إذا   دعي الرجال بسيد الأحباب

و له الوسيلة لا تكون لغيره   و هو المقدم من أولي الألباب

و هو الإمام و ما له من تابع   و هو المصرف حاجب الحجاب

قال تعالى يا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقامَ لَكُمْ و قال تعالى في إدريس وَ رَفَعْناهُ مَكاناً عَلِيًّا و المكان نعت إلهي في العموم و الخصوص أما في العموم فقوله الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى و أما في الخصوص فقوله وسعني قلب عبدي المؤمن و أما عموم العموم فإن يكون بحيث أنت و هو قوله وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ فذكر الأينية و المكان في الذوات كالمكانة في المراتب و المكان عند القوم منزلة في البساط هي لأهل الكمال الذين جازوا المقامات و الأحوال و الجلال و الجمال فلا صفة لهم و لا نعت و لا مقام كأبي يزيد اعلم أن عبور المقامات و الأحوال هو من خصائص المحمديين و لا يكون إلا لأهل الأدب جلساء الحق على بساط الهيبة مع الأنس الدائم لأصحابه الاعتدال و الثبات و السكون غير إن لهم سرعة الحركات في الباطن في كل نفس ف تَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَ هِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ إن تجلى لهم الحق في صورة محدودة أطرقوا فرأوه في إطراقهم مقلبا أحوالهم على غير الصورة التي تجلى لهم فيها فأورثهم الإطراق فهم بين تقييد و إطلاق لا مقام يحكم عليهم فإنه ما ثم فهم أصحاب مكان في بساط النشأة و هم أصحاب مكانة في عدم القرار فهم من حيث مكانتهم متنوعون و من حيث مكانهم ثابتون فهم بالذات في مكانهم و هم بالأسماء الإلهية في مكانتهم فمن الأسماء لهم المقام المحمود و المكانة الزلفى في اليوم المشهود و الزور و الوفود و من الذات لهم المكان المحدود و المعنى المقصود و الثبات على الشهود و حالة الوجود و رؤيته في كل موجود في سكون و خمود يشهدونه في العماء بالعين التي يشهدونه بها في الاستواء بالعين التي يشهدونه بها في السماء الدنيا بالعين التي يشهدونه بها في الأرض بالعين التي يشهدونه بها في المعية بالعين التي يشهدونه بها في لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و هذا كله من نعوت المكان و أما شهودهم من حيث المكانة فتختلف عيونهم باختلاف النسب فالعين التي يشهدونه بها في كذا ليست العين التي يشهدونه بها في أمر آخر و المشهود في عين واحدة و الشاهد من عين واحدة و النظرة تختلف باختلاف المنظور إليه فمنا من يرى اختلاف النظر لاختلاف المنظور و منا من يرى اختلاف المنظور لاختلاف النظر و كل له شرب معلوم فالمكان يطلب فرغ ربك و المكانة تطلب كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ و سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ

الثَّقَلانِ فجاء بلفظ الثقلين أعلاما من خاطب و من يريد و نحن مركبون من ثقيل و خفيف فالخفيف للمكانة و الثقيل للمكان الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى فثبتت الرحمة فلم تزل و أثرت في النزول إلى السماء الدنيا فما نزل ليسلط عذابا و إنما نزل ليقبل تائبا و يجيب داعيا و يغفر لمستغفر و يعطي سائلا فذكر هذا كله و لم يذكر شيئًا من القهر لأنه نزل من عرش الرحمن فالمكان رحمة حيث كان لأن فيه استقرار الأجسام من تعب الانتقال إلا تراهم في حال العذاب كيف وصفهم بالانتقال بتبديل الجلود و التبديل انتقال إلى أن يفرغ الميقات و الأمر الحقيقي للمكانة فإنه لا يصح الثبوت على أمر واحد في الوجود فالمكان ثبوت في المكانة كما نقول في التمكين أنه تمكين في التلوين لا أن التلوين يضاد التمكين كما يراه من لا علم له بالحقائق و للتمكين باب يرد بعد هذا إن شاء الله

(الباب الخامس و التسعون و مائة في معرفة الشطح)

الشطح دعوى في النفوس بطبعها لبقية فيها من آثار الهوى

هذا إذا شطحت بقول صادق من غير أمر عند أرباب النهى

اعلم أيدك الله أن الشطح كلمة دعوى بحق تفصح عن مرتبته التي أعطاه الله من المكانة عنده أفصح بها عن غير أمر إلهي لكن على طريق الفخر بالراء فإذا أمر بها فإنه يفصح بها تعريفا عن أمر إلهي لا يقصد بذلك الفخر قال عليه السلام أنا سيد ولد آدم و لا فخر يقول ما قصدت الافتخار عليكم بهذا التعريف لكن أنبأتكم به لمصالح لكم في ذلك و لتعرفوا منة الله عليكم برتبة نبيكم عند الله و الشطح زلة المحققين إذا لم يؤمر به فيقولها كما قالها عليه السلام و لهذا بين فقال و لا فخر فإني أعلم أني عبد الله كما أنتم عبيد الله و العبد لا يفتخر على العبد إذا كان السيد واحدا و كذا نطق عيسى فبدأ بالعبودية و هو بمنزلة قوله عليه السلام و لا فخر فقال لقومه في براءة أمه و لما علم من نور النبوة التي في استعداده أنه لا بد أن يقال فيه إنه ابن لله فقال إِنِّي عَبْدُ اللهِ فبدأ في أول تعريفه و شهادته في الحال الذي لا ينطق مثله في العادة فما أنا ابن لأحد فأمي طاهرة بتول و لست بابن لله كما أنه لا يقبل الصاحبة لا يقبل الولد و لكني عبد الله مثلكم آتانِيَ الْكِتابَ وَ جَعَلَنِي نَبِيًّا فنطق بنبوته في وقتها عنده و في غير وقتها عند الحاضرين لأنه لا بد له في وقت رسالته أن يعلم بنبوته كما جرت عادة الله في الأنبياء قبله فهم مأمورون بكل ما يظهر عليهم و منهم من الدعاوي الصادقة التي تدل على المكانة الزلفى و التميز عن الأمثال و الأشكال بالمرتبة المثلى عند الله وَ جَعَلَنِي مُبارَكاً أي محلا و علامة على زيادات الخير عندكم أَيْنَ ما كُنْتُ يعني في كل حال من الأحوال ما تختص البركة بسببي فيكم في حال دون حال و ذكرها كلها بلفظ الماضي و هو يريد الحال و الاستقبال فما كان منه في الحال فنطقه شهادة ببراءة أمه و تنبيها و تعليما لمن يريد أن يقول فيه أنه ابن الله فنزه الله و هو نظير براءة أمه مما نسبوا إليها فهو في جناب

الحق تنزيه و في جناب الأم تبرئة و يدل لفظ الماضي فيه وأَيْنَ ما كُنْتُ أن يكون له التعريف بذلك من الله كما كان لمحمد صلى الله عليه و آله و سلم لما قال كنت نبيا و آدم بين الماء و الطين فعلم مرتبته عند الله و آدم ما وجدت صورته البدنية و أعلم عيسى بلفظ الماضي أن الله آتاه الكتاب و أوصاه بالصلاة و الزكاة ما دام في عالم التكليف و التشريع و هو قوله ما دُمْتُ حَيًّا يريد حياة التكليف في ظاهر الأمر عند السامعين و يريد عندنا هذا و أمرا آخر و هو قوله تعالى في عيسى إنه كلمة الله و الكلمة جمع حروف و سيأتي علم ذلك في باب النفس بفتح الفاء فأخبر أنه آتاه الكتاب يريد الإنجيل و يريد مقام وجوده من حيث ما هو كلمة و الكتاب ضم حروف رقمية لإظهار كلمة أو ضم معنى إلى صورة حرف يدل عليه فلا بد من تركيب فلهذا ذكر أن الله أعطاه الكتاب مثل قوله أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ و يريد بالوصية بالصلاة و الزكاة العبادة كما تدل على العمل هي على العبادة أدل لأنها لا تفتقر في كونها عبادة إلى بيان و إذا أريد بها العمل احتيج إلى تعيين ذلك العمل و بيان صورته حتى يقيم نشأته هذا المكلف به فإذا كانت العبادة دل على أنه لا يزال حيا أينما كان و إن فارق هذا الهيكل بالموت فالحياة تصحبه لأنها صفة نفسية له و لا سيما و قد جعله روح الله ثم ذكر أنه بر بوالدته أي محسن إليها فأول إحسانه أنه برأها مما نسب إليها في حالة لا يشكون في أنه صادق في ذلك التعريف ثم تمم فقال وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً فإن الجبروت و هو العظمة يناقض العبودة و هو قوله إنه عبد الله و يريد بقوله جَبَّاراً أي لا أجبر الأمة التي أرسل إليها بالكتاب و الصلاة و الزكاة إنما أنا مبلغ عن الله لا غير لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ فأكون جبارا فأجبر و أبلغ عن الله كما قال يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ و ما عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ إِنَّما أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ فقوله مذكر و المذكر لا يكون إلا لمن كان على حالة منسية و لو لم يكن كذلك لكان معلما لا مذكرا فدل أنه لا يذكرهم إلا بحال إقرارهم بربوبيته تعالى عليهم حين قبض الذرية من ظهر آدم في الميثاق الأول ثم قال وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ بما نطقت فيكم به من أني عبد الله فسلمت من انتساب وجودي إلى سفاح أو نكاح وَيَوْمَ أَمُوتُ فأسلم من وقوع القتل الذي ينسب إلى من يزعم أنه قتلني و هو قول بني إسرائيل إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ (عِيسَى) ابْنَ مَرْيَمَ فأكذبهم الله فقال وَما قَتَلُوهُ وَما صَلَبُوهُ وَلكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ فقال لهم إن السلام عليه يوم يموت سالما من القتل إذ لو قتل قتل شهادة و الشهيد حي غير ميت و لا يقال فيه إنه ميت كما ورد النهي عن ذلك عندنا و كذلك لم يزل الأمر فأخبر أنه يموت و لا يقتل فذكر السلام عليه يوم يموت ثم ذكر أن السلام عليه يوم يبعث حيا يعني في القيامة و هو موطن سلامة الأبرياء من كل سوء مثل الأنبياء و غيرهم من أهل العناية فهو صاحب سلامة في هذه المواطن كلها و ما ثم موطن ثالث ما هي إلا حياة دنيا و حياة أخرى بينهما موت فهذه كلها لو لم تكن عن أمر إلهي لكانت من قائلها شطحات فإنها كلمات تدل على الرتبة عند الله على طريق الفخر بذلك على الأمثال و الأشكال و حاشا أهل الله أن يتميزوا عن الأمثال أو يفتخروا و لهذا كان

الشطح رعونة نفس فإنه لا يصدر من محقق أصلا فإن المحقق ما له مشهود سوى ربه و على ربه ما يفتخر و ما يدعي بل هو ملازم عبوديته مهيا لما يرد عليه من أوامره فيسارع إليها و ينظر جميع من في الكون بهذه المثابة فإذا شطح فقدا تحجب عما خلق له و جهل نفسه و ربه و لو انفعل عنه جميع ما يدعيه من القوة فيحيي و يميت و يولي و يعزل و ما هو عند الله بمكان بل حكمه في ذلك حكم الدواء المسهل أو القابض يفعل بخاصية الحال لا بالمكانة عند الله كما يفعل الساحر بخاصية الصنعة في عيون الناظرين فيخطف أبصارهم عن رؤية الحق فيما أتوا به و كل من شطح فعن غفلة شطح و ما رأينا و لا سمعنا عن ولي ظهر منه شطح لرعونة نفس و هو ولي عند الله إلا و لا بد أن يفتقر و يذل و يعود إلى أصله و يزول عنه ذلك الزهو الذي كان يصول به فذلك لسان حال الشطح هذا إذا كان بحق هو مذموم فكيف لو صدر من كاذب فإن قيل و كيف صورة الكاذب في الشطح مع وجود الفعل و الأثر منه قلنا نعم ما سألت عنه أما صورة الكاذب في ذلك فإن أهل الله ما يؤثرون إلا بالحال الصادق إذا كانوا أهل الله و ذلك المسمى شطحا عندهم حيث لم يقترن به أمر إلهي أمر به كما تحقق ذلك عن الأنبياء عليهم السلام فمن الناس من يكون عالما بخواص الأسماء فيظهر بها الآثار العجيبة و الانفعالات الصحيحة و لا يقول إن ذلك عن أسماء عنده و إنما يظهر ذلك عند الحاضرين أنه من قوة الحال و المكانة عند الله و الولاية الصادقة و هو كاذب في هذا كله و هذا لا يسمى شطحا و لا صاحبه شاطحا بل هو كذب محض ممقوت فالشطح كلمة صادقة صادرة من رعونة نفس عليها بقية طبع تشهد لصاحبها ببعده من الله في تلك الحال و هذا القدر كاف في حال معرفة الشطح

(الباب السادس و التسعون و مائة في معرفة الطوالع)

لا تنظرن إلى طوالع نوره   فطوالع التوحيد ما لا تبصر
لو أبصرتها كان شرك ثابتا   فبه المحنك ذو الحجى يتحير
إن المجرب للأمور هو الذي   بمجنه يلقى فلا يتأثر
و مجنه نصر الإله فعينه   فبه يراه و عينه لا تبصر
الطمس رفع الحكم ليس ذهابه   فهي الوجود و ما سواها مظهر

الطوالع عند الطائفة المصطلح عليها أنوار التوحيد تطلع على قلوب العارفين فتطمس سائر الأنوار و هذه أنوار الأدلة النظرية لا أنوار الأدلة الكشفية النبوية فالطوالع تطمس أنوار الكشف و ذلك أن التوحيد المطلوب من الله الذي طلبه من عباده و أوجب النظر فيه إنما هو توحيد المرتبة و هو كونه إلها خاصة فلا إله غيره و على هذا يقوم الدليل الواضح و عند بعض العقول فضول من أجل القوي التي هي

آلاته فتعطيه في بعض الأمزجة أمزجة تراكيها فضولا يؤديه ذلك الفضول إلى النظر في ذات الله و قد حجر الشرع التفكر في ذات الله فزل هذا العقل في النظر في ذلك و تعدى و ظلم نفسه فأقام الأدلة على زعمه و هي أنوار الطوالع على إن ذات الإله لا ينبغي أن تكون كذا و لا أن تكون على كذا و نفت عنه جميع ما ينسب إلى المحدثات حتى يتميز عندها فجعلته محصورا غير مطلق بما دلت عليه أنوار أدلته ثم عدلت بعد ذلك إلى الكلام في ذوات صفاته فاختلف في ذلك أشعة أنوارهم أعني طرق بما دلتهم على ما ذكر في علم النظر ثم عدلوا إلى النظر في أفعاله فاختلفوا في ذلك بحسب اختلاف أشعة أنوارهم مما قد ذكر و سطر و ليس هذا الكتاب بمحل لما تعطيه أدلة الأفكار فإنه موضوع لما يعطيه الكشف الإلهي فلهذا لم نسردها على ما قررها أهلها في كتبهم ثم عدلوا إلى النظر في السمعيات و هو علمنا الذي يعول عليه في الحكم الظاهر و نأخذ بالكشف الإلهي عند التعمل بالتقوى فيتولى الله تعليمنا بالتجلي فنشهد ما لا تدركه العقول بأفكارها مما ورد به السمع و أحاله العقل و تأوله عقل المؤمن و سلمه المؤمن الصرف فجاءت أنوار الكشف بأن هذه الذات التي حجر التفكر فيها فرأيناها على النقيض مما دلت عليه العقول بأفكارها فيشاهد صاحب الكشف يمين الحق و يده و يديه و العين و الأعين المنسوبة إليه و القدم و الوجه ثم من النعوت الفرح و التعجب و الضحك و التحول من صورة إلى صورة هذا كله شاهدوه فالله الذي يعبده المؤمنون و أهل الشهود من أهل الله ما هو الذي يعبده أهل التفكر في ذات الله فحرموا العلم لكونهم عصوا الله و رسوله في أن فكروا في ذات الله و تعدوا مرتبة الكلام و النظر في كونه إلها واحدا إلى ما لا حاجة لهم به و قد فعل ذلك من ينتمي إلى الله كأبي حامد و غيره و هي مزلة قدم و إن كان جعل ذلك سترا له فإنه قد نبه في مواضع على خلاف ما أثبته و بالجملة أساء الأدب فمن حكم على نفسه فكره و نظره و أدخل عقله تحت سلطان نظره في ذلك و تخيل أنه على نور من ربه في نظره فطمس بأنوار أدلته أعين أنوار ما جاء به أهل الشهود و الكشف فما جاء من ذلك عن رسول و نبي في كتاب أو سنة وكان صاحب هذه الأنوار النظرية مؤمنا صادقا في إيمانه تأول ذلك في حق الرسول حتى لا يرجع عن النظر بنور فكره لأن اعتماده عليه و هو الذي أنشأ في نفسه ربا يعبده كما ينبغي لنظره فعبد عقله ثم إنه نقل الأمر في التأويل لقصوره من التشبيه بالأجسام لحدوثها إلى التشبيه بالمعاني المحدثة أيضا فما انتقل من محدث إلا إلى محدث فكان فضيحة الدهر عند المؤمنين و الذين شاهدوا الأمر على ما هو عليه و أصل ذلك كله أنه نتيجة عن معصية الله إذ قد نهاه رسول الله ص الذي لا ينطق عن الهوى عن التفكر في ذات الله فلم يفعل جعلنا الله و إياكم من أهل الشهود و الوجود فيا ليت هذا المؤمن إذا لم يكن من أهل الشهود أن يسلم الأمر إلى الله على علم الله فيه و لا يتعدى و أما إذا جاء بمثل هذه العلوم غير الرسول عند هذا الناظر كفره و زندقه و جهله و بهذا بعينه آمن به لما جاءه به الرسول فأي حجاب أعظم من هذا الحجاب فيقول له الأمر على كذا فيقول هذا

كفر فإذا قلت له كذا ورد في الصحيح عن النبي ع ما هو قولي سكت و قال بعد أن جاء عن النبي ص فله تأويل ننظر فيه فلا يقبله ذلك القبول لولا رائحة هذا النظر الذي يرجوه في تأويله فما أبعده عن الحق المبين و قد يريد أصحابنا بالطوالع طوالع أنوار الشهود فتطمس أنوار الأدلة النظرية فما كان ينفيه عقلا مجردا عاد يثبته كشفا و لم يبق لذلك النور الفكري في عقله عينا و لا أثرا و لا جعل له عليه سلطانا فهذا معنى الطوالع

(الباب السابع و التسعون و مائة في معرفة الذهاب)

قلوب العاشقين لها ذهاب إذا هي شاهدت من لا تراه
و ذا من أعجب الأشياء فينا نراه و ما نراه إذا نراه
دليلي إذ يقول رميت عبدي فلا تعجب فما الرامي سواه
كذا قد جاء في القرآن نصا لأمر في حنين قد دهاه

معنى الذهاب و هي غيبة القلب عن حس كل محسوس بمشاهدة المحبوب و ذلك يا ولي أن القلب و الباطن لا يتمكن للعارف فكيف للمحب أن يمر عليه نفس و لا حال لا يكون المحبوب فيه مشهودا له بعين قلبه و وجوده و ما بقي حجاب إلا في الحس بإدراكه المحسوسات حيث يراها ليست عين محبوبه فيحجبه فيطلب اللقاء لأجل هذا الحجاب فإذا ذهب المحسوس عن حسه في ظاهر الصورة كما يذهب في حق النائم انصرف الحس إلى الخيال فرأى مثال محبوبه في خياله و قرب من قلبه فرآه من غير مثال لأن الخيال ما بينه و بين المعنى واسطة و لا درجة كما أنه ليس بينه و بين المحسوس واسطة و لا درجة فهو واسطة العقد إليه ينزل المعنى و إليه يرتفع المحسوس فهو يلقي الطرفين بذاته فإذا انتقل العارف أو المحب من المحسوس إلى الخيال قرب من معنى المحبوب فشاهده في الخيال ممثلا ذا صورة و شاهده و هو في الخيال لما عدل بنظره إلى حضرة المعاني المجاورة لحضرة الخيال عاين المعنى مجردا عن المثال و الصورة ثم نظر إلى المثال و إلى المحسوس فعلم أنه لو تصور هذا المعنى في المحسوس لكان جميع صور المحسوسات صورته فغاب هذا المشاهد عن شهود كل محسوس إنه غير صورة محبوبه بل كل محسوس صورة محبوبه و لا بد فذهب عنه صورة المحسوس إنها غير صورة محبوبه فصار يشاهده في كل شيء فهذا هو الذهاب و منه المذهب الذي هو الطريق سمي مذهبا للذهاب فيه فهذا المحب ذاهب في صور المحسوسات كلها إنها صورة عين محبوبه فلا يزال في اتصال دائم في عالم الحس و في حضرة الخيال و في حضرة المعاني فله الذهاب في هذه الحضرات كلها و صارت مذهبا له حتى نفسه في جملة الصور و لهذا يقول

أنا من أهوى		و من أهوى أنا

و مثل هذا قلنا في قصيدة

أنا محبي أنا حبيبي		أنا فتاي أنا فتاتي

و قد قلنا في هذا الباب أيضا من قصيدة

فإنني ما عشقت غيري		فعين فصلي هو اتصالي

(الباب الثامن و التسعون و مائة في معرفة النفس بفتح الفاء)

نفس الأكوان من نفسه		و هو وحي الحق في جرسه
و كلام الحق شاهده		أثر في الكون من نفسه
إن موسى قبل أبصره		في اشتعال النا ر في قبسه
معدن الراحات فيه فمن		ناظر فيه و في حرسه

كان رسول الله ص قبل أن يعرف بعصمته من الناس و هو قوله وَ اللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إذا نزل منزلا يقول من يحرسنا الليلة مع كونه يعلم أن الله عَلى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ و قال ع لما اشتد عليه كرب ما يلاقي من الأضداد إن نفس الرحمن يأتيني من قبل اليمن فكانت الأنصا ر اعلم أن الموجودات هي كلمات الله التي لا تنفد قال تعالى في وجود عيسى ع إنه كَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى مَرْيَمَ و هو عيسى ع فلهذا قلنا إن الموجودات كلمات الله من حيث الدلالة السمعية إذ كان لا يصدقنا كل أحد فيما ندعي فيه الكشف أو التعريف الإلهي و الكلمات المعلومة في العرف إنما تتشكل عن نظم الحروف من النفس الخا رج من المتنفس المتقطع في المخا رج فيظهر في ذلك التقاطع أعيان الحروف على نسب مخصوصة فتكون الكلمات و بعد أن نبهتك على هذا لتجعل بالك لما نورده في هذا الباب فاعلم أن الله سبحانه ما استواء على عرشه إلا بالاسم الرحمن أعلاما بذلك أنه ما أراد بالإيجاد إلا رحمة بالموجودين و لم يذكر غيره من الأسماء و ذكر الاستواء على أعظم المخلوقات إحاطة من عالم الأجسام فإن الآلام ليس محلها إلا التركيب و أما البسائط فلا تقبل في ذاتها قيام معنى بها بل هي عين المعنى يدل على شمول الرحمة للعالم و إن طرأت عوارض البلايا فإنها رحمة كما ذكرنا في شرب الدواء الكريه ليس المقصود منه عذاب من شربه و لا إيلامه و إنما المقصود من استعماله ما يؤول إليه من استعمله من الراحة و العافية ثم اعلم بعد هذا أن الحق تسمى بالظاهر و الباطن فالظاهر للصور التي يتحول فيها و الباطن للمعنى الذي يقبل ذلك التحول و الظهور في تلك الصور فهو عالم الغيب من كونه

الباطن و الشهادة من كونه الظاهر و قد أعلمتك أن العالم نسخة إلهية على صورة حق و لذلك قلنا علم الله بالأشياء علمه بنفسه فلذلك حكمنا عليه بالصورةو بذا وردت الأسماء الإلهية و ورد في الصحيح أن الله خلق آدم على صورته و هو الإنسان الكامل المختصر الظاهر بحقائق الكون كله حديثه و قديمه و جعل سبحانه النفس بخرج من القلب للأمر الذي قد علم و قررناه فيجد المخارج إذا قصد المتنفس الكلام و إن لم يقصد الكلام كان النفس بالحرف الهاوي خاصة و ما هو عندنا من الحروف و هو يهوى على ثلاث مراتب هويا ذاتيا يعبر عنه بالألف و هو المسمى عند القراء الحرف الهاوي فإذا مر بالأرواح العلوية في هويه حدث له منها واو العلة و هو امتداد الهواء من المتنفس عن ضم الحرف و هو إشباع حركة الضم و إذا مر بالأجسام الطبيعية السفلية في هويه حدث له من ذلك ياء العلة و هو امتداد الهواء من المتنفس عن خفض الحرف و هو إشباع حركة الخفض لأن الخفض من العالم الأسفل و ما لهذا النفس في هويه أكثر من هذه الثلاث المراتب فاعلم ذلك فحدثت رسالة الملك بالواو المضموم ما قبلها و حدثت رسالة البشر بالياء المكسور ما قبلها و كان الألف على الأصل عن الله و هو سبب الأسباب كلها و لما ذكر الله عن نفسه أنه الظاهر و أنه الباطن و أن له كلاما و كلمات ذكر أن له نفسا من الاسم الرحمن الذي به استوى على العرش فاسأل به خبيرا و هو العارف من عباد الله من نبي و غيره ممن شاء الله من عباده لأنه قال يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشاءُ فنكر الأمر و لم يعرفه فهو نكرة في معرفة يعلمها هو لا غيره لأن الأمور معينة عنده مفصلة ليس في حقه إجمال و لا يصح و لا مبهم مع علمه بالمجمل في حق من يكون في حقه الأمر مجملا و مبهما و غير ذلك فلما علمنا أن له نفسا و أنه الباطن و أن له كلاما و أن الموجودات كلماته علمنا أن الله ما أعلمنا بذلك إلا لنقف على حقائق الأمور بأنا على الصورة فنقبل جميع ما تنسبه الألوهة إليها على ألسنة رسلها و كتبها المنزلة و جعل النطق في الإنسان على أتم الوجود فجعل له ثمانية و عشرين مقطعا للنفس يظهر في كل مقطع حرفا معينا ما هو عين الآخر ميزه المقطع مع كونه ليس غير النفس فالعين واحدة من حيث إنها نفس و كثيرة من حيث المقاطع و جعلها ثمانية و عشرين لأن العالم على ثمانية و عشرين من المنازل التي تجول السيارة فيها و في بروجها و هي أمكنتها من الفلك المستدير كأمكنة المخارج للنفس لإيجاد العالم و ما يصلح له و لكل عالم أعطت هذه المقاطع التي أظهرت أعيان الحروف ثم قسم هذه المقاطع إلى ثلاثة أقسام قسم أقصى عن الطرف الأقصى الآخر فالأقصى الواحد يسمى حروف الحلق و هو على طبقات و الأقصى الثاني حروف الشفتين و ما بينهما حروف الوسط فإن الحضرة الإلهية على ثلاث مراتب باطن و ظاهر و وسط و هو ما يتميز به الظاهر عن الباطن و ينفصل عنه و هو البرزخ فله وجه إلى الباطن و وجه إلى الظاهر بل هو الوجه عينه فإنه لا ينقسم و هو الإنسان الكامل أقامه الحق برزخا بين الحق و العالم فيظهر بالأسماء الإلهية فيكون حقا و يظهر بحقيقة الإمكان فيكون خلقا و جعله على ثلاث مراتب

عقل و حس و هما طرفان و خيال و هو البرزخ الوسط بين المعنى و الحس فلما عرفنا الله أنه باطن و ظاهر و له نفس و كلمة و كلمات نظرنا ما ظهر من ذلك و لم ينسب إلى ذاته النفس و ما يحدث عنه فقلنا عين النفس هو العماء فإن نفس المتنفس المقصود بالعبارة عنه ما يتنزل منزلة الريح و إنما يتنزل منزلة البخار فالنفس هذا حقيقته حيث كان فكان عنه العماء كما يحدث العماء عن بخار رطوبات الأركان فيصعد و يعلو فيظهر منه العماء أولا ثم بعد ذلك يكثف و الهواء يحمله و الريح تسوقه فما هو عين الهواء و إنما هو عين البخار و لذلك جاء في صفة العماء الذي كان فيه ربنا قبل خلق الخلق إنه عماء ما فوقه هواء و ما تحته هواء فذكر أن له الفوق و هو كون الحق فيه و التحت و هو كون العالم فيه فلم يكن ثم غير نفس الحق ففيه يكون الهواء و جرت الرياح ما بين زعزع و رخاء و هي الحروف الشديدة و الرخوة و ظهر عن هذا النفس أصوات الرعود كالحروف المجهورة و هبوب النسيم و هي الحروف المهموسة و ظهرت الطباق في الأفلاك كالحروف المطبقة من تنفس الإنسان بالقول إذا قصده و هو في الإلهيات إذا أردناه أن نقول له كن فالحروف المطبقة في النفس الإلهي وجود سبع سماوات طباقا و كل موجود في العالم على جهة الانطباق و أبرز في هذا النفس الإلهي افتتاح الوجود بالكون إذ كان و لا شيء معه و جعلها في المتنفس حقيقة الحروف المنفتحة ثم لما أوجد العالم و فتح صورته في العماء و هو النفس الذي هو الحق المخلوق به مراتب العالم و أعيانه و أبان منازله جعل منه عالم الأجسام كالحروف المنسفلة لأنها من جانب الطبيعة و هو حد الكون الظلم و جعل منه عالم الأرواح و هو الحروف المستعلية في المتنفس بالنفس الإنساني و كل ذلك كلمات العالم فتسمى في الإنسان حروفا من حيث آحادها و كلمات من حيث تركيبها كذلك أعيان الموجودات حروف من حيث آحادها و كلمات من حيث امتزاجاتها و جعل في النفس الإلهي علة الإيجاد من جانب الرحمة بالخلق ليخرجهم من شر العدم إلى خير الوجود فكان بالحرف الهاوي ثم أبان لهم أيضا بوجود ما يؤدي إلى السعادة ببعثة الرسول الملكي و البشرى إرسال رحمة فكانت حروف اللين في المتنفس الإنساني ثم أوجد في هذا النفس الصوت عند خروجه من الباطن إلى الظاهر بطريق الوحي الذي شبهه رسول الله ص سلسلة على صفوان فكان في تنفس الإنسان حروف الصفير ثم انفش ذلك النفس الإلهي على أعيان العالم الثابتة و لا وجود لها فكان مثل ذلك في الكلام الإنساني حروف التفشي ثم إن النفس الإلهي استطالت عليه الأكوان بالدعوى و التحكم حيث عددت و كثرت ما هو أحدي العين و هو في نفس المتنفس الإنساني الحرف المستطيل و هو الضاد وحده لأنه طال حتى أدرك مخرج اللام ثم إن هذا النفس الإلهي في إيجاد الشرائع قد جعل طريقا مستقيما و خارجا عن هذه الاستقامة المعينة و يسمى ذلك تحريفا و هو قوله يُحَرِّفُونَهُ من بَعْدِ ما عَقَلُوهُ مع كونه إِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ يقول و إن تعدد فالنفس يجمعه فسمى ذلك التحريف في نفس المتنفس الإنساني الحرف المنحرف فخالط أكثر الحروف و هو

اللام و ليس لغيره هذه المرتبة و هو كبعض الأحكام الذي تجتمع فيه الشرائع ثم إنه ظهر في النفس الإلهي في الصور الأمثال فلم يقع التمييز فتخيل فيه التكرار و الحقيقة تعطي أنه لا تكرار فظهر في عالم الحروف البشرية الحرف المكرر و هو الراء فإذا كان النفس يحمل الروائح فيعرف أن خروجه على المشام و هو المسمى في الحروف في النطق الإنساني حروف الغنة لأنها من الخيشوم و تمت مراتب الحروف بكمالها و الحمد لله انتهى الجزء الثامن عشر و مائة

((بسم الله الرحمن الرحيم))

و قد رأينا من رجال الروائح جماعة و كان عبد القادر الجيلي منهم يعرف الشخص بالشم أخبرني صاحبي أبو البدر عنه إن ابن قائد الأواني جاء إليه و كان ابن قائد يرى لنفسه حظا في الطريق فأخذ عبد القادر يشمه نحو ثلاث مرات ثم قال له لا أعرفك فكان ذلك تربية في حقه فعلت همة ابن قائد إلى أن التحق بالإفراد و النفس أبدا أكثر ما يظهر حكمه في المحبين العشاق هو مقامهم و مرتبتهم و يضيفون ذلك إلى نفس الرياح لا إلى نفس الأرواح كما قال بعضهم

ناشدتك الله نسيم الصبا   من أين هذا النفس الطيب

هل أودعت برداك عند الضحى   مكان ألقت عقدها زينب

أو ناسمت رياك روض الحمى   و ذيلها من فوقها تسحب

فهات أ تحفني بأخبارها   فعهدك اليوم بها أقرب

هذه الأبيات على لطافتها و رقتها من أكثف ما قيل في عشق الأرواح لأن نسيم الأرواح ألطف من نسيم الرياح لأنها بعيدة المناسبة عن عالم الطبيعة و الرياح ليست كذلك فالأرواح إذا تنسمت لا تسوق إلا طيبا فإنها تهب من الحضرة الذاتية من الغيب الأقدس فلا تأتي إلا بكل طيب و طيبة و الرياح ليست كذلك لأنها من عالم الطبيعة فإن مرت على خبيث جاءت بخبيث و إن مرت بطيب جاءت بطيب و نسيم الأرواح إذا مر بخبيث رده طيبا و إذا مر بطيب زاده طيبا فلو كان هذا القائل عاشقا حقيقة لا يتكلم بدعوى زور لم يجعل الطيب من زينب و إن كانت طيبة فلو ذكر أن طيبها زاد به طيب المكان طيبا و جعل محبوبته تنم بأسرارها الرياح فليست بمنيعة الحمى و عالم الطبيعة يخترقها و هو الريح و أخذ يهجو الريح حيث تعجب من أين له هذا النفس الطيب فلو ساق الطيب بطريق المفاضلة بأن يقول من أين هذا النفس الأطيب فإنه لم يكن الريح بأمر زائد على نفس محبوبته إذا حققت لأنها عين الطيب حيث ظهر طيب و سألني بعض

أصحابي أن أشرح له هذه الأبيات لو قالها عارف من المحبين الإلهيين فأجبته إلى ذلك فأنا أشرحها إن شاء الله ثم أعود إلى الكلام على تحقيق النفس في هذا الباب فنقول وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ قوله يخاطب نسيم الصبا ناشدتك الله اعلم أن الصبا هي ريح القبول و الصبا الميل و الميل قبول و سميت الصبا قبولا لأن العرب لما أرادت أن تعرف الرياح حتى تجعل لها أسماء تذكرها بها لتعرف فاستقبلت مطلع الشمس فكل ريح هبت عليها من جهة مطلع الشمس استقبلته إذ كان وجهها إلى تلك الجهة فسمتها قبولا و ما أتى إليها من الريح عن دبر في حال استقبالها ذلك سمته دبورا و هي الريح الغربية و ما أتاها منها في هبوبها عن الجانب الأيمن سمته جنوبا و عن جانب الشمال سمته شمالا و كل ريح بين جهتين من هذه الجهات تهب سمتها نكباء من النكوب و هو العدول أي عدلت عن هذه الأربع الجهات و النسيم أول هبوب الريح و الشيء المستلذ إذا فاجأك ابتداء فهو ألذ من استصحابه مثل قوله أحلى من الأمن عند الخائف الوجل و لهذا نعيم الجنان جديد في كل نفس فلذلك ما ناشد إلا النسيم لالتذاذه به و جعله نسيم الصبا لأنها ريح شرقية قبول فأعطته الريح من إخبارها بما جاءت به من طيبها ما يعطيه قبولها لو أقبلت و رؤيتها لو طلعت عليه كما تطلع الشمس لأن الصبا ريح شرقية و الشروق طلوع الشمس و الإشراق ضوء الشمس و قوله ناشدتك أي طالبتك مقسما بالله و الناشد الطالب فهو كالمستفهم و هذا يدلك على قلة معرفته بمحبوبه حيث جعل له أمثالا لقوله من أين هذا النفس الطيب فإنه ثم من له أنفاس طيبة فلو استفرغ في شغله بمحبوبه و لم ير مشهودا له سواه ما استفهم إذ كل من استفهم فقد أحضر ذلك في ذهنه فهذا شاعر أحضر الاشتراك في ذهنه فشهد على نفسه بنقصان المعرفة إن كان عارفا و نقصان المحبة إن كان محبا عاشقا فإن أراد من المحبوب كثرة وجوهه و تجليه في أعيان متعددة كالاسماء الإلهية لله مع كونه ذاتا واحدة و مع هذا فله تسعة و تسعون اسما فما فوق ذلك فيريد في أي اسم كان لما هبت هذه الريح و هي نسمة قبول إلهي لطيفة الهبوب أورثت في القلب لطفا ورقة بهبوبها فاستفهم الريح لما جاءت به من الطيب المستلذ فقال

هل أودعت برداك عند الضحى مكان ألقت عقدها زينب

اعلم أن هذا البيت من أدل دليل على أنه ليس بمحب و أن هذا القول هو إلى هجاء المحبوب أقرب منه إلى الثناء و المدح و ذلك أنه لما جاءته الريح بهذا النفس الطيب أضاف ذلك الطيب إلى ما حصل للمكان الذي ألقت عقدها زينب فيه فهو ثناء على العقد فإنه يريد أن عقدها كان عنبرية ذا طيب فطاب المكان بذلك العقد و ما ذكر أن العقد إنما اكتسب الطيب من روائح زينب أو عرفها أو أنفاسها فلو سلك في كلامه إن طيب المكان مما تنفست فيه زينب فلو قال مثل ما قلنا

هل أودعت برداك عند الضحى طيب مكان طيبت زينب

أنفاسه من طيب أنفاسها فطيبها من طيبه أعجب

و لنا في هذا المعنى في غير هذا الروي

ما الطيب في المسك إلا طيب رياها و النور في الشمس إلا من محياها

الخلد مأوى الحسان الحور تسكنه و ذاتها لجنان الخلد مأواها

و أما قوله بعد هذا

أو ناسمت رياك روض الحمى و ذيلها من فوقه تسحب

فهذا مثل الأول جعل الطيب للروض من ذيل زينب لما سحبته على ذلك المكان طاب من طيب ذيلها و طيب ذيلها من طيب طيبت ثيابها به مثل العقد سواء فما ذكر ما يدل على أن طيب هذه الأماكن من طيب أنفاسها و إذا كان هذا فلا يطيب إلا من ليس بطيب أو ليس له ذلك الطيب و لذا قلنا لو قال النفس الأطيب لا الطيب لكان أشعر و أثبت في المدح ثم قوله للنسيم

فهات أتحفني بأخبارها فعهدك اليوم بها أقرب

كلام غير محقق فإن نسيم الريح ما له عهد قريب إلا بالمكان و روض الحمى لا بزينب و الطيب للمكان من العقد و للروض من الذيل فلم ينقل هذا النسيم شيئًا من طيبها المختص بذاتها و لو كانت مشهودة للنسيم حين هب على المكان و الروض بقوله و ذيلها فذكر ما يدخله الاحتمال في الحال فإنه يحتمل أن يكون الحال في قوله و ذيلها أي في حال مرورها أكسبت هذا الروض الطيب من ذيلها و يحتمل أن يكون شهود الريح لها في حال مرورها على روض الحمى و هذا بعيد و الأول أقرب فإنه لو مر بها مشاهدا لها في حال انسحاب ذيلها على الروض لنقل طيب ذيلها لا طيب الروض من ذيلها فدل أنه ما شاهدها نسيم الريح و إذا لم يشاهدها فليس عهده بها قريبا و إنما عهده قريب بالمكان الذي مرت عليه ثم فيه من النقص بقوله أقرب وصفها بالأمر العام في كل طيب إذ المكان الذي يبقى فيه الطيب إنما يكون قريب العهد بالطيب في جلوسه فيه أو مروره عليه و هذا ليس بمخصوص بها بل لو قال إن طيبها في المكان لا يزول بعد أن اكتسبه منها و أنه بها بعيد عهد و مع هذا فالطيب باق لقوة سلطانه لكان أشعر و النسيم ما نقل إليه إلا طيب المكان و الروض فكان ينبغي أن يصدق فكان يقول فعهدك اليوم به أقرب يعني بالمكان أو بكل واحد منهما يعني الروض و المكان أو يقول بهم أقرب فكذب بقوله بها أقرب ثم إنه لا يلزم طيب المكان و لا طيب الروض من إلقاء العقد و لا من طيب الذيل قد يكون طيب الروض من الزهر و طيب المكان من أمر آخر مع وجود العقد فيه و انسحاب الذيل على الروض فهو قاصر بكل وجه فهذا شعر لطيف اللفظ مليح و هو بالمعنى ليس بشيء لأن جمال

الشعر و الكلام أن يجمع بين اللفظ الرائق و المعنى الفائق فيحا ر الناظر و السامع فلا يد ري اللفظ أحسن أو المعنى أو هما على السواء فإنه إذا نظر إلى كل واحد منهما أذهله الآخر من حسنه و إذا نظر فيهما معا حيراه فما يستحسن مثل هذا الشعر إلا ذو قلب كثيف فإن اللفظ لطيف و المعنى كثيف و إذا كان المعنى قبيحا عند الصحيح النظر لم يحجبه حسن اللفظ عن قبح المعنى فإن مثاله عندي مثال من يحب صورة في غاية الحسن منقوشة في جدا ر مزينة بأنواع الأصبغة تامة الخلق لا روح لها فإن المعنى للفظ كالروح للصورة هو جمالها على الحقيقة انظر في إعجا ز القرآن تجده كما ذكرنا حسن النظم مع توفير المعنى و حسن مساقه وجمع المعاني بعضها إلى بعض في اللفظ الحسن النظم الوجيز مع وجود تكرا ر القصة الموجب للملل و لا تجد هذا في القرآن فتجد مع تكرا ر القصة الواحدة مثل قصص الأمم كآدم و موسى و نوح و غيرهم مما تكرر بزيادة لفظ أو نقصه ما تجد إخلالا في المعنى جملة واحدة و سبب ذلك أنه قول حق ما فيه تزوير و لما أتينا على تنبيه ما في قول هذا الشاعر مع كونه لم يخرج عن حقيقة هذا الباب في ذلك فإنه باب النفس بفتح الفاء و الشعر من الكلام فهو من باب الأنفاس فثم أنفاس يخرج معها تحقيق المعاني على ما هي عليه في تركيب بعضها مع بعض و ثم أنفاس بالعكس فلنرجع إلى النفس الرحماني الذي ظهر عنه حروف الكائنات و كلمات العالم على مراتب مخا رج الحروف من نفس المتنفس الإنساني الذي هو أكمل النشآت كلها في العالم و هي ثمانية و عشرون حرفا لكل حرف اسم عينه المقطع مقطع نفسه فأولها الهاء و آخرها الواو و منها حروف مفردة المخرج كالحرف المستطيل و المنحرف و المكرر و منها مشتركة في المخرج كحروف الصفير و إن كان بين المشترك تفاوت فهو قريب بعضها من بعض يجد اللافظ الصحيح اللفظ في حال التلفظ بها الفرق بين الحرفين المشتركين كالطاء و التاء و الدال فهذه الثلاثة و إن كانت من مخرج واحد فهو على التقا رب لا على التحقيق و لهذا اختلفت الألقاب عليه لاختلاف أحوالها في المخا رج فيكون للحرف الواحد ألقاب متعددة لد رجات له في النفس عند التكوين منه في مقطع الحرف بمتا ز به عن الذي يقا ربه في المخرج الذي أوجب له أن يقال فيه إنه مشترك كحرف الصاد غير المعجمة مثلا فإنه من الحروف المهموسة و يشا رك الكاف في الهمس و هو من حروف الصفير فهو يشا رك الزاي في الصفير و هو من الحروف المطبقة فهو يشا رك الطاء في الإطباق و هو من الحروف الرخوة فهو يشا رك العين في الرخاوة و هو من الحروف المستعلية فهو يشا رك القاف في الاستعلاء فهذا حرف واحد اختلف عليه ألقاب كثيرة لظهوره في مراتب متعددة قابل بذاته كل مرتبة صالح لها فاختلفت الاعتبا رات فاختلفت الأسماء كذلك نقول في العقل الأول عقلا لمعنى يخالف المعنى الذي لأجله نسميه قلما يخالف المعنى الذي لأجله نسميه روحا يخالف المعنى الذي لأجله نسميه قلبا

و العين واحدة و الحكم مختلف لذا تنوعت الأرواح و الصور

كذلك الحق أصل الوجود الواحد الأحد الذي لا يقبل العدد فهو و إن كان واحد العين فهو المسمى بالحي القيوم العزيز المتكبر الجبا ر إلى تسعة و تسعين اسما لعين واحدة و أحكام مختلفة فما المفهوم من الاسم الحي هو المفهوم من الاسم المريد و لا القادر و لا المقتدر كما قلنا في حرف الصاد و كذلك سائر الحروف فخرجت الحروف من نفس المتنفس الإنساني الذي هو أكمل النشآت و به ظهرت و بنفسه جميع الحروف فكان على الصورة الإلهية بالنفس الرحماني و ظهور حروف الكائنات و عالم الكلمات سواء و كلها النفس الإنساني ثمانية و عشرين حرفا محققة لما صدر من النفس الرحماني أعيان الكلمات الإلهية ثمانيا و عشرين كلمة لكل كلمة وجوه فصدر عن نفس الرحمن و هو العماء الذي كان فيه ربنا قبل أن يخلق الخلق فكان العماء كالنفس الإنساني و ظهور العالم في امتداده في الخلأ بحسب مراتب الكائنات كالنفس الإنساني من القلب و امتداده إلى الفم و ظهور الحروف في الطريق و الكلمات كظهور العالم من العماء الذي هو نفس الحق الرحماني في المراتب المقدرة في الامتداد المتوهم لا في جسم و هو الخلأ الذي ملأه العالم فكما كان أول حرف ظهر من أعيان العالم من هذا النفس لما طلب الخروج إلى الغاية و هو نهاية الخلأ كما كان غاية امتداد النفس إلى الشفتين فظهرت الهاء أولا و الواو آخرا و ليس وراء ذلك حرف يعقل فكان أجناس العالم منحصرة و أشخاصه لا تتناهى وجودا فإنها تحدث ما دام السبب موجودا و السبب لا ينقضي فإيجاد أشخاص النوع لا ينقضي فأما حصر العالم على عدد الحروف من أجل النفس في ثمانية و عشرين لا تزيد و لا تنقص فأول ذلك العقل و هو القلم و هو قول النبي ص إنه أول ما خلق الله العقل و في خبر آخر أول ما خلق الله القلم الحديث فكان أول خلق خلقه الله من النفس الذي هو العماء القابل لفتح صور العالم فيه العقل و هو القلم ثم النفس و هو اللوح ثم الطبيعة ثم الهباء ثم الجسم ثم الشكل ثم العرش ثم الكرسي ثم الأطلس ثم فلك الكواكب الثابتة ثم السماء الأولى ثم الثانية ثم الثالثة ثم الرابعة ثم الخامسة ثم السادسة ثم السابعة ثم كرة النار ثم كرة الهواء ثم كرة الماء ثم التراب ثم المعدن ثم النبات ثم الحيوان ثم الملك ثم الجن ثم البشر ثم المرتبة و المرتبة هي الغاية في كل موجود كما أن الواو غاية حروف النفس و قصدت ذكر أسماء العالم لا ترتيب وجوده كما قصد في أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ حصر الحروف لا ترتيب وجودها في المخارج و لكل موجود مما ذكرنا مرتبة و أحكام و نسب معلومة عند العلماء بالله و كل واحد له مقام معلوم يتميز به لا يكون للآخر كما أن له أمورا يشترك فيها مع غيره خلقا و حكما فأما في الخلق فكأشخاص النوع الواحد و أنواع الجنس الواحد مثل الأفلاك تشترك في الاستدارة الفلكية و في الجسمية من حيث التركيب و ما ذكرنا إلا ما يختص بعالم الدنيا كما أنه ما ذكرنا من الحروف إلا ما يختص بالنفس الإنساني اليوم إذ لا نتكلم إلا في وجود فإنا لا نحيط بالله علما فتكلمنا على قدر ما أعطانا من العلم به و ليس في الإمكان أبدع مما خلق لأنه الصادق و قد قال إنه خلق العالم على صورته و أكمل منه

فلا يكون فأكمل من هذا العالم فلا يكون و قد وقعت لنا واقعة في هذا الباب من الحق قد تقدم ذكرها ثم لتعلم أن أقرب شبه بالنفس بل هو عين النفس حروف العلة و هو الألف و الواو المضموم ما قبلها و الياء المكسور ما قبلها و ليست هذه الثلاثة الحروف من الحروف الصحاح المحققة في الحرفية هي أجل من ذلك و إطلاق الحرف عليها بطريق المجاز و ما يدل عليها إلا الحرف إذا انفتح و أشبع الفتحة أو ضم فأشبع الضمة أو كسر فأشبع الكسرة فذلك الدليل على إبراز هذه الحروف كما كان العالم من أجل حدوثه الذي هو بمنزلة إشباع الحركات في الحروف دليلا على وجود الحق سواء فافهم ما ذكرناه و ثم إن الحروف لها خواص هي عليها أعطتها لها المخارج فهي في النفس مجموعة إذ هو يجمعها و في أعيان الحروف و الكلمات مفترقة فإذا جرى النفس من أول الحروف إلى غايتها فإنه يفعل كل حرف يتأخر وجوده لتاخر مخرجه عند انقطاع النفس ما يفعله كل حرف في مخرج تقدمه فهو يحوي على قوة كل حرف تقدمه لأن النفس مر في خروجه على تلك المخارج إلى أن انقطع عند هذا المخرج فنقل معه مرتبة كل حرف فظهرت في قوة الحرف المتأخر و آخر الحروف الواو ففي الواو قوة جميع الحروف كما إن الهاء أقل في العمل من جميع الحروف فإن لها البدو فكلمة هو جمعت جميع قوى الحروف في عالم الكلمات فلهذا كانت الهوية أعظم الأشياء فعلا و كذلك الإنسان آخر غاية النفس و الكلمات الإلهية في الأجناس ففي الإنسان قوة كل موجود في العالم فله جميع المراتب و لهذا اختص وحده بالصورة فجمع بين الحقائق الإلهية و هي الأسماء و بين حقائق العالم فإنه آخر موجود فما انتهى لوجوده النفس الرحماني حتى جاء معه بقوة مراتب العالم كله فيظهر بالإنسان ما لا يظهر بجزء جزء من العالم و لا بكل اسم اسم من الحقائق الإلهية فإن الاسم الواحد ما يعطي ما يعطي الآخر مما يتميز به فكان الإنسان أكمل الموجودات و الواو أكمل الحروف و كذا هي في العمل عند من يعرف العمل بالحروف فكل ما سوى الإنسان خلق إلا الإنسان فإنه خلق و حق فالإنسان الكامل هو على الحقيقة الحق المخلوق به أي المخلوق بسببه العالم و ذلك لأن الغاية هي المطلوبة بالخلق المتقدم عليها فما خلق ما تقدم عليها إلا لأجلها و ظهور عينها و لولا ما ظهر ما تقدمها فالغاية هو الأمر المخلوق بسببه ما تقدم من أسباب ظهوره و هو الإنسان الكامل و إنما قلنا الكامل لأن اسم الإنسان قد يطلق على المشبه به في الصورة كما تقول في زيد إنه إنسان و في عمرو إنه إنسان و إن كان زيد قد ظهرت فيه الحقائق الإلهية و ما ظهرت في عمرو فعمرو على الحقيقة حيوان في شكل إنسان كما أشبهت الكرة الفلك في الاستدارة و أين كمال الفلك من الكرة فهذا أعني بالكامل فحاز الإنسان جميع المراتب برتبته كما حازت الواو جميع قوى الحروف فدل أن الواو كانت المطلوبة بالكلام لتوجد فوجد بسببها جميع ما وجد في الطريق باستعداد المخارج من الحروف حتى انتهى إلى الواو ثم لتعلم أن نفس المتنفس لم يكن غير باطن المتنفس فصار النفس ظاهرا و هو أعيان الحروف و الكلمات فلم يكن الظاهر بأمر زائد على الباطن فهو

عينه و استعداد المخارج لتعيين الحروف في النفس استعداد أعيان العالم الثابتة في نفس الرحمن فظهر عين الحكم الاستعدادي الذي في العالم الظاهر في النفس فلهذا قال تعالى لنبيه ص وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلكِنَّ اللهَ رَمى و قال للنفس المطمئنة ارْجِعِي إِلى رَبِّكِ راضِيَةً كما قال طَوْعاً وَكَرْهاً أي إن لم ترجعي راضية من ذاتك و إلا أجبرت على الرجوع إلى ربك فتعلم أنك ما أنت أنت و إذا رجعت راضية فهي النفس العالمة المرضية عند الله فدخلت في عباده فلم تنسب و لا انتمت إلى غيره ممن اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ و دخلت في جنته أي في كنفه و ستره فاستترت هذه النفس به فكان هو الظاهر و هي غيب فيه فهي باطنة إذ كانت هي عين النفس و النفس باطن فقامت للرحمن بهذا النعت من الدخول في الستر المضاف إليه بقوله جَنَّتِي مقام الروح للجسم الصوري فإنه ستر عليه فالجسم المشهود و الحكم للروح فالظاهر الحق و الحكم للروح و هو استعداد العالم الذي أظهر الاختلاف في الحق الظاهر فهذا معنى قوله وَادْخُلِي جَنَّتِي و أضافه إلى نفسه

فالرب و المربوب مرتبطان　　　ثنى الوجود به و ليس بثان

ما إن رأيت و لا سمعت بمثله　　　إلا الذي قالوه في العمران

و القمران يريدون أبا بكر و عمر و الشمس و القمر وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَما تَعْمَلُونَ فأثبت بالضمير و نفى بالفعل الذي هو خلق كما انتفى أبو بكر فلم يظهر له اسم في العمران و أثبته ضمير التثنية و هو قولهم العمران فسبحان من أخفى عنه حكمته فيه فظهر في الوجود العليم الذي لا يعلم كالرامي الذي ما رمى فالحروف ليست غير النفس و لا هي عين النفس و الكلمة ليست غير الحروف و ما هي عين الحروف

و الجمع حال لا وجود لعينه　　　و له التحكم ليس للآحاد

(وصل) و اعلم أن الله لما قال قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ أَيًّا ما تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى فجعل الأسماء الحسنى لله كما هي للرحمن غير أن هنا دقيقة و هي أن الاسم له معنى و له صورة فيدعي الله بمعنى الاسم و يدعي الرحمن بصورته لأن الرحمن هو المنعوت بالنفس و بالنفس ظهرت الكلمات الإلهية في مراتب الخلاء الذي ظهر فيه العالم فلا ندعوه إلا بصورة الاسم و له صورتان صورة عندنا من أنفاسنا و تركيب حروفنا و هي التي ندعوه بها و هي أسماء الأسماء الإلهية و هي كالخلع عليها و نحن بصورة هذه الأسماء التي من أنفاسنا مترجمون عن الأسماء الإلهية و الأسماء الإلهية لها صور من نفس الرحمن من كونه قائلا و منعوتا بالكلام و خلف تلك الصور المعاني التي هي لتلك الصور كالأرواح فصور الأسماء الإلهية التي يذكر الحق بها نفسه بكلامه وجودها من نفس الرحمن فله الأسماء

الحسنى و أرواح تلك الصور هي التي للاسم الله خارجة عن حكم النفس لا تنعت بالكيفية و هي لصور الأسماء النفسية الرحمانية كالمعاني للحروف و لما علمنا هذا و أمرنا أن ندعوه بأسمائه الحسنى و خيرنا بين الله و الرحمن فإن شئنا دعوناه بصورة الأسماء النفسية الرحمانية و هي الهمم الكونية التي في أرواحنا و إن شئنا دعوناه بالأسماء التي من أنفاسنا بحكم الترجمة و هي الأسماء التي يتلفظ بها في عالم الشهادة فإذا تلفظنا بها أحضرنا في نفوسنا أما الله فننظر المعنى و أما الرحمن فننظر صورة الاسم الإلهي النفسي الرحماني كيفما شئنا فعلنا فإن دلالة الصورتين منا و من الرحمن على المعنى واحد سواء علمنا ذلك أو لم نعلمه و لما كان ذكر أسمائه عين الثناء عليه ذكرنا في هذا الباب ما هو فينا مثل كلمة كن منه و ذلك البسملة يقول أهل الله إن بسم الله منا في إيجاد الأفعال بمنزلة كن منه و لما كان القرآن ذكرا و جامعا لأسمائه صور أو معاني جعلنا التلاوة في هذا الباب من جملة الأذكار فلا نذكر من الأذكار إلا ما يختص بالقرآن فنذكره بكلامه من حيث علمه بذلك لا من حيث علمنا فيكون هو الذي يذكر نفسه لا نحن و لما كان دعاؤنا بأسمائه القرآنية و كنا ذاكرين تالين وجب علينا التعوذ و هو من الذكر فيعيذنا و سقنا من الأذكار الحمد لله و سبحان الله و الله أكبر و لا إله إلا الله و لا حول و لا قوة إلا بالله فلنذكر فهرست ما أنا ذاكره في هذا الباب من فصول ما يتكلم عليه مما يختص بالنفس الإلهي و مراتب الذاكرين من العالم في الذكر لأن الذاكرين هم أعلى الطوائف لأنه جليسهم و لهذا ختم الله بذكرهم صفات المقربين من أهل الله ذكرانهم و إناثهم فقال تعالى إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَ الْمُسْلِماتِ وَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ وَ الْقانِتِينَ وَ الْقانِتاتِ وَ الصّادِقِينَ وَ الصّادِقاتِ وَ الصّابِرِينَ وَ الصّابِراتِ وَ الْخاشِعِينَ وَ الْخاشِعاتِ وَ الْمُتَصَدِّقِينَ وَ الْمُتَصَدِّقاتِ وَ الصّائِمِينَ وَ الصّائِماتِ وَ الْحافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَ الْحافِظاتِ وَ الذّاكِرِينَ اللّٰهَ كَثِيراً وَ الذّاكِراتِ و ما ذكر بعد الذاكرات شيئا و الذكر من نعوت كونه متكلما و هو نفس الرحمن الذي ظهرت فيه حقائق حروف الكائنات و كلمات الحضرة

(ذكر فهرست الفصول و هي خمسون فصلا)

(الفصل الأول) في ذكر الله نفسه بنفس الرحمن و به أوجد العالم من كونه أحب ذلك (الفصل الثاني) في كلام الله و كلماته (الفصل الثالث) في ذكر التعوذ (الفصل الرابع) في الذكر بالبسملة (الفصل الخامس) في كلمة الحضرة و هي كلمة كن (الفصل السادس) في الذكر بالحمد (الفصل السابع) في الذكر بالتسبيح (الفصل الثامن) في الذكر بالتكبير (الفصل التاسع) في الذكر بالتهليل (الفصل العاشر) في الذكر بالحوقلة (الفصل الحادي عشر) في الاسم البديع و توجهه على إيجاد العقل و العقول و هو القلم الأعلى و من الحروف على الهمزة و تفاصيل الهمزة و من المنازل على الشرطين و الإمداد الإلهي النفسي و مراتبه الذاتية و الزائدة (الفصل الثاني عشر) في الاسم الباعث

و توجهه على إيجاد اللوح المحفوظ و هو النفس الكلية و هو الروح المنفوخ منه في الصور المسواة بعد كمال تعديلها فيهبها الله بذلك النفخ أي صورة شاء و توجهه على إيجاد الهاء من الحروف و هاء الكنايات و توجهه على إيجاد البطين من المنا زل (الفصل الثالث عشر) في الاسم الباطن و توجهه على خلق الطبيعة و ما يعطيه من أنفاس العالم و حصرها في أربع حقائق و افتراقها و اجتماعها و توجهه على إيجاد العين المهملة و إيجاد الثريا من المنا زل (الفصل الرابع عشر) في الاسم الآخر و توجهه على خلق الجوهر الهبائي الذي ظهر فيه صور الأجسام و ما يشبه هذا الجوهر في عالم التركيب و إيجاد الحاء المهملة من الحروف و إيجاد الدبران من المنا زل المقد رة (الفصل الخامس عشر) في الاسم الظاهر و توجهه على إيجاد الجسم الكل و إيجاد الغين المعجمة من الحروف و إيجاد الميسان و هي الهقعة من المنا زل (الفصل السادس عشر) في الاسم الحكيم و توجهه على إيجاد الشكل و حرف الخاء المعجمة و التحية من المنا زل (الفصل السابع عشر) في الاسم المحيط و توجهه على إيجاد العرش و العروش المعظمة و المكرمة و الممجدة و حرف القاف من الحروف و الذ راع من المنا زل (الفصل الثامن عشر) في الاسم الشكور و توجهه على إيجاد الكرسي و القدمين و حرف الكاف و النثرة (الفصل التاسع عشر) في الاسم الغني و توجهه على إيجاد الفلك الأطلس فلك البروج و حدوث الأيام بوجود حركته و استعانته بالاسم الدهر على ذلك و حرف الجيم و الطرف (الفصل العشرون) في الاسم المقد ر و توجهه على إيجاد فلك الكواكب الثابتة و الجنات و تقدير صور الكواكب في مقعر هذا الفلك و كونه أرض الجنة و سقف جهنم و حرف الشين المعجمة و الجبهة (الفصل الحادي و العشرون) في الاسم الرب و توجهه على إيجاد السماء الأولى و البيت المعمور و سد رة المنتهى و إبراهيم الخليل و يوم السبت و حرف الياء بالنقطتين من أسفل و الخرثان من المنا زل المقد رة و خانس هذه السماء و كوكبها (الفصل الثاني و العشرون) في الاسم العليم و توجهه على إيجاد السماء الثانية و خانسها و يوم الخميس و موسىع و حرف الضاد المعجمة و الصرفة من المنا زل (الفصل الثالث و العشرون) في الاسم القاهر و توجهه على إيجاد السماء الثالثة و خانسها و يوم الثلاثاء و حرف اللام و العوا (الفصل الرابع و العشرون) في الاسم النور و توجهه على إيجاد السماء الرابعة و هي قلب جسم العالم المركب و إيجاد الشمس و حدوث الليل و النهار في عالم الأركان و روح إدريسع و قطبيته و حرف النون و السماك الأعزل و يوم الأحد و نفخ الروح الجزئي عند كمال تصوير النطف (الفصل الخامس و العشرون) في الاسم المصور و توجهه على إيجاد السماء الخامسة و خانسها و التصوير و الحسن و الجمال و يوسفع و حرف الراء و الغفر و يوم الجمعة (الفصل السادس و العشرون) في الاسم المحصي و توجهه على إيجاد السماء السادسة و خانسها و عيسىع و الاعتدال و حرف الطاء المهملة و الزبانا و يوم الأربعاء (الفصل السابع و العشرون) في الاسم المتين و توجهه على إيجاد السماء الدنيا و

القمر و آدم ع و المد و الجزر و حرف الدال المهملة و الإكليل و يوم الإثنين (الفصل الثامن و العشرون) في الاسم القابض و توجهه على إيجاد الأثير و ما يظهر فيه من ذوات الأذناب و الاحتراقات و من الحروف حرف التاء المنقوطة باثنتين من فوق و القلب من المنازل (الفصل التاسع و العشرون) في الاسم الحي و توجهه على إيجاد ما ظهر في ركن الهواء و حرف الزاي من الحروف و من المنازل الشولة (الفصل الثلاثون) في الاسم المحيي و توجهه على إيجاد ما ظهر في الماء و حرف السين المهملة و النعائم (الفصل الحادي و الثلاثون) في الاسم المميت و توجهه على إيجاد التراب و حرف الصاد المهملة و البلدة (الفصل الثاني و الثلاثون) في الاسم العزيز و توجهه على إيجاد المعادن و حرف الظاء المعجمة و الذابح (الفصل الثالث و الثلاثون) في الاسم الرزاق و توجهه على إيجاد النبات و حرف الثاء المعجمة بثلاث و من المنازل بلع (الفصل الرابع و الثلاثون) في الاسم المذل و توجهه على إيجاد الحيوان و حرف الذال المعجمة و من المنازل السعود (الفصل الخامس و الثلاثون) في الاسم القوي و توجهه على إيجاد الملائكة و حرف الفاء و الأخبية (الفصل السادس و الثلاثون) في الاسم اللطيف و توجهه على إيجاد الجن حرف الباء المعجمة بواحدة و الفرع المقدم (الفصل السابع و الثلاثون) في الاسم الجامع و توجهه على إيجاد الإنسان و حرف الميم و المؤخر (الفصل الثامن و الثلاثون) في الاسم رفيع الدرجات و توجهه على تعيين الرتب و المقامات و المنازل و حرف الواو و من المنازل الرشاء (الفصل التاسع و الثلاثون) في النقل و أين مقامه في الأنفاس (الفصل الأربعون) في معرفة الجلي و الخفي من الأنفاس و هو بمنزلة الإدغام و الإظهار في الكلام (الفصل الحادي و الأربعون) في الاعتدال و الانحراف في النفس و هو بمنزلة الفتح و الإمالة و بين اللفظين (الفصل الثاني و الأربعون) في الاعتماد على الناقص و الميل إليه و هو في الكلام معرفة الوقف على هاء التأنيث و هو من باب الأنفاس أيضا (الفصل الثالث و الأربعون) في الإعادة و هي التكرار و أين هو في النفس (الفصل الرابع و الأربعون) في اللطيف من النفس يرجع كثيفا و ما سببه و الكثيف يرجع لطيفا من النفس و ما سببه و عليه مبني أصوات الملاحن (الفصل الخامس و الأربعون) في الاعتماد على أصناف المحدثات و هو في باب النفس الإنساني الوقف على أواخر الكلم في اللسان (الفصل السادس و الأربعون) في الاعتماد على العالم من حيث ما هو كتاب مسطور في رق الوجود المنشور في عالم الأجسام الكائن من الاسم الظاهر (الفصل السابع و الأربعون) في الاعتماد على الوعد قبل كونه و هو الاعتماد على المعدوم لصدق الوعد و هو في الأنفاس السكوت على الساكن قبل الهمزة (الفصل الثامن و الأربعون) في الاعتماد على الكائنات و ما يظهر منها من الفتوح و هو الأبنية في الطريق و كيف يرجع المعلول صحيحا و الصحيح عليلا (الفصل التاسع و الأربعون) فيما يعدم و يوجد مما يزيد على الأصول التي هي بمنزلة النوافل مع الفرائض (الفصل الخمسون) في الأمر الجامع لما يظهر في النفس من الأحكام في كل متنفس حقا و خلقا و حيوانا

و نطقا و به تمام باب النفس على الاقتصاد و الاختصار إن شاء الله ثم اللواحق و هي الأقسام الإلهية التي نفس الله بها عن عباده و هي من نفس الرحمن (الفصل الأول) في ذكر الله نفسه بنفس الرحمن ورد في الحديث الصحيح كشفا الغير الثابت نقلا عن رسول الله ص عن ربه جل و عز أنه قال ما هذا معناه كنت كنزا لم أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق و تعرفت إليهم فعرفوني و لما ذكر المحبة علمنا من حقيقة الحب و لوازمه مما يجده المحب في نفسه و قد بينا أن الحب لا يتعلق إلا بمعدوم يصح وجوده و هو غير موجود في الحال و العالم محدث و الله كان و لا شيء معه و علم العالم من علمه بنفسه فما أظهر في الكون إلا ما هو عليه في نفسه و كأنه كان باطنا فصار بالعالم ظاهرا و أظهر العالم نفس الرحمن لإزالة حكم الحب و تنفس ما يجد المحب فعرف نفسه شهودا بالظاهر و ذكر نفسه بما أظهره ذكر معرفة و علم و هو ذكر العماء المنسوب إلى الرب قبل خلق الخلق و هو ذكر العام المجمل و إن كلمات العالم بجملتها مجملة في هذا النفس الرحماني و تفاصيله غير متناهية و من هنا يتكلم من يرى قسمة الجسم عقلا إلى ما لا يتناهى مع كونه قد دخل في الوجود و كل ما دخل في الوجود فهو متناهو القسمة لم تدخل في الوجود فلا تتصف بالتناهي و هؤلاء هم الذين أنكروا الجوهر الفرد الذي هو الجزء الذي لا ينقسم و كذلك العماء و إن كان موجودا فتفاصيل صور العالم فيه على الترتيب دنيا و آخرة غير متناه التفصيل و ذلك أن النفس الرحماني من الاسم الباطن يكون الإمداد له دائما و الذكر له في الإجمال دائما فهو في العالم كآدم في البشر و لما عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كُلَّها أعلمنا بهذا أن العماء من حيث ما هو نفس رحماني قابل لصور حروف العالم و كلماته هو حامل الأسماء كلها و كلمات الله ما تنفد فذكر الله لا ينقطع و الرحمن يذكر الله بأسمائه و هو أيضا مسمى بها فَلَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى و يذكر نفسه من كونه متكلما و مفصلا فذكر الرحمن مجمل و ذكر الله مفصل (الفصل الثاني) في كلام الله و كلماته الكلام و القول نعتان لله فبالقول يسمع المعدوم و هو قوله تعالى إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ و بالكلام يسمع الموجود و هو قوله تعالى وَكَلَّمَ اللهُ مُوسى تَكْلِيماً و قد يطلق الكلام على الترجمة في لسان المترجم و ينسب الكلام إلى المترجم عنه في ذلك فالقول له أثر في المعدوم و هو الوجود و الكلام له أثر في الموجود و هو العلم و الموصوف بالتبديل في قوله يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ ما عَقَلُوهُ و قوله يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللهِ هو في الترجمة فإنها تقبل التبديل و المعاني تابعة للكلام فلا يفهم من الأمر الذي حرف به و بدل المعنى الذي يفهم من الأصل و لذلك ألحق التبديل و التحريف بالأصل و إن كان لا يقبل التحريف و لا التبديل لأنه كلام إلهي لا يحكى و لا يوصف بالوصف الذاتي فإذا وقع التجلي في أي صورة كانت فلا يخلو أن كانت من الصور المنسوب إليها الكلام في العرف أو لا تكون فإن كانت من الصور المنسوب إليها الكلام فكلامها من جنس الكلام المنسوب إليها لحكم الصورة على التجلي مثل قوله عُلِّمْنا مَنْطِقَ الطَّيْرِ و قالَتْ نَمْلَةٌ و إن كان مما لا ينسب إليه الكلام في العرف فلا يخلو إما أن تكون ممن

ينسب إليها القول بالإيمان مثل قوله هذا كِتابُنا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ و قوله قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ و قوله يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ و قوله قالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ و إما أن لا تكون ممن نسب إليه قول و لا نطق و هو الذي نسب إليه التسبيح الذي لا يفقه و ما قال لا يسمع إذ الكلام أو القول هو الذي من شأنه أن يتعلق به السمع و التسبيح لو كان قولا أو كلاما لنفى عنه سمعنا و إنما نفى عنه فقهنا و هو العلم و العلم قد يكون عن كلام و قول و قد لا يكون فإذا تجلى في مثل هذه الصور فيكون النطق بحسب ما يريده المتجلي مما يناسب تسبيح تلك الصورة لا يتعداه فيفهم من كلام ذلك المتجلي تسبيح تلك الصورة و هو علم عجيب قليل من أهل الله من يقف عليه فيكون الكلام المنسوب إلى الله عز و جل في مثل هذه الصور بحسب ما هي عليه هذا إذا وقع التجلي في المواد النورية و الطبيعية فإن وقع التجلي في غير مادة نورية و لا طبيعية و تجلى في المعاني المجردة فيكون ما يقال في مثل هذا إنه كلام فمن حيث أثره في المتجلي له لا من حيث إنه تكلم بكذا و تلك الآثار كلها من طبقات الكلام الذي تقدم تسمى كلمات الله جمع كلمة و هي أعيان الكائنات قال تعالى وَ كَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى مَرْيَمَ و هو عين عيسى لم يلق إليها غير ذلك و لا علمت غير ذلك فلو كانت الكلمة الإلهية قولا من الله و كلاما لها مثل كلامه لموسى ع لسرت و لم تقل يا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هذا وَ كُنْتُ نَسْياً مَنْسِيًّا فلم تكن الكلمة الإلهية التي ألقيت إليها إلا عين عيسى روح الله و كلمته و هو عبده فنطق عيسى ببراءة أمه في غير الحالة المعتادة ليكون آية فكان نطقه كلام الله في نفس الرحمن فنفس الله عن أمه بذلك ما كان أصابها من كلام أهلها بما نسبوها إليه مما طهرها الله عنه و من هنا قالت المعتزلة إن المتكلم من خلق الكلام و فيما ليس من شأنه أن يتكلم فذلك كلام الله مثل الجماد و النبات و حالة عيسى إلا القائلين بالشكل الغريب فيجعلون مثل هذا من الأشكال الحادثة في الكون فقد بينا لك معنى كلام الله و كلماته و كلام الله تعالى علمه و علمه ذاته و لا يصح أن يكون كلامه ليس هو فإنه كان يوصف بأنه محكوم عليه للزائد على ذاته و هو لا يحكم عليه عز و جل و كل ذي كلام موصوف بأنه قادر على أن يتكلم متمكن في نفسه من ذلك و الحق لا يوصف بأنه قادر على أن يتكلم فيكون كلامه مخلوقا و كلامه قديم في مذهب الأشعري و عين ذاته في مذهب غيره من العقلاء فنسبة الكلام إلى الله مجهولة لا تعرف كما أن ذاته لا تعرف و لا يثبت الكلام للاله إلا شرعا ليس في قوة العقل إدراكه من حيث فكره فافهم أن النفس للرحمن و الكلام لله و القول و هو انتهاء النفس إلى عين كلمة من الكلمات فيظهر عينها بعد بطونها و تفصيلها بعد إجمالها فإن قلت فائدة الكلام الإسماع و ما في الوجود إلا الله و هو متكلم فمن أسمع قلنا ليس من شرط السامع أن يكون موجودا فإنه يقول للمعدوم في حال عدمه كن فيكون المعدوم عند ما يتعلق بسمعه الثبوتي كلام الله و أمره بالوجود و كذلك المرئي علة رؤيته جواز رؤيته الوجود بل الاستعداد و التهيؤ سواء كان موجودا أو معدوما و الجواب الآخر كما أنه تكلم من حيث ما هو منعوت بالكلام يسمع كلامه من كونه

سميعا و هما نسبتان مختلفتان فإن قلت ففائدة سماع الكلام حصول العلم و هو عالم لذاته قلنا ما كل كلام موضوع لحصول ما لا يعلم فإن المتكلم يثني على نفسه بما هو عالم به إنه عليه فلا يستفيد بل هو للابتهاج بالكمال الذاتي فالحق لم يزل متكلما و إن حدث في الكون فلا يدل على حدوثه في نفس الأمر قال تعالى ما يَأْتِيهِمْ من ذِكْرٍ من رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ يعني عندهم و إن كان قد تكلم به مع غيره قبل هذا مثل ما في التوراة و غيرها مما هو في القرآن هذا إذا قلنا إنه يريد كلام الله الذي هو صفة له و إن كان الظاهر أن السامع إنما سمع كلام المترجم عن الله كما قال إن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده

فلنذكر فصول الأذكا ر الإلهية ما تيسر منها من المذكورة في القرآن فنبدأ بالتعوذ من أجل أنه من أذكا ر القرآن (الفصل الثالث في ذكر التعوذ) قال تعالى فَإِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ و قال ص و أعوذ بك منك و الحق هنا هو الذاكر بالقرآن نفسه فالتعوذ يكون باسم إلهي من اسم إلهي و هو الذي نبه عليه ص بقوله و أعوذ بك منك فإن كان التالي أعني الذاكر بالقرآن ممن للشيطان عليه سبيل حينئذ يجب عليه أن يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فاستعاذة الحق بما هو عليه من صفات التقديس و التنزيه مما ينسب إليه مما لا يليق به كما قال تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا و سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ فوقع العياذ برب العزة عَمَّا يَصِفُونَ يريد مما يطلق عليه مما لا ينبغي لجلاله من الصاحبة و الولد و الأنداد فهذا كله عياذ إلهي لأنه كلامه و أما الاستعاذة به منه فهو ما ورد من تجليه في صورة تنكر فيتعوذ المتجلي له منها بتجل في صورة يعرف و هو عين الصورة الأولى و الثانية و قد بينا لك في هذا الكتاب أنه الظاهر في مظاهر الأعيان فهو المستعيذ به منه و من هذا الباب قوله أعوذ برضاك من سخطك و بمعافاتك من عقوبتك هو قوله إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقابِ وَ إِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ و قوله إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلا غالِبَ لَكُمْ وَ إِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ فيتعوذ بالناصر من الخاذل و بالنافع من الضا ر و هو القائل على لسان العبد ما ظهر عنه من التعوذ (الفصل الرابع في ذكر البسملة) البسملة قولك بسم الله و هو للعبد كلمة حضرة الكون للتكوين بمنزلة كلمة الحضرة في قوله كُنْ فينفعل عن العبد بالبسملة إذا تحقق بها ما ينفعل عن كن فكأنه يقول بسم الله يكون ظهور الكون فهو إخبا ر عن حقيقة اقترن بها صدق محبوب كان الحق سمعه و لسانه فيكون عنه ما يكون عن كن و هو قوله فَتَنْفُخُ فِيها فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي فبإذني متعلق بقوله فتنفخ وَ تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَ إِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتى بِإِذْنِي أي بأمري لما كنت لسانك و بصرك تكونت عنك الأشياء التي ليست بمقدورة لمن لا أقول على لسانه فالتكوين في الحالين لي فبسم الله عين كن (الفصل الخامس في كلمة الحضرة الإلهية) و هي كلمة كُنْ لله تجل في صور تقبل القول و الكلام بترتيب الحروف كما له تجل في غير هذا قد ذكرناه في التجلي الإلهي الذي خرجه مسلم في الصحيح قال تعالى إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ فقولنا هو كونه متكلما أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فكن عين ما تكلم به فظهر عنه

الذي قيل له كن فأضاف التكوين إلى الذي يكون لا إلى الحق و لا إلى القدرة بل أمر فامتثل السامع في حال عدمه شيئية و ثبوته أمر الحق بسمع ثبوتي فأمره قدرته و قبول المأمور بالتكوين استعداده فظهرت الأعيان في النفس الرحماني ظهور الحروف في النفس الإنساني و الشيء الذي يكون إنما هو الصورة الخاصة كظهور الصورة المنقوشة في الخشب أو الصورة في الماء المهين أو الصورة في الضلع أو الصورة في الطين أو الصورة فإن قلت عن وجود صدقت و إن قلت لم أكن صدقت

فلو رأيت الذي رأينا ما قلت إلا أنا هو أنتا
فاعلم بأن الذي سمعتا من قول كن منه قد خلقتا
فظاهر الأمر كان قول و باطن الأمر أنت كنتا
و الشكل عين الذي بدا لي و هو الوجود الذي رأيتا
قد أثبت الشيء قول ربي لو لم يكن ذاك ما وجدتا
فالعدم المحض ليس فيه ثبوت عين فقل صدقتا
لو لم تكن ثم يا حبيبي إذ قال كن لم تكن سمعتا
فأي شيء قبلت منه الكون أو كون عين أنتا

فكلمة الحضرة كلمات كما قال وَما أَمْرُنا إِلَّا واحِدَةٌ فلم يكرر فعين الأمر عين التكوين و ما ثم أمر إلهي إلا كن و كن حرف وجودي عند سيبويه من واجب الوجود لا يقبل الحوادث فالأمر في نفسه صعب تصوره من الوجه الذي يطلبه الفكر سهل في غاية السهولة من الوجه الذي قرره الشرع فالفكر يقول ما ثم شيء ثم ظهر شيء لا من شيء و الشرع يقول و هو القول الحق

بل ثم شيء فصار كونا و كان غيبا فصار عينا

انظر إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ يعني السحاب الكائن من الأبخرة هنا الصاعدة للحرارة التي فيها و الأبخرة نفس عنصري و ليس بشيء زائد على السحاب و لم يكن سحابا في المتنفس بل هو شيء فظهر سحابا فتكاثف ثم تحلل ماء فنزل فتكون بخارا فصعد فكان سحابا فانظر إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي سَحاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ و أَنْزَلْنا مِنَ الْمُعْصِراتِ ماءً ثَجَّاجاً فينشئه سَحاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّماءِ كَيْفَ يَشاءُ وَ يَجْعَلُهُ كِسَفاً و هو تعدد الأعيان فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ فَإِذا أَصابَ بِهِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ إِذا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ فيما في السحاب من الماء يثقل فينزل كما صعد بما فيه من الحرارة فإن الأصغر

يطلب الأعظم فإذا ثقل اعتمد على الهواء فانضغط الهواء فأخذ سفلا فحك وجه الأرض فتقوت الحرارة التي في الهواء فطلب الهواء بما فيه من الحرارة القوية الصعود يطلب الركن الأعظم فوجد السحاب متراكما فمنعه من الصعود تكاثفه فأشعل الهواء فخلق الله في تلك الشعلة ملكا سماه برقا فأضاء به الجو ثم انطفأ بقوة الريح كما ينطفئ السراج فزال ضوؤه مع بقاء عينه فزال كونه برقا و بقي العين كونا يسبح الله ثم صدع الوجه الذي يلي الأرض من السحاب فلما ما زجه كان كالنكاح فخلق الله من ذلك الالتحام ملكا سماه رعدا فسبح بحمد الله فكان بعد البرق لا بد من ذلك ما لم يكن البرق خلبا فكل برق يكون على ما ذكرناه لا بد أن يكون الرعد يعقبه لأن الهواء يصعد مشتعلا فيخلقه ملكا يسميه برقا و بعد هذا يصدع أسفل السحاب فيخلق الله الرعد مسبحا بحمد ربه لما أوجده وَإِنْ من شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ و ثم بروق و هي ملائكة يخلقها الله في زمان الصيف من حرارة الجو لارتفاع الشمس فتنزل الأشعة الشمسية فإذا أحرقت ركن الأثير زادت حرارة فاشتعل الجو من أعلى و ما ثم سحاب لأن قوة الحرارة تلطف الأبخرة الصاعدة عن كثافتها فلا يظهر للسحاب عين و هنالك حكم الشين المعجمة من الحروف و لهذا سمي حرف التفشي فخلق الله من ذلك الاشتعال بروقا خلبا لا يكون معها رعد أصلا و هذه كلها حوادث ظهرت أعيانها عن كلمة كن في أنفاس و إنما جئنا بمثل هذا تأنيسا لك لتعلم ما فتح الله من الصور و الأعيان في هذا النفس العنصري المسمى بخار التكون لك عبرة إن كنت ذا بصر فتجوز بالنظر في هذا إلى تكوين العالم من النفس الرحماني الظاهر من محبة الله أن يعرفه خلقه فما في العالم أو ما هو العالم سوى كلمات الله و كلمات الله أمره و أمره واحدة و هو كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ لأنه ما ثم أسرع من لمح البصر فإنه زمان التحاظه هو زمان التحاقه بغاية ما يمكن أن ينتهي إليه في التعلق و كذلك قوة السمع دون ذلك فتدبر يا أخي كلام الله و هذا القرآن العزيز و تفاصيل آياته و سورة و هو أحدي الكلام مع هذا التعداد و هو التوراة و الفرقان و الإنجيل و الزبور و الصحف فما الذي عدد الواحد أو وحد العدد انظر كيف هو الأمر فإنك إذا علمته علمت كلمة الحضرة و إذا علمت كلمة الحضرة علمت اختصاصها من الكلمات بكلمة كن لكل شيء مع اختلاف ما ظهر و من الحروف الظاهرة بالكاف و النون و من الحروف الباطنة بالواو و كيف حكم العارض على الثابت بمساعدته عليه فرده غيبا بعد ما كان شهادة فإن السكون هو الحاكم من النون و هو عرض لأن الأمر الإلهي عرض له فسكنه فوجد سكون الواو فاستعان عليها بها كما يستعين العبد بربه على ربه فلما اجتمع ساكنان و أرادت النون الاتصال بالكاف لسرعة نفوذ الأمر حتى يكون أقرب من لمح بالبصر كما أخبر فزالت الواو من الوسط فباشرت الكاف النون فلو بقيت الواو لكان في الأمر بطء فإن الواو لا بد أن تكون واو علة لأجل ضمة الكاف فلا يصل النفس إلى النون الساكنة بالأمر إلا بعد تحقق ظهور واو العلة فيبطئ الأمر و هي واو علة فيكون الكون عن علتين الواو

و الأمر الإلهي و هو لا شريك له و إذا جا ز أن يبطيء المأمور عن التكوين زمانا واحدا و هو قد ر ظهور الواو لو بقيت و لا تحذف لجا ز أن يبقى المأمور أكثر من ذلك فيكون أمر الله قاصرا فلا تنفذ إرادته و هو نافذ الإرادة فحذف الواو من كلمة الحضرة لا بد منه و السرعة لا بد منها فظهور الكون عن كلمة الحضرة بسرعة لا بد منه فظهر الكون فظهرت الواو في الكون لتدل أنها كانت في كن و إنما زالت لأمر عا رض فعملت في الغيب فظهرت في الكون لما ظهر الكون بصورة كن قبل حذف الواو و ليدل على أن الواو لم تعدم و إنما غابت لحكمة ما ذكرناه فليس الكون بزائد على كن بواوها الغيبية فظهر الكون على صورة كن و كن أمره و أمره كلامه و كلامه علمه و علمه ذاته فظهر العالم على صورته فخلق آدم على صورته فقبل الأسماء الإلهية و قد بينا ما فيه الكفاية للعاقل في كلمة الحضرة و الله يضرب الأمثال لعباده (الفصل السادس في الذكر بالتحميد) الحمد ثناء عام ما لم يقيده الناطق به بأمر و له ثلاث مراتب حمد الحمد و حمد المحمود نفسه و حمد غيره له و ما ثم مرتبة رابعة في الحمد ثم في الحمد بما يحمد الشيء نفسه أو يحمده غيره تقسيمان إما أن يحمده بصفة فعل و إما أن يحمده بصفة تنزيه و ما ثم حمد ثالث هنا و أما حمد الحمد له فهو في الحمدين بذاته إذ لو لم يكن لما صح أن يكون لها حمد

فحمد الحمد يعطي الحمد فيه و لولا الحمد ما كان الحميد

ثم إن الحمد على المحمود قسمان القسم الواحد أن يحمد بما هو عليه و هو الحمد الأعم و القسم الثاني أن يحمد على ما يكون منه و هو الشكر و هو الأخص فانحصرت أقسام التحميدات و المحامد و تعيين الكلمات التي تدل على ما ذكرناه لا تتناهى فإن النبي ص يقول في المقام المحمود فأحمده بمحامد لا أعلمها الآن و قال لا أحصي ثناء عليك لأن ما لا يتناهى لا يدخل في الوجود و لما كان كل عين حامدة و محمودة في العالم كلمات الحق الظاهرة من نفس الرحمن و نفس الرحمن ظهور الاسم الباطن و الحكم الغيب و هو الظاهر و الباطن رجعت إليه عواقب الثناء فلا حامد إلا الله و لا محمود إلا الله و حمد الحمد صفته لأن الحمد صفته و صفته عينه إذ لا يتكثر

و لا يكمل بالزائد تعالى الله فحمد الحمد هو فليس إلا هو

فما حمد الله إلا الإله و محموده عينه لا سواه

فمن حمد الله على هذا النحو فقد حمده و من نقصه من ذلك شيئًا فهو بقدر ما نقصه فإن كنت حامد الله فلتحمده بهذا الحضور و هذا التصور فيكون الجزاء من الله لمن هذا حمده عينه فافهم الفصل السابع) في الذكر بالتسبيح التسبيح التنزيه فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ اسْتَغْفِرْهُ هذا أمر سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ خبر التسبيح قسم من أقسام الحمد و لهذا أن الحمد يملأ الميزان على الإطلاق و سبحان

الله و غير ذلك من الأذكار تحت حيطة الحمد فإذا ظهر التسبيح فانظر كيف تسبحه فإن الجهل يتخلل هذا المقام تخللا خفيا لا يشعر به فإنه كما قال ص لحسان بن ثابت لما أراد أن يهجو قريشا ينافح بذلك عن رسول الله ص لما هجته قريش و هو منها فنفسها هجت و لم تعلم بذلك و علم بذلك رسول الله ص فإنه العالم الأتم و قد علم رسول الله ص أن الذي انبعث إليه حسان بن ثابت من هجاء قريش إن ذلك مما يرضى الله لحسن قصده في ذلك و ما علم ذلك رسول الله ص إلا لما رأى روح القدس الذي يجيئه قد جاء إلى حسان بن ثابت يؤيده من حيث لا يشعر ما دام ينافح عن عرض رسول الله ص و إنما أقر الله ذلك أعلاما لقريش بأن أعمالهم تعود عليهم إذ كان الهجاء مما عملته لِتُجْزىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِما (كَسَبَتْ) عملت ليعلموا صدق رسول الله ص فقال له رسول الله ص إني منهم فانظر ما تقول و كيف تقول و ائت أبا بكر فإنه أعرف بالأنساب فيخبرك حتى لا تقول كلاما يعود على رسول الله ص فتكون قد وقعت فيما وقعوا فيه فقال له حسان بن ثابت و الله لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين لأنه لا يعلق بها شيء من العجين و هكذا باب التسبيح فإنه تنزيه و التنزيه عبارة عن العدم ليس بتنزيه و إنما يكون التنزيه عن كل صفة تدل على الحدوث لاتصافه بالقدم و صفات الحدوث إنما هي للمحدثات و هنا زلت الاقدام في العلم بالمحدثات ما هي المحدثات و ما في الوجود إلا الله فإن الموجودات كلمات الله و بها يثنى على الله فإذا نزه المنزه ربه و لا ينزهه إلا عما هو صفة للمحدث و المحدث ليس له من نفسه شيء و لا عينه له و إنما هي لمن أظهرها فإذا نزه الحق عن شيء لا يثنى عليه إلا به و بأمثاله فقد تركت من الثناء عليه ما كان ينبغي لك أن تثني عليه به فإذا سبحته فتحقق عن أي شيء تنزهه إذ ما ثم إلا هو فإن نفس الرحمن هو جوهر الكائنات و لهذا وصف الحق نفسه بما هو من صفات المحدثات مما تحيله الأدلة النظرية العقلية و احذر أن تسبحه بعقلك و اجعل تسبيحه منك بالقرآن الذي هو كلامه فتكون حاكيا لا مخترعا و لا مبتدعا فإن كان هناك ما يقدح كنت أنت بريء الساحة من ذلك إذ ما سبحه إلا كلامه و هو أعلم بنفسه منك و هو يحمد ذاته بأتم المحامد و أعظم الثناء كما قال ص أنت كما أثنيت على نفسك و قد أثنى على نفسه بما يقول فيه دليل العقل إنه لا يجوز عليه ذلك و ينزهه عنه و هذا غاية الذم و تكذيب الحق فيما نسبه إلى نفسه و علمك بأنك أعرف به منه فاحذر أن تنزهه عن أمر ثبت في الشرع أنه وصف له كان ما كان و لا تسبحه تسبيحة واحدة بعقلك جملة واحدة و قد نصحتك فإن الأدلة العقلية كثيرة التنافر للادلة الشرعية في الإلهيات فسبح ربك بكلام ربك و بتسبيحه لا بعقلك الذي استفاده من فكره و نظره فإنه ما استفاد أكثر ما استفاد إلا الجهل فتحفظ مما ذكر لك فإنه داء عضال قليل فيه الشفاء فذم بذم الله و امدح بمدح الله و ارحم برحمة الله و ألعن بلعنة الله تفز بالعلم و تملأ يديك من الخير و التسبيح ثناء كل موجود في العالم لا غير التسبيح و هذا هو الذي أضل العقلاء و هو من المكر الإلهي الخفي و غابت عقولهم عن قوله تعالى بحمده و

هو ما ذكرناه فقال تعالى وَإِنْ من شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ و ما قال يحمد و لا يكبر و لا يهلل فإنها كلها ثناء بإثبات وجودي و التسبيح ثناء بعدم فدخله المكر الإلهي فأثر في العقول المفكرة فجاء العارفون فوجدوا الله قد قيد تسبيح كل شيء بحمده المضاف إليه فسبحوه بما أثنى على نفسه فما استنبطوا شيئًا بخلاف الناظرين بعقولهم في الإلهيات و لهذا قال وَلكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ لأنهم نسوا بحمده حجتهم عن ذلك أدلة عقولهم إذ ستر الله عنها ذلك بستر أفكارهم فلم يؤاخذهم على ذلك لقوله إِنَّهُ كانَ حَلِيماً غَفُوراً مع ما فيه من سوء الأدب من وجه لما كان الشفيع فيهم عند الله قوله لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و فيه غلطوا فقبل الله فيهم سؤال لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فعفا عنهم فيما توقفوا فيه أو أحالوه مما أثبته الحق لنفسه من استواء و معية و ظرفية و نزول و غير ذلك مما لا يحصى كثرة مما نطقت به كتبه و رسله فقد أفهمتك كيف تسبح ربك و ألقيت بك على الطريق فاذكرني عند ربك (الفصل الثامن) في الذكر بالتكبير قال تعالى وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ و ذكر الله القرآن فاذكره بالقرآن لا تكبره بتكبيرك إذ قد أمرك أن تكبره فقال وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً عن الولد و الشريك و الولي و لا تغفل في هذا التكبير عن قوله من الذل فقيده فإنه يقول إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ فما نصرناه من ذل فلهذا قال وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ فإنه قد دعاك إلى نصرته ليوفي الصورة التي خلقك عليها حقها لأنه يقول أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ فمن إعطائه الصورة التي خلقك عليها خلقها الذي هو عين حقها أن يطلب منها نصرته فإنه الناصر فقال كُونُوا أَنْصارَ اللهِ و الناصر هو الولي فلهذا قيده فإذا كبرته عن الولي فاعلم عن أي ولي تكبره و كذلك أيضا الشريك في الملك و على هذه المسألة تبتني مسألة العبد هل يملك أو لا يملك فمن رأى شركة الأسباب التي لا يمكن وجود المسببات إلا بها لم يثبت الشريك في الملك لأن السبب من الملك و هو كالآلة و الآلة يوجد بها ما هو ملك للموجد كما هي الآلة ملك للموجد و ما تملك الآلة شيئًا فلهذا قيد التكبير عن الشريك في الملك لا في الإيجاد لأن الله تعالى أوجد الأشياء على ضربين ضرب أوجده بوجود أسبابه مثل صنائع العالم كالتابوت للنجار و الحائط للبناء و جميع صنائع العالم و الكل صنعته تعالى و الإضافة إلى النجار و إن كان النجار ما استقل في عمل التابوت بيده فقط بل بآلات متعددة من الحديد و غير ذلك فهذه أسباب التجارة و ما أضيف عمل التابوت إلى شيء منها بل أضيف التابوت من كونه صنعة لصانعه و لم يصنع إلا بالآلة ثم ثم إضافة أخرى و هو إن كان النجار صنع في حق نفسه أضيف التابوت إليه لأنه ملكه و هو قوله وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ فـ لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ و إن كان الخشب لغيره فالتابوت من حيث صنعته يضاف إلى النجار و من حيث الملك يضاف للمالك لا إلى النجار فالنجار آلة للمالك و الله ما نفى إلا الشريك في الملك لا الشريك في الصنعة أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبارَكَ اللهُ رَبُّ الْعالَمِينَ و أما الضرب الثاني فهو ما أوجده لا بسبب و هو إيجاده أعيان الأسباب الأول فإذا كبرت ربك عن الولي و الشريك فقيده في ذلك بما قيده الحق و لا تطلق فيفتك

خير كثير و علم كبير و كذلك قوله و كبره أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً فإن الولد للوالد ليس بمتخذ لأنه لا عمل له فيه على الحقيقة و إنما وضع ماء في رحم صاحبته و تولى إيجاد عين الولد سبب آخر و المتخذ الولد إنما هو المتبني كزيد لما تبناه رسول الله ص فقال لنا وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً لأنه لو اتخذ وَلَداً لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ ما يَشاءُ فكان يتبنى ما شاء فما فعل فعل من لم يتخذ ولدا و قوله تعالى لَمْ يَلِدْ ذلك ولد الصلب فليس له تعالى ولد و لا تبنى أحدا فنفى عنه الولد من الجهتين لما ادعت طائفة من اليهود و النصارى أنهم أبناء الله و أرادوا التبني فإنهم عالمون بآبائهم و قالوا في المسيح إنه ابن الله إذ لم يعرفوا له أبا و لا تكون عن أب لجهلهم بما قال الله من تمثل الملك لمريم بَشَراً سَوِيًّا و جعله الحق تعالى روحا إذ كان جبريل روحا فما تكون عيسى إلا عن اثنين فجبريل وهب لها عيسى في النفخ فلم يشعروا لذلك كما ينفخ الروح في الصورة عند تسويتها فما عرفوا روح عيسى و لا صورته و إن صورة عيسى مثل تجسد الروح لأنه عن تمثل فلو تفطنت لخلق عيسى لرأيت علما عظيما تقصر عنه أفهام العقلاء فإذا كبرت ربك فكبره كما كبر نفسه تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا و هم الذين يكبرونه عما لم يكبر نفسه في قوله يفرح بتوبة عبده و يتبشبش إلى من جاء إلى بيته و يباهي ملائكته بأهل الموقف و يقول جعت فلم تطعمني فأنزل نفسه منزلة عبده فإن كبرته بأن تنزهه عن هذه المواطن فلم تكبره بتكبيرة بل أكذبته فهؤلاء هم الظالمون على الحقيقة فليس تكبيره إلا ما كبر به نفسه فقف عند حدك و لا تحكم على ربك بعقلك (الفصل التاسع في الذكر بالتهليل) هذا هو ذكر التوحيد بنفي ما سواه و ما هو ثم فإن لم يكن ثم و نفيت النفي فقد أثبت فإن الله تعالى يقول وَقَضى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ فما عبد فيما عبد إلا الله و هذا التوحيد على ستة و ثلاثين أعني الواردة في القرآن من حيث ما هو كلام الله فمنه ما هو توحيد الواحد و لهذا يرى بعض العلماء الإلهيين إن الله هو الذي وحد الواحد و لو لا توحيده لم يكن ثم من يقال فيه إنه واحد فوحدانيته أظهرت الواحد و منه ما هو توحيد الله و هو توحيد الألوهية و منه ما هو توحيد الهوية و لنذكر هذا كله في هذا الفصل و ما له تعالى في هذا التهليل من الأسماء الإلهية و لا نزيد على ما ورد في القرآن من ذلك و هو ستة و ثلاثون موضعا و هي عشر درجات الفلك الذي جعل الله إيجاد الكائنات عند حركاته من أصناف الموجودات من عالم الأرواح و الأجسام و النور و الظلمة فهذه الستة و ثلاثون حق الله مما يكون في العالم من الموجودات فإنها مما تكون في عين التلفظ الإنساني بالقرآن فهو كالعشر فيما سقت السماء و هو المسمى الأعلى من قوله سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى فالتهليل عشر الذكر و هو زكاته لأنه حق الله فهو عشر ثلاثمائة و ستين درجة فمن ذلك (التوحيد الأول) و هو قوله تعالى وَإِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمنُ الرَّحِيمُ فهذا توحيد الواحد بالاسم الرحمن الذي له النفس فبدأ به لأن النفس لولاه ما ظهرت الحروف و لو لا الحروف ما ظهرت الكلمات فنفى الألوهية عن كل أحد وحده الحق تعالى إلا أحديته فأثبت الألوهية لها بالهوية التي

أعاد على اسمه الواحد و أول نعت نعته به الرحمن لأنه صاحب النفس و سمي مثل هذا الذكر تهليلا من الإهلال و هو رفع الصوت أي إذا ذكر بلا إله إلا الله ارتفع الصوت الذي هو النفس الخارج به على كل نفس ظهر فيه غير هذه الكلمة و لهذا قال رسول الله ص أفضل ما قلته أنا و النبيون من قبلي لا إله إلا الله و ما قالها إلا نبي لأنه ما يخبر عن الحق إلا نبي فهو كلام الحق فارفع الكلمات كلمة لا إله إلا الله و هي أربع كلمات نفي و منفي و إيجاب و موجب و الأربعة الإلهية أصل وجود العالم و الأربعة الطبيعية أصل وجود الأجسام و الأربعة العناصر أصل وجود المولدات و الأربعة الأخلاط أصل وجود الحيوان و الأربع الحقائق أصل وجود الإنسان فالأربعة الإلهية الحياة و العلم و الإرادة و القول و هو عين القدرة عقلا و القول شرعا و الأربع الطبيعة الحرارة و البرودة و اليبوسة و الرطوبة و الأربعة العناصر الأثير و الهواء و الماء و التراب و الأربعة الأخلاط المرتان و الدم و البلغم و الأربع الحقائق الجسم و التغذي و الحس و النطق فإذا قال العبد لا إله إلا الله على هذا التربيع كان لسان العالم و نائب الحق في النطق فيذكره العالم و الحق بذكره و هذه الكلمة اثنا عشر حرفا فقد استوعبت من هذا العدد بسائط أسماء الأعداد و هي اثنا عشر ثلاث عقود العشرات و المئين و الآلاف و من الواحد إلى التسعة ثم بعد هذا يقع التركيب بما لا يخرجك عن هذه الآحاد إلى ما لا يتناهى فقد ضم ما يتناهى و هو هذه الاثنا عشر ما لا يتناهى و هو ما يتركب منها فلا إله إلا الله و إن انحصرت في هذا العدد في الوجود فجزاؤها لا يتناهى فبها وقع الحكم بما لا يتناهى فبقاء الوجود الذي لا يلحقه عدم بكلمة التوحيد و هي لا إله إلا الله فهذا عمل نفس الرحمن فيها و لهذا ابتدأ به في القرآن و جعله توحيد الأحد لأن عن الواحد الحق ظهر العالم (التوحيد الثاني) من نفس الرحمن الله لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ فهذا توحيد الهوية و هو توحيد الابتداء لأن الله فيه مبتدأ و نعته في هذه الآية بصفة التنزيه عن حكم السنة و النوم لما يظهر به من الصور التي يأخذها السنة و النوم كما يرى الإنسان ربه في المنام على صورة الإنسان التي من شأنها أن تنام فنزه نفسه و وحدها في هذه الصورة و إن ظهر بها في الرؤيا حيث كانت فما هي ممن تأخذها سنة و لا نوم فهذا هو النعت الأخص بها في هذه الآية و قدم الحي القيوم لأن النوم و السنة لا يأخذ إلا الحي القائم أي المتيقظ إذ كان الموت لا يرد إلا على حي فلهذا قيل في الحق إنه الحي الَّذِي لا يَمُوتُ كذلك النوم و السنة و السنة أول النوم كالنسيم للريح فإن النوم بخار و هو هواء و النسيم أوله و السنة أول النوم فلا يرد إلا على متصف باليقظة فهذا توحيد التنزيه عمن من شأنه أن يقبل ما نزه عنه هذا الإله الحي القيوم و لو لا التطويل لذكرنا تمام الآية بما فيها من الأسماء الإلهية (التوحيد الثالث) من نفس الرحمن و هو الم الله لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ و هذا توحيد حروف النفس و هو الألف و اللام و الميم و قد ذكرنا من حقائق هذه الحروف في الباب الثاني من هذا الكتاب ما فيه غنية و هذا التوحيد أيضا توحيد الابتداء و له من أسماء الأفعال منزل الكتاب بالحق من الله المسمى بالحي القيوم فبين أنه

منزل الكتاب بالحق من الله المسمى بالحي القيوم فبين أنه منزل الأربعة الكتب يصدق بعضها بعضا لأن أكثر الشهود أربعة و الكتب الإلهية وثائق الحق على عباده و هي كتب مواصفة و تحقيق بما له عليهم و ما لهم عليه مما أوجبه على نفسه لهم فضلا منه و منة فدخل معهم في العهدة فقال أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ فأدخلنا تحت العهد أعلاما بأنا جحدنا عبوديتنا له إذ لو كنا عبيدا لم يكتب علينا عهده فإنا بحكم السيد فلما أبقنا بخروجنا عن حقيقتنا و ادعينا الملك و التصرف و الأخذ و العطاء كتب بيننا و بينه عقودا و أخذ علينا العهد و الميثاق و أدخل نفسه معنا في ذلك ألا ترى العبد المكاتب لا يكاتب إلا أن ينزل منزلة الأحرار فلولا توهم رائحة الحرية ما صحت مكاتبة العبد و هو عبد فإن العبد لا يكتب عليه شيء و لا يجب له حق فإنه ما يتصرف إلا عن إذن سيده فإذا كان العبد يوفي حقيقة عبوديته لم يؤخذ عليه عهد و لا ميثاق ألا ترى العبد الآبق يجعل عليه القيد و هو الوثاق لإباقه فهذا بمنزلة الوثائق التي تتضمن العهود و العقود التي لا تصح بين العبد و السيد فمن أصب آية تمر على العارفين كل آية فيها أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أو العهود فإنها آيات أخرجت العبيد عن عبوديتهم لله (التوحيد الرابع) من نفس الرحمن قوله هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحامِ كَيْفَ يَشاءُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ هذا توحيد المشيئة و وصف الهوية بالعزة و هو قوله وَلَمْ يُولَدْ فهو عزيز الحمى إذ كان هو الذي صورنا في الأرحام من غير مباشرة إذ لو باشر لضمه الرحم كما يضم القابل للصورة و لو لم يكن هو المصور لما صدقت هذه النسبة و هو الصادق فإنه ما أضاف التصوير إلى غيره فقال كَيْفَ يَشاءُ أي كيف أراد فظهر في هذه الكيفية أن مشيئته تقبل الكيفية مع نعته بالعزة ثم بالحكمة و الحكيم هو المرتب للأشياء التي أنزلت منازلها فالتصوير يستدعيه إذ كان هو المصور لا الملك مع العزة التي تليق بجلاله فحير العقول السليمة التي تعرف جلاله و أما أهل التأويل فما حاروا و لا أصابوا أعني في خوضهم في التأويل و إن وافقوا العلم فقد ارتكبوا محرما عليهم يسألون عنه يوم القيامة هم و كل من تكلم في ذاته تعالى و نزهه عما نسبه إلى نفسه و رجح عقله على إيمانه و حكم نظره في علم ربه و لم يكن ينبغي له ذلك و هو قوله تعالى كذبني ابن آدم و لم يكن ينبغي له

و ذكر بعض ما كذبه فيه لا كله و أبقى له ضربا من الرجاء حيث أضافه إليه في الحديث الذي يقول فيه عبدي فإن قال ابن آدم و هو الأصح في الرواية فأبعده عن نفسه و أضافه إلى ظاهر آدم ع لأن المعصية بالظاهر وقعت و هو القرب من الشجرة و الأكل و نسي و لم يجد له عزما و هو عمل الباطن فبرأ باطنه منها وَكانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهاً مجتبى كما قال تعالى (التوحيد الخامس) من نفس الرحمن و هو قوله شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قائِماً بِالْقِسْطِ هذا توحيد الهوية و الشهادة على الاسم المقسط و هو العدل في العالم و هو قوله أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ فوصف نفسه بإقامة الوزن في التوحيد أعني توحيد الشهادة بالقيام بالقسط و جعل ذلك للهوية و كان

الله الشاهد على ذلك من حيث أسماؤه كلها فإنه عطف بالكثرة و هو قوله وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ فعلمنا حيث ذكر الله و لم يعين اسما خاصا إنه أراد جميع الأسماء الإلهية التي يطلبها العالم بالقسط إذ لا يزن على نفسه فلم يدخل تحت هذا إلا ما يدخل في الوزن فهذا توحيد القسط و قد روينا في ذلك حديثا ثابتا و هو ما حدثناه يونس بن يحيى عن أبي الوقت عبد الأول الهروي عن ابن المظفر الداودي عن أبي محمد الحموي عن الفربري عن البخاري عن أبي اليمان عن شعيب عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن رسول الله ص قال قال الله عز و جل أنفق أنفق عليك و قال يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل و النهار و قال أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات و الأرض فإنه لم يغض ما في يده وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ و بيده الميزان يخفض و يرفع خرجه مسلم أيضا عن أبي هريرة و قال يمينه لم يقل يده و قال بيده الأخرى و هو حديث صحيح فإذا قام العبد بالقسط في تهليل ربه صدقه ربه فقال مثل قوله فهذا من تزكية الله عبده حدثنا غير واحد منهم ابن رستم مكين الدين أبو شجاع الأصفهاني إمام المقام بالحرم المكي الشريف و عمر بن عبد المجيد الميانشي عن أبي الفتح الكرخي عن الترياقي أبي نصر عن عبد الجبار بن محمد عن المحبوبي عن أبي عيسى الترمذي عن سفيان بن وكيع عن إسماعيل بن محمد عن جحادة عن عبد الجبار بن عباس عن الأغر أبي مسلم قال أشهد على أبي سعيد و أبي هريرة أنهما شهدا على النبي ص قال من قال لا إله إلا الله و الله أكبر صدقه ربه و قال لا إله إلا أنا و أنا أكبر و إذا قال لا إله إلا الله وحده قال يقول الله لا إله إلا أنا و أنا وحدي و إذا قال لا إله إلا الله له الملك و له الحمد قال الله لا إله إلا أنا لي الملك و لي الحمد و إذا قال لا إله إلا الله و لا حول و لا قوة إلا بالله قال الله لا إله إلا أنا و لا حول و لا قوة إلا بي و كان يقول من قالها في مرضه ثم مات لم تطعمه النار فمن أعطى الحق من نفسه لربه و لغيره و لنفسه من نفسه بإقامة الوزن على نفسه في ذلك فلم يترك لنفسه و لا لغيره عليه حقا جملة واحدة قام في هذا المقام بالقسط الذي شهد به لربه فإنها شهادة أداء الحقوق من يَكْتُمْها فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ و ما كان له من حق تعين له عند غيره أسقطه و لم يطالب به إذ كان له ذلك ف وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ ثم يؤيد ما ذكرناه في إعطاء الحق في هذه الشهادة قوله بعد قوله قائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ فشهد الله لنفسه بتوحيده و شهد لملائكته و أولي العلم أنهم شهدوا له بالتوحيد فهذا من قيامه بالقسط و هو من باب فضل من أتى بالشهادة قبل أن يسألها فإن الله شهد لعباده أنهم شهدوا بتوحيده من قبل أن يسأل منه عباده ذلك و بين في هذه الآية أن الشهادة لا تكون إلا عن علم لا عن غلبة ظن و لا تقليد إلا تقليد معصوم فيما يدعيه فتشهد له بأنك على علم كما نشهد نحن على الأمم أن أنبياءها بلغتها دعوة الحق و نحن ما كنا في زمان التبليغ و لكنا صدقنا الحق فيما أخبرنا به في كتابه عن نوح و عاد و ثمود و قوم لوط و أصحاب الايكة و قوم موسى و شهادة خزيمة و ذلك لا يكون إلا لمن هو في إيمانه على علم بمن آمن به لا على تقليد و حسن ظن فاعلم ذلك

(التوحيد السادس) من نفس الرحمن هو قوله الله لا إِلهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ هذا أيضا توحيد الابتداء و هو توحيد الهوية المنعوت بالاسم الجامع للقضاء و الفصل فمن رحمة الله أنه قال لَيَجْمَعَنَّكُمْ فما نجتمع إلا فيما لا نفترق فيه و هو الإقرار بربوبيته سبحانه و إذا جمعنا من حيث إقرارنا له بالربوبية فهي آية بشرى و ذكر خير في حقنا بسعادة الجميع و إن دخلنا النار فإن الجمعية تمنع من تسرمد الانتقام لا إلى نهاية لكن يتسرمد العذاب و تختلف الحالات فيه فإذا انتهت حالة الانتقام و وجدان الآلام أعطى من النعيم و الاستعذاب بالعذاب ما يليق بمن أقر بربوبيته ثم أشرك ثم وحد في غير موطن التكليف و التكليف أمر عرض في الوسط بين الشهادتين لم يثبت فبقي الحكم للأصلين الأول و الآخر و هو السبب الجامع لنا في القيامة فما جمعنا إلا فيما اجتمعنا

فإذا استعذبوا العذاب أريحوا   من أليم العذاب و هو الجزاء

قال أبو يزيد الأكبر البسطامي

و كل مآربي قد نلت منها   سوى ملذوذ وجدي بالعذاب

لم يقل بالألم و لنا في هذا الباب نظم كثير (التوحيد السابع) من نفس الرحمن هو قوله ذلِكُمُ الله رَبُّكُمْ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ هذا توحيد الرب بالاسم الخالق و هو توحيد الهوية فهذا توحيد الوجود لا توحيد التقدير فإنه أمر بالعبادة و لا يأمر بالعبادة إلا من هو موصوف بالوجود و جعل الوجود للرب فجعل ذلك الاسم بين الله و بين التهليل و جعله مضافا إلينا إضافة خاصة إلى الرب فهي إضافة خصوص لنوحده في سيادته و مجده و في وجوب وجوده فلا يقبل العدم كما يقبله الممكن فإنه الثابت وجوده لنفسه و يوحد أيضا في ملكه بإقرارنا بالرق له و لنوحده توحيد المنعم لما أنعم به علينا من تغذيته إيانا في ظلم الأرحام و في الحياة الدنيا و لنوحده أيضا فيما أوجده من المصالح التي بها قوامنا من إقامة النواميس و وضع الموازين و مبايعة الأئمة القائمة بالدين و هذه الفصول كلها أعطاها الاسم الرب فوحدناه و نفينا ربوبية ما سواه قال يوسف لصاحبي السجن أَأَرْبابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ الله الْواحِدُ الْقَهَّارُ (التوحيد الثامن) من نفس الرحمن قوله تعالى اتَّبِعْ ما أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ هذا توحيد الاتباع و هو من توحيد الهوية فهو توحيد تقليد في علم لأنه نصب الأسباب و أزال عنها حكم الأرباب لما قالوا ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونا إِلَى الله زُلْفى فلو قالوا ما نتخذهم و أبقوا العبودية لجناب الله تعالى لكان لهم في ذلك مندوحة بوضع الأسباب الإلهية المقررة في العالم فأمر ص أن يعرض عن الشرك لا عن السبب فإنه قال في مصالح الحياة الدنيا وَ لَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَياةٌ فعلل و لام العلة في القرآن كثير و هذا أيضا فيه ما في السابع من توحيد الاسم الرب و عمم إضافة جميعنا إليه و هنا خصص به الداعي فكأنه توحيد في مجلس محاكمة فيدخل فيه توحيد المقسط لإقامة

الوزن في الحكم بين الخصماء بين ذلك قوله وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ و خص به الداعي بمجيئه بالتوحيد الإيماني لا التوحيد العقلي و هو توحيد الأنبياء و الرسل لأنها ما وحدت عن نظر و إنما وحدت عن ضرورة علم وجدته في نفسها لم تقدر على دفعه فترك المشركين و آلهتهم و انفرد بغار حرا يتحنث فيه من غير معلم إلا ما يجده في نفسه حتى فجئه الحق و هو قوله اتَّبِعْ ما أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ أي أنه لا يقبل الشريك فأعرض عنهم حتى يستحكم الايمان و أقمه بنفس الرحمن فاجعل له أنصارا و آمرك بقتال المشركين لا بالإعراض عنهم (التوحيد التاسع) من نفس الرحمن هو قوله إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ يُحيِي وَيُمِيتُ توحيد الهوية في الاسم المرسل و هو توحيد الملك و لهذا نعته بأنه يحيي و يميت إذ الملك هو الذي يحيي و يميت و يعطي و يمنع و يضر و ينفع فمن أعطى أحيا و نفع و من منع أضر و أمات و من منع لا عن بخل كان منعه حماية و عناية و جودا من حيث لا يشعر الممنوع و كان الضرر في حقه حيث لم يبلغ إلى نيل غرضه لجهله بالمصلحة فيما حماه عنه النافع و مات هذا الممنوع لكونه لم تنفذ إرادته كما لا تنفذ إرادة الميت فهذا منع الله و ضرره و إماتته فإنه المنعم المحسان فأرسل الرسل بالتوحيد تنبيها لإقرارهم في الميثاق الأول فقال وَما أَرْسَلْناكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ فمن وحده بلسان رسوله لا من لسانه جازاه الله على توحيده جزاء رسوله فإن وحده لا بلسان رسوله بل بلسان رسالته جازاه مجازاة إلهية لا تعرف يدخل تحت قوله ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر انتهى

الجزء التاسع عشر و مائة

((بسم الله الرحمن الرحيم))

(التوحيد العاشر) من نفس الرحمن قوله وَما أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلهاً واحِداً لا إِلهَ إِلَّا هُوَ سُبْحانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ هذا توحيد الأمر بالعبادة و هو من أعجب الأمور كيف يكون الأمر فيما هو ذاتي للمأمور فإن العبادة ذاتية للمخلوقين ففيم وقع الأمر بالعبادة فأما في حق المؤمنين فأمرهم إن يعبدوه من حيث أحدية العين لما قال في حق طائفة قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ أَيًّا ما تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى فما هي هذه الطائفة التي أمرت أن تعبد إلها واحدا فلا تنظروا في الأسماء الإلهية من حيث ما تدل على معان مختلفة فتتعبدهم معانيها فتكون عبادتهم معلولة حيث رأوا أن كل حقيقة منهم مرتبطة بحقيقة إلهية يتعلق افتقارها القائم بها إليها و هي متعددة فإن حقيقة الطلب للرزق إنما تعبد الرزاق و حقيقة الطلب للعافية إنما تعبد الشافي فقيل لهم لا تعبدوا إلا إلها واحدا و هو أن كل اسم إلهي و إن كان يدل على معنى يخالف الآخر فهو أيضا يدل على عين واحدة تطلبها هذه النسب المختلفة و أما من حمل العبادة هنا على الأعمال فلا معرفة له باللسان فالعمل صورة و العبادة روح لتلك الصورة العملية التي أنشأها المكلف و أما غير المؤمنين و هم المشركون فهم الذين

نسبوا الألوهة إلى غير من يستحقها و وضعوا اسمها على غير مسماها و ادعوا الكثرة فيها كما ادعوا الكثرة في الإنسانية فدعواهم فيها صحيحة و ما عرفوا بطلانها في الإلهية و لذلك تعجبوا من توحيدها فقالوا أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلٰهاً واحِداً إِنَّ هذا لَشَيْءٌ عُجابٌ و ما علموا إن جعل الألوهة في الكثيرين أعجب فقيل لهم و إن كنتم ما عبدتم كل من عبدتموه إلا بتخيلكم إن الألوهة صفته فما عبدتم غيرها ليس الأمر كذلك فإنكم شهدتم على أنفسكم إنكم ما تعبدونها إلا لتقربكم إلى الله زلفى فأقررتم مع شرككم إن ثم إلها كبيرا هذه الآلهة خدمتكم إياها تقربكم من الله فهذه دعوى بغير برهان و هو قوله وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللّٰهِ إِلٰهاً آخَرَ لا بُرْهانَ لَهُ به و هذه أرجى آية للمشرك عن نظر جهد الطاقة و تخيله في شبهه أنها برهان فيقوم له العذر عند الله فإذ و قد اعترفوا أنهم عبدوا الشريك ليقربهم إلى الله زلفى فتح القائل على نفسه باب الاعتراض عليه بأن يقال له و من أين علمتم إن هذه الحجارة أو غيرها لها عند الله من المكانة بحيث أن جعلها معبودة لكم كما قال فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كانُوا يَنْطِقُونَ فالذين عبدوا من ينطق و يدعي الألوهة أقرب حالا من عبادة من لا يسمع و لا يبصر و لا يغني عنهم شيئا و هذا قول إبراهيم لأبيه و هو الذي قال فيه تعالى وَتِلْكَ حُجَّتُنا آتَيْناها إِبْراهِيمَ عَلى قَوْمِهِ و أبوه من قومه و هذه و غيرها من الحجة التي أعطاه الله فأمرهم الله أن لا يعبدوا إلا إلها واحدا لا إله إلا هو في نفس الأمر سبحانه أي هو بعيد أن يشرك في ألوهته فهذا توحيد الأمر (التوحيد الحادي عشر) من نفس الرحمن قوله فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللّٰهُ لا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ هذا توحيد الاستكفاء و هو من توحيد الهوية لما قال الله تعالى وَتَعاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوى فأحالنا علينا بأمره فبادرنا لامتثال أمره فمنا من قال لو لا إن الله قد علم إن لنا مدخلا صحيحا في إقامة ما كلفنا من البر و التقوى ما أحالنا علينا و منا من قال التعاون الذي أمرنا به على البر و التقوى أن يرد كل واحد منا صاحبه إلى ربه في ذلك و يستكفي به فيما كلفه و هو قوله اسْتَعِينُوا بِاللّٰهِ خطاب تحقيق وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ خطاب ابتلاء فإذا سمع القوم اللذين قالوا إن لنا مدخلا محققا في العمل و لهذا أمرنا بالتعاون ما قاله من جعله خطاب ابتلاء أو حمله على الرد إلى الله في ذلك لما علمنا أن نقول وَإِيّاكَ نَسْتَعِينُ و اسْتَعِينُوا بِاللّٰهِ و هو قول موسى لقومه مع أنهم ما طلبوا معونة الله إلا و عندهم ضرب من الدعوى و لكن أعلى من أصحاب المقام الأول و أقرب إلى الحق فتولوا عنهم في هذا النظر و لم يقولوا به فكيف حالهم مع من هو مشهده وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ فقال تعالى لهم فَإِنْ تَوَلَّوْا عما دعوتموهم إليه فَقُلْ حَسْبِيَ اللّٰهُ أي في الله الكفاية لا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ فإذا كان رب العرش و العرش محيط بعالم الأجسام و أنت من حيث جسميتك أقل الأجسام فاستكف بالله الذي هو رب مثل هذا العرش و من كان الله حسبه انقلب بِنِعْمَةٍ مِنَ اللّٰهِ وَفَضْلٍ لم يمسسه سوء و جاء في ذلك بما يرضى الله وَاللّٰهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ على من جعله حسبه و الفضل الزيادة أي ما يعطيه على موازنة عمله

بل أزيد من ذلك مما يعظم عنده إذا رآه ذوقا و من أعجب ما رأيت من بعض الشيوخ من أهل الله ممن كان مثل أبي يزيد في الحال و ربما أمكن منه فيه فقعدت مع هذا الشخص يوما بجامع دمشق و هو يذكر لي حاله مع الله و ما يجري له معه في وقائعه فقال لي إن الحق ذكر له عظم ملكه قال الشيخ فقلت له يا رب ملكي أعظم من ملكك فقال لي كيف تقول و هو أعلم فقلت له يا رب لأن مثلك في ملكي فإنك لي تجيبني إذا دعوتك و تعطيني إذا سألتك و ما في ملكك مثلك قال فقال لي صدقت و ما رأيت أحدا ذهب إلى ما يقارب هذا المذهب أو هو هو سوى محمد بن علي الترمذي الحكيم فإنه يقول في هذا المقام مقام ملك الملك و قد شرحناه في مسائل الترمذي في هذا الكتاب التي سأل عنها أهل الله في كتاب ختم الأولياء ثم بكى هذا الشيخ أدبا مع الله و يقول يا أخي هو يجزئني عليه و يباسطني فكنت أقول له إذا كان يفرح بتوبة عبده كما قاله عنه رسوله ص فكيف يكون نظره إلى العارفين به (التوحيد الثاني عشر) من نفس الرحمن هو قوله حَتَّى إِذا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرائِيلَ هذا توحيد الاستغاثة و هو توحيد الصلة فإنه جاء بالذي في هذا التوحيد و هو من الأسماء الموصولة و جاء بهذا ليرفع اللبس عن السامعين كما فعلت السحرة لما آمنت برب العالمين فقالت رَبِّ مُوسى وَ هارُونَ لرفع اللبس من أذهان السامعين و لهذا توعدهم ثم تمم و قال وَ أَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ لما علم إن الإله هو الذي ينقاد إليه و لا ينقاد هو لأحد قال على ابن أبي طالب أهللت بما أهل به رسول الله ص و هو لا يعرف بما أهل به فقيل منه مع كونه أهل على غير علم محقق فأحرى إذا كان على علم محقق فاعلم بذلك فرعون ليعلم قومه برجوعه عما كان ادعاه فيهم من أنه ربهم الأعلى فأمره إلى الله فإنه آمن عند رؤية البأس و ما نفع مثل ذلك الايمان فرفع عنه عذاب الدنيا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ و لم يتعرض للآخرة ثم إن الله صدقه في إيمانه بقوله آلْآنَ وَ قَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ فدل على إخلاصه في إيمانه و لو لم يكن مخلصا لقال فيه تعالى كما قال في الأعراب الذين قالوا آمنا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا وَ لَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمانُ فِي قُلُوبِكُمْ فقد شهد الله لفرعون بالإيمان و ما كان الله ليشهد لأحد بالصدق في توحيده إلا و يجازيه به و بعد إيمانه فما عصى فقبله الله إن كان قبله طاهرا و الكافر إذا أسلم وجب عليه إن يغتسل فكان غرقه غسلا له و تطهيرا حيث أخذه الله في تلك الحالة نَكالَ الْآخِرَةِ وَ الْأُولى و جعل ذلك عبرة لِمَنْ يَخْشى و ما أشبه إيمانه إيمان من غرغر فإن المغرغر موقن بأنه مفارق قاطع بذلك و هذا الغرق هنا لم يكن كذلك لأنه رأى البحر يبسا في حق المؤمنين فعلم أن ذلك لهم بإيمانهم فما أيقن بالموت بل غلب على ظنه الحياة فليس منزلته منزلة من حضره الموت فقال إِنِّي تُبْتُ الْآنَ و لا هو من الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَ هُمْ كُفَّارٌ وَ أَمْرُهُ إِلَى الله تعالى و لما قال الله له فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً كما كان قوم يونس فهذا إيمان موصول و قدم الهوية لبعيد ضميريه عليه ليلحق بتوحيد الهوية (التوحيد الثالث عشر) من نفس الرحمن هو قوله فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّما أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللهِ وَ أَنْ لا إِلهَ إِلَّا

هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ هذا توحيد الاستجابة و هو توحيد الهو و هو توحيد غريب فإن قوله فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا يعني المدعين لَكُمْ يعني الداعين فَاعْلَمُوا أَنَّما أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللهِ فالضمير في فاعلموا يعود على الداعين و هم عالمون بأنه إنما أنزل بعلم الله و لو أراد المدعين لقال فيعلموا بالياء كما قال يستجيبوا بياء الغيبة ثم قال وَأَنْ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ أي و اعلموا أنه لا إله إلا هو كما علمتم أنه إنما أنزل بعلم الله ثم قال فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ و قد كانوا مسلمين و هذا كله خطاب الداعين إن كانت هل على بابها و إن كانت هنا مثل ما هي في قوله هَلْ أَتى عَلَى الْإِنْسانِ اعتمادا على قرينة الحال فأخرجت عن الاستفهام و إلا فما هذا خطاب الداعين إلا أن يكون مثل قولهم إياك أعني فاسمعي يا جارة فالخطاب لزيد و المراد به عمرو وَلَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَفَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُنَ الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكَ و معلوم أنه مغفور له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر و هو عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ في ماله فعلمنا بقرائن الأحوال أنه المخاطب و المراد غيره لا هو و حكمة ذلك مقابلة الإعراض بالإعراض لأنهم أعرضوا عن قبول دعوة الداعين فأعرض الله عنهم بالخطاب و المراد به هم فأسمعهم في غيرهم و أما فائدة العلم في ذلك فهي إن تقول لما علم الله أن قوما لا يؤمنون ارتفعت الفائدة في خطابهم و كان خطابهم عبثا فأخبرهم الله تعالى أن نزول الخطاب بالدعوة لمن ليس يقبله في علم الله أنه إنما أنزل بعلم الله أي سبق في علم الله إنزاله فلا بد من إنزاله لأن تبدل المعلوم محال كما قال ما يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ لأنه سبق في علم الله أن تكون خمس صلوات في العمل و خمسون في الأجر فما زال يحط من الخمسين بعلم الله إلى أن انتهى إلى علم الله بإثبات الخمس فمنع النقص من ذلك و قال ما يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ و هكذا يكون الله علمه في الأشياء سابق لا يحدث له علم بل يحدث التعلق لا العلم و لو حدث العلم لم تقع الثقة بوعده لأنا لا ندري ما يحدث له فإن قلت فهذا أيضا يلزم في الوعيد قلنا كذا كنا نقول و لكن علمنا أنه ما أرسل رسولا إلا بلسان قومه و بما تواطئوا عليه من كل ما هو محمود فيعاملهم بذلك في شرعهم كذا سبق علمه وَهذا لِسانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ و مما يتمدح به أهل هذا اللسان بل هو مدح في كل أمة التجاوز عن إنفاذ الوعيد في حق المسيء و العفو عنه و الوفاء بالوعد الذي هو في الخير و هو الذي يقول فيه شاعر العرب

و إني إذا أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادي و منجز موعدي

فكان إنزال الوعيد بعلم الله الذي سبق بإنزاله و لم يكن في حق قوم إنفاذه في علم الله و لو كان في علم الله لنفذ فيهم كما ينفذ الوعد الذي هو في الخير لأن الإيعاد لا يكون إلا في الشر و الوعد يكون في الخير و في الشر معا يقال أوعدته في الشر و وعدته في الشر و الخير و قال تعالى وَما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فمما بين لهم تعالى التجاوز عن السيئات في حق من أساء من عباده و الأخذ بالسيئة من شاء من عباده و لم يفعل ذلك في الوعد بالخير فأعلمنا ما في علمه فكما هو واحد في ألوهيته هو واحد في أمره فما أنزل إلا

بعلم الله سواء نفذ أو لم ينفذ (التوحيد الرابع عشر) ن نفس الرحمن و هو قوله وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتابِ هذا توحيد الرجعة و هو توحيد الهوية أخبر أنهم يكفرون بالرحمن لأنهم جعلوا هذا الاسم إذ لم يكن عندهم و لا سمعوا به قبل هذا فلما قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمنِ قالُوا وَما الرَّحْمنُ . . . وَ زادَهُمْ هذا الاسم نُفُوراً فإنهم لا يعرفون إلا الله الذين يعبدون الشركاء ليقربوهم إلى الله زلفى و لما قيل لهم اعبدوا الله لم يقولوا و ما الله و إنما أنكروا توحيده و قد نقل إنهم كانوا يعرفونه مركبا الرحمن الرحيم اسم واحد كبعلبك و رامهرمز فلما أفرده و بغير نسب أنكروه فإنه يقال في النسب بعلي فقال لهم الداعي الرحمن هو ربي و لم يقل هو الله و هم لا ينكرون الرب و لما كان الرحمن له النفس و بالنفس حياتهم فسره بالرب لأنه المغذي و بالغذاء حياتهم فلا يفرقون من الرب و يفرقون من الله و لهذا عبدوا الشركاء ليشفعوا لهم عند الله إذ بيده الاقتدار الإلهي و الأخذ الشديد و هو الكبير عندهم المتعالي فهم معترفون مقرون به فتلطف لهم بالعبارة بالاسم الرب ليرجعوا فهو أقرب مناسبة بالرحمن قال لموسى و هارون فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشى و الترجي من الله واقع كما قالوا في عسى فإنهما كلمتا ترج و لم يقل لهما لعله يتذكر أو يخشى في ذلك المجلس و لا بد و لا خلصه للاستقبال الأخراوي فإن الكل يخشونه في ذلك الموطن فجاء بفعل الحال الذي يدخله الاحتمال بين حال الدنيا و بين استقبال التأخير للدار الآخرة و ذلك لا يكون مخلصا للمستقبل إلا بالسين أو سوف فالذي ترجى من فرعون وقع لأن ترجيه تعالى واقع فآمن فرعون و تذكر و خشي كما أخبر الله و أثر فيه لين قول موسى و هارون و وقع الترجي الإلهي كما أخبر فهذا يدلك على قبول إيمانه لأنه لم ينص إلا على ترجى التذكر و الخشية لا على الزمان إلا أنه في زمان الدعوة و وقع ذلك في زمان الدعوة و هو الحياة الدنيا و أمر نبيه أن يقول بحيث يسمعون قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ في أمركم وَإِلَيْهِ مَتابِ أي مرجعي في أمركم عسى يهديكم إلى الايمان فما أغلظ لهم بل هذا أيضا من القول اللين لتتوفر الدواعي من المخاطبين للنظر فيما خاطبهم به إذ لو خاطبهم بصفة القهر و هو غيب لا عين له في الوقت إلا مجرد إغلاظ القول لنفرت طباعهم و أخذتهم حمية الجاهلية لمن نصبوهم آلهة فأبقى عليهم و هو قوله تعالى وَما أَرْسَلْناكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ و لم يقل للمؤمنين و كان سبب نزولها أن دعا على رعل و ذكوان و عصية شهرا كاملا في كل صلاة بأن يأخذهم الله فعتبه الله في ذلك و فيه تنبيه على رحمة الله بعباده لأنهم على كل حال عباده معترفون به معتقدون لكبريائه طالبون القربة إليه لكنهم جهلوا طريق القربة و لم يوفوا النظر حقه و لا قامت لهم شبهة قوية في صورة برهان فكانوا يدخلون بها في مفهوم قوله وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلهاً آخَرَ لا بُرْهانَ لَهُ به و يريد بالبرهان هنا في زعم الناظر فإنه من المحال أن يكون ثم دليل في نفس الأمر على إله آخر و لم يبق إلا أن تظهر الشبهة بصورة البرهان فيعتقد أنها برهان و ليس في قوته أكثر من هذا (التوحيد الخامس عشر) من نفس الرحمن هو قوله يُنَزِّلُ

الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ من أَمْرِهِ عَلى من يَشاءُ من عِبادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ هذا توحيد الإنذار و هو توحيد الإنابة استوى في هذا التنزل في التوحيد رسل البشر و المرسلون إليهم فإن الملائكة هي التي نزلت بالإنذار من أجل أمر الله لهم بذلك و الروح هنا ما نزلوا به من الإنذار ليحيى بقبوله من قبله من عباده كما تحيي الأجسام بالأرواح فحييت بهذا الروح المنزل رسل البشر فأنذروا به فهذا توحيد عظيم نزل من جبار عظيم بتخويف و تهديد مع لطف خفي في قوله فَاتَّقُونِ أي فاجعلوني وقاية تدفعون بي ما أنذرتكم به هذا لطفه ليس معناه فخافوني لأنه ليس لله وعيد و بطش مطلق شديد ليس فيه شيء من الرحمة و اللطف و لهذا قال أبو يزيد و قد سمع قارئا يقرأ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ فقال بطشي أشد فإن بطش المخلوق إذا بطش لا يكون في بطشه شيء من الرحمة بل ربما ما يقدر أن يبلغ في المبطوش به ما في نفسه من الانتقام منه لسرعة موت ذلك الشخص و لما كانت الرحمة منزوعة عن بطشه قال بطشي أشد و سبب ذلك ضيق المخلوق فإنه ما له الاتساع الإلهي و بطش الله و إن كان شديدا ففي بطشه رحمة بالمبطوش به و بطش المخلوق ليستريح من الضيق و الحرج الذي يجده في نفسه بما يوقعه بهذا به المبطوش فيطلب في بطشه الرحمة بنفسه في الوقت و قد لا ينالها كلها بخلاف الحق تعالى فإن بطشه لسبق العلم بأخذ هذا المبطوش به للسبب الموجب له لا غير و المنتقم لغيره ما هو كالمنتقم لنفسه (التوحيد السادس عشر) من نفس الرحمن و هو قوله فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَ أَخْفى اللهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى هذا توحيد الأبدال فإنه أبدل الله من الرحمن و هذا في المعنى بدل المعرفة من النكرة لأنهم أنكروا الرحمن و في اللفظ بدل المعرفة من المعرفة و هو من توحيد الهوية القائمة بأحكام الأسماء الحسنى لا إن الأسماء الحسنى تقوم معانيها بها بل هي القائمة بمعاني الأسماء كما هُوَ قائِمٌ عَلى كُلِّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ كذلك هو قائم بكل اسم بما يدل عليه و هذا علم غامض و لهذا قال في هذا التوحيد يَعْلَمُ السِّرَّ وَ أَخْفى لما قال وَ إِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فالأخفى عن صاحب السر هو ما لا يعلمه مما يكون لا بد أن يعلمه خاصة و ما تسمى إلا بأحكام أفعاله من طريق المعنى فكلها أسماء حسنى غير أنه منها ما يتلفظ بها و منها ما يعلم و لا يتلفظ بها لما هو عليه حكمها في العرف من إطلاق الذم عليها فإنه يقول فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَ تَقْواها و قدم الفجور على التقوى عناية بنا إلى الخاتمة و الغاية للخير فلو أخر الفجور على التقوى لكان من أصعب ما يمر علينا سماعه فالفجور يعرض للبلاء و التقوى محصل للرحمة و قد تأخر التقوى فلا يكون إلا خيرا و قال تعالى اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ و لا يشتق له منه اسم لما ذكرناه فَلَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى في العرف و حسن غيرها مبطون مجهول في العرف إلا عند العارفين بالله و يندرج في هذا العلم بسبب الألف و اللام التي هي للشمول جميع ما ينطلق عليه اسم السر و ما هو أخفى من ذلك السر و من السر النكاح قال تعالى وَ لكِنْ لا تُواعِدُوهُنَّ سِرًّا أي نكاحا فإن الله أيضا يعلمه و إن كانت الآية تدل بظاهرها على ما يحدث المرء به نفسه لقوله وَ إِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ

فإنه يعلم ذلك و يعلم ما تحدث به نفسك و هو قوله وَنَعْلَمُ ما تُوَسْوِسُ به نَفْسُهُ و مع هذا فإن الألف و اللام لها حكم في مطلق اسم السر فيعلم ما ينتجه النكاح و هو قوله تعالى وَيَعْلَمُ ما في الْأَرْحامِ فإنه الخالق ما فيها أَ لا يَعْلَمُ من خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ لعلمه بالسر الْخَبِيرُ لعلمه بما هو أخفى و من هذه الحضرة نصب الأدلة على معرفته و جعل في نفوس العلماء تركيب المقدمات على الوجه الخاص و الشرط الخاص فأشبهت المقدمات النكاح من الزوجين بالوقاع ليكون منه الإنتاج فالوجه الخاص الرابط بين المقدمتين و هو أن واحدا من المقدمتين يتكرر فيهما ليربط بعضهما ببعض من أجل الإنتاج و الشرط الخاص أن يكون الحكم أعم من العلة أو مساويا لها حتى يدخل هذا المطلوب تحت الحكم و لو كان الحكم أخص لم ينتج و خرج عنه كقولهم كل ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث فالحادث هنا هو الحكم و المقدمة الأخرى و الأجسام لا تخلو عن الحوادث فالحوادث هو الوجه الخاص الجامع بين المقدمتين فانتج إن الجسم حادث و لا بد فالحكم أعم لأن العلة الحوادث القائمة به و الحكم كونه حادثا و ما كل حادث يقال فيه إنه لا يخلو عن الحوادث فهذا حكم أعم من العلة فالنتيجة صحيحة ثم الاستفصال في تصحيح المقدمتين معلوم الطريق في ذلك و إنما قصدنا التمثيل لا معرفة حدوث الأجسام و لا غيرها و إذا علمت أن الإيجاد لا يصح إلا على ما قررناه و هو بمنزلة السر في النكاح ينتقل إلى العلم بما هو أخفى من السر كما تنتقل مما ضربت لك به المثل إلى كون الحق أوجد العالم على هذا المساق و ظهر العالم عن ذات موصوفة بالقدرة و الإرادة فتعلقت الإرادة بإيجاد موجود ما و هو التوجه مثل اجتماع الزوجين فنفذ الاقتدار فأوجد ما أراد فكان أخفى من السر لجهلنا بنسبة هذا التوجه إلى هذه الذات و نسبة الصفات إليها لأنها مجهولة لنا لا تعرف فيعرف التوجه و الصفة من حيث عينه و عين الصفة و يجهل كيفية النسبة لجهلنا بالمنسوب إليه لا بالمنسوب فهذا توحيد الموجد للأشياء مع كثرة النسب فهو واحد في كثير فأوقع الحيرة هذا العلم في هذا المعلوم إلا لمن كشف الله عن عينه غطاء الستر فأبصر الأمر على ما هو عليه فحكم بما شاهد و اختلفوا هل يجوز وقوع مثل هذا أو لا يجوز (التوحيد السابع عشر) من نفس الرحمن هو قوله وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِما يُوحى إِنَّنِي أَنَا اللهُ لا إِلهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي هذا توحيد الاستماع و هو توحيد الإنابة و قوى بالجمع إذ قد قرئ و أنا اخترناك فكثر ثم أفرد فقال إِنَّنِي و إن كلمة تحقيق فالإنية هي الحقيقة و لما كان حكم الكناية بالياء يؤثر في صورة الحقيقة نظرت من في الوجود على صورتها فوجدت نونا من النونات فقالت لها قني بنفسك من أجل كناية الياء لئلا تؤثر في صورة حقيقتي فيشهد الناظر و السامع التغيير في الحقيقة أن الياء هي عين الحقيقة فجاءت نون الوقاية فحالت بين الياء و نون الحقيقة فأحدثت الياء الكسر في النون المجاورة لها فسميت نون الوقاية لأنها وقت الحقيقة بنفسها فبقيت الحقيقة على ما كانت عليه لم يلحقها تغيير فقال إِنَّنِي أَنَا اللهُ و لو لا نون الوقاية لقال إني أنا الله فغيرها و تغيير الحقيقة بالضمير في الآن هو مقام

تجليه في الصور يوم القيامة و ما ثم إلا صورتان خاصة لا ثالثة لهما صورة تنكر و صورة تعرف و لو كان ما لا يتناهى من الصور فإنها محصورة في هذا الحكم إما أن تنكر أو تعرف لا بد من ذلك فإذا قرئ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ كان أحق بالآية و أنسب و أنفى للتغيير فإنه ما زال التوحيد يصحبها إلى آخر الآية في قوله فَاعْبُدْنِي و إذا قرئ بالجمع ظهر التغير بالانتقال في العين الواحدة من الكثير إلى الواحد فمساق الآية يقوي و أنا اخترناك لأنه عدد أمورا تطلب أسماء مختلفة فلا بد من التغيير و التجلي في كل صورة يدعى إليها و كان جملة ما تحصل من الصور في هذه الواقعة لموسى على ما روى اثنتي عشرة ألف صورة يقول له في كل صورة يا موسى ليتنبه موسى على أنه لو أقيم لصورة واحدة لا تسق الكلام و لم يقل في كل كلمة يا موسى فاعلم ذلك فإن هذا التوحيد في هذه الآية من أصعب ما يكون لقوله و أنا اخترناك فجمع ثم أفرد ثم عدد ما كلم به موسى ع فهذا توحيد الجمع على كل قراءة غير أن قوله و أنا اخترناك قرأ بها حمزة على رب العزة في المنام فقال له ربه و أنا اخترناك فهي قراءة برزخية فلهذا جمع لأنه تجل صوري في منام فلا بد أن تكون القراءة هكذا فإذا أفردتها بعد الجمع فلأحدية الجمع لا غير (التوحيد الثامن عشر) من نفس الرحمن هو قوله إِنَّمَا إِلٰهُكُمُ اللهُ الَّذِي لا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً هذا توحيد السعة من توحيد الهوية و هو توحيد تنزيه لئلا يتخيل في سعته الظرفية للعالم من أجل الاسم الباطن و الظاهر و نفس الرحمن و الكلمات التي لا تنفد و القول فقال إن سعته علمه بكل شيء لا أنه طرف لشيء و سبب هذا التوحيد لما جاء في قصة السامري و قوله عن العجل لما نبذ فيه ما قبضه من أثر الرسول فكان العجل ظرفا لما نبذ فيه فلما خار العجل قال هذا إِلٰهُكُمْ وَإِلٰهُ مُوسى فقال الله إِنَّمَا إِلٰهُكُمُ إله واحد لا تركيب فيه وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أي هو عالم بكل شيء أكذب السامري في قوله ثم نصب لهم الدلالة على كذب السامري مع كون العجل خار فقال مثل ما قال إبراهيم في الأصنام أَفَلا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً أي إذا سئل لا ينطق و الله يكون متصفا بالقول وَلا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعاً أي لا ينتفعون به لأنه قال لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفاً و من لا يدفع الضرر عن نفسه كيف يدفع عن غيره و إذا حرقه و نسفه لم ينتفع به فإنه لو أبقاه دخلت عليهم الشبهة بما يوجد في الحيوان من الضرر و النفع و في إقامة هذه الأدلة أمور كبار قال تعالى عن اليهود إنهم قالوا يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ و قالوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِياءُ و قال إِنَّمَا قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ و أصمنا عن إدراك هذا القول إلا بطريق الايمان و أعمانا عن توجهه على إيجاد الأشياء بما نصب من الأسباب فأنزل المطر فنزل و حرثت الأرض و بذر الحب و انبسطت الشمس و طلع الحب و حصد و طحن و عجن و خبز و مضغ بالأسنان و ابتلع و نضج في المعدة و أخذه الكبد فطبخه دما ثم أرسل في العروق و انقسم على البدن فصعد منه بخار فكان حياة ذلك الجسم من أجل ذلك النفس فهذه أمهات الأسباب مع تحريك الأفلاك و سير الكواكب و إلقاء الشعاعات على مطارح الأنوار مع نظير النفس الكلية بإذن الله

مع إمداد العقل لها هذه كلها حجب موضوعة أمهات سوى ما بينها من دقائق الأسباب فيحتاج السمع إلى شق هذه الحجب كلها حتى يسمع قول كُنْ فخلق في المؤمن قوة الايمان فسرت في سمعه فأدرك قول كن و سرت في بصره فشاهد المكون للأسباب و فعل هذا كله من نفس الرحمن ليرحم بها من عبد غير الله إذا استوفى منه حقوق الشركاء الذين يتبرءون منهم يوم القيامة فإذا استوفى حقوقهم بالعقوبة و الانتقام رجع الأمر إليه على الانفراد و انقضت الأيام التي استوجب الشركاء فيها حقوقهم فلما انفرد و رجع الأمر إليه رحمهم فيما هو حق له بهذه الحجب التي ذكرناها لعلمه بما وضع و بأنه أنطق ألسنتهم بما قالوه و خلق في نفوسهم ما تخيلوه فسبحانه من حكم عدل لطيف خبير يفعل ما ينبغي كما ينبغي لما ينبغي لا إله إلا هو فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ (التوحيد التاسع عشر) من نفس الرحمن هو قوله وَما أَرْسَلْنا مِن قَبْلِكَ مِن رَسُولٍ إِلّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلّا أَنَا فَاعْبُدُونِ هذا توحيد الاقتدار و التعريف و هو من توحيد الإنابة و هو توحيد عجيب و مثل هذا يسمى التعريض أي كذا فكن أنت مثل قوله ما يُقالُ لَكَ إِلّا ما قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ و جاء بالعبادة و لم يذكر الأعمال المعينة فإنه قال لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهاجاً و ذلك تعيين الأعمال و هي التي ينتهي فيها مدة الحكم المعبر عنه بالنسخ في كلام علماء الشريعة و ما ثم من الأعمال العامة السارية في كل نبوة إلا إقامة الدين و الاجتماع عليه و كلمة التوحيد و هو قوله تعالى شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ وَما وَصَّيْنا بِهِ إِبْراهِيمَ وَمُوسى وَعِيسى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ و بوب البخاري على هذا باب ما جاء أن الأنبياء دينهم واحد و ليس إلا التوحيد و إقامة الدين و العبادة ففي هذا اجتمعت الأنبياء ع و اختصاص هذا الوحي بالأنانية دل على أنه كلام إلهي بحذف الوسائط فما أوحي إليهم منهم فإنه لا يقول إنا إلا من هو متكلم فإن قيل فقد قال إنه ينزل بمثل هذا الملائكة فهذا لا يبعد أن تأخذه الرسل من وجهين إذا نزلت به الملائكة يكون على الحكاية كما قال

سمعت الناس ينتجعون غيثا　　　فقلت لصيدح انتجعي بلالا

فرفع السين من الناس على الحكاية فلو كان هذا السامع انتجاعهم لنصب السين فهذا قوله أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لا إِلهَ إِلّا أَنَا فَاتَّقُونِ و نزلت به الملائكة و إذا ورد مثل هذا معرى عن القرائن أو النص عليه حمل على ما هو الأصل عليه فما يقول أنا إلا المتكلم ألا ترى ما ذكرناه في الحديث المتقدم إن الله يصدق عبده في موطن كما يحكي عنه في موطن فقال في التصديق إذا قال العبد لا إله إلا الله و الله أكبر صدقه ربه فقال لا إله إلا أنا و أنا أكبر فهو القائل بالأنانية لا غيره و أما حكايته ما قال فهو قوله لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنا بهذا اللفظ عينه فإن حكي على المعنى فمثل قوله عن فرعون يا هامانُ ابْنِ لِي صَرْحاً فإنه قالها بلسان القبط و وقعت الترجمة عنه باللسان العربي و المعنى واحد فهذه الحكاية على المعنى فهكذا فلتعرف الأمور إذا وردت حتى يعلم قول الله من قول ما يحكيه لفظا أو معنى كل إنسان بما هو عليه

فقول الله وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ لَما آتَيْتُكُمْ من كِتابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ به وَلَتَنْصُرُنَّهُ قالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلى ذلِكُمْ إِصْرِي قالُوا و انتهى كلام الله ثم حكى معنى قولهم مترجما عنهم أَقْرَرْنا و كذلك قوله وَإِذا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قالُوا إلى هنا قول الله آمَنَّا حكاية وَإِذا خَلَوْا إِلى شَياطِينِهِمْ قالُوا إلى هنا قول الله إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ حكاية فإذا ذكرت فاعلم بلسان من تذكر و إذا تلوت فاعلم بلسان من تتلو و ما تتلو و عمن تترجم (التوحيد العشرون) من نفس الرحمن هو قوله وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنادى فِي الظُّلُماتِ أَنْ لا إِلهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحانَكَ إِنِّي كُنْتُ من الظَّالِمِينَ هذا توحيد الغم و هو توحيد المخاطب و هو توحيد التنفيس كما نفس الرحمن عن محمد ص بالأنصار فقال إن نفس الرحمن يأتيني من قبل اليمن فكانت الأنصار التي تكونت من ذلك النفس الرحماني و هي كلمات الحق كما نفس الله عن يونس بالخروج من بطن الحوت فعامل قومه بما عاملهم به من كونه كشف عنهم العذاب بعد ما رأوه نازلا بهم فآمنوا أرضاه الله في أمته فنفعها إيمانها و لم يفعل ذلك مع أمة قبلها إذ كان غضبه لله و من أجله و ظنه بربه أنه لا يضيق عليه و كذلك فعل ففرج الله عنه بعد الضيق ليعلم قدر ما أنعم الله به عليه ذوقا كما قيل أحلى من الأمن عند الخائف الوجل فدل على أن يونس كان محبوبا لله حيث خص قومه من أجله بما لم يخص به أمة قبلها و عرفنا بذلك فقال فَلَوْ لا كانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَها إِيمانُها إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنا عَنْهُمْ عَذابَ الْخِزْيِ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَمَتَّعْناهُمْ إِلى حِينٍ فأمد لهم في التمتع في مقابلة ما نالوه من الألم عند رؤية العذاب فإنه معلوم من النفوس الإنسانية أن ليالي الأنس و الوصال قصار و إن كانت في نفس الأمر لها مدة طويلة و ليالي الهجران و العذاب طوال و إن كانت في نفس الأمر قصارى كما ذكروا في تفسير أيام الدجال أنه أول يوم كسنة لشدة فجأة البلاء يطول عليهم ثم كشهر ثم كجمعة فإذا استصحبوه كان كسائر الأيام المعلومة التي لا يطولها حال و لا يقصرها حال و كما قيل في يوم القيامة إن مقداره خمسون ألف سنة لهول المطلع و ما يرى الخلق فيه من الشدة و هو عند الآمنين الذين لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ في الامتداد كركعتي الفجر و أين زمان ركعتي الفجر من زمان خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ فلما اشتد البلاء على قوم يونس و كانت اللحظة الزمانية عندهم في وقت رؤية العذاب كالسنة أو أطول ذكر أنه تعالى جعل في مقابلة هذا الطول الذي وجدوه في نفوسهم إن متعهم إلى حين فبقوا في نعيم الحياة الدنيا زمانا طويلا لم يكن يحصل لهم ذلك لو لا هذا البلاء فانظر ما أحسن إقامة الوزن في الأمور و قد قيل إن الحين الذي جعله غاية تمتعهم أنه القيامة و الله أعلم و رأينا من رأى منهم رجلا رأينا أثر رجله في الساحل و كان أمامي بقليل فلم ألحقه فاكتلت طول قدمه في الرمل ثلاثة أشبار و ثلثي شبر و كان من قوم يونس و بعث إلينا بكلام عن حوادث تحدث بالأندلس حيث كنا سنة خمس

و ثمانين و سنة ست و ثمانين و خمسمائة فما ذكر شيئًا إلا رأيناه وقع كما ذكر فانظر في هذه العناية الإلهية بهذا النبي و ما جاء به من الاعتراف في توحيده

(التوحيد الحادي و العشرون) من نفس الرحمن فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ هذا توحيد الحق و هو توحيد الهوية قال تعالى ما خَلَقْنَا السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما لاعِبِينَ و هو قوله أَ فَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْناكُمْ عَبَثاً فلا إله إلا هو من نعت الحق فالأمر الذي ظهر فيه وجود العالم هو الحق و ما ظهر إلا في نفس الرحمن و هو العماء فهو الحق رب العرش الذي أعطاه الشكل الإحاطي لكونه بكل شيء محيطا فالأصل الذي ظهر فيه صور العالم بكل شيء من عالم الأجسام محيط و ليس إلا الحق المخلوق به فكأنه لهذا القبول كالظرف يبرز منه وجود ما يحوي عليه طبقا عن طبق عينا بعد عين على الترتيب الحكمي فأبرز ما كان فيه غيبا ليشهده فيوحده مع صدوره عنه فيحار إن عدده فما ثم غيره و إن وحده فيرى إن عينه ليس هو فأوجد طرفين و واسطة لتميز الأعيان في العين الواحدة فتعددت الصور و ما تعددت الخشبية و لا العودية فالعودية في كل صورة بحقيقتها من غير تبعيض و هذه الصورة ما هي هذه الصورة و ليس ثم شيء زائد على العودية فقيل ما ثم شيء فقال وَما خَلَقْنَا السَّماءَ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما باطِلًا ما خَلَقْناهُما إِلَّا بِالْحَقِّ قيل فأين هو قال في عين التمييز فلا أقدر على إنكار التمييز و لا أقدر أثبت سوى عين واحدة ف لا إِلهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ

(التوحيد الثاني و العشرون) من نفس الرحمن هو قوله اللهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ هذا توحيد الخبء و هو من توحيد الهوية لما كان الخبء النباتي تخرجه الشمس من الأرض بما أودع الله فيها من الحرارة و مساعدة الماء بما أعطى الله فيه من الرطوبة فجمع بين الحرارة و منفعل البرودة حتى لا تستقل الشمس بالفعل فظهرت الحياة في الحي العنصري و كان الهدهد دون الطير قد خصه الله بإدراك المياه كان يرى للماء السلطنة على بقية العناصر تعظيما لنفسه و حماية لمقامه حيث اختص بعلمه ليشهد له بالعلم بأشرف الأشياء حيث كان العرش المستوي عليه الرحمن على الماء فكان يحامي عن مقامه و وجد قوما يعبدون الشمس و هي على النقيض من طبع الماء الذي جعل الله منه كل شيء حي و علم أنه لو لا حرارة الشمس ما خرج هذا الخبء و أنها مساعدة للماء فأدركته الغيرة في المنافر فوشى إلى سليمان ع بعابديها و زاد للتغليظ بقوله من دون الله ينبهه على موضع الغيرة و الشمس و إن أخرجت خبء الأرض بحرارتها فهي تخبأ الكواكب بإشراقها و تظهر المحسوسات الأرضية بشروقها فلها حالة الخبء و الإظهار و بها حد الليل و النهار فزاحمت من يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ ما تُخْفُونَ وَما تُعْلِنُونَ فابتلى الله الماء فأصبح غورا و ابتلى الشمس فأمست آفلة ففجر العيون فأظهر خبء الماء وَفارَ التَّنُّورُ فأظهر خبء الشمس فأخرج الخبء في السموات و الأرض فوسع كُلَّ

شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فاستوى على العرش العظيم إذ حكم على فلك الشمس بدورته و على الماء باستقراره و جريته فهما في كل درجة في خبء و ظهور فوحده الظهور بظهوره و وحده الخبء بسدل ستوره فعلم سبحانه ما تُخْفُونَ وَما تُعْلِنُونَ فهو الله لا إِلهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (التوحيد الثالث و العشرون) من نفس الرحمن هو قوله وَهُوَ اللهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ هذا توحيد الاختيار و هو من توحيد الهوية لما كان العالم كلمات الله تعالى كانت نسبة هذه الكلمات إلى النفس الرحماني الطاهرة فيه نسبة واحدة فكان يعطي هذا الدليل أنه لا يكون في العالم تفاضل و لا مختار بفضل عند الله على غيره و رأينا الأمر على غير هذا خرج في الوجود عاما في الموجودات فقال تعالى وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْناهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْناهُمْ من الطَّيِّباتِ وَفَضَّلْناهُمْ عَلى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلًا و قال تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ و قال فَضَّلْنا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلى بَعْضٍ و قال وَنُفَضِّلُ بَعْضَها عَلى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ مع كونها يُسْقى بِماءٍ واحِدٍ فما ثم آية أحق بما هو الوجود عليه من التفاضل من هذه الآية حيث قال يُسْقى بِماءٍ واحِدٍ فظهر الاختلاف عن الواحد في الطعم بطريق المفاضلة و الواقع من هذا كثير في القرآن من تفضيل كل جنس بعضه على بعض حتى القرآن و هو كلام الله يفضل على سائر الكتب المنزلة و هي كلام الله و القرآن نفسه يفضل بعضه على بعض مع نسبته إلى الله أنه كلامه بلا شك فآية الكرسي سيدة آي القرآن و هي قرآن و آية الدين قرآن فما أعجب هذا السر فعلمنا من هذا أن الحكمة التي يقتضيها النظر العقلي ليست بصحيحة و أن حكمة الله في الأمور هي الحكمة الصحيحة التي لا تعقل و إن

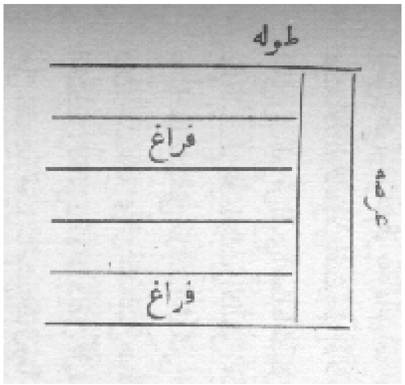

كانت لا تعلم فما تجهل لكن لا تعين بمجرد فكر و لا نظر بل يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً و لقد رأيت في حين تقييدي لهذا التوحيد الذي يعطي التفاضل واقعة عجيبة أعطيت رقا منشورا عرضه فيما يعطي البصر ما يزيد على العشرين ذراعا و أما طوله فلا أحققه و هو على هذا الشكل المصور في الهامش و هو جلد واحد جلد كبش تنظره فتراه أبيض عند القراءة و تنظر إليه في غير قراءة فتراه أخضر فإذا قرأته تراه جلدا و إذا لم تقرأه تراه شقة لا أدري حريرا أو كتانا و هو صداق أهلي فيقال لي هذا صداق إلهي لأهلك و لا أسأل عن الزوج و لا أعلم أنها خرجت عن عصمة نكاحي و أنا فارح بهذا الأمر مسرور غاية السرور ثم يؤتى بسرقة حرير خضراء تنبعث من الكتاب كأنها منه تكونت فيها ألف دينار ذهبا عينا كل دينار ثقيل لا أدري ما وزنه فيقال قسمه على أهلها خمسة دنانير لكل شخص فأول ما آخذ أنا منها خمسة دنانير عليها نور ساطع أعظم من ضياء أضوأ كوكب في السماء له شعاع و

أرى نفس ذلك الكتاب هو عين أهلي ما كتابها غيرها و أنا بكل جسمي راقد عليها متكئ فكنت أنظر إلى رقم ذلك الكتاب فأجده بخط زين الدين عبد الله بن الشيخ عبد الرحمن المعروف بابن الأستاذ قاضي مدينة حلب كتبه عن إملاء القاضي الكبير بهاء الدين بن شداد و الصداق من أوله إلى آخره مسجع الألفاظ تسجيعا واحدا على روى الراء المفتوحة و الهاء فضبطت منه بعد البسملة الحمد لله الذي جعل قرآنه و فرقانه و توراته و إنجيله و زبوره رقوم هذا الكتاب المكنون و سطوره و أودعه كل آية في الكتب و سورة و أظهره في الوجود في أحسن صوره و جعل إعلامه في العالم العلوي و السفلي مشهورة و آياته غير متناهية و لا محصورة و كلماته بكل لسان في كل زمان و غير زمان مذكوره هكذا على هذا الروي إلى آخره إن كان له آخر بخط مثل الذر فلما رددت إلى حسي وجدتني أكتب هذا الفصل من فصول التوحيد و إذا به توحيد الاختيار فعلمت أن ذلك عين هذا الفصل و أن لأهلي من هذا الفصل أوفر حظ و أعظم نصيب فلما رأينا التفاضل و الاختيار وقع في العالم حتى في الأذكار الإلهية المشروعة كما ذكرنا علمنا إن ثم أمرا معقولا ما هو عين النفس و لا هو غير النفس الذي تتكون فيه الكلمات و هي أعيان الكائنات فإذا بذلك عين المشيئة فيها ظهر هذا التفضيل في الواحد و التفضيل في المتساوي و الواحد لا يتصف بالتفضيل و المتساوي لا ينعت بالتفضيل فعلمنا أن سر الله مجهول لا يعلمه إلا هو فوجدناه توحيد الاختيار في حضرة السر لا إله إلا هو له الحمد في الأولى و هو حمد الإجمال و الآخرة و هو حمد التفصيل فتميزت المحامد في العين الواحدة فكان حمدها عينها فما أعجب مقام هذا التوحيد لمن شاهده و تعجبت من اسم أهلي في الواقعة و اسمها مريم و معنى هذا الاسم معلوم في اللسان الذي فيه سميت و هي محررة لله حاملة لروح الله محل لكلمة الله مثنى عليها بكلام الله مبرأة بشهادة ما سقط من التمر في هزها جذع النخلة اليابس و نطق ابنها في المهد بأنه عبد الله و هما شاهدان عدلان عند الله فكانت كلها لله و بالله و عن الله و لهذا غبطها زكريا نبي الله فتمنى مثلها على الله فأعطاه يحيى حصورا مثلها لم يجعل له سميا من قبل من أنبياء الله فخصه بالأولية من أسماء الله فانظر في بركة هذا الاسم في وجود الله بين عباد الله فهذا ما كان إلا من اختيار الله وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ بل هي لله و الله فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (التوحيد الرابع و العشرون) من نفس الرحمن هو قوله وَلَا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ هذا توحيد الحكم بالتوحيد الذي إليه رجوع الكثرة إذ كان عينها و هو توحيد الهوية فنهى كونه أن يدعو مع الله إلها فنكر المنهي عنه إذ لم يكن ثم إذ لو كان ثم لتعين و لو تعين لم يتنكر فدل على أنه من دعا مع الله إلها آخر فقد نفخ في غير ضرم و استسمن ذا ورم و كان دعاؤه لحما على وضم ليس له متعلق يتعين و لا حق يتضح و يتبين فكان مدلول دعائه العدم المحض فلم يبق إلا من له الوجود المحض فكل شيء يتخيل فيه أنه شيء فهو هالك في عين شيئيته عن نسبة الألوهية إليه لا عن شيئيته فوجه الحق

باق و هو ذُو الْجَلالِ وَالْإِكْرامِ و الآلاء الجسام فما دعا من دعا إلا إلى معروف فما هو الذي نكر فما هو عين ما ذكر فالحق الخالص من كان في ذاته يعلم فلا يجهل و يجهل فلا يحاط به علما فعلم من حيث إنه لا يحاط به علما و جهل من حيث إنه لا يحاط به علما فعلم من حيث جهل فالعلم به عين الجهل به فما ثم من يقبل الأضداد في وصفه إلا الله (التوحيد الخامس و العشرون) من نفس الرحمن هو قوله هَلْ من خالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ من السَّماءِ وَالْأَرْضِ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ هذا توحيد العلة و هو من توحيد الهوية لو لم يوحد بالعلة كما يوحد بغيرهما لم يكن إلها لأن من شأن الإله أن لا يخرج عنه وجود شيء إذ لو خرج عنه لم يكن له حكم فيه و قد قال وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فلا بد أن يكون له توحيد العلة و هو أن يعبد بهذا التوحيد لسبب لكون العابد في أصل كونه مفتقرا إلى سبب فلم يخرج عن حقيقته و سببه رزقه الذي به بقاء عينه فتخيله المحجوب في الأسباب الموضوعة و هو تخيل صحيح أنه في الأسباب الموضوعة لكن بحكم الجعل لا بحكم ذاتها فجاعل كونها رزقا هو الله الذي يَرْزُقُكُمْ من السَّماءِ بما ينزل منها من أرزاق الأرواح وَالْأَرْضِ بما يخرج منها من أرزاق الأجسام فهو الرازق الذي بيده هذا الرزق غير أن الحجب لما أرسلها الله على بعض أبصار عباد الله و لم يدركوا إلا مسمى الرزق لا مسمى الرازق قالوا هذا فقيل لهم ما هو هذا هو في هذا مجعول من الذي خلقكم فكما خلقكم هو رزقكم فلا تعدلوا به ما هو له و منه فأنتم و من اعتمد تم عليه سواء فلا تعتمدوا على أمثالكم فتعتمدوا على الكثرة و الاعتماد على الكثرة يؤدي إلى عدم حصول ما وقع فيه الاعتماد إذ كل واحد من الكثيرين يقول غيري يقوم له بذلك فلا يقوم له شيء فيدعوه الحال الصحيح إلى التفرغ و التجرد إلى واحد على علم من ذلك الواحد أنه تجرد إليه و تفرغ مما سواه فتعين القيام به عليه فادى إلى حصول المطلوب من وراء حجاب في حق قوم و على الشهود و الكشف في حق آخرين و هم أهل الله و خاصته (التوحيد السادس و العشرون) من نفس الرحمن هو قوله إِنَّهُمْ كانُوا إِذا قِيلَ لَهُمْ لا إِلهَ إِلَّا اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ هذا توحيد التعجب و هو توحيد الله لا توحيد الهوية فقوله يَسْتَكْبِرُونَ أي يستعظمون ذلك و يتعجبون منه كيف يصح في الكون لا إله إلا الله و الشيء لا يكون إلا على صورة واحدة و عين واحدة و الصور كثيرة مختلفة بالحد و الحقيقة و بيدها المنع و العطاء و ذلك لله أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلهاً واحِداً إِنَّ هذا لَشَيْءٌ عُجابٌ أي الكثرة في عين الواحد ما سَمِعْنا بِهذا في آبائِنَا الْأَوَّلِينَ فما أنكروه و لا ردوه بل استعظموه و استكبروه و تعجبوا كيف تكون الأشياء شيئا واحدا و استكبروا مثل هذا الكلام من مثل هذا الشخص حيث علموا أنه منهم و ما شاهد إلا ما شاهدوه فمن أين له هذا الذي ادعاه فحجبهم الحس عن معرفة النفس و الاختصاص الإلهي فامتثلوا أمر الله من حيث لا يشعرون لأنه الآمر عباده بالاعتبار و هو التعجب فقال إِنَّ في ذلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصارِ و قال فَاعْتَبِرُوا يا أُولِي الْأَبْصارِ فاعتبروا كما أمروا فهم من أولي الأبصار و قولهم إِنْ هذا إِلَّا اخْتِلاقٌ لما جاءهم التعريف بهذا على يدي

واحد منهم و لم يعرفوا العناية الإلهية و الاختصاص الرباني و الاختلاق لم يكن فيما تعجبوا منه لأنه لو أحالوه بالكلية ما تعجبوا و إنما نسبوا الاختلاق لمن جاء به إذ كان من جنسهم ومما يجوز عليه ذلك حتى يتبين لهم برؤية الآيات فيعلمون أنه ما اختلق هذا الرسول و أنه جاءه من عند الله الذي عبد هؤلاء هذه المسماة آلهة عندهم على جهة القربة إلى الله الكبير المتعالي فأنزلوهم بمنزلة الحجة للملك و أعطوهم اسمه كما يعطي اسم الولاية لكل وال و إن كان الوالي هو الله فالولاة كثيرون فكأنه أخبرهم عن الله أنه ما ولي هؤلاء الذي يعبدون بل آباؤكم نصبوهم آلهة هذا الإله الذي أدعوكم إليه تعرفونه و أنه اسمه الله لا تنكرونه و أنتم القائلون مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى فسميتموه فسموا آلهتكم فتعرفوا عند ذلك الأمر الحق بيد من هو هل هو بأيديكم أو بيدي يقول الرسول فلما عرفوا قوله و تحققوه علموا أنهم في فضيحة لأنهم إذا سموهم لم يسموهم الله و لا عقلوا من أسمائهم مسمى الله فإنهم عارفون بأسمائهم فقالوا مثل ما قال قوم إبراهيم لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ فتلك الحجة الإلهية عليهم منهم فما حاجهم إلا بهم وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ (التوحيد السابع و العشرون) من نفس الرحمن هو قوله ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ هذا توحيد الإشارة فما في الكون مشار إليه إلا هو فَأَنَّى تُصْرَفُونَ لأن الإشارة لا تقع من المشير إلا لأمر حادث عنده و إن لم يكن في عينه في نفس الأمر حادثا و لكنه يعلم أنه حدث عنده و ما يحدث أمر عند من يحدث عنده إلا و لا بد أن يجهل أمره عند ما يحدث عنده لشغله بحدوثه عنده و أثره فيه فيشير إليه في ذلك الوقت و في تلك الحالة رفيقه و هو على نوعين إذ ما له رفيق سوى اثنين إما عقله السليم و إما شرعه المعصوم و ما ثم إلا هذا لأنه ما ثم من يقول له في هذه الإشارة ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إلا أحد هذين القرينين إما العقل السليم أو الشرع المعصوم و ما عدا هذين فإنه يقول له خلاف ما قال هذان القرينان فيقول له هذا الدهر و تصرفه و يقول الآخر هذه الطبيعة و أحكامها و يقول الآخر هذا حكم الدور فيصرفه كل قائل إلى ما يراه فهو قول هذين القرينين فَأَنَّى تُصْرَفُونَ فـ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ بالقرآن وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ الخارجين عن حكم هذين القرينين وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (التوحيد الثامن و العشرون) من نفس الرحمن هو قوله شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ هذا توحيد الصيرورة و هو من توحيد الهوية و هو على الحقيقة مقام الايمان لأن المؤمن من اعتدل في حقه الخوف و الرجاء و استوت فيهما قدماه فلم يحكم فضله في عدله و لا عدله في فضله فكما تجلى في شديد العقاب تجلى في الطول الأعم المؤيد بغافر الذنب و قابل التوب و لم يجعل للشديد العقاب مؤيدا و ذلك للدعوى في الشدة فوكل إلى ما ادعاه فهو غير معان و من لم يدع فهو معان فإنها ولاية في الخلق و لأنه جاء بالشدة في العقاب و لم يجيء في الطول مثل هذه الصفة فلهذا شدد أزره بغافر الذنب و قابل التوب فأشار إلى ذوي الأفهام من عباده بإعانة ذي الطول بغافر الذنب و قابل التوب

على الشديد العقاب إلى ترك الدعوى فإن الشديد في زعمه أنه لا يقاوم و لو علم أن ثم من يقاومه ما ادعى ذلك فنبه تعالى عباده على ترك الدعوى فيكون الحق يتولى أمورهم بنفسه و عصمهم في حركاتهم و سكناتهم ليقفوا عند ذلك و يعلموا أنه الحق (التوحيد التاسع و العشرون) من نفس الرحمن هو قوله ذٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ هذا توحيد الفضل و هو من توحيد الهوية لأنه جاء بعد قوله إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ فيكون هذا التوحيد شكرا لما تفضل به الله على الناس مع قوله لَخَلْقُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ أراد في المنزلة فإن الجرم يعلمه كل أحد و لكن ما تفطن الناس لقوله تعالى أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ من كونهم ناسا و لم يقل أكبر من آدم و لا من الخلفاء فإنه ما خلق على الصورة من كونه من الناس إذ لو كان كذلك لما فضل الناس بعضهم بعضا و لا فضلت الرسل بعضهم بعضا ففضل الصورة لا يقاومها فضل فقوله لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ إذ كان الفاضل ممن له أيضا هذا الاسم و المراد بالفضل العام و الخاص فوحده بلسان العموم و الخصوص فظهر توحيد الفضل من حضرة الكرم و البذل (التوحيد الثلاثون) من نفس الرحمن هو قوله هُوَ الْحَيُّ لا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعالَمِينَ هذا توحيد الحياة و هو توحيد الكل و هو من توحيد الهوية الخالصة و الحياة شرط في كل متنفس فلهذا هذا العالم حي بما فيه من الأبخرة الصاعدة منه فتوحيد الحياة توحيد الكل فإنه ما ثم إلا حي فإنه ما ثم إلا الحق و هو المسبح نفسه بما أعطى الرحمن في نفسه من الكلام الإلهي فقال سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ فَسُبْحانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَ حِينَ تُصْبِحُونَ و ما ثم إلا العالم و ما من شيء من العالم إلا و هو مسبح بحمده و لا ثناء أكمل من الثناء بالأحدية فإن فيها عدم المشاركة فالتوحيد أفضل ثناء و هو لا إله إلا الله فلهذا قلنا إنه توحيد الحياة و توحيد الكل و هو إخلاص التوحيد لله من الله و من العالم (التوحيد الحادي و الثلاثون) من نفس الرحمن هو قوله لا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَ يُمِيتُ رَبُّكُمْ وَ رَبُّ آبائِكُمُ الْأَوَّلِينَ هذا توحيد البركة لأنه في السورة التي ذكر فيها أنه أنزله فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ و هي لَيْلَةُ الْقَدْرِ الموافقة ليلة النصف من شعبان المخصوصة بالآجال و لهذا نعت هذا التوحيد بأنه يُحْيِي وَ يُمِيتُ و هو قوله فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أي محكم فتظهر الحكم فيه التي جاءت بها الرسل الإلهيون و نطقت بها الكتب الإلهية رحمة بعباد الله عامة و خاصة فكل موجود يدركها و ما كل موجود يعلم من أين صدرت فهي عامة الحكم خاصة العلم إذ كانت الاستعدادات من القوابل مختلفة فأين نور الشمس من نور السراج في الإضاءة و مع هذا فأخذ الشمس من السراج اسمه و افتقر إليه مع كونه أضوأ منه و جعل نبيه في هذا المقام سراجا منيرا و به ضرب الله المثل في نوره الذي أنار به السموات و الأرض فمثل صفته بصفة المصباح ثم ذكر ما أوقع به التشبيه مما ليس في الشمس من الإمداد و الاعتدال مع وجود الاختلاف بذكر الشجرة من التشاجر الموجود في العالم لاختلاف الألسنة و الألوان التي جعل

الله فيها من الآيات في خلقه و ذكر المشكاة و ما هي للشمس فلنور السموات و الأرض الذي هو نور الله مشكاة يعرفها من وحده بهذا التوحيد المبارك الذي هو توحيد البركة و في هذه المشكاة مصباح و هو عين النور الذي تحفظه هذه المشكاة من اختلاف الأهواء و حكمها فيما يقع في السرج من الحركة و الاضطراب و إذا تقوت الأهواء أدى إلى طفئ السرج كذلك يغيب الحق بين المتنازعين و يخفى و يحصل فيه الحيرة لما نزلت ليلة القدر تلاحا رجلان فارتفعت فإنها لا تقبل التنازع و لما كانت الأنبياء لا تأتي إلا بالحق و هو النور المبين لذلك قال ع عند نبي لا ينبغي تنازع فلا ينازع من عنده نور ثم إن لهذا المصباح الذي ضرب به المثل زجاجة فللنور الإلهي زجاجة يعرفك هذا التوحيد ما هي تلك الزجاجة و ليس ذلك للشمس و الزجاجة تشبه الكوكب الدري فإذا كان المحل الذي ظهر فيه المصباح مشبه بالكوكب الدري الذي هو الشمس فكيف يكون قدر السراج في المنزلة و هو صاحب المنزل ثم قال في هذا السراج إنه اسْتَوْقَدَ أي يتوقد و يضيء من شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ فلا بد للنور الإلهي من حقيقة بها يقع التشبيه بالشجرة كما جاء في اختلاف الأسماء الإلهية من الضار النافع و المعز المذل و المحيي المميت و أسماء التقابل ثم إن هذه الشجرة لا شَرْقِيَّةٍ وَ لا غَرْبِيَّةٍ فوصفها بالاعتدال فلهذا كان السراج المذكور الذي وقع به التشبيه هو السراج الذي في المشكاة و الزجاجة فيكون محفوظا عن الحركة و الاضطراب لكون الشجرة لا شرقية و لا غربية فهذا كله لا يوجد في غير السراج و لا بد أن يعتبر هذا كله في النور الإلهي (التوحيد الثاني و الثلاثون) من نفس الرحمن هو قوله فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا اللهُ وَ اسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ وَ اللهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَ مَثْواكُمْ هذا توحيد الذكرى و هو توحيد الله فاعلم أن الإنسان لما جبله الله على الغفلات رحمة به فيغفل عن توحيد الله بما يطالعه في كل حين من مشاهدة الأسباب التي يظهر التكوين عندها و ليس ثمة إدراك يشهد به عين وجه الحق في الأسباب التي يكون عنها التكوين و هو لاستيلاء الغفلة و هذا الغطاء يتخيل أن التكوين من عين الأسباب فإذا جاءته الذكرى على أي وجه جاءته علم بمجيئها إنها تدل لذاتها على أنه لا إله إلا الله و أن تلك الأسباب لو لا وجه الأمر الإلهي فيها أو هي عين الأمر الإلهي ما تكون عنها شيء أصلا فلما كان هذا التوحيد بعد ستر رفعته الذكرى أنتج له أن يسأل ستر الله للمؤمنين و المؤمنات فإن لرفع الستر و وجود الكشف عند الرفع أو العلم بأنه عين الستر لا غيره لذة لا يقدر قدرها فهي من منن الله على عبده (التوحيد الثالث و الثلاثون) من نفس الرحمن هو قوله هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلهَ إِلَّا هُوَ عالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ هُوَ الرَّحْمنُ الرَّحِيمُ هذا توحيد العلم و هو من توحيد الهوية و هو توحيده من حيث التفرقة لأنه ميز بين الغيب و الشهادة و جمع بين العلم و الرحمة و هذا لا يكون إلا في العلم اللدني و هو العلم الذي ينفع صاحبه قال في عبده خضر آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا و هو قوله الرَّحْمنُ الرَّحِيمُ ثم قال وَ عَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً من قوله عالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ فعلم الرحمة يكون معه اللين و

العطف و هو الذي من لدنه و الغصن اللدن هو الرطيب وَيُؤْتِ من لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً فعظمه وَ ما أَرْسَلْناكَ و ما أرسل إلا بالعلم إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ فجعل إرساله رحمة فهو علم يعطي السعادة في لين فَبِما رَحْمَةٍ من اللهِ لِنْتَ لَهُمْ فالعلم و إن كان شريفا فإن له معادن أشرفها ما يكون من لدنه فإن الرحمة مقرونة به و لها النفس الذي ينفس الله به عن عباده ما يكون من الشدة فيهم (التوحيد الرابع و الثلاثون) من نفس الرحمن هو قوله هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ هذا توحيد النعوت و هو من توحيد الهوية المحيطة فله النعوت كلها نعوت الجلال فإن صفات التنزيه لا تعطي الثبوت و الأمر وجودي ثابت فلهذا قدم الهوية و أخرها حتى إذا جاءت نعوت السلب و حصلت الحيرة في قلب السامع منعت الهوية بإحاطتها أن يخرج السامع إلى العدم فيقول فما ثم شيء وجودي إذ قد خرج عن وجود العقل و الحس فيلحقه بالعدم فتمنعه الهوية فإن الضمير لا بد أن يعود على أمر مقرر فافهم (التوحيد الخامس و الثلاثون) من نفس الرحمن هو قوله الله لا إِلهَ إِلَّا هُوَ وَ عَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ هذا توحيد الرزايا و الرجوع فيها إلى الله ليزول عنه ألمها إذ رأى ما أصيب فيه قد حصل بيد من يحفظ عليه وجوده و لهذا أثنى الله على من يقول إذا أصابته مصيبة إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ فهم لله في حالهم و هم إليه راجعون عند مفارقة الحال فمن حفظ عليه وجوده و حفظ عليه ما ذهب منه و كان ما حصل عنده أمانة إلى وقتها فما أصيب و لا رزئ فتوحيد الرزايا أنفع دواء يستعمل و لذلك أخبر بما لهم منه تعالى في ذلك فقال أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ من رَبِّهِمْ وَ رَحْمَةٌ و الرحمة لا يكون معها ألم وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ يقول الذين تبين لهم الأمر على ما هو عليه في نفسه فسمين مصيبة في حقه لنزولها به و في حق من ليس له هذا الذوق لنزول ألمها في قلبه فيتسخط فيحرم خيرها (التوحيد السادس و الثلاثون) من نفس الرحمن هو قوله رَبُّ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا هذا توحيد الوكالة و هو من توحيد الهوية في هذا التوحيد ملك الله العالم الإنساني جميع ما خلقه له من منافعه و أمره أن يوكل الله في ذلك ليتفرغ الإنسان لما خلق له من عبادة ربه في قوله وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ و أين هذا المقام من قوله وَ أَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فجعل الإنفاق بأيديهم و الملك لله و في هذا القدر الذي أمرهم به من الإنفاق فيه أمرهم أن يتخذوه وكيلا فلا تنافر بين المقامين فالملك لله و الإنفاق للعبد بحث الأمر و ما أطلق له في ذلك و في الإنفاق أمر الله أن يوكل الله في ذلك لعلمه بمواضع الإنفاق و المصارف التي ترضي رب المال في الإنفاق فنزل الشرائع أبانت له مصارف المال فأنفق على بصيرة بنظر الوكيل فمن أنفق فيما لم يأمره الوكيل بالإنفاق فيه فعلى المنفق قيمة ما استهلك من مال من استخلفه فيه و لا شيء له فإنه مفلس بحكم الأصل فلا حكم عليه فأعطاه هذا التوحيد رفع الحكم عنه فيما أتلف من مال من استخلفه و هذا آخر تهليل ورد في القرن الذي وصل إلينا و هو ستة و ثلاثون مقاما قد ذكرناها بكمالها مبينة إلهية قرآنية ذكر الله بها نفسه و أمرنا أن نذكره بها فامتثلنا

فلما ذكرناه بها علمنا من لدنه علما و كان ذكرها رحمةمنه بنا فهذا قد أدينا العشر الواجب علينا مكملا فوقع في يد الحق فيتولى تربيته إلى وقت اللقاء و رد الأمانات إلى أهلها وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (الفصل العاشر في الذكر بالحوقلة) و هو قول لا حول و لا قوة إلا بالله و هو ذكر كل حامل بقدر ما حمل فالذاكرون به على طبقات كما أنهم في الصورة على طبقات فمن كان أكثر دخولا كان أكثر دؤبا على هذا الذكر و الذي حاز الكمال فيها كان شرطه أن لا يفتر من هذا الذكر بالقول كما أنه لا يفتر عنه بشاهد الحال و هو كل مكلف في العالم و العالم كله مكلف و ما كلف به من العالم و من العالم ما هو مجبور فيما كلف حمله و هو المعبر عنه بفرائض الأعيان و فرائض الكفاية ما لم يقم واحد به فيسقط الفرض عن الباقي و من العالم ما لم يجبر في الحمل و إنما عرض عليه فإن قبله فما قبله إلا لجهله بقدر ما حمل من ذلك كالإنسان لما عرضت عليه الأمانة وحملها كانَ لذلك ظَلُوماً لنفسه جَهُولًا بقدرها و السموات و الأرض و الجبال لما عرضت عليهن أبين أَنْ يَحْمِلْنَها وَأَشْفَقْنَ مِنْها لمعرفتهن بقدر ما حملوا فلم يظلموا أنفسهم وَلكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ فما وصف أحد من المخلوقات بظلمه لنفسه إلا الإنسان فكان خلق السموات و الأرض أَكْبَرُ من خَلْقِ النَّاسِ في المنزلة فإنهن كن أعلم بقدر الأمانة من الإنسان فبهذا كن أيضا أكبر من خلق الناس في المنزلة من العلم فإنهن ما وصفن بالجهل كما وصف الإنسان و كذلك لما أمرنا بالإتيان أمر وجوب فإن لم يجبن جيء بهن على كره ف قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ لعلمهن بأن الذي أمرهن قادر على الإتيان بهن على كره منهن فقلن أتينا طائعين فالإتيان حاصل و الطوع في معرض الاحتمال أن يكن صدقن في دعواهن فإن كان الحق القائل فما كذبا بل صدقا و إن كان القول بالواسطة فيحتمل ما قلناه فالعالم منا إذا قال لا حول و لا قوة إلا بالله يقولها على امتثال الأمر الإلهي و الاقتداء فالاقتداء قوله و إياك نستعين إذا كان الحق المتكلم و هي الاستعانة بالأسباب التي لا يمكن رفعها و لا وجود المسبب إلا بوجودها و الأمر قوله اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا على حمل هذه المشقات بلا حول و لا قوة إلا بالله انتهى الجزء العشرون و مائة

((بسم الله الرحمن الرحيم))

(الفصل الحادي عشر في الاسم الإلهي) البديع و توجهه على كل مبدع و على إيجاد العقل الأول و هو القلم و توجهه على إيجاد الهمزة من الحروف و مراتبها و توجهه على إيجاد الشرطين من المنازل و توجهه بالإمداد الإلهي النفسي بفتح الفاء الذاتي منه و الزائد و سبب زيادته قال الله تعالى بَدِيعُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ لكونهما ما خلقا على مثال متقدم و أول ما خلق الله العقل و هو القلم فهو أول مفعول إبداعي ظهر عن الله تعالى و كل خلق على غير مثال فهو مبدع بفتح الدال و خالقه مبدعه بكسر الدال فلو كان العلم تصور المعلوم كما يراه بعضهم في حد العلم لم يكن ذلك المخلوق مبدعا بفتح الدال لأنه على مثال في نفس من أبدعه أوجده عليه مطابقا له و ذلك الذي في

نفس الحق منه على قول صاحب هذا الحد للعلم لم يزل واجب الوجود في نفس الحق فلم يبتدعه في نفسه كما يفعله المحدث إذا ابتدع و لا وجد في العين إلا على الصورة التي قامت في نفس المصور لمثلها لا لها إذ ليس محلا لما يخلقه فما هو بديع و هو بديع فليس في نفسه صورة ما أبدع و لا تصورها و هذه مسألة مشكلة فإن من المعلومات ما يقبل التصور و منها ما لا يقبل التصور و هو معلوم فما حد العلم تصور المعلوم و كذلك الذي يعلم قد يكون ممن يتصور لكونه ذا قوة متخيلة و قد يكون ممن يعلم و لا يتصور لكونه لا يجوز عليه التمثل فهو تصور من خارج و لا يقبل الصورة في نفسه لما صوره من خارج لكن يعلمه و اعلم أولا أن الإبداع لا يكون إلا في الصور خاصة لأنها التي تقبل الخلق فتقبل الابتداع و أما المعاني فليس شيء منها مبتدعا لأنها لا تقبل الخلق فلا تقبل الابتداع فهي تعقل ثابتة الأعيان هذه هي حضرة المعاني المحققة و ثم صور تقبل الخلق و الابتداع تدل عليها كلمات هي أسماء لها فيقال تحت هذا الكلام أو لهذه الكلمة معنى تدل عليه و يكون ذلك المعنى الذي تتضمنه تلك الكلمة صورة لها وجود عيني ذو شكل و مقدار كلفظ زيد فهذه كلمة تدل على معنى يفهم منها و هو الذي وضعت له و هو شخص من الأناسي ذو قامة منتصبة و طول و عرض و جهات فمثل هذا يسمى معنى لهذه الكلمة فهذا المعنى يقبل الخلق و لسنا نريد بالمعاني إلا ما لا يقبل الخلق و كل ما لا يقبل الخلق فإنه لا يقبل المثل فلا يقبل المثل إلا الصورة خاصة المادية و غير المادية و أعني بالمادية المركبة و هي الأجسام على تنوع ضروبها و أعني بغير المادية كالبسائط التي لا جزء لها سوى عينها و لكنها تقبل المجاورة فتقبل التركيب فينشأ لذلك صور مختلفة إلى ما لا يتناهى فالأول منها و إن كان صورة فهو المبدع و الثاني ليس بمبدع فإنه على مثاله و لكنه مخلوق فهو بالخلق الأول بديع و بالخلق الثاني المماثل للخلق الأول خالق فأول ما خلق الله العقل أظهره في نفس الرحمن في العماء في أول درجته التي هي في نفس الإنسان المخلوق على صورة الهمزة فهي أول مبدع من حروف تنفس الإنسان و لها وجوه و أحكام مثل ما للعقل في النفس فمن ذلك الإمداد الإلهي الذي في قوله لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ و في قوله لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى وَ زِيادَةٌ و الزيادة حيث وقعت من الخير و الشر و لا تعقل الزيادة إلا بعد عقل الأصل فإذا علم مقداره علم الزائد لئلا يتخيل في الزائد أنه أصل فأقل الزيادة مثل الأصل إلى رابع درجة و ليس فوقها زيادة و كل زيادة زائدة على الزيادة مثل الأصل سواء مثاله الأصل وجود عين العقل و الزائد وجود النفس و هو على قدر العقل ثم الطبيعة و هي على قدر العقل ثم الهباء و هو على مقدار العقل ثم الجسم الكل و هو الرابع و ليس وراءه شيء إلا الصور و كذلك المد الطبيعي بمنزلة العقل مثل مد الألف من قال و شبهه فهذا سار في كل موجود فإن له من الحق إمدادا به بقاؤه فما زاد على ما به بقاؤه و ظهور عينه فلسبب آخر و لما كان العقل أول موجود جعل سببا لكل إمداد إلهي في الوجود كذلك الهمزة في النفس الإنساني أوجبت الإمداد في الصوت سواء تأخرت أو تقدمت و تنتهي الزيادة في ذلك على المد الطبيعي إلى

أربع مراتب كل زيادة على قدر الأصل التي هي الألف الطبيعية في كل ممدود مثال ذلك أامن في قراءة أبي عمرو و أاامن في قراءة ابن عامر و الكسائي و أااامن في قراءة عاصم و أااااامن في قراءة ورش و حمزة وكذلك جاء و جاء و جااء و جاااء على ما ذكرناه فهذا الإمداد الإلهي قبل الموجب له و بعده هو بحسب المعرفة بالله فمن لم يعرف الله بدليل العالم عليه كان الإمداد متقدما على العلم بالله من حيث لا يعلم العبد فهو يتقلب في نعمة الله و لا علم له بالمنعم من هو على التعين و من عرف العالم بالله كان الإمداد متأخرا لأنه علم الله فرآه قبل إمداده و إن كان علمه به من إمداده و لكن ذلك هو المد الطبيعي فالإمداد في النفس الرحماني إيجاد النعم على التضعيف بالزيادة منها وَ اللّٰهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ كما هو في النفس الإنساني مد الصوت طلبا للوصول إلى الموجب أو خروجا من عند الموجب بالإمداد الإلهي لعين الحرف المطلوب و هو العين المقصود بذلك النعيم من الكائنات كما يطلب الوصول إلى حرف الميم بالمد من أامن و إلى حرف الدال من آدم فاعلم ذلك وكذلك توجه هذا الاسم على إيجاد الشرطين من المنازل ليبين بذلك عين البروج المقدرة في الفلك الأطلس إذ ليس لها علامة تعرف بها فجعل لها هذه المنازل علامة على تلك المقادير تقطع في هذا الفلك الأطلس الجواري الخنس الكنس فيعرف بالمنازل كم قطعت من ذلك الفلك و لهذه المنازل أيضا و كل كوكب في الفلك المكوكب قطع في هذا الأطلس لكن لا يبلغ عمر الشخص الواحد إلى الشعور به و قد نقل إلينا أن بعض أهرام مصر وجد تاريخ عمله و النسر في الأسد و هو اليوم في الجدي فانظر ما مر عليها من السنين و يقول أصحاب تسيير الكواكب إن هذه الكواكب الثابتة تقطع في كل ستين سنة من الفلك درجة واحدة و نقلت عن بعضهم مائة سنة فمتى يدرك الحس انتقاله كما يدرك انتقال الجواري الخنس الكنس ثم إنا نعود إلى كلامنا في العقل الأول و منزلته في النفس الرحماني منزلة الهمزة من حروف الإنسان فنقول إن الله لما خلق الملائكة و هي العقول المخلوقة من العماء و كان القلم الإلهي أول مخلوق منها اصطفاه الله و قدمه و ولاه على ديوان إيجاد العالم كله و قلده النظر في مصالحه و جعل ذلك عبادة تكليفه التي تقربه من الله فما له نظر إلا في ذلك و جعله بسيطا حتى لا يغفل و لا ينام و لا ينسى فهو أحفظ الموجودات المحدثة و أضبطه لما علمه الله من ضروب العلوم و قد كتبها كلها مسطرة في اللوح المحفوظ عن التبديل و التحريف و مما كتب فيه فأثبته علم التبديل أي علم ما يبدل و ما يحرف في عالم التغيير و الإحالة فهو على صورة علم الله لا يقبل التبديل فلما ولاه الله ما ولاه أعطاه من أسمائه المدبر و المفصل من غير فكر و لا روية و هو في الإنسان الفكر و التفكر فإذا انفرد بذلك في نفسه كان له حكم و إذا دبر مع غيره كان له حكم يقال له في عالم الإنسان المشاورة يقول تعالى لنبيه ص آمرا وَ شاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ فحكم التدبير الذي يدبر به ولايته على أقسام سواء انفرد بالتدبير أو طلب المشاركة بحكم المشورة و السبب الموجب للمشورة كون الحق له وجه خاص في كل موجود لا يكون لغير ذلك

الموجود فقد يلقى إليه الحق سبحانه في أمر ما ما لا يلقيه لمن هو أعلى منه طبقة كعلم الأسماء لآدم مع كون الملإ الأعلى عند الله أشرف منه و مع هذا فكان عند آدم ما لم يكن عندهم و قد ذكرنا في هذا الكتاب دليل تفضيل الملإ الأعلى من الملائكة على أعلى البشر أعطاني ذلك الدليل رسول الله ص في رؤيا رأيتها و قبل تلك الرؤيا ما كنت أذهب في ذلك إلى مذهب جملة واحدة و إذا كان هذا فقد ينفرد في أمور نصبها في العالم بما هو مدبر و مفصل لا عن فكر فإنه ليس من أهل الأفكار و قد يشاركه في تدبيره عقل آخر مثل النفس الكلية التي أذكرها في الفصل الذي يلي هذا إن شاء الله فمثل هذا هو حظ المشورة في عالم الخلق و سبب ذلك توفية الألوهة ما تستحقه لما علم أن لله تعالى في كل موجود وجها خاصا يلقى إليه منه ما يشاء مما لا يكون لغيره من الوجوه و من ذلك الوجه يفتقر كل موجود إليه و إن كان عن سبب فإن قلت فقد أعلمه الله علمه في خلقه حين قال له اكتب علمي في خلقي إلى يوم القيامة قلنا الجواب على هذا من وجهين الوجه الواحد و إن علم ما يكون فمن جملة ما أعلمه به من الكون مشورته و مشاركة غيره له في تدبيره كما نعلم أن الله يعلم ما يكون من خلقه و لكنه قال وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ و أعلم من الله فلا يكون و قد جاء مثل هذا في حق الله و الوجه الآخر في الجواب و هو إنا قد علمنا إن لله في كل كائن وجها يخصه و ذلك الوجه الإلهي لا يتصف بالخلق و قال للقلم اكتب علمي في خلقي و ما قال له اكتب علمي في الوجه الذي مني لكل مخلوق على انفراده فهو سبحانه يعطي بسبب و هو الذي كتبه القلم من علم الله في خلقه و يعطي بغير سبب و هو ما يعطيه من ذلك الوجه فلا تعرف به الأسباب و لا الخلق فوقعت المشورة ليظهر عنها أمر يمكن أن يكون من علم ذلك الوجه فيلقي إليه من شاوره في تدبيره علما قد حصل له من الله من حيث ذلك الوجه الذي لم يكتب علمه و لا حصل في خلقه و لهذا قال الله لرسوله فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ يعني على إمضاء ما اتفقتم عليه في المشورة أو ما انفردت به دونهم و قوله فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ في مثل هذا ما لم يقع الفعل فإن العزم يتقدم الفعل فقيل له توكل على الله فإنه ما يدرى ما لم يقع الفعل ما يلقي الله في نفسك من ذلك الوجه الخاص الإلهي الخارج عن الخلق و هو الأمر الإلهي فإن له الخلق و الأمر فما كان من ذلك الوجه فهو الأمر و ما كان من غير ذلك الوجه فهو الخلق و كذلك جرى الأمر في حركات الكواكب فيعطي كل كوكب في الدرجة الفلكية على انفراده من الحكم ما لا يعطيه إذا اجتمع معه في تلك الدرجة كوكب آخر أو أكثر فاجتماعهم بمنزلة المشورة و عدم اجتماعهم بمنزلة ما ينفرد به فيكون عن الاجتماع ما لا يكون عن الانفراد فأَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها مما تنفرد به و مما لا تنفرد به فذلك ما يحدث من الاجتماع فإنه خارج عن الأمر الذي تنفرد به كل سماء ثم في الاجتماعات أحوال مختلفة فيكون ما يحدث بحسب اختلاف الأحوال و الأحوال هنالك في القرانات كالأغراض عندنا فكل يقول بحسب غرضه و نظره قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلى شاكِلَتِهِ ثم ينزل الأمر إلى النفس الإنساني فيكون حكم الحرف الواحد خلاف

حكمه إذا اجتمع مع غيره فالقاف في ق مفرد يدل على الأمر بالوقاية فإذا اجتمع مع لام جاء منه صورة تسمى قل فحدث للقاف أمر بالقول و أين هو من الأمر بالوقاية و كذلك لو اجتمع بحرف الميم ظهر من هذا الاجتماع صورة قم فحدث للقاف أمر بالقيام و هكذا ما زاد على حرف من حروف متصلة لإبراز كلمة أو منفصلة لإبراز كلمات فتحدث أمور لحدوث هذه

الكلمات فيقول السيد لعبده قل فيحدث في العبد القول فيقول أو قم فيقوم فيظهر من المأمور حركة تسمى قياما عن ظهور صورة ذلك الاجتماع فهكذا تحدث الكائنات في النفس الرحماني فتظهر أعيان الكلمات و هو المعبر عنها بالعالم فالكلمة ظهورها في النفس الرحماني و الكون ظهورها في العماء فبما هو للنفس يسمى كلمة و أمر أو بما هو في العماء يسمى كونا و خلقا و ظهور عين فجاء بلفظة كن لأنها لفظة وجودية فنابت مناب جميع الأوامر الإلهية كما نابت الفاء و العين و اللام الذي هو فعل في الأوزان مناب جميع الأوزان و جميع الموزونات من الأسماء و الأفعال فهي حروف وزن الكلمة و وزن عين الموجود فكن قامت مقام قل و قم و خذ و قص و اخرج و ادخل و اقترب و جميع ما يقع به الأمر فيكون إن كان أمر قيام فقيام و إن كان أمر قعود فقعود إلى جميع الأعيان فتحدث الكلمة في النفس فيحدث الكون في العماء على الميزان صلة في ذلك و هذه الصلة في أنواع ما يحدثه التدبير على الانفراد و بالمشورة في الكون فأما ما يحدث من ذلك على الانفراد و هو إذا حكم على المدبر اسمان الهيان أو خاطران في حق أصحاب الخواطر و هو في الإلهيات التردد و لا يخلو هذا المدبر في هذه الحال و غيرها من الأحوال أن يكون تحت حكم اسم إلهي من الأسماء السبعة المتحكمة في النفس و ما يظهر فيه من الكلمات و هو الاسم الجامع و النافع و العاصم و هو الواقي و السريع و الستار و هذه الخمسة الأسماء هي التي تعطي مقام العبودية في العالم و الاسم البصير و البارئ و هما اللذان يعطيان مقام الحرية في الاسم الجامع فمنه يكون الإمداد لأهل الفضائل و هم الذين يثابرون على مكارم الأخلاق و من هذا الاسم قال رسول الله ص بعثت لأتمم مكارم الأخلاق و يمد أيضا أهل الجمع و الوجود و الحماية و ترك المؤاخذة بالجرائم فيذبون عن أصحابها ما يريد بهم الاسم المنتقم و المعاقب فهو معطي الأمان و هو قوله تعالى يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا من رَحْمَةِ اللهِ و فعله أبدا لا يكون إلا فيمن هو في مقام العبودية و أما الاسم الإلهي النافع فمنه يكون الإمداد للعلماء بالله على مراتبهم و أكثر ما يكون إمداده فيهم في علماء الأرواح و هو قوله تعالى أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً من أَمْرِنا ما كُنْتَ تَدْرِي ما الْكِتابُ وَ لَا الْإِيمانُ وَ لكِنْ جَعَلْناهُ نُوراً أي نور هداية و يمد أيضا أهل الجود من أصناف الكرماء خاصة و هم الذين يجودون بالعطاء قبل السؤال من كل ما يقع به المنفعة للمعطي إياه و هو مختص العطاء و إمداد هذا الاسم بالذين أقامهم الله في مقام العبودية و العبودة فإن رجال الله على إحدى حالتين إما حال عبودية أو حال حرية و قد تقدم لك باب العبودية و باب الحرية في هذا الكتاب و أما

الاسم الواقي فهو الاسم العاصم من أمر الله فمنه يكون الإمداد للصديقين و أصحاب الأسرار و أهل النظر و الأفكار في مباحثهم في المناظرات لاستخراج الفوائد في مجالس أهل الله من غير منازعة و لا يمد هذا الاسم إلا لأرباب مقام العبودية و أهل الاستكفاء بالله و هم المتوكلون على الله توكل لعبد على سيده لا توكل الابن على أبيه و لا الميت على غاسله و لا الأجير على من آجره و لا توكل الموكل على وكيله و أما الاسم السريع فإنه مثل الواقي في أنه لا يمد إلا أهل هذا التوكل الخاص و من هو في مقام العبودية و يكون إمداده للمنفقين بالخلف و هو قوله تعالى وَما أَنْفَقْتُمْ من شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ و يمد أيضا أهل البقاء لأهل الفناء و عنه يأخذون و إليه يلجئون و أما الاسم الستار و هو الغفار و الغفور و الغافر فهو في الإمداد مثل السريع و الواقي في العبد و المتوكلين و من هذا الاسم يكون الإمداد لأهل الاكتساب و القائلين بالأسباب مع الاعتماد على الله غير أنهم و إن اعتمدوا على الله فما في ظاهرهم الاكتفاء بالله و هكذا كل ذي سبب و إن كان من المتوكلين فما كل متوكل يظهر منه الاكتفاء بالله في ظاهره و هذا الاسم يمد أيضا أصحاب المنازل و المنازلات و لهم أبواب في هذا الكتاب نحوا من مائتي باب ترد فيما بعد إن شاء الله و أما الاسم الباري فمنه يكون الإمداد للاذكياء المهندسين أصحاب الاستنباطات و المخترعين الصنائع و الواضعين الأشكال الغريبة عن هذا الاسم يأخذون و هو الممد للمصورين في حسن الصورة في الميزان و أعجب ما رأيت من ذلك في قونية من بلاد يونان في مصور كان عندنا اختبرناه و أفدناه في صنعته من صحة التخيل ما لم يكن عنده فصور يوما حجلة و أخفى فيها عيبا لا يشعر به و جاء بها إلينا ليختبرنا في ميزان التصوير و كان قد صورها في طبق كبير على مقدار صورة الحجلة في الجرم و كان عندنا بازي فعند ما أبصرها أطلقه من كان في يده عليها فركضها برجله لما تخيل أنها حجلة في صورتها و ألوان ريشها فتعجب الحاضرون من حسن صنعته فقال لي ما تقول في هذه الصورة فقلت له هي على غاية التمام إلا أن فيها عيبا خفيا و كان قد ذكره للحاضرين فيما بينه و بينهم فقال لي و ما هو هذه أوزانها صحيحة قلت له في رجليها من الطول عن موازنة الصورة قدر عرض شعيرة فقام و قبل رأسي و قال بالقصد فعلت ذلك لأجربك فصدقه الحاضرون و قالوا إنه ذكر ذلك لهم قبل أن يوقفني عليها فتعجبت من وقوع البازي عليها و طلبه إياها و يمد أيضا هذا الاسم أرباب الجود في وقت المسغبة خاصة لا المنفقين على الإطلاق من غير تقييد و هذاالاسم لا ينظر من الرجال إلا لمن أقيم في مقام الحرية ما بينه و بين من أقيم في العبودية إمداد و أما الاسم البصير فإنه يمد أهل الحرية و العبودة و إمداد أهل الحرية أكثر و نظره إليهم أعظم و هذا الاسم و الاسم الباري يمدان أهل الفصاحة و العبارات و لهما إعجاز القرآن و حسن نظم الكلام الرائق هذا لهذين الاسمين و يمد هذا الاسم البصير أصحاب المنازل و المنازلات في بصائرهم و هم الذين تعملوا في اكتسابها الذين أكلوا من تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ما أنزلوها بطرق العناية من غير عمل لأن أهل هذا المقام على

نوعين فطائفة نزلت هذه المنازل عن تعمل و اكتسبتها و طائفة نزلتها بالإنزال الإلهي عناية من غير تعمل و لا تقدم عمل بل باختصاص إلهي و يمد أيضا هذا الاسم أهل التفرقة و هم الذين يميزون ما تعطيه أعيان المظاهر في الظاهر باستعداداتها و هو مقام عجيب لا يعرفه أكثر أهل التفرقة و أكثر علم أهل التفرقة العلم بمعاني الأسماء الإلهية من حيث معانيها لا من وجه دلالتها على الذات فهذا حصر ما تعطيه هذه الأسماء و حصر من تعطيه و منتهى العالم في هذا الباب الذي شاهدناه كشفا ألفا من العالمين لا زائد على ذلك و الذي شاهدناه ذوقا وجاريناهم قدما بقدم و سابقناهم و سبقناهم في حضرتين حضرة النكاح و حضرة الشكوك ستة عشر عالما من ثماني حضرات و باقي العالم كشفا و تعريفا لا ذوقا فدخلنا في كل ما ذكرناه في هذه الإمدادات الإلهية ذوقا مع عامة أهل الله و زدنا عليهم باسم إلهي و هو الآخر أخذنا منه الرئاسة و روح الله الذي يناله المقربون من قوله تعالى فَأَمَّا إِنْ كانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَ رَيْحانٌ وَ جَنَّةُ نَعِيمٍ و نلت هذه المقامات في دخولي هذه الطريقة سنة ثمانين و خمسمائة في مدة يسيرة في حضرة النكاح مع أهل الصفاء و في حضرة الشكوك مع أهل القهر و الغلبة من أجل الاختلال في الشروط و هي المواثيق التي أخذت على العالم بالله فمنا من غدر و منا من وفى فكنا ممن وفى بحمد الله و هذه علوم غريبة و أذواق عزيزة لقينا من أربابها رجالا بالمغرب و رجالا بالإسكندرية و رجلين أو ثلاثة بدمشق و رجلا بسيواس كان قد نقصه من هذا المقام شيء قليل فعرضه علينا فأتممناه له حتى تحقق به في زمان يسير و كان غريبا لم يكن من أهل البلاد كان من أهل أخلاط و لكل طائفة ممن ذكرنا ممن هم تحت إحاطة هذه الأسماء الإلهية التميز في ثلاث حضرات حضرة عليا و حضرة وسطي و حضرة سفلي و حضرة مشتركة فلا تخلو هذه العقول المدبرة أن تكون في إحدى هذه الحضرات في زمان مرور الخواطر عليها أو الأسماء المتقابلة أو المتقاربة فالمتقابلة كالضار و النافع أو المعز و المذل أو المحيي و المميت و مثل المقاربة كالعليم و الخبير أو القدير و القاهر أو الكبير و العظيم و ما جرى هذا المجرى في عالم الخلق و الأمر و ها أنا إن شاء الله أذكر ما يحدث من حكم ذلك كله في العالم تفصيل أما تفصيل ما ذكرناه فهو أن نقول بعد أن تعلم أن كل من ذكرنا من هؤلاء الطبقات فإنما هم أهل الأنفاس خاصة من أهل الله لا غيرهم إن المدبر من عالم الأنفاس إذا أراد تنفيذ أمر ما برزخي يطلب تنفيذه حكمين و الأمر واحد فإن الاسم الجامع و النافع و البصير و القائلين بالجود على مسغبة ينظرون إلى الحكم الأسهل فيحكمون به على ذلك الأمر و العلماء بالله يجعلون التوحيد بين الحكمين و يحكم بالأسهل من الحكمين و أما الباري و السريع و الواقي و الغفور فإنهم يسلكون طريق التحقيق في ذلك فيعطي كل حكم حقه لا يراعى جانبا دون جانب و لا يحكمون بذلك إلا المكملون من رجال الله فإن كان أحد الحكمين برزخيا و الآخر سفليا فالاسم الجامع و النافع و البصير يحكمون بما فيه رفع الحرج غير أن الاسم البصير و أهل الجود يجعلان التوحيد بين الحكمين

حتى يرفعان الاشتراك و بقية الأسماء السبعة و جميع الطبقات الخا رجين عن طبقات هؤلاء الأسماء الثلاثة يسلكون مسلك الاعتدال فيوفون الحقوق على ما تعطي المراتب مثال الأول البرزخى أن ترى الحق في صورة يدركها الحس فالمحققون يعطون الألوهية حقها و يعطون الحضرة التي ظهر الحق فيها بهذه الصورة حقها و الطائفة الأخرى تحكم على الحق بالصورة و تقول لولا أنه على حقيقة تقبلها ما صح أن يظهر بها إذ لم تكن غيره في وقت التجلي و أما الذين جعلوا التوحيد بين الحكمين فقالوا الحق على ما هو عليه في نفسه و هذه الصورة ظهرت بالحق لا إن الحق ظهر بها و جعلوا التوحيد فاصلا بين الحق و الصورة و هكذا في الحالة الثانية و مثال ذلك في الحالة الثانية هو تجلى من يقول في رؤيته جميع الأكوان ما رأيت إلا الله من حيث إن البرزخ لا يتعين فيه الصور إلا من عالم الطبيعة و هو المحسوس و الحكم كما قررناه فإن كان الأمر بين حكم برزخي و صورة عليا كرؤية الحق في صورة ملك فالجامع و البصير و النافع يرفعون الحرج فيما وقع فيه التشبيه و يوفون حق أحد الحكمين و هو الحكم الذي يلي جانب العزة و أصحاب الجود الإلهي يعتبرون التوحيد فيبرزونها مع رفع الحرج فالتوحد مثل قوله لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ و رفع الحرج تمام الآية وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ مرتبة أخرى إذا ظهر أمران الهيان في صورتين مختلفتين و الأمران برزخيان فالحكم الإلهي في ذلك و هو أن ترى صورة الحق في البرزخ و صورة الملك في البرزخ على صورة إنسيين كصورة موسى و هارون مثلا أو ترى الحق في صورة شخصين معا في رؤيا واحدة في عالم البرزخ مثل أن ترى الحق في صورة شاب و شيخ في حال واحدة و لا شك إنها الحق ليس غيره فحكم العلم من العلماء بالله و أهل الجود الإلهي في هذه الواقعة أن هذا إمداد إلهي لهذه الصورة التي ظهر فيها الحق و أهل الجود أيضا و الفضلاء أصحاب الزيادات من العلم الإلهي مع الاسم البصير من الأسماء الإلهية يزيلون الحق ب لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ و يتأولون الصورة بما يليق بها و ما بقي من الأسماء الإلهية و الطبقات من أهل الله أرباب المقامات و التحقيق يتركون الحق حقا بما يليق به و الصورة صورة بما يليق بها و هو الأولى عندي مرتبة أخرى نبي من الأنبياء كعيسى روح الله و كلمته يظهر حقا من كونه كلمة الله و ظهر ملكا من كونه روح الله فالحكم في هذه الواقعة عند العلماء بالله و أهل الجود من أهل الله يلحقون الملك بذلك النبي و ينزهون الحق عن تلك الصورة و أما الراسخون في العلم و هم أهل الزيادات و يوافقهم أيضا أهل الجود الإلهي يقولون الجناب الإلهي أقبل للصور من العالم فيلحقون بصورة ذلك النبي و يبقون صورة الملك على ما هي عليه لا يتأولونها و لا سيما في عيسى فإنه تمثل لأمه بشرا سويا حين أعطاها عيسى و أما الاسم الإلهي البصير فإنه يسقط صورة الحق من ذلك تنزيها و يبقى ما بقي على حاله مرتبة أخرى ملك من الملائكة ظهر في صورة محسوسة و ظهر في مقام حق و قال أنا الحق كما سمع موسى الخطاب من الشجرة إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فحكم العلماء العارفون و أهل الجود الإلهي يقولون في الصورة المحسوسة إنها ملك و في مقام الحق أنه حق

و أما أهل الزيادات من العلماء بالله و أهل الجود الإلهي يوافقونهم على حكمهم أيضا يحكمون على الحق بالملكية و الاسم البصير الإلهي يسقط بحكمه الحق من أجل ما دخله من التشبيه و يبقى ما بقي على ما هو عليه و جميع أهل الله يقولون لما كان الحق يقبل الصور لم يبعد على الصور أن تدعى فيه و تقول أنا الحق فالذي يعتمد عليه في هذه المسألة أن يعطي الحق من جهة الشرع حقه لا من جهة العقل و يعطي الحس حقه و يعطي الملك حقه و مع هذا فلا بد عند غير المحققين أن يصحبوا التوحيد بين الحكمين مخافة الاشتراك و المحقق لا يبالي فإنه قد عرف ما ثم مرتبة أخرى إذا كانت إحدى الصورتين علوية و الأخرى برزخية فالأسماء الثلاثة الجامع و البصير و النافع يرفعون الحرج في الصورة البرزخية و غيرها و لا يعطون كل ذي حق حقه من الصورتين و اعلم أن جميع ما ذكرناه هو حكم العقل في الأمور فتارة يعطي التشديد فيها و تارة يعطي اليسر فيها و تارة يعطي كل ذي حق حقه فيكون في كل حكم بحسب ما يتجلى له الحق فيه سواء كان ذلك في الإلهيات أو في الطبيعيات أو فيما تركب منهما في الجمع و الفرق و الفناء و البقاء و الصحو و السكر و الغيبة و الحضور و المحو و الإثبات إفصاح بما هو الأمر عليه اعلم أن الأمر حق و خلق و أنه وجود محض لم يزل و لا يزال و إمكان محض لم يزل و لا يزال و عدم محض لم يزل و لا يزال فالوجود المحض لا يقبل العدم أزلا و أبدا و العدم المحض لا يقبل الوجود أزلا و أبدا و الإمكان المحض يقبل الوجود لسبب و يقبل العدم لسبب أزلا و أبدا فالوجود المحض هو الله ليس غيره و العدم المحض هو المحال وجوده ليس غيره و الإمكان المحض هو العالم ليس غيره و مرتبته بين الوجود المحض و العدم المحض فبما ينظر منه إلى العدم يقبل العدم و بما ينظر منه إلى الوجود يقبل الوجود فمنه ظلمة و هي الطبيعة و منه نور و هو النفس الرحماني الذي يعطي الوجود لهذا الممكن فالعالم حامل و محمول فبما هو حامل هو صورة و جسم و فاعل و بما هو محمول هو روح و معنى و منفعل فما من صورة محسوسة أو خيالية أو معنوية إلا و لها تسوية من جانب الحق و تعديل كما يليق بها و بمقامها و حالها و ذلك قبل التركيب أعني اجتماعها مع المحمول الذي تحمله فإذا سواها الرب بما شاءه من قول أو يد أو يدين أو أيد و ما ثم سوى هذه الأربعة لأن الوجود على التربيع قام و عدله و هو التهيؤ و الاستعداد للتركيب و الحمل تسلمه الرحمن فوجه عليه نفسه و هو روح الحق في قوله فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِن رُوحِي و هو عين هذا النفس قبلته تلك الصورة و اختلف قبول الصور بحسب الاستعداد فإن كانت الصورة عنصرية و اشتعلت فتيلتها بذلك النفس سميت حيوانا عند ذلك الاشتعال و إن لم يظهر لها اشتعال و ظهر لها في العين حركة و هي عنصرية سميت نباتا و إن لم يظهر لها اشتعال و لا حركة أعني في الحس و هي عنصرية سميت معدنا و جمادا فإن كانت الصورة منفعلة عن حركة فلكية سميت ركنا و هي على أربع مراتب ثم انفعلت عن هذه الأركان صورة مسواة معدلة سميت سماء و هي على سبع طبقات فوجه الرحمن عز و جل نفسه على هذه الصور فحييت

حياة لا يدركها الحس و لا ينكرها الايمان و لا النفس و لذلك لم يقبل الاشتعال فكل موضع كان في هذه السموات قبل الاشتعال سمي نجما فظهرت النجوم و تحركت أفلاكها بها فكانت كالحيوان فيما اشتعل منها و كالنبات فيما تحرك منها و إن كانت الصورة عن حركة معنوية و قوة عملية و توجه نفسي سميت جسما كلا و عرشا و كرسيا و فلكا فلك برج و فلك منازل و توجه الرحمن بنفسه على هذه الصور فما قبل منها الاشتعال سمي نجوما و هي له كالحدق في وجه الإنسان و ما لم يقبل الاشتعال سمي فلكا فإن كانت الصورة عقلية انبعثت انبعاثا ذاتيا عن عقل مجرد تطلب باستعدادها ما تحمله توجه الرحمن عليها عند تسويتها التي سواها ربها بنفسه فما اشتعل منها سمي نور علم و ما تحرك منها و لم يشتعل سمي عملا و الذات الحاملة لهاتين القوتين نفسا فإن كانت الصورة الإلهية فلا تخلو إما أن تكون جامعة فهي صورة الإنسان أو غير جامعة فهي صورة العقل فإذا سوى الرب الصورة العقلية بأمره و صور الصورة الإنسانية بيديه توجه عليهما الرحمن بنفسه فنفخ فيهما روحا من أمره فأما صورة العقل فحملت في تلك النفخة بجميع علوم الكون إلى يوم القيامة و جعلها أصلا لوجود العالم و أعطاه الأولية في الوجود الإمكانى و أما صورة الإنسان الأول المخلوق باليدين فحمل في تلك النفخة علم الأسماء الإلهية و لم يحملها صورة العقل فخرج على صورة الحق و فيه انتهى حكم النفس إذ لا أكمل من صورة الحق و دار العالم و ظهر الوجود الإمكانى بين نور و ظلمة و طبيعة و روح و غيب و شهادة و ستر و كشف فما ولي من جميع ما ذكرناه الوجود المحض كان نورا و روحا و ما ولي من جميع ما ذكرناه العدم المحض كان ظلمة و جسما و بالمجموع يكون صورة فإن نظرت العالم من نفس الرحمن قلت ليس إلا الله و إن نظرت في العالم من حيث ما هو مسوى و معدل قلت المخلوقات وَما رَمَيْتَ من كونك خلقا إِذْ رَمَيْتَ من كونك حقا وَلكِنَّ اللهَ رَمى لأنه الحق فبالنفس كان العالم كله متنفسا و النفس أظهره و هو للحق باطن و للخلق ظاهر فباطن الحق ظاهر الخلق و باطن الخلق ظاهر الحق و بالمجموع تحقق الكون و بترك المجموع قيل حق و خلق فالحق للوجود المحض و الخلق للإمكان المحض فما ينعدم من العالم و يذهب من صورته فمما يلي جانب العدم و ما يبقى منه و لا يصح فيه عدم فمما يلي جانب الوجود و لا يزال الأمران حاكمين على العالم دائما فالخلق جديد في كل نفس دنيا و آخرة فنفس الرحمن لا يزال متوجها و الطبيعة لا تزال تتكون صورا لهذا النفس حتى لا يتعطل الأمر الإلهي إذ لا يصح التعطيل فصور تحدث و صور تظهر بحسب الاستعدادات لقبول النفس و هذا أبين ما يمكن في إبداع العالم وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (الفصل الثاني عشر) من هذا الباب في الاسم الإلهي الباعث و توجهه على إيجاد اللوح المحفوظ و هو النفس الكلية و هو الروح المنفوخ منه في الصور المسواة بعد كمال تعديلها فيهبها الله بذلك النفخ أية صورة شاء من قوله فِي أَيِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَكَّبَكَ و توجهه على إيجاد الهاء من الحروف و هاء الكنايات و توجهه على إيجاد البطين من المنازل المقدرة

اعلم أن هذه النفس هي اللوح المحفوظ و هو أول موجود انبعاثي و أول موجود وجد عند سبب و هو العقل الأول و هو موجود عن الأمر الإلهي و السبب فله وجه إلى الله خاص عن ذلك الوجه قبل الوجود و هو و كل موجود في العالم له ذلك الوجه سواء كان لوجوده سبب مخلوق أو لم يكن و اعلم أن الأسباب منها خلقية و منها معنوية نسبية فالأسباب الخلقية كوجود مخلوق ما على تقدم وجود مخلوق قبله له إلى وجوده نسبة ما بأي وجه كان إما بنسبة فعلية أو بنسبة بخاصية لا بد من ذلك و حينئذ يكون سببا و إلا فليس بسبب و قد يكون ذلك الأثر في غير مخلوق كقوله أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ فالسؤال سبب في وجود الإجابة كان المجيب ما كان و من هذه الحقيقة نزل قوله تعالى ما يَأْتِيهِمْ من ذِكْرٍ من رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ أي أحدثت بعض هذه الأمور السؤالات و أما السبب المعنوي فهو من جهة المسبب بفتح الباء اسم مفعول و من المسبب اسم فاعل فمن جهة المسبب اسم المفعول استعداده لقبول الأثر فيه إذ لو لم يكن فيه استعداد لما وقع فيه الأثر فذلك الاستعداد أمنع من المحال فما يكون و مع هذا فله استعداد في قبول الفرض فيه فلهذا نفرض المحال في بعض المسائل و إن كان لا يقبل الوجود لنستخرج من ذلك الفرض علما لم يكن عندنا فلو لا استعداده لقبول الفرض ما تمكن للعقل أن يفرضه فالممكن أقبل لعين الوجود و السبب الذي من جهة المسبب اسم فاعل فما ذكر الله تعالى إِنَّما قَوْلُنا فأثبت عينه و قوله إِذا أَرَدْناهُ فأثبت الإرادة و التعلق بالمراد فلا بد من هذا شأنه أن يكون عالما حيا له اقتدار على ما يريد تكوينه فهذه كلها استعدادات نسبية معنوية إلا العين الذي هو المسبب فإنه سبب وجودي لا يكون علة لكن هو شرط و لا بد و لما خلق الله هذا العقل الأول قلما طلب بحقيقته موضع أثر لكتابته فيه لكونه قلما فانبعث من هذا الطلب اللوح المحفوظ و هو النفس فلهذا كانت أول موجود انبعاثي لما انبعثت من الطلب القائم بالقلم و لم يكن في القوة العقلية الاستقلال بوجود هذا اللوح فتأيد بالاسم الباعث و بالوجه الخاص الذي انبعثت عنه هذي النفس فالقى العقل إليها جميع ما عنده إلى يوم القيامة مسطرا منظوما و هو موجود ثالث بين اللوح و القلم مرتبته و بعد اللوح وجوده و جعل الله في القلم الإلقاء لما خلق فيه و جعل في اللوح القبول لما يلقى إليه فكان ما ألقى إليه و ما ضمه اللوح من الكلمات المخلوقة في ذات القلم و اللوح بعد فراغه من الكتابة مائتي ألف آية و تسعا و ستين ألف آية و مائتي آية و هو ما يكون في الخلق إلى يوم القيامة من جهة ما تلقيه النفس في العالم عند الأسباب و أما ما يكون من الوجوه الخاصة الإلهية في الموجودات فذلك يحدث وقت وجوده لا علم لغير الله به و لا وجود له إلا في علم الله و هذا جميع ما حصله العقل من النفس الرحماني من حيث ما كلمه به ربه تعالى كما كلم موسى ربه باثنتي عشرة ألف كلمة في كل كلمة يقول له يا موسى و صورة التلقي الإلهي للعقل تجل رحماني عن محبة من المتجلي و المتجلي له و من هذا المقام جعل الله بين الزوجين المودة و الرحمة ليسكن إليها و جعل الزوجة مخلوقة من عين الزوج و نفسه كما قال وَ من آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ من أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً لِتَسْكُنُوا

إِلَيها وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَ رَحْمَةً إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ أي علامة و دليلا لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ فيعلمون أنه الحق و فائدة هذا التفكر أن الإنسان إذا تزوج بالمرأة و وجد السكون إليها و جعل الله بينهما المودة و الرحمة علم أن الله يريد التحامهما فإذا ارتفع السكون من أحدهما إلى صاحبه أو منهما و زالت المودة و هي ثبوت هذا السكون و بهذا سمي الحب ودا لثبوته و تسمى بالودود لثبوت حبه من أحب من عباده و زالت الرحمة من بينهما أو من أحدهما بصاحبه فأعرض عنه فيعلم أن الله قد أراد طلاقهما فيبادر لذلك فيفوز عند الله بهذا المقام فإن لج و عاند يحرم القرب الإلهي فإن الحضرة الإلهية لا تقبل اللجاج و المعاندة و قد ثبت في الشرع ما ثبت و ما يعرف ما قلناه إلا أهل التفكر من عباد الله فإن الله ما جعله آية إلا لهم فجعل سبحانه سبب حصول هذه العلوم في ذات العقل التجلي و منه تلقى ذلك و كان سبب التجلي الحب فإنه أصل سبب وجود العالم و السماع سبب كونه و قد بينا هذا في باب السماع و المحبة و أما صورة تلقي النفس ما عندها من العلوم فهو على وجهين هي و كل موجود عن سبب و يختلف باختلاف تنوع الأسباب الوجه الواحد إذا كان التلقي لكل موجود عند سبب من وجهه الخاص به فلا يكون إلا عن تجل إلهي سواء علمه المتجلي له أو لم يعلمه فإن علمه كان من العلماء بالله و إن لم يعلمه كان من أهل العناية و هو لا يشعر إنه معتنى به فإن أكثر الناس لا يعلمون حديث هذا الوجه الخاص و لا يعرفونه فإنه علم خاص لا يعطيه الله إلا لمن اختصه و اصطنعه لنفسه من عباده و أما الوجه الآخر من التلقي فهو ما يستفيده من السبب و لا تحصى طرقه فإن الأسباب مختلفة فأين سببية العقل فيما يظهر على النفس من توجهه و تلقيها من سببية السماء فيما يظهر على الأرض من النبات من توجهها عليها بما تلقيه من الغيث فيها و تلقيها لذلك و لكل حركة فلكية و نظر كوكب في العالم العلوي و إمداد الطبيعة كل ذلك أسباب لوجود زهرة تظهر على وجه الأرض أين هذا من توجه سببية العقل فلهذا قلنا ما تنحصر أسبابه مع كونها منحصرة في نفس الأمر فمن النفس إلى آخر ركن في العالم و بعض المولدات ما بين النفس و آخر ركن من الأفلاك و الكواكب و الحركات في وجود عين تلك الزهرة و الورقة أثر و حكم عن أمر إلهي قد يعلمه السبب الحادث و قد لا يعلمه و هي أسباب ذاتية كلها و منها عرضية كإلقاء المدرس الدرس على الجماعة فهذا من الأسباب العرضية و هو كل ما كان للسبب فيه إرادة و ما عدا ذلك فهو ذاتي فالعلاقة التي بين الأسباب و المسببات لا تنقطع فإنها الحافظة لكون هذا سببا و هذا مسببا عنه و لما أوجد الله هذه النفس الكلية من نفس الرحمن بعد العقل كوجود الهاء بعد الهمزة أو الهمزة بعد الهاء في النفس الإنساني المخلوق على الصورة فهو في النفس الرحماني نفس كلية و في النفس الإنساني هاء و ضمير و كناية فهي تعود من حيث ما هي ضمير على من أوجدها فإنها عين الدلالة عليه فافهم فإن الدلالة لا تكون إلا في الثاني فإنه يطلب الأول و ليس الأول يطلب الثاني بحكم الدلالة و لهذا قال رسول الله ص من عرف نفسه عرف ربه و هو الثاني فإنه

موضع الدلالة و قال في الأول فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ فنزهه عن الدلالة و لهذا لا يصح أن يكون علة و إليه الدلالة بقوله ص كان الله و لا شيء معه فهو غني عن الدلالة و في هذه الرتبة أوجد الله البطين من المنازل التي تنزلها الجواري و الكواكب البطيئة الحركة و أعطى الله هذه النفس قوتين قوة علمية و قوة عملية فبالقوة العلمية تظهر أعيان الصور و بالقوة العلمية تعلم المقادير و الأوزان و من الوجه الخاص يكون القضاء و القدر لهذا و لا يعرف ذلك إلا بعد وقوعه إلا من عرفه الله بذلك فحكم القضاء و القدر لا يعرف إلا بما ذكرناه بخلاف المقادير و الأوزان فإن ذلك في علم النفس و نسبة هذه النفس إلى كل صورة في العالم نسبة واحدة من غير تفاضل إلا أن الصور تقبل من ذلك بحسب استعداداتها التي هي عليها في ذاتها فيظهر التفاضل و أما هناك فلا تفاضل إلا بينها و بين العقل و لما بينت لك حصر الآيات في الكلام الإلهي الظاهرة في النفس الرحماني كالآيات في القرآن العزيز و في الكتب المنزلة و الصحف المرسلة فإن لها سورا تجمع تلك الآيات و تفصل بعضها من بعض كما جاءت سور القرآن و هي منازله المعلومة الجامعة للآيات كما الآيات جامعات للكلمات كما الكلمات جامعة للحروف كما هي الحروف ظروف المعاني فسور هذه الآيات عشر سور من غير زيادة و لا نقصان فمنها سورة الأصل و هي السورة التي تتضمن كل آية تدل على عين قائمة بنفسها في العالم الحاملة غيرها السورة الثانية سورة المحمول و هي تتضمن كل آية تدل على عين لا تقوم بنفسها بل تفتقر إلى محل و عين يظهر وجودها بذلك المحل و قد تكون تلك العين لازمة و قد تكون عرضية على قدر ما تعطيه حقيقتها و السورة الثالثة سورة الدهر و الرابعة سورة الاستواء و له أصلان الأصل الأول ظرفية العماء و الأصل الثاني ظرفية العرش فالأول ظرفية المعاني و الثاني ظرفية السور و السورة الخامسة سورة الأحوال و السورة السادسة سورة المقدار و السورة السابعة سورة النسب و السورة الثامنة سورة التوصيل و الأحكام و العبارات و الإشارات و الإيماء و ما يقع به الإفهام بين المخاطبين و هو نطق العالم و قول كل قائل و هي الأسماء الإلهية التي علم الله آدم فمنها ما كانت الملائكة تعلمه و ما اختص آدم إلا بالكل و ما عرض من المسميات إلا ما كانت الملائكة تجهله و السورة التاسعة سورة الآثار الوجودية و السورة العاشرة سورة الكائنات و هي الانفعالات الإلهية و الكونية فهذه عشر تتضمن هذه الآيات فمن علمها كشفا علم الحق و الخلق و من علمها دلالة لم يكمل في علمها كمال أصحاب الكشف و لا تقل هذا رمز بل هذا كله تصريح و إيضاح يعرفه كل عاقل إذا حقق النظر فيه أن الآيات كلها محصورة في هذه السور قديما و حديثا و النفس الكلية هي التي ظهرت عنها معرفة هذه السور لأنها كانت محل إلقاء القلم الإلهي إليها فهي أول منكوح لناكح كوني و كل ما دونها فهو من عالم التولد العقل أبوه و النفس أمه فافهم و لا تلحق بمن قال الله فيهم إنهم لفي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ و هم الذين أعرضوا عن كل ما يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ و قد قلنا في مرتبتنا في هذا

أنا في خلق جديد　　　كل يوم في مزيد
و أنا من حيث حبي　　　بين وجد و وجود
شاكرا شكر محب　　　قائل هل من مزيد
فأنا واحد وقتي　　　في وجودي و شهودي
يا رفيع الدرجات　　　في منازل السعود
ارفع اللهم عني　　　في معارج الصعود
كل ستر في طريقي　　　في هبوطي و صعودي
واجعل اللهم حظي　　　في اسمك الله الودود

(الفصل الثالث عشر) في الاسم الإلهي الباطن و توجهه على خلق الطبيعة و ما تعطيه من أنفاس العالم و حصرها في أربع حقائق و افتراقها و اجتماعها و توجهها على إيجاد العين المهملة من الحروف و إيجاد الثريا من المنازل المقدرة اعلم أن الطبيعة في المرتبة الثالثة عندنا من وجود العقل الأول و هي معقولة الوجود غير موجودة العين فمعنى قولنا مخلوقة أي مقدرة لأن الخلق التقدير و ما يلزم من تقدير الشيء وجوده قال الشاعر

ولأنت تفري ما خلقت　　　وبعض الناس يخلق ثم لا يفري

و هو من الثلاثي لأنه قصد المدح و ليس من الرباعي فإن الرباعي لا يقال إلا في معرض الذم و الهجاء فما كل من قدر أمرا أوجده و من هذه الحقيقة الإلهية ظهر في الوجود النظري عند العلماء فرض المحال في العلوم فهو يقدر ما لا يصح وجوده و قد يقدر ما يصح وجوده و لا يوجد و كذلك قال هذا العربي و بعض الناس يعد بالخير و لا يفعله و أنت أيها الملك ما ترى مصلحة إلا و تفعلها فالخالق له معنيان المقدر و الموجد فمن خلق فقد قدر أو أوجد فقدر سبحانه مرتبة الطبيعة أنه لو كان لها وجود لكان دون النفس فهي و إن لم تكن موجودة العين فهي مشهودة للحق و لهذا ميزها و عين مرتبتها و هي للكائنات الطبيعية كالاسماء الإلهية تعلم و تعقل و تظهر آثارها و لا تجهل و لا عين لها جملة واحدة من خارج كذلك الطبيعة تعطي ما في قوتها من الصور الحسية المضافة إليها الوجودية و لا وجود لها من خارج فما أعجب مرتبتها و ما أعلى أثرها فهي ذات معقولة مجموع أربع حقائق يسمى أثر هذه الأربع في الأجسام المخلوقة الطبيعية حرارة و يبوسة و برودة و رطوبة و هذه آثار الطبيعة في الأجسام لا عينها كالحياة و العلم و الإرادة و القول في النسب الإلهية و ما في

الوجود العيني سوى ذات واحدة فالحياة تنظر إلى الحرارة و العلم ينظر إلى البرودة و الإرادة تنظر إلى اليبوسة و القول ينظر إلى الرطوبة و لهذا وصفه باللين فقال فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّناً فهو يقبل اللين و الخشونة و الإرادة يبوسة فإنه يقول فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ و قال وجدت برد أنامله فعلمت فلهذا جعلنا العلم للبرودة في الطبيعة و كذلك الحياة للحرارة فإن الحي الطبيعي لا بد من وجود الحرارة فيه و أما الذي تعطيه من أنفاس العالم فهو ما تقع به الحياة في الأجسام الطبيعية من نمو و حس لا غير ذلك و كل نفس غير هذا فما هو من الطبيعة بل علته أمر آخر و هي الحياة العقلية حياة العلم و هي عين النور الإلهي و النفس الرحماني ثم لتعلم أن مسمى النفس من هذه الحقيقة الوجودية لا يكون إلا إذا كانت للرحمن و ما يماثله من الأسماء الإلهية و قد تكون حقيقة لأسماء أخر تقتضي النقيض فلا تكون عند ذلك نفسا من التنفيس في حق ذلك الكائن منه فهو و إن كان حقيقة فكونه نفسا باعتبار خاص يقع به التنفيس إما في حق من ينفس الله عنه من الكائنات ما يجده من الضيق و الحرج و إما في حق من هو صفته من حيث نفوذ إرادته و أما إذا لم ينظر من هذه الجهة فهو عبارة عن حياة من وصف به من حيث حقيقته لا غير أ لا ترى النفس الحيواني يرفع وجوده فيه اسم الموت به سمي نفسا فإن الموت صفة مكروهة من حيث الألفة المعهودة إذ كان الموت مفرقا فيكون مكروها عنده فإذا نظر من يلقاه في ذلك الموت و هو الله فيكون تحفة عند ذلك و يكون اسم النفس به أحق في هذا الشهود و لما كان لها وجود أعيان الصور لهذا كان لها من الحروف العين المهملة لأن الصورة الطبيعية لا روح لها من حيث الطبيعة و إنما روح للصور الطبيعية من الروح الإلهي و كان لها وجود الثريا و هي سبع كواكب لأن الطبيعة في المرتبة الثالثة و هي أربع حقائق كما تقدم فكان من المجموع سبعة و ظهرت عنها الثريا و هي سبعة أنجم كما كان للعقل ثلاث نسب و وجوه فوجدت عنه الكثرة التي ذكرها بعض أهل النظر في سبب صدور الكثرة عن العقل الأول مع كونه واحدا فكان الشرطين ثلاثة أنجم و النفس مثل العقل في ذلك فكان البطين ثلاثة أنجم و من كون النفس ثانية كان البطين في المرتبة الثانية من الشرطين و عن هذه السبعة التي ظهرت في الطبيعة ظهرت المسبعات في العالم و هي أيضا السبعة الأيام أيام الجمعة اعتبر ذلك محمد بن سيرين رحمه الله جاءته امرأة فقالت له أريت البارحة القمر في الثريا فقال أنا قمر هذا الزمان في هذه البلدة و الثريا سبعة أنجم و بعد سبعة أقبر فإن الثريا من الثرى و هو اسم للأرض فمات إلى سبعة أيام فانظر ما أعجب هذا و بينا أنا أقيد هذه المسألة من الكلام في الطبيعة إذ غفوت فرأيت أمي و عليها ثياب بيض حسنةفحسرت عنها ذيلها إلى أن بد إلى فرجها فنظرت إليه ثم قلت لا يحل لي أن أنظر إلى فرج أمي فسترته و هي تضحك فوجدت نفسي قد كشفت في هذه المسألة وجها ينبغي أن يستر فسترته بألفاظ حسنة بعد كشفه قبل إن أرى هذه الواقعة فكانت أمي الطبيعة و الفرج ذلك الوجه الذي ينبغي ستره و الكشف إظهاره في هذا الفصل و التغطية بذلك الثوب الأبيض الحسن ستره بألفاظ و

عبارات حسنة ثم إني أيضا كما أنا في كلامي على الطبيعة في هذا الفصل أخذتني سنة فرأيت كأني على فرس عظيم و قد جئت إلى ضحضاح من الماء أرضه حجارة صغار فأردت عبوره فرأيت أمامي رجلا على فرس شهباء يعبر و إذا فيه مثل الساقية عميقة مردومة بتلك الحجارة لا يشعر بها حتى يغرق فيها و إذا بذلك الفارس قد غرق فيها فرسه و قد نشب إلى أن وصل الماء إلى كفل فرسه ثم خلص إلى الجانب الآخر فنظرت من أين أعبر فوجدت مبنيا عليه مجازا ذا أدراج من الجهتين للرجالة لا يمكن للفرس أن يصعد عليه فيصعد فيه بإدراج متقاربة جدا و أعلاه عرض شبر و ينزل من الجانب الآخر بإدراج فركضت جنب فرسي و الناس يتعجبون و يقولون ما يقدر فرس على عبوره و أنا لا أكلمهم ففهم الفرس عني ما أريده منه فصعد برفق فلما وصل إلى أعلاه و أراد الانحدار توقف و خفت عليه و على نفسي من الوقوع فنزلت من عليه و عبرت و أخذت بعنانه و ما زال من يدي فعبر الفرس و تخلصنا إلى الجانب الآخر و الناس يتعجبون فسمعت بعض الناس يقولون لو كان الايمان بالثريا لناله رجال من فارس فقلت و لو كان العلم بالثريا لناله العرب و الايمان تقليد فكم بين عالم و بين من يقلد عالما فقالوا صدق فالعربي له العلم و الايمان و العجم مشهود لهم بالإيمان خاصة في دين الله و رددت إلى نفسي فوجدتني في مسألة في الطبيعة تطابق هذه الرؤيا فتعجبت من هاتين الواقعتين في هذا الفصل و نظرت في كواكب المنازل من كوكب واحد كالصرفة إلى اثنين كالذراع إلى ثلاثة كالبطين إلى أربعة كالجبهة إلى خمسة كالعوا إلى ستة كالدبران إلى سبعة كالثريا إلى تسعة كالنعائم و لم أر للثمانية وجودا في نجوم المنازل فعلمت أنه لما لم تكن للثمانية صورة في نجوم المنازل لهذا كان المولود إذا ولد في الشهر الثامن يموت و لا يعيش أو يكون معلولا لا ينتفع بنفسه فإنه شهر يغلب على الجنين فيه برد و يبس و هو طبع الموت و له من الجواري كيوان و هو بارد يابس فلذلك لم أر للثمانية وجودا في المنازل ثم علمت أن السيارة لا نزول لها و لا سكون بل هي قاطعة أبدا و قد يكون مرورها على عين كواكب المنزلة و قد يكون فوقها و تحتها على الخلاف الذي في حد المنزلة ما هو فسميت منزلة مجازا فإن الذي يحل فيها لا استقرار له و إنه سابح كما كان قبل وصوله إليها في سباحته فراعى المسمى ما يراه البصر من ذلك فإنه لا يدرك الحركة ببصره إلا بعد المفارقة فبذلك القدر يسميها منزلة لأنه حظ البصر فغلبه و اعلم أن الطبيعة هذا حكمها في الصور لا يمكن أن تثبت على حالة واحدة فلا سكون عندها و لهذا الاعتدال في الأجسام الطبيعية العنصرية لا يوجد فهو معقول لا موجود و لو كانت الطبيعة تقبل الميزان على السواء لما صح عنها وجود شيء و لا ظهرت عنها صورة ثم نشأة الصور الطبيعية دون العنصرية إذا ظهرت أيضا لا تظهر و الطبيعة معتدلة أبدا بل لا بد من ظهور بعض حقائقها على بعض لأجل الإيجاد و لو لا ذلك ما تحرك فلك و لا سبح ملك و لا وصفت الجنة بأكل و شرب و ظهور في صور مختلفة و لا تغيرت الأنفاس في العالم جملة واحدة و أصل ذلك في العلم الإلهي كونه تعالى كُلَّ

يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ و اليوم الزمن الفرد و الشأن ما يحدث الله فيه فمن أين يصح أن تكون الطبيعة معتدلة الحكم في الأشياء و ليس لها مستند في الإلهيات فهذا قد أبنت لك وجود الطبيعة انتهى الجزء الحادي و العشرون و مائة (الفصل الرابع عشر في الاسم الإلهي) الآخر و توجهه على خلق الجوهر الهبائي الذي ظهرت فيه صور الأجسام و ما يشبه هذا الجوهر في عالم المركبات و توجهه على إيجاد حرف الحاء المهملة من الحروف و إيجاد الدبران من المنازل اعلم أن هذا الجوهر مثل الطبيعة لا عين له في الوجود و إنما تظهره الصورة فهو معقول غير موجود الوجود العيني و هو في المرتبة الرابعة من مراتب الوجود كما هو الحاء المهملة في المرتبة الرابعة من مخارج الحروف في النفس الإنساني غير أن الحرف له صورة لفظية في القول محسوسة للسمع و ليس لهذا الجوهر الهبائي مثل هذا الوجود و هذا الاسم الذي اختص به منقول عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه و أما نحن فنسميه العنقاء فإنه يسمع بذكره و يعقل و لا وجود له في العين و لا يعرف على الحقيقة إلا بالأمثلة المضروبة كما أن كون الحق نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ لم يعرف بحقيقته و إنما عرفنا الحق به بضرب المثل فقال مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاةٍ الآية فذكر الأمور التي تنبغي للمصباح المشبه به نور السموات و الأرض و هو الذي أنار ت به العقول العلوية و هو قوله السموات و الصور الطبيعية و هو قوله و الأرض كذلك هذا المعقول الهبائي لا يعرف إلا بالمثل المضروب و هو كل أمر يقبل بذاته الصور المختلفة التي تليق به و هو في كل صورة بحقيقته و تسميه الحكماء الهيولى و هي مسألة مختلف فيها عندهم و لسنا ممن يحكي أقوالهم في أمر و لا أقوال غيرهم و إنما نورد في كتابنا و جميع كتبنا ما يعطيه الكشف و يمليه الحق هذا طريقة القوم كما سئل الجنيد عن التوحيد فأجاب بكلام لم يفهم عنه فقيل له أعد الجواب فإنا ما فهمنا فقال جوابا آخر فقيل له و هذا أغمض علينا من الأول فأمله علينا حتى ننظر فيه و نعلمه فقال إن كنت أجريه فأنا أمليه أشار إلى أنه لا تعمل له فيه و إنما هو بحسب ما يلقى إليه مما يقتضيه وقته و يختلف الإلقاء باختلاف الأوقات و من علم الاتساع الإلهي علم أنه لا يتكرر شيء في الوجود و إنما وجود الأمثال في الصور يتخيل أنها أعيان ما مضى و هي أمثالها لا أعيانها و مثل الشيء ما هو عينه و اعلم أن هذا المعقول الرابع من وجود العقل فيه تظهر العين التي تقبل حكم الطبيعة و هو الجسم الكل الذي يقبل اللطيف و الكثيف و الكدر و الشفاف و هو الذي يأتي ذكره في الفصل الثاني بعد هذا و هذا المعقول إنما قيدنا مرتبته بأنها الرابعة من حيث نظرنا إلى قبوله صورة الجسم خاصة و إنما بالنظر إلى حقيقته فليست هذه مرتبته و لا ذلك الاسم اسمه و إنما اسمه الذي يليق به الحقيقة الكلية التي هي روح كل حق و متى خلى عنها حق فليس حقا و لهذا قال ع لكل حق حقيقة فجاء باللفظ الذي يقتضي الإحاطة إذا تعرى عن القرائن المقيدة و هو لفظة كل كمفهوم العلم و الحياة و الإرادة فهي معقولة واحدة في الحقيقة فإذا نسب إليها أمر خاص لنسبة خاصة حدث لها اسم ثم إنه إذا نسب ذلك الأمر الخاص إلى ذات معلومة الوجود و

إن لم يعلم حقيقتها فنسب إليها ذلك الأمر الخاص بحسب ما تقتضيه تلك الذات المعينة فإن اتصفت تلك الذات بالقدم اتصف هذا الأمر بالقدم و إن اتصفت بالحدوث اتصف هذا الأمر بالحدوث و الأمر في نفسه لا يتصف بالوجود إذ لا عين له و لا بالعدم لأنه معقول و لا بالحدوث لأن القديم لا يقبل الاتصاف به و القديم لا يصح أن يكون محلا للحوادث و لا يوصف بالقدم لأن الحادث يقبل الاتصاف به و الحادث لا يوصف بالقديم و لا يصح أن يكون القديم حالا في المحدث فهو لا قديم و لا حادث فإذا اتصف به الحادث سمي حادثا و إذا اتصف به القديم سمي قديما و هو قديم في القديم حقيقة و حادث في المحدث حقيقة لأنه بذاته يقابل كل متصف به كالعلم يتصف به الحق و الخلق فيقال في علم الحق إنه قديم فإن الموصوف به قديم فعلمه بالمعلومات قديم لا أول له و يقال في علم الخلق إنه محدث فإن الموصوف به لم يكن ثم كان فصفته مثله إذ ما ظهر حكمها فيه إلا بعد وجود عينه فهو حادث مثله و العلم في نفسه لا يتغير عن حقيقته بالنسبة إلى نفسه و هو في كل ذات بحقيقته و عينه و ما له عين وجودية سوى عين الموصوف فهو على أصله معقول لا موجود و مثاله في الحس البياض في كل أبيض و السواد في كل أسود هذا في الألوان و كذلك في الأشكال التربيع في كل مربع و الاستدارة في كل مستدير و التثمين في كل مثمن و الشكل بذاته في كل متشكل و هو على حقيقته من المعقولية و الذي وقع عليه الحس إنما هو المتشكل لا الشكل و الشكل معقول إذ لو كان المتشكل عين الشكل لم يظهر في متشكل مثله و معلوم أن هذا المتشكل ليس هو المتشكل الآخر فهذا مثل مضروب للحقائق الكلية التي اتصف الحق و الخلق بها فهي للحق أسماء و هي للخلق أكوان فكذلك هذا المعقول الرابع لصور الطبيعة يقبل الصور بجوهره و هو على أصله في المعقولية و المدرك الصورة لا غيرها و لا تقوم الصورة إلا في هذا المعقول فما من موجود إلا و هو معقول بالنظر إلى ما ظهرت فيه صورته موجود بالنظر إلى صورته ألا ترى الحق تعالى ما تسمى باسم و لا وصف نفسه بصفة ثبوتية إلا و الخلق يتصف بها و ينسب إلى كل موصوف بحسبما تعطيه حقيقة الموصوف و إنما تقدمت في الحق لتقدم الحق بالوجود و تأخرت في الخلق لتاخر الخلق في الوجود فيقال في الحق إنه ذات يوصف بأنه حي عالم قادر مريد متكلم سميع بصير و يقال في الإنسان المخلوق إنه حي عالم قادر متكلم سميع بصير بلا خلاف من أحد و العلم في الحقيقة و الكلام و جميع الصفات على حقيقة واحدة في العقل ثم لا ينكر الخلاف بينهم في الحكم فإن أثر القدرة يخالف أثر غيرها من الصفات و هكذا كل صفة و العين واحدة ثم حقيقة الصفة الواحدة واحدة من حيث ذاتها ثم يختلف حدها بالنسبة إلى اختصاص الحق بها و إلى اتصاف الخلق بها و هذه الحقيقة لا تزال معقولة أبدا لا يقدر العقل على إنكارها و لا يزال حكمها موجودا ظاهرا في كل موجود

فكل موجود لها صورة   فيه و لا صورة في ذاتها

فحكمها ليس سوى ذاتها و ذلك الحكم من آياتها
تجتمع الأضداد في وصفها فنفيها في عين إثباتها

فالمعنى القابل لصورة الجسم هو المذكور المطلوب في هذا الفصل و هو المهيا له و الجسم القابل للشكل هو هباء لأنه الذي يقبل الأشكال لذاته فيظهر فيه كل شكل و ليس في الشكل منه شيء و ما هو عين الشكل و الأركان هباء للمولدات و هذا هو الهباء الطبيعي و الحديد و أمثاله هباء لكل ما تصور منه من سكين و سيف و سنان و قدوم و مفتاح و كلها صور أشكال و مثل هذا يسمى الهباء الصناعي فهذه أربعة عند العقلاء و الأصل هو الكل و هو الذي وضعنا له هذا الفصل و زدنا نحن حقيقة الحقائق و هي التي ذكرناها في هذا الفصل التي تعم الخلق و الحق و ما ذكرها أحد من أرباب النظر إلا أهل الله غير أن المعتزلة تنبهت على قريب من ذلك فقالت إن الله قائل بالقائلية و عالم بالعالمية و قادر بالقادرية لما هربت من إثبات صفة زائدة على ذات الحق تنزيها للحق فنزعت هذا المنزع فقاربت الأمر و هذا كله أعني ما يختص بهذا الفصل من حكم الاسم الآخر الظاهر التي هي كلمة النفس الرحماني و هو الذي توجه على الدبران من المنازل و كواكبه ستة و هو أول عدد كامل فهو أصل كل عدد كامل فكل مسدس في العالم فله نصيب من هذه الكمالية و عليه أقامت النحل بيتها حتى لا يدخله خلاء و من أهل الله من يراه أفضل الأشكال فإنه قارب الاستدارة مع ظهور الزوايا و جعله أفضل لأن الشكل المسدس كبيوت النحل لا يقبل الخلل مع الكثرة فيظهر الخلو و المستدير ليس كذلك و إن أشبهه غيره في عدم قبول الخلل كالمربع فإنه يبعد عن المستدير و الاستدارة أول الأشكال التي قبل الجسم و جعل بعضها في جوف بعض لأن الخلأ مستدير و لو لم يكن كذلك ما استدار الجسم لأنه ما ملأ إلا الخلأ فلا يقبل استدارة أخرى من خارج فإنه ما ثم خلاء غير ما عمره الجسم فلو عمر بعض الخلأ لم يقبل سوى الشكل المسدس و إنما وصف بالكمال لأنه يظهر عن نصفه و ثلثه و سدسه فيقوم من عين أجزائه (الفصل الخامس عشر) من النفس الرحماني في الاسم الإلهي الظاهر و توجهه على إيجاد الجسم الكل و من الحروف على حرف الغين المعجمة و من المنازل على رأس الجوزاء و هي الهقعة و تسمى الميسان اعلم أن الله تعالى لما جعل في النفس القوة العملية أظهر الله بها صورة الجسم الكل في جوهر الهباء فعمر به الخلأ و الخلأ امتداد متوهم في غير جسم و لما رأينا هذا الجسم الكل لم يقبل من الأشكال إلا الاستدارة علمنا أن الخلأ مستدير إذ كان هذا الجسم عمر الخلأ فالخارج عن الجسم لا يتصف بخلاء و لا ملا ثم إن الله فتح في هذا الجسم صور العالم و جعل هذا الجسم لما أوجده مستديرا لما عمر به جميع الخلأ كانت حركته في خلائه فما هي حركة انتقال عنه و إنما حركته فيه بكله كحركة الرحى تنظر في حركتها بجميعها فتجدها لم تنتقل عن موضعها و تنظر إلى حركة كل جزء منها فتجده منتقلا

عن حيزه إلى حيز آخر بحركة الكل و هكذا كل حركة مستديرة فهي متحركة ساكنة لأنها ما أخلت حيزها بالانتقال من حيث جملتها و لا سكنت فتتصف بالسكون و هذا لا يكون إلا في المستدير و أما غير المستدير فلا يسمى لشكله فلكا أي مستديرا و هذا هو أول الصور الطبيعية فأظهرت الطبيعة فيه حكمها فقبل الحرارة و الرطوبة و البرودة و اليبوسة بحكم التجاوز في النقيضين خاصة فتحرك بغلبة الحرارة عليه فإن الاعتدال لا يظهر عنه شيء أصلا و لهذا وصف الحق نفسه بالرضا و الغضب و الرحمة و الانتقام و الحلم و القهر فالاعتدال لا يصح معه وجود و لا تكوين أ لا ترى أنه لو لا التوجه الإلهي على إيجاد كون ما ما وجد و لو لا ما قال له كن ما تكون فلما كانت كمية الحرارة أكثر من غيرها في الجسم أعطته الحركة و ما ثم خلاء إلا ما عمره هذا الجسم و لا بد له من الحركة فتحرك في مكانه و هي حركة الوسط لأنه ليس خارجه خلاء فيتحرك إليه و الحركة تطلبها الحرارة و هي حركة في الجميع من انتقال و أظهر الله صور العالم كله في هذا الجسم على استعدادات مختلفة في كل صورة و إن جمعها جسم واحد و حاكم واحد فقبلت الصور الأرواح من النفس الرحماني كما قبلت الحروف المعاني عند خروجها لتدل على المعنى الذي خرجت له و ظهر حكم الزمان بالحركة فظهرت الصور بالترتيب فقبلت التقدم و التأخر الزماني و ظهر حكم الأسماء الإلهية بوجود هذه الصور و ما تحمله و قد ذكرنا في عقلة المستوفز ترتيب وجود العالم كيف كان و لله كما ذكرنا فيه وجه خاص و في كل ما وجد فيه و عن ذلك الوجه الخاص وجد و لا يعرف السبب قط ذلك الوجه الخاص الذي لمسببه المنفعل عنه و لا عقل و لا نفس إلا الله خاصة و هو رقيقة الجود فتحرك بالوجود الإلهي لا بفعل النفس و هي حركة النفس الرحماني لإيجاد الكلمات فسوى العرش و وحد فيه الكلمة الرحمانية ثم أوجد صورة الكرسي و انقسمت فيه الكلمة و تدلت إليه القدمان و لهذا التدلي انقسمت الكلمة فله الخلق و الأمر و كان انقسامها إلى حكم و خبر ثم أدار الفلك الأطلس بتوجه خاص لحكمة أخفاها عمن شاء و أظهرها و قسمه على اثني عشر مقدارا فعمت المقادير و جعلها بروجا لأرواح ملكية على طبائع مختلفة سمي كل برج باسم ذلك الملك الذي جعل ذلك المقدار برجاله يسكنه كالأبراج الدائرة بسور البلد و كمراتب الولاة في الملك و هي البروج المعلومة عند أهل التعاليم و لكل برج ثلاث وجوه فإن العقل الأول له ثلاث وجوه و إن كان واحدا و ما من حقيقة تكون في الأول إلا و لا بد أن يتضمنها الثاني و يزيد بحكم لا يكون للأول إذا كان المتقدم غير الله و أما الله فهو مع كل شيء فلا يتقدمه شيء و لا يتأخر عنه شيء و ليس هذا الحكم لغير الله و لهذا له إلى كل موجود وجه خاص لأنه سبب كل موجود و كل موجود واحد لا يصح أن يكون اثنين و هو واحد فما صدر عنه إلا واحد فإنه في أحدية كل واحد و إن وجدت الكثرة فبالنظر إلى أحدية الزمان الذي هو الظرف فإن وجود الحق في هذه الكثرة في أحدية كل واحد فما ظهر منه إلا واحد فهذا معنى لا يصدر عن الواحد إلا واحد و لو

صدر عنه جميع العالم لم يصدر عنه إلا واحد فهو مع كل واحد من حيث أحديته و هذا لا يدركه إلا أهل الله و تقوله الحكماء على غير هذا الوجه و هو مما أخطأت فيه و جعل الله لكل وال ساكن في هذا البرج أحكاما معلومة عن دورات محصورة ليس هذا الفصل موضع حصرها و لا تعيينها ثم فتح الله صورة الفلك المكوكب و بعده الأرض و الماء و الهواء و النار عن حركة فلك البروج و شعاعات كواكب الفلك المكوكب ثم علا الدخان من نار الأركان لما كانت نارا مركبة فأظهر في ذلك الدخان صور السموات أفلاكا مستديرة و جعل في كل فلك كوكبا كما سيأتي ذكر ذلك كله إن شاء الله تعالى و عن هذا الاسم الإلهي أوجد في النفس الإنساني الغين المعجمة و منزلة الهقعة (الفصل السادس عشر) في الاسم الإلهي الحكيم و توجهه على إيجاد الشكل و حرف الخاء المعجمة و منزله النحية من المنازل و تسمى الهنعة الشكل القيد و به سمي ما تقيد به الدابة في رجلها شكالا و المتشكل هو المقيد بالشكل الذي ظهر به يقول الله كُلٌّ يَعْمَلُ عَلى شاكِلَتِهِ أي ما يعمل إلا ما يشاكله و إلى هذا يرجع معناه يقول ذلك الذي ظهر منه يدل على أنه في نفسه عليه و العالم كله عمل الله فعمله على شاكلته فما في العالم شيء لا يكون في الله و العالم محصور في عشر لكمال صورته إذ كان موجودا على صورة موجدة فجوهر العالم لذات الموجد و عرض العالم لصفاته و زمانه لأزله و مكانه لاستوائه و كمه لأسمائه و كيفه لرضاه و غضبه و وضعه لكلامه و إضافته لربوبيته و أن يفعل لإيجاده و أن ينفعل لإجابته من سأله فعمل العالم على شاكلته فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدى سَبِيلاً و إنه عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ فالعالم على صراط مستقيم اعوجاج القوس استقامته فلا تحجب أ لا ترى الخلأ حكم على الجسم بالاستدارة فأظهره فلكا مستديرا فتلك شاكلته فحكمت عليه شاكلة الموطن جبريل ظهر في صورة دحية فجهل فقيل فيه إنسان و هو ملك و علم من علمه ملكا و الصورة إنسان فلم يؤثر علم الملكية منه في صورة إنسانيته و لم يؤثر الجهل بها فيها فالأشكال مقيدة أبدا هذا ما أعطاه الاسم الحكيم مرتب الأمور مراتبها و منزل الأشياء مقاديرها و ظهر من النفس الإنساني في المخارج حرف الخاء المعجمة و من المنازل النحية و ما من شيء ظهر في تفاصيل العالم إلا و في الحضرة الإلهية صورة تشاكل ما ظهر أي يتقيد بها و لولا هي ما ظهر أ لا ترى الفلك الأطلس كيف ظهر من الحيرة في الحق لأن المقادير فيه لا تتعين للتماثل في الأجزاء كالاسماء و الصفات للحق لا تتعدد فالحيرة ما ظهرت إلا في الفلك الأطلس حيث قيل إن فيه بروجا و لا تتعين فوضع على شكل الحيرة و وضع الفلك المكوكب بالمنازل على شكل الدلالات على ما وقعت فيه الحيرة فاستدل بالمنازل على ما في الأطلس من البروج فهو على شكل الدلالة و جعل تنوع الأحكام بنزول السيارة في المنازل و البروج بمنزلة الصور الإلهية التي يظهر فيها الحق فبما للاطلس فيها من الحكم تجهل و يقال ليس لله صورة بالدلالة العقلية و بما للمنازل فيها من الدلالات تعلم و يقال هذا هو الحق فانظر حكم الإشكال ما فعل و منه الإشكال في المسائل فإنه يعطي

الحيرة في المعلوم و شكل الشيء شبهه و الشكل يألف شكله الشكل يألف شكله و الضد يجهل ضده و الدنيا للامتزاج و الآخرة للتخليص فهي على شكل القبضتين (الفصل السابع عشر) في الاسم المحيط و توجهه على إيجاد العرش و العرش المجدة و المعظمة و المكرمة و حرف القاف و من المنازل الذراع اعلم أن العرش أحاط بالعالم لاستدارته بما أحاط به من العالم و كل ما أحاط به فيه الاستدارة ظاهرة حتى في المولدات و انظر في تشبيه النبي ص في الكرسي أنه في جوف العرش كحلقة في فلاة من الأرض فشبهه بشكل مستدير و هو الحلقة و الأرض و كذلك شبه السموات في الكرسي كحلقة و الأركان الكرية في جوف الفلك الأدنى كذلك ثم ما تولد عنها لا يكون أبدا في صورته إلا مستديرا أو مائلا إلى الاستدارة معدنا كان أو نباتا أو حيوانا و ذلك لأن الحركة دورية فلا تعطي إلا ما يشاكلها فالعرش أعظم الأجسام من حيث الإحاطة فهو العرش العظيم جرما و قدرا و بحركته أعطى ما في قوته لمن هو تحت إحاطته و قبضته فهو العرش الكريم لذلك و بنزاهته أن يحيط به غيره من الأجسام كان له الشرف فهو العرش المجيد ثم إنه ما استوى عليه الاسم الرحمن إلا من أجل النفس الرحماني و ذلك أن المحاط به في ضيق من علمه بأنه محاط به من حيث صورته فأعطاه النفس الرحماني روحا من أمره فكان مجموع كل موجود في العالم صورته و روحه المدبر له و جعل روحه لا داخلا في الصورة و لا خارجا عنها لأنه غير متحيز فانتفى المشروط و الشرط فإن النفس الذي صدرت عنه الأرواح لا داخل في العالم و لا خارج عنه فإذا نظر الموجود في كونه محاطا به ضاق صدره من حيث صورته و إذا نظر في نفسه من حيث روحانيته نفس الله عنه ذلك الضيق بروحه لما علم أنه لا توصف ذاته بأنه محاط به إحاطة العرش بالصور فزال عنه و أورثه ذلك الابتهاج و السرور و الفرح بذاته من حيث روحه فلهذا كان الاستواء بالاسم الرحمن و إحاطة هذا العرش من الإحاطة الإلهية بالعلم في قوله أحاط بكل شيء علما فهو من ورائهم محيط و ليس وراء الله مرمى لرام و وراء العالم الله فهو المنتهى و ما له انتهاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم فالكلمة في العرش من النفس الرحماني واحدة و هو الأمر الإلهي لإيجاد الكائنات فالنفس سار إلى منتهى الخلأ فبه حيي كل شيء فإن العرش على الماء فقبل الحياة بذاته فخلق الله تعالى منه كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ بما يرونه من حياة الأرض بالمطر و حياة الأشجار بالسقي حتى الهواء إن لم يكن فيه مائية و إلا أحرق و اعلم أن هذا العرش قد جعل الله له قوائم نورانية لا أدري كم هي لكني أشهدتها و نورها يشبه نور البرق و مع هذا فرأيت له ظلا فيه من الراحة ما لا يقدر قدرها و ذلك الظل ظل مقعر هذا العرش يحجب نور المستوي الذي هو الرحمن و رأيت الكنز الذي تحت العرش الذي خرجت منه لفظة لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم فإذا الكنز آدم صلوات الله عليه و رأيت تحته كنوزا كثيرة أعرفها و رأيت طيورا حسنة تطير في زواياه فرأيت فيها طائرا من أحسن الطيور فسلم علي فالقى لي فيه أن آخذه صحبتي إلى بلاد

الشرق و كنت بمدينة مراكش حين كشف لي عن هذا كله فقلت و من هو قيل لي محمد الحصا ر بمدينة فاس سأل الله الرحلة إلى بلاد الشرق فخذه معك فقلت السمع و الطاعة فقلت له و هو عين ذلك الطائر تكون صحبتي إن شاء الله فلما جئت إلى مدينة فاس سألت عنه فجاءني فقلت له هل سألت الله في حاجة فقال نعم سألته أن يحملني إلى بلاد الشرق فقيل لي إن فلانا يحملك و أنا أنتظرك من ذلك الزمان فأخذته صحبتي سنة سبع و تسعين و خمسمائة و أوصلته إلى الديا ر المصرية و مات بها رحمه الله فإن قلت و الملائكة الحافون من حول العرش ما بقي لهم خلاء يتصرفون فيه و العرش قد عمر الخلأ قلنا لا فرق بين كونهم حافين من حول العرش و بين الاستواء على العرش فإنه من لا يقبل التحيز لا يقبل الاتصال و الانفصال ثم إن الملائكة الحافين من حول العرش فما هو هذا الجسم الذي عمر الخلأ و إنما هو ذلك العرش الذي يأتي الله به للفصل و القضاء يوم القيامة و هذا العرش الذي استوى عليه هو عرش الاسم الرحمن أ ما سمعته يقول وَ تَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ من حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَ قِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ عند الفراغ من القضاء فذلك يوم القيامة تحمله الثمانية الأملاك و ذلك بأرض الحشر و نسبة العرش إلى تلك الأرض نسبة الجنة إلى عرض الحائط في قبلة رسول الله ص و هو في صلاة الكسوف و هذا من مسائل ذي النون المصري في إيراد الواسع على الضيق من غير أن يوسع الضيق أو يضيق الواسع و من عرف المواطن هان عليه سماع مثل هذا (الفصل الثامن عشر) في الاسم إلهي الشكور و توجهه على إيجاد الكرسي و القدمين و من الحروف حرف الكاف و من المنا زل النثرة قال تعالى وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ قال بعض أهل المعاني يريد العلم و نقلوه لغة إلا أنه في هذه الآية ليس إلا جسم محسوس هو في العرش كحلقة ملقاة في فلاة إلا أنه كالعرش لا حركة فيه و من هذا الكرسي تنقسم الكلمة الإلهية إلى حكم و خبر و هو للقدمين الواردين في الخبر كالعرش لاستواء الرحمن و له ملائكة قائمون به لا يعرفون إلا الرب تعالى فإن ظرفية العماء للرب و العرش للرحمن و الكرسي لضمير الكناية عن الله تعالى و هذه الثلاثة الأسماء هي أمهات الأسماء و إذا تتبعت القرآن العزيز وجدت هذه الأسماء الثلاثة الله و الرب و الرحمن دائرة فيه و له ما بين سماء و سماء كرسي سوى هذا الكرسي الأعظم و سمي منسوبا أي لا يعقل إلا هكذا بخلاف غيره من الموجودات و من هنا كان للرب الذي لا يعقل إلا مضافا و غيره الذي هو الاسم الله و الرحمن قد ورد غير مضاف إلا الرب فلا يرد حيث ورد إلا مضافا فإنه يطلب المربوب بذاته ربنا رَبُّكُمْ وَ رَبُّ آبائِكُمُ رَبُّ السَّماواتِ رَبُّ الْمَشْرِقِ فأثرت هذه الحقيقة في المرتبة المكانية الذي هو الكرسي فورد منسوبا و النسبة إضافة و جاء في الدرجة الثالثة و هي أول الأفراد و لما كان الرب الثابت فكذلك الكرسي حكم عليه الاسم الإلهي بالثبوت فالثبوت أيضا الموصوف به العرش يؤذن بأن الاسم الرحمن ثابت الحكم في كل ما يحوي عليه و هو قوله وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فمال الكل إلى الرحمة و إن تخلل الأمر

آلام و عذاب و علل و أمراض مع حكم الاسم الرحمن فإنما هي أعراض عرضت في الأكوان دنيا و آخرة من أجل أن الرحمن له الأسماء الحسنى و من الأسماء الضا ر و المذل و المميت فلهذا ظهر في العالم ما لا تقتضيه الرحمة و لكن لعوا رض و في طي تلك العوا رض رحمة و لو لم يكن إلا تضاعف النعيم و الراحة عقيب زوال حكمه و لهذا قيل أحلى من الأمن عند الخائف الوجل فما تعرف لذات النعم إلا بأضدادها فوضعت لاقتناء العلوم التي فيها شرف الإنسان فكانت كالطريق الموصلة أو الدليل الموصل إلى مدلوله ذوقا و حصول العلم بالأذواق أتم منه بطريق الخبر أ لا ترى الحق وصف نفسه على ألسنة رسله بالغضب و الرضاء و من ها تين الحقيقتين ظهر في العالم اكتساب العلوم من الأذواق الظاهرة كالطعوم و أشباهها و الباطنة كالآلام من الهموم و الغموم مع سلامة الأعضاء الظاهرة من كل سبب يؤدي إلى ألم فانظر ما أعجب هذا فثبت العرش لثبوت الرحمة السا رية التي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فلها الإحاطة و هي عين النفس الرحماني فبه ينفس الله كل كرب في خلقه فإن الضيق الذي يطرأ أو يجده العالم كونه أصلهم في القبضة و كل مقبوض عليه محصور و كل محصور محجور عليه و الإنسان لما وجد على الصورة لم يحتمل التحجير فنفس الله عنه بهذا النفس الرحماني ما يجده من ذلك كما كا ن تنفسه من حكم الحب الذي وصف به نفسه في قوله أحببت أن أعرف فأظهره في النفس الرحماني فكا ن ذلك التنفس الإلهي عين وجود العالم فعرفه العالم كما أ راد فعين العالم عين الرحمة لا غيرها فاشحذ فؤادك فما يكون العالم رحمة للحق و يكون الحق يسرمد عليه الألم أ الله أكرم و أجل من ذلك فانظر ما أعجب ما أعطاه مقام الكرسي من انقسام الكلمة الإلهية فظهر الحق و الخلق و لم يكن يتميز لو لا الكرسي الذي هو موضع القدمين الوا ردتين في الخبر و عن هذا الاسم وجد في النفس الإنساني حرف الكاف و في فلك المنا زل منزلة النثرة لما وجد فلكها (الفصل التاسع عشر) في الاسم الغني و توجهه على إيجاد الفلك الأطلس و هو فلك البروج و استعانته بالاسم الدهر و إيجاد حرف الجيم من الحروف و الطرف من المنا زل اعلم أن هذا الاسم جعل هذا الفلك أطلس لا كوكب فيه متماثل الأجزاء مستدير الشكل لا تعرف لحركته بداية و لا نهاية و ما له طرف بوجوده حدثت الأيام السبعة و الشهور و السنون و لكن ما تعينت هذه الأزمنة فيه إلا بعد ما خلق الله في جوفه من العلامات التي ميزت هذه الأزمنة و ما عين منها هذا الفلك سوى يوم واحد و هي دورة واحدة عينها مكان القدم من الكرسي فتعينت من أعلى فذلك القدر يسمى يوما و ما عرف هذا اليوم إلا الله تعالى لتماثل أجزاء هذا الفلك و أول ابتداء حركته و كان ابتداء حركته و أول درجة من برج الجوزاء يقابل هذا القدم و هو من البروج الهوائية فأول يوم في العالم ظهر كان بأول درجة من الجوزاء و يسمى ذلك اليوم الأحد فلما انتهى ذلك الجزء المعين عند الله من هذا الفلك إلى مقارنة ذلك القدم من الكرسي انقضت دورة واحدة هي المجموع قابلت أجزاء هذا الفلك كلها من الكرسي موضع القدم منه فعمت تلك الحركة كل درجة و

دقيقة و ثانية و ما فوق ذلك في هذا الفلك فظهرت الأحياز و ثبت وجود الجوهر الفرد المتحيز الذي لا يقبل القسمة من حركة هذا الفلك ثم ابتدأ عند هذه النهاية بانتقال آخر في الوسط أيضا إلى أن بلغ الغاية مثل الحركة الأولى بجميع ما فيه من الأجزاء الأفراد التي تألف منها لأنه ذو كميات و تسمى هذه الحركة الثانية يوم الإثنين إلى أن كمل سبع حركات دورية كل حركة عينتها صفة إلهية و الصفات سبع لا تزيد على ذلك فلم يتمكن أن يزيد الدهر على سبعة أيام يوما فإنه ما ثم ما يوجبه فعاد الحكم إلى الصفة الأولى فأدارته و مشى عليه اسم الأحد و كان الأولى بالنظر إلى الدورات أن تكون ثامنة لكن لما كان وجودها عن الصفة الأولى عينها لم يتغير عليها اسمها و هكذا الدورة التي تليها إلى سبع دورات ثم يبتدئ الحكم كما كان أول مرة عن تلك الصفة و يتبعها ذلك الاسم أبد الآبدين دنيا و آخرة بحكم العزيز العليم فيوم الأحد عن صفة السمع فلهذا ما في العالم إلا من يسمع الأمر الإلهي في حال عدمه بقوله كُنْ و يوم الإثنين وجدت حركته عن صفة الحياة و به كانت الحياة في العالم فما في العالم جزء إلا و هو حي و يوم الثلاثاء وجدت حركته عن صفة البصر فما في العالم جزء إلا و هو يشاهد خالقه من حيث عينه لا من حيث عين خالقه و يوم الأربعاء وجدت حركته عن صفة الإرادة فما في العالم جزء إلا و هو يقصد تعظيم موجدة و يوم الخميس وجدت حركته عن صفة القدرة فما في الوجود جزء إلا و هو متمكن من الثناء على موجدة و يوم الجمعة وجدت حركته عن صفة العلم فما في العالم جزء إلا و هو يعلم موجدة من حيث ذاته لا من حيث ذات موجدة و قيل إنما وجد عن صفة العلم يوم الأربعاء و هو صحيح فإنه أراد علم العين و هو علم المشاهدة و الذي أردناه نحن إنما هو العلم الإلهي مطلقا لا العلم المستفاد و هذا القول الذي حكيناه أنه قيل ما قاله لي أحد من البشر بل قاله لي روح من الأرواح فأجبته بهذا الجواب فتوقف فالقى عليه أن الأمر كما ذكرناه و يوم السبت وجدت حركته عن صفة الكلام فما في الوجود جزء إلا و هو يسبح بحمد خالقه و لكن لا نفقة تسبيحه إن الله كانَ حَلِيماً غَفُوراً فما في العالم جزء إلا و هو ناطق بتسبيح خالقه عالم بما يسبح به مما ينبغي لجلاله قادر على ذلك قاصد له على التعين لا لسبب آخر فمن وجد عن سبب مشاهدة عظمة موجدة حي القلب سميع لأمره فتعينت الأيام أن تكون سبعة لهذه الصفات و أحكامها فظهر العالم حيا سميعا بصيرا عالما مريدا قادرا متكلما فعمله على شاكلته كما قال تعالى قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلى شاكِلَتِهِ و العالم عمله فظهر بصفات الحق فإن قلت فيه إنه حق صدقت فإن الله قال وَ لكِنَّ اللهَ رَمى و إن قلت فيه إنه خلق صدقت فإنه قال إِذْ رَمَيْتَ فعرى و كسى و أثبت و نفى فهو لا هو و هو المجهول المعلوم وَ لِلَّهِ الْأَسْماءُ الْحُسْنى و للعالم الظهور بها في التخلق فلا يزاد في الأيام السبعة و لا ينقص منها و ليس يعرف هذه الأيام كما بيناها إلا العالم الذي فوق الفلك الأطلس لأنهم شاهدوا التوجهات الإلهيات من هناك على إيجاد هذه الأدوار و ميزوا بين التوجهات فانحصرت لهم في سبعة ثم عاد الحكم فعلموا النهاية في ذلك و أما من

تحت هذا الفلك فما علموا ذلك إلا بالجواري السبعة و لا علموا تعيين اليوم إلا بفلك الشمس حيث قسمته الشمس إلى ليل و نهار فعين الليل و النهار اليوم ثم إن الله تعالى جعل في هذا الفلك الأطلس حكم التقسيم الذي ظهر في الكرسي لما انقسمت الكلمة فيه بتدلي القدمين إليه و هما خبر و حكم و الحكم خمسة أقسام وجوب و حظر و إباحة و ندب و كراهة و الخبر قسم واحد و هو ما لم يدخل تحت حكم واحد من هذه الأحكام فإذا ضربت اثنين في ستة كان المجموع اثني عشر ستة إلهية و ستة كونية لأنها على الصورة فانقسم هذا الفلك الأطلس على اثني عشر قسما عينها ما ذكرناه من انقسام الكلمة في الكرسي و أعطى لكل قسم حكما في العالم متناهيا إلى غاية ثم تدور كما دارت الأيام سواء إلى غير نهاية فأعطى قسما منها اثني عشر ألف سنة و هو قسم الحمل كل سنة ثلاثمائة و ستون دورة مضروبة في اثني عشر ألفا فما اجتمع من ذلك فهو حكم هذا القسم في العالم بتقدير العزيز العليم الذي أوحى الله فيه من الأمر الإلهي الكائن في العالم ثم تمشي على كل قسم بإسقاط ألف حتى تنتهي إلى آخر قسم و هو الحوت و هو الذي يلي الحمل و العمل في كل قسم بالحساب كالعمل الذي ذكرناه في الحمل فما اجتمع من ذلك فهو الغاية ثم يعود الدور كما بدأ ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ فالمتحرك ثابت العين و المتجدد إنما هي الحركة فالحركة لا تعود عينها أبدا لكن مثلها و العين لا تنعدم أبدا فإن الله قد حكم بإبقائها فإنه أحب أن يعرف فلا بد من إبقاء أعين العارفين و هم أجزاء العالم و هذا الفلك هو سقف الجنة و عن حركته يتكون في الجنة ما يتكون و هو لا ينخرم نظمه فالجنة لا تفنى لذاتها أبدا و لا يتخلل نعيمها ألم و لا تنغيص و إن كانت طبائع أقسام هذا الفلك مختلفة فما اختلفت إلا لكون الطبيعة فوقه فحكمت عليه بما تعطيه من حرارة و برودة و يبوسة و رطوبة إلا أنه لما كان مركبا و لم يكن بسيطا لم يظهر فيه حكم الطبيعة إلا بالتركيب فتركب الناري من هذه الأقسام من حرارة و يبوسة و تركب الترابي منها من برودة و يبوسة و تركب الهوائي منها من حرارة و رطوبة و تركب المائي منها من برودة و رطوبة فظهرت على أربع مراتب لأن الطبيعة لا تقبل منها إلا أربعة تركيبات لكونها متضادة و غير متضادة على السواء فلذلك لم تقبل إلا أربع تركيبات كما هي في عينها على أربع لا غير و إن كانت الطبيعة في الحقيقة اثنين لأنها عن النفس و النفس ذات قوتين علمية و عملية فالطبيعة ذات حقيقتين فاعلتين من غير علم فهي تفعل بعلم النفس لا بعلمها إذ لا علم لها و لها العلم فهي فاعلة بالطبع غير موصوفة بالعلم فهي من حيث الحرارة و البرودة فاعلة ثم انفعلت اليبوسة عن الحرارة و الرطوبة عن البرودة فكما كانت الحرارة تضاد البرودة كان منفعل الحرارة يضاد منفعل البرودة فلهذا ما تركب من المجموع سوى أربع فظهر حكمها في أقسام هذا الفلك بتقدير العزيز العليم ثم جعلها على التثليث كل ثلث أربع فإذا ضربت ثلاثة في أربعة كان المجموع اثني عشر فلكل برج ثلاثة أوجه مضروبة في أربعة أبراج كان المجموع اثني عشر وجها و الأربعة الأبراج قد عمت تركيب الطبائع لأنها منحصرة في ناري و ترابي و هوائي

و مائي فإذا ضربت ثلاث مراتب في اثني عشر وجها كان المجموع ستة و ثلاثين وجها و هو عشر الدرج أي جزء من عشرة و العشرة آخر نهاية الأحقاب و الحقبة السنة فأرجو أن يكون المال إلى رحمة الله في أي دار شاء فإن المراد أن تعم الرحمة الجميع حيث كانوا فيحيي الجميع بعد ما كان منه من لا يموت و لا يحيا و ذلك حال البرزخ واعلم أن هذا الفلك يقطع بحركته في الكرسي كما يقطعه من دونه من الأفلاك و لما كان الكرسي موضع القدمين لم يعط في الآخرة إلا دارين نارا و جنة فإنه أعطى بالقومين فلكين فلك البروج و فلك المنازل الذي هو أرض الجنة و هما باقيان و ما دون فلك المنازل يخرب نظامه و تبدل صورته و يزول ضوء كواكبه كما قال يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّماواتُ و قال فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ فما ذكر من السموات إلا المعروفة بالسموات و هي السبع السموات خاصة و أما مقعر فلك المنازل فهو سقف النار و من فعل هاتين القدمين في هذا الفلك ظهر في العالم من كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ بتقدير العزيز لوجود حكم الفاعلين من الطبيعة و القوتين من النفس و الوجهين من العقل و الحرفين من الكلمة الإلهية كن من الصفتين الإلهية في لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و هي الصفة الواحدة وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ و هي الصفة الأخرى فمن نزه فمن لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و من شبه فمن وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ فغيب و شهادة غيب تنزيه و شهادة تشبيه فافهم إن كنت تفهم و اعلم ما الحقيقة التي حكمت على الثنوية حتى أشركوا و هم المانية مع استيفائهم النظر و بذل الاستطاعة فيه فلم يقدروا على الخروج من هذه الاثنينية إلى العين الواحدة و ما ثم إلا الله وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلهاً آخَرَ لا بُرْهانَ لَهُ به فلم يعذر لأنه نزل عن هذه الدرجة فقلد فنجا صاحب النظر و هلك المقلد فإنه استند إلى أمر محقق في الصفة و الكلمة وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلى سَمْعِهِ فلم يسمع وَإِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ واحِدٌ و ختم على قلبه فلم يعلم أنه إله واحد لأنه لم يشاهد تقليب قلبه وَجَعَلَ عَلى بَصَرِهِ غِشاوَةً فلم يدرك فردية الكلمة بالواو التي بين الكاف و النون فمنعته الغشاوة من إدراكها فلم يشاهد إلا اثنين الكاف و النون لفظا و خطا و الكاف كافان كاف كن و هي كاف الإثبات و كاف لم يكن و هي كاف النفي و في هذه الكاف طلعت لنا الشمس سنة تسعين و خمسمائة فأثبتنا نفي التشبيه بطلوع الشمس في لم يكن و من لم تطلع له فيه شمس قال بالتعطيل و الشمس طالعة و لا بد في لم يكن نصف القرص منها ظاهر و النصف فيها مستتر و الغشاوة منعت هذا الرائي أن يدرك طلوعها فقال بالتعطيل و هو النفي المطلق فما من ناظر إلا و له عذر و الله أجل من أن يكلف نفسا ما ليس في وسعها

فكلهم في رحمة الله خالد　　　موحده أو ذو الشريك و جاحد

و من هذا الاسم وجد حرف الجيم و الطرف من المنازل و سيأتي الكلام على كل واحد من هذه الحروف و المنازل في بابها (الفصل العشرون في الاسم المقدر) و توجهه على إيجاد فلك المنازل و الجنات و تقدير صور الكواكب في مقعر هذا الفلك و كونه أرض الجنة و

سقف جهنم و له حرف الشين المعجمة من الحروف و منزلة جبهة الأسد قال تعالى وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ . . . ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ فالمنازل مقادير التقاسيم التي في فلك البروج عينها الحق تعالى لنا إذ لم يميزه البصر بهذه المنازل و جعلها ثماني و عشرين منزلة من أجل حروف النفس الرحماني و إنما قلنا ذلك لأن الناس يتخيلون أن الحروف الثمانية و العشرين من المنازل حكم هذا العدد لها و عندنا بالعكس بل عن هذه الحروف كان حكم عدد المنازل و جعلت ثماني و عشرين مقسمة على اثني عشر برجا ليكون لكل برج في العدد الصحيح قدم و في العدد المكسور قدم إذ لو كان لبرج من هذه البروج عدد صحيح دون كسر أو مكسور دون صحيح لم يعم حكم ذلك البرج في العالم بحكم الزيادة و النقص و الكمال و عدم الكمال و لا بد من الزيادة و النقص لأن الاعتدال لا سبيل إليه لأن العالم مبناه على التكوين و التكوين بالاعتدال لا يصح فلا بد من عدد مكسور و صحيح في كل برج فكان لكل برج منزلتان و ثلث فثم برج يكون له منزلتان صحيحتان و ثلث منزلة كسر و ثم برج يكون له منزلة صحيحة في الوسط و يكون في آخره كسر و في أوله كسر فيلفق من الكسرين منزلة صحيحة مختلفة المزاج و ثلث منزلة و إنما قلنا مختلفة المزاج فإن كل منزلة على مزاج خاص فإذا جمع جزء منزلة إلى جزأي منزلة أخرى ليكمل بذلك عين منزلة لأن المنزلة مثلثة كالبرج له ثلاثة وجوه و من وجوه منازله سبعة وجوه فكل برج ذو سبعة أوجه و له من نفسه ثلاثة أوجه فكان المجموع عشرة أوجه فالمنزلة الصحيحة ذات مزاج واحد و المنزلة الكائنة من منزلتين بمنزلة المولد من اثنين يحدث له مزاج آخر ليس هو في كل واحد من الأبوين و فيه سر عجيب و هو أحدية المجموع فإن لها من الأثر ما ليس لاحدية الواحد أ لا ترى أن العالم ما وجد إلا بأحدية المجموع و أن الغني لله ما ثبت إلا بأحدية الواحد فهذا الحكم يخالف هذا الحكم بلا شك فالثريا لها مزاج خاص و قد أخذ الحمل منها ثلثها و جاء الثور يحتاج إلى منزلتين و ثلث فأخذ منزلة الدبران صحيحة بمزاج واحد أحدي و بقي له منزلة و ثلث لم يجد منزلة صحيحة ما يأخذ فأخذ ثلثي الثريا و أضاف إلى ذلك ثلثي الهقعة فكملت له منزلة واحدة بأحدية المجموع فتعطيه هذه المنزلة عين حكم الثريا و عين حكم الهقعة ثم يأخذ الثلث الثاني من الهقعة فلا يعمل من الهقعة إلا بالثلث الوسط و أما الثلث الأول المضاف إلى ثلثي الثريا لكمال المنزلة فإنه يحدث لهذا الثلث و يحدث لثلث الثريا بكمال و صورة منزلة ما هي عين واحدة منهما حكم ليس هو لثلثي أحدهما و لا لثلث الآخر فهذا هو السبب الذي يكون لأجله للبرج ثلاثة أوجه فمنه برج خالص و برج ممتزج و هل كل برج يكون من ثلثين و ثلثين و هي بروج معلومة يعينها لك تقسيم المنازل عليها و قد تكون المنزلة المركبة قامت من منزلة سعيدة و نحسة فتعطي بالمجموع سعدا و لا يظهر لنحس الأخرى أثر و قد تعطي نحسا و لا يظهر لسعد الأخرى أثر بخلاف المنزلة الصحيحة فإنها تجري على ما خلقت له فإن الله أعطاها خلقها كما أعطى للمركبة خلقها فكل علامة و دليل على برج لا بد فيه من

التركيب و يكون بالتثليث فإن الدليل أبدا مثلث النشأة لا بد من ذلك مفردان و جامع بينهما و هو الوجه الثالث لا بد من ذلك في كل مقدمتين من أجل الإنتاج كل أ ب و كل ب ج فتكررت الباء فقام الدليل من ألف با جيم فالوجه الجامع الباء لأنه تكرر في المقدمتين فانتج كل ألف جيم و هو كان المطلوب الذي ادعاه صاحب الدعوى فإنه ادعى أن كل ألف جيم فنوزع فساق الدليل بما اعترف به المنازع فإنه سلم إن كل أ ب و سلم أن كل ب ج فثبت عنده صحة قول المدعي أن كل أ ج فمن هنا ظهرت البراهين في عالم الإنسان و عن هذه التقاسيم التي أعطت المنازل في البروج و بعد أن علمت هذا فاعلم أن هذا الفلك الأطلس لما قام له الكرسي مقام العرش و فوق الأطلس الكرسي و العرش أعطت هذه الثلاثة وجود فلك المنازل كما أعطت المقدمات المركبة من ثلاث النتيجة و كما حملت النتيجة قوى الثلاث اللاتي في المقدمتين حمل فلك الكواكب قوة الأطلس و الكرسي و العرش و الكرسي هو الوجه الجامع بين المقدمتين لأنه الوسط بين العرش و الأطلس فله وجه إلى كل واحد منهما فمن قوة العرش اتحدت أو توحدت فيه الكلمة الإلهية فكان أهل الجنة و هم أهل هذا الفلك المكوكب يقولون للشيء كن فيكون و من قوة الكرسي كان لكل إنسان فيه زوجتان لأنه موضع القدمين و من قوة الفلك الأطلس غابت إنسانيته في ربه فتكونت عنه الأشياء و لا تتكون إلا عن الله و غابت الربوبية في إنسانيته فالتذ بالأشياء و تنعم و أكل و شرب و نكح فهو خلق حق فجهل كما أن الفلك الأطلس مجهول فلهذا قلنا إن هذا الفلك قد حصل قوة ما فوقه لأنه مواد عنه و هكذا كل ما تحته أبدا المولد يجمع حقائق ما فوقه حتى ينتهي إلى الإنسان و هو آخر مولد فتجمع فيه قوى جميع العالم و الأسماء الإلهية بكمالها فلا موجود أكمل من الإنسان الكامل و من لم يكمل في هذه الدنيا من الأناسي فهو حيوان ناطق جزء من الصورة لا غير لا يلحق بدرجة الإنسان بل نسبته إلى الإنسان نسبة جسد الميت إلى الإنسان فهو إنسان بالشكل لا بالحقيقة لأن جسد الميت فاقد في نظر العين جميع القوي وكذلك هذا الذي لم يكمل وكماله بالخلافة فلا يكون خليفة إلا من له الأسماء الإلهية بطريق الاستحقاق أي هو على تركيب خاص يقبلها إذ ما كل تركيب يقبلها و هذا من الأسرار الإلهية التي تجوزها العقول و هي محال كونها و لما خلق الله هذا الفلك كون في سطحه الجنة فسطحه مسك و هو أرض الجنة و قسم الجنات على ثلاثة أقسام للثلاثة الوجوه التي لكل برج جنات الاختصاص و هي الأولى و جنات الميراث و هي الثانية و جنات الأعمال و هي الثالثة ثم جعل في كل قسم أربعة أنهار مضروبة في ثلاثة يكون منها اثنا عشر نهرا و منها ظهر في حجر موسى اثنتا عشرة عينا لاثنتي عشرة سبطا ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾ النهر الواحد نهر الماء الذي هو غير آسن يقول غير متغير و هو علم الحياة و نهر الخمر و هو علم الأحوال و نهر العسل و هو علم الوحي على ضروبه و لهذا تصعق الملائكة عند ما تسمع الوحي كما يسكر شارب الخمر و نهر اللبن و هو علم الأسرار و اللب الذي تنتجه الرياضات و التقوى فهذه أربعة علوم و

الإنسان مثلث النشأة نشأة باطنة معنوية روحانية و نشأة ظاهرة حسية طبيعية و نشأة متوسطة جسدية برزخية مثالية و لكل نشأة من هذه الأنهار نصيب كل نصيب نهر لها مستقل يختلف مطعمه باختلاف النشأة فيدركه منه بالحس ما لا يدركه بالخيال و يدرك منه بالخيال ما لا يدركه بالمعنى و هكذا كل نشأة فللإنسان اثنا عشر نهرا في جنة الاختصاص أربعة و في جنة الميراث مثلها و في جنة الأعمال مثلها لمن له جنة عمل إما من نفسه و إما ممن أهدى له من الأعمال شيئًا فيحصل للإنسان من العلوم في كل جنة بحسب حقيقة تلك الجنة و بحسب مأخذ النشآت منه فإنها تختلف مأخذها و تختلف العلوم و تختلف الجنات فتختلف الأذواق و نفس الرحمن فيها دائم لا ينقطع تسوقه ريح تسمى المثيرة و في الجنة شجرة ما يبقى بيت في الجنة إلا دخل فيه منها تسمى المؤنسة يجتمع إلى أصلها أهل الجنة في ظلها يتحدثون بما ينبغي لجلال الله بحسب مقاماتهم في ذلك بطريق الإفادة فيحصل بينهم لكل واحد علم لم يكن يعرفه فتعلو منزلته بعلو ذلك العلم فإذا قاموا من تحت تلك الشجرة وجدوا لهم درجات و منازل لم يكونوا يعرفونها في جناتهم فيجدون من اللذة بها ما لا يقدر قدره فيتعجبون و لا يعرفون من أين ذلك فتهب عليهم الريح المثيرة من نفس الرحمن تخبرهم أن هذه الدرجات التي حصلتموها هي منازلكم في منازل العلم الذي اكتسبتموه تحت الشجرة المؤنسة في ناديكم هذه منازله فيحصل لكل واحد منزل يعلمه فلا يمر لهم نفس إلا و لهم فيه نعيم مقيم جديد فهذا ما يحوي عليه سطح هذا الفلك و أمثال هذا و وجدت هذه الجنان بطالع الأسد و هو برج ثابت فلها الدوام و له القهر فلهذا يقول أهله للشيء كن فلا يأبى إلا أن يكون لأنه ليس في البروج من له السطوة مثله فله القهر على إبراز الأمور من العدم إلى الوجود و أما مقعر هذا الفلك فجعله الله محلا للكواكب الثابتة القاطعة في فلك البروج و لها من الصور فيه ألف صورة واحدي و عشرون صورة و صور السبعة الجواري في السموات السبع فمبلغ الجميع ألف و ثمان و عشرون صورة كلها تقطع في فلك البروج بين سريع و بطيء و يوم كل كوكب منها بقدر قطعه فلك البروج فأسرعها قطعا القمر فإن يومه ثمانية و عشرون يوما من أيام الدورة الكبرى التي تقدر بها هذه الأيام و هي الأيام المعهودة عند الناس كما أشار إلى ذلك تعالى في قوله وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ يعني هذه الأيام المعروفة فأقصر أيام هذه الكواكب يوم القمر و مقداره ثمانية و عشرون يوما مما تعدون و أطول يوم لكوكب منه مقداره ست و ثلاثون ألف سنة مما تعدون و يوم ذي المعارج من الأسماء الإلهية خمسون ألف سنة و يوم الاسم الرب كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ و لكل اسم إلهي يوم فإذا أردت أن تعرف جميع أيام صور الكواكب أعني مقدارها من الأيام المعروفة فاضرب ألفا و أحدا و عشرين في ستة و ثلاثين ألف سنة فما خرج فذلك حصر أيام الكواكب من الأيام المعروفة فإن يوم كل واحد منها ست و ثلاثون ألف سنة ثم تضيف إلى المجموع أيام الجواري السبعة فما اجتمع فهو ذلك ثم تأخذ هذا المجموع و تضربه فيما اجتمع من سنى البروج و

سنى ما اجتمع من ضرب ثلاثمائة و ستين في مثلها فما خرج لك من المجموع فهو عدد الكوائن في الدنيا من أول ما خلقها الله إلى انقضائها فاعلم ذلك و المجموع من ضرب ثلاثمائة و ستين في مثلها مع سنى البروج مائتا ألف و سبعة آلاف و ستمائة و في هذا المجموع تضرب ما اجتمع من عدد أيام الكواكب كلها فهذا تقدير الكواكب التي وقتها و قدرها العزيز العليم فيبقى في الآخرة في دار جهنم حكم أيام الكواكب التي في مقعر هذا الفلك و الجواري السبعة مع انكدارها و طمسها و انتثارها فتحدث عنها في جهنم حوادث غير حوادث إنارتها و ثبوتها و سير أفلاكها بها و هي ألف و ثمانية و عشرون فلكا كلها تذهب و تبقي السباحة للكواكب بذاتها مطموسة الأنوار و يبقى في الآخرة في الجنة حكم البروج و حكم مقادير العقل عنها يحدث في الجنان ما يحدث و يثبت و أما كثيب المسك الأبيض الذي في جنة عدن الذي تجتمع فيه الناس للرؤية يوم الزور الأعظم و هو يوم الجمعة فأيامه من أيام أسماء الله و لا علم لي و لا لأحد بها فإن لله أسماء استأثر بها في علم غيبه فلا تعلم فلا تعلم أيامها فعدن بين الجنات كالكعبة بيت الله بين بيوت الناس و الزور الأعظم فيه كصلاة الجمعة و الزور الخاص كالصلوات الخمس في الأيام و الزور الأخلص الأخص كمساجد البيوت لصلاة النوافل فتزور الحق على قدر صلاتك و تراه على قدر حضورك فأدناه الحضور في النية عند التكبير و عند الخروج من الصلاة و أعظمه استصحاب الحضور إلى الخروج من الصلاة و ما بينهما في كل صلاة فهنا مناجاة و هناك مشاهدة و هنا حركات و هناك سكون و لهذا الاسم من الحروف الشين المعجمة و من المنازل الجبهة انتهى الجزء الثاني و العشرون و مائة

((بسم الله الرحمن الرحيم))

(الفصل الحادي و العشرون) في الاسم الرب و توجهه على إيجاد السماء الأولى و البيت المعمور و السدرة و الخليل و يوم السبت و حرف الياء بالنقطتين من أسفل و الخرتان و كيوان قال الله تعالى وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً فما طلب الزيادة من العلم إلا من الرب و لهذا جاء مضافا لاحتياج العالم إليه أكثر من غيره من الأسماء لأنه اسم لجميع المصالح و هو من الأسماء الثلاثة الأمهات فجاء رَبُّكُمْ وَ رَبُّ آبَائِكُمُ و رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ و رَبُّ الْمَشَارِقِ و الْمَشْرِقَيْنِ و الْمَشْرِقِ و رب المغارب و المغرب و المغربين و هو المتخذ وكيلا و هذا الاسم أعطى السدرة نبقها و خضرتها و نورها منه و من الاسم الله و أعطى الاسم الرحمن من نفسه عرفها كما قال في الجنة عَرَّفَهَا لَهُمْ يعني بالنفس من العرف و هي الرائحة و من الاسم الله أصولها و زقومها لأهل جهنم و قد جلل الله هذه السدرة بنور الهوية فلا تصل عين إلى مشاهدتها فتحدها أو تصفها و النور الذي كساها نور أعمال العباد و نبقها على عدد نسم السعداء لا بل على عدد أعمال السعداء لا بل هي أعيان أعمال السعداء و ما في جنة الأعمال قصر و لا طاق إلا و غصن من أغصان هذه السدرة داخل فيه و في ذلك الغصن

من النبق على قدر ما في العمل الذي هذا الغصن صورته من الحركات و ما من ورقة في ذلك الغصن إلا و فيها من الحسن بقدر ما حضر هذا العبد مع الله في ذلك العمل و أوراق الغصن بعدد الأنفاس في ذلك العمل و شوك هذه السدرة كله لأهل الشقاء و أصولها فيهم و الشجرة واحدة و لكن تعطي أصولها النقيض مما تعطيه فروعها من كل نوع فكل ما وصفنا به الفروع حد النقيض في الأصول و هذا كثير الوقوع في علم النبات كما حكي أن أبا العلا ابن زهر و كان من أعلم الناس بالطب و لا سيما بعلم الحشائش و أبا بكر بن الصائغ المعروف بابن باجة و كان دون ابن زهر في معرفة الحشائش إلا أنه كان أفضل منه في العلم الطبيعي و كان يتخيل في زعمه أنه أعلم من ابن زهر في علم الحشائش فركبا يوما فمرا بحشيشة فقال ابن زهر لغلامه اقطع لنا من هذه الحشيشة و أشار إلى حشيشة معينة فأخذ شيئا منها و فتلها في يده و قربها من أنفه كأنه يستنشقها ثم قال لأبي بكر انظر ما أطيب ريح هذه الحشيشة فاستنشقها أبو بكر فرعف من حينه فما ترك شيئا يمكن في علمه أن يقطع به الرعاف مما هو حاضر إلا و عمله و ما نفع حتى كاد يهلك و أبو العلا يتبسم و يقول يا أبا بكر عجزت قال نعم فقال أبو العلا لغلامه استخرج لي أصول تلك الحشيشة فجاء بها فقال له يا أبا بكر استنشقها فاستنشقها أبو بكر فانقطع الدم عنه فعلم فضله عليه في علم الحشائش و أسعد الناس بهذه السدرة أهل بيت المقدس كما أن أسعد الناس بالمهدي أهل الكوفة كما أنه أسعد الناس برسول الله ص أهل الحرم المكي كما أنه أسعد الناس بالحق أهل القرآن و إذ أكل أهل السعادة من هذه الشجرة زال الغل من صدورهم و مكتوب على ورقها سبوح قدوس رب الملائكة و الروح و إلى هذه السدرة تنتهي أعمال بني آدم و لهذا سميت سدرة المنتهى و للحق فيها تجل خاص عظيم يقيد الناظر و يحير الخاطر و إلى جانبها منصة و تلك المنصة مقعد جبريل عليه السلام و فيها من الآيات ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر كما قال رسول الله ص فيها إنها غشيها من نور الله ما غشى فلا يستطيع أحد أن ينعتها إنما ينظر الناظر إليها فيدركه البهت و أوجد الله في هذه السماء البيت المعمور المسمى بالضراح و هو على سمت الكعبة كما ورد في الخبر لو سقطت منه حصاة لوقعت على الكعبة و هذا البيت في هذه السماء و السماء ساكنة لا حركة فيها و لهذا لا ينتقل البيت من سمت الكعبة لأن الله جعل هذه السموات ثابتة مستقرة هي لنا كالسقف للبيت و لهذا سماها السقف المرفوع إلا أنه في كل سماء فلك و هو الذي تحدثه سباحة كوكب ذلك السماء فالكواكب تسبح في أفلاكها لكل كوكب فلك فعدد الأفلاك بعدد الكواكب يقول تعالى كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ و أجرام السموات أجرام شفافة و هي مسكن الملائكة و الأفلاك لو لا سباحة الكواكب ما ظهر لها عين في السموات فهي فيها كالطرق في الأرض تحدث كونها طريقا بالماشي فيها فهي أرض من حيث عينها طريق من حيث المشي فيها و هذا البيت له بابان يدخل فيه كل يوم سبعون ألف ملك ثم يخرجون على الباب الذي يقابله و لا

يعودون إليه أبدا يدخلون فيه من الباب الشرقي لأنه باب ظهور الأنوار و يخرجون من الباب الغربي لأنه باب ستر الأنوار المذهبة فيحصلون في الغيب فلا يدري أحد حيث يستقرون و هؤلاء الملائكة يخلقهم الله في كل يوم من نهر الحياة من القطرات التي تقطر من انتفاض جبريل لأن الله قد جعل له في كل يوم غمسة في نهر الحياة و بعدد هؤلاء الملائكة في كل يوم تكون خواطر بنى آدم فما من شخص مؤمن و لا غيره إلا و يخطر له سبعون ألف خاطر في كل يوم لا يشعر بها إلا أهل الله و هؤلاء الملائكة الذين يدخلون البيت المعمور يجتمعون عند خروجهم منه مع الملائكة الذين خلقهم الله من خواطر القلوب فإذا اجتمعوا بهم كان ذكرهم الاستغفار إلى يوم القيامة فمن كان قلبه معمورا بذكر الله مستصحبا كانت الملائكة المخلوقة من خواطره تمتاز عن الملائكة التي خلقت من خواطر قلب ليس له هذا المقام و سواء كان الخاطر فيما ينبغي أو فيما لا ينبغي فالقلوب كلها من هذا البيت خلقت فلا تزال معمورة دائما و كل ملك يتكون من الخاطر يكون على صورة ما خطر سواء و خلق الله في هذه السماء كوكبا و أوحى فيها أمرها و أسكنها إبراهيم الخليل و جعل لهذا الكوكب حركة في فلكه على قدر معلوم و من أعجب المسائل مسألة هذه الحركات فإنها من خفي العلم فإنه يعطي أنه لا يستحيل مؤثر فيه بين مؤثرين لأن مثل هذه الحركة لهذا الكوكب يكون عن حكمين مختلفين حكم قسري و حكم إرادي أو طبيعي و ذلك له مثال ظاهر و هو أنه إذا كان حيوان على جسم قاصدا جهة بحركته من هذا إلا لجسم و تحرك الجسم إلى غير تلك الجهة فتحرك الحيوان إلى جهة حركة هذا الجسم مع حركته إلى النقيض فيجمع بين حركتين متقابلتين معا في زمان واحد فهو يقطع في ذلك الجسم الذي هو عليه و الجسم يقطع به في جسم آخر فيقطع الحيوان فيه بحكم التبعية كنملة على ثوب مطروح في الأرض تمشي فيه مشرقة و يجذب جاذب ذلك الثوب إلى جهة الغرب فتكون متحركة إلى جهة الشرق في الآن الذي تتحرك فيه بتحرك الثوب إلى جهة الغرب فهي حركة قهرية لها غالبة عليها و هاتان حركتان متقابلتان في آن واحد فانظر هل لاجتماع الضدين وجود في هذه المسألة أم لا فإن الكواكب تقطع في الفلك في رأى العين من الغرب إلى الشرق و الفلك الأكبر المحيط يقطع بها من الشرق إلى الغرب فالكوكب متحرك من الشرق إلى الغرب في الآن الذي هو فيه متحرك من الغرب إلى الشرق ففلكه الذي تحدثه حركته شرقا عين فلكه الذي تحدثه حركته غربا فهذه مثل مسألة الجبر في عين الاختيار فالعبد مجبور في اختياره و من هذه المسألة تعرف أفعال العباد لمن هي منسوبة بحكم الخلق هل ينفرد بها أحد القادرين أو هل هي لقادرين لكل قادر فيها نسبة خاصة بها وقع التكليف و من أجلها كان العقاب و الثواب و قد ذكرنا ما لهذا الفلك من الأثر في قلوب العارفين و ذكر غيرنا و ذكرنا ما له من الأثر في عالم الخلق من الكون و الفساد و هو عالم الأركان و المولدات كل ذلك من هذا النفس الرحماني لأنه يعطي الحركات و الحركة سبب الوجود ألا ترى الأصل لولا توجه الإرادة و هي حركة معنوية و القول و هو حركة معنوية و

بها سميت اللفظة لفظة لهذه الحركة ما ظهر وجود و من هذا الفلك أعطى الله وجود يوم السبت و هو يوم الأبد فليله في الآخرة لا انقضاء له و نها ره أيضا في المحل الثاني لا انقضاء له و فيه تحدث الأيام السبعة و منها السبت و هذا من أعجب الأمور أيضا أن الأيام التي منها السبت تحدث في يوم السبت فهو من جملة الأيام و فيه يظهر الأيام و لهذا مستند في الحقيقة الإلهية و ذلك أن الترمذي خرج في غريب الحسان عن أبي هريرة عن رسول الله ص قال لما خلق الله آدم و نفخ فيه الروح عطس فقال له الحق قل الحمد لله فقال الحمد لله فحمد الله بإذنه فقال له يرحمك ربك يا آدم لهذا خلقتك هذه الزيادة ليست من الترمذي ثم رجعنا إلى حديث الترمذي يا آدم اذهب إلى أولئك الملائكة إلى ملأ منهم جلوس فقل السلام عليكم قالوا و عليك السلام و رحمة الله ثم رجع إلى ربه فقال إن هذه تحيتك و تحية بينك و بينهم فقال الله له و يداه مقبوضتان اختر أيهما شئت قال اخترت يدي ربي و كلتا يمين ربي يمين مباركة و بسطها و إذا فيها آدم و ذريته الحديث فهذا آدم في تلك القبضة في حال كونه خارجا عنها و هكذا عين هذه المسألة و إذا نظرت وجدت العالم مع الحق بهذه المثابة موضع حيرة هو لا هو ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلٰكِنَّ اللّٰهَ رَمى فختم بما به بدأ فيا ليت شعري من الوسط فإنه وسط بين نفي و هو قوله وَما رَمَيْتَ و بين إثبات و هو قوله وَلٰكِنَّ اللّٰهَ رَمى و هو قوله ما أنت إذ أنت لكن الله أنت فهذا معنى قولنا في كلامنا في الظاهر و المظاهر و إنه عينه مع اختلاف صور المظاهر فنقول في زيد إنه واحد مع اختلاف أعضائه فرجله ما هي يده و هي زيد في قولنا زيد و كذلك أعضاؤه كلها و باطنه و ظاهره و غيبه و شهادته مختلف الصور و هو عين زيد ما هو غير زيد ثم تضاف كل صورة إليه و يؤكد بالعين و النفس و الكل و الجمع و في هذا الفلك عين الموت و معدن الراحة و سرعة الحركة في ثبات و طرح الزينة و الأذى و له حصل هذا الكوكب في برج الأسد و هو نقيضه في الطبع و نظيره في الثبوت و من هنا يعرف قول من قال إن المثلين ضدان هل أخطأ أو أصاب و إذا نزل الكوكب في البرج هل يمتزج الحكم فيكون للمجموع حكم ما هو لكل واحد منهما على انفراد أو يغلب حكم المنزلة و البرج على الكوكب النازل فيه أو يغلب حكم الكوكب على البرج أو يتصف أحدهما بالأكثر في الحكم و الآخر بالأقل مع وجود الحكمين فعندنا لا يحكم واحد في آخر و إن حكم جمعيتهما يظهر في المحكوم فيه و لكل واحد منهما قوة في ذلك المحكوم فيه بذلك الحكم لأنه عنهما صدر ذلك الحكم من حالة تسمى الاجتماع كما يكون ذلك في الاقترانات بين الكواكب و هذا نوع من الاقتران و ليس باقتران و لكنه نزول في منزل (الفصل الثاني و العشرون في الاسم العليم) و توجهه على إيجاد السماء الثانية و خانسها و يوم الخميس و موسى عليه السلام و حرف الضاد المعجمة و الصرفة من المنازل قال الله تعالى آمرا لنبيه صلى الله عليه و سلم وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً الكلام في كون هذه السماء و باقي السموات و الأفلاك كما تقدم غير أني أشير إلى ما يختص به كل سماء خاصة من الحكم فأما هذه السماء فأوحى الله

فيها أمرها و تفصيل أمر كل سماء يطول و قد ذكرنا من ذلك طرفا جيدا في التنزلات الموصلية فمن أمرها حياة قلوب العلماء بالعلم و اللين و الرفق و جميع مكارم الأخلاق و لذلك لم ينبه أحد من سكان السموات من أرواح الأنبياء عليهم السلام رسول الله صلى الله عليه و سلم ليلة فرض الله على أمته صلى الله عليه و سلم خمسين صلاة غير موسى عليه السلام فإنه قال له راجع ربك فإنه كان أعلم منه بهذه الأمور لذوقه مثله في بني إسرائيل و ما ابتلي به منهم فتكلم عن ذوق و خبرة فكل شيخ لا يتكلم في العلوم عن ذوق و مجلى إلهي لا عن كتب و نقل فليس بعالم و لا أستاذ فلولاه لكان الفرض علينا في الصلاة خمسين صلاة مع كونه أرسله الله رحمة للعالمين و من كثر تكليفه قلت رحمته فقيض الله له في مدرجة إسرائه موسى عليه السلام فخفف الله عن هذه الأمة به صلى الله عليه و سلم فهذا ما كان إلا من حكم أمر هذه السماء الذي أوحى الله فيها أمرها و لها من الأيام يوم الخميس فكل سر يكون للعارفين و علم و تجل فمن حقيقة موسى من هذه السماء و كل أثر يظهر في الأركان و المولدات يوم الخميس فمن كوكب هذه السماء و حركة فلكها مجملا من غير تفصيل و لها الضاد المعجمة و من المنازل الصرفة فأما وجود الحروف المذكورة في كل سماء فلتلك السماء أثر في وجودها و أما قولنا إن لها من المنازل الصرفة أو كذا لكل سماء فلسنا نريد أن لها أثرا في وجود المنزلة كما أردنا بالحرف و إنما أريد بذلك أن هذا الكوكب الخاص بهذا الفلك أول ما أوجده الله و تحرك أوجده في المنزلة التي نذكرها له بعينها فهي منزلة سعده حيث ظهر فيها وجوده فهذا معنى قولي له من المنازل كذا و لكل سماء و فلك أثر في معدن من المعادن السبعة يختص به و ينظر إلى ذلك المعدن بقوته (الفصل الثالث و العشرون) في الاسم القاهر توجه هذا الاسم الإلهي على إيجاد السماء الثالثة فأظهر عينها و كوكبها و فلكه و جعلها مسكن هارون عليه السلام و بهذا الاسم الإلهي أوحى فيها أمرها و كان وجود كوكبها حركة فلكه في منزلة العوا يوم الثلاثاء فمن الأمر الموحى فيها إهراق الدماء و الحميات و عن حركة هذا الفلك ظهر حرف اللام من الحروف اللفظية فكل علم و سر من الأسرار الإلهية يظهر على العارفين يوم الثلاثاء فهو من هذه السماء من روح هارون و كل أثر في الأركان و المولدات فمن أمر هذا الفلك و حركة كوكبه فإن الله لما أوحى في كل سماء أمرها أوحى بالاسم الإلهي الخاص بذلك فذلك الاسم هو الممد لها (الفصل الرابع و العشرون) في الاسم النور و توجه هذا الاسم الإلهي على إيجاد السماء الرابعة و هي قلب العالم و قلب السموات فأظهر عينها يوم الأحد و أسكن فيها قطب الأرواح الإنسانية و هو إدريس عليه السلام و سمى الله هذه السماء مكانا عليا لكونها قلبا فإن التي فوقها أعلى منها فأراد علو مكانة المكان فلهذا المكان من المكانة رتبة العلو و أوجدها في منزلة السماك و أظهر كوكبها و فلكه و كون حرف النون عنها و أظهر بحركة كوكبها الليل و النهار فقسم اليوم فتقسم فيه الحكم الإلهي في العالم فجعل كل واحد منهما أنثى و الآخر ذكر الإنتاج ما يظهر في الأركان من

المولدات فكل ما ولد و ظهر من الآثا ر عموما في الأيام كلها بالنها ر فأمه النها ر و أبوه الليل و ما ظهر من ذلك بالليل فأمه الليل و أبوه النها ر فـ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّها رِ إذا كان النها ر أنثى وَيُولِجُ النَّها رَ فِي اللَّيْلِ إذا كان الليل أنثى و قد بينا ذلك في كتاب الشأن فكل ما ظهر من العلم و الآثا ر في المولدات يوم الأحد فمن هذه السماء و ساكنها لا بل في كل يوم و في كل العالم الذي تحت حيطته و لا يخنس كوكبها (الفصل الخامس و العشرون) في الاسم المصور توجه هذا الاسم الإلهي على إيجاد السماء الخامسة و فلكها و كوكبها و كان ظهور ذلك في منزلة الغفر و أوحى فيها إظها ر صور الأرواح و الأجسام و العلوم في العالم العنصري و اختصت بالأثر الكامل بطريق التولية بيوم الجمعة و أسكن فيها يوسف عليه السلام و عنها ظهر حرف الراء (الفصل السادس و العشرون) في الاسم المحصي قال تعالى وَأَحْصى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً يريد موجودا و توجه هذا الاسم الإلهي على إيجاد السماء السادسة و كوكبها و فلكها يوم الأربعاء في منزلة الزبانا و أسكن فيها عيسى عليه السلام فكل ما ظهر في يوم الأربعاء في العالم العنصري من الآثا ر الحسية و المعنوية و ما يحصل للعا رفين في قلوبهم من ذلك فمن وحي هذه السماء و منها ظهر حرف الطاء المهملة

(الفصل السابع و العشرون) في الاسم المبين توجه هذا الاسم على إيجاد السماء الدنيا و كوكبها و فلكه يوم الإثنين في منزلة الإكليل و عن حركة هذا الفلك حرف الدال المهملة و له كل حكم يظهر في العالم يوم الإثنين روحا و جسما و هذا كله بنها ر ذلك اليوم لا بليله فإن ليلة كل يوم ما هي الليلة التي يكون ذلك اليوم في صبيحتها و لا الليلة التي تكون بغروب شمسه في ذلك اليوم و قد ذكرنا ذلك في كتاب الشأن و إنما ليلته التي لذلك اليوم هي في أول ساعة من الليل الذي هو حاكم في أول ساعة من النها ر فذلك يوم تلك الليلة و تلك الليلة ليلة ذلك اليوم فهذا أريد اعلم أن هذه السماء الدنيا أوحى الله فيها أمرها و أسكنها آدم و هو الإنسان الفرد أصل هذا النوع و هو قوله تعالى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ إلا أنه جعله الله أعني الإنسان سريع التغيير في باطنه كثير الخواطر يتقلب في باطنه في كل لحظة تقلبات مختلفة لأنه على الصورة الإلهية و هو سبحانه كل يوم في شأن فمن المحال ثبوت العالم زمانين على حالة واحدة بل يتغير عليه الأحوال و الأعراض في كل زمان فرد و هو الشئون التي هو الحق فيها لمن علم ما قال الله و لا يظهر سلطان ذلك إلا في باطن الإنسان فلا يزال يتقلب في كل نفس في صور تسمى الخواطر لو ظهرت إلى الأبصا ر لرأيت عجبا و أسرع الحركات الفلكية حركة هذا الفلك بكوكبه الذي هو القمر فهو أسرع سير في قطع فلك المنا زل من غيره من السيا رة و له في كل يوم منزلة فيقطع الفلك في ثمانية و عشرين يوما فكان ظهور الأثر في الكون سريعا لسرعة الحركة فناسب آدم في سرعة خواطره فأسكنه هذه السماء و جعل نسم بنيه عن يمينه و يسا ره أسودة يرى شخوصها أهل الكشف و عن يمينه عليون و عن يسا ره السفل فلا يخفى عنه من أحوال بنيه شيء و اعلم أن هذه الحقيقة التي جعلته يسمى إنسانا

مفردا هي في كل إنسان و لكن كانت في آدم أتم لأنه كان و لا مثل له ثم بعد ذلك انتشأت منه الأمثال فخرجت على صورته كما انتشا هو من العالم و من الأسماء الإلهية فخرج على صورة العالم و صورة الحق فوقع الاشتراك بين الأناسي في أشياء و انفرد كل شخص بأمر يمتاز به عن غيره كما هو العالم فبما ينفرد به الإنسان يسمى الإنسان المفرد و بما يشترك به يسمى الإنسان الكبير و لما كان آدم أبا البشر كانت منه رقيقة إلى كل إنسان و نسبة و لما كان هو من العالم و من الحق بمنزلة بنيه منه كانت فيه رقيقة من كل صورة في العالم تمتد إليه لتحفظ عليه صورته و رقيقة من كل اسم إلهي تمتد إليه لتحفظ عليه مرتبته و خلافته فهو يتنوع في حالاته تنوع الأسماء الإلهية و يتقلب في أكوانه تقلب العالم كله و هو صغير الحجم لطيف الجرم سريع الحركة فإذا تحرك حرك جميع العالم و استدعى بتلك الحركة توجه الأسماء الإلهية عليه لترى ما أراد بتلك الحركة فتقضي في ذلك بحسب حقائقها و لم يكن في الأفلاك أصغر من فلك سماء الدنيا فأسكنه الله فيها للمناسبة و لصغر هذا الفلك كان أسرع دورة فناسب سرعة الخواطر التي في الإنسان فأسكنه فيه من حيث إنه إنسان مفرد خاصة لا من حيث اشتراكه ثم إنه جعل الله له من بنيه في كل سماء شخصا و هو عيسى و يوسف و إدريس و هارون و يحيى و موسى و إبراهيم عليهم السلام فهو ناظر إليهم في كل يوم بما هو أب لهم و هم ناظرون إليه من حيث ما هم في منازل معينة لا من حيث هم أبناء له و هذا الإنسان المفرد يقابل بذاته الحضرة الإلهية و قد خلقه الله من حيث شكله و أعضاؤه على جهات ستة ظهرت فيه فهو في العالم كالنقطة من المحيط و هو من الحق كالباطن و من العالم كالظاهر و من القصد كالأول و من النشء كالآخر فهو أول بالقصد آخر بالنشء و ظاهر بالصورة و باطن بالروح كما أنه خلقه الله من حيث طبيعته و صورة جسمه من أربع فله التربيع من طبيعته إذ كان مجموع الأربعة الأركان و أنشأ جسده ذا أبعاد ثلاثة من طول و عرض و عمق فأشبه الحضرة الإلهية ذاتا و صفات و أفعالا فهذه ثلاث مراتب مرتبة شكله و هو عين جهاته و مرتبة طبيعته و مرتبة جسمه ثم إن الله جعل له مثلا و ضدا و ما ثم سوى هذه الخمسة و اختص بالخمسة لأنه ليس في الأعداد من له الاسم الحفيظ إلا هي و هي تحفظ نفسها و غيرها بذاتها و هو قوله تعالى وَ لاٰ يَؤُدُهُ حِفْظُهُما فثنى و هو قولنا تحفظ نفسها و غيرها فأما كونه ضدا فبما هو عاجز جاهل قاصر ميت أعمى أخرس ذو صمم فقير ذليل عدم و بما هو مثل ظهوره بجميع الأسماء الإلهية و الكونية فهو مثل للعالم و مثل للحضرة فجمع بين المثليين و ليس ذلك لغيره من المخلوقين فهو حي عالم مريد قادر سميع بصير متكلم عزيز غني إلى جميع الأسماء الإلهية كلها و الأسماء الكونية فله التخلق بالأسماء فله حالات خمس يقابل بها كل ما سواه بحسب ما ينظرون إليه إذ هو الكلمة الجامعة و أعطاه الله من القوة بحيث إنه ينظر في النظرة الواحدة إلى الحضرتين فيتلقى من الحق و يلقي إلى الخلق فمنهم الناظر إليه من حيث شكله فيمده من ذلك المقام بأمور خاصة تختص بالشكل و منهم الناظر إليه من حيث طبيعته

فيمده من ذلك المقام بأمور خاصة تختص بالطبع كما يمده الحق في شكله من اسمه المحيط و في طبيعته من حياته و علمه و إرادته و قدرته و منهم من ينظر إليه من حيث جسمه فيمده من ذلك المقام بأمور خاصة تختص بالجسم كما يمده الحق من حضرته بما يظهر في ذاته و صفاته و أفعاله و منهم الناظر إليه كفا حالا منازعة فيمده من ذلك المقام بأمور خاصة تختص بالمكافحة كما يمده الحق من اسمه البعيد و المعز إن كان ذليلا و المذل إن كان عزيزا و منهم الناظر إليه من حيث إنه مثل له في المرتبة فإنه بالمرتبة كان خليفة و قد شورك فيها فقال هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِي الْأَرْضِ و قال يا داوُدُ إِنَّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فهم نواب الحق في عباده فيمدهم من ذلك المقام بأمور خاصة تختص بتلك المثلية كما يمده الحق من صورته بجميع أسمائه و ليس إلا هذه و قد قسم الله خلقه إلى شقي و سعيد و جعل مقر عباده في دارين دار جهنم و هي دار كل شقي و دار جنان و هي دار كل سعيد و سموا هؤلاء أشقياء لأنهم أقيموا فيما يشق عليهم و هو المخالفة و سموا هؤلاء سعداء لأنهم أقيموا فيما يسهل عليهم و هو المساعدة و الموافقة فمن كان مع الله على مراد الله فيه و في خلقه لم يشق عليه شيء مما يحدث في العالم (حكي) عن رابعة رضي الله عنها أنه ضرب رأسها ركن جدار فأدماها فما التفتت فقيل لها في ذلك فقالت شغلي بموافقة مراده فيما جرى شغلني عن الإحساس بما ترون من شاهد الحال فما شق عليها ما جرى فلو شق عليها لتعذبت في نفسها منها فالأشقياء ليس لهم عذاب إلا منهم لأنهم أقيموا في مقام الاعتراض و التعليل لأفعال الله في عباده و لأي شيء كان كذا و لو كان كذا كان أحسن و أليق و نازعوا الربوبية و شاقوا الله و رسوله فشقاؤهم شقاقهم فهي دار الأشقياء بدخولها في هذه الحال فإذا طال عليهم الأمد تغير الحال لأن طول الأمد له حكم بقوله تعالى فَطالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ فإذا طال الأمد على الأشقياء و علموا أن ذلك ليس بنافع قالوا فالموافقة أولى فتبدلت صورهم فأثر ذلك التبديل هذا الحكم فزالت المشاقة فارتفع العذاب عن بواطنهم فاستراحوا في دارهم و وجدوا في ذلك من اللذة ما لا يعلمه إلا الله لأنهم اختاروا ما اختار الله لهم و علموا عند ذلك أن عذابهم لم يكن إلا منهم فحمدوا الله على كل حال فأعقبهم ذلك أن يحمدوا الله المنعم المتفضل ثم إن لهذا الإنسان المفرد الذي هو آدم و لكل إنسان أقيم فيما هو منفرد به نظر آخر إلى منازل السعداء و هي التي عينها الفلك المكوكب و هي منازل الجنان و منازل النار فان الجنة مائة درجة و النار مائة درك على عدد الأسماء الإلهية فهي بحكم الاشتراك تسعة و تسعون اسما ينالها كل إنسان بما هو مشارك غيره و الاسم الموفي مائة و هو وتر الغيب كما كانت التسعة و التسعون وتر الشهادة لأن الله وتر يحب الوتر فالاسم الموفي مائة مفرد منه يتجلى الحق للإنسان المفرد إذا كان مع الأمر الذي يسمى به إنسانا مفردا و إذا كان مع هذا الاسم الفرد كانت منازله ثمانيا و عشرين منزلة لأن حروف نفسه ثمانية و عشرون حرفا ظهر منها في مقام الجمع و الوجود علامات تدل على الحق و هي خمس آلاف علامة و

ثمانمائة علامة و ثمان و ثلاثون علامة و هذه كلها منا زل في هذه المنا زل و لهذا يقال يوم القيامة لقا رئ القرآن اقرأ و ا رق فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ و لهذا تمدح أبو يزيد بأنه ما مات حتى استظهر القرآن و ينبغي لقا رئ القرآن إذا لم يكن من أهل الكشف و لا من أهل التعليم الإلهي أن يبحث و يسأل علماء الرسوم أي شيء يثبت عندهم أو رأوه أنه كان قرآنا و نسخ لفظه من هذا المصحف العثماني و لا يبالي إذا قالوا له كذا و كذا صحيحا كان الطريق إلى ذلك أو غير صحيح فينبغي إن يحفظه فإنه يزيد بذلك درجات و قد اختلفت المصاحف فهذا ينفعه و لا يضره فإن هذا الذي بأيدينا هو قرآن بلا شك و نعلم أنه قد سقط منه كثير فلو كان رسول الله صلى الله عليه و سلم هو الذي جمعه لوقفنا عنده و قلنا هذا وحده هو الذي نتلوه يوم القيامة إذا قيل لقا رئ القرآن اقرأ و ا رق و الاحتياط فيما قلناه و لكن لا أريد بذلك أنه يصلي به و إنما يحفظه خاصة فإنه ليس بمتواتر مثل هذا و ما نا زع أحد من الصحابة في مصحف عثمان إنه قرآن فإذا حصل الإنسان بما انفرد به في منزلة من هذه المنا زل فإنها تعطيه حقيقة ما هي عليه مما وضعها الله له من الأمور الظاهرة في أفعال العباد في حركاتهم و سكونهم و تصرفاتهم و ما منعني من تعيينها إلا ما يسبق إلى القلوب الضعيفة من ذلك و وضع الحكمة في غير موضعها فإن الحافظين أسرار الله قليلون و إذا وفى الإنسان المفرد علم هذه الأمور و دخل الجنات الثمانية و رأى الكثيب الأبيض و عاين درجات الناس في الرؤية و تميز مراتبهم و منا زلهم في ذلك و نظر إلى التكوينات الجنانية و الرقائق الممتدة إليها من فلك البروج علم إن لله أسرارا في خلقه فأراد أن يعرفه آثار ذلك فارتقى بنفسه إلى هذا الفلك و دار معه دورة واحدة لكل برج حتى أكمل اثنتي عشرة دورة و نظر بحلوله في كل دورة ما يعطي من الأثر في جنات النعيم و في جهنم و في عالم الدنيا و في البرزخ و في يوم القيامة و في أحوال الكائنات العرضيات في العالم و الخاصة بجسد الإنسان و روحه و المولدات و ربما نشير إلى شيء من هذه الأسرار متفرقا في هذا الكتاب في المنا زل منه إن شاء الله تعالى و جميع الأسماء الإلهية المختصة بهذا الإنسان الموصوف بهذه الصفة التي ينزل بها هذه المنا زل معلومة محصاة و هي الرفيع الدرجات الجامع اللطيف القوي المذل رزاق عزيز مميت محي حي قابض مبين محص مصور نور قاهر عليم رب مقدر غني شكور محيط حكيم ظاهر باطن باعث بديع و لكل اسم من هذه الأسماء روحانية ملك تحفظه و تقوم به و تحفظها لها صور في النفس الإنساني تسمى حروفا في المخارج عند النطق و في الخط عند الرقم فتختلف صورها في الكتابة و لا تختلف في الرقم و تسمى هذه الملائكة الروحانيات في عالم الأرواح بأسماء هذه الحروف فلنذكرها على ترتيب المخارج حتى تعرف رتبتها فأولهم ملك الهاء ثم الهمزة و ملك العين المهملة و ملك الحاء المهملة و ملك العين المعجمة و ملك الخاء المعجمة و ملك القاف و هو ملك عظيم رأيت من اجتمع به و ملك الكاف و ملك الجيم و ملك الشين المعجمة و ملك الياء و ملك الضاد المعجمة و ملك اللام و ملك النون و

ملك الراء و ملك الطاء المهملة و ملك الدال المهملة و ملك التاء المعجمة باثنتين من فوقها و ملك الزاي و ملك السين المهملة و ملك الصاد المهملة و ملك الظاء المعجمة و ملك الثاء المعجمة بالثلاث و ملك الذال المعجمة و ملك الفاء و ملك الباء و ملك الميم و ملك الواو و هذه الملائكة أرواح هذه الحروف و هذه الحروف أجساد تلك الملائكة لفظا و خطا بأي قلم كانت فبهذه الأرواح تعمل الحروف لا بذواتها أعني صورها المحسوسة للسمع و البصر المتصورة في الخيال فلا يتخيل أن الحروف تعمل بصورها و إنما تعمل بأرواحها و لكل حرف تسبيح و تمجيد و تهليل و تكبير و تحميد يعظم بذلك كله خالقه و مظهره و روحانيته لا تفارقه و بهذه الأسماء يسمون هؤلاء الملائكة في السموات و ما منهم ملك إلا و قد أفادني و كذلك هذه الكواكب التي ترونها إنما هي صور لها أرواح ملكية تدبرها مثل ما لصورة الإنسان فبروحه يفعل الإنسان و كذلك الكوكب و الحرف لو لا الروح ما ظهر منه فعل فإن الله سبحانه ما يسوي صورة محسوسة في الوجود على يد من كان من إنسان أو ريح إذا هبت فتحدث أشكالا في كل ما تؤثر فيه حتى الحية و الدودة تمشي في الرمل فيظهر طريق فذلك الطريق صورة أحدثها الله بمشي هذه الدودة أو غيرها فينفخ الله فيها روحا من أمره لا يزال يسبحه ذلك الشكل بصورته و روحه إلى أن يزول فتنتقل روحه إلى البرزخ و ذلك قوله كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ و كذلك الأشكال الهوائية و المائية لو لا أرواحها ما ظهر منها في انفرادها و لا في تركيبها أثر و كل من أحدث صورة و انعدمت و زالت و انتقل روحها إلى البرزخ فإن روحها الذي هو ذلك الملك يسبح الله و يحمده و يعود ذلك الفضل على من أوجد تلك الصورة الذي كان هذا الملك روحها فما يعرف حقائق الأمور إلا أهل الكشف و الوجود من أهل الله و لهذا نبه الله قلوب الغافلين ليتنبهوا على الحروف المقطعة في أوائل السور فإنها صور ملائكة و أسماؤهم فإذا نطق بها القارئ كان مثل النداء بهم فأجابوه فيقول القارئ ألف لام ميم فيقول هؤلاء الثلاثة من الملائكة مجيبين ما تقول فيقول القارئ ما بعد هذه الحروف تاليا فيقولون صدقت إن كان خيرا و يقولون هذا مؤمن حقا نطق حقا و أخبر بحق فيستغفرون له و هم أربعة عشر ملكا ألف لام ميم صاد راء كاف هاء ياء عين طاء سين حاء قاف نون ظهروا في منازل من القرآن مختلفة فمنازل ظهر فيها واحد مثل ق ن ص و منازل ظهر فيها اثنان مثل طس يس حم و هي سبعة أعني الحواميم طه و منازل ظهر فيها ثلاثة و هم الم البقرة و الم آل عمران و الر يونس و هود و يوسف و إبراهيم و الحجر و طسم الشعراء و القصص و العنكبوت و لقمان و الروم و السجدة و منها منازل ظهر فيها أربعة هم المص الأعراف و المر الرعد و منازل ظهر فيها خمسة و هي مريم و الشورى و جميعها ثمان و عشرون سورة على عدد منازل السماء سواء فمنها ما يتكرر في المنازل و منها ما لا يتكرر فصورها مع التكرار تسعة و سبعون ملكا بيد كل ملك شعبة من الايمان و إن الايمان بضع و سبعون شعبة أرفعها لا إله إلا الله و أدناها إماطة الأذى عن الطريق و البضع من واحد إلى تسعة فقد

استوفى غاية البضع فمن نظر في هذه الحرف بهذا الباب الذي فتحت له يرى عجائب و تكون هذه الأرواح الملكية التي هذه الحروف أجسامها تحت تسخيره و بما بيدها من شعب الايمان تمده و تحفظ عليه إيمانه و هذا كله من النفس الرحماني الذي نفس الله به عن خلقه و اعلم أن هذه الحروف الأربعة عشر التي في أوائل السور كل حرف منها له ظاهر و هو صورته و له باطن و هو روحه و لكل حرف ليلة من الشهر أعني الشهر الذي يعرف بالقمر فإذا مشى القمر و قطع في سيره أربع عشرة منزلة أعطى في كل حرف من هذه الحروف من حيث صورها قوتين من حيث ذاته و من حيث نوره و أعطاه قوتين أخريين من حيث المنزلة التي نزل بها و من حيث البرج الذي لتلك المنزلة و لكن بقدر ما لتلك المنزلة من البرج فيصير في ذلك الحرف أربع قوى فيكون عمله أقوى من عمل كل واحد من أصحاب هذه القوي و يكون عمله في ظهور أعيان المطلوب فإذا أخذ القمر في النقص فقد أخذ في روحانية هذه الحروف إلى أن يكملها بكمال المنازل فتلك ثمان و عشرون و القوي مثل القوي إلا أنه يكون العمل غير العمل فالعمل الظاهر في المنافع و العمل الثاني في دفع المضار و في قوة النور الذي للقمر لهذا الحرف مراتب بحسب المنزلة و البرج الذي تكون فيه الشمس و اتصالات القمر بالمنزلة في تسديسها و تربيعها و تثليثها و مقابلتها و مقارنتها فتختلف الأحكام باختلاف ذلك هذا للحرف من قوة النور القمري فالعمل بالحروف يحتاج إلى علم دقيق فهذه القوي تحصل للحرف من سير القمر و قد ذكرنا حرف كل منزلة و أما لام ألف فمرتبته مرتبة الجوزهر و هو من الحروف المركبة أنزلوه منزلة الحرف الواحد لكمال نشأة الحروف و لهذا الحرف ليلة السرار الذي يكون للقمر فإن كسف القمر الشمس فذلك أسعد الحالات و أقواها في العمل بلام ألف و إن لم يكسفها ضعف عمله بقدر ما نزل عنها و كذلك اتصالات القمر بالخمسة لها أثر في الحرف على ما وقع عليه اتصاله بذلك الكوكب من الأحكام الخمسة كما كان حاله مع الشمس و يعتبر العامل أيضا شرف القمر و هبوطه و كونه خالي السير و بعيد النور و كونه مع الرأس و كونه مع الذنب لأن الله ما قدر هذا القمر مَنازِلَ حَتَّى عادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ و اختصه بالذكر سدى بل ذلك لحكمة إلهية يعلمها من أوتي الحكمة التي هي الخير الكثير الإلهي فإن الستة الباقية قدرها أيضا منازل في نفس الأمر و ما حصها بالذكر فلما دخل القمر في الذكر كان له من القوة الإلهية و الشرف في الولاية و الحكم الإلهي ما ليس لغيره فإنه ما ذكر إلا بالحروف و بها نزل إلينا الذكر فكان نسبته إلى الحروف أتم من نسبة غيره فصار إمداده للحروف إمدادين إمداد جزاء و شكر لأن بها حصل له الذكر و إمدادا طبيعيا كإمداد سائر الستة لهذه الحروف و إنما ذكرنا ما يختص بالقمر دون سائر الستة لأنا في سماء الدنيا و هو موضع القمر و هو في ليلة السرار بارد رطب و في ليلة الإبدار حار رطب لما فيه من النور فهو مائي هوائي و فيما بينهما بحسب ما فيه من النور فإن النور له الشرف و لما اجتمع النار مع النور في الإحراق و قوة الفعل في بقية العناصر لهذا افتخر إبليس على

آدم و تكبر عليه فإن النا ر لا يقبل التبريد بخلاف بقية الأركان فإن الهواء يسخن و كذلك الماء و كذلك التراب فللنا ر في نفس الأركا ن أثر ليس لواحد منها في النا ر أثر و كذلك الماء له أثر في الهواء و التراب فيبرد الهواء و يزيد في رطوبته و يرطب التراب و يزيد في برودتها و ليس للهواء و التراب في هذين العنصرين أثر فأقوى الأركان النا ر و بعده الماء فالحرارة للنا ر و البرودة للماء و لهذا جعلهما فاعلين و الاثنين الآخرين منفعلين رطوبة الهواء و يبوسة التراب سبحان الخبير العليم الخلاق مرتب الأمور و مقد رها لا إله إلا هو العزيز الحكيم و في ليلة تقييدي لهذا الفصل و هي الليلة الرابعة من شهر ربيع الآخر سنة سبع و عشرين و ستمائة الموافقة ليلة الأربعاء الذي هو الموفي عشرين من شباط رأيت في الواقعة ظاهر الهوية الإلهية و باطنها شهودا محققا ما رأيتها قبل ذلك في مشهد من مشاهدنا فحصل لي من مشاهدة ذلك من العلم و اللذة و الابتهاج ما لا يعرفه إلا من ذاقه فما كان أحسنها من واقعة لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كاذِبَةٌ خافِضَةٌ رافِعَةٌ و صورتها مثالا في الهامش كما هو فمن صوره لا يبدله و الشكل نور أبيض في بساط أحمر له نور أيضا في طبقات أربع صورة و أيضا روحها في ذلك البساط في الطرف الآخر في طبقات أربع فمجموع الهوية ثمانية في طرفين مختلفين من بساط واحد فأطراف البساط ما هي البساط و لا غير البساط فما رأيت و لا علمت و لا تخيلت و لا خطر على قلبي صورة ما رأيت في هذه الهوية ثم إنها لها حركة خفية في ذاتها أراها و أعلمها من غير نقلة و لا تغير حال و لا صفة (الفصل الثامن و العشرون) في الاسم الإلهي القابض و توجهه على إيجاد ما يظهر في الأثير من ذوات الأذناب و الاحتراقات و وجود حرف التاء المعجمة باثنتين من فوقها من الحروف و له من المنا زل منزلة القلب الأثير ركن النا ر و هذه الأركان وجودها قبل وجود هذه الأفلاك من حيث ما تقول سماوات لا من حيث ما هي أفلاك و هو متصل بالهواء و الهواء حا ر رطب فبما في الهواء من الرطوبة إذا اتصل بهذا الأثير أثر فيه لتحركه اشتعالا في بعض أجزاء الهواء الرطبة فبدت الكواكب ذوات الأذناب و ذلك لسرعة اندفاعها تظهر في رأى العين تلك الأذناب و إذا أردت تحقيق هذا فانظر إلى شرر النا ر إذا ضرب الهواء النا ر بالمروحة و غيرها يتطاير منها شرر أمثال الخيوط في رأى العين ثم تنطفئ كذلك هذه الكواكب و جعلها الله من زمان بعث رسول الله صلى الله عليه و سلم رُجُوماً لِلشَّياطِينِ فإن الشياطين و هم كفا ر الجن لهم عروج إلى السماء الدنيا يسترقون السمع أي ما تقوله الملائكة في السماء و تتحدث به مما أوحى الله به فيها فإذا سلك الشيطان أرسل الله عليه شِهاباً رَصَداً ثاقبا و لهذا يعطي ذلك الضوء العظيم الذي تراه و يبقى ذلك الضوء في أثره طريقا و رأيت مرة طريقه قد بقي ضوؤه ساعة و أزيد من ساعة و أنا بالطواف رأيته أنا و جماعة الطائفين بالكعبة و تعجب الناس من ذلك و ما رأينا قط ليلة أكثر منها ذوات أذناب الليل كله إلى أن أصبح حتى كانت تلك الكواكب لكثرتها و تداخل بعضها على بعض كما يتداخل شرر النا ر تحول بين أبصا رنا و بين رؤية الكواكب فقلنا ما

هذا إلا لأمر عظيم فبعد قليل وصل إلينا أن اليمن ظهر فيه حادث في ذلك الوقت الذي رأينا هذا و جاءتهم الريح بتراب شبيه التوتياء كثير إلى أن عم أرضهم و علا على الأرض إلى حد الركب و خاف الناس و أظلم عليهم الجو بحيث إن كانوا يمشون في الطرق في النهار بالسرج و حال تراكم الغمام بينهم و بين نور الشمس و كانوا يسمعون في البحر بزبيد دويا عظيما و ذلك في سنة ستمائة أو تسع و تسعين و خمسمائة الشك مني فإني ما قيدته حين رأيت ذلك و ما قيدته في هذا المكان إلا في سنة سبع و عشرين و ستمائة و لذلك أصابني الشك لبعد الوقت لكنه معروف عند الخاص و العام من أهل الحجاز و اليمن و رأينا في تلك السنة عجائب كثيرة و في تلك السنة حل الوباء بالطائف حتى ما بقي فيها ساكن حل بهم من أول رجب إلى أول رمضان سنة تسع و تسعين و خمسمائة عن تحقيق و كان الطاعون الذي نزل بهم إذا كانت علامته في أبدانهم ما يتجاوزون خمسة أيام حتى يهلك فمن جاز خمسة أيام لم يهلك و امتلأت مكة بأهل الطائف و بقيت ديارهم مفتحة أبوابها و أقمشتهم و دوابهم في مراعيها فكان الغريب في تلك المدة إذا مر بأرضهم فتناول شيئًا من طعامهم أو قماشهم أو دوابهم إذ لم يكن هناك حافظ يحفظه أصابه الطاعون من ساعته و إذا مر و لم يتناول شيئًا سلم فحمى الله أموالهم في تلك المدة لمن بقي منهم و لمن ورثهم و تابوا و ورثوا البنات في تلك السنة و سكنت الفتن التي كانت بينهم فلما نجاهم الله من ذلك و رفعه عنهم و استمر لهم الأمان عادوا إلى ما كانوا عليه من الإدبار و هذه الكواكب ذوات الأذناب ما تحدث في الأثير و إنما يحدث منه في الهواء تشعله فهو على الحقيقة هواء محترق لا مشتعل هذا هو الأثير فهو كالصواعق فإنها أهوية محترقة لا شعلة فيها فما تمر بشيء إلا أثرت فيه و لا يحدث في هذا الركن شيء سوى ما ذكرناه إلا أنه في نفس الأمر ملك كريم له تسبيح خاص و سلطان قوي و السماء الدنيا في غاية من البرودة لو لا أن الله حال بيننا و بين برد هذه السماء بهذه النار التي بين الهواء و بين السماء ما كان حيوان و لا نبات و لا معدن في الأرض لشدة البرد فسخن الله عالم الأرض و الماء و الهواء بما ترميه الكواكب من الشعاعات إلى الأرض بوساطة هذا الأثير فسخن العالم فتسري فيه الحياة و ذلك بتقدير العزيز العليم لا إله إلا هو رب كل شيء و مليكه (الفصل التاسع و العشرون) في الاسم الإلهي الحي و توجهه على إيجاد ما يظهر في ركن الهواء و له من الحروف حرف الزاي و من المنازل منزلة الشولة قال الله تعالى ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ فجعلها مأمورة يعلمنا أنها تعقل و لا يسمى الهواء ريحا إلا إذا تحرك و تموج فإن اشتدت حركته كان زعزعا و إن لم تشتد كان رخاء أي ريحا لينة و الريح ذو روح يعقل كسائر أجسام العالم و هبوبه تسبيحه تسري به الجواري و يطفئ السرج و يشعل النيران و يحرك المياه و الأشجار و يموج البحار و يزلزل الأرض و يلعب بالأغصان و يزجي السحاب و هو ركن أقوى من الماء و الماء أقوى من النار و النار أقوى من الحديد و الحديد أقوى من الجبال و الجبال أقوى من الأرض و ما ثم شيء

أقوى من الهواء إلا الإنسان حيث يقدر على قمع هواه بعقله الذي أوجده الله فيه فيظهر عقله في حكمه على هواه فإنه لقوة الصورة التي خلق عليها الرئاسة له ذاتية و لكونه ممكنا الفقر و الذلة له ذاتية فإذا غلب فقره على رياسته فظهر بعبوديته و لم يظهر لربوبية الصورة فيه أثر لم يكن مخلوق أشد منه و هكذا أخبر صلى الله عليه و سلم على ما حدثناه محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمي الفاسى قال حدثنا عمر بن عبد المجيد الميانشي حدثنا عبد الملك ابن قاسم الهروي حدثنا محمود بن القاسم الأزدي حدثنا عبد الجبار بن محمد الجراحي حدثنا محمد بن أحمد المحبوبي حدثنا أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي حدثنا محمد بن بشار حدثنا يزيد بن هارون حدثنا العوام بن حوشب عن سليمان بن أبي سليمان عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه و سلم قال لما خلق الله الأرض جعلت تميد فخلق الجبال فقال بها عليها فاستقرت فعجبت الملائكة من شدة الجبال فقالوا يا رب هل من خلقك شيء أشد من الجبال قال نعم الحديد فقالوا يا رب فهل من خلقك شيء أشد من الحديد قال نعم النار قالوا يا رب فهل من خلقك شيء أشد من النار قال نعم الماء قالوا يا رب فهل من خلقك شيء أشد من الماء قال نعم الريح قالوا يا رب فهل من خلقك شيء أشد من الريح قال ابن آدم تصدق بصدقة بيمينه يخفيها عن شماله هذا حديث غريب ففي هذا الحديث علم جوارح الإنسان بالأشياء و لهذا وصفها الله تعالى يوم القيامة بأنها تشهد فقال يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ فالهواء موجود عظيم و هو أقرب الأركان نسبة إلى نفس الرحمن فهو أحق بهذا الباب و الهواء هو نفس العالم الكبير و هو حياته و له القوة و الاقتدار و هو السبب الموجب لوجود النغمات بتحريك الآلات من حركات الأفلاك و أغصان الأشجار و تقاطع الأصوات فيؤثر السماع الطبيعي في الأرواح فيحدث فيها هيمان و سكر و طرب فالهواء إذا تحرك أقوى المؤثرات الطبيعية في الأجسام و الأرواح و قد جعل الله هذا الركن أصل حياة العالم الطبيعي كما جعل الماء أصل الصور الطبيعية فصورة الهواء من الماء و روح الماء من الهواء و لو سكن الهواء لهلك كل متنفس و كل شيء في العالم متنفس فإن الأصل نفس الرحمن و جعله الله لطيفا ليقبل سرعة الحركة فإن العالم المتنفس يحتاج في وقت إلى نفس كثير و في وقت إلى نفس قليل ألا ترى الإنسان في زمان الصيف إذا حمي بدنه حرك الهواء بالمروحة ليبرد عنه ما يجده من الحرارة لما في الهواء من برودة الماء من حيث صورته و إن كانت له حركة خفية و لكن لا تكفي المحرور كما أنه إذا كثر بحيث أن يتأذى منه الإنسان طلب التستر عنه لأنه ليس في قوة الحيوان تقليله الهواء إلا إذا كان الإنسان هو الذي يثير حركة الهواء فإنه يقدر على تقليله بضعف حركة السبب الذي به أثاره و أما إذا كان السبب خارجا عن حكم الإنسان فإنه لا يقدر على تقليله و الهواء هو الذي يسوق الأرواح إلى المشام من طيب و خبيث و فيه تظهر صور الحروف و الكلمات فلو لا الهواء ما نطق ناطق و لا صوت مصوت و لما كان

البا رئ متكلما و وصف نفسه بالكلام وصف نفسه بأن له نفسا و إن كان ليس كمثله شيء و لكن نبه عباده العا رفين أن علمه بالعالم علمه بنفسه و وصف نفسه سبحانه بأنه ينفخ الأرواح فيعطي الحياة في الصور المسواة فجاء بالنفخ الذي يدل على النفس فحياة العالم بالنفخ الإلهي من حيث إن له نفسا فلم يكن في صور العالم أحق بهذه الحياة من الهواء فهو الذي خرج على صورة النفس الرحماني الذي ينفس الله به عن عباده ما يجدونه من الكرب و الغم الذي تعطيه الطبيعة و بعد أن عرفتك بمنزلة الهواء من العالم فلنذكر ما يحدث فيه فمما يحدث فيه صور الجنين في النكاح و الثمر في اللقاح قال تعالى وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ و هذا معروف بالمشاهدة في تلقيح الثما ر فالهواء ينكح بما يحمله من روائح الذكورية و العقيم منه ما عدا اللواقح و اللواقح من الرياح ليست مخصوصة بالثمر و إنما هي كل ريح تعطي الصور و العقيم كل ريح تذهب بالصور فالهواء الذي يشعل النا ر من الرياح اللواقح و الذي يطفئ السرج من الريح العقيم و إن كانت واحدة في العين فما هي واحدة عند من يرى تجديد العالم في كل نفس فإنهم في لبس من خلق جديد و أصل هذا في العلم الإلهي أن اللواقح ما تعطيه الربوبية من وجود أعيان المربوبين و العقيم سبحات الوجه المذهبة أعيان الكائنات من خلقه و مما وجد من العالم في الهواء البرد و الثلج و الجليد إذا غلب عليه برد الماء فتشكل البرد من استدا رته و جليده من اليبوسة التي تعطيه برد التراب و الثلج دون الجليد في اليبوسة و المطر من رطوبته و ما يزيده الماء من رطوبته فإنه يزيد في كميتها و يتكون في هذا الهواء في الجبال التي ذكر الله أمرها في قوله وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ و قد بيناها فيما قبل من هذا الكتاب تغلب الرطوبة في الهواء بما يزيده في رطوبته الماء و تعطيه النا ر من الحرارة ما يزيد في كمية حرارة الهواء فيحدث في الجو في هذه الجبال تعفين لأن هذه الأركان مركبة من الأربع الحقائق الطبيعية كل ركن منها و هذا سبب قبولها صور الكائنات فيها و لو لم يكن كذلك ما قبلت المولدات فإذا تعفن ما تعفن من ذلك كون الله في ذلك التعفين حيوانات هوائية جوية على صور حيات بيض و حيوانات للاستدا رة أما هذه المستديرة فرأيناها و أما الحيات البيض فرأينا من رآها و قد وقفنا على ذكرها في بعض كتب الأنواء و إن البزاة البلنسية إذا علت في الجو في أوقات و وقعت بشيء منها نزلت بها على مرأى من أصحابها و ممن رآها والدي و قد نزل بها البا زي من الجو في أيام السلطان محمد بن سعد صاحب شرق الأندلس و هذا الصنف المستدير الذي عايناه من ذلك التكوين يسمى بالأندلس بالشلمندا ر و أكثر ما ينزل في الكوانين مع المطر و فيه خواص إذا لعق باللسان لكن خرجت عني معرفة تلك الخواص في هذا الوقت و هو مجرب عندنا و مما يحدث في هذا الركن مما يلي ركن النا ر منه الصواعق و هي هواء محترق و البروق و هو هواء مشتعل تحدثه الحركة الشديدة و الرعود و هو هبوب الهواء تصدع أسفل السحاب إذا تراكم و هو تسبيح إذ كل صوت في العالم تسبيح لله تعالى حتى الصوت بالكلمة القبيحة هي قبيحة و هي تسبيحة بوجه يعلمه أهل الله

في أذواقهم لمن عقل عن الله و هذا الملك المسمى بالرعد هو مخلوق من الهواء كما خلقنا نحن من الماء و ذلك الصوت المسمى عندنا بالرعد تسبيح ذلك الملك و في ذلك الوقت يوجده الله فعينه نفس صوته و يذهب كما يذهب البرق و ذوات الأذناب فهذه حوادث هذا الركن في العالم العنصري و له حرف الزاي و هو من حروف الصفير فهو مناسب له لأن الصفير هواء بشدة و ضيق و له الشولة و هي حارة فافهم (الفصل الثلاثون) في الاسم الإلهي المحيي و توجهه على إيجاد ما يظهر في ركن الماء و له حرف السين المهملة من الحروف و له من المنازل المقدرة منزلة النعائم قال تعالى وَجَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ و قال تعالى وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطانِ وَلِيَرْبِطَ عَلى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدامَ فأعاد الضمير من به الاقدام على المطر و الرجس بالسين القذر عند القراء و هو هنا القذر المعنوي لأنه مضاف إلى الشيطان فلا يدل إلا على ما يلقيه من الشبه و الجهالات و الأمور التشكيكية ليقذر بها محل هذا القلب فيذهب الله ذلك بما في الماء المنزل من الحياة العلمية بالبراهين و الكشف فإذا زال ذلك القذر الشبهي بهذا الماء المنزل من عند الله زال الوسخ الجهلي و ارتفع الغطاء عن القلب فنظر بعينه في ملكوت السموات و الأرض فربط ذاته بما أعطاه العلم فعلم ما أريد به في كل نفس و وقت فعامله بما أعطاه العلم المنزل الذي ظهره به في ذلك الماء الذي جعل نزوله في الظاهر علامة على فعله في الباطن فكان من مواطنه مقابلة الأعداء فأداه ما عاينه و ربط قلبه به إن ثبت قدمه يوم الزحف عند لقاء الأعداء فما ولوا مدبرين و أنزل الله نصره و هو تثبيت الاقدام فهذا ما أعطاه الله في الماء من القوة الإلهية حيث أنزله منزلة الملائكة بل أتم من الملائكة و إنما قلنا بل أتم فإن الله جعل الماء سبب تثبيت أقدام المجاهدين المؤمنين فقال وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدامَ فأنزله منزلة المعين على ما يريد و قال في الملائكة إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ لما علم من ضعفهم أعلمهم أن الله معهم من حيث أنيته ليتقوى جأشهم فيما يلقونه في قلوب المؤمنين المجاهدين أن يثبتوا و يصابروا العدو و لا ينهزموا و هذه من لمات الملائكة فقال لهم فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا أي اجعلوا في قلوبهم إن يثبتوا ثم أعانهم فقال سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ أخبرهم بذلك ليلقوا في نفوس المجاهدين هذا الكلام فإنه من الوحي فيجد المجاهد في نفسه ذلك الإلقاء و هو وحي الملك في لمته فانظر كم بين مرتبة الماء و مرتبة هؤلاء الملائكة و الماء و إن كان من الملائكة فهو ملك عنصري و أصله في العنصر من نهر الحياة الطبيعية الذي فوق الأركان و هو الذي ينغمس فيه جبريل كل يوم غمسة و ينغمس فيه أهل النار إذا خرجوا منها بالشفاعة فهذا الماء العنصري من ذلك الماء الذي هو نهر الحياة و هذه الملائكة التي تقوى قلوب المجاهدين و تثبتهم و توحي إليهم قوله سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ هم الملائكة الذين يدخلون البيت المعمور الذي في السماء السابعة المخلوقين من قطرات ماء نهر الحياة في انتفاض الروح الأمين من انغماسه و لهذا قرن الملائكة بالمجاهدين في التثبيت مع الماء المنزل لنثبت به الاقدام فقد أبان الله

في هذه عن مرتبة الماء من مراتب الملائكة ليعقلها العالمون من عباد الله وَما يَعْقِلُها إِلَّا الْعالِمُونَ فجعل الله من الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ و هذا الركن هو الذي يعطي الصور في العالم كله و حياته في حركاته ثم إن هذا الركن جعله الله مالحا لما فيه من مصالح العالم فإنه بما فيه من الملوحة يصفي الجو من الوخم و العفونات التي تطرأ فيه من أبخرة الأرض و أنفاس العالم و ذلك أن الأرض بطبعها ما تعطي التعفين لأنها باردة يابسة فيحصل فيها من الماء رطوبات عرضية تكثر فإذا كثرت و سخنتها أشعة الكواكب مثل الشمس و غيرها بمرور هذه الأشعة على الأثير ثم بما في جو الأرض من حركات الهواء المنضغط فإن الحركة سبب موجب لظهور الحرارة و يظهر ذلك في الحمامات في الأرض الكبريتية فإذا تضاعفت كمية الحرارة على هذه الرطوبات صعدت بها علوا بخارا فمن هنالك يطرأ التعفين في الجو فيذهب ذلك التعفين ما في البحر من الملوحة فيصفو الجو و ذلك من رحمة الله بخلقه فلا يشعر بذلك إلا العلماء من عباد الله ثم إن الله جعل للبقاع في الماء حكما و أصل ذلك الحكم من الماء هذا هو العجب فجعل من الأرض سباخا تعطي ماء مالحا إذا عظم ذلك منها و تعطي فعاما و مرا و زعاقا كما تعطي أيضا عذبا فراتا كل ذلك بجعل الله تعالى و أصل هذا كله مما أعطى الماء الأرض من الرطوبات و أعطاها الهواء و الحركات من الحرارة و تختلف أمزجة الأرض فمن الماء عذب فرات لمصالح العباد فيما يستعملونه من الشرب و غير ذلك و منه ملح أجاج لمصالح العباد فيما يذهب به من عفونات الهواء فما من ركن إلا و قد جعله الله مؤثرا و مؤثرا فيه أصل ذلك في العلم الإلهي وَإِذا سَأَلَكَ عِبادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدّاعِ إِذا دَعانِ و كل مؤثر فيه من العالم فمن الإجابة الإلهية و أما اسم الفاعل من ذلك فهو معلوم عند كل أحد فما نبهنا إلا على ما يمكن أن يغفل عنه أكثر الناس كما قال في أشياء وَلكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ ثم إن الله عز و جل ما جعل التكوينات التي هي دواب البحر في البحر الملح إلا في العذب منه خاصة فلو لا وجود الهواء فيه و الماء العذب ما تكون فيه حيوان ألا ترى البخار الصاعد من الأنهار و البحار و لا سيما في زمان البرد ذلك هو النفس يصعد من الأرض و من البحر كما يخرج النفس من المتنفس يطلب ركنه الأعظم فيستحيل ماء و يلحق بعنصره منه على قدر ما سبق في علم الله من ذلك فهو دولاب دائر منه يخرج و إليه يرجع بعضه أصله في العلم الإلهي إن الله كان و لا شيء و أوجد الأشياء و أظهر فيها الدعاوي بما جعل فيها من استحالات بعضها إلى بعض و بما أعطاها من القوي التي تفعل بها و قال بعد هذا كله وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فجعل صعود البخار من الماء و هو ماء استحال هواء يسمى بخارا ليقع الفرق بين الهواء الأصلي و بين الهواء المستحيل ثم يصير غما ما متراكما ثم ينزل ماء كما كان أول مرة فعاد إلى أصله الذي خرج منه ثم يعود الدور فلهذا شبهناه بالدولاب و قلنا إنه يرجع و ذلك بتقدير العزيز العليم انتهى الجزء الثالث و العشرون و مائة

((بسم الله الرحمن الرحيم))

(الفصل الحادي و الثلاثون) في الاسم إلهي المميت و توجهه على إيجاد ما يظهر في الأرض و له حرف الصاد المهملة و من المنا زل البلدة قال تعالى خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ و قال وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا و هي أول مخلوق من الأركان ثم الماء ثم الهواء ثم النا ر ثم السموات و أخبر تعالى عنها بأمور تقضي أنها تعقل فوصفها بالقول و الإبانة و قال لها و قالت له و نعتها بالطاعة و الأخذ بالأحوط ليدل بذلك على علمها و عقلها و جعلها محلا لتكوين المعادن و النبات و الحيوان و الإنسان و جعلها حضرة الخلافة و التدبير فهي موضع نظر الحق و سخر في حقها جميع الأركان و الأفلاك و الأملاك و أنبت فِيها من كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ من كل ذكر و أنثى و ما جمع لمخلوق بين يديه سبحانه إلا لما خلق منها و هي طينة آدم عليه السلام خمرها بيديه و هو لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و أقامها مقام العبودية فقال الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا و جعل لها مرتبة النفس الكلية التي ظهر عنها العالم كذلك ظهر عن هذه الأرض من العالم المولدات إلى مقعر فلك المنا زل و هذا الركن لا يستحيل إلى شيء و لا يستحيل إليه شيء و إن كان بهذه المثابة بقية الأركان و لكنه في هذا الركن أظهر حكما منه في غيره و اعلم أن كل معلوم يدخله التقسيم فإنه يدخل في الوجود الذهني لا بد من ذلك و قد يكون هذا الداخل في الوجود الذهني ممن يقبل الوجود العيني و قد يكون ممن لا يقبل الوجود العيني كالمحال و الذي يقبل الوجود العيني لا يخلو إما أن يكون قائما بنفسه و هو المقول عليه لا في موضوع و إما أن لا يكون فأما قسم ما يكون قائما بنفسه فلا يخلو إما أن يكون متحيزا أو غير متحيز و أما قسم لا في موضوع غير متحيز فلا يخلو إما أن يكون واجب الوجود لذاته و هو الله تعالى و إما أن يكون واجبا بغيره و هو الممكن و هذا الممكن إما أن يكون متحيزا أو غير متحيز و القسمة فيما هو قائم بنفسه من الممكنات فغير المتحيز كالنفوس الناطقة المدبرة لجوهر العالم النوراني و الطبيعي و العنصري و المتحيز إما أن يكون مركبا ذا أجزاء و إما أن لا يكون ذا أجزاء فإن لم يكن ذا أجزاء فهو الجوهر الفرد و إن كان ذا أجزاء فهو الجسم و أما القسم الذي هو في موضوع و هو الذي لا يقوم بنفسه و لا يتحيز إلا بحكم التبعية فلا يخلو إما أن يكون لا زما للموضوع أو غير لا زم في رأي العين و أما في نفس الأمر فلا شيء مما لا يقوم بنفسه يكون باقيا في نفس الأمر زائدا على زمان وجوده لكن منه ما تعقبه الأمثال و منه ما يعقبه ما ليس بمثل فأما الذي يعقبه الأمثال فهو الذي يتخيل أنه لا زم كصفرة الذهب و سواد الزنجي و أما الذي لا تعقبه الأمثال فهو المسمى بالعرض و اللازم يسمى صفة و ليست المعلومات التي لها وجود عيني سوى ما ذكرنا و اعلم أن العالم واحد بالجوهر كثير بالصورة و إذا كان واحدا بالجوهر فإنه لا يستحيل و كذلك الصورة أيضا لا تستحيل لما يؤدي إليه من قلب الحقائق فالحرا رة لا تكون برودة و اليبوسة لا تكون رطوبة و البياض لا يستحيل سوادا و التثليث لا يصير تربيعا لكن الحا ر قد يوجد با رد إلا في زمان كونه حا را و كذلك البا رد

قد يوجد حار إلا في زمان كونه باردا و كذلك الأبيض قد يكون أسود بمثل ما ذكرنا و المثلث قد يكون مربعا فبطلت الاستحالة فالأرض و الماء و الهواء و الأفلاك و المولدات صور في الجوهر فصور تخلع عليه فيسمى بها من حيث هيأة و هو الكون و صور تخلع عنه فيزول عنه بزوالها ذلك الاسم و هو الفساد فما في الكون استحالة يكون المفهوم منها أن عين الشيء استحال عينا آخر إنما هو كما ذكرنا و العالم في كل زمان فرد يتكون و يفسد و لا بقاء لعين جوهر العالم لو لا قبول التكوين فيه فالعالم يفتقر على الدوام أما افتقار الصور فلبروزها من العدم إلى الوجود و أما افتقار الجوهر فلحفظ الوجود عليه إذ من شرط وجوده وجود تكوين ما هو موضوع له لا بد من ذلك و كذلك حكم الممكن القائم بنفسه الذي لا يتحيز هو موضوع لما يحمله من الصفات الروحانية و الإدراكات التي لا بقاء لعينه إلا بها و هي تتجدد عليه تجدد الأعراض في الأجسام و صورة الجسم عرض في الجوهر و أما الحدود إنما محلها الصور فهي المحدودة و لا بد أن يوجد في حدها الجوهر الذي تظهر فيه و بهذا القدر يسمون الصور جوهرا لكونهم يأخذون الجوهر في حد الصورة و بالجملة فالنظر في هذه الأمور من غير طريق الكشف الإلهي لا يوصل إلى حقيقة الأمر على ما هي عليه لا جرم أنهم لا يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ و لهذا عدلت الطائفة السعيدة المؤيدة بروح القدس إلى التجرد عن أفكارها و التخلص عن قيد قواها و اتصلت بالنور الأعظم فعاينت الأمر على ما هو عليه في نفسه إذ كان الحق عز و جل بصرها فلم تشاهد إلا حقا كما قال الصديق ما رأيت شيئا إلا رأيت الله قبله فيرى الحق ثم يرى أثره في الكون و هو الوقوف على كيفية الصدور فكأنه عاين الممكنات في حال ثبوتها عند ما رش على ما رش منها من نوره الأعظم فاتصفت بالوجود بعد ما كانت تنعت بالعدم فمن هذا مقامه فقد ارتفع عنه غطاء العمي و الحيرة فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ . . . إِنَّ في ذلِكَ لَذِكْرى لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَ هُوَ شَهِيدٌ فما جعل العلم إلا في الشهود فالحاكم يحكم بغلبة ظنه و الشاهد يشهد بعلم لا بظن ثم اعلم أن أجسام العالم تنقسم إلى لطيف و كثيف و شفاف و كدر و مظلم و منور و إلى كبير و صغير و إلى مرئي و غير مرئي فالوجود كله عطاء

ليس عند الله منع — كل ما منه عطاء
فإذا ما قيل منع — لم يكن الا عطاء
فإنا ما بين شيئين — غطاء و وطاء
و أنا لكل ما في — الكون من خير وعاء

فالرجل الذي رأى الحق حقا فاتبعه و حكم الهوى و قمعه فإذا جاع جوع اضطرار و حضر بين يديه أشهى ما يكون من الأطعمة تناول منه بعقله لا بشهوته و دفع به سلطان ضرورته ثم أمسك عن الفضل غنى نفس و شرف همةفذلك سيد الوقت فاقتد به و ذلك صورة الحق أنشأها الله صورة جسدية بعيدة المدى لا يبلغ مداها و لا يخفى طريق هداها و هذا هو طبع الأرض فهي الذلول التي لا تقبل الاستحالة فيظهر فيها أحكام الأركان و لا يظهر لها حكم في شيء تعطي جميع المنافع من ذاتها هي محل كل خير فهي أعز الأجسام لا تزاحم المتحركات بحركتها لأنها لا تفارق حيزها يظهر فيها كل ركن سلطانه و هي الصبور القابلة الثابتة الراسية سكن ميدها جبالها التي جعلها الله أوتادها لما تحركت من خشية الله آمنها الله بهذه الأوتاد فسكنت سكون الموقنين و منها تعلم أهل اليقين يقينهم فإنها الأم التي منها أخرجنا و إليها نعود و منها نخرج تارة أخرى لها التسليم و التفويض هي ألطف الأركان معنى و ما قبلت الكثافة و الظلمة و الصلابة إلا لستر ما أودع الله فيها من الكنوز لما جعل الله فيها من الغيرة فحار السعاة فيها فلم يخرقوها و لا بلغوا جبالها طولا أعطاها صفة التقديس فجعلها طهورا في أشرف الحالات و ذلك عند الاضطرار لما أقامها مقامه مثل الظمآن يرى السراب فيحسبه ماء ف إِذا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً يعني ماء وَ وَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ فما وجد الله إلا عند الضرورة كذلك طهارة الأرض لا تكون إلا لفاقد الماء على ما كان من الأحوال فانظر ما أشرف منزلها ثم أنزلتها منزلة النقطة من المحيط فهي تقابل بذاتها كل جزء من المحيط و ينظر إليها كل جزء من المحيط فكل خط منها يخرج إلى المحيط على السواء و الاعتدال لأنها ما تعطي إلا بحسب صورتها و كل خط من المحيط إليها يقصد فلو زالت زال المحيط و لو زال المحيط لم يلزم زوالها فهي الدائمة الباقية في الدنيا و الآخرة أشبهت نفس الرحمن في التكوين و اعلم أن الله تعالى قد جعل هذه الأرض بعد ما كانت رتقا كالجسم الواحد كما كانت السماء ففتق رتقها و جعلها سبعة أطباق كما فعل بالسموات و جعل لكل أرض استعداد انفعال لأثر حركة فلك من أفلاك السموات و شعاع كوكبها فالأرض الأولى و هي التي نحن عليها للفلك الأول من هناك ثم تنزل إلى أن تنتهي إلى الأرض السابعة و السماء الدنيا و لذلك قال ع فيمن غصب شبرا من الأرض طوقه الله به من سبع أرضين لأنه إذا غصب شيئًا من الأرض كان ما تحت ذلك المغصوب مغصوبا إلى منتهى الأرض و لو لم تكن طباقا بعضها فوق بعض لبطل معقول هذا الخبر و كذلك الخبر الوارد في سجود العبد على الأرض طهر الله بسجدته إلى سبع أرضين و قال تعالى أَنَّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ كانَتا رَتْقاً أي كل واحدة منهما مرتوقة ثم قال فَفَتَقْناهُما يعني فصل بعضها من بعض حتى تميزت كل واحدة عن صاحبتها كما قال خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً و من الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ الظاهر يريد طباقا ثم قال يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ أي بين السموات و الأرض و لو كانت أرضا واحدة لقال بينهما هذا هو الظاهر و هو الذي يعطيه الكشف و الأمر النازل بينهن هذا الأمر الإلهي الذي يكون بين

السماء الدنيا و الأرض التي نحن عليها ينزل من السماء ثم يطلب أرضه و هو قوله وَأَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها فذلك الأمر هو الذي ينزل إلى أرضه بما أوحى الله فيه على عامر تلك الأرض من الصور و الأرواح و جعل هذه الأرض سبعة أقاليم و اصطفى من عباده المؤمنين سبعة سماهم الأبدال لكل بدل إقليم يمسك الله وجود ذلك الإقليم به فالإقليم الأول ينزل الأمر إليه من السماء الأولى من هناك و تنظر إليه روحانية كوكبه و البدل الذي يحفظه على قلب الخليل عليه السلام و الإقليم الثاني ينزل الأمر إليه من السماء الثانية و تنظر إليه روحانية كوكبها و البدل الذي يحفظه على قلب موسى عليه السلام و الإقليم الثالث ينزل إليه الأمر الإلهي من السماء الثالثة و تنظر إليه روحانية كوكبها و البدل الذي يحفظه على قلب هارون و يحيى عليهما السلام بتأييد محمد عليه الصلاة و السلام و الإقليم الرابع ينزل الأمر إليه من قلب الأفلاك كلها و تنظر إليه روحانية كوكبها الأعظم و البدل الذي يحفظه على قدم إدريس عليه السلام و هو القطب الذي لم يمت إلى الآن و الأقطاب فينا نوابه و الإقليم الخامس ينزل إليه الأمر من السماء الخامسة و تنظر إليه روحانية كوكبها و البدل الذي يحفظ الله به ذلك الإقليم على قلب يوسف عليه السلام و يؤيده محمد صلى الله عليه و سلم و الإقليم السادس ينزل الأمر إليه من السماء السادسة و تنظر إليه روحانية كوكبها و البدل الذي يحفظه على قلب عيسى روح الله و يحيى عليهما السلام و الإقليم السابع ينزل الأمر إليه من السماء الدنيا و ينظر إليه روحانية كوكبها و البدل الذي يحفظه على قلب آدم عليه السلام و اجتمعت بهؤلاء الأبدال السبعة بحرم مكة خلف حطيم الحنابلة وجدتهم يركعون هناك فسلمت عليهم و سلموا علينا و تحدثت معهم فذلك سيد الوقت فاقتد به و ذلك صورة الحق أنشأها الله صورة جسدية بعيدة المدى لا يبلغ مداها و لا يخفى طريق هداها و هذا هو طبع الأرض فهي الذلول التي لا تقبل الاستحالة فيظهر فيها أحكام الأركان و لا يظهر لها حكم في شيء تعطي جميع المنافع من ذاتها هي محل كل خير فهي أعز الأجسام لا تزاحم المتحركات بحركتها لأنها لا تفارق حيزها يظهر فيها كل ركن سلطانه و هي الصبور القابلة الثابتة الراسية سكن ميدها جبالها التي جعلها الله أوتادها لما تحركت من خشية الله آمنها الله بهذه الأوتاد فسكنت سكون الموقنين و منها تعلم أهل اليقين يقينهم فإنها الأم التي منها أخرجنا و إليها نعود و منها نخرج تارة أخرى لها التسليم و التفويض هي ألطف الأركان معنى و ما قبلت الكثافة و الظلمة و الصلابة إلا لستر ما أودع الله فيها من الكنوز لما جعل الله فيها من الغيرة فحار السعاة فيها فلم يخرقوها و لا بلغوا جبالها طولا أعطاها صفة التقديس فجعلها طهورا في أشرف الحالات و ذلك عند الاضطرار لما أقامها مقامه مثل الظمآن يرى السراب فيحسبه ماء ف إِذا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً يعني ماء وَوَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ فما وجد الله إلا عند الضرورة كذلك طهارة الأرض لا تكون إلا لفاقد الماء على ما كان من الأحوال فانظر ما أشرف منزلها ثم أنزلتها منزلة النقطة من المحيط فهي تقابل بذاتها كل جزء من

المحيط و ينظر إليها كل جزء من المحيط فكل خط منها يخرج إلى المحيط على السواء و الاعتدال لأنها ما تعطي إلا بحسب صورتها و كل خط من المحيط إليها يقصد فلو زالت زال المحيط و لو زال المحيط لم يلزم زوالها فهي الدائمة الباقية في الدنيا و الآخرة أشبهت نفس الرحمن في التكوين و اعلم أن الله تعالى قد جعل هذه الأرض بعد ما كانت رتقا كالجسم الواحد كما كانت السماء ففتق رتقها و جعلها سبعة أطباق كما فعل بالسموات و جعل لكل أرض استعداد انفعال لأثر حركة فلك من أفلاك السموات و شعاع كوكبها فالأرض الأولى و هي التي نحن عليها للفلك الأول من هناك ثم تنزل إلى أن تنتهي إلى الأرض السابعة و السماء الدنيا و لذلك قال ع فيمن غصب شبرا من الأرض طوقه الله به من سبع أرضين لأنه إذا غصب شيئا من الأرض كان ما تحت ذلك المغصوب مغصوبا إلى منتهى الأرض و لو لم تكن طباقا بعضها فوق بعض لبطل معقول هذا الخبر و كذلك الخبر الوارد في سجود العبد على الأرض طهر الله بسجدته إلى سبع أرضين و قال تعالى أَنَّ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ كانَتا رَتْقاً أي كل واحدة منهما مرتوقة ثم قال فَفَتَقْناهُما يعني فصل بعضها من بعض حتى تميزت كل واحدة عن صاحبتها كما قال خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً و من الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ الظاهر يريد طباقا ثم قال يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ أي بين السموات و الأرض و لو كانت أرضا واحدة لقال بينهما هذا هو الظاهر و هو الذي يعطيه الكشف و الأمر النازل بينهن هذا الأمر الإلهي الذي يكون بين السماء الدنيا و الأرض التي نحن عليها ينزل من السماء ثم يطلب أرضه و هو قوله وَأَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها فذلك الأمر هو الذي ينزل إلى أرضه بما أوحى الله فيه على عامر تلك الأرض من الصور و الأرواح و جعل هذه الأرض سبعة أقاليم و اصطفى من عباده المؤمنين سبعة سماهم الأبدال لكل بدل إقليم يمسك الله وجود ذلك الإقليم به فالإقليم الأول ينزل الأمر إليه من السماء الأولى من هناك و تنظر إليه روحانية كوكبه و البدل الذي يحفظه على قلب الخليل عليه السلام و الإقليم الثاني ينزل الأمر إليه من السماء الثانية و تنظر إليه روحانية كوكبها و البدل الذي يحفظه على قلب موسى عليه السلام و الإقليم الثالث ينزل إليه الأمر الإلهي من السماء الثالثة و تنظر إليه روحانية كوكبها و البدل الذي يحفظه على قلب هارون و يحيى عليهما السلام بتأييد محمد عليه الصلاة و السلام و الإقليم الرابع ينزل الأمر إليه من قلب الأفلاك كلها و تنظر إليه روحانية كوكبها الأعظم و البدل الذي يحفظه على قدم إدريس عليه السلام و هو القطب الذي لم يمت إلى الآن و الأقطاب فينا نوابه و الإقليم الخامس ينزل إليه الأمر من السماء الخامسة و تنظر إليه روحانية كوكبها و البدل الذي يحفظ الله به ذلك الإقليم على قلب يوسف عليه السلام و يؤيده محمد صلى الله عليه و سلم و الإقليم السادس ينزل الأمر إليه من السماء السادسة و تنظر إليه روحانية كوكبها و البدل الذي يحفظه على قلب عيسى روح الله و يحيى عليهما السلام و الإقليم السابع ينزل الأمر إليه من السماء الدنيا و ينظر إليه روحانية كوكبها و البدل الذي يحفظه على قلب آدم عليه

السلام و اجتمعت بهؤلاء الأبدال السبعة بحرم مكة خلف حطيم الحنابلة وجدتهم يركعون هناك فسلمت عليهم و سلموا علينا و تحدثت معهمفما رأيت فيما رأيت أحسن سمتا منهم و لا أكثر شغلا منهم بالله ما رأيت مثلهم إلا سقيط الرفرف ابن ساقط العرش بقونية وكان فارسيا (وصل) واعلم أن الفرق الذي بين مزاج العنصر الواحد و امتزاجه بعضه ببعضه أو امتزاجه بعنصر آخر كامتزاج الماء بالتراب فيحدث اسم الطين فما هو تراب و ما هو ماء و الامتزاج في العنصر الواحد كالنيل و الإسفيداج إذا مزجا بالسحق و اختلطت أجزاؤهما و امتزجت امتزاجا لا يمكن الفصل بينهما يحدث بينهما لون آخر ما هو لواحد منهما و يحدث لهذا الامتزاج حكم في آخر الأفعال الطبيعية و كالماء العذب و الماء الملح إذا امتزجا حدث بينهما طعم آخر ما هو ملح و لا عذب فهذا ما أعطاه الامتزاج في العنصر الواحد و كذلك الماء بما هو بارد إذا أعطت النار فيه التسخين بحيث أن لا تبقيه باردا و لا تبلغ به درجتها في السخانة فيكون فاترا حارا و لا باردا فهذا امتزاج لا يشبه امتزاج العنصر بعضه في بعضه و لا امتزاج العنصرين و أما المزاج فهو ما كان به وجود عين العنصر و هو المسمى بالطبع فيقال طبع الماء أو مزاج الماء أن يكون باردا رطبا و النار حارة يابسة و الهواء حارا رطبا و التراب باردا يابسا فما ظهرت أعيان هذه الأركان إلا بهذا المزاج الطبيعي فكل مزاج طبيعي و ليس الامتزاج كذلك فبالامتزاج الذي ذكرناه في عنصر الماء نعلم قطعا إن أجزاء الماء الملح مجاورة أجزاء الماء العذب و أجزاء النيل مجاورة أجزاء الإسفيداج مجاورة بالعقل لا يدركها الحس و لا يفصلها و لكن في الامتزاج يحدث للطبيعة حكم في هذه الصور الظاهرة من الامتزاج كتركيب الأدوية فكل عقار فيه له نفع على حدة ثم إذا مزج الكل كان بهذه المثابة و كان للطبيعة في المجموع حكم و لا بد فإذا جعل الكل في إناء واحد و صب على الجميع ماء واحد أعطى كل عقار في كل جوهر من ذلك الماء قوة فيكون في الجوهر الواحد من الماء قوة كل واحد من العقاقير ما لم تتضاد القوى فهذا و إن كان امتزاجا فما هو مثل ذلك الامتزاج و لا بلغ حكمه حكم المزاج فهذه حالة معقولة بين المزاج و بين الامتزاج لا يقال فيه مزاج و لا امتزاج و كذلك الأرض و إن كانت سبعة طباق فقد يعسر في الحس الفصل بينهن مع علمنا بأن كل واحدة منهن لا تكون بحيث الأخرى كما لا يكون الجوهر بحيث جوهر آخر و عرضه يكون بحيث موضوعة و حامله فهكذا يكون كون الأشياء و فسادها و ما يلحقها من التغير انتهى الجزء الثالث و العشرون و مائة

((بسم الله الرحمن الرحيم))

(وصل) و أما ما يلحق الأجسام العنصرية من لواحق الطبيعة في الأجسام فكثير فمن ذلك حركة العنصر و سكونه هل هو مخالف لحركة الفلك و سكونه لو فرض سكونه أو هل سكونه كسكون السماء الذي لا يقول به إلا أهل هذا الشأن منا فأما حركة الفلك و هو من

الأجسام الطبيعية فإنه يتحرك بمحرك ليس هو و هكذا كل متحرك في العالم و ساكن ما هو متحرك لذاته و لا ساكن لذاته بل بمحرك و مسكن و ذلك المحرك له لا بد أن يكون محركا له بذاته أو محركا له بما هو يريد تحريكه فأما من يرى أن محركه يحركه لذاته فهو القائل بخلق الحركة في الجسم و الحركة تعطي لذاتها فيمن قامت به التحرك فهي محركة المتحرك لذاتها و السكون مثل ذلك و إن كان المحرك بما هو يريد تحريكه فقد يحركه بواسطة و بغير واسطة أي بواسطة لا تتصف بأنها مريدة لتحريكه و لو كانت ذا إرادة كالمجبور فيمن كان ذا إرادة أو تحريك الغصن بتحريك الريح التي تحدثه حركة المروحة من حركة يد الذي يروحه بها و بغير واسطة كإنسان هز عصا في يده فاضطربت أو يكون المتحرك هو المتحرك بالإرادة في ذاته كتحرك الإنسان في الجهات التحرك الإرادي فالفلك عندنا متحرك تحرك الإنسان في الجهات لأنه يعقل و يكلف و يؤمر كما قال عليه السلام في ناقته إنها مأمورة و قال عليه السلام في الشمس إنها تستأذن في الطلوع و حينئذ تطلع فيؤذن لها فإذا جاء وقت طلوعها من مغربها يقال لها ارجعي من حيث جئت فتصبح طالعة من مغربها فذلك حين لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمانُها فالفلك متحرك بالإرادة ليعطي ما في سمائه من الأمر الإلهي الذي يحدث أشياء في الأركان و المولدات و بتلك الحركات الفلكية يظهر الزمان فالزمان لا يحكم في مظهره و إنما يحكم فيما دونه فلا حكم للزمان في حركات الفلك لأنه المظهر عينه و للحوادث الظاهرة و الطارئة في الأفلاك و السموات و العالم العلوي أسباب غير الزمان و حركات الفلك مرتبة متتالية الأجزاء على طريقة واحدة كتحرك الرحى فكل جزء لا يفارق مجاوره و حركة الأركان ليست كذلك فإن حركة العنصر متداخلة بعضها في بعض يزول كل جزء عن الجزء الذي كان يجاوره و يعمر أحيازا غير أحيازه التي كان فيها فأسباب حركة العنصر تخالف أسباب حركة الفلك لأن حركة الفلك ما تعرف سوى ما تعطيه في الأركان من التحريك و شعاعات كواكبها بما أودع الله فيها من العقل و الروح و العلم تعطي في أشخاص كل نوع من المولدات على التعيين من معدن و نبات و حيوان و جن و ملك مخلوق من عمل أو نفس بقول من تسبيح و ذكر أو تلاوة و ذلك لعلمها بما أودع الله لديها و هو قوله تعالى وَأَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها فمن لا كشف له يرى أن ذلك كله الكائن عن سريانها إنها مسخرات في حركاتها لإيجاد هذه الأمور كتحريك الصانع للآلات لإيجاد صورة ما يريد إيجادها كالصورة في الخشب و غيره و لا تعرف الآلات شيئا من ذلك و لا ما صدر عنها و إن كانت تلك الصور لا تظهر إلا بهذه الآلات هكذا يزعم من يذهب إلى غير ما ذهبنا إليه و ذهب إليه أهل الله من أهل الكشف و الوجود و نحن نقول إن آلة النجار ربما تعلم أكثر مما يعلم الصانع بها فإنها حية ناطقة عالمة بخالقها مسبحة بحمد ربها عالمة بما خلقت له عند أهل الكشف فإن المكاشف إذا كشف الله عن بصره و سمعه تناديه أشجار الأرض و نجمها بمنافعها و مضارها كما قالت الأحجار لداود عليه السلام يقول كل حجر يا داود خذني فأنا أقتل جالوت و قال له

الحجر الآخر خذني فإني أجعل الكسرة في ميمنة عسكره فقد علم كل حجر ما خلق له فأخذ داود تلك الأحجار فوقع الأمر كما ذكرت و لما لم يبلغ بعض الناس هذه الدرجة و لا طولع بها أنكرها و لم يكن ينبغي له ذلك فما من متحرك في العالم إلا و هو عالم بما إليه يتحرك إلا الثقلين فقد يجهلون ما يتحركون إليه بل يجهلون إلا من شاء الله من أهل الكشف من مريد و غيره قال الله للسماء و الأرض ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ و إتيان الأرض حركة و انتقال لما دعيت إليه فجاءت طائعة فكل جزء في الكون عالم بما يراد منه فهو على بصيرة حتى أجزاء بدن الإنسان فما يجهل منه إلا لطيفته المكلفة الموكلة إلى استعمال فكرها أو تنتظر بنور الايمان حتى يظهر ذلك النور على بصرها فيكشف ما كان خبرا عندها فإذا كانت حركة العنصر تخالف حركة الفلك بالتداخل و بما يطرأ عليها من السكون في بعض أجزاء العنصر لا في كله فنعلم قطعا إن حكم الحركة في العنصر يخالف حكم حركة الفلك فحكم حركة العنصر أي عنصر كان فإن كان بين عنصرين كالهواء و الماء أو لا يكون بين عنصرين كالنار و الأرض فحركة الهواء العنصري يظهر فيه من الأثر بحسب ما يباشر منه ما فوقه و ما تحته و كذلك عنصر الماء و أما حركة النار فلا تؤثر فيه إلا الهواء و حركة الأرض لا تؤثر فيه إلا الماء و الهواء و بهذا يفارق هذا العنصر عنصر النار فإذا أثر النار التسخين فيما عداه من الأركان فيأخذ أمرين إما بوساطة شعاع الكوكب الأعظم و هو الشمس فإن شعاعها يمر على الأثير فيكتسب زيادة كميات في حرارته أو بوساطة النار المحمولة في الفحم أو الحطب و هذه الآثار التي تظهر في العنصر من غيره إن لم يكن له إمداد من العنصر الذي ظهر عنه ذلك الأثر و الأغلب عليه حكم العنصر الذي ظهر فيه الأثر فأفسده فهذا من أنواع الكون و الفساد الظاهر في أجسام العناصر ثم لتعلم إن التحقيق في الحركة و السكون أنهما نسبتان للذوات الطبيعية المتحيزة المكانية أو القابلة للمكان إن كانت في الإمكان و ذلك أن المتحيز لا بد له من حيز يشغله بذاته في زمان وجوده فيه فلا يخلو ما أن يمر عليه زمان ثان أو أزمنة و هو في ذلك الحيز عينه فذلك المعبر عنه بالسكون أو يكون في الزمان الثاني في الحيز الذي يليه و في الزمن الثالث في الحيز الذي يلي الحيز الثاني فظهوره و أشغاله لهذه الأحياز حيزا بعد حيز لا يكون إلا بالانتقال من حيز إلى حيز و لا يكون ذلك إلا بمنقل فإن سمي ذلك الانتقال حركة مع عقلنا إنه ما ثم إلا عين المتحيز و الحيز و كونه شغل الحيز الآخر المجاور لحيزه الذي شغله أولا فلا يمنع و من ادعى أن ثم عينا موجودة تسمى حركة قامت بالمتحيز أوجبت له الانتقال من حيز إلى حيز فعليه بالدليل فما انتقل إلا بمنقل أما إن كان ذا إرادة فبإرادته أو بمنقل غيره نقله من حيز إلى حيز و كذلك الاجتماع و الافتراق نسبتان للمتحيزات فالاجتماع كون متحيزين متجاورين في حيزين لا يعقل بينهما ثالث و الافتراق أن يعقل بينهما ثالث أو أكثر فاعلم ذلك ثم إن الزمان و المكان من لواحق الأجسام الطبيعية أيضا غير أن الزمان أمر متوهم لا وجود له تظهره حركات الأفلاك أو حركات المتحيزات إذا اقترن

بها السؤال بمتى فالحيز و الزمان لا وجود له في العين أيضا و إنما الوجود لذوات المتحركات و الساكنات و أما المكان فهو ما تستقر عليه المتمكنات لا فيه فإن كانت فيه فتلك الأحيا ز لا المكان فالمكان أيضا أمر نسبي في عين موجودة يستقر عليها المتمكن أو يقطعه بالانتقالات عليه لا فيه فإن اتصلت المتحيزات بطريق المجاورة على نسق خاص لا يكون فيه تداخل فذلك الاتصال فإن توالت الانتقالات حالا بعد حال فذلك التتابع و التتالي من غير أن يتخللها فترة فإن دخل بعضها على بعض و لم يفصل الداخل بين المتصلين فذلك الالتحام فما دخل في الوجود منه وصف بالتناهي و ما لم يدخل قيل فيه إنه لا يتناهى إن فرض متتاليا أبدا و إن أعطت هذه الانتقالات استحالة كان الكون و الفساد فانتقال الشيء من العدم إلى الوجود يكون كونا و إزالة ما ظهر عنه من صورة الكون يسمى فسادا فإذا انتقل من وجود إلى وجود يسمى متحركا و أما ما يلحق هذه الأجسام من الألوان و الأشكال و الخفة و الثقل و اللطف و الكثافة و الكدورة و الصفا و اللين و الصلابة و ما أشبه ذلك من لواحقه فإنه يرجع إلى أسباب مختلفة فأما الألوان فعلى قسمين منها ألوان تقوم بنفس المتلون و منها ألوان تظهر لناظر الرائي و ما هي في عين المتلون لاختلاف الأشكال و ما يعطيه النور في ذلك الجسم فإنه بالنور يقع الإدراك و كذلك الأشكال مثل الألوان ترجع إلى أمرين إلى حامل الشكل و إلى حس المدرك له و أما ما عداه مما ذكرناه من لواحق الأجسام فهي راجعة إلى المدرك لذلك لا إلى أنفسها و لا إلى الذات الموصوفة التي هي الأجسام الطبيعية هذا عندنا فإن اللطيفة كالهواء لا تضبط صورة النور و الجسم الكثيف يظهره و رأينا من لا يحجبه الكثائف و صورتها عنده صورة اللطائف في نفوذ الإدراك فإذا ما هي كثائف إلا عند من ليس له هذا النفوذ فمنا من لا يحجبه الجدران و لا يثقله شيء فصار مال هذه الأوصاف إلى المدرك و لو كانت لذوات الأجسام لوقع التساوي في ذلك كما وقع التساوي في كونها أجساما فإذا ليس حكم اللواحق يرجع إلى ذوات الأجسام عندنا و أما عند الطبيعيين فإنهم و إن اختلفوا فما هم على طريقنا في العلم بهذا و اعلم أن الشيء الواحد العين إذا ظهرت عنه الآثار المختلفة فإن ذلك من حيث القوابل لا من حيث عينه و من هنا إذا حققت هذه المسألة يبطل قول الحكيم لا يصدر عن الواحد إلا واحد و صورة ذلك في العنصر الذي نحن بصدده إن النار بما هي نار لا يتغير حكمها من حيث ذاتها و تجد آثارها مختلفة الحكم فتنير أجساما و لا تنير أجساما مع أن إنارتها بالاشتعال فالهواء لها مساعد و تعقد أشياء و تسيل أشياء و تسود و تبيض و تسخن و تحرق و تنضج و تذيب الجوامد و هي على حقيقة واحدة و استعداد القوابل مظهر اختلاف الآثار منها في الحكم

فالعين واحدة و الحكم مختلف   و يدرك العلم ما لا يدرك البصر

و اعلم أن الأشياء بآحادها لها حكم و بامتزاجاتها تحدث لها أحكام لم تكن و لا لواحد منها و لا يدرى على الحقيقة من هو المؤثر من أحد الممتزجين هل هو لواحد أو هل لكل واحد فيه قوة و الذي حدث لا يقدر على إنكاره فإنا نعرف سواد المداد حدث بعد أن لم يكن من امتزاج الزاج و العفص فهل الزاج صبغ العفص و هو المؤثر و العفص هو المؤثر فيه اسم مفعول و لو كان ذلك لبقي الزاج على حاله إذا كان غير ممتزج و ينصبغ ماء العفص و المشهود خلاف ذلك و كذلك القول في العفص فلم يبق إلا حقيقة المزج و هي التي أحدثت السواد ما هو لواحد بعينه حقيقة ما قلناه في الإلهيات سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلانِ و يأتي الله يوم القيامة للفصل و القضاء و بيده الميزان يخفض و يرفع الله و لا عالم هل يتصف بوقوع هذا الفعل فظهر بالعالم ما لم يظهر و لا عالم فليس الحكم على السواء فقال النبي صلى الله عليه و سلم كان الله و لا شيء معه و لم يقل و هو الآن على ما عليه كان كيف يقول ذلك صلى الله عليه و سلم و هو أعلم الخلق بالله و هو الذي جاء من عند الله بقوله كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ و سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلانِ و فرغ ربك من كذا و كذا و ينزل ربنا إلى السماء و قد كان و لا سماء و لا عالم هل كان يوصف بالنزول إلى من أو من أين و لا أين ثم أحدث الأشياء فحدثت النسب فاستوى و نزل و أخذ الميزان فخفض و رفع بذا وردت الأخبار التي لا تردها العقول السليمة من الأهواء و الايمان بها واجب و الكيف غير معقول فهو الواحد الواجد الأحد الماجد الذي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ لو لا وجود النفس و استعدادات المخارج في المتنفس ما ظهر للحروف عين و لو لا التأليف ما ظهر للكلمات عين فالوجود مرتبط بعضه ببعض فلو لا الحرج و الضيق ما كان للنفس الرحماني حكم فإن التنفيس هو إزالة عين الحرج و الضيق فالعدم نفس الحرج و الضيق فإنه يمكن أن يوجد هذا المعدوم فإذا علم الممكن إمكانه و هو في حال العدم كان في كرب الشوق إلى الوجود الذي تعطيه حقيقته ليأخذ بنصيبه من الخير فنفس الرحمن بنفسه هذا الحرج فأوجده فكان تنفيسه عنه إزالة حكم العدم فيه و كل موجود سوى الله فهو ممكن فله هذه الصفة فنفس الرحمن هو المعطي صور الممكنات الوجود كما أعطى النفس وجود الحروف فالعالم كلمات الله من حيث هذا النفس كما قال و كَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى مَرْيَمَ و هو عين عيسى عليه السلام و أخبر أن كلمات الله لا تنفد فمخلوقاته لا تزال توجد و لا يزال خالقا و كذلك لما رأينا في هذه الأجسام العنصرية أمورا مختلفة الصور مختلفة الأشكال مختلفة المزاج و مع هذا ما يخرجها ذلك الاختلاف عن حقيقة كونها يجمعها حد واحد و حقيقة واحدة كأشخاص الحيوان على اختلاف أنواعه و أشكاله كالطير لا يخرجه ما ظهر فيه من اختلاف المقادير و الأشكال و الألوان عن كونه طيرا فعلمنا إن هذا الاختلاف ما هو لكونه إنسانا و لا لكونه طيرا فإن الإنسانية في كل واحد واحد من أشخاصها مع ظهور الاختلاف فلا بد لذلك من حقائق أخر معقولة أوجبت لها ذلك الاختلاف فبحثنا عن ذلك في العلم الإلهي الذي هو مطلوبنا إذ كان الوجود مرتبطا به فوجدناه

تعالى لا يكرر تجليا و يظهر في صورة ينكر فيها و في صورة يعرف فيها و هو الله تعالى في الصورتين الأولى و الآخرة و في كل صور التجلي فقامت صور التجلي في الألوهة مقام اختلاف أحوال صور أشخاص النوع في النوع فعلمنا أن تغير أشخاص النوع من هذه الحقيقة الإلهية فعلمنا إنا ما علمنا من الحق إلا ما أشهدنا و أن الله تجلى للنوع من حيث ما هو نوع فلم يتغير عن نوعيته كما لم يزل إلها في ألوهته ثم يظهر لذلك النوع في صور مختلفة اقتضتها ذاته تعالى فظهر في أشخاص النوع اختلاف صور على وزنها و مقدارها فلو لا أنه في استعداد هذا النوع المتغير بالشخص في الأشكال و الألوان و المقادير التي لا تخرجه عن نوعيته لما قبل هذا التغيير و لكان على صورة واحدة و إذا كان الكثيف مع كثافته مستعد القبول الصور المختلفة بصنعة الصانع فيه كالخشب و ما تصور منه بحسب ما يقوم في نفس الصانع من الصور المختلفة فاللطيف أقبل للاختلاف كالماء و الهواء فما كان ألطف كان أسرع بالذات لقبول الاختلاف فتبين لك أن اختلاف صور العالم من أعلاه لطفا إلى أسفله كثافة لا يخرج كل صورة ظهر فيها عن كونه نفس الرحمن قال تعالى وَاللهُ أَنبَتَكُمْ من الْأَرْضِ نَبَاتاً فالأرض واحدة و أين صورة النجم من صورة الشجر على اختلاف أنواعها من صورة الإنسان من صور الحيوان و كل ذلك من حقيقة عنصرية ما زالت عنصريتها باختلاف ما ظهر فيها فاختلاف العالم بأسره لا يخرجه عن كونه واحد العين في الوجود فزيد ما هو عمرو و هما إنسان فهما عين الإنسان لا غيره فمن هنا تعرف العالم من هو و صورة الأمر فيه إن كنت ذا نظر صحيح وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ ما ثم إلا النفس الناطقة و هي العاقلة و المفكرة و المتخيلة و الحافظة و المصورة و المغذية و المنمية و الجاذبة و الدافعة و الهاضمة و الماسكة و السامعة و الباصرة و الطاعمة و المستنشقة و اللامسة و المدركة لهذه الأمور و اختلاف هذه القوي و اختلاف الأسماء عليها و ليست بشيء زائد عليها بل هي عين كل صورة و هكذا تجده في صور المعادن و النبات و الحيوان و الأفلاك و الأملاك فسبحان من أظهر الأشياء و هو عينها

فما نظرت عيني إلى غير وجهه	و ما سمعت أذني خلاف كلامه
فكل وجود كان فيه وجوده	و كل شخيص لم يزل في منامه
فتعبير رؤيانا لها في منامنا	فمن لام فليلحق به في ملامه

و مما يتعلق بهذا الباب و بباب ركن الماء ما يظهر فيهما من السخانة عن الشعاعات النورية المنفهقة من ذات الشمس أين أصلها في العلم الإلهي فإن الأجسام الأرضية و المائية إذا اتصلت بها أشعة الأنوار الشمسية و الكوكبية يرى بعض الأجسام يسخن عند انبساط الشعاع عليه و بعض الأجسام على برده لا يقبل التسخين مع اختراق الشعاعات ذلك الجسم كدائرة الزمهرير و ما علا من الجو لا أثر لحر

الشعاعات فيه. فاعلم إن للوجه الإلهي سبحات محرقات لو لا الحجب لأحرقت العالم فلا تخلو هذه الحجب إما أن تكون من العالم و لا شك أن السبحات لو لم تنبسط على الحجب لما كانت حجبا عنها و لو اقتضت السبحات الإحراق احترقت الحجب ثم لا تخلو الحجب أن تكون كثيفة أو لطيفة فإن كانت لطيفة لم تحجب كما لم يحجب الهواء اتصال شعاع الشمس بالأجسام الأرضية و إن كانت كثيفة كالجدران و أشباهها فلا خفاء إن الجدار يسخن بشعاع الشمس إذا كان متراص الأجزاء غير مخلخل ثم إن النور لا تحجبه الظلمة لأنه ينفرها فلا تجتمع به لكن تجاوره من خلف الحجاب الموجد للظلمة التي تباشر النور فالظلمة تجاور الشعاع و الموجد للظلمة يقبل انبساط الشعاع عليه فلا تكون الظلمة حجابا بهذا الاعتبار و قد ثبت كونها حجابا و كون النور حجابا على نور الوجه و النور يتقوى بالنور لا يحجبه فافهم حقيقة سبحات الوجه و إنها دلائل ذاتية إذا ظهرت أحرقت نسبا لا أعيانا فتبين أنها عين تلك الأعيان أعني الوجه فزال الجهل الذي كانت ثمرته إن العالم ما هو عين الوجه فبقي العالم على صورته لم تذهبه السبحات بل أثبتته و أبانت عن وجه الحق ما هو فكان الحجاب معنويا فاحترقت النسبة (الفصل الثاني و الثلاثون) في الاسم الإلهي العزيز و توجهه على إيجاد المعادن و له حرف الظاء المعجمة و من المنازل سعد الذابح اعلم أن الذات لما اختصت بسبع نسب تسمى صفات إليها يرجع جميع الأسماء و الصفات و قد ذكرنا رجوعها إليها في كتاب إنشاء الجداول كما ذكرها من تقدم قبلنا غير أني زدت على من تقدم بإلحاق الاسم المجيب مع الاسم الشكور لصفة الكلام فإن المتقدمين قبلنا ما ألحقوا بالاسم الشكور الاسم المجيب و كانت السموات سبعا و السيارة سبعة و الأرضون سبعة و الأيام سبعة جعل الله تكوين المعادن في هذه الأرض عن سباحة هذه السبعة الدراري بسبعة أفلاكها في الفلك المحيط فأوجد فيها سبعة معادن و لما كان الاسم العزيز المتوجه على إيجادها و لم يكن لها مشهود سواه عند وجودها أثر فيها عزة و منعا فلم يقو سلطان الاستحالة التي تحكم في المولدات و الأمهات من العناصر يحكم فيها بسرعة الإحالة من صورة إلى صورة مثل ما يحكم في باقي المولدات فإن الاستحالة تسرع إليهم و يظهر سلطانها فيهم بزيادة و نقص و خلع صورة منهم و عليهم و هذا يبعد حكمه في المعادن فلا تتغير الأحجار مع مرور الأزمان و الدهور إلا عن بعد عظيم و ذلك لعزتها التي اكتسبتها من الاسم الإلهي العزيز الذي توجه على إيجادها من الحضرة الإلهية ثم إن هذا الاسم طلب بإيجادها رتبة الكمال لها حتى تتحقق بالعزة فلا يؤثر فيها دونه اسم إلهي نفاسة منه لأجل انتسابها إليه و علم العلماء بأن وجودها مضاف إليه فلم يكن القصد بها إلا صورة واحدة فيها عين الكمال و هو الذهبية فطرأت عوارض لها في الطريق من الاسم الضار و إخوانه فأمرض أعيانهم و عدل بهم عن طريقهم حكمت عليهم بذلك المرتبة التي مروا عليها و لا يتمكن لاسم أن يكون له حكم في مرتبة غيره فإن صاحب المنزل أحق بالمنزل و هم أرباب الأدب الإلهي و معلمو

الأدب فبقي الاسم العزيز في هذه المرتبة يحفظ عين جوهر المعدن و صاحب المرتبة من الأسماء يتحكم في صورته لا في عين جوهره و للأسماء الإلهية في المولدات و العناصر سدنة من الطبائع و من العناصر يتصرفون في هذه الأمور بحكم صاحب المرتبة الذي هو الاسم الإلهي و هم المعدن و حرارته و برد الشتاء و حرارة الصيف و الحرارة المطلقة و البرودة و الرطوبة و اليبوسة و لكل واحد مما ذكرناه حكم يخصه يظهر في جوهر المولدات و العناصر فيسخف و يكثف و يبرد و يسخن و يرطب و ييبس و رتبة الكمال من تعتدل فيه هذه الأحكام و تتمانع و لا يقوى واحد منهم على إزالة حكم صاحبه فإذا تنزه الجوهر عن التأثير فخلع صورته عنه و منع نفسه من ذلك فذلك حكم رتبة الكمال و ليس إلا الذهب في المعدن و أما سائر الصور فقامت بها أمراض و علل أخرجتهم عن طريق الكمال فظهر الزئبق و الأسرب و القزدير و الحديد و النحاس و الفضة كما ظهر الياقوت الأصفر و الأكهب في جوهر الياقوت و لما فارقت المعدن الذي هو موطنها في ركن الأرض بقيت على مرضها ظاهرة بصورة الاعتلال دائما فالحاذق النحرير من علماء الصنعة إذا عرف هذا و أراد أن يلحق ذلك المعدن برتبة الكمال و لا يكون ذلك إلا بإزالة المرض و ليس المرض إلا زيادة أو نقصا في الجوهر و ليس الطب إلا زيادة تزيل حكم النقص أو نصا يزيل حكم الزيادة و ليس الطبيب إلا أن يزيد في الناقص أو ينقص من الزائد فينظر الحاذق من أهل النظر في طب المعادن ما الذي صيره حديدا أو نحاسا أو ما كان و حال بينه و بين الذهبية أن يصل إلى منزلتها و يظهر صورتها فيه فيفوز بدرجة الكمال و يجوز صفة العزة و المنع عن التأثير فيه و تساعد هذا الطبيب سباحة الأنوار السبعة في أفلاكها أعني الدراري و هي القمر و الكاتب و الزهرة و الشمس و الأحمر و المشتري و كيوان بما في قوتها لما يعطيه بعضها من اختلاف الزمان و حكم كل زمان يخالف حكم الذي يليه من وجه و يوافقه من وجه و يخالفه من جميع الوجوه و لا يمكن أن يوافقه من جميع الوجوه إذ لو وافقه لكان عينه و لم يكن اثنان و هما اثنان بلا شك فالموافقة من جميع الوجوه لا تكون و لكرور هذه الأزمان و توالي الجديدين أثر في الأركان و أثر في عين الولد في تسوية جوهره و تعديله فإذا سواه و عدله و هو أن يصيره جوهرا قابلا لأي صورة يريد الحق أن يركبه فيها و الصور مختلفة فاختلفت المعادن كما اختلف النبات بالصورة كما اختلف الحيوان بالصورة و هو من حيث الجوهر الطبيعي واحد العين و لهذا يعمه من حيث جوهره حد واحد و ما تختلف الحدود فيه إلا من أجل الصورة و كذلك في الآباء و الأمهات بل جوهر العالم كله واحد بالجوهرية و العين تختلف بالصور و ما يعرض له من الأعراض فهو المجتمع المفترق و الواحد الكثير صورة الحضرة الإلهية في الذات و الأسماء فيرد الحاذق الجوهر المعلول الذي عدلت به علته عن طريق الكمال إلى طريقه ليتمكن من تدبيره و حفظ بقاء صحته عليه و يحفظه مما بقي له في طريقه من منازل التغييرات الحائلة بينه و بين رتبة الكمال و إنما فعل الله هذا بهذا الجوهر في الطريق و سلط عليه من

يعله و يمرضه حتى يحول بينه و بين بلوغه إلى رتبة الكمال العدني لمصالح هذا النوع الإنساني لعلمه بأنه يحتاج إلى آلات و أمور لا بد له منها و لا يكون له هذه الآلات إلا بقيام هذه الأمراض بهذا الجوهر و عدوله عن الطريق و حال الله سبحانه بين الأطباء و بين العلم بإزالة هذه الأمراض من هذا الجوهر إلا الأمناء منهم الذين علم الله منهم أنهم يبقون الحكمة على ما وضعها الله في العالم فيبقى الحديد حديدا لما فيه من المنافع التي لا تكون في الذهب و لا في غيره من المعادن كما قال تعالى وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ يريد أنه أنزله عن رتبة الكمال لأجل ما فيه من منافع الناس فلو صح من مرضه لطغى و ارتفع و لم توجد تلك المنافع و بقي الإنسان الذي هو العين المقصودة معطل المنافع المتعلقة بالحديد التي لا تكون إلا فيه ففيه كما قال الله بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ و هكذا سائر المعادن فيها منافع للناس و قد ظهرت و استعملها الإنسان فانظر ما أشد عناية الله بهذا النوع الإنساني و هو غافل عن الله كافر لنعمه متعرض لنقمه و لما علم الله أن في العالم الإنساني من حرمه الله الأمانة و رزقه إذاعة الأسرار الإلهية و سبق في علمه أن يكون لهذا الذي هو غير أمين رزقه في علم التدبير رزقه الشح به على أبناء جنسه بخلا و حسدا و نفاسة أن يكون مثله غيره فترك العمل به غير مأجور فيه و لا موافق لله ثم إن الله كثر المعادن و لم يجعل لهذا الإنسان أثرا إلا فيما حصل بيده منها و ما عسى أن يملك من ذلك فيظهر في ذلك القدر تدبيره و صنعته ليعلم العقلاء الحكماء أنه غير أمين فيما أعطاه الله فإنه ما أذن له في ذلك من الله ثم إن الله جعل للملوك رغبة في ذلك العلم فإذا ظهر به من ليس بأمين عندهم سألوه العلم فإن منعهم إياه قتلوه حسدا و غيظا و إن أعطاهم علم ذلك قتلوه خوفا و غيرة و لما علم العالم أن ما له مع الملوك إلا مثل هذا لم يظهر به عندهم و لا عند العامة لئلا يصل إليهم خبره لا أمانة و إنما ذلك خوفا على نفسه فلا يظهر في هذه الصنعة عالم بها جملة واحدة و المتصور فيها بصورة العلم يعلم في نفسه أنه ما عنده شيء و أنه لا بد أن يظهر للملك دعواه الكاذبة فيأمن غائلته في الغالب من القتل و يقنع بما يصل إليه من جهته من الجاه و المال للطمع الذي قام بذلك الملك فما ظهر عالم بهذه الصنعة قط و لا يظهر غيرة إلهية مع كونه قد رزقه الله الأمانة في نفسه و من هذا الاسم الإلهي وجود الأحجار النفيسة كاليواقيت و اللآلي من زبرجد و زمرد و مرجان و لؤلؤ و بلخش و جعل في قوة الإنسان إيجاد هذا كله أي هو قابل إن يتكون عنه مثل هذا و يسمى ذلك في الأولياء خرق عادة و الحكايات في ذلك كثيرة و لكن الوصول إلى ذلك من طريق التربية و التدبير أعظم في المرتبة في الإلهيات ممن يتكون عنه في الحين بهمته و صدقه فإن الشرف العالي في العلم بالتكوين لا في التكوين لأن التكوين إنما يقوم مقام الدلالة على إن الذي تكون عنه هذا بالتدبير عالم و صاحب خرق العادة لا علم له بصورة ما تكون عنه بكيفية تكوينها في الزمن القريب و العالم يعلم ذلك (الفصل الثالث و الثلاثون) في الاسم الإلهي الرزاق و توجهه على إيجاد النبات من المولدات و له من الحروف الثاء المعجمة بالثلاث و له من المنازل سعد بلع قال تعالى

إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ و قال أَ فَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ أَ أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَها أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِؤُنَ نَحْنُ جَعَلْناها تَذْكِرَةً وَ مَتاعاً لِلْمُقْوِينَ فجعلها للعلماء تذكرة فجاء بالاسم الرزاق بهذه البنية للمبالغة لاختلاف الأرزاق و هي مع كثرتها و اختلافها منه لا من غيره و إن المرزوقين مختلف قبولهم للأرزاق فما يتغذى به حيوان ما قد لا يصلح أن يكون لحيوان آخر لأن المراد بتناول الرزق بقاء المرزوق فإذا أكل ما فيه حتفه فما تغذى به و ما هو رزق له و إن كان به قوام غيره فلذلك تسمى ببنية المبالغة في ذلك و نعت هذا الرزاق بذي القوة المتين و لو نعت به الله لقال ذا القوة المتين فنصب و لا يتمكن نعت الاسم الله من حيث دلالته فإنه جامع للنقيضين فهو و إن ظهر في اللفظ فليس المقصود إلا اسما خاصا منه تطلبه قرينة الحال بحسب حقيقة المذكور بعده الذي لأجله جاء الاسم الإلهي فإذا قال طالب الرزق المحتاج إليه يا الله ارزقني و الله هو المانع أيضا فما يطلب بحاله إلا الاسم الرزاق فما قال بالمعنى إلا يا رزاق ارزقني و من أراد الإجابة في الأمور من الله فلا يسأله إلا بالاسم الخاص بذلك الأمر و لا يسأل باسم يتضمن ما يريده و غيره و لا يسأل بالاسم من حيث دلالته على ذات المسمى و لكن يسأل من حيث المعنى الذي هو عليه الذي لأجله جاء و تميز به عن غيره من الأسماء تميز معنى لا تميز لفظ و اعلم أن الأرزاق منها معنوي و منها حسي و المرزوقين منهم معقول و منهم محسوس و رزق كل مرزوق ما كان به بقاؤه و نعيمه إن كان ممن يتنعم و حياته إن كان ممن يوصف بأنه حي و ليست الأرزاق لمن جمعها و إنما الأرزاق لمن تغذى بها يحكي أنه اجتمع متحرك و ساكن فقال المتحرك الرزق لا يحصل إلا بالحركة و قال الساكن الرزق يحصل بالحركة و السكون و بما شاء الله و قد فرغ الله منه فقال المتحرك فأنا أتحرك و أنت اسكن حتى أرى من يرزق فتحرك المتحرك فعند ما فتح للباب وجد حبة عنب فقال الحمد لله غلبت صاحبي فدخل عليه و هو مسرور فقال له يا ساكن تحركت فرزقت و رمى بحبة العنب إلى الساكن فأخذها الساكن فأكلها و حمد الله و قال يا متحرك سكنت فأكلت و الرزق لمن تغذى به لا لمن جاء به فتعجب المتحرك من ذلك و رجع إلى قول الساكن و المقصود من هذه الحكاية أن الرزق لمن تغذى به فأول رزق ظهر عن الرزاق ما تغذت به الأسماء من ظهور آثارها في العالم و كان فيه بقاؤها و نعيمها و فرحها و سرورها و أول مرزوق في الوجود الأسماء فتأثير الأسماء في الأكوان رزقها الذي به غذاؤها و بقاء الأسماء عليها و هذا معنى قولهم إن للربوبية سرا لو ظهر لبطلت الربوبية فإن الإضافة بقاء عينها في المتضايفين و بقاء المضافين من كونهما مضافين إنما هو بوجود الإضافة فالإضافة رزق المتضايفين و به غذاؤهما و بقاؤهما متضايفين فهذا من الرزق المعنوي الذي يهبه الاسم الرزاق و هو من جملة المرزوقين فهو أول من تغذى بما رزق فأول ما رزق نفسه ثم رزق الأسماء المتعلقة بالرزق الذي يصلح لكل اسم منها و هو أثره في العالم المعقول و المحسوس ثم نزل في النفس الإلهي بعد الأسماء فوجد الأرواح الملكية فرزقها التسبيح ثم نزل إلى العقل الأول

فغذاه بالعلم الإلهي و العلم المتعلق بالعالم الذي دونه و هكذا لم يزل ينزل من عين ما يطلب ما به بقاؤه و حياته إلى عين حتى عم العالم كله بالرزق فكان رزاقا فلما وصل إلى النبات و رأى ما يحتاج إليه من الرزق المعين فأعطاه ما به غذاؤه فرأى جل غذائه في الماء فأعطاه الماء له ولكل حي في العالم وجعله رزقا له ثم جعله رزقا لغيره من الحيوان فهو والحيوان رزق ومرزوق فيرزق فيكون مرزوقا و يرزق به فيكون رزقا و هكذا جميع الحيوان يتغذى و يتغذى به فالكل رزق و مرزوق و إنما أعطى الماء رزقا لكل حي لأنه بارد رطب و العالم في عينه غلبت عليه الحرارة و اليبوسة و سبب ذلك أن العالم مقبوض عليه قبضا لا يتمكن له الانفكاك عنه لأنه قبض إلهي واجب على كل ممكن فلا يكون إلا هكذا و الانقباض في المقبوض يبس بلا شك فغلب عليه اليبس فهو يطلب بذاته لغلبة اليبس ما يلين به و يرطب فتراه محتاجا من حيث يبسه إلى الرطوبة و أما احتياجه إلى البرودة فإن العالم مخلوق على الصورة و رأى أن من خلق على صورته مطلق الوجود يفعل ما يريد فأراد أن يكون بهذه المثابة و يخرج عن القبض عليه فيكون مسرح العين غير مقبوض عليه في الكون و الإمكان يأبى ذلك و الصورة تعطيه القوة لهذا الطلب و لا ينال مطلوبه فيدركه الغبن فيحمى فتغلب الحرارة عليه فيتأذى فيخاف الانعدام فيجنح إلى طلب البرودة ليسكن بها ما يجده من ألم الحرارة و يحيي بها نفسه و يبس القبض الذي هو عليه يطلب الرطوبة فنظر الاسم الرزاق في غذاء يحيا به يكون باردا ليقابل به الحرارة و سلطانها و يكون رطبا فيقابل به سلطان اليبس فوجد الماء باردا رطبا فجعل منه كل شيء حي في كل صنف صنف بما يليق به قال تعالى وَجَعَلْنا من الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ أي يصدقون بذلك و إنما قرن به الايمان لجواز خلافه عقلا الذي هو ضد الواقع من أنه لو غلب عليه خلاف ما غلب عليه أهلكه فلا بد أن تكون حياته في نقيض ما غلب عليه ألا ترى لو غلب عليه البرد و الرطوبة هلك و لم يكن له حياة إلا الحرارة و اليبس فكان يقال في تلك الحال وجعلنا من النار كل شيء حي و لو غلب عليه البرد و اليبس لكانت حياته بالهواء فيقال في تلك الحال و جعلنا من الهواء كل شيء حي و لو أفرطت فيه الحرارة و الرطوبة لكانت حياته بالتراب و كان يقال لتلك الحالة و جعلنا من التراب كل شيء ثم هذا ما يحتمله التقسيم في هذا لو كان فلما كان الواقع في العالم غلبة الحرارة و اليبوسة عليه لما ذكرناه من سبب الصورة و القبض ثار عليه سلطان الحرارة و اليبس فلم تكن له حياة إلا ببارد رطب فكان الماء فقال وَجَعَلْنا من الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ و ينظرون في قولنا من الماء فيعلمون طبع الماء و أثره و فيمن يؤثر و ما ذا يدفع به فيعلم إن العالم موصوف بنقيض ما يقتضيه الماء فيحكم عليه به فيعلم الناظر من طبع الدواء ما يقابل به طبع المرض الذي نزل بهذا المريض فنفس الرحمن عنه ما كان يجده هذا المريض فهذا من النفس الرحماني فالأرزاق كلها عند المحقق أدوية لأن العالم كله يخاف التلف على نفسه لأن عينه ظهر عن عدم و قد تعشق بالوجود فإذا قام به من يمكن عنده إذا غلب

عليه إن يلحقه بالعدم سارع إلى طلب ما يكون به بقاؤه و إزالة حكم مرضه أو توقع مرضه فذلك رزقه الذي يحيا به و دواؤه الذي فيه شفاؤه أي نوع كان في الشخصيات و كل ما يقبل النمو فهو نبات و الذي ينمو به هو رزقه ثم إن الرزق على نوعين في الميزان الموضوع في العالم لإقامة العدل و هو الشرع النوع الواحد يسمى حراما و النوع الآخر يسمى حلالا و هو بقية الله التي جاء نصها في القرآن قال تعالى بَقِيَّتُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فهذه هي التي بقيت للمؤمنين من قوله خَلَقَ لَكُمْ ما في الْأَرْضِ جَمِيعاً و الايمان لا يقع إلا بالشرع و جاء هذا القول في قصة شعيب صاحب الميزان و المكيال فهذا علم مستفاد من الإعلام الإلهي و الرزاق هو الذي بيده هذا المفتاح فرزق الله عند بعض العلماء جميع ما يقع به التغذي من حلال و حرام فإن الله يقول وَما من دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُها و هو ظاهر لا نص و قال فَذَرُوها تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللهِ وَ اللهُ يَرْزُقُ من يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ و قد نهانا عن التغذي بالحرام فلو كان رزق الله في الحرام ما نهانا عنه فاذن ما هو الحرام رزق الله و إنما هو رزق و رزق الله هو الحلال و هو بقية الله التي أبقاها لنا بعد وقوع التحجير و تحريم بعض الأرزاق علينا و لتعلم من جهة الحقيقة أن الخطاب ليس متعلقة إلا فعل المكلف لا عين الشيء الممنوع التصرف فيه فالكل رزق الله و المتناول هو المحجور عليه لا المتناول بفتح الواو فإن الرزاق لا يعطيك إلا رزقك و ما يعطي الرزاق لا يطعن فيه فلهذا علق الذم بفعل المكلف لا بالعين التي حجر عليه تناولها فإن المالك لها لم يحجر عليه تناولها و الحرام لا يملك و هذه مسألة طال الخبط فيها بين علماء الرسوم و أما قوله فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلالاً طَيِّباً من العامل في الحال فظاهر الشرع يعطي أن العامل رزقكم فإن من هنا في قوله مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ للتبيين لا للتبعيض فإنه لا فائدة للتبعيض فإن التبعيض محقق مدرك ببديهة العقل لأنه ليس في الوسع العادي أكل الرزق كله و إذا كانت للتبيين و هي متعلقة بكلوا فبين إن رزق الله هو الحلال الطيب فإن أكل ما حرم عليه فما أكل رزق الله فتدبر و انظر ما به حياتك فذلك رزقك و لا بد و لا يصح فيه تحجير و سواء كان في ملك الغير أو لم يكن و هذه إشارة في تلخيص المسألة و هي التي يطلبها الاسم الرزاق فإن المضطر لا حجر عليه و ما عدا المضطر فما تناول الرزق لبقاء الحياة عليه و إنما تناوله للنعيم به و ليس الرزق إلا ما تبقي به حياته عليه فقد نبهت خاطرك إلى فيصل لا يمكن رده من أحد من علماء الشريعة فإن الله يقول فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ باغٍ وَلا عادٍ بعد التحجير و قال إِلَّا ما اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ و ذلك هو الرزق الذي نحن بصدده و هو الذي يعطيه الرزاق جعلنا الله من المرزوقين الذين لا يكونون أرزاقا فإن الله أنبتنا من الأرض نباتا (وصل) ثم اعلم أن الحركات في النبات على ثلاثة أقسام و أن الرأس من النبات هو الذي يطلب الحركات فحيثما توجه من الجهات نسب إليها فإذا قابل غيرها كان نكسا في حقه ثم اعتبر العلماء الجهات بوجود الإنسان و جعلوا الاستقامة في نشأته و حركته إلى جهة رأسه فسموا حركته مستقيمة و كل نبات إنما يتحرك إلى جهة رأسه فكل حركة تقابل

حركة الإنسان على سمتها تسمى منكوسة و ذلك حركة الأشجا ر و إذا كانت الحركة بينهما يقابل المتحرك برأسه الأفق كانت حركته أفقية فالنبات الذي لا حس له و له النمو حركته كلها منكوسة بخلاف شجر الجنة فإن حركة نبات الجنة مستقيمة لظهور حيا تها فإنها الدا ر الحيوان و النبات الذي له حس على قسمين منه ما له الحركة المستقيمة كالإنسان و منه من له الحركة الأفقية كالحيوان و بينهما وسائط فيكون أول الإنسان و آخر الحيوان فلا يقوي قوة الإنسان و لا يبقى عليه حكم الحيوان كالقرد و النسناس كما بين الحيوان و النبات وسط مثل النخلة كما بين المعدن و النبات وسط مثل الكمأة فحركة النبات منكوسة و منها مخلقة و غير مخلقة فالمخلقة تسمى شجرا و هو كل نبات قام على ساق و غير المخلقة يسمى نجما و هو كل نبات لم يقم على ساق بل له الطلوع و الظهور على وجه الأرض خاصة و هو قوله تعالى وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدانِ أي ما قام على ساق من النبات و ما لم يقم على ساق فتمام الخلق في النبات القيام على ساق فلذلك كان النجم غير مخلق كما جاء في خلق الإنسان و من خلق من نطفة في قوله تعالى ثُمَّ مِن مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ و يدخل الكل في حكم أعطى كل شيء خلقه فأعطى غير المخلقة خلقها كما أعطى المخلقة خلقها كما أنه من كمال الوجود وجود النقص فيه و لما حكم العلماء على حركة النبات على ما قررناه من الانتكاس ما وفوا النظر حقه بل حركته عندنا مستقيمة فإنه ما تحرك إلا للنمو و ما تحرك حيوان و لا إنسان هذه الحركة التي لنموه إلا من كونه نبا تا و لا يقال في النبات إنه مختلف الحركات من حيث هو نبات و إنما تختلف الحركات إذا كانت لغير النمو مثل الحركات في الجهات فإن الحركات في الجهات من المتحرك إنما ذلك نسبة إرادة التحرك لذلك الجسم من المحرك و قد يكون المحرك عين المتحرك مثل حركة الاختيا ر و قد تكون الحركة في المتحرك عن متحرك آخر و لذلك الآخر آخر حتى ينتهي إلى المحرك أو المتحرك بالقصد لما ظهر من هذه الحركات و أما الحركة للزيادة في الأجسام فمن كون الجسم نبا تا في حيوان كان أو في غيره فهي حركة واحدة و هي حركة عن أصل البزرة التي عنها ظهر الجسم بحركة النماء فيتسع في الجهات كلها بحسب ما يعطيه الإمداد في تلك الجهة فقد تكون حركته إلى جهة اليمين تعطي نموا أقل من حركته إلى الفوق و كذلك ما بقي و قد أخبر النبي صلى الله عليه و سلم أن النشأة تقوم على عجب الذنب فإذا أظهرت الرجل و الساق و الفخذ و المقعدة فعن حركة منكوسة و ما ظهر من عجب الذنب إلى وجود الرأس فعن حركة مستقيمة و ما ظهر في الاتساع عن جهة اليمين و الشمال و الخلف و الأمام فعن حركة أفقية و كل ذلك عندنا حركة مستقيمة و إنما الحركة المنكوسة عندنا كل حركة في متحرك يكون بخلاف ما يقتضيه طبعه و ذلك لا يكون إلا في الحركة القهرية لا في الحركة الطبيعية فإذا تحرك كل جسم نحو أعظمه فتلك حركته الطبيعية المستقيمة كحركة اللهب نحو الأثير و جسم الحجر نحو الأرض فإذا تحرك الجسم النا ري نحو الأرض و السفل و تحرك الحجر نحو العلو كانت الحركة منكوسة و هي الحركة

القسرية فإذا انتهى النمو في الجسم بحيث أن لا يقبله الجسم من الوجه الذي لا يقبله ثم تحرك ذلك الجسم في ذلك الوجه فما حركته حركة إنبات و نمو كالجسم الذي قد تناهي في الطول إلى غايته فيه على التعين فما له حركة نمو في تلك الجهة فإذا تحرك إلى جهة الطول تحرك بكله لا للطول بل للانتقال من مكانه إلى مكان الطول سفلا أو علوا و انظر فيما حررناه في حركة النبات في أنها ليست بحركة منكوسة فإذا البذرة تمد فروعا إلى جهة الفوق و تمد فروعا إلى جهة التحت و غذاؤها ليس أخذ النبات له من الفروع التي في التحت المسماة أصولا و إنما أخذ النبات الغذاء من البذرة التي ظهرت عنها هذه الفروع و لهذا يحصل اليبس في بعض فروع التحت كما يحصل في الفروع الظاهرة الحاملة الورق و الثمر مع وجود النمو و الحياة في باقي العروق و الفروع كما ينقسم الدم من الكبد في العروق إلى سائر الأعضاء علوا و سفلا فالذي الفتوحات (۴-ج)، جلد ۲، ص: ۴۶۵ ينبغي أن يقال في الحركات المعنوية و الحسية إنها ثلاث حركات حركة من الوسط و هي التي تعطي ما ظهر عن الأصل الذي منه تنشأ الأجسام الطبيعية و حركة إلى الوسط و هي الإمداد الإلهي و حركة في الوسط و هي ما به بقاء عين الأصل و ما من نبات إلا و هو دواء و داء أي فيه منفعة و مضرة بحسب قبول الأمزجة البدنية و ما هي عليه من الاستعداد فيكون المضر لبعض الأمزجة عين ما هو نافع لمزاج غيرها فلو كان لعينه لم يختلف حكمه و إنما كان للقابل و القابل نبات كما هو نبات فما أثر بضرره و لا نفعه إلا في نفسه من كونه نباتا و إن كثرت أشخاصه و تميزت بالشخصية و إنما نبهنا بهذا على أعيان أشخاص العالم و ما أثر بعضه في بعضه و العين واحدة بالحد الذاتي كثير بالصور العرضية و قد أعلمتك في غير موضع من هو عين العالم الظاهر و أنه غير متغير الجوهر و لمن هو الحكم الذي ظهر به التغيير في هذه العين و أنه مثل ظهور التغيير في صور المرآة لتغيير هيأت الرائي و قد يكون لتغيير المتجليات في أنفسها و المرآة محل ظهور ذلك لعين الرائي فالعماء الذي هو النفس الإلهي هو القابل لهذه الصور كلها فاعلم ذلك وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ «الفصل الرابع و الثلاثون» في الاسم الإلهي المذل و توجهه على إيجاد الحيوان و له من الحروف الذال المعجمة و من المنازل سعد السعود قال تعالى وَ ذَلَّلْناها لَهُمْ فَمِنْها رَكُوبُهُمْ وَ مِنْها يَأْكُلُونَ و قال وَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ فدخل الحيوان في ذلك و هذا حكم الاسم المذل في العالم بالتسخير حتى في المسخر له جعل الله بعضه مسخر البعض من الاسم المذل فإن أصل الكل مخلوق من الأرض و هي الذلول بالجعل الإلهي كما هي العزيزة بالأصالة و جعل علة تسخير بعضها لبعض مع كون العالم مسخرا لنا رفعة لبعضنا على بعض بالدرجة التي يحتاج إليها المسخر المفعول قال تعالى وَ رَفَعْنا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيًّا فاعلم أيدك الله بروح منه أني ما أتكلم في هذه الموجودات في هذا النفس الإلهي إلا من حيث حكم الاسم الإلهي الذي أذكره مع ذلك الموجود من العالم خاصة و بعض ما له فيه من الأثر فاعلم أن التسخير قد

يكون إذلالا و قد يكون للقيام بما يحتاج إليه ذلك المسخر له بالحال و هذا الفرقان بين التسخيرين بما تعطيه حقيقة المسخر و المسخر له فالعبد الذي هو الإنسان مسخر لفرسه و دابته فينظر منها في سقيها و علفها و تفقد أحوالها مما فيه صلاحها و صحتها و حياتها و هي مسخرة له بطريق الإذلال لحمل أثقاله و ركوبه و استخدامه إياها في مصالحه و هكذا في النوع الإنساني برفع الدرجات بينهم فبالدرجة يسخر بعضهم بعضا فتقتضي درجة الملك أن يسخر رعيته فيما يريده بطريق الإذلال للقيام بمصالحه لافتقاره إلى ذلك و تقتضي درجة الرعايا و السوقة أن تسخر الملك في حفظها و الذب عنها و قتال عدوها و الحكم فيما يقع بينها من المخاصمات و طلب الحقوق فهذه سخرية قيام لا سخرية إذلال اقتضتها درجة السوقة و درجة الملك و المذل من الأسماء هو الحاكم في الطرفين ثم يأتي الكشف في هذه المسألة بأمر عجيب ينطق به القرآن و يشهده العيان فقال وَهُوَ اللهُ فِي السَّماواتِ وَفِي الْأَرْضِ و قال وَسَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ و قال لقمان لابنه يا بُنَيَّ إِنَّها إِنْ تَكُ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّماواتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ فإنه في الأرض و هو في السماء و هو في الصخرة و معنا أينما كنا فإن الخالق لا يفارق المخلوق و المذل لا يفارق الإذلال إذ لو فارقه لفارقه هذا الوصف و زال ذلك الاسم و قال تعالى وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ أي يتذللوا إلي و لا يتذللون إلي إلا حتى يعرفوا مكانتي و عزتي فخلقهم باسم المذل لأنه خلقهم لعبادته و وصف نفسه بأنه القيوم القائم عَلى كُلِّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ و قال وَلا يَؤُدُهُ حِفْظُهُما فوصف نفسه بأنه يحفظ ما في السموات و ما في الأرض فبالدرجة يكون حافظا لما يطلبه العالم من حفظ الوجود عليه و بالدرجة يكون العالم محفوظا له فإذا علمت أن السيد يسخر عبده بالدرجة و العبد يسخر سيده بالحال و ما يفعل ذلك السيد للعبد بطريق الجبر من العبد و الإذلال و إنما يفعله لثبوت سيادته عليه فما سخره للعبد إلا حظ نفسه ألا ترى أنه يزول عن السيد اسم السيد إذا باع عبده أو هلك فانظر في حكم هذا الاسم ما أعجبه و إنما اختص بالحيوان لظهور حكم القصد فيه و لأنه مستعد للاباية لما هو عليه من الإرادة فلما توجه عليه الاسم المذل صار حكمه تحت حكم من لا إرادة له و لا قدرة لما تعطي هاتان الصفتان من العزة لمن قامتا به فأصحب الله من شاء صفة الافتقار و الفاقة و الحاجة فذل لكل ذلول يرى أن له عنده حاجة يفتقر إليه فيها و ينحط عن رتبة عزه بسببها فربط الله الوجود على هذا و كان به صلاح العالم فليس في الأسماء من أعطى الصلاح العام في العالم و لا من له حكم في الحضرة الإلهية مثل هذا الاسم المذل فهو ساري الحكم دائما في الدنيا و الآخرة فمن أقامه الحق من العارفين في مشاهدته و تجلى له فيه و منه فلا يكون في عباد الله أسعد منه بالله و لا أعلم منه بأسرار الله على الكشف و هذا القدر من الإيماء في هذا الفصل كاف في علم التسخير الإلهي و الكوني فإنه ألحق السيد بالعبيد و ألحق العبيد بالسيد وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ «الفصل الخامس و

الثلاثون» في الاسم الإلهي القوي و توجهه على إيجاد الملائكة و له من الحروف حرف الفاء و من المنازل المقدرة سعد الأخبية قال الله تعالى عَلَيْها مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ و قال في الملائكة وَ يَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ و قال لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها و إِلَّا ما آتاها و الأمر تكليف فظهرت القوة في الملائكة بإمداد الاسم القوي فإنه بقوته أمدهم و ليس في العالم المخلوق أعظم قوة من المرأة لسر لا يعرفه إلا من عرف فيم وجد العالم و بأي حركة أوجده الحق تعالى و أنه عن مقدمتين فإنه نتيجة و الناكح طالب و الطالب مفتقر و المنكوح مطلوب و المطلوب له عزة الافتقار إليه و الشهوة غالبة فقد بان لك محل المرأة من الموجودات و ما الذي ينظر إليها من الحضرة الإلهية و بما ذا كانت ظاهرة القوة و قد نبه الله على ما خصها به من القوة في قوله في حق عائشة و حفصة وَ إِنْ تَظاهَرا عَلَيْهِ أي تتعاونا عليه فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلاهُ أي ناصره وَ جِبْرِيلُ وَ صالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذلِكَ ظَهِيرٌ هذا كله في مقاواة امرأتين و ما ذكر إلا الأقوياء الذين لهم الشدة و القوة فإن صالح المؤمنين يفعل بالهمة و هو أقوى الفعل فإن فهمت فقد رميت بك على الطريق فأنزل الملائكة بعد ذكره نفسه وَ جِبْرِيلُ وَ صالِحُ الْمُؤْمِنِينَ منزلة المعينين و لا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فدل أن نظر الاسم القوي إلى الملائكة أقوى في وجود القوة فيهم من غيرهم فإنه منه أوجدهم فمن يستعان عليه فهو فيما يستعان فيه أقوى مما يستعان به فكل ملك خلقه الله من أنفاس النساء هو أقوى الملائكة فإنه من نفس الأقوى فتوجه الاسم الإلهي القوي في وجود القوة على إيجاد ملائكة أنفاس النساء أعطى للقوة فيهم من سائر الملائكة و إنما اختصت الملائكة بالقوة لأنها أنوار و أقوى من لنور فلا يكون لأن له الظهور و به الظهور و كل شيء مفتقر إلى الظهور و لا ظهور له إلا بالنور في العالم الأعلى و الأسفل قال تعالى اللهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وقيل إن رسول الله صلى الله عليه و سلم لما قيل له أ رأيت ربك فقال صلى الله عليه و سلم نوراني أراه و قال لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه و السبحات الأنوار فهي المظهرة للأشياء و المغنية لها و لما كان الظل لا يثبت للنور و العالم ظل و الحق نور فلهذا يفنى العالم عن نفسه عند التجلي فإن التجلي نور و شهود النفس ظل فيفني الناظر المتجلي له عن شهود نفسه عند رؤية الله فإذا أرسل الحجاب ظهر الظل و وقع التلذذ بالشاهد و هذا الفصل علم فيه عظيم لا يمكن أن ينقال و لا سره أن يذاع من علمه علم صدور العالم علم كيفية وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ «الفصل السادس و الثلاثون» في الاسم الإلهي اللطيف و توجهه على إيجاد الجن و له من الحروف حرف الباء المعجمة بواحدة و من المنازل المقدم من الدالي قال الله تعالى في الجان إِنَّهُ يَراكُمْ هُوَ وَ قَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ فوصفهم باللطافة و خلقهم الله من مارِجٍ مِنْ نارٍ و المرج الاختلاط فهم من نار مركبة فيها رطوبة المواد و لهذا يظهر لها لهب و هو اشتعال الهواء فهو حار رطب و الشياطين من الجن هم الأشقياء المبعدون من رحمة الله منهم خاصة و السعداء بقي عليهم اسم الجن و هم خلق بين الملائكة و البشر الذي هو الإنسان و هو عنصري و لهذا تكبر فلو

كان طبيعيا خالصا من غير حكم العنصر ما تكبر و كان مثل الملائكة و هو برزخي النشأة له وجه إلى الأرواح النورية بلطافة النار منه فله الحجاب و التشكل و له وجه إلينا به كان عنصريا و ما رجا فأعطاه الاسم اللطيف أنه يجري من ابن آدم مجرى الدم و لا يشعر به و لو لا تنبيه الشارع على لمة الشيطان و وسوسته في صدور الناس ما علم غير أهل الكشف إن ثم شيطانا و من حكم هذا الاسم اللطيف في الشياطين من الجن قوله تعالى لإبليس وَاسْتَفْزِزْ من اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشارِكْهُمْ فِي الْأَمْوالِ وَالْأَوْلادِ وَعِدْهُمْ قال إبليس فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ يعني الذين اصطنعهم الحق لنفسه فجعل من لطفه لإبليس متعلقا يتعلق به في موطن خاص يعرفه العارفون بالله ثم أخبر الله أن الشيطان يعدهم الفقر لقوله تعالى وَعِدْهُمْ فأدرج الرحمة من حيث لا يشعر بها و لو شعر إبليس بهذا الاستدراج الرحماني ما طلب الرحمة من عين المنة و لكن حجبته قرائن الأحوال عن اعتبار الحق صفة الأمر الإلهي فالاسم اللطيف أورث الجان الاستتار عن أعين الناس فلا تدركهم الأبصار إلا إذا تجسدوا و جعل سماعهم القرآن إذا تلي عليهم أحسن من سماع الإنس فإن الإنسان وجد عن الاسم الجامع فما انفرد بخلق الاسم اللطيف الإلهي دون مقابله من الأسماء فلما تلا عليهم رسول الله صلى الله عليه و سلم سورة الرحمن فما قال في آية منها فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ إلا قالت الجن و لا بشيء من آلائك ربنا نكذب ثم تلاها بعد ذلك صلى الله عليه و سلم على الإنس من أصحابه فلم يظهر منهم من القول عند التلاوة ما ظهر من الجن فقال صلى الله عليه و سلم لأصحابه إني تلوت هذه السورة على الجن فكانوا أحسن استماعا لها منكم و ذكر الحديث و يقول الله عز و جل آمرا وَإِذا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا و أخبر عن الجن فقال وَإِذْ صَرَفْنا إِلَيْكَ نَفَراً من الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ قالُوا يا قَوْمَنا إِنَّا سَمِعْنا كِتاباً أُنْزِلَ من بَعْدِ مُوسى مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ يا قَوْمَنا أَجِيبُوا داعِيَ الله وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ من ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ من عَذابٍ أَلِيمٍ و ما قال الله و لا روى عن أحد من الإنس أنه قال مثل هذا القول فأثر فيهم الاسم اللطيف هذه الآثار في المؤمنين منهم و الشياطين و هل حكي عن أحد من كفار الإنس قول مثل قول إبليس و هو قوله بِما أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ لما قال الله له إِنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ فقطع يأسه منهم أن يكون له عليهم سلطان و حكم فيهم فهم المعصومون و المحفوظون في الباطن و في الظاهر من الوقوع عن قصد انتهاك حرمة الله فخواطر المعصومين و المحفوظين كلها ما بين ربانية أو ملكية أو نفسية و علامة ذلك عند المعصوم أنه لا يجد ترددا في أداء الواجب بين فعله و تركه و يجد التردد بين المندوب و المكروه و لا في ترك واجب تركه لا يجد فيه التردد لأن التردد في مثل هذين هو من خاطر الشيطان فمن وجد من نفسه هذه العلامة علم أنه معصوم فقوله لَأُغْوِيَنَّهُمْ عن تحقق من قوله فيما

أَغْوَيْتَنِي و التزيين الذي جاء به من قوله وَعِدْهُمْ فإنه يتضمنه فما خرج في أفعاله في العباد عن الأمر اللطيف الذي تجعله قرائن الأحوال وعيدا و تهديدا و للظاهر تعلق بالحكم لاستواء الرحمن على العرش و اتساع الرحمة وعمومها حيث لم تبق شيئا إلا حكمت عليه و من حكمها كان قوله وَاسْتَفْزِزْ من اسْتَطَعْتَ الآيات فتدبريا ولي حكم هذا الاسم في الجان مؤمنهم و كافرهم إن لم تكن من أهل الكشف و الوجود فتتبع ما ذكر الله في القرآن من أخبارهم و حكايات أفعالهم و أقوالهم مؤمنهم و كافرهم و من أثر الاسم اللطيف لطف إبليس في آدم في قوله هَلْ أَدُلُّكَ عَلى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلى فصدقه و هو الكذوب و لم يكن كذبه إلا في قوله أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ ثم علل فقال خَلَقْتَنِي من نارٍ فجمع بين الجهل و الكذب فإنه ما هو خير منه لا عند الله و لا في النشأة و فضل بين الأركان و لا فضل بينها في الحقائق فتلطف في الإغواء تلطف المستدرج في الاستدراج و الماكر في المكر و الخادع في الخداع

إن اللطيف من الأسماء معلوم | و لطفه ظاهر في الخلق موسوم
هو اللطيف فما يبدو لناظرنا | وكيف يدرك لطف الذات معدوم
لطف اللطيف بنا نعت له و لنا | فاللطف في عينه عليه محكوم

ثم اعلم أن نسبة الأرواح النارية في الصورة الجرمية أقرب مناسبة للتجلي الإلهي في الصور المشهودة للعين من الجسم الإنساني و ما قرب من النسب إلى ذلك الجناب كان أقوى في اللطافة من الأبعد فلا تزال صورة الروح الناري مجهولة عند البشر لا تعلم إلا بإعلام إلهي فإنه إعلام لا يدخله ما يخرجه عن الصدق و كذلك إعلام الأرواح الملكية و أما لو وقع الإعلام من الجن لم نثق به لأنه عنصري الأصل و كل موجود عنصري يقبل الاستحالة مثل أصله و الموجود عن الطبيعة من غير وساطة لا يقبل الاستحالة فلهذا لا يدخل أخباره الكذب فلطافته أخفته حتى جهلت صورته فإن قلت فالأرواح الملكيةجعلت لها الاسم الإلهي القوي مع وجود هذا اللطف فيها من الاسم الإلهي اللطيف قلنا صدقت لتعلم أني ما قصدت الاسم الإلهي المعين في إيجاد صنف من أصناف الممكنات إلا لكون ذلك الاسم هو الأغلب عليه و حكمه أمضى فيه مع أنه ما من ممكن يوجد إلا و للأسماء الإلهية المتعلقة بالأكوان فيه أثر لكن بعضها أقوى من بعض في ذلك الممكن المعين و أكثر حكما فيه فلهذا ننسبه إليه كما نسبت يوم السبت لصاحب السماء السابعة و الأحد لصاحب السماء الرابعة و هكذا كل يوم لصاحب سماء و مع هذا فلكل صاحب سماء في كل يوم حكم و أثر لكن صاحب اليوم الذي ننسبه إليه أكثر حكما و أقواه فيه من غيره فاعلم هذا وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ «الفصل السابع و الثلاثون» في الاسم الإلهي الجامع و توجهه على إيجاد الإنسان و له من الحروف حرف الميم و له من المنازل المقدرة الفرع المؤخر الاسم الجامع هو الله و لهذا جمع الله لنشأة جسد

آدم بين يديه فقال لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ و أما خلق الله السماء بأيد فتلك القوة فإن الأيد القوة قال تعالى داوُدَ ذَا الْأَيدِ أي صاحب القوة ما هو جمع يد و قد جاء في حديث آدم قوله اخترت يمين ربي و كلتا يدي ربي يمين مباركة فلما أراد الله كمال هذه النشأة الإنسانية جمع لها بين يديه و أعطاها جميع حقائق العالم و تجلى لها في الأسماء كلها فحازت الصورة الإلهية و الصورة الكونية و جعلها روحا للعالم و جعل أصناف العالم له كالأعضاء من الجسم للروح المدبر له فلو فارق العالم هذا الإنسان مات العالم كما أنه إذا فارق منه ما فارق كان فراقه لذلك الصنف من العالم كالخدر لبعض الجوارح من الجسم فتتعطل تلك الجارحة لكون الروح الحساس النامي فارقها كما تتعطل الدنيا بمفارقة الإنسان فالدار الدنيا جارحة من جوارح جسد العالم الذي الإنسان روحه فلما كان له هذا الاسم الجامع قابل الحضرتين بذاته فصحت له الخلافة و تدبير العالم و تفصيله فإذا لم يحز إنسان رتبة الكمال فهو حيوان تشبه صورته الظاهرة صورة الإنسان و كلامنا في الإنسان الكامل فإن الله ما خلق أولا من هذا النوع إلا الكامل و هو آدم عليه السلام ثم أبان الحق عن مرتبة الكمال لهذا النوع فمن حازها منه فهو الإنسان الذي أريده و من نزل عن تلك الرتبة فعنده من الإنسانية بحسب ما تبقي له و ليس في الموجودات من وسع الحق سواه و ما وسعه إلا بقبول الصورة فهو مجلى الحق و الحق مجلى حقائق العالم بروحه الذي هو الإنسان و أعطى المؤخر لأنه آخر نوع ظهر فأوليته حق و آخريته خلق فهو الأول من حيث الصورة الإلهية و الآخر من حيث الصورة الكونية و الظاهر بالصورتين و الباطن عن الصورة الكونية بما عنده من الصورة الإلهية و قد ظهر حكم هذا في عدم علم الملائكة بمنزلته مع كون الله قد قال لهم إنه خليفة فكيف بهم لو لم يقل لهم ذلك فلم يكن ذلك إلا لبطونه عن الملائكة و هم من العالم الأعلى العالم بما في الآخرة و بعض الأولى فإنهم لو علموا ما يكون في الأولى ما جهلوا رتبة آدم عليه السلام مع التعريف و ما عرفه من العالم إلا اللوح و القلم و هم العالون و لا يتمكن لهم إنكاره و القلم قد سطره و اللوح قد حواه فإن القلم لما سطره سطر رتبته و ما يكون منه و اللوح قد علم علم ذوق ما خطه القلم فيه قال الله تعالى لإبليس أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعالِينَ على طريق استفهام التقرير بما هو به عالم ليقيم شهادته على نفسه بما ينطق به فقال أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ فاستكبر عليه لا على أمر الله و ما كان من العالين فأخذه الله بقوله وَكانَ مِنَ الْكافِرِينَ نعمة الله عليه حين أمره بالسجود لآدم و ألحقه بالملإ الأعلى في الخطاب بذلك فحرمه الله لشؤم النشأة لعنصرية و لولا إن الله تعالى جمع لآدم في خلقه بين يديه فحاز الصورتين و إلا كان من جملة الحيوان الذي يمشي على رجليه و لهذا قال صلى الله عليه و سلم كمل من الرجال كثيرون و لم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون و مريم ابنة عمران فالكمل هم الخلائف و استخدم الله له العالم كله فما من حقيقة صورية في العالم الأعلى و الأسفل إلا و هي ناظرة إليه نظر كمال أمينة على سر أودعها الله إياه لتوصله إليه و قولي صورية أي لها صورة معينة في العالم تحوز مكانها و مكانتها و هذا القدر

من الإشارة إلى حكم هذا الاسم الإلهي الجامع في هذا النوع كاف في حصول الغرض من نفس الرحمن فإنه حاز العماء كله و لهذا كان له حرف الميم من حيث صورته و هو آخر الحروف و ليس بعده إلا الواو الذي هو للمراتب فيدخل فيه الحق و الخلق لعموم الرتبة فلنذكرها في الفصل الذي يلي هذا الفصل و أي اسم لها فنقول «الفصل الثامن و الثلاثون» في الاسم الإلهي رَفِيعُ الدَّرَجاتِ ذُو الْعَرْشِ و توجهه على تعيين المراتب لا على إيجادها لأنها نسب لا تتصف بالوجود إذ لا عين لها و لها من الحروف حرف الواو و من المنازل المقدرة الرشاء و هو الحبل الذي للفرع و هذه صورته في الهامش اعلم أن المراتب كلها إلهية بالأصالة و ظهرت أحكامها في الكون و أعلى رتبة إلهية ظهرت في الإنسان الكامل فأعلى الرتب رتبة الغني عن كل شيء و تلك الرتبة لا تنبغي إلا لله من حيث ذاته و أعلى الرتب في العالم الغني بكل شيء و إن شئت قلت الفقر إلى كل شيء و تلك رتبة الإنسان الكامل فإن كل شيء خلق له و من أجله و سخر له لما علم الله من حاجته إليه فليس له غنى عنه و الحاجة لا تكون إلا لمن بيده قضاؤها و ليس إلا الله الذي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ فلا بد أن يتجلى لهذا الإنسان الكامل في صورة كل شيء ليؤدي إليه من صورة ذلك الشيء ما هو محتاج إليه و ما يكون به قوامه و لما اتصف الله لعباده بالغيرة أظهر حكمها فأبان لهم أنه المتجلي في صورة كل شيء حتى لا يفتقر إلا إليه خاصة فقال عز و جل يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إِلَى الله فافهم و تحقق ركون الناس إلى صور الأسباب و افتقارهم إليها و أثبت الله افتقار الناس إليه لا إلى غيره ليبين لهم أنه المتجلي في صور الأسباب و أن الأسباب التي هي الصور حجاب عنه ليعلم ذلك العلماء لعلمهم بالمراتب و اعلم أن لكل اسم من الأسماء مرتبة ليست للآخر و لكل صورة في العالم رتبة ليست للصورة الأخرى فالمراتب لا تتناهى و هي الدرجات و فيها رفيع و أرفع سواء كانت إلهية أو كونية فإن الرتب الكونية إلهية فما ثم رتبة إلا رفيعة و تقع المفاضلة في الرفعة و من هنا تعرف مال الثقلين عرفان ذوق فإن ما لهم لا بد أن يكون إلى مرتبة إلهية و ما عدا الثقلين فما لهم معروف عند العلماء الإلهيين و مال الثقلين لا يعلم مرتبته إلا الخصوص من العلماء بالله و إنما كان لها الواو لأن الواو لها الستة من مراتب العدد و هي أول عدد كامل و الكمال في العالم إنما كان بالمرتبة فأعطيناه الواو و من المنازل الرشاء و هو الحبل و الحبل الوصل و به يكون الاعتصام كما هو بالله فأنزل الحبل منزلته فلو لا إن رتبة الحبل أعطت ذلك ما ثبت قوله وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله كما قال وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ فافهم أين جعل رتبة الحبل و بأي اسم قرنه و إلى أي اسم أضافه و اعلم أنه لو لا الصور ما تميزت الأعيان و لو لا المراتب ما علمت مقادير الأشياء و لا كانت تنزل كل صورة منزلتها كما قالت عائشة أنزلوا الناس منازلهم و بالرتبة علم الفاضل و المفضول و بها ميز بين الله و العالم و بها ظهرت حقائق ما هي عليه الأسماء الإلهية من عموم التعلق و خصوصه فلنذكر في هذا الفصل مناسبة الأسماء الإلهية التي ذكرناها للحروف التي عيناها و المنازل التي

أوردناها ليرتبط الكل بعضه ببعضه فكما جمع العماء صور الموجودات الذي هو النفس الإلهي كذلك جمع الحروف النفس الإنساني كما جمع الفلك المنازل المقدرة لنزول الدراري فيها المبينة مقادير البروج في الفلك الأطلس فنقول إني ما قصدت بهذا المساق ترتيب إيجاد العالم وإنه وجد هذا بعد هذا فإن ترتيب إيجاد العالم قد ذكرناه في هذا الكتاب وإنه على خلاف ما يقوله حكماء الفلاسفة وإنما قصدنا معرفة ما أثرت الأسماء الإلهية في الممكنات في ممكن ممكن منها سواء تقدم على المذكور قبله أو تأخر ورتبة الموجودات على ما هي الآن عليه في وصفها وتقييدها وذكرنا المنازل على ما هي الآن عليه في وضعها وترتيب الحروف على مخارجها ولا يلزم من هذا ترتيبها في الكلمات المؤلفة منها فقد تكون الكلمة الأولى من حروف الوسط مثل كلمة كن وقبلها حروف مخارجها متقدمة عليها فتنظر الاسم الإلهي الذي يقتضي أن يكون له الأثر في العالم ابتداء فتجده البديع لأنه لم يتقدم العالم عالم يكون هذا على مثاله فالبديع له الحكم في ابتداء العالم على غير مثال وليس المبدئ كذلك والمعيد يطلب المبدئ ما يطلب البديع والبديع له الحكم في النشأة الآخرة فينا كما كان له الحكم في النشأة الدنيا فإنها على غير مثال هذه النشأة وهو قوله تعالى وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولى يعني أنها كانت على غير مثال سبق وقال كَما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ أي على غير مثال فالبديع حيث كان حكمه ظاهر نفي المثال وما انتفى عنه المثال فهو أول فأعطيناه أول الزمان اليومي وهو الذي ظهر بوجود الشمس في الحمل وأوله الشرطين وأعطيناه من الحروف الهاء فإنها أول حرف ظهر في المخرج الأول والاسم أعطى العين الموجودة والعين الموجودة ظهر بها الزمان الذي هو مقارنة حادث لحادث يسأل عنه بمتى فإن كان الموجود ذا نفس في مادة أعطى الحرف وترتيب المنازل بحلول الشمس لإظهار أعيان الفصول التي بها قوام المولدات فالحروف تحكم على الكلمات والكواكب تحكم على فصول الزمان والأسماء تحكم في الموجودات والأعيان مقسمة بين فاعل ومنفعل فإذا فهمت هذا نسبت كل اسم إلهي إلى متعلقة غالبا وإن كان لغيره فيه حكم وقد تقدم الكلام في مثل هذا ومتعلقة موجود ما أو حكم في موجود ثم ربط الوجود بعضه ببعضه بين فاعل ومنفعل وجوهر وعرض ومكان وزمان وإضافة وغير ذلك من تقاسيم الأشياء فيه وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ «الفصل التاسع والثلاثون» في النقل في الأنفاس اعلم أن المراد بالنقل أن ينقل حكم الآخر إلى الأول ويجعل محله من الأول آخرا وقد كان في الآخر أولا ويزيل من الآخر عين ما ظهر فيه هذا الحكم والعين واحدة فإنه قال هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ والهوية واحدة العين وانتقل الحكم من آخر إلى أول في عين واحدة ولا يكون هذا النقل الخاص في هذا الباب إلا نقل الموجود من حال شدة إلى حال رخاء ومن عسر إلى يسر فالنقل تسهيل طريق إلى وجود الرحمة وهذا النقل يظهر في ثلاث مراتب المرتبة الأولى أن يظهر في الصور الممثلة على صورة المحسوس فيكون لها حكم المحسوسات وليست بمحسوسات وهي من وجه محسوسات فينتقل إليها ذلك الحكم

ليعلم أن للظهور في صورة ما من الموجود المنزه عن التأثير حكم الصورة التي ظهر فيها فانتقل الحكم إلى الذي كان لا يقبله قبل هذا لظهوره بالصورة التي هذا الحكم لها كما انتقل حكم البشر إلى الروح لما ظهر بصورة البشر فأعطى الولد الذي هو عيسى و ليس ذلك من شأن الأرواح و لكن انتقل حكم الصورة إليها بقبوله للصورة فمن ظهر في صورة كان له حكمها و من هنا تعرف مرتبة الإنسان الكامل الذي خلقه الله على صورته و لتلك الصورة حكم فتبع الحكم الصورة فلم يدع الألوهية لنفسه أحد من خلق الله إلا الإنسان الذي ظهر بأحكام الأسماء و النيابة فكان ملكا مطاعا كفرعون و غيره و قد يظهر حكم النقل في مرتبة المعرفة و هي المرتبة الثانية قال رسول الله صلى الله عليه و سلم من عرف نفسه عرف ربه و ذلك بنقل الحكم الذي كان لنفسه إلى ربه لما علم أنه ما في الوجود إلا الله و المرتبة الثالثة الانتقال في جميع المراتب فينتقل حكم المنزلة للنازل فيها كانت المنزلة ما كانت مما تحمد أو تذم و إذا انتقل الحكم انتقل الحكم فيها بحسب ما تقرر في العرف و الوضع العادي و الشرعي ألا ترى الروح الجني إذا لبس صورة الحية و الحكم فيها منا القتل قتلناه لصورته و لو علمنا أنه جان ما قتلناه كما انتقل حكم الصورة في الجان فحكمت عليه أنه حية عاملناه فحكمنا في تلك الصورة روينا حديثا عن شخص من جن وفد نصيبين الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لهؤلاء الوفد من الجن لما كان لهم الظهور في أي صورة شاءوا فحكم عليهم إنه من تصور في غير صورته فقتل فلا عقل فيه و لا قود فإنه من قتل حية أو عقربا لا يقتل به و لا تؤخذ فيه دية فمن ظهر في صورة من هذا حكمه انسحب عليه هذا الحكم «الفصل الأربعون» في الجلي و الخفي من الأنفاس فالجلي ما ظهر و الخفي ما استتر و لا يكون الاستتار و الخفاء إلا في الأمثال و أما في غير الأمثال فلا لأن غير المثل لا يقبل صورة من ليس مثله ألا ترى قوله عليه السلام حين قال إن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده لأنه قال فيه إنه خلقه على صورته فجعله مثلا ثم نفى أن يماثل ذلك المثل فقال لَيسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ أي ليس مثل مثله شيء فنفى أن يماثل المثل فاستتر الحق بصورة العبد في قوله سمع الله لمن حمده فإن المترجم عنه اسم مفعول يستتر بظهور المترجم اسم فاعل في باب المماثلة له فيما يطلبه من الأمور التي لا صورة لها في المترجم لهم من حيث ما يعرفها المترجم عنه في لسانه فيظهر المترجم عنه بصورة المترجم عنه المعنوية و بصورة المترجم لهم المحسوسة فيظهر بالصورتين فإنه سماه عبدا و هو عبد قائل عن حق فكان لسانه لسان حق في قوله سمع الله لمن حمده و ما زال عن كونه عبدا في ذلك فالله تعالى يظهرنا وقتا و يستتر نفسه فيما هو له و وقتا يظهر نفسه و يسترنا بحسب المواطن حكمة منه فالكامل من أهل الله ينظر مراد الله في الوقائع فأي عين أراد الله ظهورها أظهر و أي عين أراد الله سترها سترها و الأدب يقضي بأمر كلي أن ما حسن عرفا و شرعا نسبة للحق فأظهر الحق فيه و جلاه للبصائر و الأبصار و ما قبح عرفا و شرعا نسبه إلى

نفسه إن شاء و أظهر نفسه فيه و جلاه أو نسبه إلى الشيطان إن شاء و أظهر عين الشيطان فيه و جلاه فيكون باطنه حقا لقوله فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَ تَقْواها و كُلٌّ من عِنْدِ اللهِ و لكن مع هذا كله لا بد إن لم يكن مثلا يصيره مثلا و حينئذ يستره و إلا فما يستتر فإنه ما ثم مثل إلا الإنسان فهو يقبل الاستتار و ما عدا الإنسان فلا يقبله فإنه ليس بمثل فإذا أردت أن تستتر في الحق صيرته مثلا و حينئذ يقبل الستر بالصيرورة فالأسباب كلها خلاف إلا الإنسان قال الله تعالى من يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللهَ فحلاه باسمه و كان ظاهرا فستره إِنَّ الَّذِينَ يُبايِعُونَكَ إِنَّما يُبايِعُونَ اللهَ فأظهره بكاف الخطاب ثم ستره وَ ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لكِنَّ اللهَ رَمى كما أنه ميز و عين و فرق فقال أَطِيعُوا اللهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ حكما وَ إلى الرَّسُولِ عينا فمن أهل الله من يقيم مثل هذا إذا ورد نشأة ذات روح و جسد فيستتر بالحركة المحسوسة فعل الروح بصرا و يستتر بالمحرك فعل الجسد بصيرة و فيها يكون الإنسان خالقا و يكون الحق أَحْسَنُ الْخالِقِينَ و من أهل الله من لا يرى إلا الله فلا ستر عنده و من أهل الله من لا يرى إلا الخلق فلا ظهور عنده و كل مصيب و أهل الأدب هم الكمل فيحكمون في هذا الأمر بما حكم الله من ستر و تجل و إخفاء و إظهار كما قدمنا وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ «الفصل الحادي و الأربعون» في الاعتدال و الانحراف من النفس اعلم أن أهل الله في هذا الباب على ثلاثة أقسام قسم يرى أن الحق لا يميل و لا يمال إليه و هم الذين يحدون الحب بالميل الدائم من المحب للمحبوب و قسم يرى أن خلق الإنسان على الصورة يعطي الاعتدال و إن لم يكن الاعتدال فما هو على الصورة فيميل حيث مال الحق مثل قوله تعالى وَ أَنَّ هذا صِراطِي مُسْتَقِيماً في شرع خاص فَاتَّبِعُوهُ وَ لا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ثم قال ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ فجعل هذا التعريف وصية ليعمل بها و هذا عين الميل عن قوله وَ إِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ و عن قوله ما من دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِناصِيَتِها فأهل الاعتدال هم القائمون بين الانحرافين و أهل الانحراف عن هذا الاعتدال هم الذين يثبتون في الأفعال الكونية علوا و سفلا حقا بلا خلق و هم طائفة و طائفة أخرى يثبتونها خلقا بلا حق حقيقة من الطائفتين لا على طريق المجاز و هم الذين يقولون إنه ما صدر عن الحق إلا واحد و عن الترجيح في رفع التجريح و النظر في الخطاب الإلهي ففي أي موضع جعل الحكم لأحد الانحرافين جعلناه و في أي موضع عدل إلى الاعتدال عدلنا و هذا نعت الأدباء مع الله وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ «الفصل الثاني و الأربعون» في الاعتماد على الناقص و الميل إليه هذا باب الاعتماد على الأسباب كلها إلا السبب الإنساني الكامل فإنه من اعتمد عليه فما اعتمد على ناقص لظهوره بالصورة و ما عداه من الأسباب فهو ناقص عن هذه المرتبة نقص المرأة عن الرجل بالدرجة التي بينهما و إن كملت المرأة فما كمالها كمال الرجل لأجل تلك الدرجة فمن جعل الدرجة كون حواء وجدت من آدم فلم يكن لها ظهور إلا به فله عليها درجة السببية فلا تلحقه فيها أبدا و هذه قضية في عين و تقابلها بمريم في

وجود عيسى فإذا الدرجة ما هي سبب ظهورها عنه وإنما المرأة محل الانفعال و الرجل ليس كذلك و محل الانفعال لا يكون له رتبة أن يفعل فلها النقص و مع النقص يعتمد عليها و يمال إليها لقبولها الانفعال فيها و عندها فما وضع الله الأسباب سدى إلا لنقول بها و نعتمد عليها اعتمادا إلهيا أعطت الحكمة الإلهية ذلك مع نظرنا إلى الوجه في كل منفعل بها سواء شعر السبب بذلك الوجه أو لم يشعر فالحكيم الإلهي الأديب من ينزل الأسباب حيث أنزلها الله فمن يشاهد الوجه الخاص في كل منفعل يقول إن الله يفعل عندها لا بها و من لا يشاهد الوجه الخاص يقول إن الله يفعل الأشياء بها فيجعل الأسباب كالآلة يشبتها و لا يضيف إليها كالنجار الذي لا يصل إلى عمل صورة تابوت أو كرسي إلا بآلة القدوم و المنشار و غيرهما من الآلات مما لا يتم فعله إلا بها لا عندها فتثبتها و لا تضيف صنعة التابوت إليها و إنما يثبت ذلك للنجار صاحب التدبير و العلم بما ظهر عنه وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ «الفصل الثالث و الأربعون» في الإعادة الإعادة تكرار الأمثال أو العين في الوجود و ذلك جائز و ليس بواقع أعني تكرار العين للاتساع الإلهي و لكن الإنسان فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ فهي أمثال يعسر الفصل فيها لقوة الشبه فالإعادة إنما هي في الحكم مثل السلطان يولي واليا ثم يعزله ثم يوليه بعد عزله فالإعادة في الولاية و الولاية نسبة لا عين وجودي ألا ترى الإعادة يوم القيامة إنما هي في التدبير فإن النبي صلى الله عليه و سلم قد ميز بين نشأة الدنيا و نشأة الآخرة و الروح المدبر لنشأة الدنيا عاد إلى تدبير النشأة الآخرة فهي إعادة حكم و نسبة لا إعادة عين فقدت ثم وجدت و أين مزاج من يبول و يغوط و يتمخط من مزاج لا يبول و لا يغوط و لا يتمخط و الأعيان التي هي الجواهر ما فقدت من الوجود حتى تعاد إليه بل لم تزل موجودة العين و لا إعادة في الوجود لموجود فإنه موجود و إنما هي هيأت و امتزاجات نسبية و أما قولنا بالجواز في الإعادة في الهيئة و المزاج الذي ذهب فلقوله ثُمَّ إِذا شاءَ أَنْشَرَهُ و ما شاء فإن المخبر عن الله فرق بين نشأة الدنيا و نشأة الأخرى و فرق بين نشأة أهل السعادة و نشأة أهل الشقاء فنشأة أهل السعادة لها اللطف و الرقة و لا سيما للمتشرعين المنكسرة قلوبهم الناظرين إلى الرسول دائما بعين حق مع شهود بشريته و إنه من الجنس و من عادة الجنس الحسد إذا ظهر التفوق و قد ارتفع عن هؤلاء و لهم فتح البركات من السماء و الأرض كما لأهل الشقاء فتح العذاب و الزيادة لما زادوا هنا من المرض في قلوبهم عند ورود الآيات الإلهية لإثبات الشرائع فكلاهما أهل فتح و لكن بما ذا فاعلم ذلك فإنه في علم الأنفاس دقيق وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ «الفصل الرابع و الأربعون» في اللطيف من النفس يرجع كثيفا و ما سببه و الكثيف يرجع لطيفا و ما سببه كاللحن في الرفع و الخفض في صوته اعلم أن اللطف من المحال أن يرجع كثافة فإن الحقائق لا تنقلب و لكن اللطيف يرجع كثيفا كالحار يرجع باردا و البارد حارا فاعلم أن الأرواح لها اللطافة فإذا تجسدت و ظهرت بصورة الأجسام كثفت في عين الناظر إليها و الأجسام لها الكثافة شفافها و غير شفافها فإذا تحولت في الصور

في عين الرائي أو احتجبت مع الحضور فقد تروحنت أي صار لها حكم الأرواح في الاستتار و تتنوع الصور عليها كما تتنوع عليها الأعراض بحمرة الخجل و صفرة الوجل و هو انموذج منبئ أن لها قوة التحول في الصور إذا قامت بها أسباب ذلك فأما سبب كثافة الأرواح و هي من عالم اللطف فلكونهم خلقوا من الطبيعة و إن كانت أجسامهم نورية فمن نور الطبيعة كنور السراج فلهذا قبلوا الكثافة فظهروا بصور الأجسام الكثيفة كما أثر فيهم الخصام حكم الطبيعة لما فيها من التقابل و التضاد و الضد و المقابل منازع لمقابله كقول رسول الله صلى الله عليه و سلم فيما حكى الله عنه مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ فوصفهم بالخصومة فمن هذه الحقيقة التي أورثتهم الخصومة تجسدوا في صور الأجسام الكثيفة و أما الكثيف يرجع لطيفا فسببه التحليل فإن الكثائف من عالم الاستحالة و كل ما يقبل الاستحالة يقبل الصور المختلفة و المتضادة و أظهر ما يكون ذلك في أهل التلحين فالصوت بما هو صوت لا تتبدل صورته فيغلظه الملحن في موضع و يرققه في موضع بحسب الرتبة التي يقصدها ليؤثر بذلك في طبيعة السامعين ما شاء من فرح و سرور و انبساط أو حزن و هم و انقباض و لهذا جعلوا ذلك في الموسيقى في أربعة في البم و الزير و المثنى و المثلث فإن المحل الذي يريدون أن تؤثر فيه هذه الأصوات مركب من مشاكلتها من مرتين و دم و بلغم فيهيج سماع هذا الصوت ما يشاكله من الأخلاط التي هو عليها السامع فيكون الحكم بسبب معين يقصده الملحن حتى يكون له ذلك سببا إلى معرفة الأصل في قوله تعالى إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ فهو قصد الملحن أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فأتى بالكلام الذي هو الصوت الممتد و المنقطع في المخارج لإظهار أعيان الحروف التي تقع بها الفائدة عند السامع ألا ترى إلى صوت السنانير و إن لم يكن لهم حروف تتقطع في نفسها يغيرون أصواتهم لتغير أحوالهم ليعرفوا السامع ما يقصدونه بذلك الصوت فعند الجوع يرق صوت السنور و يخفى و يلطف و عند الهياج يغلظ و يجهل و يتتابع فيعلم من صوته أنه هائج أو أنه جائع فيؤثر ذلك في نفس السامع بحسب قبوله إما رقة و حنانا فيطعمه و إما غير ذلك ثم إن في هذا الباب يظهر تجلى الحق في الصور التي ينكر فيها أو يرى فيها في النوم فيرى الحق في صورة الخلق بسبب حضرة الخيال فإن الحضرات تحكم على النازل فيها و تكسوه من خلعها ما تشاء أين هذا التجلي من لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و من سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ فالحكم للحضرة و الموطن لأن الحكم للحقائق و المعاني توجب أحكامها لمن قامت به و إذا كان هذا الحكم في العلم الإلهي فظهوره في أعيان المحدثات أقرب مأخذ الوجود المناسبة الإمكانية وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ «الفصل الخامس و الأربعون» في الاعتماد على أصل المحدثات أصل المحدثات هو ما ترجع إليه بعد فراغها من النظر في ذاتها و هو في قول الشارع من عرف نفسه عرف ربه و قد تكون المعرفة بالله الحاصلة بعد المعرفة بالنفس علما بالعجز عن البلوغ إلى ذلك فيحصل لهم العلم بأنه ثم من لا يعلم فترك العلامة علامة فقد تميز عن خلقه بسلب لا بإثبات و قد تكون المعرفة

به من كونه إلها فيعلم ما تستحقه المرتبة فيجعلون ذلك صفة لمن قامت به تلك المرتبة و ظهر فيها فيكون علمهم بما تقتضيه الرتبة علمهم بصاحبها إذ هو المنعوت بها فهو المنعوت بكل ما ينبغي لها أن توصف به و على الحقيقة يعلم أن هذا علم بالمرتبة لا به لكن يعلم أنه ما في وسع الممكن أكثر من هذا في باب النظر و إقامة الأدلة فإن كشف الله عن بصر الممكن بتجل يظهر له به الحق يعلم عند ذلك ما هو الأمر عليه فيكون بحسب ما يعلمه و من أهل النظر من يروم هذا الحكم الذي ذهب إليه صاحب التجلي و لكن لا يقوى فيه لأنه خائف من الغلط في ذلك لعدم الذوق فهو يرومه و لا يظهر به و المعتمدون على هذا الأصل على طبقات لاختلافهم في أحوالهم فمنهم من يعتمد عليه في كل شيء عند ظهور ذلك الشيء و منهم من يعتمد عليه في الأشياء قبل ظهور الأشياء و منهم من ترده الأشياء إليه فيعتمد عليه بعد أن كان يعتمد على الأشياء و ذلك كله راجع إلى استعداداتهم و اعلم أن هذا الباب يتضمن علم السكون و الحركة أي علم الثبوت و الإقامة و علم التغيير و الانتقال قال تعالى وَلَهُ ما سَكَنَ أي ما ثبت فإن نعت القديم ثابت و نعت المحدثات يثبت لثبوتها و يزول لزوالها و يتغير عليها النعت لقبولها التغيير لأنها كانت معدومة فوجدت فقبلت الوجود فلم تثبت على حالة العدم فلما كان أصلها قبول التنقل من حال إلى حال تغيرت عليها النعوت فلم تثبت الأعلى التغيير لا على نعت معين و السكون أيضا لما كان عدم الحركة لا يصح فيه دعوى أضافه الحق إليه و الحركة لما كانت الدعوى تصحبها أي تصحب لمن ظهر بها لم يقل تعالى إنه له ما تحرك فإن الدعوى تدخلها من المحركين و الوجه الثبوت لا العدم فله الثبوت و للعالم الزوال و إن ثبت فإن ذلك ليس من نفسه و إنما ذلك من مثبته قال النبي صلى الله عليه و سلم لما بلغه قول لبيد ألا كل شيء ما خلا الله باطل قال هذا أصدق بيت قالته العرب و إن كانت الأشياء موجودة فهي في حكم العدم لجواز ذلك عليها و إن لم يقع و الاعتماد لا نشك أنه سكون إلى من يعتمد عليه لا بد من ذلك و لا يعتمد إلا على من له ثبوت الوجود و لا يقبل التغيير و لا الانتقال من حال الثبوت و من علم أنه يقبل الانتقال من الثبوت لا يعتمد عليه لأنه يخون المعتمد عليه ذلك الاعتماد لارتباطه بمن لا ثبوت له فلا يعتمد على محدث إلا عن كشف و إعلام إلهي فيكون اعتمادنا على من له نعت الثبوت كاعتمادنا على الشرائع فيما يجب الايمان به فلولا التعريف الإلهي بما أظهره من الآيات على صدقه لم نثبت على ذلك كما لا نثبت على الحكم ثبوت من لا ينتقل لجواز النسخ و كل ذلك شرع يجب الايمان به فإن النسخ لما كان عبارة عن انتهاء مدة ذلك الحكم أعقبه حكم آخر لا أن الأول استحال بل انقضى لانقضاء مدته لارتباطه في الأصل بمدة يعلمها الله معينة و إن لم نعلم نحن ذلك فلا نعتمد على سبب محدث عادي إلا بإعلام من الله إنه يثبت حكمه كالإيمان الذي تثبت معه السعادة فيعتمد عليه فنقول إن السعادة مرتبطة بالإيمان بالله و بما جاء من عنده لإعلام الحق بذلك و لا يعتمد عليه في بقائه بالشخص الذي نراه مؤمنا فإنه قد يقوم به أمر عارض يحول بينه و بين الايمان الذي

يعطي السعادة فتنتفى السعادة عنه لانتفاء الايمان بخلاف العلم فإن العلم له الثبوت و لا تؤثر فيه الغفلات فإنه لا يلزم العالم الحضور مع علمه في كل نفس لأنه وال مشغول بتدبير ما ولاة الله عليه فيغفل عن كونه عالما بالله و لا يخرجه ذلك عن حكم نعته بأنه عالم بالله مع وجود الضد في المحل من غفلة أو نوم و لا جهل بعد علم أبدا إلا إن كان العلم قد حصل عن نظر في دليل عقلي فإن مثل ذلك ليس عندنا بعلم لتطرق الشبه على صاحبه و إن وافق العلم و إنما العلم من لا يقبل صاحبه شبهة و ذلك ليس إلا علم الأذواق فذلك الذي نقول فيه إنه علم وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ «الفصل السادس و الأربعون» في الاعتماد على العالم من كونه هو الكتاب المسطور في رق الوجود المنشور في عالم الأجرام الكائن من الاسم الله الظاهر اعلم أن هذا الاعتماد لا يصح إلا أن يكون صاحبه صاحب علم بتعريف إلهي و ذلك أن العالم إنما جئنا به بهذه اللفظة لنعلم إنا نريد به جعله علامة و لما ثبت أن الوجود عين الحق و أن ظهور تنوع الصور فيه علامة على أحكام أعيان الممكنات الثابتة فسميت تلك الصور الظاهرة بالحكم في عين الحق ظهور الكتاب في الرق عالما و أظهرها الاسم الإلهي الظاهر بل ظهر بها فهذا باب يتميز فيه الحق من الخلق و أن تنوع الصور لم يؤثر في العين الظاهرة فيها هذه الصور كما لا يتغير الجوهر عن جوهريته بما يظهر عليه من الأحوال و الأعراض فإن ذلك الظاهر حكم المعنى المبطون الذي لا وجود له إلا بالحكم في عين الناظر فأحكامه لا موجودة و لا معدومة و إن كانت ثابتة فيعتمد على العالم بأنه علامة لا على الله فإن الله غني عن العالمين و إنما هو علامة على ثبوت المعاني التي لها هذه الأحكام الظاهرة في عين حق فالعالم علامة على نفسه و هكذا كل شيء فلا شيء أدل من الشيء على نفسه فإنها دلالة لا تزول و الدلالات الغريبة تزول و لا تتبعت فمن اعتمد على العالم من هذا الوجه فقد اعتمد على أمر صحيح لا يتبدل و لا يكون الاعتماد على الحقيقة إلا عليه على هذا الوجه فإن الحق إذا كان كل يوم في شأن فلا يدرى ما يكون ذلك الشأن فلا يقدر على الاعتماد على من لا يعلم ما في نفسه فالكامل من أهل الله من يتنوع لتنوع الشئون فإن الحق ما يظهر في الوجود إلا بصور الشئون فيكون اعتماد هذا الشخص اعتمادا إلهيا أي هو متصف في ذلك بنعت الحق في قبوله الشئون التي تظهر للعالم بها و هذا من العلم المضنون به على غير أهله فاعلم ذلك وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ «الفصل السابع و الأربعون» في الاعتماد على الوعد قبل كونه هو الاعتماد على المعدوم لصدق الوعد اعلم أن هذا الباب ما نفس الله به عن عباده و هو نفس الرحمن فإن الخبر الصدق إذا لم يكن حكما لا يدخله نسخ و قد ورد بطريق الخبر الوعد و الوعيد فجاء نفس الرحمن بثبوت الوعد و نفوذه و التوقف في نفوذ الوعيد في حق شخص شخص و ذلك لكون الشريعة نزلت بلسان قوم الرسول صلى الله عليه و سلم فخاطبهم بحسب ما تواطئوا عليه فمما تواطئوا عليه في حق المنعوت بالكرم و الكمال إنفاذ الوعد و إزالة حكم الوعيد فقال أهل اللسان في ذلك على طريق المدح

و إني إذا أوعدته أو وعدته　　لمخلف إيعادى و منجز موعدي

و قد ورد في الصحيح ليس شيء أحب إلى الله من أن يمدح و المدح بالتجاوز عن المسيء غاية المدح فالله أولى به تعالى و الصدق في الوعد مما يتمدح به قال تعالى فَلا تَحْسَبَنَّ اللّٰهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ فذكر الوعد و أخبر عن الإيعاد في تمام الآية بقوله إِنَّ اللّٰهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقامٍ و قال في الوعيد بالمشيئة و في الوعد بنفوذه و لا بد و لم يعلقه بالمشيئة في حق المحسن لكن في حق المسيء علق المشيئة بالمغفرة و العذاب فيعتمد على وعد الله فلا ظهور له إلا بوجود ما وعد به و هو بعد ما وجد و الاعتماد عليه لا بد منه لما يعطيه التواطؤ في اللسان و صدق الخبر الإلهي بالدليل و الله عند ظن عبده به فليظن به خيرا و الظن هنا ينبغي أن يخرج مخرج العلم كما ظهر ذلك في قوله عَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا . . . وَ ظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللّٰهِ إِلاّٰ إِلَيْهِ أي علموا و تيقنوا و قال أهل اللسان في ذلك قلت لهم ظنوا بالغي مدجج أي تيقنوا و اعلموا فإن الظن لما كانت مرتبته برزخية لها وجه إلى العلم و إلى نقيضه ثم دلت قرائن الأحوال على وجه العلم فيه حكمنا عليه بحكم العلم و أنزلناه منزلة اليقين مع بقاء اسم الظن عليه لا حكمه فإن الظن لا يكون إلا بنوع من ترجيح يتميز به عن الشك فإن الشك لا ترجيح فيه و الظن فيه نوع من الترجيح إلى جانب العلم و كذا قال أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيرا فأبان أن في الظن ترجيحا و لا بد إما إلى جانب الخير و إما إلى جانب الشر و الله عند ظن عبده به و لكن ما وقف هنا لأن رحمته سبقت غضبه فقال معلما فليظن بي خيرا على جهة الأمر فمن لم يظن به خيرا فقد عصى أمر الله و جهل ما يقتضيه الكرم الإلهي فإنه لو وقع التساوي من غير ترجيح كالشك لكان من أهل من يقول إن عدله لا يؤثر في فضله و لا فضله في عدله فلما كان الظن يدخله الترجيح أمرنا الحق أن نرجح به جانب الخير في حقنا ليكون عند ظننا به فإنه رحيم فمن أساء الظن بأمر فإن العائد عليه سوء ظنه لا غير ذلك و الله يجعلنا من أهل العلم و إن قضى علينا بالظن فنظن الخير بالله و قد فعل بحمد الله وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ «الفصل الثامن و الأربعون» في الاعتماد على الكنايات و ما يظهر منها من الفتوح و هي المعبر عنها بالإنية في الطريق و كيف يعتل الصحيح و يصح المعتل اعلم أيدك الله أن كل ما سوى الله فإنه معتل بالذات صحيح بالعرض فإن الصحة تعرض للمحدث إذا أحبه الله حب سبب كحبه لأصحاب التقرب بالنوافل فيكون الحق سمعهم و بصرهم فيزول عنه المرض و الاعتلال و يصح فينفذ بصره في كل مبصر و سمعه في كل مسموع و أما الصحيح بالذات المعتل بالعرض فهو الذي يرى أن الوجود ليس سوى عين الحق فهو من حيث عينه لا تقوم به العلل غير أنه لما ظهر في أعين الناظرين إليه في صور مختلفة حكمت عليه بذلك أحكام أعيان الممكنات ظهر معتلا بحكم العرض الذي عرض لا عين الناظرين إليه و هو في نفسه على ما هو عليه كما يعرض للنور في عين الناظر صور الألوان و هو في نفسه غير متلون فهذا قد عاد الصحيح معتلا و أما الاعتماد

على الكنايات لأنها أعرف المعارف و الاعتماد لا يكون إلا على معروف لأجل التعيين فلو كان منكرا لم يتميز و لم يتعين فيكون الاعتماد على غير معتمد و الأسماء لا تقوى قوة الكنايات فلا يخيب المعتمد على الكنايات و قد يخيب المعتمد على الأسماء لأنها لا تقوى قوة الكنايات في المعرفة و أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة لأنه لا يتغير و الأسماء قد تنتقل و تستعار فمن اعتمد على الاسم في حال كونه معارا أو منتقلا يخيب المعتمد عليه فالمستعار كالاشتعال الذي هو اسم مخصوص نعت من نعوت أحوال النار المركبة فاستعير للشيب في قوله وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً و أما الانتقال فمثل قوله جِدارا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فنقل اسم المريد لمن ليس من شأنه أن يريد فإن اعتمد على هذا الاسم في حال نقله خاب المعتمد عليه و الكنايات ليست كذلك و لها فتوح المكاشفة بالحق و فتوح الحلاوة في الباطن كما للأسماء فتوح العبارة

«الفصل التاسع و الأربعون» فيما يعدم و يوجد مما يزيد على الأصول كالنوافل مع الفرائض اعلم أنه لا يسمى بالزائد من تطلبه الذات لكمال حقيقتها فما زاد على أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ فهو زائد و هو إذا عدم لم يتأثر المعدوم عنه بعدمه و إن وجد لم يزد الموجود فيه في ذاته شيئا لم يكن عليه مثل الأحوال عند أصحاب المقامات إن وجدت فيهم لم يزد ذلك في مكانتهم و إن عدمت لم ينقص عدمها من مكانتهم و لذلك هي مواهب «الفصل الخمسون» في الأمر الجامع لما يظهر في النفس من الأحكام في كل متنفس حقا مشبها و خلقا و حياة و نطقا و ما نفس به من الأقسام الإلهية اعلم أن الإمداد الإلهي للموجودات لا ينقطع فإذا قصر فمن القابل لا من جانب الممد فإن أضيف عدم الإمداد في أمر معين إلى جانب الحق فذلك القصر إمداد المصلحة في حق ذلك الممنوع فإنه العالم بمصالح المخلوقات و لهذا ينبغي للعلماء بالله أن لا يعينوا عند سؤالهم حاجة بعينها و ليسألوا ما لهم فيه الخير من غير تعيين فكم من سائل عين فلما قضيت حاجته لحكمة يعلمها الله أدركه الندم بعد ذلك على ما عين و تمنى أنه لم يعين فالإمداد تنفس رحماني و الإمداد الإلهي في الموجودات طبيعي و مزاد فالطبيعي ما تمس الحاجة إليه لقوام ذاته و دفع ألم يقوم به و المزاد ما يزيد على هذا مما لا يحتاج في نفسه إليه هذا إذا كان من أهل الله القائلين بالري عند الشرب و من لا يقول بالري فما ثم إمداد مزاد بل كله طبيعي و المزاد على قسمين و هو ما يمده به الحق مما يحتاج إليه الغير و فيه يقول الله آمرا نبيه صلى الله عليه و سلم وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً و هذا المزاد إن كان عن طلب من الغير و هو الموجب للزيادة مثل ما هو في نفس القاري في ء آمن و آدم أو يكون و إن كان إمداد من الله لهذا العبد ليمد به من يعلم الله أنه محتاج إليه ليشرف الواسطة بذلك فيجد هذا العبد في نفسه علما لا يقتضيه حاله فيعلم أن المراد به التعليم و الإمداد للغير و مثاله في نفس القاري جاء و شاء و دابة و طامة و هو الموجب للزيادة في الإمداد فدابة و طامة صورتان تدبرهما روح واحدة و هو التضعيف و الهمزة نصف حرف عند

بعضهم و هو الاسم الظاهر و الألف نصف حرف و هو الاسم الباطن فالمجموع حرف واحد و هو السبب الموجب لزيادة الإمداد لما يعلم الممد من حاجته إلى ذلك أو لطلبه و على كل حال فنفس الرحمن فيه موجود و الزيادة في الإمداد على قدر الحاجة أو الطلب فيفضل بعضه على بعض فالمفضول قصر و جزر عن المد إلا طول الأفضل فاعلم ذلك فالمد إمداد محسوس ظاهر و الجزر إمداد معنوي يطلق عليه اسم النقيض فاعلم ذلك «وصل» إذا اجتمع عارفان في حضرة شهودية عند الله ما حكمهما و هذه مسألة سألني عنها شيخنا يوسف بن يخلف الكومي سنة ست و ثمانين و خمسمائة فقلت له يا سيدي هذه مسألة تفرض و لا تقع إلا إذا كان التجلي في حضرة المثل كرؤيا النائم و كحال الواقعة و أما في الحقيقة فلا لأن الحضرة لا تسع اثنين بحيث أن يشهد معها غيرها بل لا يشهد عينها في تلك الحضرة فأحرى أن يشهد عينا زائدة و لكن يتصور هذا في تجلى المثال فإذا اجتمعا فلا يخلو كل واحد منهما أن يجمعهما مقام واحد أعلى أو أدنى أو متوسط أو لا يجمعهما فإن جمعهما مقام واحد فلا يخلو إما أن يكون ذلك المقام مما يقتضي التنزيه أو التشبيه أو المجموع و على كل حال فحكم التجلي من حيث الظهور واحد و من حيث ما يجده المتجلي له مختلف الذوق لاختلافهما في أعيانهما لأن هذا ما هو هذا لا في الصورة الطبيعية و لا الروحانية و لا في المكانية و إن كان هذا مثل لهذا و لكن هذا ما هو هذا فغايتهما إما أن يتحقق كل واحد منهما بمعرفته بنفسه و نفس هذا غير هذا فيحصل من العلم لهذا ما لم يحصل لهذا فنعلم أنهما و إن اجتمعا في عين الفرق أو يتحقق الواحد بمعرفته بنفسه و يفنى الآخر عن مشاهدة ذاته فيختلفان في عين الجمع أو يعطي الواحد ما يعطي المراد و يعطي الآخر ما يعطي المريد فعلى كل وجه هما مختلفان في الوجود متفقان في الحال و الشهود فإن اقتضى المقام التنزيه لكل واحد منهما فغاية تنزيه كل واحد منهما أن ينزهه عن صورة ما هو عليها في نفسه فهما مختلفان بلا شك و إن كانا مثلين و إن اقتضى ذلك المقام التشبيه فالحال مثل الحال و كذلك إن اقتضى المجموع فإن المجموع إنما هو جميع طرفين في حضرة وسطي فالحال الحال فلا يجتمعان أبدا في الوجود و إن اجتمعا في الشهود و إن لم يجمعهما مقام واحد و كان كل واحد في مقام ليس للآخر و ظاهر بصورة ما هي لصاحبه و إن اجتمعا في الصورة إلا أنهما أعطيا من القوة بحيث أن يشهد كل واحد منهما حضور صاحبه في بساط ذلك المشهود لكون المشهود تجلى في صورة مثالية و هذا التجلي و الشهود هو الذي يجمع فيه صاحبه بين الخطاب و الشهود إن شاء المشهود و أما في غير هذه الحضرة فلا يجتمع شهود و خطاب و لا رؤية غير و حكمهما إذا كانا بهذه المثابة حكم من جمعهما مقام واحد في معرفته بنفسه أو فناء أحدهما أو يقام أحدهما مرادا و الآخر مريدا فيخبر المريد عن قهر و شدة و يخبر المراد عن لين و عطف و ما ثم إلا هذا و لا يخبر واحد منهما عما حصل لصاحبه فإن الإلقاء لكل واحد منهما إنما يكون بالمناسب الذي يقتضيه المزاج الخاص به الذي كان سبب اختلاف صور

أرواحهما في أصل النشأة فإذا رجع إلى أصحابه من هذه حاله يقول وإن كان أحدهما في المغرب والآخر في المشرق لأصحابه في هذه الساعة أشهد فلان وعاينته وعرفت صورته ومن حليته كذا وكذا فيصفه بما هو عليه من الصفات فمن لا علم له بالحقائق منهما فإنه يقول وأعطاه الحق مثل ما أعطاني والأمر ليس كذلك فإن كل واحد منهما لم يحصل له إسماع ما للآخر وذلك لافتراقهما في المناسب كما قدمنا وإن كان من أهل الحقائق والمعرفة التامة ويقال له فما حصل له فيقول لا أدري فإني لا أعرف إلا ما تقتضيه صورتي وما أنا هو فإن الحق لا يكرر صورة «وصل» ولما كان هذا الباب يضم كل ذي نفس حقا وخلقا احتجنا أن نبين فيه ما نفس الرحمن به عن نفسه لما وصف نفسه بأنه أحب أن يعرف ومعلوم أن كل شيء لا يعلم شيئًا إلا من نفسه وهو يحب أن يعرفه غيره ولا يعرفه ذلك الغير إلا من نفسه فإن لم يكن العارف على صورة المعروف فإنه لا يعرفه فلا يحصل المقصود الذي له قصد الوجود فلا بد من خلقه على الصورة لا بد من ذلك وهو تعالى الجامع للضدين بل هو عين الضدين ف هُوَ اَلْأَوَّلُ وَ اَلْآخِرُ وَ الظّٰاهِرُ وَ الْبٰاطِنُ فخلق الإنسان الكامل على هذه المنزلة فالإنسان عين الضدين أيضا لأنه عين نفسه في نسبته إلى النقيضين ف هُوَ اَلْأَوَّلُ بجسده وَ اَلْآخِرُ بروحه وَ الظّٰاهِرُ بصورته وَ الْبٰاطِنُ بموجب أحكامه والعين واحدة فإنه عين زيد وهو عين الضدين فزيد هو عين الأخلاط الأربعة المتضادة والمختلفة ليس غيره وذو الروح النفسي والمركب الطبيعي وهنا قال الخراز عرفت اللّٰه بجمعه بين الضدين فقال صاحبنا تاج الدين الأخلاطي حين سمع هذا منا لا بل هو عين الضدين وقال الصحيح فإن قول الخراز يوهم أن ثم عينا ليست هي عين الضدين لكنها تقبل الضدين معا والأمر في نفسه ليس كذلك بل هو عين الضدين إذ لا عين زائدة فالظاهر عين الباطن والأول والآخر والأول عين الآخر والظاهر والباطن فما ثم إلا هذا فقد عرفتك بالنشأة الإنسانية أنها على الصورة الإلهية وسيرد الكلام في خلق الإنسان من حيث مجموعه الذي به كان إنسانا في الباب الحادي والستين وثلاثمائة في فصل المنازل في منزل الاشتراك مع الحق في التقدير «وصل» الأقسام الإلهية من نفس الرحمن الواردة في القرآن والسنة فإن بها نفس اللّٰه عن المقسوم له ما كان يجده من الحرج والضيق الذي يعطيه في الموجودات قوله فَعّٰالٌ لِمٰا يُرِيدُ وإرادته مجهولة التعلق لا يعرف مرادها إلا بتعريف إلهي فإذا أكده بالقسم عليه والإيلاء كان أرفع للحرج من نفس المقسوم له كما نفس اللّٰه عن المؤمنين غير الموقنين بقسمه على الرزق وما وعد به من الخير المطلق والمقيد بالشروط لمن وقعت منه ووجدت فيه أنه لحق مثل ما إنكم تنطقون فنفس اللّٰه عنهم بذلك وحصل لهم اليقين وما بقي لهم بعد إلا الاضطراب الطبيعي فإن الآلام الطبيعية المحسوسة ما في وسع الإنسان رفعها إذا حصلت بخلاف الآلام النفسية فإنه في وسعه رفعها فوقع التنفيس بالقسم إن الرزق من اللّٰه لا بد منه وبقي في قلب بعض الموقنين بذلك من الحرج تعيين وقت حصوله ما وقع به التعريف ولو وقع لم يرفع الاضطراب الطبيعي فلما علم

الحق أنه لا ينفس في تعيين الأوقات لذلك لم يوقع بها التعريف فإن الطبع أملك و الحس أقوى في الذوق من النفس و سبب ذلك أن المحسوس على صورة واحدة لا تتبدل و النفس تقبل التحول في الصور فلذلك لا يرتفع حكم الطبع في وجود الآلام الحسية لثبوته و ترتفع الآلام النفسية لسرعة تبدلها في الصور و لا يفنى أحد عن الآلام الطبيعية إلا بوارد إلهي أو روحاني قوي يرفع عنه ألم الطبع إن قام به و يكون موجب ذلك الوارد إما أمر محسوس أو معقول لا يتقيد كورود غائب عليه يحبه فيفنيه شغله بما حصل له من الفرح بوروده عن ألم الجوع و العطش الذي كان يجده قبل رؤية هذا الغائب أو السماع بقدومه فهذا موجب محسوس و الموجب المعقول معلوم عند العلماء فظهر في الأقسام الإلهية نفس الرحمن غاية الظهور و أعطى هذا القسم عند العلماء تعظيم المقسوم به إذ لا يكون القسم إلا بمن له مرتبة في العظمة فعظم الله بالقسم جميع العالم الموجود منه و المعدوم إذ كانت أشخاصه لا تتناهى فإنه أقسم به كله في قوله فَلا أُقْسِمُ بِما تُبْصِرُونَ وَما لا تُبْصِرُونَ و هو الموجود الغائب عن البصر و المعدوم و دخل في هذا القسم المحدث و القديم غير أنه لما علم الله عظمته في قلوب عباده موحدهم و مشركهم و مؤمنهم و كافرهم و قد أقسم لهم بالمحدثات و بغير نفسه و علم أنه قد تقرر عندهم أنه لا يكون القسم إلا بعظيم عند المقسم فبالضرورة يعتقد العالم تعظيم المحدثات و لا سيما و قد أيد ذلك في بعض المحدثات بقوله وَمن يُعَظِّمْ شَعائِرَ اللهِ و هي محدثات فَإِنَّها من تَقْوَى الْقُلُوبِ و من صفات الحق الغيرة فحجر من كونه غيورا علينا أن نقسم بغيره مع اعتقادنا عظمة الغير بتعظيم الله فهذا التحجير دواء نافع لما أورثه القسم بالمحدثات في القلوب الضعيفة البصائر عن إدراك الحقائق من العلل و الأمراض و الأقسام كثيرة و لا فائدة في ذكرها مع ما ذكرناه من الأمر الجامع لها فهو يغني عن تفصيلها فإن الكتاب يطول بذكرها و كل إنسان إذا وقف على قسم منها عرف فيما وقع و ما نفس الله به و عمن نفس الله به من أول وهلة و إنما ينبغي لنا أن نذكر ما يغمض على بعض الأفهام أو أكثرها لحصول الفوائد العزيزة المنال عند أكثر الناس «وصل» و من نفس الرحمن تشريع الاجتهاد في الحكم في الأصول و الفروع و مراعاة الاختلاف و ثبوت الحكم من جانب الحق بإثباته إياه أنه حكم شرعي في حق المجتهد تحرم عليه مخالفته مع التقابل في الأحكام فقرر الحكمين المتقابلين و جعل المجتهدين في ذلك مأجورين فشرع المجتهد من الشرع الذي أذن الله فيه لهذه الأمة المحمدية أن يشرعه و لا أدري هل خصت به أو لم يزل ذلك فيمن قبلها من الأمم و الظاهر أنه لم يزل في الأمم فإن نفس الرحمن يقتضي العموم و لا سيما و قد جاء في القرآن ما يدل على أن ذلك لم يزل في الأمم في قوله تعالى وَرَهْبانِيَّةً ابْتَدَعُوها و ما ابتدعوها إلا باجتهاد منهم و طلب مصلحة عامة أو خاصة و أثنى على من رعاها حق رعايتها و ذكر هذا في بني إسرائيل و كذلك في قوله في الأصول وَمن يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلهاً آخَرَ لا بُرْهانَ لَهُ به يعني في زعمه فإنه في نفس الأمر ليس إلا إله واحد و لهذا قرر صلى الله عليه و سلم حكم المجتهد سواء أصاب أو أخطأ بعد توفيته

حق الاجتهاد جهد طاقته و ما رزقه الله من قوة النظر في ذلك و قرر له الأجر مرة واحدة إن أخطأ و مرتين إن أصاب فاعلم أن المجتهد قد يخطئ ما هو الأمر عليه في نفسه و مع هذا قد تعبده به و أعطاه على ذلك أجر الاجتهاد لما فيه من المشقة لأنه من الجهد و الجهد بذل الوسع خاصة فإن الله ما كلف عباده إلا وسعهم في نفس الأمر و لم يخص صلى الله عليه و سلم في الاجتهاد فرعا من أصل بل عم فمن خصص ذلك بالفروع دون الأصول فهو من الاجتهاد أيضا تخصيص ذلك و تعميمه و كلاهما مأجور في اجتهاده «وصل» و من نفس الرحمن أيضا قوله تعالى حكاية عن معصوم في قوله عن الخطاء و هو رسول الله صلى الله عليه و سلم ما من دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِناصِيَتِها فأخرج و ضيق المتسع فنفس الله بتمام الآية و التعريف بقوله إِنَّ رَبِّي عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ فقوله اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ بالألف و اللام اللذين للعهد و هو هذا الصراط الذي عليه الرب أن يكون مشهودا لنا في وقت مشي الحق فيه بنا فإنه صراط من أنعم عليه و من غضب الله عليه و أصله في السبيل التي فرقته عن سبيله و هو الصراط الذي هو عليه حجبته عن شهوده فلا يشهده إلا سعيد و إن لم يشهده و آمن به و جعله كأنه يشهده فهو سعيد و معلوم أن تصرف كل دابة قد يتعلق به لسان حمد أو ذم لأمور عرضية في الطريق عينتها الأحوال و أحكام الأسماء و الأصل محفوظ في نفس الأمر تشهده الرسل سلام الله عليهم و الخاصة من عباد الله «وصل» و من نفس الرحمن الذي نفس الله به عن عباده المؤمنين بالرسل قوله وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ فنفس الله بذلك عن قلوب كان قد قام بها إن الله تعالى لا يعلم الجزئيات و إن كان القائل بذلك قد قصد التنزيه لكنه ممن اجتهد فأخطأ أن قال ذلك عن اجتهاد فله الأجر فإن الأمر لا يتغير عما هو عليه في نفسه و لا يؤثر فيه حكم المجتهد لا بالإصابة و لا بالخطإ و إذا لم يتغير الأمر في نفسه بتغير الاجتهاد فالحكم له فلا يكون منه في العقبي إلا الخير فإنه الخير المحض الذي لا شر فيه فما عند المجتهدين من التغيير من جهته إلا ما تغيروا به من نفوسهم ف إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ و ما غيروا به أنفسهم فذلك تغيير الله بهم لأنهم ما خرجوا عما أعطاهم الله فإن الله ما كلف نَفْساً إِلَّا ما آتاها فما آتاها في هذا الوقت إلا ما سماه تغييرا فهو معهم في حال تغيرهم إلى أن ينقضي مدته فيبدو لَهُمْ من اللهِ ما لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ و هو مشاهدة ما هو الأمر عليه في نفسه فنفس الله عنهم بما بدا لهم منه و ما يبدو من الخير إلا الخير كما قال المعتزلي الذي كان يقول بإنفاذ الوعيد فيمن مات عن غير توبة فلما مات و هو على هذا الاعتقاد و حصل له بعد الموت شهود الأمر على ما هو به رؤي في النوم فقيل له ما فعل الله بك فقال وجدنا الأمر أهون مما كنا نعتقده و أخبر أنه رحم و لم ينفذ فيه الوعيد الذي كان يعتقد نفوذه في أمثاله و ليس إنباء الحق عباده يوم القيامة بما عملوه من الجرائم و اجترحوه من الآثام على جهة التوبيخ و التقرير و إنما ذلك على طريق الإعلام باتساع رحمة الله حيث نالها لاتساعها من لا يستحقها و ذلك بشفاعة أعيان تلك الأفعال المسماة جرائم فإن فاعلها لما

كان سببا في إيجاد أعيانها من كونها أفعالا و أقام نشأتها و هي معصية في حقه لكنها نشأة مطيعة مسبحة ربها عز و جل تستغفر للسبب الموجب لوجودها فيجيب الله دعاءها و استغفارها لصاحبها فإنه لا علم لها بأنها معصية أو طاعة فإنها غير مكلفة بذلك و لا خلقت له فيقبل الله شفاعتها فيه فيكون ما له إلى الرحمة التي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ و ما في العالم إلا من هو منشئ صور أعمال منعوتة في الشرع بطاعة و معصية و لا طاعة و لا معصية فإذا انتشأت فلا غذاء لها إلا التسبيح بحمد الله و هنا أعني في هذه الحضرة تتساوى أعمال الطاعة و المعصية فإن كونها طاعة و معصية ما هو عينها و إنما ذلك حكم الله فيها و هي مقبولة السؤال عند الله فإنها من أصناف المعتنى بهم المفطورين على تعظيم الله تعالى و الثناء عليه بما هو أهله و لو لا أنه ما كان معنا أينما كنا ما ظهرت أعيان هذه الأعمال إذ هو منشئها فينا بنا أو عندنا على حسب ما يعطيه نظر كل ناظر فقل كيف شئت و هذا القدر كاف في باب النفس الرحماني و ما رأيت أحدا ممن غير من أهل هذا الشأن تكلم عليه مثلنا و لا فصله تفصيلنا وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(«بسم الله الرحمن الرحيم»)

«الباب التاسع و التسعون و مائة في السر»

السر تثبيت المراتب فافتكر | فهو الدليل على ثبوت الواحد
بالفرد صح وجودنا في عيننا | في غائب إن كان أو في شاهد
إن الإشارة بالحقيقة تيمت | و هي الدليل على انتفاء الواجد
و الحال يطلبه المراد بكونه | فيه بحكم لا يكون بزائد
و العالم النحرير إن قامت به | صفة العلوم فحكمه كالفاقد

اعلم أن السر عند الطائفة على ثلاث مراتب سر العلم و سر الحال و سر الحقيقة فأما سر العلم و سر الحال فهو حقيقة العلماء بالله لا بغيره من الأسماء فإن سر العلم بالله هو جمع الأضداد بالحكم في العين الواحدة من حيث ما هو منسوب إليه كذا مما له ضد من ذلك بعينه ينسب إليه ضده و هذا سر لا يعلمه إلا من وجده في نفسه فاتصف به فحكم على عينه بحكم حكم عليه أيضا بضده من حيث حكم ضده لا من نسبة أخرى و لا من إضافة و لهذا جعله الله سر العلم لأن العلم كل علم حصل عن دلالة لأنه مشتق من العلامة و لذلك أضيف العلم إلى الله بالأشياء لأنه علم نفسه فعلم العالم فهو دليل و علامة على العالم كما كان العالم علامة عليه في علمنا به و هو قوله صلى الله عليه و سلم من عرف نفسه عرف ربه فجعلك لك دليلا عليه فعلمته كما كانت ذاته دليلا عليك له فعلمك فأوجدك فهذا من

خفي سر العلم الذي لا يعلمه إلا العلماء بالله فإذا كان الحق سمع العبد و بصره و علمه علمته به و جعلته دليلا و علامة على نفسه و هذا هو سر الحال و منه نفخ عيسى في الصورة التي أنشأها من الطين فكانت طيرا و بسر العلم دعاء إبراهيم عليه السلام الأطيار فاتته سعيا فإن كان قوله بِإِذْنِي العامل فيه تنفخ فهو سر الحال و إن كان العامل فيه فيكون فهو سر العلم و هذا لا يعلمه إلا صاحبه و هو عيسى عليه السلام و سر العلم أتم من سر الحال لأن سر العلم هو لله و هو الذي ظهر به إبراهيم الخليل عليه السلام فإنه ما زاد على إن دعاهن و لم يذكر نفخا فكان كقوله إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ و سر الحال لا يكون إلا من نعوت الخلق ليس من نعوت الحق فسر العلم أتم و حكمه أعم فالحال من جملة معلومات العلم و ممن هو تحت إحاطته و لو كان الحال أتم من العلم لكان الحق قد أمر نبيه بطلب الأنقص و يكون الحق قد ترك وصفه بالأتم و هذا محال فليس الشرف إلا لسر العلم و أما سر الحقيقة فهو إن تعلم أن العلم ليس بأمر زائد على ذات العالم و أنه يعلم الأشياء بذاته لا بما هو مغاير لذاته أو زائد على ذاته فسر الحقيقة يعطي أن العين و الحكم مختلف و سر الحال يلبس فيقول القائل بسر الحال أنا الله و سبحاني و أنا من أهوى و من أهوى أنا و سر العلم يفرق بين العلم و العالم فبسر العالم تعلم أن الحق سمعك و بصرك و يدك و رجلك مع نفوذ كل واحد من ذلك و قصوره و أنك لست هو عينه و بسر الحال ينفذ سمعك في كل مسموع في الكون إذا كان الحق سمعك حالا و كذلك سائر قواك و بسر الحقيقة تعلم أن الكائنات لا تكون إلا لله و إن الحال لا أثر له فإن الحقيقة تأباه فإن السبب و إن كان ثابت العين و هو الحال فما هو ثابت الأثر فللحقيقة عين تشهد بها ما لا يشهد بعين الحال و تشهده عين الحال و عين العلم و للعلم عين يشهد بها ما لا يشهده بعين الحال و تشهد ما يشهده عين الحال فعين الحال أبدا تنقص عن درجة عين العلم و عين الحقيقة و لهذا لا تتصف الأحوال بالثبوت فإن العلم يزيلها و الحقيقة تأباها و لذلك الأحوال لا تتصف بالوجود و لا بالعدم فهي صفات لموجود لا تتصف بالعدم و لا بالوجود فبالحال يقع التلبيس في العالم و بالعلم يرتفع التلبيس و كذلك بالحقيقة فهذا سر العلم و سر الحال و سر الحقيقة قد علمت الفرقان بينهم في الحكم هذا معنى السر عند الطائفة فإذا ثبت أمر في العالم كان ما كان و ظهر حكمه فسره معناه إذا ظهر لمن ظهر له بطل عنده ذلك الثبوت الذي كان يحكم به قبل هذا على ذلك الأمر في كل أمر يكون له ثبوت في العالم و بهذه المثابة ثبوت الأسباب كلها في العالم فسر الربوبية إما المربوب و إما النسب أو الصفات التي من شأن من نسبت إليه أو قامت به عند من يرى أنها صفات أن يكون ربا فليس هو رب بالذات على هذا النحو هذا معنى قول سهل بن عبد الله للربوبية سر لو ظهر لبطلت الربوبية و كذاك قوله أيضا إن للربوبية سرا لو ظهر لبطل العلم و إن للعلم سرا لو ظهر لبطلت النبوة و إن للنبوة سرا لو ظهر لبطلت الأحكام فسر الحق لو ظهر لبطل الاختصاص و النبوة اختصاص فتبطل النبوة ببطلان الاختصاص و يبطل حكم العلم من حيث إنه صفة للذات

حتى أعطاه حكم العالم و هو الحال فيبطل العلم لا يبطل العالم و سر النبوة إزالة رفيع الدرجات لأنه ما ثم على من و المعارج للأنبياء إنما هي في هذه الدرجات فسر النبوة الإخبار بما هو الأمر عليه و ما هو الأمر عليه لا يقبل التبديل و إذا لم يقبل التبديل بطل الحكم فإن الحكم يثبت التخيير و التخيير يناقض التبديل فإذا بطل التخيير بطل الحكم فبطل معنى النبوة فهذا سرها فمن ظهر له أسرار هذه الأمور و علمها علم الحق فيها و لم يبطل عنده شيء فهو أقوى الأقوياء في التمكن الإلهي فهو عبد في مقام سيد و سيد في صورة عبد

«بسم الله الرحمن الرحيم»

«الباب الموفي مائتين في حال الوصل»

لو فاتنا ما فات لم تك صورة | و الوصل فينا درك ذاك الفائت

ما فات إلا كوننا لم نبغه | فإذا ابتغينا كان ثبت الثابت

و به تفاضلت الرجال فمنهم | حي و ذاك الحي عين المائت

و الميت منا ليس يعرف موته | و الناطق المعصوم عين الصامت

اعلم أن الوصل في اصطلاح القوم إدراك الفائت و هو إدراك السالف من أنفاسك و هو قوله تعالى يُبَدِّلُ اللّٰهُ سَيِّئٰاتِهِمْ حَسَنٰاتٍ و العلة في ذلك أن كل حال له نفس يتضمن ذلك النفس جميع ما سلف من أنفاس ذلك المتنفس من حيث ما كانت عليه تلك الأنفاس من الأحكام فله فائدة المجموع و ما يتميز به من غيره و هو قول الطائفة لو أن شخصا أقبل على الله دائما ثم أعرض عنه طرفة عين كان ما فاته في تلك اللحظة أكثر مما ناله و هذه المسألة حيرت العارفين بالوصل إذا صح لم يعقبه الفصل هذا هو الحق فإن الحق سبحانه لا يقبل وصله الانفصال و لا تجلى لشيء ثم انحجب عنه لأن العالم بما هو به عالم لا يكون بخلاف حكم علمه فالحق مع الكون في حال الوصل دائما و بهذا كان إلها و هو قوله تعالى وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مٰا كُنْتُمْ أي على أي حال كنتم من عدم و وجود و كيفيات فهكذا هو في نفس الأمر و الذي يحصل لأهل العناية من أهل الله أن يطلعهم الله و يكشف عن بصائرهم حتى يشهدوا هذه المعية و ذلك هو المعبر عنه بالوصل أعني شهود هذا العارف فقد اتصل العارف بشهود ما هو الأمر عليه فلا يتمكن أن ينقلب هذا الوصل فصلا كما لا ينقلب العلم جهلا فإنه يعطيك هذا المشهد الكيفية فيه على ما هي عليه فهذا يا أخي معنى الوصل عند الطائفة في اصطلاحهم جعلنا الله و إياكم من أهل الوصل وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الحادي و مائتان في حال الفصل»

الفصل فوت الرجاء إن كنت تعقله و دع يفوتك فالمرجو قد حصلا

من غير ما هو مرجو لطالبه و هو الدليل لعبد الله إذن كملا

لا بد منا و منه و الدليل لنا الفرق ما بين من يدري و من جهلا

اعلم أن الفصل عند الطائفة فوت ما ترجوه من محبوبك و عندنا الفصل هو تمييزك عنه بعد كونه سمعك و بصرك فإن وقع لك التمييز قبل هذا فليس هو الفصل المذكور في هذا الباب فإن المراد به هنا الفصل الذي يكون عن الوصل و هذا هو الذوق و قبل الذوق قد يخطر للعبد من الرجاء أن يكون الحق فيتفق أن يطلع على إحالة هذه الكينونة فيكون أيضا هذا من الفصل المبوب عليه في هذا الباب و ما ثم أعلى من هذا الرجاء ثم ينزل من هذا إلى ما يرجوه من التحقق بالأسماء و الصفات و النعوت في الأكوان علوها و سفلها فكل ما فاتك من هذه الأمور فهو فصل أيضا من هذا الباب و لكن من شرط هذا الفصل و الوصل أن يكون من مقام المحبة و إن كانت من طريق الإرادة فإن المحبة و إن كانت عين الإرادة فهي تعلق خاص كالشهوة لها تعلق خاص و هي إرادة و كذلك العزم حال خاص في الإرادة و الهم و النية و القصد كل ذلك أحوال للإرادة و اعلم أن الرجاء من صفات المؤمنين من حيث ما هو مؤمن و الفعل تابع له فهو من أحوال المؤمنين ما هو من أحوال العارفين فإنهم على بصيرة من أمرهم فلا رجاء عندهم و هكذا نعت كل من هو من أمره على بصيرة كما قال لا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلا حَياةً وَلا نُشُوراً وكَما يَئِسَ الْكُفّارُ مِنْ أَصْحابِ الْقُبُورِ فالفصل الذي يكون للعارفين ما هو فوت ما يرجى و إنما هو تحقيق ما يقع به التمييز بين الحقائق و لا يكون ذلك إلا للعلماء بترتيب الحكمة في الأمور فيعطي كل ذي حق حقه كما فصل كل شيء بما يتميز به عن أن يشترك مع غيره فأما في الأسماء الإلهية فبما تدل عليه من حيث ما هي عدد فلما قبلت الكثرة احتيج إلى الفصل إما في ذات المسمى من نسبة معانيها إليه وإما من حيث ما تظهر فيه آثارها فيحدث لها الكثرة من المؤثر فيه لا من اسم الفاعل الذي هو المؤثر فتكون الآثار تكثر النسب إلى العين الواحدة فذلك الفصل في الآثار لا في الأسماء و لا في المسمى و لا في المؤثر فيه فهذا تحقيق الفصل في المعرفة عند العارفين وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(«بسم الله الرحمن الرحيم»)

«الباب الثاني و مائتان في حال الأدب»

أدب الشريعة أن تقوم برسمها فتكون مكتوبا من الأدباء

فإذا فنيت من القيام و أنت في جهد فأنت به من الخدماء

و إذا دفعت لكل طالب حقه ما يستحق لحقت بالأمناء

و أتيت بالشرع المطهر حكمه و بذاك قالوا جملة القدماء

اعلم أن الأدب على أقسام أما أدب الشريعة فهو أن لا يتعدى بالحكم موضعه في جوهر كان أو في عرض أو في زمان أو في مكان أو في وضع أو في إضافة أو في حال أو في مقدار أو في مؤثر أو في مؤثر فيه و انحصرت أقسام محل ظهور أدب الشريعة فأما أدبها في الذوات القائمة بأنفسها فبحسب ما هي عليه من معدن و نبات و حيوان و إنسان و عروض و ما يقبل التغيير منه و ما لا يقبل التغيير و ما يقبل الفساد و ما لا يقبل الفساد فيعلم حكم الشرع في ذلك كله فيجريه فيه بحسبه و أما آدابها في الأعراض فهو ما يتعلق بأفعال المكلفين من وجوب و حظر و ندب و كراهة و إباحة و أما الآداب الزمانية فما يتعلق بأوقات العبادات المرتبطة بالأوقات فكل وقت له حكم في المكلف و منه ما يضيق وقته و منه ما يتسع و أما الآداب المكانية كمواضع العبادات مثل بيوت الله الذي أَذِنَ الله فيها أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ و أما الآداب الوضعية فهي أن لا يسمى الشيء بغير اسمه ليتغير عليه حكم الشرع بتغير الاسم فيحلل ما كان محرما أو يحرم ما كان محللا كما قال عليه السلام سيأتي على الناس زمان يظهر فيه أقوام يسمون الخمر بغير اسمها و ذلك ليستحلوها بالاسم كما سئل مالك عن خنزير البحر فقال هو حرام فقيل له إنه من جملة سمك البحر فقال أنتم سميتموه خنزيرا فانسحب عليه لأجل الاسم حكم التحريم كما سموا الخمر نبيذا أو ربا أو تزيزا فاستحلوها بالاسم و أما أدب الإضافة فمثل قول خضر فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا و قوله فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا للاشتراك بين ما يحمد و يذم و قوله فَأَرَادَ رَبُّكَ لتخليص المحمدة فيه فيكتسب الشيء الواحد بالنسبة ذما و بالإضافة إلى جهة أخرى حمدا و هو عينه و تغير الحكم بالنسبة و أما آداب الأحوال كحال السفر في الطاعة و حاله في المعصية فيختلف الحكم بالحال و حال السفر أيضا من حال الإقامة في صوم رمضان و فطره و المسح على الخفين في التوقيت و عدم التوقيت و أما الآداب في الأعداد فهو ما يتعلق بعدد أفعال الطهارة و مقاديرها و الزكاة و عدد الصلوات و ما لا يزاد فيه و لا ينقص بحسب حكم الشرع في ذلك و كذلك توقيت ما يغتسل به و يتوضأ به كالمد و الصاع هذا أدبه في العدد و أما الأدب في المؤثر كحكمه في القاتل و الغاصب و كل ما أضيف إليه فعل ما من الأفعال و أما أدبه في المؤثر فيه كالمقتول قود أهل بصفة ما قتل به أو بأمر آخر و كالمغصوب إذا وجد بغير يد الذي باشر الغصب هذا قسم أدب الشريعة و أما قسم أدب الخدمة فأما أن يكون أعلى إلى أدنى أو من أدنى إلى أعلى فأما خدمة الأعلى إلى من هو دونه فالقيام بمصالحه و مراعاتها و التنبيه في ذلك على ما وقعت فيه الغفلة و التعريف بما جهل منها و تعيينه أوقاتها و أمكنتها و حالاتها و إيضاح مبهماتها و الإفصاح عن مشكلاتها بإقامة أعلامها كالأستاذ مع التلميذ و العالم مع الجاهل و السلطان مع الرعية و أما خدمة الأدون من

هو أعلى منه فبامتثال أوامره و نواهيه و الوقوف عند مراسمه و حدوده و المبادرة إلى محابه و المسارعة إلى مراضيه و مراقبة إشاراته و موافقة أغراضه هذا قسم أدب الخدمة و أما قسم أدب الحق فهو إعطاؤه ما يستحقه مما ينبغي له و إعطاؤه ما يستحقه مني كما أنه أعطاني خلقي حين أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ فإذا أعطيته ما يستحقه بما هو هو و أعطيته ما يستحقه منك بما أنت له فقد قمت بآداب الحق في إعطائه كل شيء خلقه هذا قسم آداب الحق و أما قسم آداب الحقيقة فحاله أن يراه في الأشياء عينها لا هي ثم يحكم على ما يراه من الزيادة و النقص بما أعطته استعدادات الأشياء فينسب ذلك إليها لا إليه كمالا كان أو نقصا أو موافقا أو مخالفا لا يحاشي شيئا فإن حال الحقيقة يعطي ما قلناه فإذا كان حالك في كل مقام ما ذكرناه فقد قمت بالأدب و أخذت الخير أجمعه بكلتا يديك و ملأتهما خيرا و هذا غاية وسع المخلوق وَ اللّٰهُ يَهْدِي من يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ و الكلام على الأحوال لا يحتمل البسط و تكفي فيه الإشارة إلى المقصود و مهما بسطت القول فيه أفسدته وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(«بسم اللّٰه الرحمن الرحيم»)

«الباب الثالث و مائتان في حال الرياضة»

إذا هذب الإنسان أخلاق نفسه و أخرجها عن طبعها و مرادها
و ذاك محال عندنا كونه فما يرى راضها من راضها بعنادها
فإن كنت ذا علم فإن مصارفا لها عينت بالشرع عند فسادها

اعلم أن الرياضة عند القوم من الأحوال و هي قسمان رياضة الأدب و رياضة الطلب فرياضة الأدب عندهم الخروج عن طبع النفس و رياضة الطلب هي صحة المراد به أعني بالطلب و عندنا الرياضة تهذيب الأخلاق فإن الخروج عن طبع النفس لا يصح و لما كان لا يصح بين اللّٰه لذلك الطبع مصارف فإذا وقفت النفوس عندها حمدت و شكرت و لم تخرج بذلك عن طبعها فرياضتها اقتصارها على المصارف التي عينها لها خالقها فإن عين الشيء المزاجي ليس غير مزاجه فلو خرج الشيء عن طبعه لم يكن هو و لهذا يكون قول من قال رياضة الطلب صحة المراد به فإنه إذا كان الشيء مرادا به أمر ما و المريد لذلك الأمر هو موجد ذلك الشيء و قد عينه له و عرفه به و إن ذلك القدر يريد منه فتصرف فيه بطبعه على ذلك الحد كان صاحب رياضة لأنه لو تصرف في نقيض ما أريد منه لكان تصرفه فيه بطبعه أيضا فما كان التهذيب فيه إلا صرفه عن الإطلاق في التصرف إلى التقييد فإن أراد صاحب القول في رياضة الأدب أنه الخروج عن طبع النفس بمعنى ما كان لها فيه التصرف مطلقا صار مقيدا فحمل هذا الشخص نفسه على ما قيدها به خالقها من

التصرف فيه و دخلت تحت التحجير بعد ما كانت مسرحة فهو الذي ذكرناه و إن أراد غير ذلك فليس إلا ما قلناه و ذلك أن الرياضة تذليل النفس و إلحاقها بالعبودية و لذا سميت الأرض أرضا و ذلولا فالرياضة عندنا من صير نفسه أرضا أي مثل الأرض يطؤها البر و الفاجر و لا يؤثر عندها تمييزا بل تحمل البار رحبا لما هو عليه من مراضي سيده و تحمل الفاجر حمل الله إياه بكونه يرزقه على كفره بنعمه وجحده إياها و نسيان رب النعمة فيها و إلى الرياضة يرجع مسمى الرضي على الحقيقة إن تفطنت لأن النفس تطلب بذاتها الكثير من الخير لأن الأصل على ذلك فإن الله تعالى ما طلب إلا الممكنات و هي غير متناهية و لا أكثر مما لا يتناهى و ما لا يتناهى لا يدخل في الوجود دفعة و لكن يدخل قليلا قليلا لا إلى نهاية فإذا نسبت إليه ما توجه إليه طلبه من الكثرة ثم رضي من ذلك باليسير و التدريج لعلمه أن ما لا يتناهى لا يمكن حصوله في الوجود رضي بذلك القدر الذي يدخل منه فمتعلق الرضي لا يكون إلا بالقليل و لا يكون مخلوق بأعظم قدرا من خالقه و إذا كانت هذه صفة الحق فهي بالعبد أولى فما عند الله لا يتناهى و مطلب هذا العبد من الله ما عنده و لا يتمكن دخوله في الوجود إلا قليلا قليلا لا إلى نهاية فرضي بذلك القدر العبد و هو قليل بالنسبة إلى متعلق علمه بما عند الله فرضي عن الحق و رضي الحق عنه فوقع الاقتصار من العالم بما لا يتناهى على ما أعطى من ذلك مما يتناهى رياضة منه عن مطلق تعلق علمه من ذلك إذ قد علم أيضا أن ما لا يتناهى لا يدخل في الوجود فحقيقة الرياضة ترجع إلى هذا لأن الآدمي لما خلق على الصورة زهت نفسه و تخيلت أن التحجير لا يصح على من له العزة و ما علمت أن العزة تحجير فإن العزة حمى و الحمى تحجير فعين ما ادعت به الإطلاق ذلك بعينه قيدها فلما أشهدها الحق حضرة عزه و نفوذ اقتداره و مع نفوذ اقتداره لم يعطه الإمكان من نفسه إلا قدر ما يحصل منه في الوجود انكسرت النفس و صار ما كانت تصول به أورثها ما أشهدها ذلة و انكسارا فإنها تقبل الذلة لجهلها فارتاضت و الحق لعلمه على عزه فرياضة العلم أنفع الرياضات فما أزالها العلم عن الصورة و لكن أولا جهلت ما هي الصورة عليه و ما هي الحقائق عليه فما أشرف العلم لو لم يكن من شرف العلم إلا تجلى الحق في صورة تنكر ثم تحوله في صورة تعرف و هو هو في الأولى و الثانية و إن موطن تلك المشاهدة لا يتمكن في نفس الأمر إلا أن تكون مقيدة لأن الذي يشهد و هو عين العبد مقيد بإمكانه فلا يتمكن له شهود الإطلاق و لا بد من الشهود فظهر له المشهود مقيدا بالصورة و مقيدا بالتحول في الصور و لأنه مقيد بالوجوب الذاتي فالكل في عين التقييد إن عقلت عنا و إنما تقيد بالتحول ليفتح له في نفسه العلم بأن الأمر لا يتناهى و ما لا يتناهى لا يدخل تحت التقييد فإنه من قبل التحول إلى صورة من صورة قبل التحول إلى صور لا نهاية لها أو إلى صور لا يمكن لذلك المتحول أن يتجاوزها إلى غيرها فخرج عن حد التقييد بالتقييد ليعلم

أن مشهوده مطلق الوجود فيكون شهوده أيضا مطلقا إطلاق مشهوده فأفاده التحول من صورة إلى صورة علما لم يكن عنده فعلم عند ذلك أن الله هو الحق المبين فأعلى رياضة العبد العالم أن لا ينكره في صورة و لا يقيده بتنزيه بل له التنزيه على الإطلاق عن تنزيه التقييد

«بسم الله الرحمن الرحيم»

«الباب الرابع و مائتان في التحلي بالحاء المهملة»

لو لا التحلي لما كنا بحضرته ... مستخلفين على نور بأنبائه

إن التخلق بالأسماء حلية من ... صافي المسمى فصافاه بأسمائه

كمثل طيفور إذ صحت خلافته ... و الأمر جاء بها في عين إنبائه

نفاه مملوكه سبعا لمصلحة ... عادت عليه و هذا من أشيائه

فإنه سأل الرحمن ما وقعت ... به الأمور على ترتيب نعمائه

فالله يرزقني صدقا و يفتح لي ... بابا و يمنحني شكر آلائه

اعلم أن التحلي بالحاء المهملة في اصطلاح الطائفة التشبه بأحوال الصادقين في أقوالهم و أفعالهم و هذا في الطريق عندنا مدخول و من أسماء الله الصادق و أن الصادقين من أحوالهم التحلي بالحاء المهملة فلا بد من معرفة ما يتحلى به فهل تحلوا بما هو لغيرهم فتزينوا بما ليس لهم فهم لابسو أثواب زور أو تحلوا بما هو لهم فهم صادقون و التحلي عندنا هو التزين بالأسماء الإلهية على الحد المشروع بحيث أن يعسر التمييز و هم الذين إذا رؤوا ذكر الله كعرش بلقيس لما قامت لها شبهة بعد المسافة فقالت كَأَنَّهُ هُوَ و لو شاهدت الاقتدار الإلهي لعلمت أنه هو كما كان هو من غير زيادة و إذا حصل الإنسان في هذا المقام بهذا التحلي و لم يحجبه هذا التحلي في حال تزينه به و أنه له حقيقة ما استعاره بل ذلك ملكه و ما له و لا منعه عن شهود عبوديته لربه و إن نسبة ما ظهر به مما هو نعت لخالقه ما كان تشبها و إنما كان تزينا فذلك التحلي و يقول الحكماء في هذه الحالة إنه التشبه بالإله جهد الطاقة و هذا القول إذا حققته جهل من قائله لأن التشبه في نفس الأمر لا يصح فمن قامت به صفة فهي له و هو مستعد لقيامها به فباستعداد ذاته اقتضاها فما تشبه أحد بأحد بل الصفة في كل واحد كما هي في الآخر و إنما حجب الناس التقدم و التأخر و كون الصورة واحدة فلما رأوها في المتقدم ثم رأوها في المتأخر قالوا إن المتأخر تشبه بالمتقدم في هذه الصورة و ما علموا أن حقيقتها في المتأخر حقيقتها في المتقدم و لو كان الأمر كما قالوه لزاحمت العبودية الربوبية و لبطلت الحقائق فما تحلى العبد إلا بما هو له و لا ظهر الحق إلا بما هو له لا من صفات التنزيه و لا من صفات التشبيه كل ذلك له

و لو لم يكن الأمر كذلك لكان ما وصف نفسه به من ذلك كذبا و تعالى الله بل هو كما وصف نفسه من العزة و الكبرياء و الجبروت و العظمة و نفي المماثلة كما وصف نفسه بالنسيان و المكر و الخداع و الكيد و الفرح و المعية و غير ذلك فالكل صفة كمال لله تعالى فهو موصوف بها كما تقتضيه ذاته و أنت موصوف بها كما تقتضيها

ذاتك و العين واحدة و الحكم مختلف و العبد يعبد و الرحمن معبود

فليس التحلي في الحقيقة تشبه فإنه محال في نفس الأمر و ما قال به إلا من لا معرفة له بالحقائق و كذلك كنا لَوْ لا أَنْ من الله عَلَيْنا فتعين علينا أن نبين للخلق ما بينه الحق لنا هكذا أخذ العهد علينا فيما يجوز لنا الإبانة عنه و الإفصاح به و أما ما أخذ الله علينا العهد على كتمانه فنشاهده من الخلق و لا نخبرهم بما هو فهم بحكم ما يتخيلون و نحن بحكم ما نعلم و لو عرفناهم بذلك ما قبلوا لأن استعدادهم لا يعطي القبول كما قال وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَ هُمْ مُعْرِضُونَ فما حجبناه عنهم إلا رحمة بهم فإن الله سبحانه لم يترك منفعة لعباده إلا و قد أبانها لهم و اختلف استعدادهم في القبول و ما أبان الله عن نفسه بما أبان مما وصف به نفسه مما تنزهه عنه العقول بأدلتها إلا ليعلم أنه ما ثم شيء من الموجودات و لا عين خارج عنه بل كل صفة تظهر في العالم لها عين في جناب الحق و الكل مرتبط به و كيف لا يرتبط به و هو ربه و موجدة وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(«بسم الله الرحمن الرحيم»)

«الباب الخامس و مائتان في التخلي بالخاء المعجمة»

لو لا المراتب في المشروع ما ظهرت حقائق الحق و الأعيان تشهده
كيف التخلي و ما في الكون من أحد سواه و هو الذي في الكون نعبده
و ذاك يمنعنا من أن نقيده فنحن نعدمه وقتا و نوجده
فكل ما في وجود الكون من عرض على اعتقاداتنا فالله موجدة
فأشهده إن كنت ذا عين و معرفة في كل شيء و إن الشيء يفقده

اعلم أن التخلي بالخاء المعجمة عند القوم اختيار الخلوة و الإعراض عن كل ما يشغل عن الحق و عندنا التخلي عن الوجود المستفاد لأنه في الاعتقاد هكذا وقع و في نفس الأمر ليس إلا وجود الحق و الموصوف باستفادة الوجود هو على أصله ما انتقل من إمكانه فحكمه باق و عينه ثابتة و الحق شاهد و مشهود فإنه تعالى لا يصح أن يقسم بما ليس هو لأن المقسوم به هو الذي ينبغي له العظمة فما أقسم

بشيء ليس هو و قد ذكرنا ذلك في باب النفس بفتح الفاء فمما أقسم به وَ شاهِدٍ وَ مَشْهُودٍ فهو الشاهد و المشهود و هو ما استفاد الوجود بل هو الموجود فإن قلت فمن هذا الذي جهل هذا الأمر حتى تعلمه و لا يقبل الإعلام إلا موجود قلنا الجواب عليك من نفس اعتقادك فإنك المؤمن بأنه تعالى قال للشيء كُنْ فما خاطب و لا أمر إلا من يسمع و لا وجود له عندك في حال الخطاب فقد أسمع من لا وجود له فهو الذي يعلمه ما ليس عنده فيعلمه و هو في حال عدمه يقبل التعليم كما سمع الخطاب عندك فقبل التكوين و ما هو عندنا قبوله للتكوين كما هو عندك و إنما قبوله للتكوين أن يكون مظهرا للحق فهذا معنى قوله فَيَكُونُ لا أنه استفاد وجودا إنما استفاد حكم المظهرية فيقبل التعليم كما قبل السماع لا فرق و لقد نبهتك على أمر عظيم إن تنبهت له و عقلته فهو عين كل شيء في الظهور ما هو عين الأشياء في ذواتها سبحانه و تعالى بل هو هو و الأشياء أشياء فبعض المظاهر لما رأت حكمها في الظاهر تخيلت أن أعيانها اتصفت بالوجود المستفاد فلما علمنا أن ثم في الأعيان الممكنات من هو بهذه المثابة من الجهل بالأمر تعين علينا مع كوننا على حالنا في العدم مع ثبوتنا أن نعلم من لا يعلم من أمثالنا ما هو الأمر عليه و لا سيما و قد اتصفنا بأنا مظهر فتمكنا بهذه النسبة من الإعلام لمن لا يعلم فأفدناه ما لم يكن عنده فقبله فمما أعلمناه أنه ما استفاد وجودا بكونه مظهرا فتخلى عن هذا الاعتقاد لا عن الوجود المستفاد لأنه ليس ثم فلهذا عدلنا في التخلي أنه التخلي عن الوجود المستفاد و أما أهل السلوك الذين لا علم لهم بذلك و لا بمن هو الظاهر المشهود و لا بمن هو العالم فآثروا الخلوة لينفردوا بالحق لما حجبتهم الكثرة المشهودة في الوجود عن الله جنحوا إلى التخلي و هذا مما يدلك على أنهم ما تركوا الأشياء من حيث صورها فإنه لا يتمكن لهم ذلك فإنهم في خلوتهم لا بد أن يشاهدوا صور ما تخلوا فيه من جدار و باب و سقف و آلات قام بيت الخلوة منها و وطاء و غطاء و مأكول و مشروب فالصور لا يتمكن له التخلي عنها فلم يبق الهرب إلا مما يطرأ من هذه الصور من الكلام المفهوم لا من الأفعال لأن صاحب الخلوة لو كانت معه الحيوانات لم يزل في خلوة و لا يشغله عن مطلوبه إلا أن يخاف من ضررها كذلك أيضا لو كان في الجدار ميل لخاف من تهدمه و سقوطه عليه فإذا ما اختار التخلي إلا لأجل الكلام الذي تتكلم الناس به فلو فهم ما يتكلم الناس به على الوجه الذي وضعه الحق فيهم لزاد علما بما لم يكن عنده و لو صلى صلاة واحدة أعني ركعة واحدة لما طلب التخلي فإنه إذا سمع قول العبد سمع الله لمن حمده و إن ذلك القول لله لسرت الحقيقة في جميع ما يسمع فكلام الناس كله يفيد العارفين علما بالله و لهذا من كرامات الصالحين أن يسمعهم الله نطق الأشياء فلو لم يفدهم ذلك علما لم يكن ذلك إكراما من الله بهم فمن رزق الفهم عن الله استوت عنده الخلوة و الجلوة بل ربما تكون الجلوة أتم في حقه و أعظم فائدة فإنه في كل لحظة يزيد علوما بالله لم تكن عنده

(«بسم الله الرحمن الرحيم»)

«الباب السادس و مائتان في حال التجلي بالجيم»

للغيب نور على البصائر   يظهر ما كان في السرائر
لكل قلب من كل شخص   أحضره الحق في المحاضر
فشاهد الأمر كيف يجري   و عاين الحكم في المقادر
فعنده أول و ظاهر   و عندنا باطن و آخر
قسمه كالصلاة فينا   عينا لعين فاشكر و بادر
ما بين عبد حبيس عجز   و بين رب عليه قادر
بفضله قد سرى إلينا   ما يحمد الله في الضمائر

اعلم أن التجلي عند القوم ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب و هو على مقامات مختلفة فمنها ما يتعلق بأنوار المعاني المجردة عن المواد من المعارف و الأسرار و منها ما يتعلق بأنوار الأنوار و منها ما يتعلق بأنوار الأرواح و هم الملائكة و منها ما يتعلق بأنوار الرياح و منها ما يتعلق بأنوار الطبيعة و منها ما يتعلق بأنوار الأسماء و منها ما يتعلق بأنوار المولدات و الأمهات و العلل و الأسباب على مراتبها فكل نور من هذه الأنوار إذا طلع من أفق و وافق عين البصيرة سالما من العمي و الغشي و الصدع و الرمد و آفات الأعين كشف بكل نور ما انبسط عليه فعاين ذوات المعاني على ما هي عليه في أنفسها و عاين ارتباطها بصور الألفاظ و الكلمات الدالة عليها و أعطته بمشاهدته إياها ما هي عليه من الحقائق في نفس الأمر من غير تخيل و لا تلبيس فمنها أنوار نسعى بها و منها أنوار نسعى إليها و منها أنوار نسعى منها و منها أنوار تسعى بين أيدينا و منها أنوار تكون خلفنا يسعى بها من يقتدي بنا و منها أنوار تكون عن إيماننا تؤيدنا و منها أنوار تكون عن شمائلنا تقينا و منها أنوار تكون فوقنا تنزل علينا لتفيدنا و منها أنوار تكون تحتنا نملكها بالتصرف فيها و منها أنوار نكونها هي أبشارنا و في أبشارنا و أشعارنا و في أشعارنا و هي غاية الأمر فأما أنوار المعاني المجردة عن المواد فكل علم لا يتعلق بجسم و لا جسماني و لا متخيل و لا بصورة و لا نعلمه من حيث تصوره بل نعقله على ما هو عليه و لكن بما نحن عليه و لا يكون ذلك إلا حتى أكون نورا فما لم أكن بهذه المثابة فلا أدرك من هذا العلم شيئًا و هو قوله في دعائه صلى الله عليه و سلم و اجعلني نورا و الله يقول اللهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ فما أنا رت إلا به كما قال وَ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّها يعني أرض المحشر يقول ما ثم شمس و عدم النور ظلمة و لا

بد من الشهود فلا بد من النور و هو يوم يأتي فيه الله للفصل و القضاء فلا يأتي إلا في اسمه النور فتشرق الأرض بنور ربها و تعلم كل نفس بذلك النور ما قَدَّمَتْ وَ أَخَّرَتْ لا بها تجده محضرا يكشفه لها ذلك النور و لو لا ما هي النفوس عليه من الأنوار ما صحت المشاهدة إذ لا يكون الشهود إلا باجتماع النورين و من كان له حظ في النور كيف يشقى شقاء الأبد و النور ليس من عالم الشقاء و ما من نفس إلا و لها نور تكشف به ما عملت فما كان من خير سرت به و ما كان من سوء تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَها وَ بَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً و لهذا ختم الآية بقوله وَ اللهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ حيث جعل لهم أنوارا يد ركون بها و قد علموا أن النور لا حظ له في الشقاء فلا بد أن يكون المال إلى الملائم و حصول الغرض و ذلك هو المعبر عنه بالسعادة لأنه قال كل نفس فعم و ما خص نفسا من نفس و ذكر الخير و الشر فالوجود نور و العدم ظلمة فالشر عدم و نحن في الوجود فنحن في الخير و إن مرضنا فإنا نصح فإن الأصل جابر و هو النور و هكذا صفة كل نور إنما جاء ليظهر ما طلع عليه فلا تدرك الأشياء إلا بك و به فلهذا لا يصح نتيجة أي لا تكون إلا بين اثنين أصلها الاقتدار الإلهي و قبول الممكن للانفعال لو نقص واحد من هاتين الحقيقتين لما ظهر للعالم عين فقد أعطيناك أمرا كليا في هذه الأنوار فلا تتكلف بسطها مخافة التطويل و الأحوال لا تحتمل الإسهاب فلنذكر مبهمات الأنوار فأما النور الذي نسعى به فهو ما تقدم ذكره من أنوار المعلومات التي اكتفينا بذكر واحد منها ليكون تنبيها و أنموذجا لما سكتنا عنه و أما النور الذي بين أيدينا فهو نور الوقت و الوقت ما أنت به فنوره ما أنت به فانظر فيه كيفما كان فهو مشهودك الحاكم عليك و القائم بك و هو عين الاسم الإلهي الذي أنت به قائم في الحال لا حكم له في ماض و لا مستأنف و أما النور الذي عن يمينك فهو المؤيد لك و المعين على ما يطلبه منك النور الذي بين يديك و هو الذي طلبت من الله في حال صلاتك في قولك وَ إِيّاكَ نَسْتَعِينُ و الصلاة نور و هي النور الذي بين يديك فهو وقتك الذي أنت به فلما قلت وَ إِيّاكَ نَسْتَعِينُ أيدك بالنور من عن يمينك فإن اليمين القوة يقول الشاعر

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

و أما النور الذي عن يسارك فهو نور الوقاية و الجنة من الشبه المضلة المؤثرة في النفوس الجهالات و الالتباس و التشكيك الذي يخطر للناظر الباحث في الاعتقاد في الله و فيما أخبر به عن نفسه و هو على نوعين نور إيمان و نور دليل و نور الدليل على نوعين نور نظر فكري و نور نظر كشفي فيعلم الأمر على ما هو عليه في نفسه فهذا فائدة النور الذي يأتي عن الشمال و أما النور الذي خلفنا فهو النور الذي يَسْعى بين يدي من يقتدي بنا و يتبعنا على مدرجتنا فهو لهم من بين أيديهم و هو لنا من خلفنا فيتبعنا على بصيرة من أجل ذلك النور الذي يخرجهم عن التقليد قال أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلى بَصِيرَةٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِي فهو بالنور الذي بين يديه يدعو على بصيرة و الداعي المتبع له

يدعو بالنور الذي خلفه ليكون هذا المتبع أيضا على بصيرة فيما يدعو إليه مثل من اتبعه و بذلك النور يرى من خلفه مثل ما يرى من بين يديه و هذا مقام نلته سنة ثلاث و تسعين و خمسمائة بمدينة فاس في صلاة العصر و أنا أصلي بجماعة بالمسجد الأزهر بجانب عين الجبل فرأيته نورا يكاد يكون أكشف من الذي بين يدي غير أني لما رأيته زال عني حكم الخلف و ما رأيت لي ظهرا و لا قفا و لم أفرق في تلك الرؤية بين جهاتي بل كنت مثل الأكرة لا أعقل لنفسي جهة إلا بالفرض لا بالوجود و كان الأمر كما شاهدته مع أنه كان قد تقدم لي قبل ذلك كشف الأشياء في عرض حائط قبلتي و هذا كشف لا يشبه هذا الكشف و أما النور الذي من فوقي فهو تنزل نور إلهي قدسي بعلم غريب لم يتقدمه خبر و لا يعطيه نظر و هذا النور هو الذي يعطي من العلم بالله ما ترده الأدلة العقلية إذا لم يكن لها إيمان فإن كان لها إيمان نوراني قبلته بتأويل لتجمع بين الأمرين و أما النور الذي من تحتنا فهو النور الذي يكون تحت حكمنا و تصريفنا لا يقترن معه فينا أمر إلهي نقف عنده فلا نصرفه إلا فيه و أما الأنوار التي نسعى بها فهي أنوار المعية من جانب الحق في قوله وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ لذلك قلنا من جانب الحق فإنه لا يختص بهذه المعية شيء من خلق الله دون غيره و لها الاسم الحفيظ و المحيط فإن لله مع بعض عباده معية اختصاص مثل معيته مع موسى و هارون في قوله إِنَّنِي مَعَكُما أَسْمَعُ وَأَرى فهذه بشرى لهما حتى لا يخافا فإنهما قالا إِنَّنا نَخافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنا أَوْ أَنْ يَطْغى أي يتقدم و يرتفع بالحجة إذ له الملك و السلطان فآمنهما الله مما خافا منه و من هنا تعرف مرتبة محمد صلى الله عليه و سلم و علوها على رتبة غيره من الرسل فإن الله أخبر عن محمد صلى الله عليه و سلم في حال خوف الصديق عليه و على نفسه فقال لصاحبه يؤمنه و يفرحه إِذْ هُما فِي الْغارِ و هو كنف الحق عليهما لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنا فقام النبي صلى الله عليه و سلم في هذا الإخبار مقام الحق في معيته لموسى و هارون و ناب منابه هكذا تكون العناية الإلهية فهذا هو النور الذي يسعى به و هو لا يزال ساعيا فلا يزال الحق معه حافظا و ناصرا لا خاذلا و لهذا وقع الإخبار لنا من الله على لسان رسوله صلى الله عليه و سلم أنا إذا أتينا بنوافل الخيرات لا بفرائضها أحبنا الحق فكان سمعنا الذي نسمع به و رجلنا التي نسعى بها إلى جميع قوانا و أعضائنا فهذا ما أعطت النوافل فينا من الحق فأين أنت مما تعطيه الفرائض فكم بين عبودية الاضطرار و عبودية الاختيار تقع المشاركة مع الحق في عبودة الاختيار في أحاديث نزوله في الخطاب إلى عبده مثل الشوق و الجوع و العطش و المرض و أشباه ذلك و عبودة الاضطرار لا تقع فيها مشاركة فهي مخلصة للعبد فمن أقيم فيها فلا مقام فوقها يقول الله لأبي يزيد تقرب إلي بما ليس لي الذلة و الافتقار فعين القربة هنا هو عين البعد من المقام فافهم و أما النور الذي نسعى منه فهو نور الحقيقة سواء علمها أو لم يعلمها فيكشفها بهذا النور و يكشف أنه سعى منه ثم ينكشف له النور الذي يسعى إليه و هو الشريعة فصاحب هذا المقام هو المعصوم المحفوظ المعتنى به العالم الذي لا يجهل لاتصافه بالعلم

الذي لا جهل فيه فإن ثم عبيدا يسعون من نور الشريعة إلى نور الحقيقة و يخاف عليهم و هؤلاء الذين يسعون على كشف من نور الحقيقة إلى نور الشريعة آمنون من هذا المكر الإلهي فهم على بصيرة من أمرهم و هؤلائك تحت خطر عظيم يمكن أن يعصموا فيه و يمكن أن يخذلوا فاعلم ذلك و أما أنوار المولدات فهي أنوار تعطيه بذاتها علما صحيحا من العلم بالله يكشف بها نسبة الحق و صورته في صور أعيان المعادن و النبات و الحيوان و هم لا يعلمون و ما زاد الإنسان على هؤلاء إلا بكشفه ذلك فالمولدات في هذا المقام بمنزلة قوله وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ و الإنسان فيه بمنزلة لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنا و إِنَّنِي مَعَكُما أَسْمَعُ وَأَرى فإنه صورة كل شيء في نفس الأمر فمن علمه و كشفه بهذا النور كان من أهل الاختصاص فهو يرى الأشياء أعيانا بصورة حقية و أخبرني من أثق بنقله في هذه المسألة إن شخصا كان بدمشق له هذا المقام لا يزال رأسه بين ركبتيه فإذا نظر إلى الأشياء في رفع رأسه لا يزال يقول أمسكوه أمسكوه و الناس لا يعلمون ما يقول فيرمونه بالتوله و أما أنا فذقته لله الحمد على ذلك و أما أنوار الأسماء فهي التي تظهر مسمياتها حقا و خلقا مما يتعلق بالذات و الصفات و الأفعال في الإلهيات منها ما يتعلق بأجناس الممكنات و أشخاصها منها من الأسماء التي وضعها الحق لها و بلغتها الرسل لا ما وقع عليه الاصطلاح و هذه الأنوار التي كانت لآدم عليه السلام حين علم جميع الأسماء بالوضع الإلهي لا بالاصطلاح و في ذلك تكون الفضيلة و الاختصاص فإن لله أسماء أوجد بها الملائكة و جميع العالم و لله أسماء أوجد بها جامع حقائق الحضرة الإلهية و هو الإنسان الكامل ظهر ذلك بالنص في آدم و خفي في غيره فقال للملائكة في فضل آدم و في فضل هذا المقام و قد أحضر للملائكة المسميات أعني أعيانهم أَنْبِئُونِي بِأَسْماءِ هؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ أي بالأسماء الإلهية التي صدروا عنها فلم يعلموا ذلك ذوقا فإن علوم الأكابر ذوقا فإنه عن تجل إلهي فقال الله يا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمائِهِمْ فأنبأهم آدم بأسمائهم الإلهية التي أوجدتهم و أسندوا إليها في إيجاد أعيانهم لا أسماء الاصطلاح الوضعي الكوني فإنه لا فائدة فيه إلا بوجه بعيد أضربنا عن ذكره حين علمنا أنه لم يكن المقصود فإنا ما نتكلم و لا نترجم إلا عما وقع من الأمر لا عما يمكن فيه عقلا و هذا الفرق بين أهل الكشف فيما يخبرون به و هم أهل البصائر و بين أهل النظر العقلي و الفائدة إنما هي فيما وقع لا فيما يمكن فإن ذلك علم لا علم و ما وقع فهو علم محقق و أما أنوار الطبيعة فهي أنوار يكشف بها صاحبها ما تعطيه الطبيعة من الصور في الهباء و ما تعطيه من الصور في الصورة العامة التي هي صورة الجسم الكل و هذه الأنوار إذا حصلت على الكمال تعلق علم صاحبها بما لا يتناهى و هو عزيز الوقوع عندنا و أما عند غيرنا فهو ممنوع الوقوع عقلا حتى إن ذلك في الإله مختلف فيه عندهم و ما رأينا أحدا حصل له على الكمال و لا سمعنا عنه و لا حصل لنا و إن ادعاها إنسان فهي دعوى لا يقوم عليها دليل أصلا مع إمكان حصول ذلك و أنوار الطبيعة مندرجة في كل ما سوى الحق و هي نفس الرحمن الذي نفس الله به عن الأسماء الإلهية و أدرجها

الله في الأفلاك و الأركان و ما يتولد من الأشخاص إلى ما لا يتناهى و أما أنوار الرياح فهي أنوار عنصرية أخفاها شدة ظهورها فغشيت الأبصار عن إدراكها و ما شاهدتها إلا في الحضرة البرزخية و إن كان الله قد أتحفنا برؤيتها حسا بمدينة قرطبة يوما واحدا اختصاصا إلهيا و ورثا نبويا محمديا و هذه الأنوار الرياحية لها سلطان و قوة على جميع بنى آدم إلا أهل الله فإن هذه الأنوار تندرج في أنوارهم اندراج أنوار الكواكب في نور الشمس و ذلك لضعف نور البصر و إذا غشيت هذه الأنوار من شاء الله من العامة لا تغشاه إلا كالسحاب المظلم و إذا غشيت أهل الله لا تغشاهم إلا و هي أنوار على هيأتها و أما أنوار الأرواح فمنا من يجعلها أنوار العقول و منا من يجعلها أنوار الرسل و لها القوة و السلطان و النفوذ في الكون لا يقف لها شيء غير أن لها حدودا تقف عندها لا تتعداها إذا شاهدها العبد يكشف بها ما غاب من العلوم المضنون بها على غير أهلها و هي أنوار سبوحية قدوسية تنزل من الحق المخلوق به إلى سدرة المنتهى و تطرح شعاعاتها على قلوب العارفين أهل الشهود التام فقلوبهم مطارح شعاعات هذه الأنوار و ليس في هذا الصنف الإنساني أكمل منهم في العلم فإن هذه الأنوار لا يقف لها حجاب إلا المشيئة الإلهية خاصة و قليل من عباد الله من تطرح على قلبه هذه الأنوار شعاعاتها على الكشف و هي مجالي الصادقين من عباد الله تعالى و أما أنوار الأنوار فهي السبحات التي لو كشف الحق الحجاب الذي يسترها عنا لاحترقنا هي أشعة ذاتية إذا انبسطت ظهرت أعيان الممكنات فالممكنات هي الحجاب بيننا و بينها و هذا هو النور العظيم لا الأعظم إليه الإشارة بقوله تعالى في حق أهل الكتب الإلهية المنزلة بالأعمال المشروعة بقوله وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْراةَ و هم الموسويون وَالْإِنْجِيلَ و هم العيسويون وَما أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ من رَبِّهِمْ و هم أصحاب الصحف و ما بقي من الكتب لَأَكَلُوا من فَوْقِهِمْ و هي علوم خارجة عن الكسب وَمن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ و هي علوم دخلت تحت الكسب فهي من علوم التحت و الفوق و إنه إذا كان النور بهذه الصفة لم يكن من تحتنا بل يكون هو الذي يصرفنا و أما النور الذي يكون من تحتنا فهو الذي نحكم عليه و هو المعبر عنه بالأكل من تحت الأرجل و أما النور الذي هو عين ذاتنا فهو كما دعا فيه صلى الله عليه و سلم و اجعلني نورا فهو عين ذاته و رواية و اجعل لي نورا هو جميع ما ذكرنا من الأنوار و أما قوله اجعلني نورا فهو مشاهدة نور ذاته إذ لا يشهد إلا به فإن ذاته ما قبلت هذه الأنوار من هذه الجهات الست إلا لعدم إدراكها نور نفسها الذي قال في ذلك رسول الله صلى الله عليه و سلم من عرف نفسه عرف ربه و الله نُورُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ و مثله بما مثله و هو أنت عين ذلك الممثل و المثل فتشاهد الأنوار منفهقة منك يتنور بذاتك عالم سماواتك و أرضك فما تحتاج إلى نور غريب تستضيء به فأنت المصباح و الفتيلة و المشكاة و الزجاجة و إذا عرفت هذا عرفت الزيت و هو الإمداد الإلهي و عرفت الشجرة و إذا كانت الزجاجة كالكوكب الدري و هو الشمس هنا فما ظنك بالمصباح الذي هو عين ذاتك فلا يكن يا أخي

دعاؤك أبدا إلا أن يجعلك الله نورا و هنا سر عجيب أنبهك عليه من غير شرح لأنه لا يحتمل الشرح و هو أن الله يضرب الأمثال لنفسه و لا تضرب له الأمثال فيشبه الأشياء و لا تشبهه الأشياء فيقال مثل الله في خلقه مثل الملك في ملكه و لا يقال مثل الملك في ملكه مثل الله في خلقه فإنه عين ما ظهر و ليس ما ظهر هو عينه فإنه الباطن كما هو الظاهر في حال ظهوره فلهذا قلنا هو مثل الأشياء و ليست الأشياء مثله إذ كان عينها و ليست عينه و هذا من العلم الغريب الذي تغرب عن وطنه و حيل بينه و بين سكنه فأنكرته العقول لأنها معقولة غير مسرحة و هذا انموذج من تجلى أنوار الأنوار و أما أنوار المعاني المجردة عن المواد فلا تنتقل فإنه لو انقالت لدخلت في المواد لأن العبارات من المواد و قد قلنا إنها مجردة لذاتها عن المواد لا إنها تجردت لأنها لو تجردت لكسوناها المواد إذا شئنا و لم تمتنع لأنها قد كانت فيها فهي تعلم خاصة و لا تقال و لا تحكي و لا تقبل التشبيه و لا التمثيل و أما أنوار الأرواح فهي أنوار روح القدس الجامع فمن أرسل من هذه الأرواح كان ملكا و من لم يرسل بقي عليه اسم الروح مع الاسم الخاص به العلم في الطائفتين المرسلين و غير المرسلين فهو روح خالص لم يشبه ما يخرجه عن نفسه و هو روح ذو روح في روحيته و ليس إلا الأرواح المهيمة و أرواح الأفراد منا تشبهها بعض شبه فلا يقع التجلي في أنوار أرواح إلا للافراد و لهذا قال الخضر لموسى ما لَمْ تُحِطْ به خُبْراً لأنه من الأفراد و إن الأنبياء يقع لهم التجلي في أنوار الأرواح الملائكة و ليس للافراد هذا التجلي بل هو مخصوص بالأنبياء و الرسل و هو قول خضر أنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا لأنه ليس له هذا التجلي الملكي ثم نبهه على أنه ما فعل الذي فعل عن أمره فإنه ليس له أمر و ما هو من أهل الأمر و هو مقام غريب في المقامات لو أن الله تعالى يبيح لنا كشفه للخلق لظهر علم لا يقوم له كون هذا قد ظهر من أثره ثلاث مسائل من شخص قد شهد الله عند نبيه بعدالته و زكاه و صار تبعا له و بين له ما قد سمعت و أدخل نفسه في أتباعه تحت شرطه و هو مثل موسى كليم الله و نجيه و أين كلامه مع ربه من كلامه مع الخضر فاختلف التجلي في الكلام و مع هذا لم يصبر لأنه قدم الاستثناء و لم يقدمه لما أنكر عليه فإنه من شأن النبي أن يكون متبعا كما هو متبع سواء و كذلك قال إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما يُوحى إِلَيَّ ما قال أن أفعل أو أقول إلا ما أشهد ما قال هكذا فكل مقام له مقال و لسان و أما أنوار الرياح فهي تجليات الاسم البعيد و هي تجليات لا ينبغي أن يذكر اسمها و لا تكون إلا لأهل الإلهام و للتجلي في أنوار الملائكة في هذا مدخل و لكن في الباطن لا في الظاهر خاصة و هم ملائكة اللمات و الإلهام خاصة و الإلقاء في هذا التجلي على النفوس و من هذا التجلي تكون الخواطر و هي رياحية كلها لأن الرياح تمر و لا تثبت فإن قال أحد بثبوتها فليست ريحا و لذلك توصف بالمرور و تسمى بالخواطر و هي من راح يروح و الرائح ما هو مقيم و أما التجلي في الأنوار الطبيعية فهو التجلي الصوري المركب فيعطي من المعارف بحسب ما ظهر فيه من الصور و هو يعم من الفلك إلى أدنى الحشرات و هو السماء و العالم فهو تجل في السماء و العالم و من هذا التجلي

تعرف المعاني و اللغات و صلاة كل صورة و تسبيحها و هو كشف جليل نافع مؤيد فيه يرى المكاشف موافقة العالم و أنه ما ثم مخالفة و من هنا يرى كل شيء يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ و صاحب هذا المقام يرى على الشهود صور أعماله تكون حية مسبحة لله ذات روح ينفخ فيها صاحب هذا المقام و إن كانت في ظاهر الكون مخالفة و معصية فإنها مخالفة صحيحة إلا أنها حية ناطقة تستغفر لصاحبها لأنه سوى نشأتها مخلقة و قد تمدح الله بأنه خلق فسوى و من تسوية نشأتها مخلقة إنه لم يخرجها عن كونها معصية فلو أخرجها عن كونها معصية كانت غير مخلقة و شقي صاحبها و كان تسبيحها لعنة صاحبها فإنه أباح ما حرم الله فخرج عن الايمان بذلك فلاحظ له في الإسلام إلا أن يجدد إسلامه و يتوب و هذا تنبيه لم يزل أصحابه يكتمونه غيرة منهم و ضعفا و التنبيه عليه أولى لأنها نصيحة لله و لرسوله و لأئمة المسلمين و عامتهم فلا توجد أبدا معصية مخلقة إلا من مؤمن و من أعطى الشيء خلقه فقد جرى على السنن الإلهي فإن الله أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ فأعطى المعصية خلقها و الطاعة خلقها فهكذا تكون صفة المؤمن و أما أنوار الأسماء فإنها تعين أسماء المعلومات فهو نور ينبسط على المعدومات و الموجودات فلا يتناهى امتداد انبساطها و تمشي العين مع انبساطها فينبسط نور عين صاحب هذا المقام فيعلم ما لا يتناهى كما لا يجهل ما لا يتناهى بتضاعف الأعداد و هذا علامة من يكون الحق بصره فالأسماء كلها موجودة و المسميات منها ما هي معدومة العين لذاتها و منها ما هي متقدمة العدم لذاتها و هي التي تقبل الوجود و الأحوال لا تقبل الوجود مع إطلاق الاسم على كل ذلك فللأسماء الإحاطة و الإحاطة لله لا لغيره فمرتبة الأسماء الإلهية و ما فضل آدم الملائكة إلا بإحاطته بعلم الأسماء فإنه لو لا الأسماء ما ذكر الله شيئا و لا ذكر الله شيء فلا يذكر إلا بها و لا يذكر و يحمد إلا بها فما زاحم صفة العلم في الإحاطة إلا القول و القول كله أسماء ليس القول غير الأسماء و الأسماء علامات و دلائل على ما تحتها من المعاني فمن ظهر له نور الأسماء فقد ظهر له ما لا يمكن ذكره لا أقول غير ذلك و لو لا أن الحق أطلق لفظة الكل على الأسماء في صفة علم آدم لقلنا من المحال أن يظهر انبساط نور الأسماء على المسميات لعين و لكن من فهم قول الله تعالى ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْماءِ هؤُلاءِ و أشار علم ما التزمناه من الأدب و ما أراد الله بلفظة كل في هذا التشريف و أما أنوار المولدات و الأمهات و العلل و الأسباب فهو تجل إلهي من كونه مؤثرا و من كونه مجيبا إذا سئل و غافرا إذا استغفر و معطيا إذا سئل و بهذا التجلي و هذه الأنوار تعلم قوله إِنَّ الَّذِينَ يُبايِعُونَكَ إِنَّما يُبايِعُونَ اللهَ و قوله أيضا عز و جل مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللهَ و قوله تبارك و تعالى إن الصدقة تقع بيد الرحمن و قوله وَأَقْرِضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً و قوله عليه السلام إن الله يفرح بتوبة عبده فافهم

(«بسم الله الرحمن الرحيم»)

«الباب السابع و مائتان في حال العلة»

إن العليل إلى الطبيب ركونه — مهما أحس بعلة في نفسه
فتراه يعبده و ما هو ربه — حذرا عليه أن يحل برمسه
فسألت ما سبب الركون فقيل لي — ما كان إلا كونه من جنسه

اعلم أن العلة عند القوم تنبيه من الحق و من تنبيهات الحق قوله على لسان نبيه صلى الله عليه و سلم إن الله خلق آدم على صورته و في رواية يصححها الكشف و إن لم تثبت عند أصحاب النقل على صورة الرحمن فا رتفع الإشكال و هو الشافي من هذه العلة يقول تعالى لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ فعلمنا أن كل رواية ترفع الإشكال هي الصحيحة و إن ضعفت عند أهل النقل و إذا كان الله هو الشافي و المعافي فهو الطبيب كما قال الصديق الطبيب أمرضني فسبب حنين صاحب العلة إلى الطبيب ما ذكرناه في الشعر و هو خلقه على الصورة ثم أيد هذا الخبر و هذا النظر الكشفي قول الله تعالى مرضت فلم تعدني و لما فسر قال مرض فلان فأنزل نفسه فيما أصاب فلانا عناية منه بفلان و هذه كلها علل لمن عقل عن الله فالعلة إثبات السبب و الحق عين السبب إذ لولاه ما كان العالم فهو الْخالِقُ الْبارِئُ الْمُصَوِّرُ الشافي فإذا كان هو عين العلة في قوله منك من قوله أعوذ بك منك فما شفاه إلا منه إذ لا شافي إلا الله فهو الشافي من كل علة فإن الله وضع الأسباب فلا يقدر على رفعها و وضع الله لها أحكاما فلا يمكن ردها و هو مسبب الأسباب فخلق الداء و الدواء و ما جعل الشفاء إلا له خاصة فالشفاء علة لإزالة المرض و ما كل علة شفاء فكل مسبب سبب و ما كل سبب مسبب لكن قد يكون مسبب الحكم لا مسبب العين كقوله أُجِيبُ دَعْوَةَ الدّاعِ إِذا دَعانِ فالعلة إذا كانت بمعنى السبب لها حكم و إذا كانت بمعنى المرض لها حكم فهي بمعنى المرض داء و هي بمعنى السبب حكمة فالعلة تنبيه من الحق لعبده على كل حال فوقتا ينبهه من رقدة غفلته بأمر ينزل به و ذلك هو الداء و المرض فإذا فقد العافية أحس بالألم فعلم أن مصيبة نزلت به فشرع الله له أن يقول إِنّا لِلّهِ وَ إِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ و لا يرجع إلا من خرج و وقتا ينبهه من رقدة غفلته بحكمة تظهر له في نفسه من غير أن يكون ذا مرض نفساني فإذا كان الحق عين علته فلا يكون إلا من تجل إلهي فجأة فإن لله فجآت على قلوب عباده ترد عليهم من غير استدعاء و لا تقدم سبب معين عنده و إن كان عن سبب في نفس الأمر و لكن لا علم له بذلك غير أن القوم ما عدلوا إلى هذا الاسم الذي هو العلة إلا لما رأوا العلة مرتبطة بمعلولها و المعلول مربوطا بعلته و علموا أن العالم ملك لله و الملك مربوط حقيقة وجوده ملكا بالملك و الملك الله و الملك لا يكون ملكا على نفسه فهو مربوط بالملك فلما ظهر التضايف في كون العالم مربوبا و مملوكا عدلوا إلى اسم العلة و لم يعدلوا إلى اسم السبب و لا إلى اسم الشرط و لما كان بعض

التنبيهات الإلهية آلاما و نوازل تكرهها النفوس بالطبع عدلوا إلى اسم بجمع التنبيهات كلها فعدلوا إلى العلة فإن المرض يسمى علة و هو من أقوى المنبهات في الرجوع إلى الله لما يتضمنه من الضعف ثم إن الله جعل الأسباب حجبا عن الله و ركنت النفوس إليها و نسي الله فيها و انتقل الاعتماد عليها من الخلق و العلة و إن كانت عين السبب و لكن لاختلاف الاسم حكم فالعلة على النقيض من السبب فإنها منبهة بذاتها على الله فكان اسم العلة بالمنبه أولى فكل سبب لا يردك إلى الله و لا ينبهك عليه و لا يحضره عندك فليس بعلة

فدائي هو الداء العضال لأنه   ينبهني في كل حال على نفسي

فما علتي غيري و ما علتي أنا   و لست بذي فصل و لست بذي جنس

و لست على علم فاعرف من أنا   و لست على جهل بذاتي و لا لبس

فما أنا من تعني و لا أنا غيره   و لكنني في الطرح في الضرب كالأس

و لما كانت العلة التنبه الإلهي فتنبيهات الحق لا تنحصر إلا من طريق ما و هو أن التنبيه الإلهي لا يخلو ما أن يكون من خارج أو من داخل فإن كان من خارج فقد يثبت و قد لا يثبت و إن كان من داخل فإنه يثبت و لا بد كإبراهيم بن أدهم فإنه نودي من قربوس سرجه فالتفت نحوه فإذا النداء من قلبه فتخيل أنه من قربوس سرجه و كصاحب القنبرة العمياء حين انشقت لها الأرض عن سكرجتين ذهب و فضة في الواحدة ماء و في الأخرى سمسم فأكلت من السمسم و شربت من الماء فكانت القنبرة العمياء نفسه مثلت له في هذه الصورة لأنها كانت في حال عمى من المخالفة مع ما هو عليه من نعمة الله فعلم ذلك فرجع إلى الله فهذه أمثلة ضربت لهم فالصورة تظهر من خارج و الأمر عنده في حاله و لذلك ثبتوا و قد يكون التنبيه الإلهي من واقعة و من الواقعة كان رجوعنا إلى الله و هو أتم العلل لأن الوقائع هي المبشرات و هي أوائل الوحي الإلهي و هي من داخل فإنها من ذات الإنسان فمن الناس من يراها في حال نوم و منهم من يراها في حال فناء و منهم من يراها في حال يقظة و لا تحجبه عن مدركات حواسه في ذلك الوقت و إنما سميت علة لأنها تورث ألما في النفس على ما فاته من الحق الذي خلق له و يتوهم أنه لو مات في حال المخالفة كيف يكون وجهه عند الله و لو غفر له أ ما كان يستحيي منه حيث عصاه بنعمته و من نعمته عليه أنه أمهله و لم يؤاخذه بما كان منه كما قلنا في نظم لنا

يا من يراني و لا أراه   كم ذا أراه و لا يراني

فقال لي بعض إخواني كيف تقول إنه لا يراك و أنت تعلم أنه يراك فقلت له في الحال مرتجلا

يا من يراني مجرما   و لا أراه آخذا

كم ذا أراه منعما و لا يراني لائذا

فلو لم يكن في المخالفة إلا الاستحياء لكان عظيما بل هو أعظم من العقوبة فالمغفرة أشد على العارفين من العقوبة فإن العقوبة جزاء فتكون الراحة عقيب الاستيفاء فهو بمنزلة من استوفى حقه و الغفران ليس كذلك فإنك تعرف أن الحق عليك متوجه و أنه أنعم عليك بترك المطالبة فلا تزال خجلا ذا حياء أبدا و لهذا إذا غفر الله للعبد ذنبه حال بينه و بين تذكره و أنساه إياه فإنه لو تذكره لاستحيا و لا عذاب على النفوس أعظم من الحياء حتى يود صاحب الحياء إنه لم يكن شيئا كما قالت الكاملة يا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هذا وَ كُنْتُ نَسْياً مَنْسِيًّا هذا حياء من المخلوق كيف نسبوا إليها ما لا يليق ببيتها و لا بأصلها و لهذا قالوا ما كانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَ ما كانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا فبرأها الله مما نسبوا إليها لما نالها من عذاب الحياء من قومها فكيف الحياء من الله فيما يتحققه العبد من مخالفة أمر سيده فإن قلت و هل يمكن أن يعصى على الكشف قلنا لا قيل فقول أبي يزيد لما قيل له أ يعصي العارف و العارف من أهل الكشف فقال وَ كانَ أَمْرُ اللهِ قَدَراً مَقْدُوراً فجوز قلنا هكذا يكون أدب العارفين مع الحق في أجوبتهم حيث قال إن كان الله قدر عليهم في سابق علمه ذلك فلا بد منه و هي معصية فلا بد من الحجاب كما قال صلى الله عليه و سلم إذا أراد الله إنفاذ قضائه و قدره سلب ذوي العقول عقولهم حتى إذا أمضى فيهم قدره ردها عليهم ليعتبروا و كذلك حال العارف إذا أراد الله وقوع المخالفة منه و معرفته تمنعه من ذلك فيزين الله له ذلك العمل بتأويل يقع له فيه وجه إلى الحق لا يقصد العارف به انتهاك الحرمة كما فعل آدم كالمجتهد يخطئ فإذا وقع منه المقدور أظهر الله له فساد ذلك التأويل الذي أداه إلى ذلك الفعل كما فعل بآدم فإنه عصى بالتأويل فإذا تحقق بعد الوقوع أنه أخطأ علم أنه عصى فعند ذلك يحكم عليه لسان الظاهر بأنه عاص و هو عاص عند نفسه و أما في حال وقوع الفعل منه فلا لأجل شبهة التأويل كالمجتهد في زمان فتياه بأمر ما اعتقادا منه أن ذلك عين الحكم المشروع في المسألة و في ثاني حال يظهر له بالدليل أنه أخطأ فيكون لسان الظاهر عليه أنه مخطئ في زمان ظهور الدليل لا قبل ذلك فإن كان العارف ممن قيل له على لسان الشارع افعل ما شئت فقد غفرت لك فما عصى لا ظاهرا و لا باطنا عند الله و إن كان لسان الظاهر عليه بالمعصية لأنه لم يدرك نسخ ذلك بالإباحة من الشارع فلسان الظاهر كمجتهد مخطئ بري إصابة غيره من المجتهدين خطأ اعتمادا منه على دليله فمن كان هذا مقامه فما فعل فعلا يوجب له الحياء مع لسان الظاهر عليه بالمعصية فمن تنبيهات الحق التوفيق لإصابة الأدلة كما هي في نفس الأمر ليكون على بصيرة و هو المعتنى به في أول قدم فإذا أورثته العلة علة طهرته فإذا وقع التطهير أنسي ما كان عليه من المخالفة و شغل بما توجه إليه مبسوطا لا مقبوضا و لذلك قال بعضهم في حد التوبة أن تنسى ذنبك و معنى ذلك عند هذا القائل إن الله تعالى إذا قبل توبتك أنساك ذنبك فلم يذكرك إياه فإنك إن ذكرته أحصرته بينك و بين

الحق و هو قبيح الصورة فجعلت بينك و بين الحق صورة قبيحة تؤذن بالبعد فهذا فائدة النسيان لما قال الله لنبيه عليه الصلاة و السلام لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ لم يزل جبريل ينزل عليه في صورة دحية و كان أجمل أهل زمانه يقول له بصورة الحال يا محمد ما بيني و بينك إلا صورة الحسن و الجمال فإن جبريل كان بينه و بين الله و كان من جمال دحية إنه لما ورد إلى المدينة و خرج الناس إليه نساء و رجالا فما رأته حامل إلا ألقت ما في بطنها لما أدركها في نفسها مما رأته من حسن صورته فالله ينسى التائبين من العارفين ذنوبهم السالفة و لهذا غفرت أي سترت عنهم و الستر على نوعين إما أن تستر عنهم جملة واحدة و إما أن تبدل بحسنة فتحسن صورة تلك السيئة بالتوبة فتظهر له حسنة كما قال يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ أي يرد قبحها حسنا فمن تنبيهات الحق قوله تعالى فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ فإذا علموا ذلك أسرعوا في الرجعة إلى الله و سارعوا إليها فهذا قد أبنت لك معنى حال العلة عند الطائفة و ما تؤثر في الرجال

«بسم الله الرحمن الرحيم»

«الباب الثامن و مائتان في حال الانزعاج»

إذا انتبه القلب السليم من النوم — تحرك تحريك انزعاج من الوجد
إلى طلب الأنس الذي قد أقامه — فأول ما يلقي التحقق بالزهد
فيدعي بعبد و هو سيد وقته — و شتان ما بين السيادة و العبد
فيفني به عنه ليبقى بربه — نزيها عن الفصل المقوم و الحد
مع الحد للعهد الذي كان بينهم — و ذلك برهان على كرم الود

اعلم أن الانزعاج عند الطائفة حال انتباه القلب من سنة الغفلة و التحرك للانس و الوجد فالانزعاج حكم العلة على هذا أي العلة أورثته هذا الانزعاج و هو اندفاع النفس من حال صح لها إلى أصلها الذي خرجت عنه لأنه من ذلك الأصل دعاها و الأصل طاهر فهو اندفاع بشهوة شديدة و قوة و لهذا الانزعاج أسباب مختلفة فمنهم من تزعجه الرغبة و منهم من تزعجه الرهبة و منهم من يزعجه التعظيم فأما انزعاجه للانس و الوجد فقد يكون فهما و قد يكون لقاء و قد يكون إلقاء و قد يكون تلقيا فمن ذلك ما يكون عن خاطر إلهي و عن خاطر ملكي و عن خاطر شيطاني و عن خاطر نفسي و لكن لا يكون لهذا الولي عن النفس و الشيطان إلا بفهم يرزقه الله فيه عناية من الله لا إن الشيطان له عليه سلطان بل الشيطان في خدمته و هو لا يشعر و ساع بما يلقي إليه في سره في ارتقاء درجة هذا

الولي من حيث لا يعلم الشيطان و هذا من مكر الله الخفي بإبليس لأنه يسعى في ترقي درجات العارفين من حيث يتخيل أنه ينزلهم عنها و إذا كان الأمر على هذا فلنقل إن حال العلة إذا تحقق في العبد أظهر في النفس انزعاجا و لا بد و انزعاجه أولا إنما هو ليفارق الحال التي كان عليها لما كشف الله عن بصيرته بالعلة فرأى نفسه في محل البعد فانزعج لذلك رغبة في مفارقة ذلك الموطن من غير تعيين حضرة من حضرات القرب فإذا فارق ذلك الموطن بقدم واحدة و زال عن شهوده أخذ نفسه ساعة و استراح و هو ما يجده المريد من اللذة و حلاوة التوبة التي تهون عليه ركوب الشدائد و تسهل عليه صعوبة طريقه يجد كل أحد هذا من نفسه في هذا الحال لا يقدر على إنكاره فإذا فارق موطن المخالفة بانزعاجه و استراح حينئذ يتهدى على نفسه و يفتح عينيه و يعلم أنه قد تخلص مما كان فيه فحينئذ يقوم له ما يؤثر عنده الانزعاج إليه فأول الانزعاج أبدا في هذا الطريق إنما هو منه و في ثاني حال يظهر حكم الانزعاج إليه فإن أقيم له في أول نظرة ما يستحقه جلال الله من التعظيم أو كان هذا الرجل ممن تقدم له العلم بالله من حيث الأدلة النظرية فيكون انزعاجه تعظيما لله لا رغبة فيما عنده بل ينزعج لأداء حق ما تعين عليه لله تعالى و ما تعطيه مرتبة العبد من سيده فما هو مشغول بما ينعم عليه و يرغبه فيه من لذات نفسه بل يرى ما لله عليه من الحقوق فيجهد نفسه في أداء ذلك و هو قوله اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقاتِهِ‌فيعلم أن أحدا لا يطيق ذلك و أن قدر الله أجل و أعلى و أنزه أن يقدره أحد فيؤديه ذلك إلى النظر في نفسه و ما آتاه الله من القوة في ذلك لما علم أن قدر الله ليس في وسع المخلوق القيام به و سمع الله يقول لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها و قال إِلَّا ما آتاها و قال ما اسْتَطَعْتُمْ فانزعج إلى القيام بحق الله على قدر الاستطاعة و ما في وسعه و يتفاضل عباد الله في ذلك على نوعين على قدر ما يكشف لهم من جلال الله و على قدر أمزجتهم فإن الله قد جعل نفس الإنسان و عقله بحكم مزاج جسده فإن نفس الإنسان لا تدرك شيئا إلا بوساطة هذه القوي التي ركب الله في هذه النشأة فهي للنفس كالآلة فإن كانت الآلة مستقيمة على الوزن الصحيح ظهر حسن الصنعة بها إذا كانت النفس عالمة بالصنعة و علمهم على قدر ما يكشف لهم الحق من ذلك في سرائرهم فمنهم من يكشف له فيما تطلبه الذات و منهم من يكشف له فيما تطلبه الأسماء من حيث الدلالات النظرية و منهم من يكشف له فيما تطلبه الأسماء من حيث ما جاءت به الشرائع من المقابل و المقارن فمنهم من يقام على رأس الستين ألفا من المنازل الإلهية و منهم من يقام على رأس مائة ألف و عشرين ألفا من هذه المنازل و منهم من يقام على رأس تسعين ألفا منحصرة في ستة مقامات لا سابع لها و لا يشارك عبد في شيء من هذه المنازل بل يكون فيها كل إنسان منفردا و هو قول الطائفة إن الله لا يتجلى في صورة واحدة لشخصين قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُناسٍ مَشْرَبَهُمْ فهم و إن اجتمعوا في العدد فما لهم اجتماع في الذوق لأنهم لم يجتمعوا في المزاج و لو اجتمعوا في المزاج و هو محال ما تميزوا و لكان العين واحدة و ثم موطن يعطي الظهور في صاحب المنزل الذي كان

على رأس الستين ألفا خلاف هذا و هو في تلك الدرجة عينها فيكون له بدل الستين ألفا عدد آخر يكون مبلغه ثلاثة آلاف ألف و يكون لصاحب التسعين ألفا أربعة ألف ألف و خمسمائة ألف و يكون لصاحب المائة ألف و عشرين ألفا ستة آلاف ألف و هذا لا يكون إلا لأهل الصعود الذين قال الله فيهم إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ و كل من أسرى به سواء كان إسراء روحانيا أو بالجسم فإن له من المنازل هذا العدد الكثير و أما العدد الذي هو أقل منه فذلك للمريدين الذين هم في مقام التربية لا غير و أما حصرهم في ستة لا غير فمن طريقين الطريقة الواحدة نشأتهم القائمة على ست جهات يأتي الشيطان من الأربعة منها و تبقى الاثنان لا سبيل للشيطان عليهما و من هناك يكون مال الناس إلى عموم الرحمة و شمولها لهاتين الجهتين و أما الستة المعنوية فالصفات الستة التي هي النسب الإلهية التي يتعلق الممكن بها و النسبة السابعة ما هي متوجهة على الممكن و إنما ظهرت لصحة هذه الستة خاصة لا لأمر آخر و هي نسبة كونه حيا إذ بهذه النسبة ثبتت الستة و لما كانت الحدود تحفظ الأشياء و لا سيما الحدود الذاتية جعلت خمسة لما كانت الخمسة لها الحفظ فاتسعت الحدود فأعطيت الحدود مقام الخمسة و لتكون الأعيان تامة كاملة النشأة ما فيها نقص و هذا كله إذا لاح للعبد على بعد انزعج إلى طلبه ليحصله إذ كان فيه تعظيم جناب الحق الذي هو مقصود هذا العبد فهذا حكم من أزعجه التعظيم و أما حكم من أزعجته الرغبة فيما عند الله فإن مشهده وَما عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقى و مشهد صاحب التعظيم وَاللهُ خَيْرٌ وَأَبْقى فاعلم أن انزعاج الرغبة بحسب ما تعشق به و رغب فيه و هو على نوعين متخيل و غير متخيل و المتخيل على نوعين النوع الواحد ما أدركه ببعض حواسه أو بجملتها أو أدركه من طريق الخبر فحمله على المعهود من صفة الجنة و ما فيها و غير المتخيل هو ما رغبة فيه من حيث الإجمال و هو ما تحوي عليه الجنة أو تتضمنه مما لا عين رأته و لا أذن سمعته و لا خطر على قلب بشر فقد سمع أن فيها هذا فمثل هذا لا يمكن تخيله فكلما تخيله فقد خطر على قلب بشر فليس ذلك و من طبع النفس إنها تحب أن تعلم ما لم تكن تعلم فهي تحب المزيد بالطبع إلا أنه يختلف تعلقها بما تستزيد منه فالذي تتعشق به منه تطلب المزيد لا من غيره فإن كان الراغب صاحب محبة لله فلا يخلو إما أن يكون عالما بالله أو غير عالم بالله من المحال أن يكون غير عالم بالله لأنه محب و المحب يطلب بذاته محبوبا يتعلق به من قام به حتى يسمى محبا فلا بد أن يكون عالما به غير أن العلماء به على مراتب منهم مؤمنون خاصة فعلموه من جهة الخبر و الأخبار متقابلة فحار المحب فلم ينضبط له صورة في محبوبه و منهم من رجح في الخبر ما أعطاه الخيال فأحب محدودا متصورا تعلق به فمثل هذا يزعجه طلب الوجد و الأنس و الوصال و الرؤية و الحديث على الطريقة المعهودة في الأشكال و الأجناس و هو يتجلى فيها و منهم العلماء به من حيث التجلي بالعلامة فهم فيه بحسب علامتهم و منهم العلماء به عن نظر فكري فلا يقيدوه و يؤمنوا بكل تجل يعطي التقييد و التحديد فيفوتهم من الله

خير كثير فمحبوبهم أقرب إليهم من حَبْلِ الْوَرِيدِ و لكن لا يعلمون أنه هو فمحبوبهم لا يزال ظاهرا لهم و هم لا يعرفونه و هذه الطائفة على نوعين طائفة تقول إنا نطمع أن نرى محبوبنا و طائفة تقول محال رؤية محبوبنا لكن ليس بمحال علمنا به إذ ليست الرؤية مطلوبة لذاتها و إنما هي طريق إلى حصول علم عند الرائي بالمرئي فبأي وجه حصل فهو ذاك و قد علمناه و من علمنا به أن رؤيته من حيث إدراك البصر محال فيئسوا من ذلك فهم في نعيم الياس و الآخرون في نعيم الطمع فالطائفتان يجتمعان في الانزعاج للفهم عنه تعالى مما خاطبهم به في المسمى قرآنا أو حديثا نبويا أو مما ظهر في العالم من آثار القدرة المؤدية إلى عظمته و كبريائه و لطفه و حنانه كل آية و سورة و صورة بما تعطي فيتفاضلون في الفهم فيطلبون المزيد من العلم و هم الأكابر و منهم من يقول قد رويت فلا يطلب المزيد و رأيت منهم جماعة و هم أجهل الطوائف و رأيت أئمة من الأشاعرة على هذه القدم يرون أنهم يعرفون الله كما يعلم نفسه سبحانه من غير مزيد فهؤلاء مستريحون بجهلهم قد يئسنا من فلاحهم و يجتمعان أيضا في الانزعاج إلى اللقاء فمنهم من ينزعج إلى لقائه و منهم من ينزعج إلى لقاء ما يريد منه و يجتمعان أيضا في الانزعاج إلى الإلقاء و إلى التلقي و ينقسمون في ذلك على أقسام فمنهم المتلقي عموما و هو الكبير من الرجال و منهم المتلقي من الملك و من الله المعرض عما يجيء به غير الخاطر الإلهي و غير الملك و منهم من يتلقى الخاطر النفسي مضافا إلى هذين الخاطرين و منهم من يرجح تلقي الخاطر الشيطاني على الملكي و النفسي لكونه مقابلا لأنه إلقاء عدو محض فيلقي خلاف الحق فيريد هذا المتلقي أن يقف على خلاف الحق من حيث ما هو خلاف عند الشيطان و لهذا ألقاه و هذا المتلقي حق كله لأنه نور كله بل هو عين النور فيعرف أن إبليس جهل ما عنده من الحق حيث تخيل أنه ليس بحق فأخذه هذا المتلقي حقا من صورة شيطانية فلم يحصل ما أعطاه الشيطان في صورة ملك و لا في صورة نفس إنسانية و زال حكم الشيطان منه حين قبله هذا المتلقي فإن الشيطان يظن أنه لوهمه أن الذي ألقى إليه أمري وجود و هو عدم عند الشيطان و ما علم مرتبة هذا المتلقي و أنه ما تلقى منه إلا أمرا وجوديا فإذا رآه قد تعشق به عند أخذه و لم ير له انحطاط مرتبة و لا أثر جهل تعجب و نظر من أين أتى عليه في أمره و ما الذي صير ذلك المعدوم موجودا فعلم أن الجهل إنما قام به لا بالمتلقي و أنه هو الذي ألقى إليه الأمر الوجودي على أنه موهوم الوجود لا محقق فرأى أنه قد سعى في مزيد علو رتبته بما أفاده من العلم و هو لا يريد ذلك بل قصد ما يليق به فما علم أنه لعنه الله محل للوجود و إنما تخيل أنه محل لإيهام الوجود لا لتحققه فيكون هذا المتلقي في هذا التلقي خلاقا و هذا أكمل مراتب الأخذ في التلقي و أما انزعاج الرهبة فمثل الرغبة إما رهبة منه و هو قوله و أعوذ بك منك و إما رهبة مما يكون منه من عذاب حسي أو عذاب حجاب و هو عذاب الجهل أو التزين و ليس في الحجب أكثف و لا أقوى من حجاب التزين لأن من زين له جهله فمن المحال طلب الحاصل في زعمه لأنه حاصل عنده و ليس بحاصل في نفس الأمر فمن

أراد أن يعتصم من التزين فليقف عند ظاهر الكتاب و السنة لا يزيد على الظاهر شيئًا فإن التأويل قد يكون من التزين فما أعطاه الظاهر جرى عليه و ما تشابه منه وكل علمه إلى الله و آمن به فهذا متبع ليس للتزين عليه سبيل و لا يقوم عليه حجة عند الله فإن كان من أهل البصائر فهو يدعو إلى الله على بصيرة و يتكلم على بصيرة فقد بريء من التزين فهو صاحب علم صحيح و كان من أهل الزينة لا من أهل التزين فالانزعاج إلى الله قد يكون رهبة من هذا أيضا وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«بسم الله الرحمن الرحيم»

«الباب التاسع و مائتان في المشاهدة»

إذا أشهدت فأثبت يا غلام / يصح لك المكانة و المقام
فتشهده بعقلك في حجاب / و مشهده قوي لا يرام
و تشهده به في كل شيء / و ليس له الوراء و لا الأمام
تؤم به و تقصده و ما هو / بمقصود لنا و هو الإمام
و تسكن عند رؤيته سكونا / يكون به التحقق و السلام

المشاهدة عند الطائفة رؤية الأشياء بدلائل التوحيد و رؤيته في الأشياء و حقيقتها اليقين من غير شك قالت بلقيس كَأَنَّهُ هُوَ و هو كان لم يكن غيره فطلبنا عين السبب الموجب لجهلها به حتى قالت كَأَنَّهُ هُوَ فعلمنا إن ذلك حصل لها من وقوفها مع الحركة المعهودة في قطع المسافة البعيدة و هذا القول الذي صدر منها يدل عندي أنها لم تكن كما قيل متولدة بين الإنس و الجان إذ لو كانت كذلك لما بعد عليها مثل هذا من حيث علمها بأبيها و ما تجده في نفسها من القوة على ذلك حيث كان أبوها من الجان على ما قيل فهذا شهود حاصل و عين مشهودة و علم ما حصل لأن متعلق العلم المطلوب هنا إنما هو نسبة هذا العرش المشهود إليها كما هو في نفس الأمر و لم تعلم ذلك كما إن أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم لما رأت جبريل في صورة دحية ما قالت كأنه هو و إنما قالت هو دحية و لم يكن في نفس الأمر دحية و هذا على النقيض من قصة بلقيس و اشتركا في الشهود و عدم العلم بالمشهود من حيث نسبته لا من حيث ما شوهد و السبب في هذا الجهل أنهم ما علموا من دحية إلا الصورة الجسدية لا غير فما علموا دحية على الحقيقة و إنما علموا صورة الجسم التي انطلق عليها اسم دحية و على الحقيقة ما انطلق الاسم إلا على الجملة فتخيلوا لما شاهدوا الصورة أن الكل تابع لهذه الصورة و ليس الأمر كذلك فإن البصر يقصر عن إدراك الفارق بين القوتين في الشبه إذا حضر أحدهما دون الآخر فلو حضرا معا عنده لفرق بينهما بالمكان و

المسألة في نفسها شديدة الغموض و لا سيما في العلم الإلهي لأن النفس الناطقة التي هي روح الإنسان المسماة زيد إلا يستحيل عليها إن تدبر صورتين جسميتين فصاعدا إلى آلاف من الصور الجسمية و كل صورة هي زيد عينها ليست غير زيد و لو اختلفت الصور أو تشابهت لكان المرئي المشهود عين زيد كما تقول في جسم زيد الواحد مع اختلاف أعضائه في الصورة من رأس و جبين و حاجب و عين و وجنة و خد و أنف و فم و عنق و يد و رجل و غير ذلك من جميع أعضائه أي شيء شاهدت منه تقول فيه رأيت زيدا و تصدق كذلك تلك الصور إذا وقعت و يدبرها روح واحد إلا إن الخلل وقع هنا عند الرؤية لعدم اتصال الصور كاتصال الأعضاء في الجسم الواحد فلو شاهد الاتصال الذي بين الصور لقال في كل صورة شهدها هذا زيد كما يفعل المكاشف إذا شاهد نفسه في كل طبقة من طباق الأفلاك لأن له في كل فلك صورة تدبر تلك الصور روح واحدة و هي روح زيد مثلا و هذا شهود حق في خلق قالت الطائفة في المشاهدة إنها تطلق بإزاء ثلاثة معان منها مشاهدة الخلق في الحق و هي رؤية الأشياء بدلائل التوحيد كما قدمناه و منها مشاهدة الحق في الخلق و هي رؤية الحق في الأشياء و منها مشاهدة الحق بلا الخلق و هي حقيقة اليقين بلا شك فأما قولهم رؤية الأشياء بدلائل التوحيد فإنهم يريدون أحدية كل موجود ذلك عين الدليل على أحدية الحق فهذا دليل على أحديته لا على عينه و أما إشارتهم إلى رؤية الحق في الأشياء فهو الوجه الذي له سبحانه في كل شيء و هو قوله إِذا أَرَدْناهُ فذلك التوجه هو الوجه الذي له في الأشياء فنفى الأثر فيه عن السبب إن كان أوجده عند سبب مخلوق و أما قولهم حقيقة اليقين بلا شك و لا ارتياب إذا لم تكن المشاهدة في حضرة التمثل كالتجلي الإلهي في الدار الآخرة الذي ينكرونه فإذا تحول لهم في علامة يعرفونه بها أقروا به و عرفوه و هو عين الأول المنكور و هو هذا الآخر المعروف فما أقروا إلا بالعلامة لا به فما عرفوا إلا محصورا فما عرفوا الحق و لهذا فرقنا بين الرؤية و المشاهدة و قلنا في المشاهدة إنها شهود الشاهد الذي في القلب من الحق و هو الذي قيد بالعلامة و الرؤية ليست كذلك و لهذا قال موسى رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ و ما قال أشهدني فإنه مشهود له ما غاب عنه و كيف يغيب عن الأنبياء و ليس يغيب عن الأولياء العارفين به فقال له لَنْ تَرانِي و لم يكن الجبل بأكرم على الله تعالى من موسى و إنما أحاله على الجبل لما قد ذكر سبحانه في قوله لَخَلْقُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِن خَلْقِ النّاسِ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ و الجبل من الأرض و موسى من الناس فخلق الجبل أكبر من خلق موسى من طريق المعنى أي نسبة الأرض و السماء إلى جانب الحق أكبر من خلق الناس من حيث ما فيهم من سماء و أرض فإنها في السماء و الأرض معنى و صورة و هما في الناس معنى لا صورة و الجامع بين المعنى و الصورة أكبر في الدلالة ممن انفرد بأحدهما و لهذا قال وَلكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ فالحمد لله الذي جعلنا من القليل الذي يعلم ذلك فجمع الجبل بين الصورة و المعنى فهو أكبر من جبل موسى المعنوي إذ هو نسخة من العالم كما هو

كل إنسان فإذا كان الجامع بين الأمرين و هو الأقوى و الأحق باسم الجبل صار دكا عند التجلي فكيف يكون موسى حيث جبليته التي هي فيه معنى لا صورة و لما كانت الرؤية لا تصح إلا لمن يثبت لها إذا وقعت و الجبل موصوف بالثبوت في نفسه و بالإثبات لغيره إذ كان الجبل هو الذي يسكن ميد الأرض و يقال فلان جبل من الجبال إذا كان يثبت عند الشدائد و الأمور العظام فلهذا أحاله على الجبل الذي من صفاته الثبوت فإن ثبت الجبل إذا تجليت إليه فإنك ستراني من حيث ما فيك من ثبوت الجبل

فرؤية الله لا تطاق فإنها كلها محاق
فلو أطاق الشهود خلق أطاقه الأرض و الطباق
فلم تكن رؤيتي شهودا و إنما ذلك انفهاق

قيل لرسول الله صلى الله عليه و سلم أ رأيت ربك قال نوراني أراه و ذلك أن الكون ظلمة و النور هو الحق المبين و النور و الظلمة لا يجتمعان كما لا يجتمع الليل و النهار بل كل واحد منهما يغطي صاحبه و يظهر نفسه فمن رأى النهار لم ير الليل و من رأى الليل لم ير النهار فالأمر ظاهر و باطن و هو الظاهر و الباطن فحق و خلق فإن شهدت خلقا لم تر حقا و إن شهدت حقا لم تر خلقا فلا تشهد خلقا و حقا أبدا لكن يشهد هذا في هذا و هذا في هذا شهود علم لأنه غشاء و مغشي

«بسم الله الرحمن الرحيم»

«الباب العاشر و مائتان في المكاشفة»

إذا الحق أعطاك أسماءه فخذها أمانة من قد فهم
بأن الأمانة محمولة و حاملها جاهل قد ظلم
فإن أنت أفهمت مقصوده فأنت المكاشف فلتلتزم
بأحكامها فمتى ما دعي بها فأجب أمره و احتشم
من أجل التصرف فيها و لم يكن ينبغي لك أن تحتكم
فإنك عبد و أسماؤه ربوبية عرضت فاحترم
مقام الأمانة أوردها إلى ربها أولا و اعتصم
بما زادك الحال في أمرها و حقق إشارتها و اغتنم

فهذي مكاشفة ترتضي		و صاحبها سيد قد عصم

اعلم أن المكاشفة عند القوم تطلق بإزاء الأمانة بالفهم و تطلق بإزاء تحقيق زيادة الحال و تطلق بإزاء تحقيق الإشارة اعلم أن المكاشفة متعلقها المعاني و المشاهدة متعلقها الذوات فالمشاهدة للمسمى و المكاشفة لحكم الأسماء و المكاشفة عندنا أتم من المشاهدة إلا لو صحت مشاهدة ذات الحق لكانت المشاهدة أتم و هي لا تصح فلذلك قلنا المكاشفة أتم لأنها ألطف فالمكاشفة تلطف الكثيف و المشاهدة تكثف اللطيف و بقولنا هذا تقول طائفة كبيرة من أهل الله مثل أبي حامد و ابن فورك و المنذري و قالت طائفة بالنقيض و إنما قلنا إنها أتم لأنه ما من أمر تشهده إلا و له حكم زائد على ما وقع عليه الشهود لا يدرك إلا بالكشف فإن أقيم لك ذلك الأمر في الشهود من حيث ذاته صحب ذلك المشهود حكم و لا بد لا يدرك إلا بالكشف هكذا أبدا فالمكاشفة إدراك معنوي فهي مختصة بالمعاني و مثال ذلك إذا شاهدت متحركا يطلب بالكشف محركه لأنه يعلم أن له محركا كشفا و لهذا يتعلق العلم بمعلومين و يتعلق البصر الذي هو للمشاهدة بمعلوم واحد فيدرك بالكشف ما لا يدرك بالشهود و يفصل الكشف ما هو مجمل في الشهود فالمكاشفة كما قلنا على ثلاثة معان مكاشفة بالعلم و مكاشفة بالحال و مكاشفة بالوجد فأما مكاشفة العلم هي تحقيق الأمانة بالفهم و هو أن تعرف من المشهود لما تجلى لك ما أراد بذلك التجلي لك لأنه ما تجلى لك إلا ليفهمك ما ليس عندك فالمشاهدة طريق إلى العلم و الكشف غاية ذلك الطريق و هو حصول العلم في النفس و كذلك إذا خاطبك فقد أسمعك خطابه و هو شهود سمعي فإن المشاهدة آتذا للقوى الحسية لا غير و الكشف للقوى المعنوية فما أسمعك إلا لتفهم عنه و إذا أفهمك بأي نوع تجلى لك من إدراك صور الحواس فإنما ذلك الفهم أمانة منه عندك لتلك الأمانة أهل لا ينبغي لك أن تودعها إلا لأهلها و إن لم تفعل فأنت خائن و قال عليه السلام المجالس بالأمانة أي لا تحدث بما وقع في المجالس إلا لمن أعطاك الله الفهم منها من ينبغي أن تتحدث معه بما وقع فيها فذلك أهلها و إذا حدثك إنسان و رأيته يلتفت فاعلم إن ذلك الحديث أمانة أودعها إياك فحظ المشاهدة ما أبصرت و ما سمعت و ما طعمت و ما شممت و ما لمست و حظ الكشف ما فهمت من ذلك كله و ما فهمت فهو أمانة و إذا كان أمانة حكم عليك الأمر الإلهي بأدائها إلى أهلها أو ردها و ردها أن تتناساها إذ ما قد علمت لا تقدر على جهله فتجعل نفسك كأنك ما أبصرت و ما سمعت و هذا باب صعب جدا على العارفين يحتاج إلى أدب و حفظ و مراعاة حد فإنه ليس بينه و بين الكذب إلا حجاب واحد و كذلك الخيانة ليس بينه و بينها إلا حجاب واحد و مراعاة الحد تحول بينك و بين الخيانة و الكذب فأما علم هذا فهو إذا سألك من يكرم عليك عما تحملته أمانة من شهود بصرك أو سمعك أو ما كان من قوى حواسك و السائل ليس من أهله و معنى ليس من أهله أن الذي أعطاك هذه الأمانة علمت منه لمن أراد أن

توصلها إليه فإن أجبت السائل لكرامته عليك فقد خنت و إن لم تجب و عدلت في الجواب إلى أمر آخر يقنع به السائل و لو عرف ما سترت عنه عز عليه ذلك فقد كذبت كمسألة الخليل في الكذبات الثلاث أثرت عنده في القيامة فاستحيا من الله أن يكلمه في فتح باب الشفاعة مع القصد الجميل في ذلك و الصدق في دلالة اللفظ و لكن لم يكن ذلك مقصود المخاطب فسمي كذبا فانظر ما أخطر هذا الموضع و إن قلت ما عندي خبر كذبت أشد من التعريض و الحق أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ و جواب الصادقين عن ذلك الذين آثروا الحق على غيره أن يقولوا للسائل إن الذي سألت عنه لنا وجوه في الجواب عنه فلا أدري عن أي وجه سألت لتعلمه فإن قال لك فصل الوجوه قل له أنت ابن لي عن مقصودك فإذا قال لك مقصوده من الجواب فإن كان مما يدخل في الأمانة فقل له إنه أمانة أخذ علينا العهد في حفظها و حق الله أحق أن يراعى و لا تستحي في ذلك منه و إن كرم عليك أو كان ذا سلطان و لا يكون السموأل اليهودي المحجوب أوفى منك و أنت العارف المشاهد حتى ضرب به المثل في الوفاء و إن ذكر هذا السائل وجه مطلوبه من حيث لا تعلق له بالأمانة فأجبه و لا بد لينتفع و لا تعطه ما ليس في وسعه حمله فيعود وباله عليك فهذا معنى قولهم تحقيق الأمانة بالفهم و أما المكاشفة بالحال و هي تحقيق زيادة الحال فاعلم إن كل متصف بصفة في كل وقت فإن تلك الصفة هي حاله في ذلك الوقت أي صفة كانت و لهذا لا يأتي الحال إلا بعد تمام الكلام أي لو لم تذكر لأفاد الكلام دونها فإن كانت هي المقصودة بالإخبار عنها فما أفاد الكلام بالنظر إلى قصد المخبر تقول رأيت زيدا فاستقل الكلام و تم ثم بعد ذلك زدت راكبا فتقول رأيت زيدا راكبا أي في حال ركوبه فإن كان مقصودك التعريف برؤيتك إياه راكبا فما تم الكلام بهذا الاعتبار أي ما حصلت الفائدة التي اعتبرتها و قصدتها و لكن حصلت فائدة بالجملة و هي رؤية زيد أنك رأيته و لم تذكر على أي حالة فهذا معنى تحقيق زيادة الحال أن يتحقق إن الحال زائدة على ما تقع به الفائدة مطلقا من غير نظر إلى قصد و هذا راجع إلى الأول الذي هو تحقيق الأمانة بالفهم فلو لقيك أحد سألك هل رأيت زيدا فقلت له رأيته ثم زدت حالا لم يسألك عنها فقلت له مسافرا و كان في نفسه عند سؤاله هل رأيت زيدا حتى يعلم أنه في البلد فيجتمع به فلما قلت له مسافرا أعلمته بهذه الزيادة التي هي زيادة الحال بسفره فارحته من طلب الاجتماع به إذ لا يتمكن له ذلك مع كونه ليس في البلد فهذا و أمثاله من زيادة الحال و أما في طريق أهل الله فزيادة الحال هي أن تشهد ذاتا ما على حال ما فتطلع من ذلك الحال إلى ما يؤول إليه أمره لأجل ذلك الحال فسمى مثل هذا زيادة الحال و مكاشفة بالحال مثال ذلك أن تشاهد ذاتا ما على حال خاص من حركة أو سكون أو صفة ملائمة طبع الناظر أو غير ملائمة فتعرف من ذلك الحال أمرا زائدا و هو أن ذلك الحال يؤدي في حق المدرك له ودا أو بغضا أو كراهة أو ما كان فهذه زيادة الحال التي أعطاك و بهذا يقع العلم بالمنزلة عند الله قال بعضهم إني لأعرف متى يحبني ربي فقيل له و من أين لك معرفة ذلك فقال هو عرفني به

فقيل له أوحي بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم قال قوله فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ و أنا في هذه الساعة في حال اتباع لما شرع و هو صادق القول فأعطاني الحال إن الله محب لي في هذه الساعة لكونى مجلى لما أحب و هو تعالى ناظر إلى محبوبه و محبوبه ما أنا عليه فأضاف تعلق المحبة التي تصيرني محبوبا بالاتباع و أما المكاشفة بالوجد و هي تحقيق الإشارة أعني إشارة المجلس لا الإشارة التي هي نداء على رأس البعد لأنه لا يبلغ مداها الصوت و ذلك أن مجالس الحق على نوعين النوع الواحد لا يتمكن فيه إلا الخلوة به تعالى فهذا لا تقع فيه الإشارة و ذلك إذا جالسته من حيث هو له على علمه به و النوع الثاني ما تمكن فيه المشاركة في المجلس و هو إذا تجلى للعبد في صورة أمكن أن تحضر في تلك المجالسة جماعة قلوا أو كثروا و لو كان واحدا زائدا على هذا الجليس ففي مثل هذا المجلس تكون الإشارة فإن الجليس الآخر فما زاد لا يمكن أن يجتمعا على قدم واحدة حتى لو اطلع كل واحد من الجلساء على حال الآخر مع الله ما احتمله و كفر به و أنكره و قال هذا إبليس فلا بد إذا وقع الإفهام من الله لكل جليس له في هذه الحضرة و المجلس الصوري أن يكون بالإشارة لا بالتصريح فيفهم كل إنسان من تلك الإشارة ما في وسعه فالكلمة عنده تعالى واحدة و بالنظر إلى الجلساء كلمات كثيرة فينصرف كل جليس راضيا يزعم أنه أخص من الباقين و لله رجال أعطاهم من الفهم و الاتساع و حفظ الأمانة أن يفهموا عن الله في مثل هذه المجالس جميع إشارات كل مشار إليه و هم الذين يعرفونه في تجلى الإنكار و الشاهدون إياه في كل اعتقاد و الحمد لله الذي جعلنا منهم إنه ولي ذلك و هذا القدر كاف انتهى السفر السابع عشر بانتهاء الباب العاشر و مائتين

(«بسم الله الرحمن الرحيم»)

«الباب الحادي عشر و مائتان في اللوائح»

لوائح الحق ما تبدو لأسرار	من السمو و من حال إلى حال
و قد تكون بما يبدو لناظره	من غير جارحة بالعلم و الحال
من النعوت التي يعطيك شاهدها	دليلها إنها في الآل كالآل

اعلم أن اللوائح عند القوم ما يلوح إلى الأسرار الظاهرة من السمو من حال إلى حال و عندنا ما يلوح للبصر إذا لم يتقيد بالجارحة من الأنوار الذاتية و السبحات الوجهية من جهة الإثبات لا من جهة السلب و ما يلوح من أنوار الأسماء الإلهية عند مشاهدة آثارها فيعلم بأنوارها أما السمو من حال إلى حال هو أن لا يرجع إلى الحال الذي انتقل عنه في الحال الذي هو فيه إذا انتقل عنه إلى ما هو فوقه و المراد بذلك ما يأتي به الحال من الواردات الإلهية و المعرفة بالله و هي المنازل ما هي الكرامات فإن الأحوال قد تعود مرارا و لكن لا يحمد

صاحبها فيها إلا إذا زادته علما بالله لم يكن عنده لا بد من ذلك و تلك الزيادة هي اللائحة فإن لم ترقه تلك الزيادة في الحال فليست بلائحة مع صحة الحال و الحال كونك باقيا أو فانيا أو صاحيا أو سكران أو في جمع أو تفرقة أو في غيبة أو في حضور و الأحوال معروفة و هي الأبواب التي ذكرناها في هذا الفصل و فيها أمر الله نبيه صلى الله عليه و سلم أن يقول وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً يرقى به عنده منزلة لم تكن له و هذه الأحوال لا يختص بها البشر و لا موطن الدنيا بل هي دائمة أبدا في الدنيا و الآخرة و هي لكل مخلوق فاللوائح كأنها مبادي الكشوف و لهذا قد تثبت و قد يسرع زوالها إلا أنه لا بد لها فيمن تلوح له من زيادة علم يرقى به درجة عند الله تعالى هذا يشترط في اللوائح و قلنا من شرط اللائحة أن يكون الإدراك بالبصر لا بالبصيرة في الحال الذي لا يتقيد البصر بالجارحة المقيدة بالجهة المخصوصة بل بحقيقة البصر المنسوب إلى النفس الناطقة ثم يزاد إلى ذلك أمر آخر و هو أن يكون الحق بصره فهو الشاهد له و البينة من ربه على إن بصره لم يتقيد بالجارحة و قد صح هذا المقام عن رسول الله صلى الله عليه و سلم كما صح عنه لما سئل عن رؤية ربه بعينه المقيدة ذات الطبقات فقيل له هل رأيت ربك أراد السائل رؤية البصر المقيدة بالجارحة فقال نوراني أراه أي نور هذا الإدراك يضعف عن ذلك النور الإلهي و إن كان للبصر المقيد إدراك في النور الإلهي على حد مخصوص فإن النور الإلهي كما قيل التشبيه بالمصباح الوارد في القرآن على الصفات المخصوصة المذكورة كذلك يقبل إدراك البصر إياه إذا حصل تلك الشرائط كلها فتدبرها في نفسك و يخرج قوله لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ على وجهين الوجه الواحد أنه نفى أن تدركه الأبصار على طريق التنبيه على الحقائق و إنما يدركه المبصرون بالأبصار لا الأبصار و الوجه الثاني لا تدركه الأبصار المقيدة بالجارحة كما قررنا فإذا لم تتقيد أدركته و هو عين النور الذي وقع فيه التشبيه بالمصباح و هو النور الذي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فلا يقبل التشبيه لأنه لا صفة له و كل من له صفة فإنه يقبل التشبيه لأن الصفات تتنوع في القابلين لها بحسب ما تعطيه حقيقة الموصوف كالعلم يتصف به الحق و السمع و البصر و القدرة و الإرادة و القول و غير ذلك من الصفات و يتصف بها المخلوق و معلوم أن نسبتها إلى المخلوق لا تكون على حد نسبتها إلى الخالق بل نسبتها إلى البشر تخالف نسبتها إلى الملك و كلاهما مخلوقان فاعلم ذلك فهذه اللوائح التي تلوح للبصر مشاهد ذاتية ثبوتية ما هي سلبية فإن الوصف السلبي ليس من إدراك البصر بل ذلك من إدراك العقول و ما يدرك بالعقل لا يدخل في اللوائح و أما ما يلوح من أنوار الأسماء الإلهية عند مشاهدة آثارها فتعلم بأنوارها أي تظهرها أنوارها فالاسم الإلهي روح لأثره و أثره صورته و البصر لا يقع من الاسم إلا على أثره الذي هو صورته كما تقع على صورة زيد الجسمية و يصح أن يقال رأى زيدا من غير تأويل و يصدق مع كون زيد له روح مدبرة غيب فيه لها صورة و هي جسديتها فأثر الأسماء الإلهية صور الأسماء فمن شاهد الآثار فقد صدق في أنه شاهد الأسماء فلوائحها أن تجمع بين نسبة ذلك الأثر

المشهود و بين الاسم الذي هو روح صورة ذلك الأثر كما ترى شخصا و لكن لا تعرف أنه زيد المطلوب عندك و يراه آخر ممن يعرفه فيعرف أنه رأى زيدا فهذا العارف هو صاحب اللوائح و الآخر ليس هو من أصحاب اللوائح لأنه ما لاح له ارتباط الاسم بهذه الصورة و الفرق بين الشخصين المدركين معلوم فما كل من رأى علم ما رأى فهذه اللوائح الحالية لمن أراد معرفتها على الاختصار و الاقتصاد وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثاني عشر و مائتان في التلوين»

إن التلون من حال إلى حال دليل صدق على العالي من الحالي

ضد العاطل

فمن تحقق بالأنفاس يعرفه بالحال فيه كمثل الحال في الحال

الوقت

فالفعل ماض و آت ثم بينهما فعل يسمى بفعل الآن و الحال

حال أهل النحو

فالحال زائلة و الحال دائمة و هو الصحيح الذي قد قيل في الحال

حال أهل النظر

اعلم أن التلوين عند أكثر الجماعة مقام ناقص و هو تلون العبد في أحواله و أنشدوا في ذلك

كل يوم تتلون غير هذا بك أجمل

إلى أن قال بعضهم علامة الحقيقة رفع التلوين بظهور الاستقامة فلو لم يزد بظهور الاستقامة لكان قد نبه على علم غامض محقق فلما زاد هذه اللفظة أفسد الأمر و التحق في حده بالقائلين بنقصه و قالت طائفة بل التلوين هو علامة على صاحبه بأنه متحقق محقق كامل إلهي و هو الذي أرتضيه و هو مذهبي و به أقول و على قدر تمكنه في التلوين يكون كماله و بهذا نحد التمكين فنقول التمكين في التلوين هو التمكين فمن لم يتمكن لم يتلون الأمر عنده و آيته من كتاب الله كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ فنكر و قالت هذه الطائفة في التلوين بزيادة لو سكتت عنها لكان أولى إذ ليس للتقييد بها تلك الفائدة و هو قولها لأن في التلوين إظهار قدرة القادر فيكشف منه العبد الغيرية و هذه الزيادة إجمالية تدل على ما ذهبنا إليه و التلوين نعت إلهي و كل نعت إلهي كمال إذ لا يتصور في ذلك الجناب نقص أصلا بوجه و لا نسبة و ما

تكمل المقامات و الأمر إلا أن تكون من النعوت الإلهية فإن الكمال لله على الإطلاق و هو قوله في استشهادنا يَسْئَلُهُ من في السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ في شَأْنٍ و ليس التلوين غير هذا فيدخل في مذهبنا مذهب الجماعة فإنه أعم و أكبر إحاطة و لا يدخل مذهبنا في مذهبهم اعلم أنه من علم إن الاتساع الإلهي لا يقتضي أن يكون شيء في الوجود مكررا علم إن التلوين هو الصحيح في الكون فإنه دليل على السعة الإلهية فمن لم يقف من نفسه و لا من غيره على اختلاف آثا ر الحق فيه في كل نفس فلا معرفة له بالله و ما هو من أهل هذا المقام و هو من أهل الجهل بالله و بنفسه و بالعالم فليبك على نفسه فقد خسر حياته و ما أورثهم هذا الجهل إلا التشابه فإن الفا رق قد يخفى بحيث لا يشعر به فلا أقل أن يعلم أن ثم ما لا يشعر به فيكون عالما بأنه متلون في نفسه و لا يعرف فيما تلون و لا ما ورد عليه قال تعالى وَ أُتُوا به مُتَشابِهاً أي يشبه بعضه بعضا فيتخيل إن الثاني عين الأول و ليس كذلك بل هو مثله و الفا رق بين المثلين في أشياء يعسر إدراكه بالمشاهدة إلا من شاهد الحق أو تحقق بمشاهدة الحرباء فلا دليل من الحيوانات على نعت الحق ب كُلَّ يَوْمٍ هُوَ في شَأْنٍ أدل من الحرباء فما في العالم صفة و لا حال تبقى زمانين و لا صورة تظهر مرتين و العلم يصحب الأول و الآخر ف هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظّاهِرُ وَ الْباطِنُ فلون و وحد الهوية في الكثرة فمن لم يقد ر على تقرير الوحدة في الكثرة جعل هذه الصفات نسبا و إضافات لوجوه مختلفة و هذا مذهب النظا ر و أما الطائفة فأقرت الهوية و الوحدة و جعلت الوجه الذي هو منه أول هو عينه منه آخر و ظاهر و باطن صرح بذلك أبو سعيد الخراز فرجال الله ما أثبتوا للحق إلا ما هم عليه و لا يثبت في الكون و في جميع المخلوقات إلا ما هو الحق عليه فا رتبط الكل بالكل و ضرب الواحد في الواحد فلم يتضاعف بل هو عين ما ضرب و كذلك ما يضرب في الواحد أو يضرب الواحد فيه من واحد أو كثرة لا يتضاعف بل هو عين ما ضرب فهكذا الأمر فالتلوين ضرب الواحد في الكثرة فلا يظهر سوى عين تلك الكثرة المضروب فيها الواحد أو المضروبة في الواحد و الحق واحد بلا شك و ضرب الشيء في الشيء نسبته إليه و نحن كثيرون عن عين واحدة جلت و تعالت انتسبت إلينا إيجادا و انتسبنا إليها وجودا فمن عرف نفسه خلقا و موجودا عرف الحق خالقا موجدا فإذا نظرت إلى أحدية العالم ضربت الواحد في الواحد و إذا نظرت إلى العالم ضربت الواحد في الكثير و العالم أثر أسمائه و الأثر كما قدمنا صورة الاسم في اللوائح فما ضربت أحدية الحق إلا في صور أسمائه فما زلت عنه فلم يخرج بعد الضرب إلا هو و الأسماء كثيرة كذا ورد الخبر الإلهي فيها من التسعة و التسعين فما فوقها مما يعلم و مما لا يعلم و العين واحدة و الألوان مراتب و التلوين نسبة إليها فإن قلت واحد صدقت و إن قلت كثيرون صدقت فإن أسماء الله كثيرة لمعان مختلفة و الله الهادي

«بسم الله الرحمن الرحيم»

«الباب الثالث عشر و مائتان في حال الغيرة»

شعر في المعنى

إن التغير حال كونه خطر	ما بين علم و حكم يذهب الناس
إن قال ما ذا بحكم رده علم	من الحقيقة ردا فيه إفلاس
كذاك ذو الكم ممن فهو أجهل من	لم يهده في ظلام الليل نبراس
و ضنة الحق أولى أن تنزهه	عنها فليس لذاك الحكم إيناس

اعلم أنه لما كانت الغيرة عند الطائفة على ثلاثة مقامات غيرة في الحق و غيرة على الحق و غيرة من الحق كان لها ثلاثة أحوال بحسب ما تنسب إليه من أجل التجانس فأما الغيرة فأصلها مشاهدة الغير إذا ثبت أن ثم غيرا فإذا ثبت صح ما قلناه عنهم من التفاصيل و أعني بثبوته عين وجود الغير لا عين معقوليته فإنه معقول بلا شك و لكن هل هو موجود العين هذا الغير المعقول أم لا فمن قال بالظاهر في المظاهر لم يقل بوجود الغير مع ثبوت حكمه و حاله المعبر عن ذلك بالغيرة و هو أثر استعداد المظاهر في الظاهر و الغير موجب الكثرة عينا أو حالا لا بد من ذلك و الكثرة معقولة بلا شك و لكن هل لها وجود عيني أم لا فيه نظر فمن قال إن هذه الكثرة الظاهرة في العين أحوال مختلفة قائمة بعين واحدة لا وجود لها إلا في تلك العين فهي نسب فلا حقيقة لها عينية في الوجود العيني و من قال إن لها أعيانا لم يقل بالعين الواحدة و لا بالظاهر في المظاهر لأن الكثير مشهود لا الكثرة فالكثرة معقولة و الكثير موجود مشهود فمن هنا ظهر حكم حال الغيرة في الأشياء و اتصف بالغيرة إلا له و الشيء لا يكون غير نفسه إلا إذا كان الشيء أشياء فيكون كل شيء غيرا للشيء الآخر و الحق ليس بأشياء فلا يقبل الغير و قد اتصف بأنه غيور و من غيرته حرم الفواحش فتدبر ما ذكرناه حتى تعرف ما الفاحشة و ما الفعل المسمى فاحشة و غير فاحشة فالغير على الحقيقة ثابت لا ثابت هو لا هو فأما حال الغيرة في الحق و هي الغيرة التي تكون عند رؤية المنكر و الفواحش و هي التي اتصف الحق بها و الملأ الأعلى و الرسل و صالحو المؤمنين على إن الغيرة مركوزة في الطبع فلا بد منها إلا أنها تنقسم إلى محمود و مذموم و كلامنا في المحمود منها و هي الغيرة في الحق و هي من أشكل المسائل فإنه تعالى من غيرته حرم الفواحش ثم إذا وقعت الفواحش في الكون لم نره يسرع بالأخذ عليها لا دنيا و لا آخرة فعلمنا إن ثم مانعا أقوى يمنع من ذلك يكون ذلك المانع أعظم إحاطة و تكون نسبته إلى الغيرة نسبة العلم الإلهي إلى القدرة الإلهية فإن القدرة و إن تعلقت بما لا يتناهى من الممكنات فلا تشك أن العلم أكثر إحاطة منها لأنه يتعلق بها و بالممكنات و الواجبات و المستحيلات و الكائنات و غير الكائنات مع ما يعطي الدليل أن ما لا

يتناهى لا يفضل ما لا يتناهى كذلك السبب الموجب لترك المؤاخذة على ما يقع عمن يأتي ما وقعت عليه الغيرة و لا بد أن يكون أقوى من حال الغيرة هذا كله في حق الحق و أما في حق المخلوق فلا بد من تغيير النفس و هو مكلف بها في الحق لا بد من ذلك و مذموم من لم يجد ذلك من المكلفين فإنه مخاطب بتغييره من يده بالفعل إلى لسانه بالقول إلى وجود ذلك في النفس و هو أضعف الايمان في الزمان لا في نفس الغيور فحال الغيرة هو ما يجده الغيور من اختلاف الأمر عليه في نفسه عند وقوع ما لا يرضى الله سواء وقع ذلك منه أو من غيره بل من هذه صفته هو معصوم فإن من وقع منه ما يوجب الغيرة و لا يغار و إذا رأى ذلك من الغير أدركته الغيرة فليست بغيرة حقية إلهية و إنما هي غيرة نفسية لا قربة فيها إلى الله تعالى تلك هي الغيرة الإلهية الصحيحة و لكن لا يشعر بها كثير من أهل الله إلا من عرف الحق حق معرفته فإن الله هو الغيور الأعظم في الغيرة من المخلوق و هو الفاعل للأمر الذي يوجب الغيرة و لا يؤاخذ على ذلك أخذ عموم فكذلك من توجد منه الغيرة في حق زيد لفعل خاص و إذا وقع منه ذلك الفعل لا يجد غيرة فلهذا قلنا صاحب هذا الحال أحق و أقرب للاتصاف بالنعت الإلهي بالغيرة من الذي يغار مطلقا في حق نفسه و غيره و من أجل ذلك سمي معصوما أو محفوظا فلم يقع منه ما يوجب الغيرة و هو السعيد في العموم المثنى عليه في الشرع و الآخر يذم كما يذم الجبار من المخلوقين و إن كان الجبروت وصفا إلهيا كذلك خصوص الغيرة لا ينبغي للمؤمن أن يتصف بذلك بل تعم غيرته في الحق و حينئذ يحمده الله تعالى و يثني عليه فقد نبهتك على سر من أسرار الغيرة لتستريح إليه إن تفطنت له و لا تستعمله فتشقى بل كن لله غيورا في الحق مطلقا من غير تقييد و أما حال الغيرة على الحق و هي كتمان السرائر و الأسرار و تلك حالة الأخفياء الأبرياء من الملامية المجهولين المجهولة مقاماتهم فلا يظهر عليهم أمر إلهي يعرف به إن لله عناية بهم فأحوالهم تستر مقامهم لحكمة الموطن فإنهم لا يظهرون في محل النزاع إذ كان سيدهم و هو الله تعالى قد نوزع في ألوهيته في هذه الدار و هذه الطائفة متحققة بسيدها فمنعهم ذلك التحقق أن يظهروا في الموطن الذي استتر سيدهم فيه فجروا مع العامة على ما هي العامة عليه من ظاهر الطاعات التي لم تجر العادة في العرف أن يسموا بها أنهم من أهل الله لأنهم ما ظهر منهم ما يتميزون به عن العامة من الأفعال كما ظهر من بعض الأولياء من خرق العوائد في الأحوال أو من تتبع تغيير المنكرات إذا بدت تغييرا يتميز به عن التغيير العام بحيث أن يشار إليه فيه فهذه حال الغيرة على الحق و أما حال الغيرة من الحق و هي ضنته بأوليائه حيث سترهم عن سائر عباده فحبب إليهم الستر و وفقهم للمعرفة بحكم الموطن فاتصفوا بصفة سيدهم فكانوا عنده خلف حجب العوائد فهم ضنائن الله و عرائسه فهم عنده كهو عندهم فما يشاهدون سواه و لا ينظر هو إلا إليهم فمن أراد أن يعرفهم فليسلك مسلك الغيرة على الحق فينتظم في سلكهم و أما قول بعضهم في الغيرة على الحق أن يذكر بالسنة الغافلين فكل لسان ذكره فليس بغافل بل له ثمرة صحيحة ينالها الذاكر و هو

اللسان و إن لم تقرن به نية من نفس صاحب ذلك اللسان فما ذكره ذاكر بغفلة قط بل ذلك من قوله تعالى وَإِنْ من شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ مثل هؤلاء فصاحب هذا القول لا حظ له في الرجولة و كذلك قول الآخر أغار على ذلك الجمال الأنزه عن نظر مثلي يا ليت شعري و أي نظر لك و أين الموجود الذي له نظر من ذاته و هل ينظره إلا هو يا أيها المشرك أما تستحيي أن تقول مثل هذا القول فحال الغيرة من الحق أن تكون حقا و تقوم فيها بنسبتها إلى الحق فتنظر ما الغيرة منه فتكون على ذلك و مع هذا على كل وجه فإنه يطلب ثبوت الغير و التفرقة بين الأشياء و التميز فتحفظ في ذلك من إثبات وجود عين زائدة أو من نفي عيون كثيرة في غير وجود عيني فأثبت الكثرة في الثبوت و أنفها من الوجود و أثبت الوحدة في الوجود و أنفها من الثبوت فاعلم ذلك

«الباب الرابع عشر و مائتين في حال الحرية»

إذا كان حال الفتى عينه ... فذلك حر و إن لم يكن
و إن كان ما لم يكن لم يكن ... بأكوانه كائن يستكن
فحرية العبد معلولة ... و لا رق إلا لمن قال كن
فيا أيها الحر لا تفتقر ... فجنبك من فقره قد وهن
و لا بد منه فما ذا ترى ... و لا بد منك فقد آن إن
أضم غناه إلى فقرنا ... و ذلك عندي من أقوى الجنن

اعلم أن الحرية عند الطائفة الاسترقاق بالكلية من جميع الوجوه فتكون حرا عن كل ما سوى الله و هي عندنا إزالة صفة العبد بصفة الحق و ذلك إذا كان الحق سمعه و بصره و جميع قواه و ما هو عبد إلا بهذه الصفات التي أذهبها الحق، بوجوده مع ثبوت عين هذا الشخص و الحق لا يكون مملوكا فكان هذا المحل حرا إذ لا معنى له من عينه ما لم يكن موصوفا بهذه الصفات و هي الحق عينها لا صفات الحق عينها فثبت عين الشخص بوجود الضمير في قوله كنت سمعه فهذه الهاء عينه و الصفة عين الحق لا عينه فثبتت الحرية لهذا الشخص فهو محل لأحكام هذه الصفات التي هي عين الحق لا غيره كما يليق بجلاله فنعته سبحانه بنفسه لا بصفته فهذا الشخص من حيث عينه هو و من حيث صفته لا هو

فوصفك معدوم و عينك ظاهر ... و أنت له آل كما هو آخر
و أنت له ملك و لست بعبده ... فما أنت مزجور و لما أنت هو زاجر

و على الحقيقة لا يقال في الحق إنه حر لكن يقال إنه ليس بعبد إذ كان لا يعرف إلا بالنعت السلبي لا بالنعت الثبوتي النفسي لكن للمظاهر حكم فيه من حيث ما هو ظاهر فيها فينسب إليه جميع ما ينسب إلى المظهر من نعوت نقص عرفي و نعوت كمال و تمام

و ليس إلا الحق لا غيره | فعينه الظاهر نعت العبيد
و لا تقل بأنه عينهم | بل قل كما قلته لا تزيد

و ألسنة الشرائع الإلهية بهذا نطقت حقيقة لا مجازا و الأدلة العقلية النظرية تنفي مثل هذا عن الجناب الإلهي و إذا وردت به الشرائع فإن فحول علمائهم يتأولون مثل هذا العدم الكشف إذ لم يكن الحق بصرهم

تقلدوا الفكر على قصوره | و ما استضاءوا ساعة بنوره
فسبحان من أخفى عن العين ذاته | و أظهرها في خلقه بصفاتهم
فلا حر و لا عبد فأين العهد و الوعد | فلله وجود الأمد من قبل و من بعد

و اعلم أن الحر من ملك الأمور بأزمتها و لم تملكه و صرفها و لم تصرفه و هذا غير موجود في الجنابين فإن الله يقول ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ و طلب منا الإجابة لما دعانا فحصل التصريف من جانب الحق و من جانب العبد فلو لا دعاء العبد و سؤاله ما كان الحق مجيبا و الإجابة نعته فقد ظهر من العبد صورة تصرف في الحق و قد ظهر من الحق تصرف في العبد لا صورة تصرف فهذا القدر بين الحق و العبد و لا يكون حرا مطلق الحرية من هذا نعته ففي الحقيقة ليس للحرية وجود عين فإن الإضافات تمنع من ذلك لكن حقيقة الحرية في غنى الذات عن العالمين مع ظهور العالم عنه لذاته لا لأمر آخر فهو غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ فهو حر و العالم مفتقر إليه فالعالم عبيد فلا حرية لهم أبدا فإذا طلبتهم الألوهة بما كلفتهم به من الأحكام التي لا ظهور للالوهية إلا بها ظهرت الإضافات فصار الأمر موقوفا من الطرفين كل طرف على صاحبه فامتنعت الحرية أن تقوم بواحد من المضافين فمن قد قال إن الحق معروف فلا يدري كما من قال إن الحق مجهول فلا يدي فهذا حال الحرية قد استوفيناه مختصرا قريب المأخذ و المتناول

«الباب الخامس عشر و مائتان في معرفة اللطيفة و أسرارها»

إذا عزت عن الشرح المعاني | فتلك لطائف الرحمن فينا
يشاربها إلينا من بعيد | فنحيي من إشارتها سنينا
و إن الله يمنحها قلوبا | يهيمها الهوى حينا فحينا

و ما ذاك الهوى المذموم لكن هو الحب الذي منه ابتلينا

اعلم أيدنا الله و إياك بروح القدس أن أهل الله يطلقون لفظ اللطيفة على معنيين يطلقونه و يريدون به حقيقة الإنسان و هو المعنى الذي البدن مركبه و محل تدبيره و آلات تحصيل معلوماته المعنوية و الحسية و يطلقونه أيضا و يريدون به كل إشارة دقيقة المعنى تلوح في الفهم لا تسعها العبارة و هي من علوم الأذواق و الأحوال فهي تعلم و لا تنقال لا تأخذها الحدود و إن كانت محدودة في نفس الأمر و لكن ما يلزم من له حد و حقيقة في نفس الأمر أن يعبر عنه و هذا معنى قول أهل الفهم أن الأمور منها ما يحد و منها ما لا يحد أي تتعذر العبارة عن إيضاح حقيقته وحده للسامع حتى يفهمه و علوم الأذواق من هذا القبيل ثم يتوسعون في اللطائف فيسمون كل معنى دقيق عزيز المثال و إن قيل ينفرد به أفراد الرجال لطيفة و من الأسماء الإلهية الاسم اللطيف و من حكم هذا الاسم الإلهي إيصال أرزاق العباد المحسوسة و المعنوية المقطوعة الأسباب من حيث لا يشعر بها المرزوق و هو قوله تعالى وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ و من الاسم اللطيف قوله عليه السلام في نعيم الجنة فيها ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر فاعلم وفقك الله أن اللطيفة التي تحصل للعبد من الله من حيث لا يشعر إذا أوصلها العبد بهمته لتلميذه أو لمن شاء من عباد الله من حيث لا يشعر ذلك الشخص عن قصد من الشيخ حينئذ يقال فيه إنه صاحب لطيفة و لا يصح هذا إلا للمتخلق بالاسم الإلهي اللطيف فإن وقع الشعور بها فليس بصاحب لطيفة و إن وقع للتلميذ أو للموصل إليه ذلك المعنى أنه وصل إليه من هذا الشيخ عن علم محقق لا عن حسبان و لا حسن ظن و لا تخمين فذلك الشيخ ليس بصاحب لطيفة في تلك المسألة فإنه من شأن صاحب هذا المقام العزة و المنع أن يشعر به إن ذلك من عنده على تفصيل ما وقع منه الإيصال لا على الإجمال كما تعلم أن الرزاق هو الله على الإجمال و لكن ما تعرف كيف إيصال الرزق للمرزوق على التفصيل و التعيين الذي يعلمه الحق من اسمه اللطيف فإن علم فمن حكم اسم آخر إلهي لا من الاسم اللطيف و ليس ذلك بلطيفة فلا بد من الجهل بالإيصال و لهذا المعنى سميت حقيقة الإنسان لطيفة لأنها ظهرت بالنفخ عند تسوية البدن للتدبير من الروح المضاف إلى الله في قوله فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي و هو النفس الإلهي و قد مضى بابه فهو سر إلهي لطيف ينسب إلى الله على الإجمال من غير تكييف فلما ظهر عينه بالنفخ عند التسوية و كان ظهوره عن وجود لا عن عدم فما حدث إلا إضافة التولية إليه بتدبير هذا البدن مثل ظهور الحرف عن نفس المتكلم و أعطى في هذا المركب الآلات الروحانية و الحسية لإدراك علوم لا يعرفها إلا بوساطة هذه الآلات و هذا من كونه لطيفا أيضا فإنه في الإمكان العقلي فيما يظهر لبعض العقلاء من المتكلمين أن يعرف ذلك الأمر من غير وساطة هذه الآلات و هذا ضعيف في النظر فإنا ما نعني بالآلات إلا المعاني القائمة بالمحل فنحن نريد السمع و البصر و الشم لا الأذن و العين و الأنف و هو لا يدرك

المسموع إلا من كونه صاحب سمع لا صاحب أذن و كذلك لا يدرك المبصر إلا من كونه صاحب بصر لا صاحب حدقة و أجفان فإذا إضافات هذه الآلات لا يصح ارتفاعها و ما بقي لما ذا ترجع حقائقها هل ترجع لأمور زائدة على عين اللطيفة أو ليست ترجع إلا إلى عين اللطيفة و تختلف الأحكام فيها باختلاف المدركات و العين واحدة و هو مذهب المحققين من أهل الكشف و النظر الصحيح العقلي فلما ظهر عين هذه اللطيفة التي هي حقيقة الإنسان كان هذا أيضا عين تدبيرها لهذا البدن من باب اللطائف لأنه لا يعرف كيف ارتباط الحياة لهذا البدن بوجود هذا الروح اللطيف لمشاركة ما تقتضيه الطبيعة فيه من وجود الحياة التي هي الروح الحيواني فظهر نوع اشتراك فلا يدرى على الحقيقة هذه الحياة البدنية الحيوانية هل هي لهذه اللطيفة الظاهرة عن النفخ الإلهي المخاطبة المكلفة أو للطبيعة أو للمجموع إلا أهل الكشف و الوجود فإنهم عارفون بذلك ذوقا إذ قد علموا أنه ما في العالم إلا حي ناطق بتسبيح ربه تعالى بلسان فصيح ينسب إليه بحسب ما تقتضيه حقيقته عند أهل الكشف و أما ما عدا أهل الكشف فلا يعلمون ذلك أصلا فهم أهل الجماد و النبات و الحيوان و لا يعلمون أن الكل حي و لكن لا يشعرون كما لا يشعرون بحياة الشهداء المقتولين في سبيل الله قال تعالى وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْواتٌ بَلْ أَحْياءٌ وَلكِنْ لا تَشْعُرُونَ ثم إن تدبير هذه اللطيفة هذا البدن لبقاء الصحبة لما اقتنته من المعارف و العلوم بصحبة هذا الهيكل و لا سيما أهل الهياكل المنورة و هنا ينقسم أهل الله إلى قسمين قسم يقول بالتجريد عند مفارقة هذا البدن فإنها تكتسب من خلقها و علومها و معارفها أحوالا و هيأت يعلمون بها في عالم التجريد من أخواتها فتطلب درجة الكمال و هذا الصنف و إن كان من أهل الله فليس من أهل الكشف بل الفكر عليه غالب و النظر العقلي عليه حاكم و القسم الآخر من أهل الله و هم أهل الحق لا يبالون بالمفارقة متى كانت لأنهم في مزيد علم أبدا دائما و إنهم ملوك أهل تدبير لمواد طبيعية أو عنصرية دنيا و برزخا و آخرة و هم المؤمنون القائلون بحشر الأجساد و هؤلاء لهم الكشف الصحيح فإن اللطيفة الإلهية لم تظهر إلا عن تدبير و تفصيل و هيكل مدبر هو أصل وجودها مدبرة فلا تنفك عن هذه الحقيقة و من تحقق ما يرى نفسه عليه في حال النوم في الرؤيا يعرف ما قلناه فإن الله ضرب ما يراه النائم في نومه مثلا و ضرب اليقظة من ذلك النوم مثلا آخر للحشر و الأول ما يؤول إليه الميت بعد مفارقة عالم الدنيا وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ يَعْلَمُونَ ظاهِراً من الْحَياةِ الدُّنْيا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غافِلُونَ فنحن في ارتقاء دائم و مزيد علم دنيا و برزخا و آخرة و الآلات مصاحبة لا تنفك في هذه المنازل و المواطن و الحالات عن هذه اللطيفة الإنسانية ثم إن الشقاء لهذه اللطيفة أمر عارض يعرض لها كما يعرض المرض في الدنيا لها لفساد هذه الأخلاط بزيادة أو نقص فإذا زيد في الناقص أو نقص من الزائد و حصل الاعتدال زال المرض و ظهرت الصحة كذلك ما يطرأ عليها في الآخرة من الشقاء ثم المال إلى السعادة و هي استقامة النشأة في أي دار كان من جنة أو نار إذ

قد ثبت أنه لكل واحد من الدارين ملؤها فالله يجعلنا ممن حفظت عليه صحة مزاج معارفه و علومه فهذا طرف من حقيقة مسمى اللطيفة الإنسانية بل كل موجود من الأجسام له لطيفة روحانية إلهية تنظر إليه من حيث صورته لا بد من ذلك و فساد الصورة و الهيئة موت حيث كان و أما اصطلاحهم اللطيفة على المعنى الآخر الذي هو كل إشارة تلوح في الفهم لا تسعها العبارة فاعلم إن أهل الله قد جعلوا الإشارة نداء على رأس البعد و بوحا بعين العلة و لكن في التقسيم في الإشارات يظهر فرقان و ذلك أن الإشارة التي هي نداء على رأس البعد فهو حمل ما لا تبلغه العبارة كما إن الإشارة للذي لا يبلغه الصوت لبعد المسافة و هو ذو بصر فيشار إليه بما يراد منه فيفهم فهذا معنى قولهم نداء على رأس البعد فكل ما لا تسعه عبارة من العلوم فهو بمنزلة من لم يبلغه الصوت فهو بعيد عن المشير و ليس ببعيد عما يراد منه فإن الإشارة قد أفهمته ما يفهمه الكلام أو يبلغه الصوت و قد علمت قطعا أن المشير إذا كان الحق فإنه بعيد عن الحد الذي يتميز به العبد فهذا بعد حقيقي لا بد منه و لا يكون الأمر إلا هكذا فلا بد من الإشارة و هي اللطيفة فإنه معنى لطيف لا يشعر به ثم إنه و إن لم يكن بعد فهو بوح بعين العلة و ذلك أن الأصم يكون قريبا من المتكلم و لكن قربه لا تقع به الفائدة لأنه لا يصل إليه الصوت لعلة الصمم فيشير إليه مع القرب كما يقول الحق على لسان عبده سمع الله لمن حمده فهذا غاية القرب مع وجود العلة و ظهورها و أكثر من هذا القرب ما يكون فإنه هو مع قوله قسمت الصلاة بيني و بين عبدي نصفين ففرق و فصل و أين هذا ممن جعل قوله قوله و أنه المتكلم و القائل لا هو فهذا قرب معلول فهو قولهم و بوح بعين العلة و لهذا سميت لطيفة لأنها أدرجت الرب في العبد فقال تعالى فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ و كان المتكلم محمدا صلى الله عليه و سلم بكلام الله و قال تعالى كنت سمعه و بصره و لسانه و هذا من ألطف ما يكون ظهور رب في صورة خلق عن إعلام إلهي لا تعرف له كيفية و لا تنفك عنه بينية ف لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ثم إنه من هذا الباب حنين الأمهات إلى أولادها و عطفها عليهم و الحنين إلى الأوطان و الشوق إلى الآلاف و هي مناسبات في الجملة بين الأمرين إذا أراد الشخص أن يعرف عللها لم يقدر على ذلك و لكن يقارب إلا من حصل له التعريف الإلهي فذلك عالم بما هو الأمر عليه تلقاه من أصل الوجود بل من عين الوجود إذ الحق هو الوجود ليس إلا

«الباب السادس عشر و مائتان في معرفة الفتوح و أسراره»

إن الفتوح هو الراحات أجمعها و هو العذاب فلا تفرح إذا وردا

حي ترى عين ما يأتي به فإذا رأيته فاتخذ ما شئته سندا

الريح بشرى من الرحمن بين يدي ما شاء من رحمة فيها إذا قصدا

و قد تكون عذابا ما استعد له　　كريح عاد بنقل ثابت شهدا

فالمكر منه خفي فاستعد له　　عسى تحوز بذاك الفوز و الرشدا

اعلم أيدنا الله و إياك بما أيد به الخاصة من عباده أن الفتوح عند الطائفة على ثلاثة أنواع النوع الواحد فتوح العبا رة في الظاهر قالوا و ذلك سببه إخلاص القصد و هو صحيح عندي و قد ذقته و هو قوله عليه السلام أوتيت جوامع الكلام و منه إعجا ز القرآن و قد سألت في الواقعة عن هذه المسألة فقيل لي لا تخبر إلا عن صدق و أمر واقع محقق من غير زيادة حرف أو تزوير في نفسك فإذا كان كلامك بهذه الصفة كان معجزا و أما النوع الثاني من الفتوح فهو فتوح الحلاوة في الباطن قالت الطائفة هو سبب جذب الحق بإعطافه و أما النوع الثالث فهو فتوح المكاشفة بالحق قالت الطائفة هو سبب المعرفة بالحق و الجامع لذلك كله إن كل أمر جاءك من غير تعمل و لا استشراف و لا طلب فهو فتوح ظاهرا كان أو باطنا و له علامة في الذائق الفتوح و هي عدم الأخذ من فتوح الغير أو نتائج الفكر و من شرط الفتوح أن لا يصحبه فكر و لا يكون نتيجة فكر و كان شيخنا أبو مدين يقول في الفتوح أطعمونا لَحْماً طَرِيًّا كما قال الله تعالى لا تطعمونا القديد أي لا تنقلوا إلينا من الفتوح إلا ما يفتح به عليكم في قلوبكم لا تنقلوا إلينا فتوح غيركم يرفع بهذا همة أصحابه لطلب الأخذ من الله تعالى فاعلموا يا إخواننا أن مقام الفتوح محتاج إلى ميزان حقيقي و هو مقام فيه مكر خفي و استدراج فإن الله قد ذكر الفتح بالبركات من السَّماءِ وَ الْأَرْضِ و ذكر الفتح بالعذاب هذا حتى لا يفرح العاقل بالفتح عند فتح الباب حتى يرى ما يفتح له قال بعضهم عند الموت هذا باب كنت أقرعه منذ كذا و كذا سنة هو ذا يفتح لي و لا أدري بما ذا قالت عاد هذا عارِضٌ مُمْطِرُنا حجبتهم العادة قيل لهم بَلْ هُوَ ما اسْتَعْجَلْتُمْ به رِيحٌ فِيها عَذابٌ أَلِيمٌ فلا تغتر بالفتح إذا لم تدر ما ثمة وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً و لما كان الفتح الإلهي على نوعين في العالم فتح عن قرع و فتح ابتداء لا عن قرع فأما فتح القرع فيعلم أهل الله بما ذا يفتح فإن القرع هو دليلهم على ما يفتح به و ليس مطلوب القوم بالفتوح هذا النوع و إنما مطلوبهم بالفتوح ما يكون ابتداء من غير تعمل لذلك و إن كان يطلبه العمل من العبد الذي هو عليه بحكم التضمن و لكن ما يخطر للعبد العامل ذلك جملة واحدة فيكون الفتح في حقه إذا ورد ابتداء و إذا ورد الفتح على اختلاف ضروبه كما قررناه تعين على هذا العبد إقامة الوزن بالقسط كما أمره الله في قوله وَ أَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ فيقيم الوزن هذا العبد بين حاله الذي هو عليه و بين الفتح فإن كان الفتح مناسبا للحال فهو نتيجة حاله فيقيم عند ذلك وزنا آخر و هو أن ينظر في مقدار الفتح و قوة الحال فإن ساواه فهو نتيجة بلا شك فليحذر هذا العبد مكر الله في هذا الفتح فإنه نتيجة في غير موطنها فربما عجلت له عطيته و انقلب إلى الدار الآخرة صفر اليدين فإن كان الفتح مما يعطي أدبا و ترقيا فليس بمكر بل هو عناية من الله تعالى بهذا العبد حيث زاده فتحا يؤديه إلى زيادة خير عند الله تعالى

و إن أقام الوزن بين مقدار الفتح و قوة الحال و رأى الفتح فوق الحال فينزل منه مقدار قوة الحال و ما زاد فذلك هو الفتوح الذي ذكرته الطائفة هذا أصل ينبغي أن يعلم و يتحقق و له شواهد يعلمها الذائق له و إن لم يدخل الفتح في ميزان الحال جملة واحدة و بقي حاله موفورا عليه كان ذلك الفتح هو الفتح المطلوب عند القوم و بعد أن تقرر هذا فلنذكر كل نوع من أنواع الفتوح أما الفتوح في العبارة فإنه لا يكون إلا للمحمدي الكامل من الرجال و لو كان وارثا لأي نبي كان و أقوى مقام صاحب هذا الفتح الصدق في جميع أقواله و حركاته و سكونه إلى أن يبلغ به الصدق أن يعرف صاحبه و جليسه ما في باطنه من حركة ظاهرة لا يمكن لصاحب هذا الفتح أن يصور كلاما في نفسه و يرتبه بفكره ثم ينطق به بعد ذلك بل زمان نطقه زمان تصوره لذلك اللفظ الذي يعبر به عما في نفسه زمان قيام ذلك المعنى في نفسه و صورته و ليس لغير صاحب هذا الفتح هذا الوصف و يكون التنزل على صاحب هذا الفتح من المرتبة التي نزل فيها القرآن خاصة من كونه قرآنا لا من كونه فرقانا و لا من كونه كلام الله فإن كلام الله لا يزال ينزل على قلوب أولياء الله تلاوة فينظر الولي ما تلي عليه مثل ما ينظر النبي فيما أنزل عليه فيعلم ما أريد به في تلك التلاوة كما يعلم النبي ما أنزل عليه فيحكم بحسب ما يقتضيه الأمر هكذا هو الشأن و لهذا التنزل في قلب الولي حلاوة نذكرها في النوع الثاني من الفتح فلا تقع التلاوة لصاحب هذا الفتح إلا من كون المتلو قرآنا لا غير فيفتح الله له في العبارة فيعرب بقلمه أو بلفظه عما في نفسه بحيث أن يوضح المقصود عند السامع إذا كان السامع ممن ألقى السمع و من علامة صاحب هذا الفتح عند نفسه استصحاب الخشوع و توالي الاقشعرار عليه في جسده بحيث أن يحس بأجزائه قد تفرقت فإن لم يجد ذلك في نفسه فيعلم أنه ليس ذلك الرجل المطلوب و لا هو صاحب هذا الفتح و هذا فتح ما رأيت له في عمري فيمن لقيته من رجال الله أثرا في أحد و قد يكون في الزمان رجال لهم هذا الفتح و لم ألقهم غير أني منهم بلا شك عندي و لا ريب فلله الحمد على ذلك و سيرد في فصل المنازل في منزل القرآن فرقان ما بين أسمائه فإنه القرآن و الفرقان و النور و الهدى و غير ذلك من الأسماء الموضوعة له و مهما تصور المتكلم المعبر عما في نفسه ما يتكلم به قبل العبارة و يرتب التعبير عن الأمر في نفسه و يحسنه و يتمعنه بحيث أن يحسن عند كل من يسمع تلك العبارة فليس هو بصاحب فتح فإنه من شأن الفتوح أن يفجأ و يأتي بغتة من غير شعور هكذا كل فتوح يكون في هذا الطريق ثم إنه من حقيقة صاحب هذا الفتح شهود ما يعبر عنه و شهود من يسمع منه و بما يسمع منه فيعطيه من العبارة ما يليق بذلك السمع الخاص فإن لم يكن بهذا الوصف فليس هو بصاحب فتح في العبارة و هذا معنى قولنا إن سببه الإخلاص النوع الثاني من الفتوح الذي هو فتح الحلاوة في الباطن و هو سبب جذب الحق بإعطافه فهذه الحلاوة و إن كانت معنوية فإن أثرها عند صاحبها يحس به كما يحس ببرد الماء البارد و صورة الإحساس بها كصورة الإحساس بكل محسوس و طريقها في الحس من الدماغ ينزل إلى محل الطعم

فيجدها ذوقا فيجد عند حصول هذا الذوق استرخاء في الأعضاء و المفاصل و خدرا في الجوارح لقوة اللذة و استفراغا لطاقته و من أصحاب هذا الفتح من تدوم معه هذه الحلاوة ساعة و يوما و أكثر من ذلك ليس لبقائها زمان مخصوص فإنه اختلف علينا بقاؤها فوقتا نزلت علينا في قضية فدامت معنا ساعة ثم ارتفعت ثم نزلت في واقعة أخرى فدامت أياما ليلا و نهارا و حينئذ ارتفعت فإذا ارتفعت زال ذلك الخدر من الجوارح و هذه الحلاوة لا يمكن أن يشبهها لذة من اللذات المحسوسة لأنها غريبة لكونها معنوية في غير مادة محسوسة فما تشبه حلاوة العسل و لا حلاوة الجماع و لا حلاوة شيء محسوس كما أنها أيضا لا تشبه حلاوة حصول العلوم المعشوقة للطالب بل هي أعلى و أجل و أثرها في الحس أعظم من أثر الحلاوة المركبة في المواد المحسوسة كحلاوة كل حلو و تميزها عن لذات المعاني إنما هو بما لها من الأثر في الحس فافهم ذلك و لما سماني الحق عبدا بأسمائه و فتح لي في هذه الحلاوة ما رأيت أشد أثرا منها في الاسم العزيز فلما ناداني بيا عبد العزيز و معنى ذلك أن يقام الإنسان عبدا في كل اسم إلهي ليحصل الفرقان بين الحقائق لتحصيل العلوم الإلهية وجدت لهذا النداء من الحلاوة ما لم أجد لغيره من الأسماء و نظرت في سبب ذلك فوجدت إن مقام العزة يقتضي أن يكون الأمر كذلك و هذه الحلاوة و إن تميزت عن حلاوة المحسوسات و المعاني فهي متنوعة في نفسها فحلاوة أمر ما منها خلاف حلاوة أمر آخر يجد الذائق الفرق بينهما كحلاوة السكر يجد الإنسان الفرق بينها و بين حلاوة العسل و إن اشتركا في الحلاوة و كذلك الأمر هنا و لا تحصل هذه الحلاوة لا حد من أهل الله إلا بالعطف الإلهي فإذا ورد العطف الإلهي على العبد رزقه الله وجدان هذه الحلاوة في باطنه فيجذبه إليه تعالى لأن النفس مجبولة على الميل إلى كل ما تستلذه و من أشد حلاوة من هذا الفتح مر علي في هذا الزمان لما تلي علي ن وَالْقَلَمِ وَما يَسْطُرُونَ فلم أجد لذة أعظم من لذة وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ فهذه أعظم بشرى وردت علي ثم إنه تليت على مرتين في زمانين متتابعين فزادني إعجابا بها تكرار التلاوة علي بها و تكرار التلاوة فينا مثل تكرار نزول الآية أو السورة على الرسول مرتين كما جاء في نزول سورة و المرسلات و غيرها إنها نزلت مرتين فإذا عطف الحق على عبده بهذه الحلاوة فجذبه إليه بها ليمنحه علما لم يكن عنده فإن لم يجد علما فليس بجذب و لا تلك حلاوة فتح فذلك من علامات فتح الحلاوة و إنما يفعل الحق ذلك لتكون حركة العبد معلولة لأنه معلول في الأصل و ذلك لإقامة حجة الله عليه فإن العبد يزهو بالقوة الإلهية التي عنده فربما يرى أن له تنزيها بانجذابه إلى الحق دون غيره من العبيد و يزعم أن ذلك إيثار منه لجناب الحق فجعل الله انجذابه عن حلاوة فإن زها كما قلنا قامت الحجة علينا بأنه ما أخذ به إلى الحق إيثار جناب الحق بل وجدان الحلاوة و الالتذاذ فلنفسه سعى و لله المنة وحده لا منة لا حد على الله و له الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ لا حجة لا حد على الله و كل من قال بغير هذا من أهل الله فإنما قالها شطحا لا حقيقة لغلبة الحال عليه فهو لسان حاله لا لسانه فإذا أفاق قالَ سُبْحانَكَ تُبْتُ

إِلَيْكَ فإن قلت فما معنى الجذب هنا مع كونه معه قلنا ليس أحد مع الحق من حيث ما هو الحق لنفسه و إنما هم مع الحق من حيث ما أقامه الحق فيه فيكون من الحق الجذب بهذه الحلاوة من الحال التي أقامه الحق فيها لحال آخر يفيده فيه علما لم يكن عنده ذوقا هكذا على الدوام إلى ما لا نهاية له و سماه جذبا لأن العبد لا بد أن يتعشق بحاله و يألفه فلا ينجذب عنه إلا بما هو أعجب إليه منه فلهذا فتح له في الحلاوة لتخلصه مما وقف معه فإذا انجذب إلى الحق صحبه حاله الذي كان عليه أيضا لأنه لا يفارقه إذ المعلوم لا يجهل فبقي حكم الجذب إنما متعلقة أن لا يتركه يقف مع حاله فيقتصر عليه فيحدث له التشوق إلى تحصيل أمر آخر ليس عنده مع صحبته لما كان عليه من الحال فاعلم ذلك و ليس كل أهل الله على هذا القدم الذي ذكرناه و إنما هذا الذي ذكرناه حال الأكابر منهم فإن جماعة من أهل الله يشغلهم ما رجعوا إليه عما كانوا عليه فإن الله قد رفع بعضهم على بعض و فضل كل صنف بعضه على بعض فقال تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ و لَقَدْ فَضَّلْنا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلى بَعْضٍ و اعلم أن أصل وجدان هذه الحلاوة فينا من الجناب الإلهي من الحلاوة الإلهية التي يتضمنها صريح قوله عليه السلام لله أفرح بتوبة عبده الحديث فمن هناك نشأت هذه الحلاوة في باطن أهل الله فإن فهمت فقد رميت بك على الطريق و لا يعرف هذا إلا العارفون بالله المنعوت في الشرع لا المدلول عليه بالعقل و هكذا جميع ما يأتي من مثل هذا الباب و ليس للضحك الإلهي و لا التبشبش مدخل في هذه الحلاوة بل ذلك للفرح فلا تخلط و لا تقس فإن طريق الله لا تدرك بالقياس فما كل أمر يشبه أمرا له حكم ذلك المشبه ليس الأمر كذلك و إنما له منه حكم ما وقع الشبه به كالحمصة تشبه اللؤلؤة في الاستدارة و ما لكل واحدة منهما حكم الأخرى كما تختلف العلل أيضا مع أحدية المعلول إذا كان المعلول محمولا كالاستدارة التي وقع التمثيل بها و هي أمر محمول في المستدير كان المستدير ما كان فعلة استدارة الفلك ليست علة استدارة اللؤلؤ فاختلفت العلل لاختلاف محال المعلول و المعلول الاستدارة فاحذر من القياس في العلم الإلهي بل إن تحققت الأمور لم يصح وجود القياس أصلا و إنما هو من الأمور التي غلط فيها أهل النظر في إن حملوا حكم المقيس عليه على المقيس فهذا قد بينا في هذا النوع من الفتح قدر ما تقع به الكفاية لمن أراد تحصيله ذوقا من نفسه فإذا ذاقه علم ما يحتمله من البسط و أما النوع الثالث من الفتوح و هو فتوح المكاشفة الذي هو سبب معرفة الحق اعلم أولا أن الحق أجل و أعلى من أن يعرف في نفسه لكن يعرف في الأشياء فالمكاشفة سبب معرفة الحق في الأشياء و الأشياء على الحق كالستور فإذا رفعت وقع الكشف لما وراءها فكانت المكاشفة فيرى المكاشف الحق في الأشياء كشفا كما يرى النبي صلى الله عليه و سلم من وراءه من خلف ظهره فارتفع في حقه الستر و انفتح الباب مع ثبوت الظهر و الخلف فقال إني أراكم من خلف ظهري و قد ذقنا هذا المقام و لله الحمد فلا يعرف الحق في الأشياء إلا مع ظهور الأشياء و ارتفاع حكمها فأعين العامة لا تقع إلا على حكم الأشياء

و الذين لهم فتوح المكاشفةلا تقع أعينهم في الأشياء إلا على الحق فمنهم من يرى الحق في الأشياء و منهم من يرى الأشياء و الحق فيها و بينهما فرقان فإن الأول ما تقع عينه عند الفتح الأعلى الحق فيراه في الأشياء و الثاني تقع عينه على الأشياء فيرى الحق فيها لوجود الفتح و أصل ظهور هذا الفتح من الجناب الإلهي حالة قوله وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجاهِدِينَ مِنْكُمْ فيرفع الابتلاء حجاب الدعوى الذي كان يدعيه الكون فيكون الكشف و هو التعلق الخاص من العلم الإلهي بما وقع الأمر عليه فعلم صدق دعوى الكون من كذبه فمن هذه الصفة الإلهية ظهر فتح المكاشفة إذ لا يظهر في الوجود حكم إلا و له أصل في الجناب الإلهي إليه استناده و لا يصح أن يكون الأمر إلا هكذا فإنه قد ذكرنا في غير ما موضع أن علم الله بالأشياء من علمه بنفسه فخرج العالم على صورته فلا يشذ عنه حكم أصلا فهو سبحانه رب كل شيء و مليكه فالأشياء مرتبطة به في كل حال و ما هو في كل حال مرتبط بالأشياء و لهذا غلط من غلط من أصحابنا و من بعض النظار في أنهم عرفوا الله ثم عرفوا الأشياء فهم عرفوا الله من حيث إنه واجب الوجود لذاته و أنه لا يصح أن يكون ثم واجب الوجود لذاته فصحت أحدية واجب الوجود هذا كله صحيح لا نزاع فيه عند المنصف و لكن ليس المقصود إلا علم كونه ربا لهذا العالم هذا لا يعرفه ما لم تتقدم له معرفته بالعالم هذا ما يعطيه علم الكمل من رجال الله من أهل الحق و لهذا قال عليه السلام من عرف نفسه عرف ربه ما قال من عرف ربه عرف نفسه لأنه من حيث نفسه واجب الوجود و له الغني المطلق فلا التفات للغني المطلق إلى غير ذاته إذ لو التفت لم يصح ما قرره فلا يعلم أنه بإله للعالم فإذا أراد أن يعلم أنه إله العالم نظر في العالم فرأى فيه حقيقة الافتقار بإمكانه إلى المرجح فلم يجد إلا هذا الواجب الوجود لذاته الذي أثبته بدليله قبل أن ينظر في هذه المسألة الأخرى فأضافه إليه فقال هذا الواجب هو رب هذا العالم و بغير هذا الطريق في النظر فلا يعرف أنه إله العالم ثم إن أهل النظر انحجبوا عما ثبت في نفوسهم من افتقارهم حين صرفوا النظر إلى معرفة واجب الوجود لذاته فإن ثبت عندهم بالدليل أظهر لهم إمكانهم و افتقارهم من حيث لا يشعرون أن ذلك الواجب الوجود هو الهم فقالوا علمنا بالله متقدم على علمنا بالعالم و صدقوا ما قالوا علمنا بإلهنا أنه إلهنا متقدم على علمنا بنا فلم يشعروا بما وقعوا فيه من الغلط و علمت بذلك الأنبياء فجعلت العالم دليلا عليه و أعظم فتح المكاشفة في مثل هذه المسألة أن يرى الحق فيكون عين رؤيته إياه عين رؤيته العالم للارتباط المحقق فيكشف العالم من رؤيته الله تعالى و لكن هذه الدقيقة ليست لأهل النظر لأن النظر ليس في قوته ذلك و إنما هو من خصائص الكشف هذا أبلغ ما يمكن أن تحقق به هذه المسألة من تقدم العلم بالله من كونه إلها للعالم على العلم بالعالم فهذا لا يعرف إلا من فتوح المكاشفة و ما رأيت أحدا من المتقدمين من أهل الله تعالى نبه في هذا الفتوح الكشفي على هذه المسألة على التعيين فاحمد الله تعالى حيث أجرى على لساني الإبانة عن هذه المسألة فإنه ما كان في نفسي أن أشير إليها فأحرى أن أصرح بها و

إنما الغيرة غلبت علي و الحرص على نصح العباد الذين أمرني الحق بنصحهم على التخصيص أداني إلى شرح هذا القدر في فتوح المكاشفة وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب السابع عشر و مائتان في معرفة الرسم و الوسم و أسرارهما»

الرسم ما أعطيته من أثر و الوسم ما دل عليه الخبر
إن ديارا قد عفي رسمها ما فيها للعاقل من معتبر
و الوسم للتمييز إن كنت ذا معرفة و صح منك النظر
و عنهما أخبرنا قوله سيماهم في وجههم من أثر
في أزل كان لهم كل ما أظهره رب القضاء و القدر
فسلم الأمر إلى علمه و كن به في حزب من قد شكر
فإنه أولى بنا لا تكن في حزب من يجحد أو من كفر

اعلم أن الوسم و الرسم عند الطائفة نعتان يجريان في الأبد بما جريا في الأزل يريدون بما سبق في علم الله لا أنهما جريا في الأزل و سنبين تحقيق الإشارة إليهما فالوسم بالواو من السمة و هي العلامة الإلهية على العبد أو في العبد تكون دلالة على أنه من أهل الوصول و التحقق و أما الرسم بالراء فهو أثر الحق على العبد الظاهر عليه عند رجوعه من حال ما قد ادعاه أو مقام فيصدقه هذا الأثر للظاهر عليه في دعواه فاعلموا أيدنا الله و إياكم بروح منه أن الوسم فينا كالاسماء لله دلالات عليه ليعرف بها فلما كثرت المعاني و تعددت نسبتها جعل للذات المنسوبة إليها هذه المعاني أسماء بإزاء كل معنى اسما يدل عليه و يعرف به لتحصيل الفوائد من العلماء بذلك المتعلقة بها فجعل الله لكل حال و مقام علامة تسمى وسما تدل على ذلك المقام و الحال دلالة ترفع الإبهام و الإجمال و الاشتراك و تكون تلك الدلالة نعتا لذلك المعنى الذي له الحكم من هذه الذات فلا يزال يجري في الأبد أي يظهر دائما كما لم يزل في الأزل و هنا نكتة بديعة و ذلك إنا قد قدمنا إن العالم على صورة الحق و من علمه بنفسه تعلق العلم بالعالم فكان العالم مشهودا للحق أزلا و إن لم يكن موجودا و الوسم من جملة العالم على حكمه و مرتبته فهو مشهود له أزلا يجري بحسب ما هو عليه في الأبد هذا هو تحقيق شأنه و كذلك الرسم فجميع ما هو العالم عليه في الأبد إنما هو على صورة ما ظهر به في الأزل إذ لا يختلف شهود الحق فيه و قد كان مشهودا له في الأزل حيث لم يكن موجودا عينيا فقد شاهد هذا الرسم و الوسم أزلا يجريان في العالم كما هما في الأبد عليه فافهم ذلك و ليس الوسم و لا الرسم بجعل

جاعل في الأصل بل ظهرا هنا في الأبد بجعل جاعل و هو الله تعالى و لا بد لكل حال و مشهد و مقام من أثر فيمن قام به ذلك لأثر هو الرسم فالأثر من حيث ظهوره في المؤثر فيه بفتح الثاء يسمى رسما و هو بعينه من حيث إنه دلالة على صدق صاحب ذلك الحال أو المشهد أو المقام أو ما كان يسمى وسما فعين مسمى الوسم هو عين مسمى الرسم و يختلفان من حيث الحكم فالوسم عين الرسم من وجه و ليس هو عينه من وجه إذا اعتبرت الحكم فالرسم في الجناب الإلهي الذي صدر عنه هذا الرسم في الكون هو كون الحق يظهر فيه أثر الإجابة عند سؤال السائلين إذ لا يكون مجيبا إلا عن سؤال فلما أوجب السؤال الإجابة كانت الإجابة أثرا في المجيب فهذا هو الرسم الإلهي و دليلنا عليه وَإِذا سَأَلَكَ عِبادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدّاعِ إِذا دَعانِ و لما كان الأمر في نفسه بهذه المثابة في الجناب الإلهي ظهر في العالم الأثر أيضا إذ لو لم يكن كذلك لظهر في العالم أمر لا مستند له في الجناب الإلهي فيناط به الجهل به إذ قد تقرر أن علمه بالعالم علمه بنفسه فلهذه الحقيقة الإلهية استناد الرسم و الوسم و قد يكون قول الطائفة في الوسم و الرسم بما جريا في الأزل حكمهما في الجناب الإلهي إذ كان العالم ظاهرا بصورة حق و لا يحتمل البسط في هذا الباب أكثر من هذا و أما التفصيل فيه فيطول بطول العالم و العالم لا يتناهى الأثر فيه وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثامن عشر و مائتان في معرفة القبض و أسراره على الاختصار و الإجمال»

للقبض أسباب و لكنها تعلم أوقاتا و قد تجهل
فكل ما تعلم أسبابه فحكمه السبب الأول
و كل ما تجهل أسبابه فلا تقل أدنى و لا أفضل
فأفضل القبض إليه الذي يعرفه الأمثل فالأمثل
كقبضه الظل إليه و ذا عليه أهل الله قد عولوا

اعلم أن الطائفة قالت في القبض إنه عبارة عن حال الخوف في الوقت فإن الأسف في الماضي و الخوف و الحذر في المستقبل و القبض للمعنى الحاصل في الوقت و بعضهم نزع في القبض إلى نتائجه فقال القبض وارد يرد على القلب يوجب إشارة إلى عتاب أو زجر باستحقاق تأديب و قال بعضهم القبض حال ينتجه الخوف و قد يكون الخوف مشعورا به و قد لا يكون فاعلموا أيدكم الله أن القبض في الجناب الإلهي الذي عنه صدر القبض في الكون هو ما اتصف به الحق سبحانه من صفات المخلوقين و لا سيما في قوله و وسعني قلب عبدي ثم تجليه لكل معتقد فيه في صورة اعتقاده فيه فصار الحق كأنه محصور مقبوض عليه بالاعتقادات و هي العلامة التي بين الله و بين

عامة عباده و لو لم يكن كذلك لم يكن إلها و هو إله العالم بلا شك فلا بد من اتصافه بهذه السعة و العالم متباين الاستعداد و لا بد له من الاستناد فلا يزال يعبد كل جزء من العالم الله من حيث استعداده فلا بد أن يتجلى له الحق بحسب استعداده للقبول فما من شيء إلا و هو يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ فقد قبض بكلتا يديه على ما اعتقده وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ فلو كان تسبيحهم راجعا إلى أمر واحد لم يجهل أحد تسبيح غيره و قد قال الله إن تسبيح الأشياء لا يفقه فدل على إن كل شيء يسبح إلهه بما تقرر عنده منه مما ليس عند الآخر و لما كان في قضية العقل إن الله عز و جل لا يكون محصورا و في قضية الوقوع وجود الحصر وصف نفسه في آخر الآية بأنه حليم فلم يؤاخذ مع القدرة من زعم أن الحق على وصف كذا خاصة و ما هو على وصف كذا و وصف نفسه في آخر هذه الآية بأنه غفور لما ستر به قلوبهم عن العلم به إلا من شاء من عباده فإنه أعطاه العلم به على الإجمال و قال لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ لأنه عين كل شيء بدليل العلامة التي ثبتت عنه و الشيء لا يكون مثلا لعينه لأنه عين كل شيء في كل ظل و كل فيء و كل طائفة سوى أهل الله قد نزهته أن يكون كذا و لهذا أخبر عنهم فقال وَإِنْ من شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ أي ينزه بِحَمْدِهِ أي بالثناء عليه و التنزيه البعد و ما ذكر الله أنه أمرهم بتسبيحه بل أخبر أنهم يسبحون بحمده فاجعل بالك لقول الله في تلاوتك لما يقوله ربك عن نفسه و ما يقوله العالم عنه و فرق و لا تحتج فيه إلا بما قاله عن نفسه لا بما يحكيه من قول العالم فيه تكن من أهل القرآن الذين هم أهل الله و خاصته و حقيقة حال القبض الإلهي في إخباره تعالى عن نفسه ما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض عبدي المؤمن يكره الموت و أنا أكره مساءته و لا بد له من لقائي فوصف نفسه بالكراهة و كل كاره فحاله القبض فافهم ما نبهتك عليه تعثر على الحق و قد حصل في هذا الخبر أمران موجبان للقبض و هما التردد و الكراهة و الغضب المنسوب إليه و الغضب حكم قبض بلا شك و لكن لما كان الجناب الإلهي في اعتقاد العامة يضيق المجال فيه الذي وسعه الشارع لم نقدر على إيضاح الأمر على ما هو عليه ذلك الجناب الإلهي إذ له الاتساع الذي لا ينبغي إلا له و من أسمائه الواسع و هو من أعظم الأسماء إحاطة و هو الاسم الذي يتضمن الأسماء الإلهية التي تطلبها الأكوان كلها لاتساعه و هي أكثر من أن تحصى كثرة و أعيانها معلومة عند أهل الله تعالى في قوله عز و جل يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى الله فمن كحل عين بصيرته بكحل الكشف علم ما قلناه و كل أثر و خبر ورد فيه القهر الإلهي فإنه من باب القبض الإلهي و من هناك ظهر القبض فينا فمن وفى مقام القبض حالا و ذوقا كان قبضه إلهيا بلا شك و أما القبض الذي هو عن حال الخوف كما يراه بعضهم فذلك قبض خاص يتعلق بالنفس و سواء خاف صاحبه على نفسه أو على غيره فإن كان خوفه على غيره صحبه الإشفاق إذ كان آمنا على نفسه و كخوف الأنبياء على أممهم يوم القيامة فهم و أمثالهم ممن يحزنهم الفزع الأكبر من أجل أممهم و هم ممن لا يحزنهم الفزع الأكبر من أجل أنفسهم و القبض حال خوف أبدا إلا القبض المجهول سببه فإنه أيضا مجهول

الخوف فإذا ورد القبض المجهول على قلب العارف سكن تحته و لم يتحرك رأسا حتى ينقدح له السبب فيعمل عند ذلك بحسب ما تقتضيه حقيقة ذلك السبب من الأثر فيه في أي جانب ظهر من حق و خلق و هو من المقامات المستصحبة إلى أول قدم يلقيه في الجنة فيرتفع عنه و لا يتصف به أبدا كما يرتفع بعض حكم الأسماء الإلهية الموجودة هنا و في الآخرة بانقضاء مدة حكمها فلا تجد قابلا فترتفع بارتفاع حكمها إذ كانت عين حكمها و من هنا تعلم أن أعيان الأسماء الإلهية هي أعيان أحكامها و لذلك تبقي أعيانها ما بقيت أحكامها و تفني بفناء أحكامها فلو كانت الأسماء الإلهية راجعة إلى ذات المسمى موجودة قائمة بها لم يصح فناؤها و لا فناء أحكامها و لو كانت أيضا راجعة إلى ذات المسمى لكان حكمها كذلك فلم يبق أن تكون إلا لنسب و إضافات لا وجود لها في عينها فلذلك قلنا إنها عين أحكامها فتزول بزوال الحكم و تثبت بثبوته

«الباب التاسع عشر و مائتان في معرفة البسط و أسراره»

البسط حال و لكن ليس يدريه إلا الإله الذي أقامنا فيه
له التحكم في الأكوان أجمعها به الوجود الذي تبدو معانيه
و ليس يحجبه عنا سوى قدر و هو الذي عن عيون الخلق يخفيه
البغي حكم له إن كنت ذا نظر جاء الكتاب به لو كنت تدريه
في عالم الخلق هذا الحكم ليس له في عالم الأمر هذا في تجليه

اعلم وفقك الله أن البسط عند الطائفة عبارة عن حال الرجاء في الوقت و قال بعضهم القبض و البسط أخذ وارد الوقت بحكم قهر و غلبة و البسط عندنا حال حكم صاحبه أن يسع الأشياء و لا يسعه شيء حقيقة البسط لا تكون إلا لرفيع المنزلة رفيع الدرجات فينزل بالحال إلى حال من هو في أدنى الدرجات فيساويه و هو في الجناب الإلهي في مثل قوله تعالى وَأَقْرِضُوا اللّٰهَ قَرْضاً حَسَناً و أعظم في النزول من ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّٰهَ و لأجل هذا البسط قال من قال إِنَّ اللّٰهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيٰاءُ و هذا القول تصديق قوله تعالى وَلَوْ بَسَطَ اللّٰهُ الرِّزْقَ لِعِبٰادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ و من البسط الإلهي قوله تعالى يَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ و لو لا البسيط الإلهي ما تمكن لأحد من خلق الله أن يتخلق بجميع الأسماء الإلهية و أعظم تعريف في البسط الإلهي إِنَّ رَبَّكَ وٰاسِعُ الْمَغْفِرَةِ و يا أَيُّهَا النّٰاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرٰاءُ إِلَى اللّٰهِ فلما تمكن مثل هذا البسط في قلوب العباد ربما أثر في قلوبهم بغيا فتعدوا منزلتهم فلما علم الحق أنه ربما أثر ذلك مرضا في قلوب بعض العباد جعل دواءه تمام الآية و هو قوله وَاللّٰهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ فأنزل الداء و الدواء و هذا من نشر رحمته لأن الأدنى في مرتبة تقتضي أن لا

يكون صاحب بسط فإن انبسط فليس له إلا أن يجول في غير ميدانه فيكون البسط من الأدنى سوء أدب و لما علم الحق هذا أمر عباده بالتخلق بمكارم الأخلاق و أثنى عليهم بها و جعل ذلك من أعظم أعمال العباد فظهروا بها عن الأمر الإلهي فكان بسطهم عبادة و قربة إلى الله و هذا من نشر رحمته و اتساع مغفرته و عموم تفضله فبسط العباد بسط عن قبض و بسط الحق لا عن قبض بل له البسط ابتداء ثم بعد ذلك يكون القبض الإلهي و هو قوله صلى الله عليه و سلم إن رحمة الله سبقت غضبه رحمته و بسطه أوجد الخلق و لا يكون حكم القبض و البسط إلا مع ثبوت الأغيار و لولا الأغيار لم يتحقق بسط و لا قبض فتحقق ذلك و اعلم أن أعظم بسط العبد أن يكون خلاقا فإن تأدب في هذا البسط فهو المذكور الداخل في عموم قوله تعالى فَتَبارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ فأضاف الحسن إلى الخالقين غير إن الله أحسن الخالقين إذ كان هذا النعت من خصوص وصف الإله لأنه قال تعالى في الرد على عبدة الأوثان أَ فَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ فنفى الخلق عن الخلق فلو لم يرد عموم نفي الخلق عن الخلق لم تقم به حجة على من عبد فرعون و أمثاله ممن أمر من المخلوقين أن يعبد من دون الله و لم يكن هؤلاء ممن يدخل في عموم الخالقين من قوله أَحْسَنُ الْخالِقِينَ فإنهم لم يتصفوا بالإحسان في الخلق فإن الإحسان في العباد أن تعبد الله كأنك تراه فتعلم من هو الخالق على الحقيقة فلما كان هذا النعت من خصوص وصف الإله و قد أضاف الخلق إلى الخلق انفرد هو بالنظر إلى ما أثبت من الخلق للخلق بالأحسن في ذلك فقال أحسن الخالقين و هو معنى قوله تعالى فَتَبارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ و البركة الزيادة فزاد أحسن في قوله أَحْسَنُ الْخالِقِينَ و ما أحسن قوله تعالى أَ فَرَأَيْتُمْ ما تُمْنُونَ أَ أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخالِقُونَ و لم يقل أ أنتم تخلقون منه و لا فيه و إنما قال تخلقونه فأراد عين إيجاده منيا خاصة و الاسم المصور هو الذي يتولى فتح الصورة فيه أي صورة شاء من الجنس أو غيره و هو قوله فِي أَيِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَكَّبَكَ فهو الاسم المصور و هنا أسرار من علوم الطبيعة لما جعل الله فيها من الاشتراك في التكوين فهل هي سبب من جملة الأسباب التي تفعل لعينها بذاتها فيكون الحق يفعل بها لا عندها أو تكون من الأسباب التي يفعل الحق مسببها عندها لا بها و يتفاوت هنا نظر النظار و أما أهل الكشف فيعلمون ذلك ابتداء عند الكشف من غير نظر لعلمهم بمرتبة الطبيعة و أن منزلتها منزلة جميع الحقائق و الحقائق لا تتبدل فيجرونها مجراها و ينزلونها منزلتها فبسط العلماء بالله هو عين العلم بالله فإذا علموا علموا من انبسط و من له البسط و علموا من انقبض و من له القبض فيبقى عندهم كل أمر على أصله و حقيقته لا تبديل عندهم في ذلك و لا تحويل لأنهم على سنة الله فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَحْوِيلًا فأهل سنة الله لهم البسط المحقق لأن البسط نشر و النشر ظهور و لولا الظهور ما أدركت الأشياء

فبسط العارفين على يقين و بسط الخلق تخمين و حدس

إذا خشعت الأصوات للرحمن فكيف يكون الحال مع الجبا ر

خشوع حياء لا خشوع مهانة　　　و هيبة إجلال و قبض تأدب

قال تعالى وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمنِ فَلا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً حكم اقتضاه الموطن و اعلم أيها الولي الحميم أن الخلق كان في قبض الحق للحق فلما انبسط ظهر للعالم قال الله تعالى لآدم و يداه مقبوضتا ن يا آدم اختر أيتهما شئت فقال آدم اخترت يمين ربي و كلتا يدي ربي يمين مبا ركة فبسطها فإذا فيها آدم و ذريته و لو فتح الأخرى لكان فيها سائر العالم فانظر إلى كون الإنسان في اليمين الحق إذ علم آدم أن بين اليدين فرقانا و لذلك قال أدبا و كلتا يدي ربي يمين مبا ركة فاختا ر القوة نظرا إلى نفسه لما علم أنه على الصورة و أنه خليفة فعلم إن القوة له فاختا ر الأقوى بأدب و لما كان الخلق مطويا في الحق لم ير نفسه و هو مشهود لله فلما كان البسط الإلهي ظهر العالم لنفسه فرأى نفسه و رأى من كان في قبضته عن شهود نفسه فعلم من أين صد ر و كيف صد ر و ما علم هل له رجوع أم لا فقيل له وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ وإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ و علم أن الرجوع إنما هو رد إلى الأصل و قد علم أصل الوجود فعلم إلى أين يرجع و قد كان في الأصل لا يعلم نفسه فعلم أنه يرجع إلى منزله لا يعلم نفسه مع ظهور عينه كما لم يشهد نفسه إذ كان في قبضة موجدة فيكون ما ل العا رفين و رجوعهم مع ثبوت عينهم إلى أن الحق عينهم لا هم و هذا مقام لا يكون إلا للعا رفين فهم مقبوضون في حال بسطهم و لا يصح لعا رف قط إن يكون مقبوضا في غير بسط و لا مبسوطا في غير قبض و ما سوى العا رف إذا كان في حال قبض لا يكون له حال بسط و إذا كان في حال بسط لا يكون له حال قبض فالعا رف لا يعرف إلا بجمعه بين الضدين فإنه حق كله كما قال أبو سعيد الخراز و قد قيل له بم عرفت الله فقال بجمعه بين الضدين لأنه شاهد جمعهما في نفسه و قد علم أنه على صورته و سمعه يقول هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْباطِنُ و بهذه الآية احتج في ذلك ثم نظر إلى العالم فرآه إنسانا كبيرا في الجرم و رآه قد جمع بين الضدين فإنه رأى فيه الحركة و السكون و الاجتماع و الافتراق و رأى فيه الأضداد و هو أيضا على صورة العالم كما هو على صورة الحق فانظر ما أعجب هذه اللفظة من أبي سعيد و لهذا المقام كان يشير ذو النون المصري في مسائله من إيراد الكبير على الصغير و إدخال الواسع في الضيق من غير إن يوسع الضيق أو يضيق الواسع و قد ذكرنا هذه المسألة في معرفة الخيال من باب المعرفة من هذا الكتاب مستوفاة فبسط العلماء بالله من البسط المنسوب إلى الحق بل هو عين البسط المنسوب إلى الحق لأنهم إليه رجعوا

فلم يكن البسط الإله　　　فهم أهل محو و إن أثبتوا

و هذا القد ر كاف في تحقيق البسط من العلم الإلهي

«الباب العشرون و مائتان في معرفة الفناء و أسراره»

إن الفناء أخو العدم و له التسلط إن حكم
هو عن كذا لا غيره فبعن له فينا قدم
ثم الفناء عن الفناء حجاب ما ينفي الظلم
فشبيهه بل عينه ما قيل في عدم العدم
هي لفظة ما تحتها عين و لكن تحتكم
ما زال تطلبه الرجاء ل فمن يقوم به عصم
فيه إذا سلطانه يمضيه تحصين الحكم

اعلم أن الفناء عند الطائفة يقال بإزاء أمور فمنهم من قال إن الفناء فناء المعاصي و من قائل الفناء فناء رؤية العبد فعله بقيام الله على ذلك و قال بعضهم الفناء فناء عن الخلق و هو عندهم على طبقات منها الفناء عن الفناء و أوصله بعضهم إلى سبع طبقات فاعلموا أيدنا الله و إياكم بروح القدس أن الفناء لا يكون إلا عن كذا كما إن البقاء لا يكون إلا بكذا و مع كذا فعن للفناء لا بد منه و لا يكون الفناء في هذا الطريق عند الطائفة إلا عن أدنى بأعلى و أما الفناء عن الأعلى فليس هو اصطلاح القوم و إن كان يصح لغة فأما الطبقة الأولى في الفناء فهي إن تفني عن المخالفات فلا تخطر لك ببال عصمة و حفظا إلهيا و رجال الله هنا على قسمين القسم الواحد رجال لم يقدر عليهم المعاصي فلا يتصرفون إلا في مباح و إن ظهرت منهم المخالفات المسماة بالمعاصي شرعا في الأمة إلا إن الله وفق هؤلاء فكانوا ممن أذنبوا فعلموا إن لهم ربا يغفر الذنب و يأخذ بالذنب فقيل لهم على سماع منهم لهذا القول اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم و كأهل بدر ففنيت عنهم أحكام المخالفات فما خالفوا فإنهم ما تصرفوا إلا فيما أبيح لهم فإن الغيرة الإلهية تمنع أن ينتهك المقربون عنده حرمة الخطاب الإلهي بالتحجير و هو غير مؤاخذ لهم لما سبقت لهم به العناية في الأزل فأباح لهم ما هو محجور على الغير و سائر من ليس له هذا المقام لا علم له بذلك فيحكم عليه بأنه ارتكب المعاصي و هو ليس بعاص بنص كلام الله المبلغ على لسان رسول الله صلى الله عليه و سلم و كأهل البيت حين أذهب الله عنهم الرجس و لا رجس أرجس من المعاصي و طهرهم تطهيرا و هو خبر و الخبر لا يدخله النسخ و خبر الله صدق و قد سبقت به الإرادة الإلهية فكل ما ينسب إلى أهل البيت مما يقدح فيما أخبر الله به عنهم من التطهير و ذهاب الرجس فإنما ينسب إليهم من حيث اعتقاد الذي ينسبه لأنه رجس بالنسبة إليه و ذلك الفعل عينه ارتفع حكم الرجس عنه في

حق أهل البيت فالصورة واحدة فيهما و الحكم مختلف و القسم الآخر رجال اطلعوا على سر القدر و تحكمه في الخلائق و عاينوا ما قدر عليهم من جريان الأفعال الصادرة منهم من حيث ما هي أفعال لا من حيث ما هي محكوم عليها بكذا أو كذا و ذلك في حضرة النور الخالص الذي منه يقول أهل الكلام أفعال الله كلها حسنة و لا فاعل إلا الله فلا فعل إلا لله و تحت هذه الحضرة حضرتان حضرة السدفة و حضرة الظلمة المحضة و في حضرة السدفة ظهر التكليف و تقسمت الكلمة إلى كلمات و تميز الخير من الشر و حضرة الظلمة هي حضرة الشر الذي لا خير معه و هو الشرك و الفعل الموجب للخلود في النار و عدم الخروج منها و أن نعم فيها فلما عاين هؤلاء الرجال من هذا القسم ما عاينوه من حضرة النور بادروا إلى فعل جميع ما علموا أنه يصدر منهم و فنوا عن الأحكام الموجبة للبعد و القرب ففعلوا الطاعات و وقعوا في المخالفات كل ذلك من غير نية لقرب و لا انتهاك حرمة فهذا فناء غريب أطلعني الله عليه بمدينة فاس و لم أر له ذائقا مع علمي بأن له رجالا و لكن لم ألقهم و لا رأيت أحدا منهم غير أني رأيت حضرة النور و حكم الأمر فيها غير أنه لم يكن لتلك المشاهدة فينا حكم بل أقامني الله في حضرة السدفة و حفظني و عصمني فلي حكم حضرة النور و إقامتي في السدفة و هو عند القوم أتم من الإقامة في حضرة النور فهذا معنى قول بعضهم في الفناء إنه فناء المعاصي «و أما النوع الثاني» من الفناء فهو الفناء عن أفعال العباد بقيام الله على ذلك من قوله أَفَمَنْ هُوَ قائِمٌ عَلى كُلِّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ فيرون الفعل لله من خلف حجب الأكوان التي هي محل ظهور الأفعال فيها و هو قوله تعالى إِنَّ رَبَّكَ واسِعُ الْمَغْفِرَةِ أي ستره واسع و الأكوان كلها ستره و هو الفاعل من خلف هذا الستر وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ و المثبتون من المتكلمين أفعال العباد خلقا لله يشعرون و لكن لا يشهدون لحجاب الكسب الذي أعمى الله به بصيرتهم كما أعمى بصيرة من يرى الأفعال للخلق حين أوقفه الله مع ما يشاهده ببصره فهذا لا يشعر و هو المعتزلي و ذلك لا يشهد و هو الأشعري فالكل عَلى بَصَرِهِ غِشاوَةً «و أما النوع الثالث» فهو الفناء عن صفات المخلوقين بقوله تعالى في الخبر المروي النبوي عنه كنت سمعه و بصره و كذا جميع صفاته و السمع و البصر و غير ذلك من أعيان الصفات التي للعبد أو الخلق قل كيف شئت و عرف الحق أن نفسه هي عين صفاتهم لا صفته فأنت من حيث صفاتك عين الحق لا صفته و من حيث ذاتك عينك الثابتة التي اتخذها الله مظهرا أظهر نفسه فيها لنفسه فإنه ما يراه منك إلا بصرك و هو عين نظرك فما رآه إلا نفسه و أفناك بهذا عن رؤيته فناء حقيقة شهودية معلومة محققة لا يرجع بعد هذا الفناء حالا إلى حال يثبت لك أن لك صفة محققة ليست عين الحق و صاحب هذا الفناء دائما في الدنيا و الآخرة لا يتصف في نفسه و لا عند نفسه بشهود و لا كشف و لا رؤية مع كونه يشهد و يكشف و يرى و يزيد صاحب هذا الفناء على كل مشاهد وراء و مكاشف أنه يرى الحق كما يرى نفسه لأنك رأيته به لا بك و هذا مشهد عزيز لم أر له بالحال ذائقا فإنه دقيق فمن زعم

أنه ذاقه ثم رجع بعد ذلك إلى حسه و نفسه و أثبت لنفسه صفة ليست هي عين الحق التي علمها فليس عنده خبر بما قاله و لا يعرف من شاهد و لا ما شاهد ثم إن صاحب هذا الفناء مهما فرق بين صفاته في حال الفناء فرأى غير ما سمع و سمع غير ما سعى و سعى غير ما شم و طعم و طعم غير ما علم و علم غير ما قدر و ميز و فرق بين هذه النسب و ادعى أنه صاحب هذا النوع من الفناء فليس هو و إذا توحدت عنده العين فسمع بما به رأى بما به تكلم بما به علم و سعى و شم و طعم و أحس و لم يختلف عليه الإدراك باختلاف الحكم فهو صاحب هذا الفناء ذوقا صحيح الحال «و أما النوع الرابع» من الفناء فهو الفناء عن ذاتك و تحقيق ذلك أن تعلم أن ذاتك مركبة من لطيف و كثيف و أن لكل ذات منك حقيقة و أحوالا تخالف بها الأخرى و أن لطيفتك متنوعة الصور مع الآنات في كل حال و أن هيكلك ثابت على صورة واحدة و إن اختلفت عليه الأعراض فإذا فنيت عن ذاتك بمشهودك الذي هو شاهد الحق من الحق و غير الحق و لا تغيب في هذه الحال عن شهود ذاتك فيه فما أنت صاحب هذا الفناء فإن لم تشهد ذاتك في هذا الشهود و شاهدت ما شاهدت فأنت صاحب هذا النوع من الفناء و إنما قلنا شاهدت ما شاهدت و لم نخصص شهود الحق وحده فإن صاحب هذا الفناء قد يكون مشهوده كونا من الأكوان و هو حال يعصم ذات الإنسان من التأثر أخبرني الأستاذ النحوي عبد العزيز بن زيدان بمدينة فاس و كان ينكر حال الفناء و كان يختلف إلينا و كانت فيه إنابة فلما كان ذات يوم دخل علي و هو فارح مسرور فقال لي يا سيدي الفناء الذي تذكره الصوفية صحيح عندي بالذوق قد شاهدته اليوم قلت له كيف قال ألست تعلم أن أمير المؤمنين دخل اليوم من الأندلس إلى هذه المدينة قلت له بلى قال اعلم إني خرجت أتفرج مع أهل فاس فأقبلت العساكر فلما وصل أمير المؤمنين و نظرت إليه فنيت عن نفسي و عن العسكر و عن جميع ما يحسه الإنسان و ما سمعت دوي الكوسات و لا صوت طبل مع كثرة ذلك و لا البوقات و لا ضجيج الناس و لا رأيت ببصري أحدا من العالم جملة واحدة سوى شخص أمير المؤمنين ثم إنه ما أزاحني أحد عن مكاني و وقفت في طريق الخيل و ازدحام الناس و ما رأيت نفسي و لا علمت أني ناظر إليه بل فنيت عن ذاتي و عن الحاضرين كلهم بشهودي فيه و لما انحجب عني و رجعت إلى نفسي أخذتني الخيل و ازدحام الناس فازالونى عن موضعي و ما تخلصت من الضيق إلا بشدة و أدرك سمعي الضجيج و أصوات الكوسات و البوقات فتحققت إن الفناء حق و أنه حال يعصم ذات الفاني من أن يؤثر فيه ما فنى عنه هذا يا أخي فناء في مخلوق فما ظنك بالفناء في الخالق فإن شاهدت في هذا الفناء تنوع ذاتك اللطيفة و لم تشاهد معها سواها ففناؤك عنك بك لا بسواك فأنت فإن عن ذاتك و لست فانيا عن ذاتك فإنك لك بك مشهود من حيث لطيفتك و إنك لك بك مفقود من حيث هيكلك فإن شاهدت مركبك في حال هذا الفناء فمشهودك خيال و مثال ما هو عينك و لا غيرك بل حالك في هذا الفناء حال النائم صاحب الرؤيا

«و أما النوع الخامس من الفناء» و هو فناؤك عن كل العالم بشهودك الحق أو ذاتك فإن تحققت من تشهد منك علمت أنك شاهدت ما شاهدته بعين حق و الحق لا يفنى بمشاهدة نفسه و لا العالم فلا تفني في هذه الحال عن العالم و إن لم تعلم من يشهد منك كنت صاحب هذا الحال و فنيت عن رؤية العالم بشهود الحق أو بشهود ذاتك كما فنيت عن ذاتك بشهود الحق أو بشهود كون من الأكوان فهذا النوع يقرب من الرابع في الصورة و إن كان يعطي من الفائدة ما لا يعطيه النوع الرابع المتقدم «و أما النوع السادس من الفناء» فهو إن تفني عن كل ما سوى الله بالله و لا بد و تفني في هذا الفناء عن رؤيتك فلا تعلم أنك في حال شهود حق إذ لا عين لك مشهودة في هذا الحال و هنا يطرأ غلط لبعض الناس من أهل هذا الشأن و أبينه لك إن شاء الله حتى يتخلص لك المقام و إن الله ألهمني لهذا البيان و ذلك أن صاحب هذا الحال إذا فنى عن كل ما سوى الله بشهود الله فيما يقول فلا يخلو في شهوده ذلك إما أن يرى الحق في شئونه أو لا يراه في شئونه فإنه لا يزال في شئون إذ لا غيبة له عن العالم و لا عن أثر فيه فإن شاهده في شئونه فما فنى عن كل ما سوى الله و إن شاهده في غير شئونه بل في غناه عن العالم فهو صحيح الدعوى فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ و هذا المشهد كان للصديق فإنه قال ما رأيت شيئًا إلا رأيت الله قبله فأثبت أنه رآه و لا شيء ثم أقيم في مشهد آخر فرأى صدور الشيء عنه و قد كان رآه و لا شيء فجعل تلك الرؤية قبل هذا الشهود فقال ما رأيت شيئًا إلا رأيت الله قبله فقد أبنت لك الأمر على ما هو عليه «و أما النوع السابع من الفناء» فهو الفناء عن صفات الحق و نسبها و ذلك لا يكون إلا بشهود ظهور العالم عن الحق لعين هذا الشخص لذات الحق و نفسه لا لأمر زائد يعقل و لكن لا من كونه علة كما يراه بعض النظار و لا يرى الكون معلولا و إنما يراه حقا ظاهرا في عين مظهر بصورة استعداد ذلك المظهر في نفسه فلا يرى للحق أثرا في الكون فما يكون له دليل على ثبوت نسبة و لا صفة و لا نعت فيفنيه هذا الشهود عن الأسماء و الصفات و النعوت بل إن حققه يرى أنه محل التأثر حيث أثر فيه استعداد الأعيان الثابتة من أعيان الممكنات و مما يحقق هذا كونه تعالى وصف نفسه في كتابه و على ألسنة رسله بما وصف به المخلوقات المحدثات و إما أن تكون هذه الصفات في جنابه حقا ثم نعتنا بها و إما أن تكون لنا حقا و نعت نفسه بها توصلا لنا و خبره بها صدق لا كذب و إن كنا نحن فيها الأصل فهو مكتسب و إن كان هو الأصل فقد كسبنا إياها و هذه من أغمض نتائج العلم بالله فإنه أضاف إليه نعوت المحدثات كلها بأخبار قديم أزلي فمنها ما أشار به في أخباره بأنه مكتسب لبعضها مثل قوله وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ و منها ما ذكره و لم يقيد باكتساب و لا غيره و من هذا الباب أُجِيبُ دَعْوَةَ الدّاعِ و ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ و اسئلوني أعطكم و استغفروني أغفر لكم و فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ و أما قولهم الفناء عن الفناء فما هو نوع ثامن و إنما هو الفاني إذا لم يعلم في فنائه إنه فإن فذلك الفناء عن الفناء كصاحب الرؤيا الذي لا يعلم أنه في رؤيا فهو حال تابع في كل نوع يقوم من أنواع الفناء و حال الفناء لا ينال

بتعمل أي لا يقصد و أدناه د رجة حكمه في المتفكر فإذا استغرق الإنسان الفكر في أمر ما من أمور الدنيا أو في مسألة من العلم فتحد ثه و لا يسمعك و تكون بين يديه و لا يراك و ترى في عينه جمودا في تلك الحالة فإذا عثر على مطلوبه أو طرأ أمر يرده إلى إحساسه حينئذ يراك و يسمعك فهذه أدنى د رجاته في العالم و سبب ذلك ضيق المحدث فإنه لا شيء أوسع من حقيقة الإنسان و لا شيء أضيق منها فأما اتساع القلب فإنه لا يضيق عن شيء و لكن عن شيء واحد و أما ضيقه فإنه لا يسع خاطرين معا فإنه أحدي الذات فلا يقبل الكثرة فهو من حيث هذه الحقيقة في الحكم الإلهي في معنى قوله فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ و في الرتبة الأخرى في قوله فأحببت إن أعرف و هذا القد ر كاف في معرفة هذا الباب وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الأحد و العشرون و مائتان في معرفة البقاء و أسرا ره»

إذا رأيت قيام الله جل على — كل النفوس بما فيها من الأثر
ذاك البقاء الذي قال الرجال به — و أنت باق به إن كنت ذا نظر
فكن به لا تكن بالفكر متصفا — فإنما الغير مشتق من الغير
و أين غير و ما في الكون أجمعه — سوى الوجود الذي تدعوه بالبشر
فإنه اسم يعم الكون أجمعه — عينا و علما فلا تخرج عن الصور

اعلم أن البقاء عند بعض الطائفة بقاء الطاعات كما كان الفناء فناء المعاصي عند صاحب هذا القول و عند بعضهم البقاء بقاء رؤية العبد قيام الله على كل شيء و هذا قول من قال في الفناء إنه فناء رؤية العبد فعله بقيام الله تعالى على ذلك و عند بعضهم البقاء بقاء بالحق و هو قول من قال في الفناء إنه فناء عن الخلق اعلم أن نسبة البقاء عندنا أشرف في هذا الطريق من نسبة الفناء لأن الفناء عن الأدنى في المنزلة أبدا عند الفاني و البقاء بالأعلى في المنزلة أبدا عند الباقي فإن الفناء هو الذي أفناك عن كذا فله القوة و السلطان فيك و البقاء نسبتك إلى الحق و إضافتك إليه أعني البقاء في هذا الطريق عند أهل الله فيما اصطلحوا و الفناء نسبتك إلى الكون فإنك تقول فنيت عن كذا و نسبتك إلى الحق أعلى فالبقاء في النسبة أولى لأنهما حالان مرتبطان فلا يبقى في هذا الطريق إلا فإن و لا يفنى إلا باق و الموصوف بالفناء لا يكون إلا في حال البقاء و الموصوف بالبقاء لا يكون إلا في حال الفناء ففي نسبة البقاء شهود حق و في نسبة الفناء شهود خلق لأنك لا تقول فنيت عن كذا إلا مع تعقلك من فنيت عنه و نفس تعقلك إياه هو نفس شهودك إياه إذ لا بد من إحضا ره في نفسك لتعقل حكم الفناء عنه و كذلك البقاء لا بد من شهود من أنت باق به و لا يكون البقاء في هذا الطريق إلا بالحق فلا بد من شهود

الحق فإنه لا بد من إحضارك إياه في قلبك و تعقلك إياه فحينئذ تقول بقيت بالحق و هذه النسبة أشرف و أعلى لعلو المنسوب إليه فحال البقاء أعلى من حال الفناء و إن تلازما و كانا للشخص في زمان واحد فلا خفاء عند ذي نظر سليم في الفرق بين النسبتين في الشرف و المنزلة «شرح هذا المقام يتضمنه شرح باب الفناء» و ذلك أن تنظر في كل نوع من أنواع الفناء إلى السبب الذي أفناك عن كذا فهو الذي أنت باق معه هذا جماع هذا الباب إلا أن هنا تحقيقا لا يكون إلا في الفناء و ذلك أن البقاء نسبة لا تزول و لا تحول حكمه ثابت حقا و خلقا و هو نعت إلهي و الفناء نسبة تزول و هو نعت كياني لا مدخل له في حضرة الحق و كل نعت ينسب إلى الجانبين فهو أتم و أعلى من النعت المخصوص بالجانب الكوني إلا العبودة فإن نسبتها إلى الكون أتم و أعلى من نسبة الربوبية و السيادة إليه فإن قلت فالفناء راجع إلى العبودة و لازم قلنا لا يصح أن يكون كالعبودة فإن العبودة نعت ثابت لا يرتفع عن الكون و الفناء قد يفنيه عن عبودته و عن نفسه فحكمه يخالف حكم العبودة و كل أمر يخرج الشيء عن أصله و يحجبه عن حقيقته فليس بذلك الشرف عند الطائفة فإنه أعطاك الأمر على خلاف ما هو به فألحقك بالجاهلين و البقاء حال العبد الثابت الذي لا يزول فإنه من المحال عدم عينه الثابتة كما أنه من المحال اتصاف عينه بأنه عين الوجود بل الوجود نعته بعد أن لم تكن و إنما قلنا هذا لأن الحق هو الوجود و لا يلزم أن تكون الصفة عين الموصوف بل هو محال و العبد باقي العين في ثبوته ثابت الوجود في عبودته دائم الحكم في ذلك إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ إِلاّٰ آتِي الرَّحْمٰنِ عَبْداً ما عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَ مٰا عِنْدَ اللّٰهِ بٰاقٍ فنحن عنده و هو عندنا فالحق النفاد و البقاء بمن ألحقته هذه الآية و النفاد فناء و البقاء نعت الوجود من حيث جوهره و الفناء نعت العرض من حيث ذاته بل نعت سائر المقولات ما عدا الجوهر و قد أومأنا إلى ما فيه غنية لِمَنْ كٰانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ لخطاب الحق وَ هُوَ شَهِيدٌ

«الباب الثاني و العشرون و مائتان في معرفة الجمع و أسراره»

إذا سمعت بحق أو نظرت به فهو السميع البصير الواحد الأحد
و أنت لا فيه و الأعيان قائمة والنفس و العقل و الأرواح و الجسد
فإن أخذت بجمع الجمع تصحبه به فأنت هناك السيد الصمد
و إن علمت بهذا و اتصفت به حالا عليك جميع الأمر ينعقد

اعلم أن الجمع عند بعض الطائفة إشارة من أشار إلى حق بلا خلق و قال أبو علي الدقاق الجمع ما سلب عنك و قالت طائفة منهم الجمع ما أشهدك الحق من فعله بك حقيقة و قال قوم الجمع مشاهدة المعرفة و حجته إِيّٰاكَ نَسْتَعِينُ و قال بعضهم الجمع إثبات الخلق قائما

بالحق و جمع الجمع الفناء عن مشاهدة كل شيء سوى الحق و قال بعضهم الجمع شهود الأغيار بالله و جمع الجمع الاستهلاك بالكلية و فناء الإحساس بما سوى الله عند غلبات الحقيقة و قال بعضهم الجمع مشاهدة تصريف الحق الكل و من نظم القوم في الجمع و الفرق

جمعت و فرقت عني به ففرط التواصل مثنى العدد

فهذا قد ذكرنا بعض ما وصل إلينا من قولهم في الجمع و جمع الجمع و الجمع عندنا أن تجمع ما له عليه مما وصفت به نفسك من نعوته و أسمائه و تجمع ما لك عليك مما وصف الحق به نفسه من نعوتك و أسمائك فتكون أنت أنت و هو هو و جمع الجمع أن تجمع ما له عليه و ما لك عليه و ترجع الكل إليه وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُ أَلَا إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ فما في الكون إلا أسماؤه و نعوته غير أن الخلق ادعوا بعض تلك الأسماء و النعوت و مشي الحق دعواهم في ذلك فخاطبهم بحسب ما ادعوه فمنهم من ادعى في الأسماء المخصوصة به تعالى في العرف و منهم من ادعى في ذلك و في النعوت الواردة في الشرع مما لا يليق عند علماء الرسوم إلا بالمحدثات و أما طريقنا فما ادعينا في شيء من ذلك كله بل جمعناها عليه غير أنا نبهنا أن تلك الأسماء حكم آثار استعداد أعيان الممكنات فيه و هو سر خفي لا يعرفه إلا من عرف إن الله هو عين الوجود و أن أعيان الممكنات على حالها ما تغير عليها وصف في عينها و يكفي العاقل السليم العقل قولهم الجمع فإنه لفظ مؤذن بالكثرة و التمييز بين الأعيان الكثيرة فمن حيث التمييز كان الجمع عين التفرقة و ليست التفرقة عين الجمع إلا تفرقة أشخاص الأمثال فإنه جمع و تفرقة معا و إن الحد و الحقيقة يجمع الأمثال كالإنسانية و أشخاص ذلك النوع يتصفون بالتفرقة فزيد ليس بعمرو و إن كان كل واحد منهما إنسانا و هكذا جميع الأمثال و أشخاص النوع الواحد قال تعالى لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ على وجوه كثيرة قد علم الله ما يؤول إليه قول كل متاول في هذه الآية و أعلاها قولا أي ليس في الوجود شيء يماثل الحق أو هو مثل للحق إذ الوجود ليس غير عين الحق فما في الوجود شيء سواه يكون مثلا له أو خلافا هذا ما لا يتصور فإن قلت فهذه الكثرة المشهودة قلنا هي نسب أحكام استعدادات الممكنات في عين الوجود الحق و النسب ليست أعيانا و لا أشياء و إنما هي أمور عدمية بالنظر إلى حقائق النسب فإذا لم يكن في الوجود شيء سواه فليس مثله شيء لأنه ليس ثم فافهم و تحقق ما أشرنا إليه فإن أعيان الممكنات ما استفادت إلا الوجود و الوجود ليس غير عين الحق لأنه يستحيل أن يكون أمرا زائدا ليس الحق لما يعطيه الدليل الواضح فما ظهر في الوجود بالوجود إلا الحق فالوجود الحق و هو واحد فليس ثم شيء هو له مثل لأنه لا يصح أن يكون ثم وجودان مختلفان أو متماثلان فالجمع على الحقيقة كما قررناه أن تجمع الوجود عليه فيكون هو عين الوجود و تجمع حكم ما ظهر من العدد و التفرقة على أعيان الممكنات إنها عين استعداداتها فإذا علمت هذا فقد علمت معنى الجمع و جمع الجمع و وجود الكثرة و ألحقت الأمور بأصولها و ميزت بين الحقائق و أعطيت كل شيء

حكمه كما أعطى الحق كل شيء خلقه فإن لم تفهم الجمع كما ذكرناه فما عندك خبر منه و أما إشارات الطائفة التي سردناها فإن لهم في ذلك مقاصد أذكرها إن شاء الله مع معرفتهم بما ذهبنا إليه أو معرفة الأكابر منهم و أما قول من قال منهم إن الجمع حق بلا خلق فهو ما ذهبنا إليه أن الحق هو عين الوجود غير أنه ما تعرض لما أعطته استعدادات أعيان الممكنات في وجود الحق حتى اتصف بما اتصفت به و أما قول الدقاق في الجمع إنه ما سلب عنك فإنه يقتضي مقامه أن يريد سلب ما وقعت فيه الدعوى منك و هو له كالتخلق بالأسماء الحسنى و نسبة الأفعال إليك و هي له هذا يعطيه حال الدقاق لا الكلام فإنه لو قال غيره هذه الكلمة ربما قالها على أنه يريد بقوله ما سلب عنك عين الوجود فإنه الذي سلب عنك إذ كان عين الوجود و أما قول الآخر إن الجمع ما أشهدك الحق من فعله بك حقيقة فإنه يريد أنك محل لجريان أفعاله و الأمر في الحقيقة بالعكس بل هو المنعوت بحكم آثار استعدادات أعيان الممكنات فيه إلا أن يريد بقوله من فعله بك أي بك ظهر الفعل و لم يتعرض لذكر فيمن ظهر الأثر فقد يمكن أن يريد ذلك و هو ما ذهبنا إليه و ما تعطيه الحقائق فلو علمنا من هو صاحب هذا القول حكمنا عليه بحاله كما حكمنا علي الدقاق لمعرفتنا بمقامه و حاله و أما قول من قال الجمع مشاهدة المعرفة فاعلم إن المعرفة بالله تعطي أن للعبد نسبة إلى العمل صحيحة أثبتها الحق و لذلك كلفه بالأعمال و للحق تعالى نسبة إلى العمل أثبتها الحق لنفسه و شرع لعبده أن يقول في عمله وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ و قال موسى كليم الله و أعلم الخلق بالله رسل الله فقال لقومه اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا و لا فرق عندنا بين ما يقوله الله أو يقوله رسول الله من نعت الله في الصحة و النسبة إليه و قال الله قسمت الصلاة بيني و بين عبدي ثم فصل سبحانه و بين ما يقول العبد و يقول الله فنسب القول إلى العبد نسبة صحيحة و القول عمل و هو طلب العون من الله في عمله ذلك فصحت المشاركة في العمل فهذا قد جمعت في العمل بين الله و بين العبد فهذا معنى الجمع فقد قررت إن عين العبد مظهر بفتح الهاء و أن الظاهر هو عين الحق و أن الحق أيضا عين صفة العبد و بالصفة وجد العمل و الظاهر هو العامل فإذا ليس العمل إلا لله خاصة قلنا و عند ما قررنا ما ذكرته قررنا أيضا أن عين العبد لها استعداد خاص مؤثر في الظاهر و هو الذي أدى إلى اختلاف الصور في الظاهر الذي هو عين الحق فذلك الاستعداد جعل الظاهر أن يقول وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ يخاطب ذلك الظاهر بأثر استعداد هذا العين المصلية حكم الاسم المعين أن يعينه على عمله فإن عين الممكن إذا كان استعداده يعطي عجزا و ضعفا ظهر حكمه في الظاهر فقول الظاهر هو لسان عين الممكن بل قول الممكن بلسان الظاهر كما أخبر الحق أنه قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده فأعطت المعرفة أن تجمع العمل على عامله لما وقع في ذلك من الدعاوي بما قد ذهب إليه أصحاب النظر القائلين بإضافة الأفعال إلى العباد مجردة و القائلين بإضافة الأفعال إلى الله مجردة و الحق بين الطائفتين أي بين القولين فللعبد إلى العمل نسبة على صورة ما قررناها من أثر استعداد

عين الممكن في الظاهر و للحق نسبة إلى العمل على صورة ما قررناه من قبول الظاهر لتأثير العين فيه فإن العبد قال على لسان أثره في الظاهر إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ و هذا مذهبنا في الجمع فإن كان صاحب القول في الجمع أراد أنه مشاهدة المعرفة و يعرف معنى مشاهدة المعرفة فهو على ما قلناه فنحن إنما تكلمنا على معنى مشاهدة المعرفة لا على مقام قائلها إذ لهذه اللفظة وجوه نا زلة عما ذهبنا إليه في شرحها فشرحناها على أتم الوجوه و أكملها و هو الذي الأمر عليه في نفسه و من أجل بعض تلك الوجوه اعترضنا على قائل هذه اللفظة في مختصر هذا الكتاب و إلى ما قررناه و ذهبنا إليه في الجمع ترجع أقوال الجماعة التي ذكرناها و حكيناها في أول الباب وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثالث و العشرون و مائتان في معرفة حال التفرقة»

إذا اجتمعت فقد أثبت تفرقة   كما تحققت قرآنا و فرقانا

و العين واحدة و الحكم مختلف   و قد أقمت على ما قلت برهانا

فالجمع و الفرق حال ناقص أبدا   فاعدل و كن واحدا إن كنت إنسانا

و ألزم طريقة جبريل و صاحبه   إذ قررا لك إسلاما و إيمانا

و ثم جاء بما قد صح بعدهما   فقررا لك إحسانا و إحسانا

فتلك أربعة لا خامس لها   سوى المؤيد جل الحق سبحانا

اعلم أن التفرقة عند بعض القوم إشارة من أشار إلى خلق بلا حق و عند أبي علي الدقاق الفرق ما ينسب إليك و عند بعضهم الفرق ما أشهدك الحق من أفعالك أدبا و عند بعضهم الفرق مشاهدة العبودية و قيل الفرق إثبات الخلق و قيل التفرقة شهود الأغيار لله و قيل التفرقة مشاهدة تنوع الخلق في أحوالهم و مستند مقام التفرقة من العلم الإلهي نعت الحق سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلانِ و هو انقضاء المدة التي سبق في علم الله مقدارها و هو زمان الحياة الدنيا في كل شخص شخص و اعلم أن أصل الأشياء كلها التفرقة و أول ما ظهرت في الأسماء الإلهية فتفرقت أحكامها بتفرق معانيها حتى لو نظر الإنسان فيها من حيث دلالتها كلها على العين مع الفرقان المعلوم بين معانيها التي يعقل فيها من أنه سميت هذه العين بكذا لكذا و لا سيما إذا كانت الأسماء تجري مجرى النعوت على طريق المدح و التفرقة أظهر و بالتفرقة تعرف إلينا سبحانه فقال لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و قال أَ فَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ ففرق بين من يخلق و من لا يخلق و حدود الأشياء أظهرته التفرقة بين الأشياء و بالتفرقة ظهرت المقامات و الأحوال و كثرت مراتب الخلق و تميزت بها فلله ثمانون عبدا حققهم بحقائق

الايمان و لله مائة عبد حققهم بحقائق النسب الإلهية و الأسماء و لله ستة آلاف عبد و يزيدون حققهم بحقائق النبوة المحمدية و لله ثلاثمائة عبد حققهم بحقائق الأخلاق الإلهية ففرق عز و جل بين عباده بالمراتب و عين الجمع هو عين التفرقة إذ هو دليل على الكثرة و إنما سمي جمعا من أجل العين الواحدة التي تجمع هذه التفرقة فقول من قال في التفرقة إنها إشارة من أشار إلى خلق بلا حق فمشهوده ما أعطته الحدود و الحدود لم يكن لها ظهور إلا في الخلق إذ كان الحق لا يعرف لأنه الغني عن العالمين أي هو المنزه عن إن تدل عليه علامة فهو المعروف بغير حد المجهول بالحد و الحدود أظهرت التفرقة بين الخلق و كل إنسان من أهل الذوق لا يتعدى في أخباره منزلة شهوده و ذوقه لأنهم أهل صدق لا يخبرون أبدا إلا عن شهود لا عن خبر و أما قول الدقاق الفرق ما نسبت إليك فهو ما ذكرناه فإنه ما نسب إليك إلا الحدود إذ الحق لا ينسب إليه حد و جميع ما ينسب إلى العبد فما له إلى الفناء و العدم و ما ينسب إلى الحق فما له إلى البقاء و الوجود فكن ممن ينسب إلى الحق و لا ينسب إلى الخلق و هو معنى قوله تعالى ما عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ فوصف بالنفاد ما نسبه إلينا و ما لفظة تدل على كل شيء كذا قاله سيبويه وَما عِنْدَ اللهِ باقٍ فمن كان عند الله منا صح له البقاء و من كان عند الخلق صح له النفاد ألا ترى من هو عبد لغير الله من المماليك إذا جاء الموت ارتفع الملك إذا كان للسيد عليه فنفد فكل ما نسب إلى المخلوق فإنه ينفد بالموت أو بالشهادة و كل ما ينفد فقد فارق من كان عنده و هذا لا يوجد في الحق فإنه لا يفارقه شيء لأنه معنا و إليه تصير الأمور فهذا معنى قوله الفرق ما ينسب إليك و أما قول من قال الفرق ما أشهدك الحق من أفعالك أدبا يشير إلى الأفعال التي لا يعطي الأدب أن تنسب إلى الله و إن كانت من الله لا إلى الأفعال التي تنسب إلى الله أدبا و حقيقة و أفعال العباد لا بقاء لها عند العبد سوى زمان وجودها خاصة و تزول عنه في الزمان الذي يلي زمان وجودها فهذا معنى قول الدقاق فاجتمعا في المعنى غير أن هذا القائل خصص بعض الأفعال بقوله أدبا فإذا نسبت أعيان هذه الأفعال إلى الله اتصفت بالبقاء لا لأعيانها بل لكونها مشهودة لله وَما عِنْدَ اللهِ باقٍ كما يبقى الفعل عندك ما دام مشهودا لك فإذا لم تشهده زال عينه عن شهودك و لهذا قال ما أشهدك الحق من أفعالك و لم يتعرض لما يشهدك كما أنه لم يتعرض إلى المحمود من أفعالك مع كونه ينسب إليك فقال أدبا و أما قول من قال الفرق مشاهدة العبودية فإنه نسب العبد إلى الصفة القائمة به و لا ينبغي أن تنسب إلا إلى الله و العبودية صفة للعبد فمن شاهد عبوديته كان لمن شاهد و لهذا ينسب عباد الله إلى العبودة لا إلى العبودية فهم عبيد الله من غير نسبة بخلاف نسبتهم إلى العبودية فإن الحق لا يقبل نسبة العبودية لأنه عين صفة العبد لا عين العبد فمن شاهد العبودية فلم يشاهد كونه عبدا لله ففرق بين ما ينسب إلى الصفة و بين ما يضاف إلى الله قال أهل اللسان رجل بين الخصوصية و الخصوصة و بين العبودية و العبودة و العبودية نسبة إليها و العبودة نسبة إلى السيد و أما قول من قال الفرق إثبات الخلق فهو كما تقدم في

معنى قولهم إشارة إلى خلق بلا حق غير أن بينهما فرقانا فإنه قال إثبات الخلق و لم يقل وجود الخلق لأن عين وجود الخلق عين وجود الحق و الخلق من حيث عينه هو ثابت و ثبوته لنفسه أزلا و اتصافه بالوجود أمر حادث طرأ عليه قد عرفناك بما يعقل من هذه اللفظة فقوله إثبات الخلق أي في الأزل وقع الفرق بين الله و الخلق فليس الحق هو عين الأعيان الثابتة بخلاف حال اتصافها بالوجود فهو تعالى عين الموصوف بالوجود لا هي فلهذا قال هذا القائل في الفرق إنه إثبات الخلق و أما قول من قال إن الفرق شهود الأغيار لله أراد من أجل الله فهذه لام العلة فيشاهد في عين وجود الحق أحكام الأعيان الثابتة فيه فلا يظهر إلا بحكمها و لهذا ظهرت الحدود و تميزت مراتب الأعيان في وجود الحق فقيل أملاك و أفلاك و عناصر و مولدات و أجناس و أنواع و أشخاص و عين الوجود واحد و الأحكام مختلفة لاختلاف الأعيان الثابتة التي هي أغيار بلا شك في الثبوت لا في الوجود فافهم و أما قول من قال التفرقة شهود تنوعهم في أحوالهم يريد ظهور أحكامهم في وجود الحق فإنها متنوعة و الحق لا يقبل التنوع فثبت إن ذلك حكم الأعيان و المشهود لهذا العبد التنوع فالمشهود له الأعيان ففرق بينها و بين الوجود و أما قول من قال في التفرقة

جمعت و فرقت عني به ففرط التواصل مثنى العدد

فإنه أراد ظهور الواحد في مراتب الأعداد فظهرت أعيان الاثنين و الثلاثة و الأربعة إلى ما لا يتناهى بظهور الواحد و هذه غاية الوصلة أن يكون الشيء عين ما ظهر و لا يعرف أنه هو كما رأيت النبي صلى الله عليه و سلم في المنام و قد عانق أبا محمد ابن حزم المحدث فغاب الواحد في الآخر فلم نر إلا واحدا و هو رسول الله صلى الله عليه و سلم فهذه غاية الوصلة و هو المعبر عنه بالاتحاد أي الاثنين عين للواحد ما في الوجود أمر زائد كما إن زيدا هو عين عمرو بل عين أشخاص هذا النوع الإنساني في الإنسانية فهو هو من حيث الإنسانية و ليس هو هو من حيث الشخصية فانعطاف الواحد بنفسه على مرتبة الاثنين هو عين ظهور الاثنين و ما ثم سوى عين الواحد و هكذا ما بقي من الأعداد التي لا تتناهى فتحقق معنى التفرقة إن كنت ذا لب سليم وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الرابع و العشرون و مائتان في معرفة عين التحكم»

عين التحكم عند القوم التصرف لإظهار الخصوصية بلسان الانبساط في الدعاء و هذا ضرب من الشطح و قريب منه لما يتوهم من دخول النفس فيه إلا أن يكون عن أمر إلهي فلا مؤاخذة على صاحبه فيه

مهما تحكم عارف في خلقه عن غير أمر فالرعونة قائمه

ترك التحكم نعت كل محقق لزم الحياء و لو أتته راغمه

ما للرجال الصم أعيان الورى المصطفين له نفوس حاكمة

بل هم عبيد لم يزالوا خشعا في كل حال فالشهادة دائمة

إن التحكم في الحجاب مقامه خلف الستور المرسلات المظلمة

فإذا كان عن أمر إلهي بتعريف فالإنسان فيه عبد ممتثل أمر سيده بطريق الوجوب فإن عرض عليه عين التحكم من غير أمر عرض الأمانة و قبله فليس هناك بل مرتبته مرتبته في قبول الأمانة المعروضة التي قال الله فيمن حملها إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولاً ظلوما لنفسه جهولا بقدر ما تحمل لأنه جهل ما في علم الله فيه هل هو مما يؤدي الأمانة إلى أهلها أم لا فعين التحكم مخصوص بالرسل في إظهار المعجزات و التحدي بها عن الأمر الإلهي فإنهم مرسلون بالدلالات على أنهم رسل الله فهم مخبرون بالحال أنهم المصطفون الأخيار لا بالقصد ثم قد يقع منهم بعد ثبوت الرسالة قول خارج عن مقتضى الدلالة و لا يكون منهم إلا عن أمر إلهي يؤذن ذلك القول بمرتبة القائل عند الله مثل قوله صلى الله عليه و سلم أنا سيد الناس يوم القيامة فلما كان في قوة هذا اللفظ إظهار الخصوصية عند الله و من هو مشغول بالله ما عنده فراغ لمثل هذا و من شغل أهل الله بالله امتثال أمر الله فأخبر عليه السلام حين عم فقال و لا فخر أي ما قصدت الفخر أي هكذا أمرت أن أعرفكم فإن العارف كيف يفتخر و المعرفة تمنعه و مشاهدة الحق تشغله و لا يظهر مثل هذا ممن ليس بمأمور به إلا عن رعونة نفس أو فناء لغلبة حال يستغفر الله من ذلك إذا فارقه ذلك الحال الذي أفناه و قد يظهر مثل هذا من صاحب الغيرة خاصة و هو مذهب شيخنا أبي مدين و قد ظهر منه مثل ذلك من باب الغيرة فلا يدل على إظهار الخصوصية و ذلك بأن يرى الإنسان دعوة الرسل ترد و يتوقف في تصديقها و لا سيما عند من ينفي النبوة التي نثبتها فيقوم هذا العبد مقام وجود الرسول فيدعي ما يدعيه الرسول من إقامة الدلالة على صدق الرسول في رسالته نيابة عنه فيأتي بالأمر المعجز على طريق التحدي للرسول لا لنفسه فيظهر منه ذلك و هذا لا يدل على مقام الخصوصية عند الله فهو خارج عن عين التحكم و ليس بخارج من حيث ما هو تحكيم لكنه خارج من حيث ما هو تحكيم خاص و قد يكون عين التحكيم في رجل يكون له مقام الإدلال مع الحق و يكون عنده تعريف إلهي بمقامه المعلوم كالملائكة في قوله تعالى عنهم وَ ما مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ و إِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ و إِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ فأثنوا على أنفسهم بعد معرفتهم و تعريفهم بمقامهم فلا ينقصهم هذا الثناء و لا يحط مرتبتهم و إذا لم يؤثر عين التحكيم في المقام فلا بأس به و تركه أعلى لأنه على كل حال فراغ و ما وقع مثل هذا من جبريل إلا لكونه معلما رسول الله صلوات الله عليهما و المعلم ينبه التلميذ بمرتبته لتعلو همته ليلحق بمعلمه و منهم من يبلغ في التحكيم أن يقسم على الله في أمر فيبر الحق قسمه و مع هذا يستغفر الله فلو لا إن فيه رائحة ما استغفر و الحكايات في التحكيم عن الصالحين كثيرة و

لا سيما ما يحكى عن عبد القادر الجيلي رحمه الله كان ببغداد أدركناه بالسن و كالذي سجد و حلف أن لا يرفع رأسه من سجدته حتى ينزل الغيث فأبر الله قسمه و كالذي وقف على رأس بئر و قد عطش و لم يكن له حبل و لا ركوة فقال لئن لم تسقني لأغضبن ففاض الماء على فم البئر فسئل على من تغضب فقال على نفسي فامنعها الماء و أما عين التحكيم عندنا فأمر هين في شهود المعرفة فإن التحكيم للظاهر في المظهر فما تحكم إلا من له التحكم فمهما ظهر الظاهر به دل على إن استعداد المظهر أعطى هذا فيفرق بينه و بين ما يعطيه مظهر آخر من عدم التحكيم و هذه طريقة انفردنا بإظهارها في الوجود لأنها تقرب على أهل الله مأخذ الأمور و لا تستعظم شيئا مما ظهر فإنه ما ظهر إلا ممن له ﴿الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ﴾ ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾

«الباب الخامس و العشرون و مائتان في معرفة الزوائد»

اعلم أن الزوائد في اصطلاح الصوفية من أهل الله تعالى زيادات الايمان بالغيب و اليقين

إذا ما أنزلت بالنور سورة … يزيد المؤمنون بها سرورا

فعلم الغيب أنفس كل علم … و كان العلم أجمعه حضورا

و إدراك الغيوب بلا دليل … سوى الرحمن لا يعطي ثبورا

و ما للغيب عند الحق عين … و لو جلى لك الاسم الخبيرا

لقد حجب العباد و كل عقل … بحتى نعلم الجلد الصبورا

قال الله تعالى ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ فلا بد من الزوائد في الفريقين و هي الشئون التي الحق عليها و فيها في كل يوم أي في كل نفس الذي هو أصغر الأيام غير إن الزوائد التي اصطلح عليها أهل الله هي ما تعطي من ذلك سعادة خاصة و علما بغيب يزيده يقينا مثل قوله ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ يقول بلى آمنت و لكن وجوه الأحياء كثيرة متنوعة كما كان وجود الخلق فمن الخلق من أوجدته عن كن و منهم من أوجدته بيدك و منهم من أوجدته بيديك و منهم من أوجدته ابتداء و منهم من أوجدته عن خلق آخر فتنوع وجود الخلق و إحياء الخلق بعد الموت إنما هو وجود آخر في الآخرة فقد يتنوع و قد يتوحد فطلبت العلم بكيفية الأمر هل هو متنوع أو واحد فإن كان واحدا فأي واحد هو من هذه الأنواع فإذا أعلمتني به اطمأن قلبي و سكن بحصول ذلك الوجه و الزيادة من العلم مما أمرت بها قال تعالى آمرا ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ فأحاله على الكيفية بالطيور الأربعة التي هي مثال الطبائع

الأربع إخبارا بأن وجود الآخرة طبيعي يعني حشر الأجساد الطبيعية إذ كان ثم من يقول لا تحشر الأجسام و إنما تحشر النفوس بالموت إلى النفس الكلية مجردة عن الهياكل الطبيعية فأخبر الله إبراهيم أن الأمر ليس كما زعم هؤلاء فأحاله على أمر موجود عنده تصرف فيه أعلاما أن الطبائع لو لم تكن مشهودة معلومة مميزة عند الله لم تتميز فما أوجد العالم الطبيعي إلا من شيء معلوم عنده مشهود له نافذ التصرف فيه فجمع بعضها إلى بعض فأظهر الجسم على هذا الشكل الخاص فأبان لإبراهيم بإحالته على الأطيار الأربعة وجود الأمر الذي فعله الحق في إيجاد الأجسام الطبيعية و العنصرية إذ ما ثم جسم إلا طبيعي أو عنصري فأجسام النشأة الآخرة في حق السعداء طبيعية و أجسام أهل النار عنصرية لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبوابُ السَّماءِ فلو فتحت خرجوا عن العناصر بالترقي و أما حشر الأرواح التي يريد أن يعقلها إبراهيم من هذه الدلالة التي أحاله الحق عليها في الطيور الأربعة فهي في الإلهيات كون العالم يفتقر في ظهوره إلى إله قادر على إيجاده عالم بتفاصيل أمره مريد إظهار عينه حي لثبوت هذه النسب التي لا تكون إلا لحي فهذه أربعة لا بد في الإلهيات منها فإن العالم لا يظهر إلا ممن له هذه الأربعة فهذه دلالة الطيور له عليه السلام في الإلهيات في العقول و الأرواح و ما ليس بجسم طبيعي كما هي دلالة على تربيع الطبيعة لإيجاد الأجسام الطبيعية و العنصرية ثم قوله فَصُرْهُنَّ أي ضمهن و الضم جمع عن تفرقة و بضم بعضها إلى بعض ظهرت الأجسام ثُمَّ اجْعَلْ عَلى كُلِّ جَبَلٍ و هو ما ذكرناه من الصفات الأربع الإلهيات و هي أجبل لشموخها و ثبوتها فإن الجبال أوتاد ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً و لا يدعى إلا من يسمع و له عين ثابتة فأقام له الدعاء بها مقام قوله كن في قوله إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فزاد يقينه طمأنينة بعلمه بالوجه الخاص من الوجوه الإمكانية و من الزوائد وَ اتَّقُوا اللهَ وَ يُعَلِّمُكُمُ اللهُ فتزيد علما لم يكن عندك بعلمك إياه الحق تعالى تشريفا منحك إياه التقوى فمن جعل الله وقاية حجبه الله عن رؤية الأسباب بنفسه فرأى الأشياء تصدر من الله و قد كان هذا العلم مغيبا عنك فأعطاك العلم به زيادة الايمان بالغيب الذي لو عرض على أغلب العقول لردته ببراهينها فهذه فائدة هذا الحال و من الزوائد أن تعلم أن حكم الأعيان ليس نفس الأعيان و أن ظهور هذا الحكم في وجود الحق و ينسب إلى العبد بنسبة صحيحة و ينسب إلى الحق بنسبة صحيحة فزاد الحق من حيث الحكم حكما لم يكن عليه و زاد العين إضافة وجود إليه لم تكن يتصف به أزلا فانظر ما أعجب حكم الزوائد و لهذا عمت الفريقين فزادت السعيد إيمانا و زادت الشقي رجسا و مرضا وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب السادس و العشرون و مائتان في معرفة الإرادة»

الإرادة عند القوم لوعة يجدها المريد من أهل هذه الطريقة تحول بينه و بين ما كان عليه مما يحجبه عن مقصوده

لوعة في القلب محرقة هي بدء الأمر لو علموا

فلهذا حن صاحبها للذي عنه العباد عموا

فإذا يبدو لناظره يعتريه البهت و الصمم

فتراه دائما أبدا بلهيب النار يصطلم

كل شيء عنده حسن و بهذا كلهم حكموا

و الإرادة عند أبي يزيد البسطامي ترك الإرادة و ذلك قوله أريد أن لا أريد فأراد محو الإرادة من نفسه و قال هذا القول في حال قيام الإرادة به ثم تمم و قال لأني أنا المراد و أنت المريد يخاطب الحق و ذلك أنه لما علم إن الإرادة متعلقها العدم و المراد لا بد أن يكون معدوما لا وجود له و رأى أن الممكن عدم و إن اتصف بالوجود لذلك قال أنا المراد أي أنا المعدوم و أنت المريد فإن المريد لا يكون إلا موجودا و أما الإرادة عندنا فهي قصد خاص في المعرفة بالله و هي أن تقوم به إرادة العلم بالله من فتوح المكاشفة لا من طريق الدلالة بالبراهين العقلية فتحصل له المعرفة بالله ذوقا و تعليما إلهيا فيما لا يمكن ذوقه و هو قوله وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ و قالت المشايخ في الإرادة إنها ترك ما عليه العادة و قد تكون عادة زيد ما هي عادة عمرو فيترك عمرو عادته بعادة زيد لأنها ليست عادة له ثم اعلم في مذهبنا إنك إذا علمت أن الإرادة متعلقها العدم و علمت إن العلم بالله مراد للعبد و علمت أنه لا يحصل العلم به على ما يعلم الله به نفسه لأحد من المخلوقين مع كون الإرادة من المخلوقين لذلك موجودة فالإرادة للعبد ما دام في هذا المقام لازمة لازم حكمها و هو التعلق بالمعدوم و العلم بالله كما قلنا لا يصح وجوده فالعبد حكم الإرادة فيه أتم من كونها فيمن يدرك ما يريد فليست الإرادة الحقيقية إلا ما لا يدرك متعلقها فلا يزال عينها متصفا بالوجود ما دام متعلقها متصفا بالعدم فإن الإرادة إذا وجد مرادها أو ثبت زال حكمها و إذا زال حكمها زال عينها و ينبغي للإرادة فينا أن لا تزول فإن مرادها لا يكون و أما من يتكون عن إرادته ما يريد فلا تصحبه الإرادة وجودا و إنما بقيت الإرادة هناك لأن متعلقها آحاد الممكنات و آحادها لا تتناهى فوجودها هناك لا يتناهى و لكن يختلف تعلقها باختلاف المرادات و الذي يشير إليه أهل الله في تحقيق الإرادة أنها معنى يقوم بالإنسان يوجب له نهوض القلب في طلب الحق المشروع ليتصف به بالعمل ليرضى الله بذلك فيكون ممن رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ فصاحب الإرادة يسعى في إن يكون بهذه المثابة ثم ما زاد على هذا مما يناله أهل الله من الفتوح و الكشف و الشهود و أمثال هذه الأحوال فذلك من الله ليست مطلوبة لصاحب الإرادة التي يقتضيها طريق الله إنما جل إرادتهم إن يكونوا على حال مع الله يرضى الله في أقوالهم و أفعالهم و أحوالهم إيثارا لجناب الحق لا رغبة في نعيم ينالونه

بذلك و لا فرارا من ضده دنيا و لا آخرة بل هم على ما شرع لهم و لله الأمر فيهم بما يشاء لا تخطر لهم حظوظ نفوسهم بخاطر هذا أتم ما توجبه الإرادة في المريد و إن خطر لهم حظ في ذلك فما خرجوا عن حكم الإرادة و لكن يكون صاحب الحظ النفسي ناقص المقام بالنظر إلى الأول مع كونه صاحب إرادة كما قال تعالى وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ مع أن النبوة موجودة فما زالوا من النبوة مع فضل بعضهم على بعض و أما معنى قول الطائفة في الإرادة إنها لوعة يجدها المريد تحول بينه و بين ما كان عليه مما يحجبه عن مقصوده فصحيح غير أنه ثم أمر تعطيه المعرفة بالله إذا حصل له العلم بالله من طريق الكشف و التعليم الإلهي فلا يبقى شيء يتصف به العبد يحجبه عن مقصوده إذا كان مقصوده الحق فهو يشهده في كل عين و في كل حال و لا ينال هذا المقام إلا من رضي الله عنه و من علامات صاحب هذا المقام معانقة الأدب إلا أن يسلب عنه عقله بهذه المشاهدة فلا يطالب بالأدب كالبهاليل و عقلاء المجانين لأنه طرأ عليهم أمر إلهي ضعفوا عن حمله فذهب بعقولهم في الذاهبين و حكمهم عند الله حكم من مات على حالة شهود و نعت استقامة و بقي من حالته هذه حكمه حكم الحيوان ينال جميع ما يطلبه حكم طبيعته من أكل و شرب و نكاح و كلام من غير تقييد و لا مطالبة عليه عند الله مع وجود الكشف و بقائه عليهم كما يكشف الحيوان و كل دابة حياة الميت على النعش و هو يخور و يقول سعيدهم قدموني قدموني و يقول الشقي إلى أين تذهبون بي و يشاهدون عذاب القبر و يرون ما لا يراه الثقلان كذلك هذا الذي ذهب الله بعقله فيه حكمه حكم الحيوان و كل دابة و كما هو الميت على حكم ما مات عليه كذلك هذا البهلول هو على حكم ما ذهب عنده عقله فهو معدود في الأموات بذهاب عقله معدود في الأحياء بطبعه فهو من السعداء الذين رضي الله عنهم كمسعود الحبشي و علي الكردي و جماعة رأيناهم بهذه المثابة بالشام و بالمغرب و هم من عباد الله على مثل هذا الحال نفعنا الله بهم و مهما رد على من هذه حاله عقله و هو في الحياة الدنيا فإنه من حينه يلازم الآداب الشرعية و يعانقها و من أبقى عليه عقله كان عند القوم أتم و أعلى قيل للشيخ أبي السعود بن الشبل ما تقول في هؤلاء المجانين من أهل الله فقال رضي الله عنه هم ملاح و لكن العاقل أملح يشير إلى أن العناية بمن أبقى عليه عقله أتم فهذا أصل ما يرجع إليه مجموع أقوال أهل الله في الإرادة المصطلح عليها عندهم و إن اختلفت عباراتهم فهم بين أن ينطقوا في ذلك بأمر كلي أو بأمر جزئي بحسب ذوقه و ما يترجح عنده في حاله فإنهم لا يتعدون في العبارة عن الشيء ما يعطيه ذوقهم و لا يتصنعون و لا يتعملون و لا يأخذون شيئًا في تحقيق ذلك عن فكرهم بل ما يتعدى نطقهم ذوقهم و وجودهم فهم أهل صدق و علم محقق لا تدخله شبهة عندهم و من فكر فليس منهم و يصيب و يخطئ و ليس صاحب الفكر بصاحب حال و لا ذوق و أما أهل الاعتبار فيكون منهم أصحاب أذواق و يعتبرون عن ذوق لا عن فكر و قد يكون الاعتبار عن فكر فيلتبس على الأجنبي بالصورة فيقول في كل واحد إنه

معتبر و من أهل الاعتبا ر و ما يعلم أن الاعتبا ر قد يكون عن فكر و عن ذوق و الاعتبا ر في أهل الأذواق هو الأصل و في أهل الأفكا ر فرع و صاحب الفكر ليس من أهل الإرادة إلا في الموضع الذي يجوز له الفكر فيه إن كان ثم مما لا يمكن أن يحصل الأمر المفكر فيه إلا به بفتح الكاف فحينئذ يأخذه من بابه و هل ثم أمر بهذه المثابة لا يمكن أن ينال من طريق الكشف و الوجود أم لا فنحن نقول ما ثم و نمنع من الفكر جملة واحدة لأنه يورث صاحبه التلبيس و عدم الصدق و ما ثم شيء إلا و يجوز أن ينال العلم به من طريق الكشف و الوجود و الاشتغال بالفكر حجاب و غيرنا يمنع هذا و لكن لا يمنعه أحد من أهل طريق الله بل مانعة إنما هو من أهل النظر و الاستدلال من علماء الرسوم الذين لا ذوق لهم في الأحوال فإن كان لهم ذوق في الأحوال كأفلاطون الإلهي من الحكماء فذلك نادر في القوم و تجد نفسه يخرج مخرج نفس أهل الكشف و الوجود و ما كرهه من كرهه من أهل الإسلام إلا لنسبته إلى الفلسفة لجهلهم بمدلول هذه اللفظة و الحكماء هم على الحقيقة العلماء بالله و بكل شيء و منزلة ذلك الشيء المعلوم و الله هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ و من يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً و الحكمة هي علم النبوة كما قال في داود عليه السلام و إنه ممن آتاه الله الملك و الحكمة فقال وَآتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشاءُ و الفيلسوف معناه محب الحكمة لأن سوفيا باللسان اليوناني هي الحكمة و قيل هي المحبة فالفلسفة معناه حب الحكمة و كل عاقل يحب الحكمة غير أن أهل الفكر خطؤهم في الإلهيات أكثر من إصابتهم سواء كان فيلسوفا أو معتزليا أو أشعريا أو ما كان من أصناف أهل النظر فما ذمت الفلاسفة لمجرد هذا الاسم و إنما ذموا لما أخطئوا فيه من العلم الإلهي مما يعارض ما جاءت به الرسل عليهم السلام بحكمهم في نظرهم بما أعطاهم الفكر الفاسد في أصل النبوة و الرسالة و لما ذا تستند فتشوش عليهم الأمر فلو طلبوا الحكمة حين أحبوها من الله لا من طريق الفكر أصابوا في كل شيء و أما ما عدا الفلاسفة من أهل النظر من المسلمين كالمعتزلة و الأشاعرة فإن الإسلام سبق لهم و حكم عليهم ثم شرعوا في أن يذبوا عنه بحسب ما فهموا منه فهم مصيبون بالأصالة مخطئون في بعض الفروع بما يتأولونه مما يعطيهم الفكر و الدليل العقلي من أنهم إن حملوا بعض ألفاظ الشارع على ظاهرها في حق الله مما أحالته أدلة العقول كان كفرا عندهم فيؤولونه و ما علموا إن لله قوة في بعض عباده تعطي حكما خلاف ما تعطي قوة العقل في بعض الأمور و توافق في بعض و هذا هو المقام الخارج عن طور العقل فلا يستقل العقل بإدراكه و لا يؤمن به إلا إذا كانت معه هذه القوة في الشخص فحينئذ يعلم قصوره و يعلم أن ذلك حق فإن القوي متفاضلة تعطي بحسب حقائقها التي أوجدها الله عليها فقوة السمع لو عرض عليها حكم البصر أحالته و البصر كذلك مع غيره من القوي و العقل من جملة القوي بل هو المستفيد من جميع القوي و لا يفيد العقل سائر القوي شيئا و من صح له حكم الإرادة المصطلح عليها عند أهل الله عرف هذه المقامات كلها و المراتب كشفا و عرف صورة الغلط في الأشياء و أنه واقع في

النسب و الوجوه و كل غالط إنما غلط في النسبة حيث نسبها إلى غير جهتها فيأخذها أهل الله فيجعلون تلك النسبة في موضعها و يلحقونها بمنسوبها و هذا معنى الحكمة فأهل الله من الرسل و الأولياء هم الحكماء على الحقيقة و هم أهل الخير الكثير جعلنا الله من أهل الإرادة وممن جمع بين العادة و ترك العادة من حيث ما تعطيه الشهادة وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب السابع و العشرون و مائتان في معرفة حال المراد»

إن المراد هو المجذوب بالحال في كل حال على حل و ترحال

يمشي به و هو في بيضاء في دعة على المقامات من حال إلى حال

عناية منه و الرحمن يحرسه بعينه فهو في نعمى و إقبال

اعلموا أن المراد في اصطلاح القوم هو المجذوب عن إرادته مع تهيؤ الأمور له فهو يجاوز الرسوم و المقامات من غير مشقة بل بالتذاذ و حلاوة و طيب تهون عليه الصعاب و شدائد الأمور و ينقسم المرادون هنا إلى قسمين القسم الواحد أن يركب الأمور الصعبة و تحل به البلايا المحسوسة و النفسية و يحس بها و يكره ذلك الطبع منه غير أنه يرى و يشاهد ما له في ذلك في باطن الأمر عند الله من الخير مثل العافية في شرب الدواء الكريه فيغلب عليه مشاهدة ذلك النعيم الذي في طي هذا البلاء فيلتذ بما يطرأ عليه من مخالفة الغرض و هو العذاب النفسي و من الآلام المحسوسة لأجل هذه المشاهدة كعمر بن الخطاب رضي الله عنه فإنه من أصحاب هذا المقام فقال في ذلك ما أصابني الله بمصيبة إلا رأيت أن لله علي فيها ثلاث نعم النعمة الواحدة حيث لم تكن تلك المصيبة في ديني و النعمة الثانية حيث لم تكن مصيبة أكبر منها إذ في الجائز أن يكون ذلك و النعمة الثالثة ما عند الله لي فيها من تكفير الخطايا و رفع الدرجات فاشكر الله تعالى عند حلول كل مصيبة و هنا فقه عجيب في طريق القوم تعطيه الحقائق لمن عرف طريق الله فإن البلاء لا يقبل الشكر و النعمة لا تقبل الصبر فإن شكر من قام به البلاء فليس مشهوده إلا النعم فيجب عليه الشكر و إن صبر من قامت به النعماء فليس مشهوده إلا البلاء و هو ما فيها من تكليف طلب الشكر عليها من الله و ما كلفه من حكم التصرف فيها فمشهوده يقتضي له الصبر و الحق سبحانه يردف عليه النعم و هو في شهوده ينظر ما لله عليه فيها من الحقوق فيجهد نفسه في أدائها فلا يلتذ بما يحسب الناس أنه به ملتذ فيصبر على ترادف النعماء عليه فهو صاحب بلاء فليس المعتبر إلا ما يشهده الحق في وقته فهو بحسب وقته إما صاحب شكر أو صاحب صبر فهذا حال القسم الواحد من المرادين و أما القسم الآخر فلا يحس بالشدائد المعتادة بل يجعل الله فيه من القوة ما يحمل بها تلك الشدائد التي يضعف عن حملها غيرها من القوي كالرجل الكبير ذي القوة فيكلف ما يشق على الصغير أن يحمله فما عنده خبر من ذلك بل يحمله من غير

مشقة فإنه تحت قوته و قدرته و يحمله الصغير بمشقة و جهد فهذا ملتذ بحمله فارح بقوته يفتخر بها لا يجد ألما و لا يحس به كما قال أبو يزيد في بعض مناجاته

أريدك لا أريدك للثواب　　و لكني أريدك للعقاب

و كل مآربي قد نلت منها　　سوى ملذوذ وجدي بالعذاب

فطلب اللذة بما جرت العادة به أن يثمر عذابا خرقا للعادة فما طلب العذاب يقول أهل الله ليس العجب من ورد في بستان و إنما العجب من ورد في قعر النيران يقول صاحب هذا الكلام ليس العجب ممن يلتذ بما جرت العادة أن يلتذ به الطبع و إنما العجب أن يلتذ بما جرت العادة أن يتألم به الطبع ذكر أن بعض المحبين جنى جناية فجلده الحاكم مائة جلدة فما أحس بتسع و تسعين منها فما استغاث فلما كان في السوط المكمل مائة استغاث فقيل له في ذلك فقال العين التي كنت أعاقب من أجلها كانت تنظر إلي فكنت أتنعم بالنظر إليها فما كنت أحس بمواقع السوط من ظهري فلما كان في السوط الموفي مائة غابت عني فأحسست بموقع السوط فاستغثت و رأيت المرأة الصالحة بمكة فاطمة بنت التاج ضربها أبوها ضربا مبرحا من غير جناية فما أحست بذلك و كانت تحس بشيء يحول بين ظهرها و مواقع السياط فيقع السوط في ذلك الحائل و تسمع وقع السوط بإذنها و تتعجب حيث لا تحس به و قد جرى لنا مثل هذا في بدايتنا في حكاية طويلة فهذا المراد قد يعطيه الله اللذة دائما بكل شيء يقوم به من بلاء و نعمة فإن النعيم ليس بشيء زائد على عين اللذة القائمة بالشخص كما إن البلاء ليس بشيء زائد على وجود عين الألم و أما الأسباب الموجبة لهما فغير معتبرة عندنا فليس صاحب البلاء إلا من قام به الألم و ليس صاحب النعمة سوى من قامت به اللذة و يكون السبب ما كان معتادا أو غير معتاد و هذا القسم قد يجعل الله فيه إن يكون مرادا له في نفسه جميع ما يريد الله أن ينزله به فإذا أعطاه الله مرادة و لا بد من ذلك فإن ذلك مراد لله تعالى فإنه يتلذذ بوقوع مراده فتكون الشدائد و المكاره المضادة مرادة له فتحل به فيحملها بما عنده و ما جعل الله فيه من القوة فقد يكون حال المراد بهذه المثابة و أهل البداية في هذا الطريق كلهم عند حصول التوبة ملتذون بكل شدة تطرأ عليهم فهي شدة عند غيرهم و هي ملذوذة هينة عندهم و لهذا أهل النهاية من العارفين يحنون إلى البداية لأجل هذا اللذة فإنهم لا يجدونها في النهاية فإنهم أهل تميز متحققون بالحق فهم أهل غضب و رضي فيحنون إلى البداية لأجل ما فيها من الالتذاذ و كلما كمل الرجل أعطاه الله التمييز في الأمور و حققه بالحقائق إذ الموطن يعطي ذلك فلو كان مزاج الدنيا على مزاج الجنة لم يعط إلا نعيما مجردا أو على مزاج النار لم يعط إلا ألما فلما كان ممتزجا وقتا هكذا و وقتا هكذا كان العارفون بحسب الموطن و إذا علمت هذا فاعلم أنه يكون أيضا من أحوال المراد رفع التمني و الطمع و الإخلاص من نفسه

مع المبالغة في الأعمال فيشاهدها من حيث ما هو محل لجريانها ويجعلها من جملة الأقدار الجارية عليه و ذلك لفنائه عما ينسب إليه من الحول و القوة فليس له مقام و لا يحكم عليه حال فإنه لا يرى المقام و لا الحال لنظره إلى رب المقام و الحال بعين رب المقام و الحال متفرج في جريان الأقدار عليه و ظهورها فيه و هو مع نفسه كأنه لا داخل فيها و لا خارج عنها «وصل» و أما كون هذا الشخص سمي مرادا ليس معناه أنه مراد لما أريد به و إنما معناه أنه محبوب فإن المحبوب لا يكون معذبا بشيء فلا بد أن يحول المحب بين ما يؤلم محبوبه و بين محبوبه و إن لم يفعل ذلك فليس بمحب و لا ذلك محبوبا و كذا وقع أن الله ما ابتلى من ابتلى من عباده المحبوبين عنده من كونهم محبوبين و إنما رزقهم من جملة ما رزقهم أن جعلهم محبين له فلما ادعوا محبته ابتلاهم من كونهم محبين لا من كونهم محبوبين فافهم فالمحبوب له الإدلال و المحب له الخضوع فالمراد هو المحبوب فلا يذوق بلاء و أما المراد الذي يكون مرادا لما أريد به فإنه لا بد أن يرزق الإرادة لما أريد به فلا يقع له إلا ما هو مراد له و قد ذكرناه و ما كل مراد لما أريد به يكون له إرادة فيما أريد به فمن يكون له إرادة ذلك فهو المراد المصطلح عليه في هذا الطريق فالمراد لما أريد به هو حال يعم الخلق أجمعه ما فيه اختصاص و من يكون له إرادة فيما أريد به فذلك خصوص و هو المطلوب بهذه اللفظة و هذا الاسم في هذا الطريق عند أهل الله فيكون مرادا مريدا وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ فإن الكلام في باب الإرادة و المراد و المريد يطول

«الباب الثامن و العشرون و مائتان في حال المريد»

فاعلم يا ولي وفقك الله أنه

ليس المريد الذي قامت إرادته ... به و لكنه من ينقضي غرضه
فإن أراد أمورا ليس يدركها ... فإن حاكمه في صرفه مرضه
و ليس إذ ذاك من أهل الطريق و لا ... في حكمه جوهر في الكون أو عرضه

لفظة المريد عند المحققين من أهل الله تطلق بإزاء المنقطع إلى الله المؤثر جناب الله الساعي في محاب الله و مراضيه و قد يطلقونها بإزاء المتجرد عن إرادته و أعظم مراتب المريد عندهم و عندنا إن يكون نافذ الإرادة لا عن كشف فإن كان عن كشف فليس بمريد و إنما هو عالم بما يكون كما أنه ليس من شرط المراد أن تكون له إرادة فيما يقع في الوجود به و بغيره أن يكون ما يقع مشهودا له في إرادته فيريده قبل وقوعه بل قد لا يكون ذلك و ليس بشرط و إنما حاله إن الأمر إذا وقع في الوجود يرضى به و يلتذ بوقوعه و لا يرده بخاطره و لا يكرهه فاعلم أنه من أعلمه الله مراده فيما يكون عناية منه فإنه مطلوب بالتأهب لذلك و لا سيما فيما يقع به لا بغيره فيتلقاه بالصفة التي يطلبها

ذلك الواقع شرعا من رضي أو صبر أو شكر فإن كان مع هذا الإعلام يكون مريدا لذلك فتلك إرادة موافقة و يكون مريدا لقيام الإرادة به لا لنفوذ إرادته فإنه لا ينبغي في الطريق أن يسمى مريدا إلا من تنفذ إرادته و هو الله أو من أعطاه الله ذلك من خلقه و ما سمعنا إنه نال هذا المقام أحد من خلق الله فإنه قد صح عندنا كشفا و نقلا إنه لا مقام أعلى من مقام محمد صلى الله عليه و سلم و مع هذا قد سأل الله في أشياء منها أن لا يجعل الله بأس أمته بينها فلم يقبل سؤاله في ذلك قال صلى الله عليه و سلم فمنعنيها فإذا لم يكمل مقام نفوذ الإرادة له صلى الله عليه و سلم فكيف يناله غيره فإنه ممن انفرد الله به فمن أطلعه الله على مراداته فما أراد إلا ما يقع فيظهر نفوذ إرادته و ما يعلم الناس ما هو مشهوده الذي أشهده الحق فهم يتخيلون أن ذلك المراد الواقع من أثر همته و ليس كذلك فالمريد من انقطع إلى الله تعالى عن نظر و استبصار و طلب مرضاة الله و تجرد عن إرادته إذ علم أنه ما يقع في الوجود إلا ما يريده الله لا ما يريده الخلق فيقول هذا المريد فلما ذا أتعني و أريد ما لا أعلم أنه يقع أم لا يقع فإنه لا علم لي بما في علم الله تعالى من ذلك فإن وقع ما أريد فلكونه مراد الله فبما ذا أفرح و إن لم يقع فلا بد من انكسار الخيبة فاستعجل الهم و ربما ينجر معه عدم الرضي لعدم وقوع المراد فالأولى إن لا يريد إلا ما يريده الحق كان ما كان على الإجمال فمتى وقع تلقيته بالقبول و الرضي فيتجرد عن إرادته فلا يبقى له إرادة الأعلى هذا الحكم و أما الذي يطلعه الله من المريدين على مراد الله في العالم فإن ذلك قد يكون على أحد طريقين الطريق الواحدة بأخبار إلهي و كشف لما يكون و الطريق الثانية أن يرزقه الله علم ما تعطيه حقائق الأشياء و ترتيبها الإلهي الذي رتبت عليه فيريد عند ذلك أمرا ما فلا تخطئ له إرادة بل يقع مراده على حسب ما تعلق به فهذا مريد بالحق كما كان سميعا بصيرا بالحق إذ كان الحق سمعه و بصره فتكون أيضا إرادته و مهما أخطأت إرادته فليس بمريد على الحقيقة إذ لا فائدة في إن لا يكون مريدا إلا من قامت به الإرادة و إنما الفائدة في إن لا يكون مريدا إلا من تنفذ إرادته فالمريد في هذه الطريقة يحمل المشاق و الشدائد و المكاره مشاق و شدائد و مكاره غير ملتذ بها بل يحملها من أجل الله أو أجل ما له فيها أي في حملها من السعادة الأبدية أعلاها و أن يشكر الله فعله فيكون ممن أثنى الله عليه فيتجرع الغصص و يصبر عليها لعلمه بما في طي ذلك من الخير الإلهي و قد يكون بعض رجال الله مريدا من وجه مرادا من وجه فتختلف أحواله فتختلف أحكامه فإذا التذ بالواقع المكروه كان مرادا و إذا تألم بالواقع المحبوب كان مريدا فكيف حاله بالمكروه فهذا حال المريد قد بيناه مفصلا لمن يعقل من أهل الله وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب التاسع و العشرون و مائتان في حال الهمة»

إذا كنت في همة فائتد　　　فإن الوجود لها مستعد

و لا تفتحن بها مغلقا		و لا تك ممن بها يستبد

و لا تركنن إليها و كن		كما أنت في باطن المعتقد

نريد بباطن المعتقد كون الله هو الفاعل للأشياء لا أثر فيها لهمة مخلوق و لا لسبب ظاهر و لا باطن لعلمه بأن الأسباب إنما جعلها لله ابتلاء ليتميز من يقف عندها ممن لا يرى وقوع الفعل إلا بها ممن لا يرى ذلك و يرى الفعل لله من ورائها عندها لا بها اعلم أن الهمة يطلقها القوم بإزاء تجريد القلب للمنى و يطلقونها بإزاء أول صدق المريد و يطلقونها بإزاء جمع الهمم بصفاء الإلهام فيقولون الهمة على ثلاث مراتب همة تنبه و همة إرادة و همة حقيقة فاعلم إن همة التنبه هي تيقظ القلب لما تعطيه حقيقة الإنسان مما يتعلق به التمني سواء كان محالا أو ممكنا فهي تجرد القلب للمنى فتجعله هذه الهمة أن ينظر فيما يتمناه ما حكمه فيكون بحسب ما يعطيه العلم بحكمه فإن أعطاه الرجوع عن ذلك رجع و إن أعطاه العزيمة فيه عزم فيحتاج صاحب هذه الهمة إلى علم ما تمناه و أما همة الإرادة و هي أول صدق المريد فهي همة جمعية لا يقوم لها شيء و هذه الهمة توجد كثيرا في قوم يسمون بإفريقية العزابية يقتلون بها من يشاءون فإن النفس إذا اجتمعت أثرت في أجرام العالم و أحواله و لا يعتاض عليها شيء حتى أدى من علم ذلك ممن ليس عنده كشف و لا قوة إيمان أن الآيات الظاهرة في العالم على أيدي بعض الناس إنما ذلك راجع إلى هذه الهمة و لها من القوة بحيث أن لها إذا قامت بالمريد أثرا في الشيوخ الكمل فيتصرفون فيهم بها و قد يفتح على الشيخ في علم ليس عنده و لا هو مراد به بهمة هذا المريد الذي يرى أن ذلك عند هذا الشيخ فيحصل ذلك العلم في الوقت للشيخ بحكم العرض ليوصله إلى هذا الطالب صاحب الهمة إذ لا يقبله إلا منه و ذلك لأن هذا المريد جمع همته على هذا الشيخ في هذه المسألة و الحكايات في ذلك مشهورات مذكورة و أثر هذه الهمة في الإلهيات قول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيرا فمن جمع همته على ربه إنه لا يغفر الذنب إلا هو و أن رحمته وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ كان مرحوما بلا شك و لا ريب قال تعالى وَذِلكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْداكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ من الْخاسِرِينَ لأنهم ظنوا أن الله لا يعلم كثيرا مما يعملون فلهذا قلنا إنه لا بد من علم ما تتعلق به هذه الهمة فإن تعلقت بمحال لم يقع و عاد وبالها على صاحبها فأثر في نفسه بهمته و إن تعلقت بما ليس بمحال وقع و لا بد و هنا من هذه الطائفة تعلقت بالمحال و هو نفي العلم عن الله ببعض أعمال العباد فعذبهم الله بأعمالهم فظنهم أرداهم و هذه مسألة لا يمكننا أن أوفيها حقها لاتساعها و ما يدخل فيها مما لا ينبغي أن يقال و لا يذاع غير أن لها النفوذ حيث وجدت فإذا لم تجتمع و دخلها خلل فليس لها هذا الحكم فلو إن هؤلاء الذين ظنوا بربهم أنه لا يعلم كثيرا مما يعملون يظنون أن الله لا يؤاخذ على الجريمة لما هو عليه من الصفح و التجاوز و تحجبهم جمعيتهم على هذا عن بطشه تعالى و شديد عقابه لم يؤاخذهم فإن ظنهم أنما تعلق بممكن و

أما همة الحقيقة التي هي جمع الهمم بصفاء الإلهام فتلك همم الشيوخ الأكابر من أهل الله الذين جمعوا هممهم على الحق و صيروها واحدة لاحدية المتعلق هربا من الكثرة و طلبا لتوحيد الكثرة أو للتوحيد فإن العارفين أنفوا من الكثرة لا من أحديتها في الصفات كانت أو في النسب أو في الأسماء و هم متميزون في ذلك أي هم على طبقات مختلفة و إن الله يعاملهم بحسب ما هم عليه لا يردهم عن ذلك إذ لكل مقام وجه إلى الحق و إنما يفعل ذلك ليتميز الكثير الاختصاص بالله الذي اصطنعه الله لنفسه من عباد الله عن غيره من العبيد فإن الله أنزل العالم بحسب المراتب لتعمير المراتب فلو لم يقع التفاضل في العالم لكان بعض المراتب معطلا غير عامر و ما في الوجود شيء معطل بل هو معمور كله فلا بد لكل مرتبة من عامر يكون حكمه بحسب مرتبته و لذلك فضل العالم بعضه بعضا و أصله في الإلهيات الأسماء الإلهية أين إحاطة العالم من إحاطة المريد من إحاطة القادر فتميز العالم عن المريد و المريد عن القادر بمرتبة المتعلق فالعالم أعم إحاطة فقد زاد و فضل على المريد و القادر بشيء لا يكون للمريد و لا للقادر من حيث إنه مريد و قادر فإنه يعلم نفسه تعالى و لا يتصف بالقدرة على نفسه و لا بالإرادة لوجوده إذ من حقيقة الإرادة أن لا تتعلق إلا بمعدوم و الله موجود و من شأن القدرة أن لا تتعلق إلا بممكن أو واجب بالغير و هو واجب الوجود لنفسه فمن هناك ظهر التفاضل في العالم لتفاضل المراتب فلا بد من تفاضل العامرين لها فلا بد من التفاضل في العالم إذ هو العامر لها الظاهر بها و هذا مما لا يدرك كشفا بل إدراكه بصفاء الإلهام فيكشف المكاشف عمارة المراتب بكشفه للعامرين لها و لا يعلم التفاضل إلا بصفاء الإلهام الإلهي فقد نبهناك على معرفة الهمة بكلام مبسوط في إيجاز فافهم وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الموفي ثلاثين و مائتان في الغربة»

تغرب عن الأوطان و الحال و الحق … عساك تحوز الأمر في مقعد الصدق
و كن نافذا في كل أمر ترومه … و لا تدهشن إن جاءك الحق بالحق
و لولا وجود الفتق في الأرض و السما … لما دارت الأفلاك من شدة الرتق
كذاك سماوات العقول و أرضها … و أعني بها الطبع المؤثر في الخلق
فدارت بأفلاك القوي ثم أبرزت … معارفها للسامعين من النطق

اعلم أن الغربة عند الطائفة يطلقونها و يريدون بها مفارقة الوطن في طلب المقصود و يطلقونها في اغتراب الحال فيقولون في الغربة الاغتراب عن الحال من النفوذ فيه و الغربة عن الحق غربة عن المعرفة من الدهش أما غربتهم عن الأوطان بمفارقتهم إياها فهو لما عندهم

من الركون إلى المألوفات فيحجبهم ذلك عن مقصودهم الذي طلبوه بالتوبة و أعطتهم اليقظة و هم غير عارفين بوجه الحق في الأشياء فيتخيلون إن مقصودهم لا يحصل لهم إلا بمفارقة الوطن و أن الحق خارج عن أوطانهم كما فعل أبو يزيد البسطامي لما كان في هذا المقام خرج من بسطام في طلب الحق فوقع به رجل من رجال الله في طريقه فقال له يا أبا يزيد ما أخرجك عن وطنك قال طلب الحق قال له الرجل إن الذي تطلبه قد تركته ببسطام فتنبه أبو يزيد و رجع إلى بسطام و لزم الخدمة حتى فتح له فكان منه ما كان فهؤلاء هم السائحون فجعل الله سياحة هذه الأمة الجهاد في سبيل الله و اعلم أن هذا الأمر ليس باختيار العبد و إنما صاحب هذا الأمر يطلب وجود قلبه مع ربه في حاله فإذا لم يجده في موضع يقول ربما إن الله تعالى لم يقدر أن يظهر إلى قلبي في هذا الموضع فيرحل عنه رجاء الحصول لما علم إن الله تعالى قد رتب أمورا و اقتضى علمه أزلا أنه لا يكون كذا إلا بموضع كذا و بطالع كذا و بسبب كذا فلما حكم عليه هذا الإمكان و فقد قلبه في بعض المواطن عن وجود متقدم أولا عن وجود رحل عن ذلك الموطن رجاء حصول البغية هذا سبب اغترابهم عن الأوطان و أمثاله فإن بعضهم قد يفارق وطنه لما كان فيه من العزة فإذا رأى أنه قد زاد عزا بالزهد و التوبة أو لم يكن مذكورا فاشتهر بالتوبة و الخير فأورثه عزا في قلوب الناس فوقع الإقبال عليه بالتعظيم فيفر و يغترب عن وطنه إلى مكان لا يعرف فيه لمعرفته بنفسه مع ربه فإن تعظيم الناس للشخص سم قاتل مؤثر فيه أثرا يؤديه إلى الهلاك و هذا أيضا من الأسباب المؤدية إلى مفارقة الموطن و الاغتراب عن الأهل فحيث وجد قلبه مع الله أقام أخبرني شيخي أبو الحسين ابن الصائغ الزاهد المحدث بسبتة قال سمعت شيخنا أبا عبد الله محمد بن رزق رحمه الله في سياحة كنا معه فيها اقرأ عليه بعض أجزاء الحديث و كان صاحب رواية يقول مررت في سياحتي بمسجد خراب في فلاة من الأرض فقلت أدخل اركع فيه ركعتين فدخلته فوجدت قلبي فقعدت فيه سنتين فأين زمان ركعتين من سنتين فمطلوبهم بالغربة عن الأوطان وجود القلب مع الله فحيثما وجدوه قاموا في ذلك الموضع قال بعضهم كنت مارا إلى مكة فرأيت في الطريق شابا تحت شجرة و هو يصلي في البرية وحده فقلت له ألا تمشي إلى مكة فقال لي كنت أسير إلى مكة عام أول فلما مررت بهذه الشجرة وجدت قلبي فلي هنا سنة لا أبرح من هذا الموضع إلا إن فقدت قلبي قال فبعد سنة مررت بذلك الموضع و بتلك الشجرة فلم أجد الشاب فمشيت غير بعيد فإذا بالشاب قائم يصلي فسلمت عليه فعرفني فقلت له رأيتك قد تركت تلك السمرة فقال لي لما فقدت قلبي أخذت في طريقي الذي نويت أولا أريد مكة فانتهيت إلى هذا الموضع فوجدت قلبي فإنا به أيضا مقيم فقلت له من أين طعامك و شرابك قال من عنده يجيئني به في الوقت الذي يريد أن يغذيني قال فتركته و انصرفت و ما أدري ما انتهى إليه أمره بعد ذلك فقد يطلبون بالغربة وجود قلوبهم مع الله و أما غربة العارفين عن أوطانهم فهي مفارقتهم لإمكانهم فإن الممكن وطنه الإمكان

فيكشف له أنه الحق و الحق ليس وطنه الإمكان فيفا رق الممكن وطن إمكانه لهذا الشهود و لما كان الممكن في وطنه الذي هو العدم مع ثبوت عينه سمع قول الحق له كن فسا رع إلى الوجود فكان ليرى موجدة فاغترب عن وطنه الذي هو العدم رغبة في شهود من قال له كن فلما فتح عينه أشهده الحق أشكاله من المحد ثات و لم يشهد الحق الذي سا رع إلى الوجود من أجله و في هذه الحال قلت

إذا ما بدا الكون الغريب لناظري　　　حننت إلى الأوطان حن الركائب

يقول فأ ردت الرجوع إلى العدم فإني أقرب إلى الحق في حال اتصافي بالعدم مني إليه في حال اتصافي بالوجود لما في الوجود من الدعوى و طلب حالة الفناء عن الحق للبقاء بالحق هو أن يرجع إلى حالة العدم التي كان عليها فهذه غربة أيضا موجودة واقعة عن وطن بغير اختيا ر العبد و من غربة العا رفين بالله غربتهم عن صفاتهم عند وجودهم الحق عين صفاتهم و هذه غربة حقيقية فإن الصفة مضافة إليهم بكلام الله و هو الصادق فهم أهل صفة و لكن ما هي تلك الصفة و إلى من تضاف حقيقة فإن العالم يضاف إلى الله بأنه عبد الله كما إن الله مضاف إلى العالم فإنه رب العالمين فإضافة العبد مستندة إلى إضافة الحق فأول غربة اغتربناها وجودا حسيا عن وطننا غربتنا عن وطن القبضة عند الإشهاد بالربوبية لله علينا ثم عمرنا بطون الأمهات فكانت الأرحام وطننا فاغتربنا عنها بالولادة فكانت الدنيا وطننا و اتخذنا فيها أوطانا فاغتربنا عنها بحالة تسمى سفر أو سياحة إلى أن اغتربنا عنها بالكلية إلى موطن يسمى البرزخ فعمرناه مدة الموت فكان وطننا ثم اغتربنا عنه بالبعث إلى أرض الساهرة فمنا من جعلها وطنا أعني القيامة و منا من لم يجعله وطنا فإنه ظرف زماني و الإنسان في تلك الأرض كالماشي في سفره بين المنزلتين و يتخذ بعد ذلك أحد الموطنين إما الجنة و إما النا ر فلا يخرج بعد ذلك و لا يغترب و هذه هي آخر الأوطان آخر الأوطان التي ينزلها الإنسان ليس بعدها وطن مع البقاء الأبدي و أما قولهم في الغربة إنها الاغتراب عن الحال من النفوذ فيه فتلك غربة أخرى و ذلك أن أصحاب الأحوال لا شك أن لهم النفوذ و التحكم و بها يكون خرق العوائد لهم المشهورة في العالم فإذا اطلعوا على إن الحال لا أثر له فيما ظهر له من الفعل عند قيامه بهم فيما أعطاه الكشف لم يرضوا به فاغتربوا عنه و قالوا الوقوف معه وبال على صاحبه فيرون أن الغربة عنه غاية السعادة و أنه من أعظم حجاب يحجب به الإنسان و أنه موضع المكر و الاستد راج فإن العاقل لا يقف في مواطن إمكان المكر فيها بل ينبغي له أن لا يقف إلا في موضع يكون على بصيرة فيه كما فعل موسى في غربة الوطن فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ فاغترب بجسمه عن وطنه خوفا منهم فلو كان مثل خروج محمد صلى الله عليه و سلم من مكة إلى المدينة مهاجرا لم يكن خوفه منهم بل كان مشهوده خوفه من الله أن يسلطهم عليه فوهب له مع الرسالة التي كانت له قبل هجرته السيادة على العالمين فإن الهجرة كانت له مطلوبة و هي الاغتراب عن وطنه

فعلامة صدق المريد في غربته عن وطنه حصول مقصوده فإذا لم يحصل فخلل في غربته إذا طلبه وجده فليس بصادق و إذا فارقه بالكلية ظاهرا و باطنا فلابد من حصول المقصود فمن تعلق قلبه بوطنه في حال غربته فما اغترب الغربة المطلوبة و أما الغربة عن الحق التي هي من حقيقة الدهش عن المعرفة فاعلم إن الإمكان موطنه غير موطن الوجوب بل هما موطنان للواجب و الممكن و موطن الممكن العدم أولا و هو موطنه الحقيقي فإذا اتصف بالوجود فقد اغترب عن وطنه بلا شك و كان في حال سكناه في وطنه مشاهدا للحق فإنه جار له إذ وصف العدم له أزلا وصف الوجود لله أزلا فاغترب عن وطنه بالوجود ففارق مجاورة الحق و لزم الحدوث بهذه الغربة و الحق غير متصف بهذه الصفة و لم يتصف الحق بالحدوث أزلا في حال عدمه فاغترب عن الحق بحدوثه و لما حصل له الوجود الحادث و وقعت المشاركة في الوجود بينه و بين الحق دهش فإنه رأى ما لا يعرفه فإنه عرف نفسه متميزا عن الحق بحال العدم فلما فارق هذا الحال بالوجود أدركه الدهش عن المعرفة الأولى و هذه الغربة حال رجلين رجل لم يأنس بهذا المقام و لا وصل إليه بطريق استدراج و ترق من حال إلى حال بل أتاه بغتة فجاءه ما لم يعهده و لا ألفه فرأى نفسه تضعف عن حمله فيخاف من عدم عينه فيدهش عن تحصيل تلك المعرفة و يرجع إلى حسه عاجلا فيتغرب عن الحق في تلك الرجعة و رأينا من أهل هذا المقام أبا العباس أحمد العصاد المعروف بمصر بالحريري و ما رأينا غيره و أما الرجل الآخر فهو رجل ما من معرفة ترد عليه إلا و تدهشه لعظيم ما يرى مما هو أعلى مما حصل له و أمكن فيتغرب عن الحق الذي كان بيده و يحصل من هذه المعرفة حقا يقوم به إلى وقت تجل آخر يعطي فيه معرفة تدهشه لما ذكرناه فيتغرب أيضا عن الحق الذي حصل له في هذه المعرفة دائما أبدا دنيا و آخرة و أما العارفون المكملون فليس عندهم غربة أصلا و إنهم أعيان ثابتة في أماكنهم لم يبرحوا عن وطنهم و لما كان الحق مرآة لهم ظهرت صورهم فيه ظهور الصور في المرآة فما هي تلك الصور أعيانهم لكونهم يظهرون بحكم شكل المرآة و لا تلك الصور عين المرآة لأن المرآة ما في ذاتها تفصيل ما ظهر منهم و ما هم فما اغتربوا و إنما هم أهل شهود في وجود و إنما أضيف إليهم الوجود من أجل حدوث الأحكام إذ لا تظهر إلا من موجود فمرتبة الغربة ليست من منازل الرجال فهي منزلة أدنى ينزلها المتوسطون و المريدون و أما الأكابر فما يرون أنه اغترب شيء عن وطنه بل الواجب واجب و الممكن ممكن و المحال محال فتعين وطن كل مستوطن و لو قامت غربة بهم لانقلبت الحقائق و عاد الواجب ممكنا و الممكن واجبا و المحال ممكنا و الأمر ليس كذلك و الغربة عند العلماء بالحقائق في هذا المقام غير موجودة و لا واقعة وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الأحد و الثلاثون و مائتان في المكر»

يستدرج العاقل في عقله   من حيث لا يعلمه الماكر

و مكره عاد عليه و ما يدري بذاك الفطن الخابر

فمن أراد الأمن من مكره ليحصل الباطن و الظاهر

يحقق الميزان من شرعه فيعلم الرابح و الخاسر

اعلم أن المكر يطلقه أهل الله على إرداف النعم مع المخالفة و إبقاء الحال مع سوء الأدب و إظهار الآيات من غير أمر و لا حد و اعلم أنه من المكر عندنا بالعبد أن يرزق العبد العلم الذي يطلب العمل و يحرم العمل به و قد يرزق العمل و يحرم الإخلاص فيه فإذا رأيت هذا من نفسك أو علمته من غيرك فاعلم إن المتصف به ممكور به و لقد رأيت في واقعة و أنا ببغداد سنة ثمان و ستمائة قد فتحت أبواب السماء و نزلت خزائن المكر الإلهي مثل المطر العام و سمعت ملكا يقول ما ذا نزل الليلة من المكر فاستيقظت مرعوبا و نظرت في السلامة من ذلك فلم أجدها إلا في العلم بالميزان المشروع فمن أراد الله به خيرا و عصمه من غوائل المكر فلا يضع ميزان الشرع من يده و شهود حاله و هذه حالة المعصوم و المحفوظ فأما إرداف النعم مع المخالفة فهو موجود اليوم كثير في المنتمين إلى طريق الله و عاينت من الممكور بهم خلقا كثيرا لا يحصى عددهم إلا الله و هو أمر عام و أما إبقاء الحال مع سوء الأدب فهو في أصحاب الهمم و هم قليلون على أنا رأينا منهم جماعة بالمغرب و بهذه البلاد و هو أنهم يسيئون الأدب مع الحق بالخروج عن مراسمه مع بقاء الحال المؤثرة في العالم عليهم مكرا من الله فيتخيلون أنهم لو لم يكونوا على حق في ذلك لتغير عليهم الحال نعوذ بالله من مكره الخفي قال تعالى سَنَسْتَدْرِجُهُمْ من حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ وَ أُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ و قال وَ مَكَرْنا مَكْراً وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ و قال إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً وَ أَكِيدُ كَيْداً و هو من كاد من أفعال المقاربة أي كاد إن يكون حقا لظهوره بصفة حق فهو كالسحر المشتق من السحر الذي له وجه إلى الليل و وجه إلى النهار فيظهر للممكور به وجه النهار منه فيتخيل أنه الحق نعوذ بالله من الجهل و اعلم أن المكر الإلهي إنما أخفاه الله عن الممكور به خاصة لا عن غير الممكور به و لهذا قال من حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ فأعاد الضمير على المضمر في سَنَسْتَدْرِجُهُمْ و قال وَ مَكَرُوا مَكْراً وَ مَكَرْنا مَكْراً وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ فمضمرهم هو المضمر في مكروا فكان مكر الله بهؤلاء عين مكرهم الذي اتصفوا به وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ ثم قد يمكر بهم بأمر زائد على مكرهم فإنه أرسله سبحانه نكرة فقال وَ مَكَرْنا مَكْراً فدخل فيه عين مكرهم و مكر آخر زائد على مكرهم و قد يكون المكر الإلهي في حق بعض الناس من الممكور بهم يعطي الشقاء و هو في العامة و قد يكون يعطي نقصان الحظ و هو المكر بالخاصة و خاصة الخاصة لسر إلهي و هو أن لا يأمن أحد مكر الله لما ورد في ذلك من الذم الإلهي في قوله فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخاسِرُونَ و من خسر فَما رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ وَ ما كانُوا مُهْتَدِينَ فأخفى المكر الإلهي و أشده سترا في المتأولين و لا سيما إن كانوا من أهل الاجتهاد و ممن يعتقد

أن كل مجتهد مصيب و كل من لا يدعوا إِلَى اللهِ عَلى بَصِيرَةٍ و علم قطعي فما هو صاحب أتباع لأن المجتهد مشرع ما هو متبع إلا على مذهبنا فإن المجتهد إنما يجتهد في طلب الدليل على الحكم لا في استنباط الحكم من الخبر بتأويل يمكن أن يكون المقصود خلافه فإذا أمكن فليس صاحبه ممن هو على بصيرة و إن صادف الحق بالتأويل فكان صاحب أجرين بحكم الاتفاق لا بحكم القصد فإنه ليس على بصيرة و إن لم يصادف الحق كان له أجر طلب الحق فنقص حظه فهذا مكر إلهي خفي بهذا العالم المتأول فإنه من المتأهلين أن يدعو إِلَى اللهِ عَلى بَصِيرَةٍ بتعليم الله إياه إذا كان من المتقين فمكر العموم الإلهي في إرداف النعم على أثر المخالفات و زوالها عند الموافقات فلا يؤخذ بها فإن كان من علماء عامة الطريق فيرى إن ذلك من حكم قوة الصورة التي خلق عليها فيدعي القهر و التأثير في الحكم الإلهي بالوعيد و يرى أن عموم الحكمة أن يعطي الأسماء الإلهية حقها فيرى أن الاسم الغفار و الغفور و أخواته ليس له حكم إلا في المخالفة فإن لم تقم به مخالفات لم يعط بعض الأسماء الإلهية حقها في هذه الدار و يحتج لنفسه بقول الله يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا من رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً و كذلك يفعل و هذا النظر كله لا يخطر له عند المخالفة و إنما يخطر له ذلك بعد وقوع المخالفة فلو تقدمها هذا الخاطر لمنع من المخالفة فإنه شهود و الشهود يمنعه من انتهاك الحرمة الشرعية و لهذا ورد الخبر إذا أراد الله إنفاذ قضائه و قدره سلب ذوي العقول عقولهم حتى إذا أمضى فيهم قضاءه و قدره ردها عليهم ليعتبروا فمنهم من يعتبر و منهم من لا يعتبر كما قال وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ فمنهم من عبده و منهم من أشرك به فما يلزم نفوذ حكم العلة في كل معلول فلو أبقى عليهم عقلهم ما وقع منهم ما وقع كذلك لو كان المشهود له عند إرادة وقوع المخالفة للأسماء الإلهية لمنعه الحياء من المسمى أن ينتهك حرمة خطابه في دار تكليفه فالمخالف يقاوم القهر الإلهي و من قاوم القهر الإلهي هلك فإذا أردف النعم على من هذه حالته تخيل أن ذلك بقوة نفسه و نفوذ همته و عناية الله به حيث رزقه من القوة ما أثر بها في الشديد العقاب و غاب عن الحليم و عن الإمهال و عدم الإهمال فإن لم يقصد انتهاك الحرمة بقوة ما هو عليه من حكم اسم إلهي فليس بممكور به مثل عصاة العامة عن غفلة و ندامة بعد وقوع مخالفة فالصبر على إرداف النعم لما في طيها من المكر الإلهي أعظم من الصبر على الرزايا و البلايا فإن الله يقول لعبده مرضت فلم تعدني ثم قال في تفسير ذلك أما إن فلانا مرض فلم تعده فلو عدته لوجدتني عنده كما يجده الظمآن المضطر عند ما يسفر له السراب عن عدم الماء فيرجع إلى الله بخلاف النعم فإنها أعظم حجاب عن الله إلا من وفقه الله و أما مكر الله بالخاصة فهو مستور في إبقاء الحال عليه مع سوء الأدب الواقع منه و هو التلذذ بالحال و الوقوف معه و ما يورث من الإدلال فيمن قام به و الهجوم على الله و عدم طلب الانتقال منه و ما قال الله لنبيه وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً و ما أسمعنا ذلك إلا تنبيها لنقول ذلك و نطلبه من الله و لو كان خصوصا بالنبي لم

يسمعنا أو كان يذكر أنه خاص به كما قال في نكاح الهبة فللحال لذة و حلاوة في النفس يعسر على بعض النفوس طلب الانتقال من الأمر الذي أورثه ذلك الحال بل لا يطلب المزيد إلا منه و جهل أن الأحوال مواهب و أما المكر الذي في خصوص الخصوص و هو في إظها ر الآيات و خرق العوائد من غير أمر و لا حد الذي هو ميزانها فإنه لما وجب على الأولياء سترها كما وجب في الرسل إظها رها إذ أمكن الولي منها و أعطى عين التحكيم في العالم يطلب الممكور به لنقص حظ عن درجة غيره يريد الحق ذلك به و جعل فيهم طلبا لطريق إظها رها من حيث لا يشعر أن ذلك مكر إلهي يؤدي إلى نقص حظ فوقع الإلهام في النفس بما في إظها ر الآيات على أيديهم من انقيا د الخلق إلى الله عز و جل و إنقاذ الغرقى من بحا ر الذنوب المهلكة و أخذهم عن المألوفات و إن ذلك من أكبر ما يدعى به إلى الله و لهذا كان من نعت الأنبياء و الرسل و يرى في نفسه أنه من الورثة و أن هذا من ورث الأحوال فيحجبهم ذلك عما أوجب الله على الأولياء من ستر هذه الآيات مع قوتهم عليها و غيبهم عن ما أوجب الله على الرسل من إظها رها لكونهم مأمورين بالدعاء إلى الله ابتداء و الولي ليس كذلك إنما يدعو إلى الله بحكاية دعوة الرسول و لسانه لا بلسان يحدثه كما يحدث لرسول آخر و الشرع مقرر من عند العلماء به فالرسول على بصيرة في الدعاء إلى الله بما أعلمه الله من الأحكام المشروعة و الولي على بصيرة في الدعاء إلى الله بحكم الاتباع لا بحكم التشريع فلا يحتاج إلى آية و لا بينة فإنه لو قال ما يخالف حكم الرسول لم يتبع في ذلك و لا كان على بصيرة فلا فائدة لإظها ر الآية بخلاف الرسول فإنه ينشئ التشريع و ينسخ بعض شرع مقرر على يد غيره من الرسل فلا بد من إظها ر آية و علامة تكون دليلا على صدقه إنه يخبر عن الله إزالة ما قرره الله حكما على لسان رسول آخر أعلاما بانتهاء مدة الحكم في تلك المسألة فيكون الولي مع خصوصيته قد ترك واجبا فنقصه من مرتبته ما يعطيه الوقوف مع ذلك الواجب و العمل به فلا شيء أضر بالعبد من التأويل في الأشياء فالله يجعلنا على بصيرة من أمرنا و لا يتعدى بنا ما يقتضيه مقامنا و الذي أسأل الله تعالى أن يرزقنا أعلى مقام عنده يكون لأعلى ولي فإن باب الرسالة و النبوة مغلق و ينبغي للعالم أنه لا يسأل في المحال و بعد الأخبا ر الإلهي يغلق هذا الباب فلا ينبغي أن نسأل فيه فإن السائل فيه يضرب في حديد با رد إذ لا يصدر هذا السؤال من مؤمن أصلا قد عرف هذا و يكفي الولي من الله أن جعله على بصيرة في الدعاء إلى الله تعالى من حيث ما يقتضيه مقام الولاية و الاتباع كما جعل الرسول يدعو إِلَى اللّٰهِ عَلَى بَصِيرَةٍ من حيث ما يقتضيه مقام الرسالة و التشريع و يعصمنا من مكره و لا يجعلنا من أهل النقص و يرزقنا المزيد و الترقي دنيا و آخرة وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثاني و الثلاثون و مائتان في مقام الاصطلام»

للاصطلام على القلوب تحكم و له على كل النعوت تقدم

يعطي التحير في العقول وجوده و هو السبيل من الإله الأقوم
من قال زدني فيك تحيرا ذاك المؤمل و النبي الأعلم
لولاه ما عرف الإله و لا درت الباب أهل الله أين هم هم

الاصطلام في اصطلاح القوم و له يرد على القلب سلطانه قوي فيسكن من قام به تحته و هو أن العبد إذا تجلى له الحق في سره في صورة الجمال أثر في نفسه هيبة فإن الجمال نعت الحق تعالى و الهيبة نعت العبد و الجمال نعت الحق و الأنس نعت العبد فإذا اتصف العبد بالهيبة لتجلى الجمال فإن الجمال مهوب أبدا كان عن الهيبة أثر في القلب و خدر في الجوارح حكم ذلك الأثر اشتعال نار الهيبة فيخاف لذلك سطوته فيسكن و علا منه فيه في الظاهر خدر الجوارح و موتها فإن تحرك من هذه صفته فحركته دورية حتى لا يزول عن موضعه فإنه يخيل إليه إن تلك النار محيطة به من جميع الجهات فلا يجد منفذا فيدور في موضعه كأنه يريد الفرار منه إلى أن يخف ذلك عنه بنعت آخر يقوم به و هو حال ليس هو مقام و لما كان هذا الاصطلام نعت الشبلي كان يدور لضعفه و خوفه غير إن الله كانت له عناية منه فكان يرده إلى إحساسه في أوقات الصلوات فإذا أدى صلاة الوقت غلب عليه حال الاصطلام بسلطانه فقيل للجنيد عنه فقال أ محفوظ عليه أوقات الصلوات فقيل نعم فقال الجنيد الحمد لله الذي لم يجر عليه لسان ذنب فما أحسن قول الجنيد لسان ذنب فإنه أخيذ وقته فليس بصاحب ذنب و الغريب يشهده تاركا للصلاة و من أعجب حكم الاصطلام الجمع بين الضدين فإن الخدر ينفي الحركة فهو مخدور الجوارح بل هو محرك يدار به و هو صاحب خدر هكذا يحسه من نفسه وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثالث و الثلاثون و مائتان في الرغبة»

رغبت عنه وفيه من أجل ما يقتضيه
مقام من هو مثلي في كل ما يرتضيه
لله سيف حسام للكل إذ ينتضيه

الرغبة في اصطلاح القوم على ثلاثة أنحاء رغبة محلها النفس متعلقها الثواب و رغبة محلها القلب متعلقها الحقيقة و رغبة محلها السر متعلقها الحق فأما الرغبة النفسية فلا تكون إلا في العامة و في الكمل من رجال الله لعلمهم بأن الإنسان مجموع أمور أنشأه الله عليها طبيعية و روحانية و إلهية فعلم إن فيه من يطلب ثواب ما وعد الله به فرغب فيه له إثباتا للحكم الإلهي و أما العامة فلا علم لها بذلك فيشترك الكامل و العامي في صورة الرغبة و يتميز في الباعث كل واحد عن صاحبه كالخوف يوم الفزع الأكبر يشترك فيه الرسل عليهم

السلام و هم أعلى الطوائف و العوام و هم المذنبون و العصاة فالرسل عليهم السلام خوفا على أممها لا على أنفسها فإنهم الآمنون في ذلك الموطن و العامة تخاف على نفوسها فيشتركان في الخوف و يفترقان في السبب الموجب له كان بعض الكمل قد برد ماء في الكوز ليشربه فنام فرأى في الواقعة المبشرة حوراء من أحسن ما يكون من الحور العين قد أقبلت فقال لها لمن أنت فقالت لمن لا يشرب الماء المبرد في الكيزان ثم تناولت الكوز و هو ينظر إليها فكسرته فكانت له فلما استيقظ وجد الكوز مكسورا فترك خزفه في موضعه لم يرفعه حتى عفي عليه التراب تذكرة له فعلم إن فيه من يطلب ربه و فيه من يطلب تلك الجارية و لذلك استفهمها فأعطى كل ذي حق حقه فلم يكن ظلوما لنفسه فإن من المصطفين من عباد الله من يكون ظالما لنفسه أي من أجل نفسه يظلم نفسه بأنه لا يوفيها حقها لنزوله في العلم عن رتبة من يعلم أن حقائقه التي هو عليها لا تداخل و لا تتعدى كل حقيقة مرتبتها و لا تقبل إلا ما يليق بها فلا تقبل العين إلا السهر و النوم و ما يختص بها و لا تقبل من الثواب إلا المشاهدة و الرؤية و الأذن لا تقبل في الثواب إلا الخطاب إذ ليس الشهود للسمع و الكامل يسعى لقواه على قدر ما تطلبه و هو إمام ناصح لرعيته ليس بغاش لها فإن ظلمها فإنما يظلمها لها في زعمه و ذلك لجهله بما علم غيره من ذلك كسلمان الفارسي و أخيه في الله أبي الدرداء في حالهما فرجح رسول الله صلى الله عليه و سلم سلمان فإنه كان يعطي كل ذي حق حقه فيصوم و يفطر و يقوم و ينام و كان أبو الدرداء مع كونه مصطفى ظالما لنفسه يصوم فلا يفطر و يقوم فلا ينام و أما الرغبة القلبية في الحقيقة فإن الحقيقة في الوجود التلوين و المتمكن في التلوين هو صاحب التمكين ما هو المقابل للتلوين لأن الحقيقة تعطي أن يكون الأمر هكذا لأن الله كل يوم في شأن فهو في التلوين فهذا القلب يرغب في شهود هذه الحقيقة و جعل الله محلها القلب ليقرب على الإنسان تحصيلها لما في القلب من التقليب و لم يجعلها في العقل لما في العقل من التقييد فربما يرى أنه يثبت على حالة واحدة لو كانت هذه الرغبة في العقل بخلاف كونها في القلب فإنه يسرع إليه التقليب فإنه بين أصابع الرحمن فلا يبقى على حالة واحدة في نفس الأمر فيثبت على تقليبه في أحواله بحسب شهوده و ما يقلبه الأصابع فيه و أما الرغبة السرية التي متعلقها الحق فنعني بالحق هنا ما يظهر للخلق في الأعمال المشروعة فيرغب السر في هذا الحق لما يندرج في ذلك أو يظهر به من المعارف الإلهية التي تتضمنها الأحكام المشروعة و لا تكشف إلا بالعمل بها فإن الظاهر أقوى من الباطن حكما أي هو أعم لأن الظاهر له مقام الخلق و الحق و الباطن له مقام الحق بلا خلق إذ الحق لا يبطن عن نفسه و هو ظاهر لنفسه فمن علم ذلك رغب سره في الحق فإن الله ربط العالم به و أخبر عن نفسه أن له نسبتين نسبة إلى العالم بالأسماء الإلهية المثبتة أعيان العالم و نسبة غناه عنه فمن نسبة غناه عنه يعلم نفسه و لا نعلمه فلم يبطن عن نفسه و من نسبة ارتباط العالم به للدلالة عليه علم أيضا نفسه و علمناه فعم الظاهر النسبتين فكان أقوى في الحكم من الباطن فرغب السر في الحق لعلمه بأن

مدرك نسبة الغني لا يدركها إلا هو فقطع يأسه و أراح نفسه و طلب ما ينبغي له أن يطلب فنفخ في ضرم و لم يكن لحما علي و ضم جعلنا الله ممن رأى الحق حقا فاتبعه وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الرابع و الثلاثون و مائتان في الرهبة»

الرهبة الخوف من سبق و تقليب — و من وعيد لصدق المخبر الصادق
دل الدليل عليه من مضايفة — فالراهب الخائف المسارع السابق
يسير في ظلمة عمياء غاسقة — سير المريب و سير الواله العاشق
يسرى بهمته خوفا فتبصره — يخاف في سيره من فجأة الطارق

الرهبة عند القوم تقال بإزاء ثلاثة أوجه رهبة من تحقيق الوعيد و رهبة من تقليب العلم و رهبة من تحقيق أمر السبق فالأول إذا جاء الوعيد بطريق الخبر و الخبر لا يدخله النسخ فهو ثابت و الثاني تقليب العلم ف يَمْحُوا اللهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ و الثالث ما يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ و أما الرهبة المطلقة من غير تقييد بأمر ما معين فهي كل خوف يكون بالعبد حذرا أن لا يقوم بحدود ما شرع له سواء كان حكما مشروعا إلهيا أو حكما حكميا كما قال تعالى وَ رَهْبانِيَّةً ابْتَدَعُوها أي هم شرعوها لأنفسهم ما أوجبناها عليهم ابتداء فاعتبرها الحق و آخذهم بعدم مراعاتها فما كتبها الله عليهم إِلَّا ابْتِغاءَ رِضْوانِ اللهِ فأثنى على المراعين لها ليحسن القصد و النية في ذلك و في الكلام تقديم و تأخير كأنه يقول فما رعوها حق رعايتها إلا ابتغاء رضوان الله يعني المراعين لها و في شرعنا من هذه الرهبانية من سن سنة حسنة و هذا هو عين الابتداع و لما جمع عمر بن الخطاب الناس على أبي في قيام رمضان قال نعمت البدعة هذه فسماها بدعة و مشت السنة على ذلك إلى يومنا هذا فلما اقترن بالأعمال المشروعة وجوب القيام بحقها كالنذر خاف المكلف فقامت الرهبة به فأدته إلى مراعاة الحدود فسمي راهبا و سميت الشريعة رهبانية و مدح الله الرهبان في كتابه فمن الناس من علق رهبته بالوعيد فخاف من نفوذه كالمعتزلي القائل بإنفاذ الوعيد فيمن مات عن غير توبة فاعلم إن هنا نكتة أنبهك عليها و ذلك أنه من المحال أن يأتي مؤمن بمعصية توعد الله عليها فيفزع منها إلا و يجد في نفسه الندم على ما وقع منه و قد قال صلى الله عليه و سلم الندم توبة و قد قام به الندم فهو تائب فسقط حكم الوعيد لحصول الندم فإنه لا بد للمؤمن أن يكره المخالفة و لا يرضى بها و هو في حال عمله إياها فهو من كونه كارها لها مؤمن بأنها معصية ذو عمل صالح و هو من كونه فاعلا لها ذو عمل سيئ فغايته إن يكون من الذين خَلَطُوا عَمَلًا صالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً فقال تعالى عقيب هذا القول عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ و عسى من الله واجبة و رجوعه عليهم إنما هو بالمغفرة و يرزقهم الندم

عليها و الندم توبة فإذا ندموا حصلت توبة الله عليه فهو ذو عمل صالح من ثلاثة أوجه الايمان بكونها معصية و كراهته لوقوعها منه و الندم عليها و هو ذو عمل سيئ من وجه واحد و هو ارتكابه إياها و مع هذا الندم فإن الرهبة تحكم عليه سواء كان عالما بما قلناه أو غير عالم فإنه يخاف وقوع مكروه آخر منه و لو مات على تلك التوبة فإن الرهبة لا تفارقه و ينتقل تعلقها من نفوذ الوعيد إلى العتاب الإلهي و التقرير عند السؤال على ما وقع منه فلا يزال مستشعرا و هو نوع من أنواع الوعيد فإن الله يقول فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ فلا بد أن يوقف عليه فهو يرهب من هذا التوبيخ برؤية ذلك العمل القبيح الذي لا بد له من رؤيته و لم يتعرض الحق في هذه الآية للمؤاخذة به فالرؤية لا بد منها فإن كان ممن غفر له يرى عظيم ما جنى و عظيم نعمة الله عليه بالمغفرة هذا يعطيه الخبر الإلهي الصدق الذي لا يدخله الكذب فإنه محال على الجناب الإلهي فإن نظر العالم إلى أن خطاب الحق لعباده إنما يكون بحسب ما تواطئوا عليه و هذا خطاب عربي لسائر العرب بلسان ما اصطلحوا عليه من الأمور التي يتمدحون بها في عرفهم و من الأمور التي يذمونها في عرفهم فعند العرب من مكارم الأخلاق أن الكريم إذا وعد وفى و إذا أوعد تجاوز و عفا و هي من مكارم أخلاقهم و مما يمدحون بها الكريم و نزل الوعيد عليهم بما هو في عرفهم لم يتعرض في ذلك لما تعطيه الأدلة العقلية من عدم النسخ لبعض الأخبار و لاستحالة الكذب بل المقصود إتيان مكارم الأخلاق قال شاعرهم

و إني إذا أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادي و منجز موعدي

مدح نفسه بالعفو و التجاوز عمن جنى عليه بما أوعد على ذلك من العقوبة بالعفو و الصفح و مدح نفسه بإنجاز ما وعد به من الخير يقال في اللسان وعدته في الخير و الشر و لا يقال أوعدته بالهمز إلا في الشر خاصة و الله يقول وَ ما أَرْسَلْنا من رَسُولٍ إِلَّا بِلِسانِ قَوْمِهِ أي بما تواطئوا عليه و التجاوز و العفو عند العرب مما تواطئوا على الثناء به على من ظهر منه فالله أولى بهذه الصفة فقد عرفنا الله أن وعيده ينفذه فيمن شاء و يغفر لمن شاء و مع هذه الوجوه فلا يتمكن زوال الرهبة من قلب العبد من نفوذ الوعيد لأنه لا يدري هل هو ممن يؤاخذ أو ممن يعفى عنه و قد قدمنا ما يجده المخالف عقيب المخالفة من الندم على ما وقع منه و هو عين التوبة فالحمد لله الذي جعل الندم توبة و وصف نفسه تعالى بأنه التواب الرحيم أي الذي يرجع على عباده في كل مخالفة بالرحمة له فيرزقه الندم عليها فيتوب العبد بتوبة الله عليه لقوله ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ و أما الرهبة الثانية التي هي لتحقيق تقليب العلم فيخاف من عدم علمه بعلم الله فيه هل هو ممن يستبدل أم لا قال تعالى وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثالَكُمْ فقد أعطى السبب و هو التولي و قد أعطى العلامة و هو عدم التولي عن الذكر لا عن الله فإن التولي عن الله لا يصح و لهذا قال لنبيه فَأَعْرِضْ عَنْ من تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنا

كيف يتولى عمن هو بالمرصاد و الكل في قبضته و بعينه و لما كان مشهده تقليب العلم بتقليب المعلوم فإن العلم يتعلق به بحسب ما هو عليه فتغير التعلق لتغير المتعلق لا لتغير العلم فرهبته من تقليب العلم عين رهبته مما يقع منه فإن العلم لا حكم له في التقليب على الحقيقة و إنما التقليب لموجد عين الفعل الذي يوقع الرهبة في القلب و هو كونه قادرا و يتعلق العلم بذلك الانقلاب و المنقلب إليه قال تعالى وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ أي إذا ظهر منكم عند الابتلاء بالتكليف ما يكون منكم من مخالفة أو طاعة يتعلق العلم مني عند ذلك به كان ما كان و حضرة تقليب العلم قوله يَمْحُوا اللهُ ما يَشاءُ وَ يُثْبِتُ فذكر المحو بعد الكتابة و يثبت ما شاء مما كتبه وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ و هي السابقة التي لا تتبدل و لا تمحى فلما علم عز و جل ما يمحو من ذلك بعد كتابته و ما يثبت أضيف التقليب إلى العلم و التحقيق ما ذكرناه من تغيير التعلق و عدم التقليب في العلم و أما قوله تعالى عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتانُونَ أَنْفُسَكُمْ فما أراد هنا تعلق علمه تعالى بأنهم يختانون أنفسهم و إنما المستقبل هنا بمعنى الماضي فإن اللسان العربي يجيء فيه المستقبل ببنية الماضي إذا كان متحققا كقوله تعالى أَتى أَمْرُ اللهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ و شبهه و قد كان الحق كلفهم قبل هذا التعريف أن لا يباشر الصائم امرأته ليلة صومه فمنهم من تعدى حد الله في ذلك فلما علم الله ذلك عفا عمن وقع منه ذلك و أحل له الجماع ليلة صومه إلا أن يكون معتكفا في المسجد فما خفف عنهم حتى وقع منهم ذلك و من من شأنه مثل هذا الواقع فإنه لا يزال يتوقع منه مثله فأبيح له رحمة به حتى إذا وقع منه ذلك كان حلالا له و مباحا و تزول عنه صفة الخيانة فإن الدين أمانة عند المكلف و أما الرهبة لتحقيق أمر السبق فلقوله تعالى ما يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ و قوله لا تَبْدِيلَ لِكَلِماتِ اللهِ و إن كان يسوغ في هذه الآية أن كلمات الله عبارة عن الموجودات كما قال في عيسى إنه كَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى مَرْيَمَ فنفى أن يكون للموجودات تبديل بل التبديل لله و لا سيما و ظاهر الآية يدل على هذا التأويل و هو قوله فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها لا تَبْدِيلَ لِكَلِماتِ اللهِ أي ليس لهم في ذلك تبديل و هذه بشرى من الله بأن الله ما فطرنا إلا على الإقرار بربوبيته فما يتبدل ذلك الإقرار بما ظهر من الشرك بعد ذلك في بعض الناس لأن الله نفى عنهم أن يكون لهم تبديل في ذلك بل هم على فطرتهم و إليها يعود المشرك يوم القيامة عند تبري الشركاء منهم و إذا لم يضف التبديل إليهم فهي بشرى في حقهم بما لهم إلى الرحمة و إن سكنوا النار فبحكم كونها دارا لا كونها دار عذاب و آلام بل يجعلهم الله على مزاج ينعمون به في النار بحيث لو دخلوا الجنة بذلك المزاج تألموا لعدم موافقة مزاجهم لما هي عليه الجنة من الاعتدال فمن حقت عليه كلمة الله بأمر فإنه يعمل في غير معمل و يطمع في غير مطمع قال رسول الله صلى الله عليه و سلم فيمن يعمل بعمل أهل الجنة حتى يقرب منها بعمله فيما يبدو للناس فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل النار فيدخل النار و كذلك الآخر ثم قال و إنما الأعمال بالخواتم فذكر في هذا الحديث لمن هي السابقة و أن الخاتمة هي عين حكم السابقة و لهذا كان بعضهم يقول

أنتم تخافون من الخاتمة و أنا أخاف السابقة و إنما سميت سابقة من أجل تقديمها على الخاتمة فهذا معنى موجود لم يظهر حكمه إلا بعد زمان فهو من بعض ما يمكن أن يستند إليه القائل بالكمون و الظهور و لا سيما و الشارع قد نبه عليه في الحديث بقوله في عمل أهل النار أعمال السعداء فقال فيما يبدو للناس و كذلك في عمل أهل الجنة أعمال الأشقياء فيما يبدو للناس و الذي عندهم و هم فيه في بواطنهم خلاف ما يبدو للناس فعلم الله ذلك منهم فهذا معنى ما ظهر له حكم في الظاهر مع وجوده عندهم و المراؤون من هذا القبيل غير أن هنا بشرى فيما يذهب إليه و ذلك أن العلماء قد علموا إن الحكم للسابق فإن اللاحق متأخر عنه و لهذا السابق يحوز قصب السبق و قصب السبق هنا آدم و ذريته و قد تجارى غضب الله و رحمته في هذا الشأو فسبقت رحمته غضبه فحازتنا ثم لحق الغضب فوجدنا في قبضة الرحمة قد حازتنا بالسبق فلم ينفذ للغضب فينا حكم التأبيد بل تلبس بنا للمشاهدة بعض تلبس لما جمعنا مجلس واحد أثر فينا بقدر الاستعداد منا لذلك فلما انفصلت الرحمة من الغضب من ذلك المجلس أخذتنا الرحمة بحيازتها إيانا و فارقنا غضب الله فحكمه فينا أعني بنى آدم غير مؤبد و في غيرنا من المخلوقين ما أدري ما حكمه فيهم من الشياطين و الله أعلم و صاحب هذا الذوق ما يرهب السابقة فإن رحمة الله لا يخاف منها إلا في دار التكليف فرهبة السبق إنما متعلقها سبق مخصوص لا سبق الرحمة و ذلك السبق عرضي ليس بدائم إذا كان سبق شقاوة لأنه ليس له أصل يعضده فإن أصله غضب الله و هو لاحق لا سابق و أما سبق السعادة فما هو عرضي فيزول لأن له أصلا يعضده و يقويه و هو رحمة الله التي سبقت غضبه و لهذا السبق الجزئي العرضي السعادي يبقى و الشقاوي لا يبقى فاعلم ذلك وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الخامس و الثلاثون و مائتان في التواجد و هو استدعاء الوجد»

إن التواجد لا حال فتحمده و لا مقام له حكم و سلطان
يزري بصاحبه في كل طائفة و ما له في طريق القوم ميزان
بل ذمه القوم لما كان منقصة والنقص ما فيه في التحقيق رجحان
و كل ما هو فيه من يقوم به فإنه كله زور و بهتان

اعلم أن التواجد استدعاء الوجد لأنه تعمل في تحصيل الوجد فإن ظهر على صاحبه بصورة الوجد فهو كاذب مراء منافق لا حظ له في الطريق و لهذا لم تسلمه الطائفة إلا لمن أعلم الجماعة التي يكون فيها إنه متواجد لا صاحب وجد و لا يسلم له ذلك إلا إذا اتفق أن يعطي الحال بقرينته أن يوافق أهل الوجد في حركاتهم عن إشارة من شيخ يكون له حكم في الجماعة أو حرمة عندهم فإن خرج عن هذه

الشروط فلا يجوز له أن يقوم متواجدا و لا أن يظهر عليه من ذلك أثر و كل وجد يكون عن تواجد فليس بوجد فإن من حقيقة الوجد أن يأتي على القلب بغتة يفجأه و هو الهجوم على الحقيقة فالوجد كسب فهو له و التواجد تكسب و اكتساب الوجد عن التواجد اكتساب لا كسب و هذه بشرى من الله حيث جعل المخالفة اكتسابا و الطاعة كسبا فقال لَها يعني للنفس ما كَسَبَتْ فأوجبه لها و قال في الاكتساب وَعَلَيْها ما اكْتَسَبَتْ فما أوجب لها إلا الأخذ بما اكتسبته فالاكتساب ما هو حق لها فتستحقه فتستحق الكسب و لا تستحق الاكتساب و الحق لا يعامل إلا بالاستحقاق فالعفو من الله يحكم على الأخذ بالجريمة فالتواجد الذي عند أهل الله إظهار صورة وجد من غير وجد على طريق الموافقة لأهل الوجد مع تعريفه لمن حضر أنه ليس بصاحب وجد لا بد من هذا و مع هذا الصدق فتركه أولى لأن مراعاة حق الله أولى من مراعاة الخلق إذ مراعاة الخلق إن لم تكن عن مراعاة مر الحق بها و إلا فهي مداهنة و المداهنة نعت مذموم لا ينبغي لأهل الله أن تتصف بشيء لا يكون للحق فيه أمر بوجوب إن كان فعلا أو يكون لذلك الفعل نعت إلهي في النعوت فتستند إليه فيه و لو كان مذموما في الخلق فإنه محمود في جانب الحق لظهور الحق به لأمر يقتضيه الحكم فمستنده الإلهي قول نوح لقومه فَإِنّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَما تَسْخَرُونَ و قول الله إِنّا نَسِيناكُمْ . . . كَما نَسِيتُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هذا فوصف نفسه بالنسيان و يظهر حكم مثل هذا المقصود من الحق به هَلْ ثُوِّبَ الْكُفّارُ ما كانُوا يَفْعَلُونَ فموضع الاستشهاد من هذا الموافقة في الصورة فانسحب الاسم عليه في الجناب الإلهي كما انسحب عليه في الجناب الكوني و لم يكن الغرض كون ذلك الأمر محمودا أو مذموما و إنما المراد ظهور الموافقة الإلهية فلما رأى أهل الله ظهور الموافقة الإلهية سامحوا في التواجد و اشترطوا التعريف لما يعطيه مقام الصدق الذي عليه اعتماد القوم فإن قلت فهذه الموافقة الإلهية و النبوية إنما وقعت في دارين و مجلسين مختلفين و التواجد في مجلس واحد قلنا صدقت فيما ذكرته في عين ما استشهدنا به فنحن ما قصدنا إلا الموافقة فإن أردت حصول الأمر من الجانبين في وقت واحد فذلك موجود في مكر الله بالماكرين من حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ فلا يكون ذلك إلا في الدنيا فإنهم في الآخرة يعرفون أن الله مكر بهم في الدنيا بما بسط لهم فيها مما كان فيه هلاكهم فهنا وقع المكر بهم حيث وقع المكر منهم بل في بعض الوقائع أو أكثرها بل كلها إن عين مكرهم هو مكر الله بهم وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ و لما دخل عمر بن الخطاب على رسول الله صلى الله عليه و سلم فوجده و أبا بكر يبكيان في قضية أسارى بدر فقال لهما عمر بن الخطاب اذكر إلى ما أبكاكما فإن وجدت بكاء بكيت و إن لم أجده تباكيت أي أوافقكما في إرسال الدموع و التباكي كالتواجد إظهار صورة من غير حقيقة فهي صورة بلا روح غير أن لها أصلا معتبرا ترجع إليه و هو ما ذكرناه فإن قلت فكيف تعطي الحقائق إظهار حكم معنى في الظاهر من غير وجود ذلك المعنى فيمن ظهر عليه حكمه قلنا هذا موجود في الإلهيات في قوله وَلا يَرْضى لِعِبادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا

يَرْضَهُ لَكُمْ و الرضي إرادة و قد نفى أن يكون مرضيا عنده فقد نفى أن يكون مرادا له فقد ظهر حكم معنى نفاه الحق عن نفسه فكذلك حكم الوجد في التواجد مع نفي الوجد عنه و لمسألة الرضي معنى دقيق ذكرناه في كتاب المعرفة و هو جزء لطيف فلينظر هناك و إنما جئنا به هنا صورة لم نذهب به مذهب التحقيق الذي لنا في الأشياء و إنما أخرجناه مخرج البرهان الجدلي الموضوع لدفع حجة الخصم لا لإقامة البرهان على الحق فالوجد الظاهر في التواجد هو حكم وجد متخيل في نفس المتواجد فهو حكم محقق في حضرة خيالية و قد بينا أن الخيال حضرة وجودية و أن المتخيلات موصوفة بالوجود فما ظهر المتواجد بصورة حكم الوجد إلا لهذا الوجد المتخيل في نفسه فما ظهر إلا عن وجود فله وجه إلى الصدق و لهذا يجب على المتواجد التعريف بتواجده ليعلم السامع من أهل المجلس أن ذلك عن الوجد المتخيل لا عن الوجد القائم بالنفس في غير حضرة الخيال له في و الخيال حكم صحيح في الحس كصاحب الصفراء إذا كان في موضع يتخيل السقوط منه فيسقط فهذا سقوط عن تخيل ظهر حكمه في الحس و كذلك المتواجد قد يحكم عليه الوجد المتخيل بحيث أن يفنيه عن الإحساس كما يفنى صاحب الوجد الصحيح و لكن بينهما فرقان في النتيجة قد ذكرناه في شرح ما لا يعول عليه في الطريق فإن نتيجة الوجد الصحيح مجهولة و نتيجة الوجد الخيالي إذا حكم مقيدة معلومة يعلمها صاحبها إن كان من أهل هذا الشأن فإنه ما ينتج له إلا ما يناسب خياله في الوجد و هو معلوم و الوجد الصحيح مصادفة من حيث لا يشعر صاحبه فلا يدري بما يأتيه به و قد ذكرنا في التواجد ما فيه غنية وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب السادس و الثلاثون و مائتان في الوجد»

إذا أفناك عنك ورود أمر   فذاك الوجد ليس به خفاء
له حكم و ليس عليه حكم   نعم و له التلذذ و الفناء
و ذا من أعجب الأشياء فيه   فإن مزاجه عسل و ماء

اعلم أن الوجد عند الطائفة عبارة عما يصادف القلب من الأحوال المفنية له عن شهوده و شهود الحاضرين و قد يكون الوجد عندهم عبارة عن ثمرة الحزن في القلب قال الأستاذ و بالجملة فهو حسن الوجد حال و الأحوال مواهب لا مكاسب و لهذا كان وجد المتواجد إذا أورثه التواجد الوجد لانفعال نفسه لما يجتلبه مكتسبا و الحال لا يكتسب عند القوم فلذلك لا يعول على وجد المتواجد فنظير الوجد في الأحوال عند القوم كمجيء الوحي إلى الأنبياء يفجئهم ابتداء كما ورد في الحديث أن النبي صلى الله عليه و سلم لم يزل يتحنث في غار حرا حتى فجأه الوحي و لم يكن ذلك مقصودا له فكذلك أهل الوجد إنما هم في سماع من الحق في كل ناطق في الوجود و

ما في الكون إلا ناطق فهم متفرغون للفهم عن الله في نطق الكون و سواء كان ذلك في نغم أو غير نغم و بصوت أو غير صوت فيفجؤهم أمر إلهي و هم بهذه المثابة فيفنيهم عن شهودهم أنفسهم و عن شهودهم أنهم أهل وجد و عن شهود كل محسوس فإذا حصل لهم ذلك فذلك هو الوجد عند القوم و لا بد لصاحبه من فائدة يأتي بها فإن جاء بغير فائدة و لا مزيد علم فذلك نوم القلب من حيث لا يشعر فإن الذي يأتيه في تلك الفجاة إنما يأتيه من الله ليفيده علما بما ليس عنده مما تشرف به نفسه و تكمل و تربى على غيرها من النفوس فإنه لا يرد الأعلى نفس طاهرة زكية هذا حكمه في هذا الطريق و أما الوجد العام فهو ما ذكرناه في حده في أول الباب فلا يشترط فيه طهارة و لا غيرها إلا في هذا الطريق و لما كان يظهر في العموم مع عدم الطهارة لهذا لا يكون الوجد شاهد صدق إلا على نفسه إنه وجد خاصة لا أنه وجد في الله و لهذا يلتبس على الأجانب فلا يفرقون بين أهل الله فيه و بين المتصورين بصورة أهل الله و إن كانوا ليسوا منهم فالحال الحال و لهذا أهل الله في السماع المقيد بالنغم من شرطهم أن يكونوا على قلب واحد و أن لا يكون فيهم من ليس من جنسهم فلا يحضرون إلا مع الأمثال أو مع المؤمنين بأحوالهم المعتقدين فيهم و مستنده الإلهي كون الحق نعت نفسه بأن قاتل نفسه بادره بنفسه و إن كان ما بادره إلا به و لكن هكذا ورد في النعوت الإلهية فنقره و لا بد فإنه أراد الله بذلك المحل أمرا ما فيما كلفه به فجاء ذلك الأمر الإلهي الشرعي لمجيء زمانه و وقته فصادف المحل على غير ما تعطيه حقيقة ذلك الوارد بالوارد الذي فجأه الحاكم على المحل مع علمنا أنه ما نفذ فيه إلا علم الله فيه و لكن تعمير المراتب أدى إلى اختلاف المذاهب فصار الحق هنا صاحب وجد و موجدة على من قتل نفسه مبادرا كما جاء عنه في غضبه على من غضب عليه ففي المقام الإلهي هنا عن شهود نفسه بأنه غني عن العالمين إذ المقامات تتجاور و لا تتداخل فكل مقام له حكم و قد بين الله لعباده في أخباره الصادقة في كتبه و على ألسنة رسله ما هو عليه بما ينسب إليه فمن الآداب أن تنسب إليه ما نسبه إلى نفسه و إن ردته الأدلة العقلية فإن بالدليل العقلي أيضا قد علمنا إن بعض الكون لا يعرفه على حد ما يعرف نفسه فهو المجهول المعروف لا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ فإن قلت فالمصادفة تقضي بعدم العلم بما صادف فأين مستنده الإلهي فنقول في قوله وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ مع علمه بما يكون منهم فبتلك النسبة تجري هنا و قد وردت و الوجد يفنى كما يفنى الفناء و الغيبة و لا بد لصاحب هذه الأحوال ممن يحضرون معه و يتصفون بالبقاء معه و الشهود له و إن لم يكونوا بهذه المثابة فما هو المطلوب بهذه الألفاظ و اختلفوا في الوجد هل يملك أم لا يملك فذكر القشيري عن بعضهم أنه كان يملك وجده و كان إذا ورد عليه و عنده من يحتشمه و يلزم الأدب معه أمسك وجده فإذا خلا بنفسه أرسل وجده و جعل ذلك كرامة له أنتجها احترام من يجب احترامه و عندنا إن الوجد لا يملك و ذلك الذي أرسله ما هو عين ما ورد عليه مع حضور من احترمه فإن المعدوم ما له عين

يملكها المحدث فلما خلا ذلك الرجل ظهر حكم الوجد فيه في ذلك الوقت فتخيل أنه مالك لوجده كما يملك القاعد قيامه أي بما هو مستعد للقيام لا إن القيام وجد فيه فلم يقم فاعلم ذلك وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب السابع و الثلاثون و مائتان في الوجود»

وجود الحق عين وجود وجدي فإني بالوجود فنيت عنه

و حكم الوجد أفنى الكل عني و لا يدرى لعين الوجد كنه

و وجدان الوجود بكل وجه بحال أو بلا حال فمنه

اعلم أن الوجود عند القوم وجدان الحق في الوجد يقولون إذا كنت صاحب وجد و لم يكن في تلك الحال الحق مشهودا لك و شهوده هو الذي يفنيك عن شهودك و عن شهودك الحاضرين فلست بصاحب وجد إذ لم تكن صاحب وجود للحق فيه و اعلم أن وجود الحق في الوجد ما هو معلوم فإن الوجد مصادفة و لا يدرى بما تقع المصادفة و قد يجيء بأمر آخر فلما كان حكمه غير مرتبط بما يقع به السماع كان وجود الحق فيه على نعت مجهول فإذا رأيتم من يقرر الوجد على حكم ما عينه السماع المقيد و المطلق فما عنده خبر بصورة الوجد و إنما هو صاحب قياس في الطريق و طريق الله لا تدرك بالقياس فإنه كل يوم في شأن و كل نفس في استعداد فَلا تَضْرِبُوا لِلّٰهِ الْأَمْثالَ إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ و اعلم أنه إنما اختلف وجود الحق في الوجد عند الواجدين لحكم الأسماء الإلهية و لحكم الاستعدادات الكونية فكل نفس من الكون له استعداد لا يكون لغيره و صاحب النفس بفتح الفاء هو الموصوف بالوجد فيكون وجده بحسب استعداده و الأسماء الإلهية ناظرة رقيبة و ليس بيد الكون من الله إلا نسب أسمائه و نسب عنايته فوجود الحق في الوجد بحسب الاسم الإلهي الذي ينظر إليه و الأسماء الإلهية راجعة إلى نفس الحق و قد شهد روح الله بشهادة تعم الكون في الله فقال تَعْلَمُ ما في نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ ما في نَفْسِكَ على الوجهين الوجه الواحد أن تكون النفس هنا نفس عيسى عينه أو تكون نفس الحق فإذا جهل العبد ما هي عليه نفسه من حكم الاستعداد الذي به يقبل الوجود الحق الخاص فهو بما ينظر إليه من الأسماء الإلهية في المستأنف أجهل فإذا ظهر لصاحب الوجد وجود الحق عند ذلك الظهور يعلم ما تجلى له من الأسماء فيخبر عند رجوعه عن وجود معين و شهود محقق و أما غير صاحب الوجد فحكمه بحسب الحال التي يقام فيها و الضابط لباب العلم بالله أنه لا يعلم شيء من ذلك إلا بإعلام الله في المستأنف و أما في الحال و الماضي فإعلام الله به وقوعه مشهود المن وقع به عن ذوق لا عن نقل إلا أن يكون الناقل مقطوعا بصدقه و يكون القول أيضا في الباب نصا جليا لا يحتمل إن لم يكن بهذه المثابة و إلا فلا يعلم أصلا و إن وقع العلم به من شخص في وقت فبحكم

المصادفة و مثل هذا لا يسمى علما عند أحد من أهل النظر و إن كان الشارع قد سماه علما في قصة ابن عمر أو من كان من الصحابة في حديث الفاتحة فقال ليهنك العلم مع كونه مصادفة و اعلم أن الذي يتقيد به وجود الحق في صاحب الوجد إنما هو بحسب الوجد و الوجد ليس بمعلوم وروده لمن ورد عليه حتى ينزل به فوجود الحق في كل صاحب وجد بحسب وجده ثم إن الوجد عند العارفين يخرج عن حكم الاصطلاح بل يرسلونه في العموم فما عندهم صاحب وجد صحيح كان فيمن كان إلا و للحق في ذلك الوجد وجود يعرفه العارفون بالله فيأخذون عن كل صاحب وجد ما يأتي به في وجده من وجوده و إن كان صاحب ذلك الوجد لا يعرف أن ذلك وجود الحق فإن العارف يعرفه فيأخذ منه ما يأتي به صاحب كل وجد من وجود و أن الحق تجلى في ذلك الوجد بصورة ما قيده به هذا المخبر عن وجود ما وجده في وجده و هذا ذوق عزيز هو حق في نفس الأمر معتبر مقطوع به عند أرباب هذا الشأن لا عند كلهم و قد أنبأ الحق عن نفسه في ذلك بتغير الصور و النعوت عليه لتغير أحوال العباد و معلوم أنه ما تغيرت أحوال الكون في الثقلين إلا لتغير حكم الأسماء و تغيرت الصور و التجليات لتغير أحوال الكون فالأمر منه بدأ و إليه يعود فللعبد أثر بوجه ما قرره الحق له فلا يرفع عنه حكم ما قرره الحق و من فعل ذلك فقد نازع الحق و هو القهار في مقابلة المنازعين فالعلماء بالله يقهرون بالله و لا يتجلى لهم الله في اسم قاهر و لا قهار في نفوسهم و إنما يرونه في هذا الاسم في صورة الأغيار فيعرفونه منهم لا من نفوسهم لأنهم محفوظون من المنازعة بينهم و بين أشكالهم فكيف بينهم و بين الله وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثامن و الثلاثون و مائتان في الوقت»

الوقت ما أنت موصوف به أبدا — فلا تزال بحكم الوقت مشهودا
فالله يجعل وقتي منه مشهده — فإن في الوقت مذموما و محمودا
له الشئون من الرحمن و هي بنا — تقوم شرعا و إيمانا و توحيدا

اعلم أن القوم اصطلحوا على إن حقيقة الوقت ما أنت به و عليه في زمان الحال و هو أمر وجودي بين عدمين و قيل الوقت ما يصادفهم من تصريف الحق لهم دون ما يختارون لأنفسهم و قيل الوقت ما يقتضيه الحق و يجريه عليك و قيل الوقت مبرد يسحقك و لا يمحقك و قيل الوقت كل ما حكم عليك و مدار الكل على أنه الحاكم و مستند الوقت في الإلهية وصفه نفسه تعالى إنه كل يوم في شأن فالوقت ما هو به في الأصل إنما يظهر وجوده في الفرع الذي هو الكون فتظهر شئون الحق في أعيان الممكنات فالوقت على الحقيقة ما أنت به و ما أنت به هو عين استعدادك فلا يظهر فيك من شئون الحق التي هو عليها إلا ما يطلبه استعدادك فالشأن محكوم عليه بالأصالة فإن حكم

استعداد الممكن بالإمكان أدى إلى أن يكون شأن الحق فيه الإيجاد ألا ترى أن المحال لا يقبله فأصل الوقت من الكون لا من الحق و هو من التقدير و لا حكم للتقدير إلا في المخلوق فصاحب الوقت هو الكون فالحكم حكم الكون كما قررنا في ظهور الحق في أعيان الممكنات بحسب ما تعطيه من الاستعداد فتنوعه بها و هو في نفسه الغني عن العالمين و لما كانت أذواق القوم في الوقت تختلف لذلك اختلفت عباراتهم عنه و الوقت حقيقة كل ما عبروا به عنه و هكذا كل مقام و حال ليس يقصدون في التعبير عنه الحد الذاتي و إنما يذكرونه بنتائجه و ما يكون عنه مما لا يكون إلا فيمن ذلك المقام أو الحال نعته و صفته فمن أحكامه فيهم و في غيرهم أن الله قد رتب لهم أمورا معتادة يتصرفون فيها بحكم العادة مما لا جناح عليهم فيها أو مما قد اقترن به خطاب من الحق بأنه قربة فيختارون لأنفسهم فعل ذلك على جهة القربة إن كان من القرب أو على كونه مرفوع الحرج فيصادفهم من الحق أمر لم يكن في خاطرهم و لا اختاروه لأنفسهم فيعلمون إن الوقت أعطى ذلك الأمر و أن الله اختاره لهم فإنه القائل وَ رَبُّكَ يَخْلُقُ ما يَشاءُ أي يقدر و يوجد ثم قال وَيَخْتارُ و نفى أن تكون لهم الخيرة فقال ما كانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ و عندنا إن ما هنا اسم و هو في موضع نصب على أنه مفعول بقوله وَيَخْتارُ الذي كان لهم الخيرة يعني فيه فإذا علم العبد ذلك سلم الحكم فيه لله و استسلم و كان بحكم وقت ما يمضيه الله فيه لا بحكم ما يختاره لنفسه في المنشط و المكره و يرى أن الكل له فيه خير فيعامله الله في كل ذلك بخير فإن كان وقته يعطي نعمة و كان عقده مع الله مثل هذا رزقه الشكر عليها و القيام بحق الله فيها و أعين عليها و إن كان بلاء رزق الصبر عليه و الرضاء به و جعل الله له مخرجا من حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ كرجل يريد أن يسبح الله مائة ألف تسبيحة فيحتاج إلى زمان طويل في ذلك مع ما فيه من التعب و التفرغ إليه من الحضور فيعثر على خبر صدق أن النبي صلى الله عليه و سلم جعل قول الإنسان سبحان الله عدد خلقه سبحان الله زنة عرشه سبحان الله رضاء نفسه سبحان الله مداد كلماته ثلاث مرات و الحمد لله مثل ذلك و الله أكبر مثل ذلك و لا إله إلا الله مثل ذلك أفضل مما أراده هذا العبد فقال هذا القول الذي جاءه بحكم المصادفة و إن لم يكن عنده منه خبر و ترك ما كان يريد أن يذكره و علم إن الذي اختار الله له بهذا التعريف في هذا الوقت أعظم مما اختاره لنفسه و قد وقع هذا من رسول الله صلى الله عليه و سلم مع عجوز مر عليها و الحديث مشهور فإذا اقتضى الحق أمرا و كان له بك عناية أجراه عليك و رزقك القيام بحقه فالعاقل من أهل الله من يرى أن الخير كله الذي يكون للعبد هو فيما اقتضاه الحق فيما شرع لعباده و بعث به رسوله صلى الله عليه و سلم فمن استعمله الله في اقتضاء الحق المشروع فما بعد عناية الله به من عناية لمن عقل عن الله فالوقت المعلوم من جانب الحق هو عين ما خاطبك به الشرع في الحال فكن بحسب قول الشارع في كل حال تكن صاحب وقت و هو علامة على أنك من السعداء عند الله و هذا عزيز الوجود في أهل الله هو لآحاد منهم من أهل المراقبة لا يغفلون

عن حكم الله في الأشياء و هنا زلت أقدام طائفة من أهل الحضور مع الله في كل شيء فهم لا يغفلون عن الله طرفة عين و لكنهم يغفلون عن حكم الله في الأشياء أو في بعضها أو أكثرها فمن لم يغفل عن حكم الله في الأشياء فما غفل عن الله فقد جمعوا بين الحضور مع الله و مع حكمه فهم أكثر علما و أعظم سعادة و هم أصحاب الوقت الذي يعطي السعادة و بعض رجال الله علم إن الله لا يعدم الأشياء القائمة بأنفسها بعد وجودها و لا يتصف بإعدام أحوالها و لا أعراضها بعد وجودها و إنما الأشياء تكون على أحوال فتزول تلك الأحوال عنها فيخلع الله عليها أحوالا غيرها أمثالا كانت أو أضدادا مع جواز إعدام الأشياء بمسكه الإمداد بما به بقاء أعيانها لكن قضى القضية أن لا يكون الأمر إلا هكذا و لذلك قال إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ و لكن ما فعل فإن الإرادة و المشيئة ما تحدث له إذ ليس محلا للحوادث فمشيئته أحدية التعلق لكنه في الأشياء بين أن يجمعها أو يفرقها كلا أو بعضا و هي الأكوان فالوقت على الحقيقة عند الكامل جمع و تفرقة دائما و من الناس من يشهد التفرقة خاصة في الجمع و لا يشهد جمع التفرقة فيتخيل إن ذلك عين الوقت فإذا سئل عن الوقت يشبهه بالمبرد فيقول الوقت مبرد يسحقك و لا يمحقك يقول يفرق جمعيتك و لا يذهب عينك فمن عرف الوقت و أن الحكم له فيه سكن تحت ما حكم به عليه وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب التاسع و الثلاثون و مائتان في الهيبة»

إن الجمال مهوب حيثما كانا — لأن فيه جلال الملك قد بأنا
الحسن حليته و اللطف شيمته — لذاك نشهده روحا و ريحانا
فالقلب يشهده يسطو بخالقه — و العين تشهده بالذوق إنسانا

اعلم أن الهيبة حالة للقلب يعطيها أثر تجلى جلال الجمال الإلهي لقلب العبد فإذا سمعت من يقول إن الهيبة نعت ذاتي للحضرة الإلهية فما هو قول صحيح و لا نظر مصيب و إنما هي أثر ذاتي للحضرة إذا تجلى جلال جمالها للقلب و هي عظمة يجدها المتجلي له في قلبه إذا أفرطت تذهب حاله و نعته و لا تزيل عينه فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ ذلك التجلي دَكًّا فما أعدمه و لكن أزال شموخه و علوه و كان نظر موسى في حال شموخه و كان التجلي له من الجانب الذي لا يلي موسى فلما صار دكا ظهر لموسى ما صير الجبل دكا فـ خَرَّ مُوسَى صَعِقًا لأن موسى ذو روح له حكم في مسك الصورة على ما هي عليه و ما عدا الحيوان فروحه عين حياته لا أمر آخر فكان الصعق لموسى مثل الدك للجبل لاختلاف الاستعداد إذ ليس للجبل روح يمسك عليه صورته فزال عن الجبل اسم الجبل و لم يزل عن موسى بالصعق اسم موسى و لا اسم الإنسان فأفاق موسى و لم يرجع الجبل جبلا بعد دكه لأنه ليس له روح يقيمه فإن حكم الأرواح في

الأشياء ما هو مثل حكم الحياة لها فالحياة دائمة في كل شيء و الأرواح كالولاة وقتا يتصفون بالعزل و وقتا يتصفون بالولاية و وقتا بالغيبة عنها مع بقاء الولاية فالولاية ما دام مدبرا لهذا الجسد الحيواني و الموت عزله و النوم غيبته عنه مع بقاء الولاية عليه فإذا علمت إن الهيبة عظمة و أن العظمة راجعة لحال المعظم بكسر الظاء اسم فاعل علمت أنها حالة القلب فهو نعت كياني و مستندة في الإلهية من العلوم التي لا تنقال و لا تذاع و لا يعرفه إلا من علم إن الوجود هو الحق و أنه المنعوت بكل نعت قال تعالى وَمن يُعَظِّمْ شَعائِرَ اللهِ فَإِنَّها من تَقْوَى الْقُلُوبِ يعني تلك العظمة و لما كانت العظمة تعطي الحياء و الحياء نعت إلهي فإن الله يستحيي من ذي الشيبة يوم القيامة لعظيم حرمة الشيب عنده تعالى فقد نعت نفسه بأن بعض الأشياء تعظم عنده كما قال وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَعِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ فقد قامت به العظمة لذلك الذي هان على الجاهل بقدره من الافتراء على بيت رسول الله صلى الله عليه و سلم و الألفاظ لما كانت محجورة من الشارع علينا فلا نطلقها إلا حيث أمرنا بإطلاقها فوقع الفرق بين الهيبة و العظمة فنطلق العظمة في ذلك و لا نطلق الهيبة و لا الخوف و لا القبض فاعلم ذلك و الله سبحانه يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَيَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الأربعون و مائتان في الأنس»

الأنس بالأنس لا بالصور يجمعنا فاحذر فإنك ممكور و مخدوع
لا تقف ما لست تدريه و تجهله فإن ودك مفروق و مجموع
أنت الإمام و لكن فيك حكمته تعطي بأنك مخلوق و مصنوع
فكيف يأنس من تفني شواهده أكوانه و هو في الأسماع مسموع

اعلم أيدنا الله و إياك بروح منه أن الأنس عند القوم ما تقع به المباسطة من الحق للعبد و قد تكون هذه المباسطة على الحجاب و على الكشف و الأنس حال القلب من تجلى الجمال و هو عند أكثر القوم من تجلى الجمال و هو غلط من جملة ما غلطوا فيه لأن لهم أغاليط في العبارة لعدم التمييز بين الحقائق فما كل أهل الله رزقوا التمييز و الفرقان مع الشهود الصحيح و لكن الشأن في معرفة ما هو هذا الذي وقع عليه الشهود و قد رأينا جماعة ممن شهد حقا و لكن ما عرف ما شهد و حمله على خلاف طريقه فلا بد مع التجلي من تعريف إلهي إما بصفاء الإلهام و إما بما شاءه الحق من أنواع التعريف و للانس بالله علامة عند صاحبه فإنه موضع يغلط فيه كثير من أهل الطريق فيجدون أنسا في حال ما يكون عليه فيتخيل إن ذلك آنس بالله فإذا فقد ذلك الحال فقد الأنس بالله فعندنا و عند الجماعة أن أنسه كان بذلك الحال لا بالله لأن الأنس بالله إذا وقع لم يزل موجودا عنده في كل حال و لذلك يقول القوم من أنس بالله في الخلوة و فقد ذلك الأنس في

الملإ فأنسه كان بالخلوة لا بالله و اعلم أنه لا يصح الأنس بالله عند المحققين و إنما يكون الأنس باسم إلهي خاص معين لا بالاسم الله و هكذا جميع ما يكون من الله لعباده لا يصح أن يكون من حكم الاسم الله لأنه الاسم الجامع لحقائق الأسماء الإلهية فلا يقع أمر لشخص معين في الكون إلا من اسم معين بل و لا يظهر في الكون كله أعني في كل ما سوى الله شيء يعمه إلا من اسم خاص معين لا يصح أن يكون الاسم الله فإنه من أحكامه أيضا الغني عن العالمين كما أنه من أحكامه ظهور العالم و حبه سبحانه لذلك الظهور و الغني عن العالم لا يفرح بالعالم و الله يفرح بتوبة عبده فالاسم الله تعلم مرتبته و لا يتمكن ظهور حكمه في العالم لما فيه من التقابل و هذه مسألة عظيمة جليلة القدر صعبة التصور في الإلهيات فإن الشيء إذا اقتضى أمرا لذاته فمن المحال أن تتصف الذات بالغنى عن ذلك الأمر كما لا تتصف بالافتقار إليه و قد ورد الغني عن العالمين فإن جعلناه غنيا عن الدلالة كأنه يقول ما أوجدت العالم ليدل علي و لا أظهرته علامة على وجودي و إنما أظهرته ليظهر حكم حقائق أسمائي و ليست لي علامة على سوائي فإذا تجليت عرفت بنفس التجلي و العالم علامة على حقائق الأسماء لا علي و علامة أيضا على أني مستنده لا غير فالعالم كله ذو أنس بالله و لكن بعضه لا يشعر أن الأنس الذي هو عليه هو بالله لأنه لا بد أن يجد أنسا بأمر ما بطريق الدوام أو بطريق الانتقال بأنس يجده بأمر آخر و ليس لغير الله في الأكوان حكم فأنسه لم يكن إلا بالله و إن كان لا يعلم و الذي ينظر فيه أنه آنس به فذلك صورة من صور تجليه و لكن قد يعرف و قد ينكر فيستوحش العبد من عين ما أنس به و هو لا يشعر لاختلاف الصور فما فقد أحد الأنس بالله و لا استوحش أحد إلا من الله و الأنس مباسطة و الاستيحاش انقباض و أنس العلماء بالله إنما هو أنسهم بنفوسهم لا بالله إذ قد علموا أنهم ما يرون من الله سوى صورة ما هم عليه و لا يقع أنس عندهم إلا بما يرون و غير العارفين لا يرون الأنس إلا بالغير فقد ركهم الوحشة عند انفرادهم بنفوسهم و كذلك الاستيحاش إنما يستوحشون من نفوسهم لأن الحق مجلاهم فهم بحسب ما يرونه فيهم بل فيه من أحوالهم فيقع الحكم فيهم بالأنس أو بالوحشة و حقيقة الأنس إنما تكون بالمناسب فمن يقول بالمناسبة يقول بالأنس بالله و من يقول بارتفاع المناسبة يقول لا أنس بالله و لا وحشة منه و كل واحد بحسب ذوقه فإنه الحاكم عليه و من له الإشراف من أمثالنا على المقامات و المراتب ميز و عرف كل شخص من أين تكلم و من نطقه و أنه مصيب في مرتبته غير مخطئ بل لا خطأ مطلقا في العالم وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الأحد و الأربعون و مائتان في معرفة الجلال»

إن الجلال على الضدين ينطلق		و هو الذي بنعوت القهر أشهده
له العلو و لا علو يماثله		له النزول فكل الخلق يجحده

إني بكل الذي قد قلت أعرفه		و ليس غير الذي قد قلت أقصده

اعلم أن الجلال نعت إلهي يعطي في القلوب هيبة و تعظيما و به ظهر الاسم الجليل و حكم هذا الاسم من أعجب الأحكام فإن له حكم لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ و له حكم قوله على لسان رسوله صلى الله عليه و سلم مرضت فلم تعدني و جعت فلم تطعمني و ظمئت فلم تسقني فأنزل نفسه منزلة من هذه صفته من الافتقار إلى العبيد و كذلك نزوله في قوله وسعني قلب عبدي و من هذا الباب فرحه بتوبة عبده و تعجبه من الشاب الذي لا صبوة له و تبشبشه بالذي يأتي إلى المسجد للصلاة هذا كله و أمثاله من نعوت التنزيه و التشبيه يعطيه حكم الجلال و الاسم الإلهي الجليل و لهذا قلنا إنه يدل على الضدين كالجون ينطلق على الأبيض و الأسود و كذلك القرء ينطلق على الحيض و الطهر و من حضرة الجلال نزل قوله تعالى وَما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ فمن وصفه إنما وصف نفسه و لا يعرف منه إلا نفسه لأن رب العزة لا يعينه وصف و لا يقيده نعت و لا يدل على حقيقته اسم خاص و إن لم يكن الحكم ما ذكرناه فما هو رب العزة فإن العزيز هو المنيع الحمى و من يوصل إليه بوجه ما من وصف أو نعت أو علم أو معرفة فليس بمنيع الحمى و لذلك عم بقوله سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ و لحضرة الجلال السبحات الوجهية المحرقة و لهذا لا يتجلى في جلاله أبدا لكن يتجلى في جلال جماله لعباده فيه يقع التجلي فيشهدونه مظهر ما ظهر من القهر الإلهي في العالم

إن الجليل هو الذي لا يعرف		و هو الذي في كل حال يوصف

فهو الذي يبدو فيظهر نفسه		في خلقه و هو الذي لا يعرف

و الجلال لا يتعلق به إلا العلماء بالله و ما له أثر إلا فيهم و ليس للمحبين إليه سبيل هذا إذا كان بمعنى العلو و العزة و إنه إذا كان بالمعنى الذي هو ضد العزة و العلو فإن المحبين يتعلقون به كما يتعلق به العارفون و حضرته من العماء إلى قوله وَفِي الْأَرْضِ إِلهٌ و أما قوله وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ فذلك من أسمائه المؤثرة فينا خاصة و الحافظة لنا و الرقيبة علينا و أما الأسماء التي تختص بالعالم الخارج عن الثقلين فأسماء أخر ما هي الأسماء التي معنا أينما كنا و قد بينا في شرح الأسماء الحسنى معنى الاسم الجليل على الوجهين مختصرا في جزء لنا في شرحها وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثاني و الأربعون و مائتان في الجمال»

جميل و لا يهوى جلي و لا يرى		و تشهده الألباب من حيث لا تدري

و لا تدرك الأبصار منه سوى الذي		تنزهه عنه عقول ذوي الأمر

فإن قلت محجوب فلست بكاذب　　و إن قلت مشهود فذاك الذي أدري

فما ثم محبوب سواه و إنما　　سليمي و ليلى و الزيانب للستر

فهن ستور مسدلات و قد أتى　　بذلك نظم العاشقين مع النثر

كمجنون ليلى و الذي كان قبله　　كبشر و هند ضاق من ذكرهم صدري

اعلم أن الجمال الإلهي الذي تسمى الله به جميلا و وصف نفسه سبحانه بلسان رسوله إنه يحب الجمال في جميع الأشياء و ما ثم إلا جمال فإن الله ما خلق العالم إلا على صورته و هو جميل فالعالم كله جميل و هو سبحانه يحب الجمال و من أحب الجمال أحب الجميل و المحب لا يعذب محبوبه إلا على إيصال الراحة أو على التأديب لأمر وقع منه على طريق الجهالة كما يؤدب الرجل ولده مع حبه فيه و مع هذا يضربه و ينتهره لأمور تقع منه مع استصحاب الحب له في نفسه فمآلنا إن شاء الله إلى الراحة و النعيم حيث ما كنا فإن اللطف الإلهي هو الذي يدرج الراحة من حيث لا يعرف من لطف به فالجمال له من العالم و فيه الرجاء و البسط و اللطف و الرحمة و الحنان و الرأفة و الجود و الإحسان و النقم التي في طيها نعم فله التأديب فهو الطبيب الجميل فهذا أثره في القلوب و أثره في الصور ما يقع به العشق و الحب و الهيمان و الشوق و يورث الفناء عند المشاهدة و من هذه الحضرة تنتقل صورة تجليه فيها إلى المشاهد فينصبغ بها انتقال فيض كظهور نور الشمس في الأماكن و يسمى ذلك النور شمسا و إن لم يكن مستديرا و لا في فلك ثم يفيض الإنسان من تلك الصورة التي ظهر فيها عن الفيض الإلهي على جميع ملكه في رده إلى قصره فينصبغ ملكه كله بصورة جمال لم يكن فلا يفقد الإنسان في ملكه صورة ما شاهدها من ربه في رؤيته فهو عند العلماء بالله تجل دائم دنيا و آخرة لا ينقطع و عند العامة في الجنة خاصة لكونهم لا يعرفون الله معرفة العارفين و ليس لتجلى الجلال في الجنة حكم أصلا و إنما محله الدنيا و البرزخ و القيامة و به تبقي النار و الشقاء في الأشقياء مدة بقائهم فيه إلى أن يرتفع الشقاء و تغلب الرحمة فلا يبقى لتجلى الجلال في التعلق حكم و تنفرد به الملائكة بطريق الهيبة و العظمة و الخوف و الخشوع و الخضوع و الله أعلم

«الباب الثالث و الأربعون و مائتان في الكمال»

ليس الكمال الذي بالنقص تعرفه　　إن الكمال الذي بالنقص موصوف

العلم يشهده و العين تنكره　　لأنه عدم و النقص معروف

لو لم يكن لم تكن عين و لا صفة　　و لا وجود و لا حكم و تصريف

أ لا ترى التستري الحبر أثبته　　و هو الصواب الذي ما فيه تحريف

أراد بقول سهل أن لكذا سرا لو ظهر بطل كذا اعلم أن الكمال الذي لا يقبل الزيادة لا يكون إلا لله من كونه غنيا عن العالمين و أما الكمال الذي يقبل الزيادة فمثل قوله وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ كما أمر نبيه أن يقول رَبِّ زِدْنِي عِلْماً فالكمال هو وقوف الإنسان على الصورة الرحمانية بطريق الإحاطة لذلك عند مقابلة النسخة حرفا حرفا فيؤثر و لا يتأثر و لا يميل و لا يؤثر عدل في فضل و لا فضل في عدل بل يرتفع الفضل و العدل و يبقى الوجود و الشهود و قبول القوابل بحسب استعدادها روحا و جسما فلا ينسب إليه من حيث هو حكم أصلا و جميع النسب تتصف به القوابل و هو على الوجه الواحد الذي يليق به لا يقبل التغير و لا التأثر كما لا يقبل النور من حيث ذاته و عينه ألوان الزجاج مع أنك تنظر إلى النور أحمر و أصفر و أخضر متنوعا بتنوع ألوان الزجاج فالنور ما انصبغ بالألوان و لكن هكذا تشهده العين و العلم يقضي بأنه على صورته التي كان عليها ما تأثر في عينه بشيء من ذلك إلا تنظر إليه في المساحة الهوائية التي بين موضع الزجاج و موضع النور المنعكس المتلون هل ترى في النور في هذه المساحة لونا من تلك الألوان مع كونه قد انبسط على الزجاج و حينئذ عمر المساحة الهوائية التي بين ما يظهر من الألوان و بين الزجاج و كقوس قزح فالكامل من لا يقبل الزائد و نحن في مزيد علم دنيا و آخرة فالنقص بنا منوط فكمالنا بوجود النقص فيه فلنا كمال واحد و للحق كمالان كمال مطلق و كمال يقول به حَتَّى نَعْلَمَ فنسختنا من كمال حتى نعلم لا من الكمال المطلق فافهم فإنه سر عجيب في العلم الإلهي فنشهده تعالى من كونه إلها لا من كونه ذاتا وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الرابع و الأربعون و مائتان في الغيبة»

أغيب عنه و لي عين تشاهده　　في حضرة الغيب و الغياب ما حضروا

ما في الوجود سواه في شهادته　　و غيبه فانظروا في الغيب و افتكروا

فتلك غيبة من هاتيك حالته　　فغيبة القلب حال ليس تعتبر

عمن تغيب و ما في الكون من أحد　　سوى الوجود فلا عين و لا أثر

اعلم أن الغيبة عند القوم غيبة القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق لشغل القلب بما يرد عليه و إذا كان هذا فلا تكون الغيبة إلا عن تجل إلهي و لا يصح أن تكون الغيبة على ما حدوه عن ورود مخلوق فإنه مشغول غائب عن أحوال الخلق و بهذا تميزت الطائفة عن غيرها فإن الغيبة موجودة الحكم في جميع الطوائف فغيبة هذه الطائفة تكون بحق عن خلق حتى تنسب إليه على جهة الشرف و المدح و

أهل الله في الغيبة على طبقات و إن كانت كلها بحق فغيبة العارفين غيبة بحق عن حق و غيبة من دونهم من أهل الله غيبة بحق عن خلق و غيبة الأكابر من العلماء بالله غيبة بخلق عن خلق فإنهم قد علموا أن الوجود ليس إلا الله بصور أحكام الأعيان الثابتة الممكنات و لا يغيبه إلا صورة حكم عين في وجود حق فيغيب عن حكم صورة عين أخرى تعطي في وجود الحق ما لا تعطي هذه و الأعيان و أحكامها خلق فما غاب إلا بخلق عن خلق في وجود حق فالعامة مصيبة لبعض هذه المسألة فإنها ينقصها منها في وجود حق و غيبتها إنما هي بخلق عن خلق مثل الكمل من رجال الله و ما في الأعيان عين يكون حكمها مشاهدة للكل فلا تتصف بالغيبة و لما لم تكن ثم عين لها وصف الإحاطة بالحضور مع الكل و إن ذلك من خصائص الإله فلا بد من الغيبة في العالم و الحضور و قد أومأنا إلى ما فيه كفاية في هذا الباب وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الخامس و الأربعون و مائتان في الحضور»

و هو الحضور مع الله جل ثناؤه و تقدست أسماؤه مع الغيبة هكذا هو عند القوم

حضوري مع الحق في غيبتي　　حضوري به فهو الحاضر
هو الباطن الحق في غيبتي　　و عند حضوري هو الظاهر
فإن فته فأنا أول　　و إن فاتني فأنا الآخر

اعلم أنه لا تكون غيبة إلا بحضور فغيبتك من تحضر معه لقوة سلطان المشاهدة كما أن سلطان البقاء يفنيك لأنه صاحب الوقت و الحكم و التفصيل في الحضور في أهله كما ذكرناه في الغيبة سواء فكل غائب حاضر و كل حاضر غائب لأنه لا يتصور الحضور مع المجموع و إنما هو مع آحاد المجموع لأن أحكام الأسماء و الأعيان تختلف و الحكم للحاضر فلو حضر بالمجموع لتقابلت و أدى إلى التمانع و فسد الأمر فلا يصح الحضور مع المجموع لا عند من يرى حضوره بحق و لا عند من يرى حضوره بخلق فإن حكم الأعيان مثل حكم الأسماء في التقابل و الاختلاف و ظهور السلطان فتدبر ما ذكرناه تجد العلم إن شاء الله وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب السادس و الأربعون و مائتان في السكر»

السكر أقعدني على العرش　　المحيط المستدير
و أنا بقاع قرقر　　من كل ما يغني فقير
و السكر من خمر الهوى　　و السكر من نظر المدير

قد قال قبلي شاعر و هو العليم به الخبير

فإذا سكرت فإنني رب الخورنق و السرير

و إذا صحوت فإنني رب الشويهة و البعير

قال تعالى وَأَنْهارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ و هو علم الأحوال و لهذا يكون لمن قام به الطرب و الالتذاذ و أما حدهم له بأنه غيبة بوارد قوي فما هو غيبة إلا عن كل ما يناقض السرور و الطرب و الفرح و تجلى الأماني صورا قائمة في عين صاحب هذا الحال و رجال الله تعالى في حال السكر على مراتب نذكرها إن شاء الله فسكر طبيعي و هو ما تجده النفوس من الطرب و الالتذاذ و السرور و الابتهاج بوارد الأماني إذا قامت الأماني له في خياله صورا قائمة لها حكم و تصرف يقول شاعرهم

فإذا سكرت فإنني رب الخورنق و السرير

فإنه كان يرى ملكه لذينك غاية مطلوبه فلما سكر قامت له صورة الخورنق و السرير ملكا له يتصرف فيه في حضرة تخيله و خياله أعطاه إياه حال السكر فإن له أثرا قويا في القوة المتخيلة قالوا فقفون من أهل الله مع الخيال لهم هذا السكر الطبيعي فإنهم لا يزالون يراقبون ما تخيلوا تحصيله من الأمور المطلوبة لهم من الله حتى يتقوى عندهم ذلك و يحكم عليهم مثل

قوله عليه السلام اعبد الله كأنك تراه و قوله صلى الله عليه و سلم أيضا إن الله في قبلة المصلي و قول الصاحب لرسول الله صلى الله عليه و سلم و قد سأله صلى الله عليه و سلم عن حقيقة إيمانه حين قال أنا مؤمن حقا فقال رضي الله عنه كأني أنظر إلى عرش ربي بارزا يعني في يوم القيامة فجاء بما تعطيه حضرة الخيال فإذا تقوى مثل هذا التخيل أسكر النفس و قامت له صورة ما تخيل ينظر إليها بعينه و يخبر عنها كرؤية صاحب الرؤيا سواء و تلقي إليه و يصغي إليها و هو لا يعلم أنه يخاطب و يشاهد صورة خيالية بل يقطع أن ذلك شهود حسي فإذا صحا من ذلك السكر ارتفع عنه ذلك الأمر من حيث صورته مع بقاء تخيله عند بعض الناس ممن يتذكر ذلك في الذهن كما يرتفع عنه صورة ما رأى في النوم بالانتباه و من أهل هذا المقام من يبقي الله له تلك الصورة المتخيلة في حال صحوه فيثبتها له محسوسة بعد ما كانت متخيلة كالجنة التي خيلها إبليس في الخيال المنفصل لسليمان عليه السلام ليفتنه بها و لا علم لسليمان عليه السلام بذلك فسجد شكر الله تعالى حيث أتحفه بها فأبقاها الله له جنة محسوسة يتنعم بها و رجع إبليس خاسرا لأنه أراد بذلك فتنته و ما علم أن أهل الله إذا وقع لهم مثل هذا أنه يحدث ذلك عبادة لله عندهم هذا و المخيل عدو فكيف حالهم إذا كان خيالهم منهم و ليسوا بأعداء نفوسهم فإنهم يسعون في خلاصها و نجاتها فإذا كان سكرهم الطبيعي أثمر لهم مثل هذا فما ظنك بما فوقه من مراتب الإسكار

و أما السكر العقلي فهو شبيه بالسكر الطبيعي في رد الأمور إلى ما تقتضيه حقيقته لا إلى ما يقتضيه الأمر في نفسه و يأتي الخبر الإلهي عن الله لصاحب هذا المقام بنعوت المحدثات إنها نعت لله فيأبى قبولها على هذا الوجه لأنه في سكرة دليله و برهانه فيرد ذلك الخبر لما يقتضيه نظره مع جهله بذات الحق و هل تقبل هذا النعت أو لا تقبله بل تخيل أنها لا تقبله فيمد رجله هذا العقل لسكره في غير بساطه فوقع في الحق بسكره و يعذره الحق في ذلك لأن السكران غير مؤاخذ بما ينطق فجرد عن الله ما نسبه الحق لنفسه فإذا صحا هذا العاقل عن سكره بالإيمان لم يرد الخبر الصدق و القول الحق و قال إن الحق أعلم بنفسه و بما ينسبه إليه من العقل فإن العقل مخلوق و المخلوق لا يحكم على الخالق فإنه ما من مصنوع إلا و يجهل صانعه فإن الشقة تجهل صانعها و هو الحائك كذلك الأركان مع الأفلاك و كذلك الأفلاك مع النفس و النفس مع العقل و كذلك العقل مع الله و غاية ما علم من علم منهم افتقاره إليه و استناده في وجوده إلى صانعه و لا يحكم عليه بشيء و لا سيما إن أخبر الصانع عن نفسه بأمور فليس للمصنوع إلا قبولها فإن ردها فلسكر قام به فخمره الذي يشرب إنما هو دليله و برهانه و يقويه على ذلك ما تعطيه بعض الأخبار الإلهية من النعوت في حقه الموافقة لبرهانه و دليله فهذا سكر عقلي فالسكر الطبيعي سكر المؤمنين و السكر العقلي سكر العارفين و بقي سكر الكمل من الرجال و هو السكر الإلهي الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه و سلم اللهم زدني فيك تحيرا و السكران حيران فالسكر الإلهي ابتهاج و سرور بالكمال و قد يقع في التجلي في الصور سكر بحق قال بعضهم

و أسكر القوم دور كأس و كان سكري من المدير

فمن أسكره الشهود فلا صحو له البتة و كل حال لا يورث طربا و بسطا و إدلالا و إفشاء أسرار إلهية فليس بسكر و إنما هو غيبة أو فناء أو محو و لا يقاس سكر القوم في طريق الله على سكر شارب الخمر فإنه ربما أورث بعض من يشربه غما و بكاء و فكرة و ذلك لما يقتضيه مزاج ذلك الشارب و يسمونه سكران و مثل هذا لا يكون في سكر الطريق و قليل من الناس من يفرق بين الحيوان و السكران و عندنا في العلم الطبيعي أن شارب الخمر إذا أورثه غما و بكاء و حزنا و فكرة و إطراقا لما يقتضيه طبعه و مزاجه فليس بسكران و لا هو صاحب سكر فإن بعض الأمزجة لا تقبل السكر و لا أثر له فيها فغيبة السكران ليست عن إحساسه و إنما غيبته عن مقابل الطرب لا غير و نظير هؤلاء الذين لا يطربون نظير أصحاب الفكرة و الغيبة و الفناء و يفارق السكر سائر الغيبات لأن الصحو لا يكون إلا عن سكر و السكر يتقدم صحوه و ليس الحضور مع الغيبة كذلك و لا الفناء مع البقاء كذلك لكنه مثل الصعق مع الإفاقة و النوم مع اليقظة فإن النوم مقدم على الانتباه و الغشية متقدمة على الإفاقة و إنما ذكرنا هذا التفصيل من أجل مذهبهم في حد السكر أنه غيبة بوارد قوي

فأطلقوا عليه اسم الغيبة فيتخيل من لا ذوق له أن حكمه حكم الغيبة فيقيس فيخطئ في تربيته للمريد إن كان من المتشيخين فيلتبس عليه الأمر فلا يفرق في حال المريد بين سكره و غيبته و فنائه و السكران في هذا الطريق لا يغيب عن إحساسه فإن غاب كما يراه الحنفيون في سكر شارب الخمر فقد انتقل عندنا من حال السكر إلى حال فناء أو غيبة أو محق و لم يعقب سكره صحو بل انتقل من حال سكر إلى حال فناء أو غيره من الأحوال المغيبة عن بعضه أو كله و لا يتخيل أن السكر لما كان على هذه المراتب المتميزة أنه يمكن أن يكون لصاحب هذه الحال سكران أو يجمعها كلها لما هو عليه من الحقائق كما قررنا في بعض المسائل من جمع الإنسان لأمور كثيرة لحقائق تطلبها منه و لا سيما و قد أنشد بعض من أسكره الخمر و الهوى فقال

سكران سكر هوى و سكر مدامة   فتى يفيق فتى به سكران

فأخبر أنه قام به سكران و سكر هل الله ليس كذلك فإن المعرفة تمنع منه فإن السكران الإلهي لا يتمكن أن يكون له السكر العقلي فإن الشهود يمنع من ذلك و السكران بالسكر العقلي لا يتمكن له أن يتمكن منه السكر الطبيعي فإن دليله ينفيه فإنه إذا كان يرد حكم السكر الإلهي فكيف يقبل حكم السكر الطبيعي و إنما السكران من أهل الله يرتقي في سكره من سكر إلى سكر لا يجمع بينهما مثل ما قال هذا الشاعر و ما استشهد به في الطريق إلا صاحب قياس لا صاحب ذوق فمن أسكره السكر الطبيعي ثم جاءه السكر العقلي فإن السكر الطبيعي يفارق المحل بالضرورة و يزول حكمه عن صاحبه و ما هو الأمر في هذه الإسكارات بالتدريج قد يوهب الإنسان السكر ابتداء أعني السكر الإلهي فلا يمكن أن يكون له ذوق السكر العقلي أبدا لكنه قد يكون له العلم به و بمرتبته من غير أن يكون له أثر فيه و هو الذوق و قد يوهب السكر العقلي ابتداء ذوقا فلا يتمكن له أن يكون له ذوق في السكر الطبيعي لكن قد ينتقل إلى السكر الإلهي ذوقا فيزول عنه حكم السكر العقلي ذوقا و حالا و يبقى له العلم به من طريق الذوق لأنه قد تقدمه ذوقه قبل أن ينتقل فهكذا هو الأمر في سكر أهل الطريق في الإلهيات و أما في غير الإلهيات فقد يمكن أن يجمع بين السكرين في الصورة و إذا حققت الأمر فيه وجدته على خلاف ذلك فإنه قد يتخيل في الإنسان أنه إذا علم شيئا فهو صاحب ذوق له و ليس الأمر كذلك فإن الذوق لا يكون إلا عن تجل و العلم قد يحصل بنقل الخبر الصادق الصحيح فهكذا فلتعرف طريق الله يا ولي فقد أعطيتك ميزان الأمور في هذه المقامات و أريتك مستندها و ما تجد هذا البيان في غير هذا الكتاب في كلام هذه الطائفة إلا أن تكون إشارات منهم إلى ذلك في بعض ما ينقل عنهم فإنهم عالمون به ضرورة إذا كانوا أصحاب ذوق و هم أصحاب ذوق إذ لا يكون منهم إلا من هو صاحب ذوق فالطبع يشهده فيسكر و العقل يشهده فيسكر و السر يشهده فيسكر و لا تجتمع هذه الإسكارات أبدا لا حد في وقت واحد و إن كان الكل من أهل الله كما أن الظالم

لنفسه ما هو مقتصد فيما هو ظالم و لا سابق فيما هو مقتصد مع كون كل واحد منهم مصطفى من ورثة الكتاب الإلهي بل يعطي الكشف الصحيح أنه لا يكون ظالما لنفسه من ذاق الاقتصاد و كذا ما بقي من غير تقييد فإن حكم الأذواق في الأمور و حصول العلم عنها ما هو مثل حكم سائر الطرق فاعلم ذلك وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ وَلَوْ شاءَ لَهَداكُمْ أَجْمَعِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ

«الباب السابع و الأربعون و مائتان في الصحو»

الصحو يأتي بعين العلم و الأدب — إن لم يكن صيلما للحكم و السبب
و وارد الصحو أقوى عند طائفة — من وارد السكر إذ يغني عن الطرب
و اللهو تحيا به كل النفوس و ما — في وارد الصحو من لهو و من لعب
لذاك قواه أقوام و أضعفه — قوم و عندي فحكم الوقت للنسب

اعلم أن الصحو عند القوم رجوع إلى الإحساس بعد الغيبة بوارد قوي و اعلم أنهم قد جعلوا في حد السكر أنه وارد قوي و كذلك الصحو أنه وارد قوي و ما قالوا إنه أقوى و ذلك أن المحل الموصوف بالسكر و الصحو لهذين الواردين مع استوائهما في القوة فيتمانعان بل وارد السكر أولى فإنه صاحب المحل فله المنع و لكن لا يتمكن لورود وارد على محل إلا بنسبة و استعداد من المحل يطلب بتلك النسبة أو الاستعداد ذلك الوارد المناسب و إن تساوت الواردات فإذا جاء الوارد و في المحل غيره فوجد النسبة و الاستعداد يطلبه حكم عليه و أزال عنه حكم الوارد الآخر الذي كان فيه لا لقوته و ضعف الآخر بل للنسبة و الاستعداد و اعلم أنه لا يكون صحو في هذا الطريق إلا بعد سكر و أما قبل السكر فليس بصاح و لا هو صاحب صحو و إنما يقال فيه ليس بصاحب سكر بل يكون صاحب حضور أو بقاء و غير ذلك ثم اعلم أن صحو كل سكران بحسب سكره على ميزان صحيح فلا بد أن يأتي بعلم محقق استفاده في غيبة سكره فإن كان صحوه صيلما فما كان قط سكران سكر الطريق إذ العلم شرط في الصاحي من السكر هكذا هو طريق أهل الله لأن الجود الإلهي ما فيه بخل و لا في قدرته عجز فإذا صحا كتم ما ينبغي أن يكتم و أذاع ما ينبغي أن يذاع و قوله في حال صحوه مقبول لأنه شاهد عدل و قول السكران و إن كان شاهد عدل فإنه لا يقبل إذا ناقض قول الصاحي و إن كان حقا و لكن إذا قيل الحق في غير موطنه لم يقبل و ربما عاد وباله على قائله مع كونه حقا إذ كل قول حق لا يكون محمودا عند الله و هذا معلوم مقرر في شرع الله في العموم و الخصوص كالشبلي و الحلاج فقال الشبلي شربت أنا و الحلاج من كأس واحد فصحوت و سكر فعربد فحبس حتى قتل و الحلاج في الخشبة مقطوع الأطراف قبل أن يموت فبلغه قول الشبلي فقال هكذا يزعم الشبلي لو شرب ما شربت لحل به مثل ما حل بي أو قال مثل

قولي فقبلنا قول الشبلي و رجحناه على قول الحلاج لصحوه و سكر الحلاج فالصحو بالله و السكر بالله لا بد فيه من علم بالله و ما لا يعطي علما فليس بصحو الطريق و لا سكره و قد تقدم تقسيم السكر فذلك التقسيم يرد على الصحو فإنه لكل سكر صحو إن لم يمت صاحب السكر في حال سكره فيكون صحوه في البرزخ و منهم من يبقى على سكره في البرزخ إلى البعث و اعلم أنه إن تقدم للعبد سكر طبيعي أو عقلي ثم أزالهما أو أحدهما السكر الإلهي فالسكر الإلهي صحو من هذا السكر الذي كان في المحل و إن لم يتقدم لصاحب السكر الإلهي في المحل سكر عقلي و لا طبيعي فليس سكره الإلهي بصحو بل هو حال سكر ورد عليه و معنى الصحو أنه ينكشف له حق الله في الأمور التي استفادها في حال سكره فيعلم عند صحوه ما ينبغي أن يذاع منها في العموم و الخصوص و ما ينبغي أن يستر فإن كان قد أذاع منها في حال سكره شيئا فيعطيه الصحو أن يستغفر الله من ذلك و عذره مقبول و إنما يستغفر لأن السكران لا بد أن يبقى فيه من الإحساس ما يكون معه الطرب فلو لم يبق معه إحساس لكان مثل النائم يرتفع عنه القلم أي لا يلزمه الاستغفار و هذا الفرق بين السكران و المجنون و إن كان كل واحد منهما من أهل الإحساس فإن المجنون ارتفع عنه الحكم و لم يرتفع عن السكران و من حاله الاستغفار مما ظهر منه ما هو مثل حال من لم يقع منه ما يوجب الاستغفار فإن الاستغفار عندنا في طريق الله يكون في مقامين المقام الواحد ما ذكرناه و هو أن يبدو منه ما ينبغي أن يكون مستورا فيجب عليه الاستغفار من ذلك و قد يقع الاستغفار ممن لم يبد منه شيء يوجب الاستغفار فيستغفر من هذا مقامه أي يطلب أن يستره الله في كنف عنايته أن يحكم عليه حال من شأنه إذا لم يستره الله في كنف عنايته أن يبدو منه بحكم ذلك الحال ما ينبغي أن يستر و هذا هو المقام الثاني الذي لأهل الاستغفار فيبتدءون بطلب الستر من الله عن حكم حال يوجب عليهم الاعتذار من وقوعه و هذا هو استغفار الأكابر من الرجال المعصومين و لذلك ما سمع من نبي قط في حال نزول الوحي عليه كلام حتى يسرى عنه فإذا صحا حينئذ يخبر بما يجب و لهذا ما نقل عن نبي قط أنه ندم على ما قاله مما أوحي إليه فيه و أما ما كان عن نظر من غير وارد وحي فقد يمكن أن يرجع عن ذلك و يندم على ما جرى منه في ذلك و قد وقع منه مثل هذا في أسارى بدر و سوق الهدى في حجة الوداع و غير ذلك و لما كان في الصحو انكشاف لمراتب الأمور قدمناه في الفضيلة على السكر أي صاحبه مقبول الحكم لمعرفته بالمواطن و إن كان السكران صاحب حق أ لا ترى الصحو في السماء إذا أصحت أي زال غيمها و انكشفت لتعطي الشمس من حرارتها لما يخرج من الأرض من النبات و تسخين العالم لأن لها أثرا في ذلك كما أعطى الغيم ما في قوته من الرطوبة في الأرض لأجل ذلك النبات فأفاد حال السكر و حال الصحو في الطبيعة فإذا لم تقع فائدة عند السكران في الطريق و لا عند الصاحي منه

فما هو من أهل الطريق بل يكون كالصحو الذي معه القحط المسمى صيلما و هو الذي أشرنا إليه في الأبيات في أول هذا الباب فصحو السكر كله أدب و علم و الناس فيه متفاضلون تفاضلهم في السكر

فكل سكر له احتكام　　　و كل صحو له ثبات

و اعلم أن من الصاحين من يصحو بربه و منهم من يصحو بنفسه و الصاحي بربه لا يخاطب في صحوه إلا ربه و لا يسمع إلا منه فلا يقع له عين إلا على ربه في جميع الموجودات و هو على أحد مقامين إما أن يكون يرى الحق من وراء حجاب الأشياء بطريق الإحاطة مثل قوله وَ اللّٰهُ من وَرٰائِهِمْ مُحِيطٌ و إما أن يرى الحق عين الأشياء و هنا ينقسم رجال الله على قسمين قسم يرى الحق عين الأشياء في الأحكام و الصور و قسم يرى الحق عين الأشياء من حيث ما هو قابل لحكم الصور و أحكامها لا من حيث عين الصور فإن الصور من جملة أحكام الأعيان الثابتة فتختلف أحوال رجال الله في صحوهم بالله و أما من صحا بنفسه فإنه لا يرى إلا أشكاله و أمثاله و يقول لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ خاصة و لا يعطي مقامه و لا حاله أن يتم الآية ذوقا و إن تلاها و هو قوله وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ و صاحب الذوق الأول يقول وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ذوقا و تلاوة فيرى صاحب صحو النفس أن الحق في عزلة عنه كما يراه من جعله في قبلته إذا صلى و لا يراه أنه هو المصلي و هذا القدر من الإشارة في معرفة الصحو كاف و الصحو و السكر من الألفاظ المحجورة المختصة بالأكوان فافهم وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثامن و الأربعون و مائتان في الذوق»

لكل مبدأ مجلى في تجليه　　　ذوق ينبئ عن معنى تخلية

إن التجلي بالأسماء يحكمها　　　و ذلك الحكم من أعلى توليه

إذا تدلى إلى أمر يعن له　　　كان الدنو إلينا في تدليه

لما تلقاه قلبي في منازله　　　كان الترقي به إلى تجليه

اعلم أن الذوق عند القوم أول مبادي التجلي و هو حال يفجأ العبد في قلبه فإن أقام نفسين فصاعدا كان شربا و هل بعد هذا الشرب ري أم لا فذوقهم في ذلك مختلف فيه و قد ذكر عن بعضهم أنه شرب فارتوى نقل عنه ذلك و نقل عن أبي يزيد أن الري محال و كل نطق بحاله و لكل صاحب قول وجه عندنا صحيح في الطريق و عندنا في هذه المسألة تفصيل يرد إن شاء الله فيما بعد في باب الشرب أو الري أو في باب عدم الري إن ذكرنيه الله فابحث عليه في آخر هذه الأبواب من هذا الكتاب اعلم أن قولهم أول مبادئ التجلي إعلام أن

لكل تجل مبدأ هو ذوق لذلك التجلي و هذا لا يكون إلا إذا كان التجلي الإلهي في الصور أو في الأسماء الإلهية أو الكونية ليس غير ذلك فإن كان التجلي في المعنى فعين مبدئه عينه ما له بعد المبدأ حكم يستفيده الإنسان بالتدريج كما يستفيد معاني تلك الصورة المتجلي فيها أو معاني الأسماء كلها كل اسم منها فيرى في المبدأ ما لا يراه من ذلك الاسم بعد ذلك و صاحب المعنى مبدأ كل شيء عينه فلا يستفيد منه بعد هذه الإفادة الكلية فله التفصيل في التعبير عن ذلك الأمر الواحد و هو المراد بقولنا في صدر هذا الكتاب

حتى بدت للعين سبحة وجهه و إلى هلم لم تكن إلا هي

فكان مبدؤها عينها و كل ما نأتي به بعد ذلك في جميع كلامنا إنما هو تفصيل لذلك الأمر الكلي تتضمنه تلك النظرة في تلك العين الواحدة و أكثر الناس على خلاف هذا الذوق و لهذا لا ينتظم كلامهم و يطلب الناظر فيه أصلا يرجع إليه جميع أقوالهم فلا يجد و كلامنا مرتبط بعضه بعضه لأنه عين واحدة و هذا تفصيلها و يعرف ما قلناه من يعرف مناسبة آي القرآن في نسق بعضها إلى بعض فيعرف الجامع بين الآيتين و إن كان بينهما بعد ظاهر فذلك صحيح و لكن لا بد من وجه جامع بين الأسين مناسب هو الذي أعطى أن تكون هذه الآية مناسبة لما جاورها من الآيات لأنه نظم إلهي و ما رأينا أحدا ذهب إلى النظر في هذا إلا الرماني من النحويين فإن له تفسير للقرآن أخبرني من وقف عليه أنه نحا في القرآن هذا المنحى و ما وقفت عليه لكني رأيت بمراكش ببلاد المغرب أبا العباس السبتي صاحب الصدقات يسلك هذا المسلك و فاوضته فيه و كان من أصحاب الموازين ثم اعلم أن الذوق يختلف باختلاف التجلي فإن كان التجلي في الصور فالذوق خيالي و إن كان في الأسماء الإلهية و الكونية فالذوق عقلي فالذوق الخيالي أثره في النفس و الذوق العقلي أثره في القلب فيعطي حكم أثر ذوق النفس المجاهدات البدنية من الجوع و العطش و قيام الليل و ذكر اللسان و التلاوة و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و الجهاد في سبيل الله و رمى ما تملكه اليدان كان وحده لا تكون له عائلة و لا شيخ فإن كان بين يدي شيخ معتبر يربيه فيرمي ما بيده بين يدي ذلك الشيخ و يخرج عنه بالكلية ظاهرا و باطنا و لا يبقى له ملكا و إن كره ذاك بباطنه لضعفه أو أدركته فيه مشقة فلا ينظر بإخراج ذلك من يده الالتذاذ بذلك بل إذا أخرجه عن مشقة أخرجه بنظر صحيح ثابت لا يتمكن له في نفسه إزالة ما نواه في ذلك و إذا أخرجه عن يده بلذة فما أخرجه بعقله فإن ارتفعت اللذة يمكن أن يدركه الندم بخلاف الكارة فإنه إذا أخرجه مع الكرة ثم بدا له في نفسه بالعناية الإلهية ما أزال الكرة عنه انتقل إلى حالة الالتذاذ بذلك فهو أثبت في المقام و هكذا كان خروجنا عما بأيدينا و لم يكن لنا شيخ نحكمه في ذلك و لا نرميه بين يديه فحكمنا فيه الوالد رحمه الله لما شاورناه في ذلك فإنا تركنا ما بأيدينا و لم نسند أمره إلى أحد لأنا لم نرجع على يد شيخ و لا كنت رأيت شيخا في الطريق بل خرجت عنه خروج الميت عن أهله و ما

له فلما شاورنا الوالد و طلب منا الأمر في ذلك حكمناه في ذلك و لم أسأل بعد ذلك ما صنع فيه إلى يومي هذا هذا ما يعطي حكم ذوق النفس و لا بد منه لكل طالب و أصله إتيان أبي بكر بجميع ما يملكه إلى النبي صلى الله عليه و سلم حين قال له ائتني بما عندك و أتاه عمر بشطر ماله فإنه صلى الله عليه و سلم ما حد لهم في ذلك و لو حد لهم في ذلك ما تعدى أحد منهم ما حده له رسول الله صلى الله عليه و سلم و إنما أراد صلى الله عليه و سلم أن تتميز مراتب القوم عندهم فقال لأبي بكر ما تركت لأهلك فقال الله و رسوله و هذا غاية الأدب حيث قال و رسوله فإنه لو قال الله لم يتمكن له أن يرجع في شيء من ذلك إلا حتى يرده الله عليه من غير واسطة حالا و ذوقا فلما علم ذلك قال و رسوله فلو رد إليه رسول الله صلى الله عليه و سلم من ماله شيئا قبله لأهله من رسول الله صلى الله عليه و سلم فإنه تركه لأهله فما حكم فيه إلا من استنابه رب المال فانظر ما أحكم هذا و ما أشد معرفة أبي بكر بمراتب الأمور و تخيل عمر أنه يسبق أبا بكر في ذلك اليوم لأنه رأى إتيانه بشطر ماله عظيما ثم قال لعمر بن الخطاب ما تركت لأهلك قال شطر مالي فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم بينكما ما بين كلمتيكما قال عمر فعلمت أني لا أسبق أبا بكر أبدا و الإنسان ينبغي أن يكون عالي الهمة يرغب في أعلى المراتب عند الله و يوفي كل مرتبة حقها فلم يرد رسول الله صلى الله عليه و سلم على أبي بكر شيئا من ماله تنبيها للحاضرين على ما علمه من صدق أبي بكر في ذلك فإن رسول الله صلى الله عليه و سلم قد علم منه الرفق و الرحمة فلو رد شيئا من ذلك عليه تطرق الاحتمال في حق أبي بكر أنه خطر له رفق رسول الله صلى الله عليه و سلم فعوض رسول الله صلى الله عليه و سلم أهل أبي بكر بما يقتضيه نظره صلى الله عليه و سلم و جاءه عبد الرحمن بن عوف بجميع ماله فرده عليه كله و قال أمسك عليك مالك فإنه ما دعاه إلى ذلك و لو دعاه إلى ذلك لقبله منه كما قبله من أبي بكر و يعطي حكم ذوق العقل الرياضات النفسية و تهذيب الأخلاق فتتضمن الرياضة المجاهدات البدنية و لا تتضمن المجاهدة الرياضات و الرياضات أتم في الحكم فإن النبي صلى الله عليه و سلم بعث ليتمم مكارم الأخلاق فمن جبل عليها فهو منور الذات مقدس و من لم يجبل عليها فإن الرياضة تلحقه بها و تحكم عليه و الرياضة تذليل الصعب من الأمور فمن ذلل صعبا فقد راضه و أزال عن النفس جموحها فإنها تحب الرئاسة و التقدم على أشكالها و الرياضة تمنع النفس من هذا الخاطر و سلطانه و لا ترى لها شفوفا على غيرها لاشتراكها معهم في العبودية و إحاطة القبضة بالكل فبما ذا ترأس فتمتثل أمر الله من حيث إنها مخاطبة من عند الله بذلك و تود أن يكون كل مخاطب من العبيد مسارعا إلى امتثال أمر سيده إيثار الجنابة ما يخطر لها في المسارعة أن تسبق غيرها من النفوس فيكون لها بذلك مزية على غيرها لا يقتضي مقام الرياضة ذلك فإن الرياضة خروج عن الأغراض النفسية مطلقا من غير تقييد و أما الذوق الذي مبدؤه نفس عينه كما قدمنا فلا يحتاج إلى رياضة و لا مجاهدة فإن الرياضة لا

تكون إلا في صعب الانقياد كثير الجموح أو منعوت بالجموح و المجاهدة إحساس بالمشقة و هذه العين التي ذكرناها ما تركت صعبا فتحكم عليه الرياضات فهو ذلول في نفسه أعطته ذلك مشاهدة تلك العين دفعة و أما الإحساس بالمشقات البدنية فذلك حس الطبع لا حس النفس فهو صاحب لذة في مشقة يحكم فيها بحكم ما عين الله له من الحقوق حيث قال له على لسان المبين عنه و هو رسول الله صلى الله عليه و سلم إن لعينك عليك حقا و لنفسك عليك حقا و لزورك عليك حقا و لأهلك عليك حقا فأعط كل ذي حق حقه فالذائق لهذه العين حكمه ما شرع له ليس له و لا عنده رياضة في قبول ذلك أصلا وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ و الذوق يعطيك بعد ذلك التجلي العلم و منه تحقيق ميزانه و مرتبته فيتأدب معه بما يستحقه في النظر إليه فإنه نظير العين فيما لا مساغ لها فيه و هو الذي يورث عندك الظماء إذا لم تكن مؤمنا فإن كنت مؤمنا فالإيمان يعطيك الظماء و يشتد عطشك و يقل على قدر إيمانك و من ليس بمؤمن لا ظمأ عنده البتة لشرب التجلي و إن أدركه العطش للعلم فمن حيث النظر الفكري و أما لعلوم التجلي فليس إلا الايمان و لا يحصل إيمان إلا و الظماء يصحبه فيزيد بالذوق فافهم

«الباب التاسع و الأربعون و مائتان في الشرب»

الشرب بين مقام الذوق و الري ... مثل القضية بين النشر و الطي
إن الحقوق التي للحق قائمة ... عليك فاحذر إذا ما كنت في الغي
أنت الغني به إذ كان عينكم ... فلا سبيل إلى مطل و لا لي
غيلان لم يك مثلي في محبته ... إذا تناظرت العشاق في مي
وصل الوفاء و هجر المطل من شيمي ... فإنني حاتمي الأصل من طي

اعلم أيدك الله أن الشرب هو ما تستفيده في النفس الثاني مضافا إلى ما استفدته في نفس الذوق بالغا ما بلغ على مذهب من يرى الري و من لا يراه و اعلم أن الشرب قد يكون عن عطش و قد يكون عن التذاذ لا عن عطش كشرب أهل الجنة بعد شربهم من الحوض الذي قام لهم مقام الذوق فشربهم من الحوض عن ظمأ ثم لا يظمئون بعد ذلك أبدا فإن أهل الجنة لا يظمئون فيها و هم يشربون فيها شرب شهوة و التذاذ لا شرب ظمأ و لا دفع ألمه و اعلم أن الشرب يختلف باختلاف المشروب فإن كان المشروب نوعا واحدا فإنه يختلف باختلاف أمزجة الشاربين و هو استعدادهم فمن الناس من يكون مشروبه ماء و منهم من يكون مشروبه لبنا و منهم من يكون مشروبه خمرا و منهم من يكون مشروبه عسلا بحسب الصورة التي يتجلى فيها ذلك العلم فإن هذه الأصناف صور علوم مختلفة قد ذكرناها في جزء لنا

سميناه مراتب علوم الوهب و دليلنا على ما قلناه إنها علوم رؤيا النبي صلى الله عليه و سلم فإنه قال أريت كأني أوتيت بقدح لبن فشربت منه حتى رأيت الري يخرج من أظافري ثم أعطيت فضلي عمر قالوا فما أولته يا رسول الله قال العلم فهذا علم تجلى في صورة لبن كذلك تتجلى العلوم في صور المشروبات و لما كانت الجنة دار الرؤية و التجلي و ما ذكر الله فيها سوى أربعة أنها رٌ أنها رٌ من ماءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْها رٌ من لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْها رٌ من خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْها رٌ من عَسَلٍ مُصَفًّى علمنا قطعا إن التجلي العلمي لا يقع إلا في أربع صور ماء و لبن و خمر و عسل و لكل تجل صنف مخصوص من الناس و أحوال مخصوصة في الشخص الواحد فمنه ما هو لأصحاب المنابر و هم الرسل و منه ما هو لأصحاب الأسرة و هم الأنبياء و منه ما هو لأصحاب الكراسي و هم الورثة الأولياء العارفون و منه ما هو لأصحاب المراتب و هم المؤمنون و ما ثم صنف خامس و كل صنف يفضل بعضه على بعضه كما قال الله في ذلك تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ و قوله فَضَّلْنا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلى بَعْضٍ فإن الأعمال كانت هنا في زمن التكليف مقسمة على أربع جهات و لذلك لما علم إبليس بهذه الجهات قال ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ من بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمن خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمانِهِمْ وَعَنْ شَمائِلِهِمْ و لم يذكر بقية الجهات لأنه لم يقترن بها عمل فإنها للتنزل الإلهي و الوهب الرباني الرحماني الذي له العزة و المنع و السلطان فالعلوم و إن كثرت فإن هذه الأربعة تجمعها و هي مجال إلهية في منصات ربانية في صور رحمانية و هي في حق قوم مع الأنفاس دائما و هم الذين لا يقولون بالري و في حق قوم إلى أمد معين عينه لهم قوله تعالى يوم الزور و الرؤية ردوهم إلى قصورهم و هم الذين يقولون بالري في هذه المشروبات كلها و في بعضها و المتنوع في الكل من الناس من يكون مشروبه واحدا مما ذكرناه لا ينتقل عنه أبدا و منهم من يتنوع في المشروبات و هو الأتم و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يحب مزج الماء باللبن فيشربه و مزج العسل باللبن و ما بقي إلا الخمر و ليست دار الدنيا بمحل لإباحته في شرع محمد صلى الله عليه و سلم الذي مات عليه فلم يمكن لنا أن نضرب به المثل بالفعل كما ضرب النبي صلى الله عليه و سلم بالفعل بشرب اللبن بالماء و شرب العسل باللبن فشربه رسول الله صلى الله عليه و سلم خالصا و ممزوجا بما هو حلال له و لذلك أيضا كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول في اللبن إذا شربه اللهم بارك لنا فيه و زدنا منه لأنه تقوم معه صورة ضرب المثل به في العلم في حديث الرؤيا الصحيح و هو مأمور بطلب الزيادة من العلم بقوله وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً فكان اللبن مذكرا له بطلب الزيادة منه و كان يقول في سائر الأطعمة اللهم بارك لنا فيه و أطعمنا خيرا منه و كان صلى الله عليه و سلم إذا شرب ماء زمزم تضلع منه و كان يحب الحلوى و العسل فهذه كلها أعني المشروبات وضعها الله ضرب أمثلة لأصناف علوم تتجلى للعارفين في صور هذه المحسوسات و خص الخمر بالجنة دون الدنيا و قرن به اللذة للشاربين منه و لم يقل ذلك في غيره من المشروبات و ذلك لأنه ما في المشروبات من يعطي الطرب و

السرور التام و الابتهاج إلا شرب الخمر فيلتذ به شاربه و تسري اللذة في أعضائه و تحكم على قواه الظاهرة و الباطنة و ما في المشروبات من له سلطان و تحكم على العقل سوى الخمر فهو للعلم الإلهي الذوقي الذي تمجه العقول من جهة أفكارها و لا يقبله إلا الايمان كما أن علم العلماء في علم هذا الطريق تهمة لأن علم هذا الطريق له أثر فيها فهو الحاكم المؤثر في غيره من أصناف العلوم و لا يؤثر فيه غيره لقوة سلطانه لأنه مؤثر في العقل و العقل أقوى ما يكون و كذلك يزيل حكم الوهم و الوهم سلطان قوي و ليس يزيل حكمه من المشروبات إلا الخمر فلا يقف لقوة سلطانه عقل و لا وهم و أعظم قوة من هاتين في الإنسان ما يكون ألا ترى إلى السكران يلقي نفسه في المهالك التي يقضي العقل و الوهم باجتنابها فحكم العلم المشبه به في العلوم حكمه فلو أبيح في هذه الشريعة مع ما أعطى الله هذه الأمة من الكشف و الفتوح و الإمداد في العلوم و ثبوت القدم فيها لظهرت أسرار الحق على ما هي عليه و بطلت أشياء كثيرة كان الشرع من علم اللبن قد قررها فهذا التجلي في صورة الخمر لا يحصل في الدنيا إلا للامناء فيلتذون به في بواطنهم و لا يظهر عليهم حكمه و هو ما أشار إليه سهل بن عبد الله التستري بقوله إن للربوبية سرا لو ظهر لبطلت النبوة و إن للنبوة سرا لو ظهر لبطل العلم و إن للعلم سرا لو ظهر لبطلت الأحكام فلو وقع التجلي في صورة الخمر و ظهر هذا العلم في العموم و لم يكن الإنسان في طبعه و مزاجه على مزاج أهل الجنة لظهرت الأسرار بإظهاره إياها في العالم فادى ظهورها إلى فساد لقوة سلطانه في الالتذاذ و الابتهاج و الفرح و مغيب حكم العقول عن شاربه و لهذا ضرب الله مثلا فيمن حصل له هذا التجلي في الدنيا و لم يظهر عليه حكمه مثل الأنبياء و أكابر الأولياء كالخضر و المقربين من عباده فخلق بعض الأجسام البشرية هنا على مزاج لا يقبل السكر ليعلم أن ثم لله عبادا حصل لهم هذا التجلي الإلهي في صورة الخمر و هم على استعداد يعطي الكتمان و عدم الإفشاء و اعلم أن من أعطاه الله المعاني مجردة عن الخطاب أو النصوص في الخطاب فهو عن تجليه في صورة الماء غير الآسن و هو العلم الإلهي الذي لا تعلق له بالطبيعة و من إعطاء الله العلم بأسرار الشرع و أحكامه و علم حكمة قوله وَمَا أَرْسَلْنَا من رَسُولٍ إِلَّا بِلِسانِ قَوْمِهِ و عرف ميزان الأحكام بعلم الأوقات و الأحوال فيحرم في شرع ما يحلل في غيره فذلك من علم تجليه في صورة اللبن أعني الحليب منه الذي لم يتغير طعمه بعقده أو مخضه أو تربيبه و من أعطاه الله العلم بالكمال و الأحوال و الجمال فإنه عن تجلى العلم في صورة الخمر و من أعطاه الله العلم بطريق الوحي و الايمان و صفاء الإلهام و عم علمه كل شيء مما يصح أن يعلم حتى يعلم أنه ما لا يصح أن يعلم لا يعلم فلذلك العلم عن التجلي في صورة العسل فإذا كان شربه شيئًا من هذه المشروبات أو كلها كان محصلا لما شرب كالنبي الذي قال فعلمت علم الأولين و الآخرين و لم يذكر أنه اختص به فلما لم يذكر الاختصاص

أبقى الباب غير مغلق لمن أراد الدخول منه إلى نيل هذا المقام فالواجب على كل عاقل أن يتعرض لنفحات الجود الإلهي فإن لله نفحات فتعرضوا لها وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الخمسون و مائتان في الري»

الري قال به قوم و ليس لهم علم بأن وجود الري معدوم
لو كان ري تناهي الأمر وانقطعت أمداده و زيادات و تعليم
فالأمر ليس له حد يحيط به لكنه الرزق في الأشخاص مقسوم

الري ما يحصل به الاكتفاء و يضيق المحل عن الزيادة منه اعلم أنه لا يقول بالري إلا من يقول بأن ثم نهاية و غاية وهم المكشوف لهم عالم الحياة الدنيا و نهاية مدتها و هم أهل الكشف في اللوح المحفوظ المعتكفون على النظر فيه أو من كان كشفه في نظرته ما هو الوجود عليه ثم يسدل الحجاب دونه و يرى التناهي إذ كل ما دخل في الوجود متناه و ليس لصاحب هذا الكشف من الكشف الأخروي شيء فمن رأى الغاية قال بالري و علق همته بالغاية و هؤلاء هم الذين قال فيهم شيخنا أبو مدين إنه من رجال الله من يحن في نهايته إلى البداية و ذلك لأن الله ما كشف لهم عن حقيقة الأمر على ما هو عليه كالقائلين برجوع الشمس في طول النها ر و ما هو رجوع في نفس الأمر و القائلون بالري هم القائلون بالدور لما يرونه من تكرار أيام الجمعة و الشهور و الذين لا يقولون بالري هم الذين يسمون النها ر و الليل الجديدين و ليس عندهم تكرار جملة واحدة فالأمر له بدء و ليس له غاية لكن فيه غايات بحسب ما تتعلق به همم بعض العا رفين فيوصلهم الله إلى غاياتهم و من هناك يقع لهم التجديد فيه لا عليه فيفوتهم خير كثير من الحكم و علم كبير في الإلهيات بل يفوتهم من علم الطبيعة خير كثير فإن تركيبها لا نهاية له في الدنيا و الآخرة و يحجبهم عن عدم الري قوله تعالى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ فسماه رجوعا و ذلك لكونه شغلهم عنه بالنظر في ذواتهم و ذوات العالم عند صدورهم من الله فإذا وفوا النظر فيما وجد من العالم تعلقوا بالله فتخيلوا أنهم رجعوا إليه من حيث صدورهم عنه و ما علموا أن الحقيقة الإلهية التي صد روا عنها ما هي التي رجعوا إليها بل هم في سلوك دائما إلى غير نهاية و إنما نظروا لكونهم رجعوا إلى النظر في الإله بعد ما كانوا ناظرين في نفوسهم لما لم يصح أن يكون وراء الله مرمى و سبب الري الحقيقي أنه لما لم يتمكن أن يقبل من الحق إلا ما يعطيه استعداده و ليس هناك منع فحصل الاكتفاء بما قبله استعداد القابل و ضاق المحل عن الزيادة من ذلك فقال صاحب هذا الذوق ارتويت فما يقول بالري إلا من هو واقف مع وقته و ناظر إلى استعداده وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الأحد و الخمسون و مائتان في عدم الري»

و قال به قوم

عدم الري دليل واضح   أن أحكام التناهي لا تكون
قال بالري رجال غلطوا   و رأوا أن الذي قيل يهون
و هم لو عرفوا مقداره   و رأوا ما يقتضي كن فيكون
لم يقولوا مثل هذا و أتوا   للذي أنكره يعتذرون

أمر الله تعالى نبيه أن يقول رَبِّ زِدْنِي عِلْماً و من طلب الزيادة فما ارتوى و ما أمره إلى وقت معين و لا حد محدود بل أطلق فطلب الزيادة و العطاء دنيا و آخرة يقول النبي صلى الله عليه و سلم في شأن يوم القيامة فأحمده يعني إذا طلب الشفاعة بمحامد يعلمنيها الله لا أعلمها الآن فالله لا يزال خلاقا إلى غير نهاية فينا فالعلوم إلى غير نهاية و ليس غرض القوم من العلم إلا ما يتعلق بالله كشفا و دلالة و كلمات الله لا تنفد و هي أعيان موجوداته فلا يزال طالب العلم عطشانا أبدا لا رى له فإن الاستعداد الذي يكون عليه يطلب علما يحصله فإذا حصل أعطاه ذلك العلم استعداد العلم آخر كوني أو إلهي فإذا علم بما حصل له أن ثم أمرا يطلبه استعداده الذي حدث له بالعلم الحاصل عن الاستعداد الأول يعطش إلى تحصيل ذلك العلم فطالب العلم كشارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا و التكوين لا ينقطع فالمعلومات لا تنقطع فالعلوم لا تنقطع فأين الري فما قال به إلا من جهل ما يخلق فيه على الدوام و الاستمرار و من لا علم له بنفسه لا علم له بربه قال بعض العارفين النفس بحر لا ساحل له يشير إلى عدم النهاية و كلما دخل في الوجود أو اتصف بالوجود فهو متناه و ما لم يدخل في الوجود فلا نهاية له و ليس إلا الممكنات فلا يصح أن يعلم إلا محدث فإن المعلوم لم يكن ثم كان ثم يكون آخر أيضا فلو اتصف المعلوم بالوجود لتناهى و اكتفى به فلا تعلم من الله إلا ما يكون منه و يوجده فيك إما إلهاما أو كشفا عن حدوث تحل و هذا كله معلوم محدث فلا علم لأحد إلا بمحدث ممكن مثله و الممكنات لا تتناهى لأنها غير داخلة في الوجود دفعة واحدة بل توجد مع الآنات فلا يعلم الله إلا الله و لا يعلم الكون المحدث إلا محدثا مثله يكونه الحق فيه قال تعالى ما يَأْتِيهِمْ من ذِكْرٍ من رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ و هو كلامه و حدث فيهم فتعلق علمهم به فما تعلق إلا بمحدث و ذلك الذي يتخيله من لا علم له من أنه علم الله فلا صحة له لأنه لا يعلم الشيء إلا بصفته النفسية الثبوتية و علمنا بهذا محال فعلمنا بالله محال فسبحان من لا يعلم إلا بأنه لا يعلم فالعالم بالله لا يتعدى رتبته و يعلم ما يعلم أنه ممن لا يعلم وَاللهُ يَهْدِي من يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ

«الباب الثاني و الخمسون و مائتان في المحو»

للمحو حكم إلهي يقول به — في سورة الرعد و البرهان يحمله

المحو يشبه الإثبات و هو له — ضد و هل بوجود الضد تعقله

المحو ثبت و لكن حكمه عدم — فابحث على عالم به يفصله

اعلم أن المحو عند الطائفة رفع أوصاف العادة و إزالة العلة و ما ستره الحق و نفاه قال تعالى يَمْحُوا اللهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ فثبت المحو و هو المعبر عنه بالنسخ عند الفقهاء فهو نسخ إلهي رفعه الله و محاه بعد ما كان له حكم في الثبوت و الوجود و هو في الأحكام انتهاء مدة الحكم و في الأشياء انتهاء المدة فإنه تعالى قال كُلٌّ يَجْرِي إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى فهو يثبت إلى وقت معين ثم يزول حكمه لا عينه فإنه قال يَجْرِي إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى فإذا بلغ جريانه الأجل زال جريانه و إن بقي عينه فالعادة التي في العموم يمحوها الله عن الخصوص فمنهم من تمحى عن ظاهره و منهم من تمحى عن باطنه و تبقي عليه أوصاف العادة و هو الكامل مع كونه صاحب محو كما أنه يكون المسخ في القلوب و هو اليوم كثير «و كان في بنى إسرائيل» ظاهرا بالصورة فمسخهم الله قردة و خنا زير و جعل ذلك في هذه الأمة في باطنها تمييزا لها و لكن لا تقوم الساعة حتى يظهر في صورها شيء من ذلك مع خسف و قذف كذا ورد الخبر عن رسول الله صلى الله عليه و سلم و من العادة الركون إلى الأسباب و العلل فصاحب المحو يزول عنه الركون إلى الأسباب لا الأسباب فإن الله لا يعطل حكم الحكمة في الأشياء و الأسباب حجب إلهية موضوعة لا ترفع أعظمها حجابا عينك فعينك سبب وجود المعرفة بالله تعالى إذ لا يصح لها وجود إلا في عينك و من المحال رفعك مع إرادة الله أن يعرف فيمحوك عنك فلا تقف معك مع وجود عينك و ظهور الحكم منه كما محا الله رسول الله صلى الله عليه و سلم في حكم رميه مع وجود الرمي منه فقال وَما رَمَيْتَ فمحاه إِذْ رَمَيْتَ فأثبت السبب وَلكِنَّ اللهَ رَمى و ما رمى إلا بيد رسول الله صلى الله عليه و سلم و في الصحيح كنت سمعه و بصره و يده فا زالة العلة في المحو إنما هي في الحكم لا في العين إذ لو زالت العلة و السبب لزال و هو لا يزول فمن الحكمة إبقاء الأسباب مع محو العبد من الركون إليها على حكم نفي أثرها في المسببات فالأسباب ستور و حجب و لا يكون محو أبدا إلا فيما له أثر و إلا فليس بمحو وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثالث و الخمسون و مائتان في معرفة الإثبات و هو أحكام العادات و إثبات المواصلات»

إلى حضرة الإثبات أعملت همتي — من المحو لما أن دعاني إمامها

فلما أتينا حضرة لم نزل بها — بهاد و حاد خلفها و أمامها

إلى أن تراءت بين سلع و حاجر　　　و قد ساقها شوقا إلى غرامها

الإثبات هو الأمر المقرر الذي عليه جميع العالم فمن طلب من غير نبي أو مشد لنبي رفع حكم العوائد فقد أساء الأدب و جهل و أما هذا الذي يسمونه خرق عادة هو عادة إذ كان ثبوت خرق العادة عادة فما محوت العادات إلا بإثباتها غير أن صاحب الإثبات لا بد أن تكون له وصلة بالحق و لهذا يثبت أحكام العادات فإن صاحبه وضعها و من شرط الصحبة الموافقة فكيف يصحبه و يكون مواصلا له و يحكم عليه بإزالة ما يرى الحكمة في ثبوته و لا سيما و قد علم صاحب هذا المقام أن الله حكيم عليم بما يجريه و يثبته فيثبت ما أثبته صاحبه و إن لم يفعل و طلب غير ذلك فهو منازع و من نازعك فما هو بصاحب لك و لا أنت بصاحب له إن نازعته و كان إلى العناد أقرب فصاحب الإثبات دائم المواصلة مع الحق فإنه يثبت أحكام العادات لأنه يشهده فيها فلا يمكن له مع هذا أن يطلب رفع أحكامها و لا محوها فهذا مقام الإثبات على غاية الإيجاز و البيان وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الرابع و الخمسون و مائتان في معرفة الستر و هو ما سترك عما يفنيك»

و الله ما تسدل الأستار و الكلل　　　إلا من أجل الذي تحظى به المقل

و قد يكون حذارا من تأملها　　　أو للذي يقتضيه الطبع و الملل

إذا نظرت الذي يحويه من عبر　　　أساسا لها قامت الأغراض و الملل

لو لا الستور التي تخفى ضنائنها　　　لم يدر ما كان لي أ فيها و لا أمل

و الله ما ترسل الأستار و الكلل　　　إلا لأمر عظيم خطبه جلل

الستر غطاء الكون و الوقوف مع العادات و نتائج الأعمال و قد أعلمناك أن الأسباب حجب إلهية لا يصح رفعها إلا بها فعين رفعها سد لها و حقيقة محوها إثباتها و الستر رحمة عامة إلهية في حق العامة لما قدر عليهم من المخالفة لأوامره فلا بد لهم من إيقاعها و مع الكشف و التجلي فلا تقع أبدا فلا بد من الستر و لهذا أهل التجلي العلمي رفع عنهم الحجر فلم يبق في حقهم تحجير بل أبيح لهم ما شاءوه في تصرفهم فإنه ورد في صحيح الخبر أن الله يقول لمن أذنب فعلم أن له ربا يغفر الذنب و يأخذ بالذنب اعمل ما شئت فقد غفرت لك فأباح لمن هذه صفته ما حجره على غيره و من المحال أن يأمره بإتيان ما حجر عليه الإتيان به ف إِنَّ اللّٰهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ فأسدل الستور دون أهل الحجر هذا حكمه في العامة و أما في الخاصة فقول القائل

فأنت حجاب القلب عن سر غيبه　　　و لولاك لم يطبع عليه ختامه

فجعلك عين ستره عليك و لو لا هذا الستر ما طلبت الزيادة من العلم به فأنت المتكلم و المخاطب من خلف ستر الصورة التي كلمك منها فانظر في بشريتك تجدها عين سترك الذي كلمك من ورائه فإنه يقول وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ و قد يكلمك منك فأنت حجاب نفسك عنك و ستره عليك و من المحال أن تزول عن كونك بشرا فإنك بشر لذاتك و لو غبت عنك أو فنيت بحال يطرأ عليك فبشريتك قائمة العين فالستر مسدل فلا تقع العين إلا على ستر لأنها لا تقع إلا على صورة و هذا لما تقتضيه الألوهية من الغيرة و الرحمة فأما الغيرة فإنه يغار أن يدركه غير فيكون محاطا لمن أدركه و هو بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ و المحاط فلا يكون محيطا لمن أحاط به و أما الرحمة فإنه علم أن المحدثات لا تبقي لسبحات وجهه بل تحترق بها فسترهم رحمة بهم لا بقاء عينهم ثم إن الله أيضا أسدل للعالمين ستور نتائج أعمالهم بقوله إن عمل كذا ينتج لعامله كذا فيقف العامل مع النتيجة لا رغبة فيها إذا كان من أهل الخصوص و إنما يرغب من يرغب فيها ليصحح بها و بشهودها عمله الذي كلفه به سيده و أما العامة فلرغبتها فيها و تعشقها بها فلما جعل الله علامات تدل على صحة الأعمال في العاملين رغبت الخاصة في مشاهدة نتائج الأعمال ليكونوا على بصيرة في أمورهم إذ كان مطلوبهم و همهم القيام بما أشهدهم عليه من الحقوق و ليست الحقوق سوى الأعمال التي كلفهم و قد يسدل الستر خوفا من نفوذ العين و إصابته و يدخل في هذا سدل الحجب من أجل السبحات الوجهية المحرقة أعيان الممكنات و أما في حق بعض الناس ممن ليست له تلك القدم في العلم بالله فلا يعلم أن لله تجليا في كل نفس ما هو على صورة التجلي الأول فلما غاب عنه هذا الإدراك ربما استصحب تجليا و دام عليه شهوده و الطبع يطلبه بحقيقته فيدركه الملل و الملل في هذا المقام عدم احترام بالجناب الإلهي فإنهم في لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ مع الأنفاس و هم يتخيلون أن الأمر ما تغير فسدل الستر من أجل الملل الذي يؤدي إلى عدم الاحترام لما حرمهم الله العلم بهم و بالله فهم يتخيلون أنهم هم في كل نفس و هم هم من حيث جوهريتهم لا من حيث ما يتصفون به و لا تقل إن الأمر ليس كذلك هذا من الأسرار الإلهية التي قد حجب الله عن إدراكها خلقا كثيرا من أهل الله أرباب فتوح المكاشفة فكيف حال غيرهم فيها فالستر لا بد منه إذ لا بد منك فافهم وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الخامس و الخمسون و مائتان في معرفة الحق و هو فناؤك في عينه و في معرفة محق المحق و هو ثبوتك في عينه»

فناء الكون في الأعيان محق و عين الكون حق ثم خلق

فإن قام الدليل على وجودي يقوم بذات من يبغيه محق

و إني بالذي يحويه كوني		من أسماء الحقيقة في شق

هذا المحق و أما محق المحق فهو

إن محق المحق إبدا ر		و هو في التحقيق انذا ر

فإذا أبصرت طلعته		في لم تدركه أبصا ر

قال للحداد حين أتى		دونه حجب و أستا ر

من أنا فقال خالقنا		و دليلي فيك آثا ر

اعلم أن المحق ظهورك في الكون به بطريق الاستخلاف و النيابة عنه فلك التحكم في العالم و محق المحق ظهورك بطريق الستر عليه و الحجاب فأنت تحجبه في محق المحق فيقع شهود الكون عليك خلقا بلا حق لأنهم لا يعلمون أن الله أرسلك سترا دونهم حتى لا ينظرون إليه فمحق المحق يقابل المحق ما هو مبالغة في المحق و إنما هو مثل عدم العدم فإذا أقيم العبد في خروجه عن حضرة الحق إلى الخلق بطريق التحكيم فيهم من حيث لا يشعرون و قد يشعرون في حق بعض الأشخاص من هذا النوع كالرسل عليهم السلام الذين جعلهم الله خلائف في الأرض يبلغون إليهم حكم الله فيهم و أخفى ذلك في الورثة فهم خلفاء من حيث لا يشعر بهم و لا يتمكن لهذا الخليفة المشعور به و غير المشعور به أن يقوم في الخلافة إلا بعد أن يحصل معاني حروف أوائل السور سور القرآن المعجمة مثل الم ألف لام ميم و غيرها الواردة في أوائل بعض سور القرآن فإذا أوقفه الله على حقائقها و معانيها تعينت له الخلافة و كان أهلا للنيابة هذا في علمه بظاهر هذه الحروف و أما علمه بباطنها فعلى تلك المدرجة يرجع إلى الحق فيها فيقف على أسرارها و معانيها من الاسم الباطن إلى أن يصل إلى غايتها فيحجب الحق ظهوره بطريق الخدمة في نفس الأمر فيرى مع هذا القرب الإلهي خلقا بلا حق كما يرى العامة بعضهم بعضا فيحكم في العالم عند ذلك بما تقتضيه حقيقته بما هو نسخة كونية للمناسبة التي بينه و بين العالم فلا يعلم العالم هذا القرب الإلهي و هذا هو محق المحق الذي يصل إليه رجال الله فهو يشهد الله بالله و يشهد الكون بنفسه لا بالله و يكون في هذا المقام متحققا من حروف أوائل السور المعجمة بالألف و الراء خاصة مع علمه بما بقي منها غير أن الحكم فيه للالف و الراء في هذا المقام حيثما وقعا من السور و أما حكمه في العالم في هذا المقام فمن باقي هذه الحروف من لام و ميم و صاد و كاف و هاء و ياء و عين و طاء و سين و حاء و قاف و نون فبهذه الحروف يظهر في العالم في مقام محق المحق و بالألف و الراء يظهر في المحق و هم الأولياء الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه و سلم إذا رأوا ذكر الله و ذلك لأن عين تجليهم بهذين الحرفين في الصورة الظاهرة عين تجلى الحق فمن رآهم رأى الحق فهم إذا رأوا ذكر الله

لتحققهم بصفته فهم يشاهدون الحق فيه إذا تجلى لهم في صورة حق و لقد رأيته في هذا التحلي و رأيت كثيرين من أهل الله لا يعرفونه و ينكرونه و تعجبت من ذلك حتى أعلمت بأنهم و إن كانوا من أهل الله من حيث إنهم عاملون بأوامر الله لا عالمون فهم أهل إيمان و لما كان بين رتبة الألف من هذه الحروف و بين الراء ثلاث مراتب لذلك لم تقو الراء قوة الألف فإن الألف لا تحمل الحركة و لا تقبلها و الراء ليست كذلك و اعلم أن محق المحق أتم عند أهل الله في الدنيا و المحق أتم في الآخرة و محق المحق لا يفوز به إلا أخص أهل الله و هو للعقول المنورة هياكلها و المحق يفوز به الخصوص و هو للنفوس المنورة جعلنا الله ممن محق محقه فانفرد به حقه و هذه التي تسمى خلوة الحق فإنه لا يشهد و لا يرى و إن علمه بعض الناس فلا يكون مشهودا له و من هذه الحقيقة اتخذ أهل الله الخلوة للانفراد لما رأوه تعالى اتخذها للانفراد بعبده و لهذا لا يكون في الزمان إلا واحد يسمى الغوث و القطب و هو الذي ينفرد به الحق و يخلو به دون خلقه فإذا فارق هيكله المنور انفرد بشخص آخر لا ينفرد بشخص في زمان واحد و هذه الخلوة الإلهية من علم الأسرار التي لا تذاع و لا تفشي و ما ذكرناها و سميناها إلا لتنبيه قلوب الغافلين عنها بل الجاهلين بها فإني ما رأيت ذكرها أحد قبلي و لا بلغني مع علمي بأن خاصة أهل الله بها عالمون و قد ورد خبر صحيح في التنبيه على هذا يوم القيامة حيث الجمع الأكبر في انفراد العبد مع ربه وحده فيضع كنفه عليه و يقرره على ما كان منه ثم يقول له إني سترتها عليك في الدنيا و أنا أسترها عليك هنا ثم يأمر به إلى الجنة فنبه على الانفراد بالله و نبهناك نحن على الانفراد الإلهي بالعبد و ذلك العبد عين الله في كل زمان لا ينظر الحق في زمانه إلا إليه و هو الحجاب الأعلى و الستر الأزهى و القوام الأبهى

«الباب السادس و الخمسون و مائتان في معرفة الإبدار و أسراره»

بدر الرجوع إلى بدر السلوك عمى فانظر بهل و بلم و ثم كيف و ما
فإن تعالى وجود عن مطالبها لا فرق بين استوى فيه و بين عما
من لا يؤثر في توحيده نسب ذاك الذي حار في توحيده القدماء
و ما رأينا لعقل في تقلبه في حضرة الذات في توحيده قدما

اعلم أنه لا يقال في مذكور هل هو موجود أم لا حتى يكون خفي الوجود و من كان وجوده ظاهرا لكل عين فإنه يرتفع عنه طلب هل فإنه استفهام و الاستفهام لا يكون إلا عن جهالة بحال ما استفهم عنه و كذلك لا يقال لم إلا في معلول و لا يقال ما إلا في محدود و لا يقال كيف إلا في قابل للأحوال و الحق منزه عن هذه الأمور المعقولة من هذه المطالب فهو منزه الذات عن هذه المطالب بل لا يجوز عليه لا في حق من يرى أن الوجود هو الله و لا في حق من لا يراه فإن الذي يرى أن الوجود هو الله فيرى أن حكم ما ظهر به الحق إنما هو أحكام أعيان

الممكنات فما وقعت هذه المطالب إلا على مستحقها فإنه ما طلبت عين الحق إلا من حيث ظهورها بحكم عين الممكن فعين الممكن هو المطلوب و التبس على الطالب و أما من لا يرى أن عين الوجود هو الحق فلا تجوز عليه المطالب ثم نرجع فنقول أما الإبدا ر الذي نصبه الله مثالا في العالم لتجليه بالحكم فيه فهو الخليفة الإلهي الذي ظهر في العالم بأسماء الله و أحكامه و الرحمة و القهر و الانتقام و العفو كما ظهر الشمس في ذات القمر فأنا ره كله فسمي بد را فرأى الشمس نفسه في مرآة ذات البد ر فكساه نورا سماه به بد را كما رأى الحق في ذات من استخلفه فهو يحكم بحكم الله في العالم و الحق يشهده شهود من يفيده نور العلم قال تعالى إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً و علمه جميع الأسماء و اسجد له الملائكة لأنه علم أنهم إليه يسجدون فإن الخليفة معلوم أنه لا يظهر إلا بصفة من استخلفه فالحكم لمن استخلفه قال الحق لأبي يزيد في بعض مكاناته مع الحق اخرج إلى الخلق بصفتي فمن رآك رآني و من عظمك عظمني فتعظيم العبيد لتعظيم سيدهم لا لنفوسهم فهذا سر الإبدا ر فنصب الله صورة البد ر مع الشمس مثلا للخلافة الإلهية و أن الحق يرى نفسه في ذات من استخلفه على كمال الخلقة فإنه لا يظهر له إلا في صورته و على قد ره و من يرى أن الحق مرآة العالم و أن العالم يرى نفسه فيه جعل العالم كالشمس و الحق كالبد ر و كلا المثلين صحيح واقع اعلم أن الله قصد ضرب الأمثال للناس فقال كَذٰلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثالَ لِلَّذِينَ اسْتَجابُوا لِرَبِّهِمُ الآية فالعالم كله بما فيه ضرب مثل ليعلم منه أنه هو فجعله دليلا عليه و أمرنا بالنظر فيه فمما ضرب الله في العالم من المثل صورة القمر مع الشمس فلا يزال الحق ظاهرا في العالم دائما على الكمال فالعالم كله كامل و جعل الله للعالم وجهين ظاهرا و باطنا فما نقص في الظاهر من إدراك تجليه أخذه الباطن و ظهر فيه فلا يزال العالم بعين الحق محفوظا أبدا و لا ينبغي أن يكون إلا هكذا و أحوال العالم مع الله على ثلاث مراتب مرتبة يظهر فيها تعالى بالاسم الظاهر فلا يبطن عن العالم شيء من الأمر و ذلك في موطن مخصوص و هو في العموم موطن القيامة و مرتبطة يظهر فيها الحق في العالم في الباطن فتشهده القلوب دون الأبصا ر و لهذا يرجع الأمر إليه و يجد كل موجود في فطرته الاستناد إليه و الإقرار به من غير علم به و لا نظر في دليل فهذا من حكم تجليه سبحانه في الباطن و مرتبطة ثالثة له فيها تجل في الظاهر و الباطن فيد رك منه في الظاهر قد ر ما تجلى به و يد رك منه في الباطن قد ر ما تجلى به فله تعالى التجلي الدائم العام في العالم على الدوام و تختلف مراتب العالم فيه لاختلاف مراتب العالم في نفسها فهو يتجلى بحسب استعدادهم فمن فهم هذا علم أن الإبدا ر لا يزال فافهم وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب السابع و الخمسون و مائتان في معرفة المحاضرة و هي حضور القلب بتواتر البرهان و مجا راة الأسماء الإلهية بما هي عليه من الحقائق التي تطلبها الأكوان»

محاضرة الأسماء في حضرة الذات دليل على الماضي دليل على الآتي

أقول بها و الكون يعطي وجودها لوجدان آلام و وجدان لذات

فلو لا وجود المحو ما صح عندنا و لا عند من يد ري وجود لإثبات

المحاضرة صفة أهل الاعتبا ر و النظر المأمور به شرعا فما يفرغون من نظر في دليل بعد إعطائه إياهم مدلوله إلا و يظهر الله لهم دليلا آخر فيشتغلون بالنظر فيه إلى أن يوفي لهم ما هو عليه من الدلالة فإذا حصلوا مدلوله أراهم الحق دليلا آخر هكذا دائما و هو قوله تعالى سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ فذكر أنه يريهم آيات ما جعل ذلك آية واحدة ثم قال حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ و هو عثورهم على وجه الدليل و حصول المدلول و هذه مسألة تختلف فيها فتوح المكاشفة فمنهم من يعطي الدليل و مدلوله كشفا و لا يعطي أبدا ذلك المدلول دون دليله حتى زعم بعض العلماء به أن علوم الوهب التي من شأنها أن لا تد رك في النظر إلا بالدليل العقلي لا توهب لمن وهبت إلا بأدلتها فإنها بها مرتبطة ارتباطا عقليا و منهم من يقول إنه قد يعطي الله ما يشاء من العلوم التي لا تد رك في العقل إلا بالأدلة بغير دليلها لأن المقصود ما هو الدليل و إنما المقصود مدلوله فإذا حصل بوجه من الحق من غير الدليل الذي يرتبط به في النظر العقلي فلا حاجة للدليل إذ قد علمنا أن الدليل يقابل حصول المدلول في النفس و إنهما لا يجتمعان و هذا غلط و إنما الذي لا يجتمع مع المدلول النظر في الدليل لا عين الدليل فإن الناظر في الدليل فاقد واجد و محصل للمدلول و قد تكون المحاضرة من العبد مع الأسماء الإلهية و الكونية من حيث إن الأسماء الكونية قد وسم الحق بها نفسه و الأسماء الإلهية قد وسم الكون بها نفسه و استحق الجنابان الأسماء جميعها و هذا مما يقوي حديث خلق العالم على الصورة فإذا حضرت الأسماء الحسنى و أسماء الكون و جرت في ميدان المفاخرة فإن الله يستهزئ بالمنافقين و بأهل الاستهزاء بالجناب الإلهي و يمكر سبحانه بالماكرين و يعجب ممن قهر الطبيعة على قوتها في الحكم و هذا كله سمات المحدثات و قد وسم الحق بها نفسه كما وسمها بكونه قديرا و خلاقا و عليما و غير ذلك فالكل عند طائفة أصل للأصل النسبي الذي أوجد العالم و بعضهم فرق فجعل خلاف الأسماء الحسنى أصلا في الكون منقولا في الجناب الإلهي و حكم هذه المحاضرة في كل شخص بحسب ما يتقوى عنده و يعطيه النظر فتختلف أحوال أهل الله في ذلك و هو قوله إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ و التفكر في ذات الله محال فلا يبقى إلا التفكر في الكون و متعلق الفكرة الأسماء الحسنى و سمات المحدثات فالأسماء كلها أصل في الكون على هذا النظر فإذا وقف على محاضرة الأسماء و مناظرتها علم من أثر في وجود الكون بعد أن لم يكن هل أثر فيه الحق الوجود أو استعداده أو المجموع هذه فائدة المحاضرة وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثامن و الخمسون و مائتان في معرفة اللوامع و هي ما ثبت من أنوار التجلي وقتين و قريبا من ذلك»

لمعت أنوار توحيدي عند تغريدي بتجريدي

كلما أبدت لوامعها أذنت فينا بتحديدي

كل محدود يؤول إلى حل تركيب و تبديد

فصله من جنسه علم ظاهر بنقص توحيدي

اللوامع فوق الذوق فإنها تزيد على المبدأ و دون الشرب فإن الشرب قد ينتهي إلى الري و قد لا ينتهي فإذا ثبتت أنوار التجلي وقتين و قريبا من ذلك فهي اللوامع و هذا لا يكون في التجلي الذاتي و إنما يكون في تجلى المناسبات فإذا تجلى في المناسبات دام بقدر ثبوت تلك المناسبة و المناسبات صغيرة الزمان قصيرة في الثبوت لأن الشئون الإلهية لا تتركها و ما سوى الأعيان القائمة بأنفسها أعراض سريعة الزوال و إنما ثبتت وقتين و قريبا من ذلك لأن الوقت الأول لظهورها و الوقت الثاني لإفادة ما تعطيه مما لمعت له فإن المحل يدهش عند لمعانها و هو حديث عهد بالتجلي الذي فارقه فتتربص هذه اللوامع حتى يزول الدهش و التعلق بما كان عليه فيقبل ما أتته به هذه اللوامع و أعني بتربصها تواليها فإذا حصل القبول مضى حكمها فزالت و جاء غيرها مثلها أو خلافها و صاحبها أبدا سريع الرجوع إلى عالم الحس و لا ترد هذه اللوامع إلا بعلوم إلهية لا تعلق لها بعلوم الكون فهي إلهية مجردة هذه ميزانها فإن وجد الإنسان علما يكون في حاله فما هي لوامع لأن ضروب التجلي كثيرة متنوعة الحكم فاعلم ذلك وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب التاسع و الخمسون و مائتان في معرفة الهجوم و البوادة فالهجوم ما يرد على قلب بفوت الوقت من غير تصنع منك و البوادة ما يفجأ القلب من الغيب على سبيل الوهلة و هو إما موجب فرح أو ترح»

نور البوادة فجآت الغيوب على قلب تقلب في ظلمائه زمنا

و واردات هجوم الكشف تورثها حالا فتلحقه بحالة الزمنا

لو أنها وردت لروح نشأتنا ما دبرت روحنا نفسا و لا بدنا

اعلم أيدنا الله و إياك بروح منه أن البوادة و الهجوم و الصحو و السكر و الذوق و الشرب و أمثالها إنما هي واردات الغيب ترد على القلوب فتؤثر فيها أحوالا مختلفة فيمن قامت به و يسمون ذلك الحال بالوارد و ليس للعبد تعمل في تحصيل هذه الواردات مع أنها ما ترد إلا على قلب مستعد لقبولها فإذا ورد الوارد على القلب فجأة من غير تصنع فيعطيه ذلك الوارد حسرة فوت الوقت فإنه منبه لمن غفل

عن حكم وقته فيه فلم يتأدب مع وارد وقته أراد الحق أن ينبهه عناية منه به فبعث إليه هذا الوارد رسولا من الله يكشف له عن فوت وقته و إنه ممن أساء الأدب مع الله فيندمه على ما كان منه من فوت الوقت فيجبر له هذا الندم فضيلة ما فاته من وقته حتى يكون كأنه ما فاته شيء و هذا غلط عظيم فيتزين وقته بزينة ندمه كما كان يتزين بزينة أدبه معه لو حضر معه و لم يفته فهذه فائدة الهجوم يجبر الوقت الذي فإنه و لنا في ذلك

بادر لجبر الذي قد فات من عمرك　　و لتتخذ زادك الرحمن في سفرك

و أما البوادة فهي أيضا فجأة إلهية تفجأ القلوب من حضرة الغيب بحكم الوقت و لا تأتي في اصطلاحهم هذه البوادة إلا أن تعطي فرحا في القلب أو حزنا فتضحك و تبكي و هو قول أبي يزيد ضحكت زمانا و بكيت زمانا يريد أنه كان في حكم البوادة ثم قال و أنا اليوم لا أضحك و لا أبكي يعرف بانتقاله من تأثر حال البوادة فيه إلى حال العظمة و لا تكون البوادة إلا فيمن يتصف و من لا وصف له لا بديهة له غير أنه لما كانت البوادة من حضرة الهو لم يعرف متى تأتي فإذا وردت إنما ترد فجأة و بغتة فتعطي ما وردت به و تنصرف و أما البديهة التي تعرفها الناس فليست تتقيد بفرح و لا ترح فما هي التي اصطلح عليها القوم و هي عينها إلا أن القوم ما سموا بديهة إلا ما أوجب فرحا أو ترحا و أما إذا لم يوجب ذلك فأحوالهم فيها أحوال الناس غير أن أهل الطريق يعلمون أن البوادة إذا وردت لا يخطئ حكمها البتة و لها الإصابة في كل ما ترد به و لهذا إذا سأل الشيوخ تلاميذهم عن مسألة على تعليم الأخذ عن الله لا يتركونه يفكر في الجواب فيكون جوابهم نتيجة فكر و إنما يقولون لا تجب إلا بما يخطر لك فيما سألت عنه عند السؤال فتنظر إلى قلبك ما ألقى فيه عند ورود السؤال فاذكره ببادئ الرأي فإن لم يفعل فلا يقبل منه الجواب و إن أصاب عن فكر و نظر فإن الله لا يغفل في كل نفس عن قلب أحد من عباده بل هو الرقيب عليه فيهبه في كل نفس بحسب ما يريده سبحانه فأصحاب القلوب المراقبين قلوبهم من أجل آثار ربهم فيها يجيبون بورود الوارد في كل نفس فيعملون بمقتضاه إن وافق الميزان الشرعي الذي قد شرع لسعادتهم و إن لم يوافق طريق السعادة فإن لهم لهذا الوارد أخذا مخصوصا فيأخذونه تنبيها من الحق و تعريفا لا مؤثرا في ظاهرهم و لا باطنهم فهذا قد بينا معنى البوادة و الهجوم عند القوم وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الموفي ستين و مائتان في معرفة القرب و هو القيام بالطاعات و قد يطلقونه
و يريدون به قرب قابَ قَوْسَيْنِ و هما قوسا الدائرة إذا قطعت بخط أَوْ أَدْنىٰ»

إذا قطعت بخط أكرة فبدا　　قوسان ذلك قرب الحق فاعتبروا

إلى حقيقة أدنى منهما فإذا		ما حزته لاح ما يقضي به النظر

إن المعارج للأرواح نسبتها		خلاف نسبة ما يسرى به البصر

قال تعالى وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ من حَبْلِ الْوَرِيدِ فوصف نفسه بالقرب من عباده و المطلوب بالقرب إنما هو أن يكون صفة العبد فيتصف بالقرب من الحق اتصاف الحق بالقرب منه كما قال وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ و الرجال يطلبون أن يكونوا مع الحق أبدا في أي صورة تجلى و هو لا يزال متجليا في صور عباده دائما فيكون العبد معه حيث تجلى دائما كما لا يخلو العبد عن أينية دائما و الله معه أينما كان دائما فأينية الحق صورة ما يتجلى فيها فالعارفون لا يزالون في شهود القرب دائمين لأنهم لا يزالون في شهادة الصور في نفوسهم و في غير نفوسهم و ليس إلا تجلى الحق و أما القرب الذي هو القيام بالطاعات فذلك القرب من سعادة العبد بالفوز من شقاوته و سعادة العبد في نيل جميع أغراضه كلها و لا يكون له ذلك إلا في الجنة و أما في الدنيا فإنه لا بد من ترك بعض أغراضه القادحة في سعادته فقرب العامة و القرب العام إنما هو القرب من السعادة فيطيع ليسعد و قرب العارفين ما ذكرناه فهو يتضمن السعادة و زيادة و لو لا الأسماء الإلهية و حكمها في الأكوان ما ظهر حكم القرب و البعد في العالم فإن كل عبد في كل وقت لا بد أن يكون صاحب قرب من اسم إلهي صاحب بعد من اسم آخر لا حكم له فيه في الوقت فإن كان حكم ذلك الاسم الحاكم في الوقت المتصف بالقرب منه يعطي للعبد فوزا من الشقاء و حيازة لسعادته فذلك هو القرب المطلوب عند القوم و هو كل ما يعطي العبد سعادة و إن لم يعط ذلك فليس بقرب عند القوم و إن كان قربا من وجه آخر لا من حيث ما وقع عليه الاصطلاح أخبر رسول الله صلى الله عليه و سلم عن ربه في هذا الباب أن الله يقول ما تقرب المتقربون بأحب إلي من أداء ما افترضته عليهم و لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت له سمعا و بصرا و يدا و مؤيدا و قال سبحانه في الخبر الصحيح من تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا و من تقرب إلي ذراعا تقربت منه باعا و من أتاني يسعى أتيته هرولة و قال تعالى وَإِذا سَأَلَكَ عِبادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذا دَعانِ و قال في حق الميت وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلكِنْ لا تُبْصِرُونَ و معناه عندنا لا تميزون يقول تبصرون و لكن لا تعرفون ما تبصرون فكأنكم لا تبصرون اعلم أن القرب من الله على ثلاثة أنحاء قرب بالنظر في معرفة الله جهد الاستطاعة أصاب في ذلك أو أخطأ بعد بذل الوسع في الاجتهاد في ذلك فقد يعتقد المجتهد فيما ليس ببرهان أنه برهان فيجازيه الله مجازاة أصحاب البراهين الصحيحة و قد نبه سبحانه على ما يفهم منه ما ذكرناه و هو قوله وَمن يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلهاً آخَرَ لا بُرْهانَ لَهُ به و قد رأى بعض العلماء أن الاجتهاد يسوغ في الفروع و الأصول فإن أخطأ فله أجر و إن أصاب فله أجران و النوع الآخر قرب بالعلم و النوع الثالث قرب بالعمل و ينقسم على قسمين قرب بأداء الواجبات و قرب بالمندوبات في عمل

الظاهر و الباطن فأما قرب العلم فأعلاه توحيد الله في الوهته فإنه لا إله إلا هو فإن كان عن شهود لا عن نظر و فكر فهو من أولي العلم الذين ذكرهم الله في قوله شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ لأن الشهادة إن لم تكن عن شهود و إلا فلا فإن الشهود لا يدخله الريب و لا الشكوك و إن وحده بالدليل الذي أعطاه النظر فما هو من هذه الطائفة المذكورة فإنه ما من صاحب فكر و إن أنتج له علما إلا و قد يخطر له دخل في دليله و شبهة في برهانه يؤديه ذلك إلى التحير و النظر في رد تلك الشبهة فلذلك لا يقوى صاحب النظر في علم ما يعطيه لنظر قوة صاحب الشهود و هذا الصنف إذا قضى الله عليه بدخول النار لأسباب أوجبت له ذلك فهو الذي يخرجه الحق من النار بعد شفاعة الشافعين و أما قرب العمل فهو علم ظاهر و هو ما يتعلق بالجوارح و علم باطن و هو ما يتعلق بالنفس فأعم الأعمال الباطنة الايمان بالله و ما جاء من عنده لقول الرسول لا للعلم بذلك و عمل الايمان يعم جميع الأفعال و التروك فما من مؤمن يرتكب معصية ظاهرة أو باطنة إلا و له فيها قربة إلى الله من حيث إيمانه بها إنها معصية فلا يخلص أبد المؤمن عمل سيئ دون أن يخالطه عمل صالح قوله تعالى فيمن هذه صفته عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ و ما ذكر لهم قربة فما تاب هنا في هذه الآية عليهم ليتوبوا و إنما هو رجوع بالعفو و التجاوز و عسى من الله واجبة عند جميع العلماء فالشرط المصحح لقبول جميع الفرائض فرض الايمان ثم يتقرب العبد بأداء الفرائض فمن حصل له هنا ثمرتها كان سمعا للحق و بصرا فيريد الحق بإرادته على غير علم منه أن مراده مراد الله وقوعه فإن علم فليس هو صاحب هذا المقام هذا ميزان أداء الفرائض و هو أحب ما يتقرب به إلى الله و أما قرب النوافل فإنه أيضا يحبه الله و محبة الله أعطته أن يكون الحق سمعه و بصره هذا ميزانها في قرب النوافل و لما كانت المحبة لها مراتب متميزة في المحب قيل محب و أحب و قد وصف الله نفسه بأحب في قوله بأحب إلي من أداء ما افترضته عليه و في النوافل قال أحببته من غير مفاضلة و افترض عليه الايمان به و بما جاء من عنده فالمؤمن له مرتبة الحب و الأحب و أما عمل الجوارح فإنه قرب أيضا و لا بد أن تجني الجارحة ثمرتها أي ثمرة عملها في حق كل إنسان من غير تقييد و لكن هم في ذلك على طبقات مختلفة في أي دار كانوا أو من أي صنف كانوا و سواء قصد القرب بذلك العمل أو لم يقصد فإن العمل يطلب ميزانه و قد وقع من الجارحة فهو حق لها و النية حق للنفس حتى أنه لو ذكر الله بيمين فاجرة يقتطع بها حق امرئ لكان للجارحة أجر ذكر الله لما جرى على اللسان و على النفس وزر ما نوته من ذلك و التنبيه على ما ذكرناه كون حكم ظاهر الشرع أسقط عنه بيمينه حق الطالب فإذا كان أثرها في الظاهر بهذه القوة في الدنيا فما ظنك بما تجنيه تلك الجارحة الذاكرة ربها في الأخرى فإن الجارحة لا خبر لها بما نوته النفس من ذلك فحظها النطق بذكر الله لا تدري أن ذلك الذكر يعود منه وبال على النفس أم لا و لا تدري هل هو مشروع أم غير مشروع و لذلك إذا شهدت الجوارح و الجلود بما وقع منها من الأعمال على النفس المدبرة لها ما تشهد

بوقوع معصية و لا طاعة و إنما شهادتها بما عملته و الله يعلم حكمه في ذلك العمل و لهذا إذا كان يوم القيامة تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ و لم يشهدوا بكون ذلك العمل طاعة و لا معصية فإن مرتبتهم لا تقتضي ذلك فالإنسان من حيث هيكله سعيد كله و من حيث نفسه إن كان مؤمنا فهو صاحب تخليط و أما قرب الله منه فعلى نوعين النوع الواحد قرب رحمة و عطف و تجاوز و مغفرة و إحسان و النوع الآخر قرب لا يمكن كشفه لكن نومئ إليه فنقول لا يخلو الحق مع كل عبد عند ما يتجلى له أن يظهر له في مادة أو في غير مادة فإن تجلى له في مادة و هي الصورة تبع القرب تلك المادة في مجلس الشهود و حضرة الرؤية و إن تجلى له في غير مادة كان قرب المنزلة و المرتبة كقرب الوزير و القاضي و الوالي و صاحب الحسبة من الملك فإنه قرب متفاضل و قد يدني مجلس الأدون ليسارره بأمر ينفذ في مرتبته و يكون الأعلى أبعد منه مجلسا في ذلك المجلس و لا يقتضي قربه في ذلك المجلس بأنه أعلى رتبة من الأعلى منه فإن حكم المواد يخالف حكم النفوس في الصورة و إذا علمت هذا فقد قربت من العلم بقرب الحق و القرب بين الاثنين على حد واحد فمن قرب منك فقد اتصفت بأنك منه قريب و في نفس الأمر ليس للبعد من الله سبيل و إنما البعد أمر إضافي يظهر في أحكام الأسماء الإلهية فزمان حكم الاسم الإلهي في الشخص هو زمان اتصافه بالقرب من البعد و قرب العبد منه و الاسم الإلهي الذي ما له حكم الوقت في الشخص هو منه بعيد كيف يتصف بالبعد عنك أو تتصف بالبعد منه من أنت في قبضته أ لم يفتح لآدم يده اليمنى تعالى و كلتا يديه يمين مباركة فبسطها فإذا فيها آدم و ذريته و هل يؤبد شقاء من هو في يمين الحق لا و الله و كانت القبضة الأخرى جميع العالم فانظر في اختيار آدم يمين الحق للتمييز مع كونه يعرف أن كلتي يدي ربه يمين مباركة و ليس إلا ما ذكرناه و لو لا ما كان التجلي لآدم في صورة مادية ما اتصفت اليدان بالقبض و البسط و قد نبهتك على معرفة القرب حتى تشهده من نفسك مع الله إن كنت من أهل التجلي في هذه الدار و إذا وقع التجلي في المواد جاءت الحدود بغير شك فجاء الشبر و الذراع و الباع و السعي و الهرولة بحسب ما يقتضيه الحال فإن قرب المواد تابع للأحوال فعلى قدر الحال يكون القرب في المادة بين القريبين ليعلم بذلك القرب أن حاله أعطى ذلك فهو ترجمان عن الأحوال و أما القرب من الله بحجاز الصورة فليس ذلك إلا للخلفاء خاصة سواء كانوا رسلا أو لم يكونوا فإن الرسالة ليست بنعت إلهي و إنما هي نسبة بين مرسل و مرسل إليه لينوب عنه فيما يريد أن يبلغه إلى هذا الشخص المرسل إليه فالرسول خليفة و نائب في التبليغ خاصة و تتمة الخلافة و النيابة إنما هي في الحكم بما تقتضيه حقائق الأسماء الإلهية من القهر و الإرعاد و الإبراق و الأخذ و الرحمة و العفو و التجاوز و الانتقام و الحساب و المصادرة و ما ثم أصعب في الإلهيات من المصادرة إذا لم تقع عن حساب أو تجاوز في الأخذ حد الاستحقاق و ذلك في قوله لا يُسْئَلُ عَمّا يَفْعَلُ و الأخذ و التجاوز بعد التقرير و الحساب و السؤال في قوله وَ هُمْ يُسْئَلُونَ و

قوله فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ فقرب بالصورة على نوعين في الخلافة النوع الواحد خلافة عن تعريف إلهي بمنشور و خلافة لا عن تعريف إلهي مع نفوذ الأحكام منه و لا يسمى مثل هذا القرب على طريق الأدب بلسان الأدباء خلافة و لا هو خليفة و بالحقيقة هو خليفة و تلك خلافة فالخلفاء متفاضلون أيضا فيها و الخلافة بغير التعريف أتم في القرب المعنوي فإن الخليفة بالتعريف و الأمر الظاهر يبعد من المستخلف في الصورة فإن حكمه في العالم لم يكن عن أمر من غيره بل هو حاكم لنفسه فمن حكم في العالم بنفسه و نفذ حكمه فيه من غير أمر إلهي و لا استخلاف بتعريف و لا منشور فهو أقرب من الصورة الإلهية ممن عقدت له الخلافة عن أمر إلهي بتعريف و منشور لكنه أقرب إلى السعادة المطلوبة له من ذلك الذي لم يقترن بخلافته أمر إلهي و القرب إلى السعادة هو المطلوب عند العلماء بالله و هذا القدر كاف في معرفة القرب وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الأحد و الستون و مائتان في معرفة البعد»

اعلم أن البعد هو الإقامة على المخالفة و يطلق أيضا على البعد منك

البعد منك دنو ... وتر و شفع و تو

لما رأيت إماما ... يقول للقوم سووا

صفوفكم في صلاة ... لها العلا و الدنو

علمت إن وجودي ... له البقاء و السمو

و اعلم أن البعد يختلف باختلاف الأحوال فيدل على ما يراد به قرائن الأحوال و أن الأحوال و جميع ما ذكرناه فيما يكون قربا إذا لم يكن صفة للعبد فعدمه عين البعد هذا هو الجامع لهذا الباب الذي أشار إليه القوم و أما حكم البعد عندنا فقد يكون على خلاف ما قرروه بعدا مع تقريرنا ما قرروه بعدا أنه بعدا بلا شك إلا إنا زدنا فيه أمورا أغفلتها الجماعة لا أنهم جهلوا ما نذكره إلا أنهم ما ذكروه في معرفة البعد و أدخلوه في باب القرب و ذلك أن القرب اجتماع و البعد افتراق و ما يقع به الاجتماع غير ما يقع به الافتراق فالبعد غير القرب فإذا اجتمع أمران في شيء ما فذلك غاية القرب لأن عين كل واحد منهما عين الآخر فيما وقع فيه الاجتماع فإذا تميز كل واحد من العينين عن صاحبه بنعت لا يكون عليه الآخر فقد تميز عنه و إذا تميز عنه فذلك البعد لأنه ليس عينه من حيث ما هو عليه مما وقع له به الافتراق و يظهر ذلك في حدود الأشياء و إذا وقع البعد اختلف الحكم و قد يكون البعد بنعت عرضي كالمكان و الزمان و الحد و المقدار و الأكوان و الألوان في حق من تطلب ذاته هذه النعوت فإذا عقل أمران لا اجتماع بين واحد منهما مع الآخر و افترقا من جميع الوجوه كلها

فذلك غاية البعد فلا أبعد من العالم من الله لأنه ما ثم من حيث ذاته شيء يجمع بينهما و هذا موجود في قوله تعالى فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ و كان الله و لا شيء معه ثم ننزل في درجة البعد دون هذا فنقول العبد لا يكون سيدا لمن هو عبد له فلا شيء أبعد من العبد من سيده فالعبودية ليست بمحال قربة و إنما يقرب العبد من سيده بعلمه أنه عبد له و علمه بأنه عبد له ما هو عين عبوديته فعبوديته تقتضي البعد عن السيد و علمه بها يقضي بالقرب من السيد قال الله لأبي يزيد البسطامي لما حار في القرب و ما عرف بما ذا يتقرب إليه فقال له الحق في سره يا أبا يزيد تقرب إلي بما ليس لي الذلة و الافتقار فنفى سبحانه عن نفسه هاتين الصفتين الذلة و الافتقار و ما نفاه عنه فإنه صفة بعد منه فمن قامت به تلك الصفة التي تقتضي البعد فهو بحيث هي و هي تقتضي البعد و قال أبو يزيد لربه في وقت آخر بم أتقرب إليك فقال له الحق اترك نفسك و تعال و إذا ترك نفسه فقد ترك حكم عبوديته لما كانت العبودية عين البعد من السيادة فالعبد بعيد من السيد فطلب منه في الذلة و الافتقار القرب بالعبودية و طلب منه في ترك النفس القرب بالتخلق بأخلاق الله و هو ما يكون به الاجتماع فالتجلي في غير مادة تجلى البعد و في المواد تجلى القرب و أما البعد من الأسماء الإلهية فكل اسم لا يكون العبد تحت حكمه في الوقت و اعلم أن الأسماء الإلهية إذا ظهر بها العبد عن الأمر الإلهي فهو في قرب النيابة عن الله لا في قرب الحقيقة و إذا ظهر ببعضها عن غير أمر إلهي فهو في عين البعد المستعاذ منه في قوله صلى الله عليه و سلم و أعوذ بك منك لأن حقيقة المخلوق لا تمكن في حال شهوده لمخلوقيته أن يكون خالقا و الكبرياء و الجبروت صفة للحق فإذا قامت بالعبد فقد قام به الحق فاستعاذ منه و ما ثم أعظم منه يستعاذ به فاستعاذ به فأين كبرياء الحق و جبروته من صفته بأنه يفرح بتوبة عبده و يصف نفسه بجوع عبده و عطشه و مرضه فبمثل هذا استعاذ و من مثل ذلك الآخر استعاذ و المنعوت بهما واحد العين و هو الله فاستعاذ به منه فقال و أعوذ بك منك و هذا غاية ما يصل إليه تعظيم المحدث إذا عظم جناب الله و أما بعد المخالفة فهو بعد العبد عن سعادته و عن الأسماء الإلهية التي تقتضي الموافقة في القرب بالطاعات و إن كان في المخالفة قريبا من الأسماء الإلهية التي تطلب الأكوان من حيث التكليف فإنها محصورة في عفو و مؤاخذة فهو قريب بالمؤاخذة منه فالمخالفة تطلب الرحمة و تتعرض للعقوبة و هو سبحانه على مشيئته في ذلك فلم يبق في بعد المخالفة إلا البعد عن سعادته إما بنقصان حظ عن غيره أو مؤاخذة بالجريمة و أما البعد منك الذي ذكرته الطائفة فهو قوله لأبي يزيد اترك نفسك و تعال و من ترك نفسه بعد عنها و قد بينا لك في هذا الباب معنى هذا القول وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثاني و الستون و مائتان في معرفة الشريعة»

الشريعة التزام العبودية بنسبة الفعل إليك

إن الشريعة حد ما له عوج　　عليه أهل مقامات العلى درجوا

علوا معارج من عقل و من همم　　لحضرة دخلوا فيها و ما خرجوا

جاءوا بأمر عظيم القدر منه وما　　عليهم في الذي جاءوا به حرج

الشريعة السنة الظاهرة التي جاءت بها الرسل عن أمر الله و السنن التي ابتدعت على طريق القربة إلى الله كقوله تعالى وَ رَهْبانِيَّةً ابْتَدَعُوها و قول الرسول صلى الله عليه و سلم من سن سنة حسنة فأجاز لنا ابتداع ما هو حسن و جعل فيه الأجر لمن ابتدعه و لمن عمل به و أخبر أن العابد لله بما يعطيه نظره إذا لم يكن على شرع من الله معين أنه يحشر أمة وحده بغير إمام يتبعه فجعله خيرا و ألحقه بالأخيار كما قال في إبراهيم إِنَّ إِبْراهِيمَ كانَ أُمَّةً قانِتاً لِلّٰهِ و ذلك قبل إن يوحى إليه و قال عليه السلام بعثت لأتمم مكارم الأخلاق فمن كان على مكارم الأخلاق فهو على شرع من ربه و إن لم يعلم ذلك و سماه النبي صلى الله عليه و سلم خيرا في حديث حكيم بن حزام و إنه كان يتبرر في الجاهلية بأمور من عتق و صدقة و صلة رحم وكرم و أمثال ذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم لما سأله عن ذلك أسلمت على ما أسلفت من خير فسماه خيرا و جازاه الله به فالشريعة إن لم تفهم هكذا و إلا فما فهمت الشريعة و أما تتمة مكارم الأخلاق فهي تعريتها مما نسب إليها من السفسفة فإن سفساف الأخلاق أمر عرضي و مكارم الأخلاق أمر ذاتي لأن السفساف ليس له مستند إلهي فهو نسبة عرضية مبناها الأغراض النفسية و مكارم الأخلاق لها مستند إلهي و هو الأخلاق الإلهية فتتمة النبي صلى الله عليه و سلم مكارم الأخلاق ظهر في تبيينه مصارفها فعين لها مصارف تكون بها مكارم أخلاق و تعرى بذلك عن ملابس سفساف الأخلاق فما في الكون إلا شريعة ثم اعلم أن الشريعة أتت بلسان ما تواطأت عليه الأمة التي شرع الله لها ما شرع فمنه ما كان عن طلب من الأمة و منه ما شرعه ابتداء من الأحكام و لهذا كان يقول صلى الله عليه و سلم اتركوني ما تركتكم فإن كثيرا من الشريعة نزل بسؤال من الأمة لو لم يسألوه ما نزل و أسباب الأحكام دنيا و آخرة معلومة عند العلماء بأسباب النزول و الحكم يقال شرعت الرمح قبله أي قصدته به مستقبلا و الشريعة من جملة الحقائق فهي حقيقة لكن تسمى شريعة و هي حق كلها و الحاكم بها حاكم بحق مثاب عند الله لأنه حكم بما كلف إن يحكم به و إن كان المحكوم له على باطل و المحكوم عليه على حق فهل هو عند الله كما هو في الحكم أو كما هو في نفس الأمر فمنا من يرى أنه عند الله كما هو في الحكم و منا من يرى أنه عند الله كما هو في نفس الأمر و في هذه المسألة نظر يحتاج إلى سبر أدلة فإن العقوبة قد أوقعها الله في رمى المحصنات و إن صدقوا إذ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَداءَ و قال في قضية خاصة في ذلك كان الرامي كاذبا فيها فقال لَوْ لا جاؤُ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَداءَ كما قرر في الحكم فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَداءِ فَأُولٰئِكَ عِنْدَ اللّٰهِ هُمُ

الْكاذِبُونَ فقوله أولئك هل يريد بهذه الإشارة هذه القضية الخاصة أو يريد عموم الحكم في ذلك فجلد الرامي إنما كان لرميه و لكونه ما جاء بأربعة شهداء و قد يكون الشهداء شهداء زور في نفس الأمر و تحصل العقوبة بشهادتهم في المرمي فيقتل و له الأجر التام في الأخرى مع ثبوت الحكم عليه في الدنيا و على شهود الزور و المفتري العقوبة في الأخرى و إن حكم الحق في الدنيا بقوله و شهادة شهود الزور فيه و لهذا قال رسول الله صلى الله عليه و سلم إنما أنا بشر و إنكم لتختصمون إلي و لعل أحدكم يكون ألحن بحجته من الآخر فمن قضيت له بحق أخيه فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار فقد قضى له بما هو حق لأخيه و جعله له حقا مع كونه معاقبا عليه في الآخرة كما يعاقب على الغيبة و النميمة مع كونهما حقا فما كان حق في الشرع تقترون به السعادة و لما كان الشريعة عبارة عن الحكم في المشروع له و التحكم فيه بها كان المشروع له عبدا فالتزم عبوديته لكون الحكم لا يتركه يرفع رأسه بنفسه فما له من حركة و لا سكون إلا و للشرع في ذلك حكم عليه بما يراه فلذلك جعلت الطائفة الشريعة التزام العبودية فإن العبد محكوم عليه أبدا و أما قولهم بنسبة الفعل إليك فإنك إن لم تفعل ما يريده السيد منك و إلا فما وجب عليك الأخذ به و لذلك رفع القلم عمن لا عقل له و يكفي هذا القدر في علم الشريعة وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثالث و الستون و مائتان في معرفة الحقيقة و هي سلب آثار أوصافك عنك بأوصافه أنه الفاعل بك فيك منك لا أنت ما من دَابَّةٍ إِلّاٰ هُوَ آخِذٌ بِنٰاصِيَتِهٰا»

إن الحقيقة تعطي واحدا أبدا — و العقل بالفكر ينفي الواحد الأحدا
فالذات ليس لها ثان فيشفعها — و الكون يطلب من آثاره العددا
و الكل ليس سوى عين محققة — لا أهل فيها و لا أبا و لا ولدا

أعلم أيدنا الله و إياك بروح منه أن الحقيقة هي ما هو عليه الوجود بما فيه من الخلاف و التماثل و التقابل إن لم تعرف الحقيقة هكذا و إلا فما عرفت فعين الشريعة عين الحقيقة و الشريعة حق و لكل حق حقيقة فحق الشريعة وجود عينها و حقيقتها ما تنزل في الشهود منزلة شهود عينها في باطن الأمر فتكون في الباطن كما هي في الظاهر من غير مزيد حتى إذا كشف الغطاء لم يختل الأمر على الناظر قال بعض الصحابة لرسول الله صلى الله عليه و سلم أنا مؤمن حقا فادعى حق الايمان و هو من نعوت الباطن فإنه تصديق و التصديق محله القلب فآثاره في الجوارح إذا كان تصديق له أثر فإن كان تصديق ما له أثر فلا يلزم ظهوره على الجوارح كما قال و الفرج يصدق ذلك أو يكذبه فنسب الصدق إلى الفرج و هو عضو ظاهر فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم فما حقيقة إيمانك فقال كأني أنظر إلى عرش ربي

بارزا و قد كان صدق رسول الله صلى الله عليه و سلم في قوله إن عرش ربه يبرز يوم القيامة فجعله هذا السامع مشهود الوقوع في خياله فقال كأني أنظر إليه أي هو عندي بمنزلة من أشاهده ببصري فلما أنزله منزلة الشهود البصري و الوجود الحسي عرفنا إن الحقيقة تطلب الحق لا تخالفه فما ثم حقيقة تخالف شريعة لأن الشريعة من جملة الحقائق و الحقائق أمثال و أشباه فالشرع ينفي و يثبت فيقول لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فنفى و أثبت معا كما يقول وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ و هذا هو قول الحقيقة بعينه فالشريعة هي الحقيقة فالحقيقة و إن أعطت أحدية الألوهة فإنها أعطت النسب فيها فما أثبتت إلا أحدية الكثرة النسبية لا أحدية الواحد فإن أحدية الواحد ظاهرة بنفسها و أحدية الكثرة عزيزة المنال لا يدركها كل ذي نظر فالحقيقة التي هي أحدية الكثرة لا يعثر عليها كل أحد و لما رأوا أنهم عاملون بالشريعة خصوصا و عموما و رأوا أن الحقيقة لا يعلمها إلا الخصوص فرقوا بين الشريعة و الحقيقة فجعلوا الشريعة لما ظهر من أحكام الحقيقة و جعلوا الحقيقة لما بطن من أحكامها لما كان الشارع الذي هو الحق قد تسمى بالظاهر و الباطن و هذان الاسمان له حقيقة فالحقيقة ظهور صفة حق خلف حجاب صفة عبد فإذا ارتفع حجاب الجهل عن عين البصيرة رأى أن صفة العبد هي عين صفة الحق عندهم و عندنا إن صفة العبد هي عين الحق لا صفة الحق فالظاهر خلق و الباطن حق و الباطن منشا الظاهر فإن الجوارح تابعة منقادة لما تريد بها النفس و النفس باطنة العين ظاهرة الحكم و الجارحة ظاهرة الحكم لا باطن لها لأنه لا حكم لها فينسب الاعوجاج و الاستقامة للماشي بالممشي به لا إلى من مشى به و الماشي بالخلق إنما هو الحق و ذكر أنه على صراط مستقيم فالاعوجاج قد يكون استقامة في الحقيقة كاعوجاج القوس فاستقامته التي أريد لها اعوجاجه فما في العالم إلا مستقيم لأن الآخذ بناصيته هو الماشي به و هو على صراط مستقيم فكل حركة و سكون في الوجود فهي إلهية لأنها بيد حق و صادرة عن حق موصوف بأنه على صراط مستقيم بأخبار الصادق فإن الرسل لا تقول على الله إلا ما تعلمه منه فهم أعلم الخلق بالله و ليس للكون معذرة أقوى من هذه فمن رحمة الرسل بالخلق تنبيه الخلق على مثل هذا و لما حكاها الحق عنه يسمعنا مقالته علمنا إن ذلك من رحمته بنا حيث عرفنا بمثل هذا فكان تعريفه إيانا بما قاله رسوله بشرى من الله لنا من قوله لَهُمُ الْبُشْرى فِي الْحَياةِ الدُّنْيا و كانت البشرى من كلمات الله و لا تَبْدِيلَ لِكَلِماتِ الله و من باب الحقيقة كونه عين الوجود و هو الموصوف بأن له صفات من كون الموجودات ذات صفات ثم أخبر أنه من حيث عينه عين صفات العبد و أعضائه فقال كنت سمعه فنسب السمع إلى عين الموجود السامع و أضافه إليه و ما ثم موجود إلا هو فهو السامع و السمع و هكذا سائر القوي و الإدراكات ليست إلا عينه فالحقيقة عين الشريعة فافهم وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الرابع و الستون و مائتان في معرفة الخواطر و الخواطر ما يرد على القلب»

و الضمير من الخطاب من غير إقامة و هو من الواردات التي لا تعمل لك فيها فإذا أقامت فهي حديث نفس ما هي خواطر

إذا كان واردنا خاطرا يمر بنا ثم لا يرجع
فما في الوجود سوى خاطر و ما فيه رد و لا مدفع
تجدد أعياننا كلما تجدد أعراضنا فاسمعوا
فما ثم عين سوى واحد و آخر في أثره يتبع

اعلم أن لله سفراء إلى قلب عبده يسمون الخواطر لا إقامة لهم في قلب العبد إلا زمان مرورهم عليه فيؤدون ما أرسلوا به إليه من غير إقامة لأن الله خلقهم على صورة رسالة ما أرسلوا به فكل خاطر عينه عين رسالته فعند ما يقع عليه عين القلب فهمه فأما يعمل بمقتضى ما أتاه به أو لا يعمل و جعل الله بينه و بين هذا القلب طرقا خمسة عليها تمشي هذه الخواطر إلى القلب و هذه الطرق أحدثها الله لما أحدث الشرائع فلو لا الشرائع ما أحدثها و جعلها كالهالة للقمر محيطة به فسمى الطريق الواحد وجوبا و فرضا و سمي الثاني ندبا و الثالث حظرا و الرابع كراهة و الخامس إباحة و خلق الملك الموكل بالقلب يحفظه عن أمر الله بذلك و عين له من الطرق طريق الوجوب و الندب و جعل في مقابلته شيطانا أقعده إلى جانبه عن غير أمر الله المشروع حسدا منه لما رأى من اعتناء الله بهذه النشأة الإنسانية دونه و شفوفه عليه و علم ما يفضي إليه من السعادة إذا قام بحق ما شرع له من فعل و ترك و جعل مثل ذلك على طريق الحظر و الكراهة سواء و جعل على طريق الإباحة شيطانا لم يجعل هناك ملكا في مقابلته و جعل قوى النفس كلها و جبلتها مستفرغة لذلك الطريق و أمرها الله بحفظ ذاتها من ذلك الطريق من الشيطان و جعل الله في هذه النفس الإنسانية صفة القبول تقبل بها على كل من يقبل إليها و قبل إحداث الشرائع من آدم إلى زماننا إلى انقضاء الدنيا لم يكن ثم شيء مما ذكرناه من ملك حافظ و شيطان منازع مناقض بل كان الأمر كما يؤول إليه عند ارتفاع الشرائع من الله إلى عبده و من العبد إلى الله من غير تحجير و لا حكم من هذه الأحكام بل يتصرف بحسب ما تعطيه إرادته و مشيئته ثم خلق الله لهذه النفس الإنسانية صفة المراقبة لمن يرد من هذه الطرق عليها و أوحى إليها إلهاما أن بينه و بينها سفراء يأتون إليها من هذه الطرق و لا إقامة لهم عندها و قد أنشأنا ذواتهم من صورة رسالتهم حتى إذا رأيتهم علمت بالمشاهدة ما بعثهم الله به إليك فتيقظ و لا تغفل عنهم فإنهم يمرون بساحتك و لا يثبتون و يقول الحق قلت لهؤلاء السفرة إني أوجدت في هذا المرسل إليه صفتين صفة سميتها الغفلة و صفة سميتها اليقظة و الانتباه فإن وجدتموه متصفا باليقظة فهو الغرض المقصود و إن وجدتموه متصفا بالغفلة فاقرعوا عليه بابه فإنه يتيقظ فإن لم يتيقظ فإنكم لا تفوتونه فإني جعلت له بصرا حديدا يدرك به صوركم

فيعلم ما بعثتكم به و إن لم يتيقظ لنقركم فاتركوه و تعالوا إلينا و قد ملك الله هذا الملك الموكل بالحفظ و القرين الملازم و النفس قوة التصور و التشكل لما يرون فيشكلون أمثاله حتى كأنه هو و ليس هو و جعل هذه الأمثال في المرتبة الثانية فصاعدا في المراتب لا قدم لهم في المرتبة الأولى فالمرتبة الأولى لها الصدق و لا تخطئ فلا تعمل النفس بمقتضى ذلك الخاطر الأول فتخطئ و لا تكذب أبدا و أما التي على صورة الخواطر الأول فقد تصدق و تخطئ بحسب قوة التصوير و حفظ أجزاء الصورة و كذلك النظرة الأولى و الحركة الأولى و السماع الأول و كل أول فهو إليه صادق فإذا أخطأ فليس بأول و إنما ذلك حكم الصورة التي وجدت في المرتبة الثانية و أكثر مراقبة الأمور الأول لا يكون إلا في أهل الزجر و قد رأيناه منهم و في أهل الله خاصة فهو في أهل الله رتبة عاصمة و حافظة من الخطاء و الكذب و هو في الزاجر قوة مراقبة و علم و شهود و اسم هذا الخاطر الأول عندهم الهاجس و نقر الخاطر و السبب الأول فما يمر من هؤلاء السفرة الكرام البررة على هذه الطرق المعينة لهذا القلب يلقي من هو عليه من ملك و شيطان و نفس فيأخذه من بادر إليه من هؤلاء بالتلقي فإن أخذه الملك و هو مما يقتضي وجود عمل سعادي أوحى إليه الملك في سره اعمل كذا و كذا فيقول له الشيطان لا تعمله و أخره إلى وقت كذا طمعا منه في إن لا يقع منه ما يؤدي إلى سعادته و هو ما يجده الإنسان من التردد في فعل الخير و تركه و في فعل الشر و تركه و كذلك إذا جاءه على طريق الإباحة فذلك التردد في فعل المباح و تركه إنما هو بين النفس و الشيطان لا بين الملك و الشيطان فإن لمة الملك و لمة الشيطان المقابلة إنما تكون في الأربعة الطرق من الأحكام و أما في المباح فلمة الشيطان خاصة و ما له منازع إلا النفس و إنما كان للنفس المباح دون غيره لأنها جبلت على جلب المنافع و دفع المضار و الأمر أبدا يتقدم النهي في لمة الملك و الشيطان فصاحب الأمر في الشر هو الشيطان فله التقدم و صاحب الأمر في الخير إنما هو الملك فله التقدم فلا يرد نهي إلا بعد أمر و لا عكس في مثل هذا في هذه الحضرة و أصله في الإنسان من آدم عليه السلام فإن الأمر تقدمه بسكنى الجنة و الأكل منها حيث شاء ثم نهاه عن قرب شجرة مشار إليها إن تقربها فوقع التحجير و النهي في قوله حَيْثُ شِئْتُما لا في الأكل فما حجر عليه الأكل و إنما حجر عليه القرب منها الذي كان قد أطلقه في حيث شئتما فما أكلا منها حتى قربا فتنا و لا منها فأخذا بالقرب لا بالأكل و كان له بعد المؤاخذة الإلهية ما أعطته خاصية تلك الشجرة لمن أكل من ثمرها من الخلد و الملك الذي لا يبلى و كان ذريته فيه لما وقع منه ما وقع ثم أهبط للخلافة و حواء للنسل لأنها محل التكوين فخرجت الذرية بعد أن تاب الله عليه بكله و ذريته فيه و أسعد الله الكل فله النعيم في أي دار كان منهم ما كان بعد عقوبة و آلام تقوم بهم دنيا و آخرة فأما الدنيا فالكل لا بد من ألم أدناه استهلال المولود حين ولادته صارخا لما يجده عند المفارقة للرحم و سخانته فيضر به الهواء عند خروجه من الرحم فيحس بالألم فيبكي فإن مات فقد أخذ بحظه من البلاء ثم يعيش فلا بد له في

الحياة الدنيا من الآلام فإن الحيوان مجبول على ذلك فإذا نقل إلى البرزخ فلا بد من ألم السؤال فإذا بعث فلا بد له من ألم الخوف على نفسه أو على غيره فإذا دخل الجنة ارتفع ذلك عنه أعني حكم الآلام و صحبه النعيم دائما و إذا دخل النار صحبه الألم ما شاء الله فإذا نفذت مشيئته فيه بما كان من الآلام أعقبه فيها نعيما بالعناية التي أدركته و هو في صلب أبيه آدم لما تاب عليه ليأخذ حظه من الألم و اللذة كما أخذ أبوه فله نصيب من توبة أبيه و بقيت أسماء الانتقام في حق من شاء الله من سوى هذا المسمى إنسانا تحكم بحسب حقائقها فإن رحمته ما سبقت غضبه إلا في هذه النشأة الإنسانية و أما ما عداها فمن كون رحمته وسعت كل شيء لا من السبق فللإنسان دون غيره الرحمة الواسعة و الرحمة السابقة فتطلبه الرحمة من وجهين و ليس لغير الإنسان هذا الحكم من الرحمة فهي أشد عناية بالإنسان منها بغيره ثم نرجع إلى ما كنا بصدده من معرفة الخواطر فنقول و بعد أن أعلمتك بحقائقها فتختلف آثارها في النفس باختلاف من يتعرض لها في طريقها فإن لم يتعرض لها أحد ممن ذكرنا فذلك خاطر العلم لا يكون خاطر عمل البتة و هو الخاطر الرباني و خواطر الأعمال و التروك تكون ملكية و شيطانية و نفسية لا غير ذلك و ﴿كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَا لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً﴾ فأحرى قديما فألهمها فجورها عملا أو تركا لمجيئه على يد شيطان و تقواها عملا أو تركا لمجيئه على يد ملك فمن راقب خواطره من طرقها فقد أفلح فإنه يعلم من يأخذها و من يتعرض إليها من القاعدين لها كل مرصد و من غفل عن طرقها و ما شعر بها حتى وجدها في المحل كما تجدها العامة عمل بمقتضاها و هو عمل الجاهل بالشيء فإن كان خيرا فبحكم المصادفة و إن كان شرا فكذلك لأن الخاطر الأول الذي أتاه بالعلم بمن يأتي بعده من الخواطر و على يد من يأتيه لم يشعر به و لا علمه و لا شاهده ففاته حكمه فلما فجئته هذه الخواطر العملية على حين غفلة و عدم تيقظ و مراقبة لطرقها عمل بمقتضاها فكان خيره و شره مصادفة و رأيت ابن الحجازي المحتسب بمدينة فاس و لم يكن صاحب علم بالشريعة يوفقه الله لإصابة الحكم و أعرف من صلاحه أنه ما فاتته تكبيرة الإحرام خلف الإمام في الصلوات كلها بجامع القرويين إلى أن مات فكانت أحكامه في حسبته تجري على السداد إلها ما من الله فكان يقول إني لأعجب من أمري ما اشتغلت بعلم أحكام الشريعة و أوافق حكم الشرع في جميع أحكامي و لم يقدر أحد من علماء الشريعة يأخذ عليه في حكم لم يقل به مجتهد هذا وحده رأيته من عامة الناس معتنى به و لم يكن من أهل الطريق بل كان حريصا على الدنيا مكبا عليها كسائر عامة الناس لكن كان منور الباطن و لا يشعر بذلك و الخواطر كلها خطابات إلهية ما هي تجليات و لهذا ينشئها الله صورا تحدث في العماء الذي هو النفس الإلهي فمن شهدها و لا يرزقه الله علما بما ذكرناه يتخيل أن الخواطر تجل إلهي لما يرى من الصورة و هذا هو السبب في تسميتها خواطر و إنها لا تثبت كما لا تثبت صورة الحرف في الوجود بعد نطق اللسان به فما له سوى زمان النطق به ثم ينعدم و يبقى في فهم السامع مثال صورته

فيتخيل إن الخاطر باق كما تخيل ذو النون في قوله أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ فقال كأنه الآن في أذني فما ذلك هو الكلام الذي سمع و إنما ذلك الباقي مما أخذ الفهم من صورة الكلام فثبت في النفس و القليل من أهل الله من يفرق بين الصورتين و لما كانت الخواطر من الخطاب الإلهي لذلك دعا من دعا من أهل الله الخلق إِلَى اللهِ عَلى بَصِيرَةٍ فإن الدعاء على بصيرة لا يكون إلا بالتعريف الإلهي و التعريف الإلهي لا يكون إلا كلاما لا غير ذلك ليرتفع الإشكال و لو كان التكوين عن غير كلمة كن لم يكن له ذلك الإسراع في قوله فيكون بفاء التعقيب و هي جواب الأمر لأن الذي يكون كان على بصيرة لأنه خطاب فلو كان غير خطاب لم يكن له هذا الحكم و لكن أين النفوس المراقبة العالمة المحسة التي تعرف الأمر على ما هو عليه و غاية الناظر في هذا الأمر أن يجعل ما هو خطاب حق في النفس إن ذلك المعبر عنه بالعلم الضروري خلقه الله في محل هذا الشخص لا غير و صاحب الكشف الصحيح يدري أن الله ما خلق له العلم الضروري بالأمر إلا بعد إسماعه إياه كلامه فيعلم عند ذلك ما أراد الحق بذلك الخطاب فذلك العلم هو العلم الضروري و لكن ما يشعر به إلا أهل الشعور من أصحاب الأسرار الإلهية من أهل الله وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الخامس و الستون و مائتان في معرفة الوارد»

تعشقت بالصادر الوارد　　تعشق شفعي بالواحد
و أسماؤه كلها ورد　　سراعا لتخفى على الراصد
و تعطي بآثارها همة　　إلى كل قلب لها قاصد

الوارد عند القوم و عندنا ما يرد على القلب من كل اسم إلهي فالكلام عليه بما هو وارد لا بما ورد فقد يرد بصحو و بسكر و بقبض و ببسط و بهيبة و بأنس و بأمور لا تحصى و كلها واردات غير أن القوم اصطلحوا على أن يسموا الوارد ما ذكرناه من الخواطر المحمودة فاعلم يا أخي أن الوارد بما هو وارد لا يتقيد بحدوث و لا قدم فإن الله قد وصف نفسه مع قدمه بالإتيان و الورود إتيان و الوارد قد تختلف أحواله في الإتيان فقد يرد فجأة كالهجوم و البوادة و قد يرد غير فجأة عن شعور من الوارد عليه بعلامات و قرائن أحوال تدل على ورود أمر معين يطلبه استعداد المحل و كل وارد إلهي لا يأتي إلا بفائدة و ما ثم وارد الإلهي كونيا كان أو غير كوني و الفائدة التي تعم كل وارد ما يحصل عند الوارد عليه من العلم من ذلك الورود و لا يشترط فيه ما يسره و لا ما يسوءه فإن ذلك ما هو حكم الوارد و إنما حكم الوارد ما حصل من العلم و ما وراء ذلك فمن حيث ما ورد به لا من حيث نفسه فيأتي الله يوم القيامة للفصل و القضاء بين الناس فمن الناس من يقضي له بما فيه سعادته و من الناس من يقضي له بما فيه شقاوته و الإتيان واحد و القضاء واحد و المقضي به مختلف و

الوارد لا يخلو ما أن يكون متصفا بالصدور في حال وروده فيكون واردا من حيث من ورد عليه صادرا من حيث من صدر عنه فلا بد أن يكون هذا الوارد محدثا من الله و إن لم يتصف بالصدور في حال وروده فإنه وارد قديم و الورود نسبة تحدث له عند العبد الوارد عليه فالواحد صادر وارد و الآخر وارد لا غير و ما ثم قديم يرد غير الأسماء الإلهية فإن وردت من حيث العين فلا تختلف في الورود و إن وردت من حيث الحكم فتختلف باختلاف الأحكام فإنها مختلفة الحقائق إلا ما تكون عليه من دلالتها على العين فلا تختلف و سواء كان الوارد قديما أو محدثا فإن الذي ورد به لا بد أن يكون محدثا و هو الذي يبقى عند الوارد عليه و ينصرف الوارد و لا بد من انصرافه و سبب ذلك بقاء الحرمة عليه فإنه لا بد من وارد آخر يرد عليه فلا بد من القبول عليه من هذا الشخص و الإعراض عمن يكون هناك فيقع عدم وفاء باحترام الوارد الأول فلهذا يرحل بعد أداء ما ورد به فإذا ورد الوارد الثاني وجده مفرغا له فاستقبله و ما ثم خاطر يجذبه عنه بتعلقه به فكل وارد يصدر عنه بحرمته و حشمته فيثني عليه خيرا عند الله فيكون ذلك الثناء سعادته و الواردات على الحقيقة إذا كانت محدثة فما هي سوى عين الأنفاس و الذي ترد به من الأمور و الأحكام هي التي تعرفها أهل الطريق بالواردات فإن الأنفاس هي الحاملة لصور هذه الواردات فليست الواردات المحدثة فإنها بأنفسها بل هي صور الأنفاس فتختلف صورها باختلاف أحكام الأسماء الإلهية فيها فالوارد لها كالتحيز للعرض بحكم التبعية للجوهر فيه فالجوهر هو المتحيز لا العرض كذلك النفس هو الوارد لا الصورة و الفائدة في الصورة كالرسالة في الرسول فوارد بعلم و وارد بعمل و وارد جامع لهما و وارد بحال و وارد بعلم و حال و وارد بعمل و حال و وارد بعلم و عمل و حال و ذلك كوارد الصحو و السكر و أمثاله و هو أقوى الواردات و إذا كان الوارد غير محدث فهو المعبر عنه بارتفاع الوسائط بين الله و بين عبده فهو تجل من الوجه الخاص الذي لكل مخلوق فما ينقال ما يعطيه و لا ما يحصل له فيه و قليل من أهل الله من يكون له ذلك و ليس في الواردات مثله وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب السادس و الستون و مائتان في معرفة الشاهد و هو بقاء صورة المشاهد في نفس المشاهد

اسم فاعل فصورة المشهود في القلب هي عين الشاهد و به يقع النعيم للمشاهد»

مشاهدة الحق من علمنا   تحصيل شاهدها في القلوب
فيدركها بعيون الحجى   موفقة خلف ستر الغيوب
و يطلعه بدر تم علا   على شمسه في مهب الجنوب

و لما كان الشاهد حصول صورة المشهود في النفس عند الشهود فيعطي خلاف ما تعطيه الرؤية فإن الرؤية لا يتقدمها علم بالمرئي و الشهود يتقدمه علم بالمشهود و هو المسمى بالعقائد و لهذا يقع الإقرار و الإنكار في الشهود و لا يكون في الرؤية إلا الإقرار ليس فيها إنكار و إنما سمي شاهدا لأنه يشهد له ما رآه بصحة ما اعتقده فكل مشاهدة رؤية و ما كل رؤية مشاهدة و لكن لا يعلمون فما يرى الحق إلا الكمل من الرجال و يشهده كل أحد و لا يكون عن الرؤية شاهد و قال الله تعالى في إثبات الشاهد أَفَمَنْ كانَ عَلى بَيِّنَةٍ من رَبِّهِ وَ يَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ و في هذه الآية وجوه كلها مقصودة لله فيكون العبد على كشف من الله لما يريده به أو منه و ذلك لا يكون له إلا بأخبار إلهي و إعلام بالشيء قبل وقوعه و هو قول الصديق ما رأيت شيئا إلا رأيت الله قبله ثم إن ذلك الأمر لا يكون له عين إلا من اسم إلهي تكون له أثر ذلك الاسم فيقوم الاسم في قلب العبد و يحضر فيه فيشهده العبد ثم يرى ظهور ذلك الأثر و وجوده في نفسه أو في الآفاق الذي تقدم له به لإعلام الإلهي فيسمى ذلك الاسم شاهدا حيث شهده هذا العبد متعلق ذلك الأثر المعلوم عنده و هذا لا يكون إلا للكمل من الرجال فهم أصحاب شهود في كل أثر يشهدون لهم به بعد العلم به الإلهي على طريق الخبر و إنما قلنا في الوجوه إنها مقصودة لله فليس يتحكم على الله و لكنه أمر محقق عن الله و ذلك أن الآية المتلفظ بها من كلام الله بأي وجه كان من قرآن أو كتاب منزل أو صحيفة أو خبر إلهي فهي آية على ما تحمله تلك اللفظة من جميع الوجوه أي علامة عليها مقصودة لمن أنزلها بتلك اللفظة الحاوية في ذلك اللسان على تلك الوجوه فإن منزلها عالم بتلك الوجوه كلها و عالم بأن عباده متفاوتون في النظر فيها و أنه ما كلفهم من خطأ به سوى ما فهموا عنه فيه فكل من فهم من الآية وجها فذلك الوجه هو مقصود بهذه الآية في حق هذا الواجد له و ليس يوجد هذا في غير كلام الله و إن احتمله اللفظ فإنه قد لا يكون مقصودا للمتكلم به لعلمنا بقصور علمه عن الإحاطة بما في تلك اللفظة من الوجوه فإن كان من أهل الله الذين يقولون ما في الوجود متكلم إلا الله و هم أهل السماع المطلق منه فتكون تلك الوجوه كلها مقصودة لأن المتكلم الله و الشخص المقول على لسانه تلك الكلمة مترجم كما قال على لسان عبده في الصلاة سمع الله لمن حمده فالمتكلم هنا هو الله و المترجم العبد و لهذا كان كل مفسر فسر القرآن و لم يخرج عما يحتمله اللفظ فهو مفسر و من فسره برأيه فقد كفر كذا ورد في حديث الترمذي و لا يكون برأيه إلا حتى يكون ذلك الوجه لا يعلمه أهل ذلك اللسان في تلك اللفظة و لا اصطلحوا على وضعها بإزائه و هنا إشارة نبوية في قوله فقد كفر و لم يقل أخطأ فإن الكفر الستر و من لا يرى متكلما إلا الله من أهل الله و قد جعل هذا التفسير لهذه الآية مضافا إلى رأيه فقد ستر الله عن بعض عباده في هذا الوجه مع كونه حقا لإضافته إلى رأي المفسر لأن أهل اللسان ما اصطلحوا على وضع ذلك اللفظ بإزاء ذلك الوجه و لا استعاروه له لا بد من هذا الشرط و المتكلم الله به و بالوجه و الإصابة حق إذا أضيفت إلى الحق فلذلك قال عليه السلام فقد كفر

و لم يقل أخطأ و لله أن يستر ما شاء و إضافة الخطاء إليه محال فإنه لا يقبله لإحاطة علمه بكل معلوم و يكفي هذا القدر في معرفة الشاهد عند القوم وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب السابع و الستون و مائتان في معرفة النفس بسكون الفاء و هو عندهم ما كان معلولا من أوصاف العبد و هو المصطلح عليه في الغالب»

النفس من عالم البرازخ فكل سر منها يبين
مقامها في العلوم شامخ و كل صعب بها يهون
و روحها في العماء راسخ يمده روحه الأمين
منسوخها بالنكاح ناسخ و سره في الورى دفين
سامي العلى مجدها و باذخ سبحانه ما يشأ يكون

اعلم أنه لما كان الغالب في اصطلاح القوم بالنفس أنه المعلول من أوصاف العبد اقتصرنا على الكلام فيه خاصة في هذا الباب فإنهم قد يطلقون النفس على اللطيفة الإنسانية و سنومئ في هذا الباب إن شاء الله إلى النفس و لكن بما هي علة لهذا المعلول فاعلم إن لفظة النفس في اصطلاح القوم على الوجهين من عالم البرازخ حتى النفس الكلية لأن البرزخ لا يكون برزخا إلا حتى يكون ذا وجهين لمن هو برزخ بينهما و لا موجود إلا الله و قد جعل ظهور الأشياء عند الأسباب فلا يتمكن وجود المسبب إلا بالسبب فلكل موجود عند سبب وجه إلى سببه و وجه إلى الله فهو برزخ بين السبب و بين الله فأول البرازخ في الأعيان وجود النفس الكلية فإنها وجدت عن العقل و الموجد الله فلها وجه إلى سببها و لها وجه إلى الله فهي أول برزخ ظهر فإذا علمت هذا فالنفس التي هي لطيفة العبد المدبرة هذا الجسم لم يظهر لها عين إلا عند تسوية هذا الجسد و تعديله فحينئذ نفخ فيه الحق من روحه فظهرت النفس بين النفخ الإلهي و الجسد المسوي و لهذا كان المزاج يؤثر فيها و تفاضلت النفوس فإنه من حيث النفخ الإلهي لا تفاضل و إنما التفاضل في القوابل فلها وجه إلى الطبيعة و وجه إلى الروح الإلهي فجعلناها من عالم البرازخ و كذلك المعلول من أوصاف العبد من عالم البرازخ فإنه من جهة النفس مذموم عند القوم و أكثر العلماء و من كونه مضافا إلى الله من حيث هو فعله محمود فكان من عالم البرازخ بين الحمد و الذم لا من حيث السبب بل الذم فيه من حيث السبب لا عينه فكل وصف يكون لنفس العبد لا يكون الحق للنفس في ذلك الوصف مشهودا عند وجود عينه فهو معلول فلذلك قيل فيه إنه نفس أي ما شهد فيه سوى نفسه و ما رآه من الحق كما يراه بعضهم فيكون الحق مشهودا له فيه و

كذلك إذا ظهر عليه هذا الوصف لعلة كونية لا تعلق لها بالله في شهودها و لا خطر عندها نسبة ذلك إلى الله فهو معلول لتلك العلة الكونية التي حركت هذا العبد لقيام هذا الوصف به كمن يقوم مريد العرض من أعراض الدنيا لا يحركه قولا أو فعلا إلا ذلك الغرض و حبه لا يخطر له جانب الحق في ذلك بخاطر فيقال هذه حركة معلولة أي ليس لله فيها مدخل في شهودك كما قال تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيا يعني فداء أسارى بدر فأرسل الخطاب عاما في أعراض الدنيا وَ اللهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ فالعرض القريب هو السبب الظاهر الأول الذي لا تعرف العامة مشهودا سواه و الأمر الأخروي غيب عنها و عن أصحاب الغفلة لأنه مشهود بعين الايمان و قد يغيب الإنسان في وقت عن معرفة كونه مؤمنا لشغله بشهود أمر آخر لغفلته و لو مات على تلك الحالة لمات مؤمنا بلا شك مع غفلته فإن الغافل من إذا استحضر حضر و الجاهل ليس كذلك لا يحضر إذا استحضر فاعلم ذلك وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثامن و الستون و مائتان في معرفة الروح هو الملقي إلى القلب علم الغيب على وجه مخصوص»

الروح روحان روح الياء و الأمر	و الحكم يثبت بين النهي و الأمر

و ما سواه فأخبار منبئة	أن الكوائن بين السر و الجهر

و عالم البرزخ الأعلى يخلصه	عناية حاله من قبضة الأسر

قال تعالى وَ كَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا و قال يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ و قال نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ فذكر الإنذار و هكذا في قوله يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ لِيُنْذِرَ و كذلك يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا فما جاء إلا بالإعلام و فيه ضرب من الزجر حيث ساق الإعلام بلفظة الإنزال فهو إعلام بزجر فإنه البشير النذير و البشارة لا تكون إلا عن إعلام فغلب في الإنزال الروحاني باب الزجر و الخوف لما قام بالنفوس من الطمأنينة الموجبة إرسال الرسل ليعلموهم أنهم عن الدنيا إلى الآخرة منقلبون و إلى الله من نفوسهم راجعون و أما قولنا روح الياء فأردنا قوله وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي بياء الإضافة إلى نفسه ينبهه على مقام التشريف أي أنك شريف الأصل فلا تفعل إلا بحسب أصلك لا تفعل فعل الأراذل و روح الأمر قوله وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ أي من أين ظهر فقيل له قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي فما كان سؤالا عن الماهية كما زعم بعضهم فإنهم ما قالوا ما الروح و إن كان السؤال بهذه الصيغة محتملا و لكن قوي الوجه الذي ذهبنا إليه في السؤال ما جاء في الجواب من قوله مِنْ أَمْرِ رَبِّي و لم يقل هو كذا فعلوم الغيب تنزل بها الأرواح على قلوب العباد فمن عرفهم تلقاهم بالأدب و أخذ منهم بالأدب و من لم يعرفهم أخذ علم الغيب و لا يدري ممن كالكهنة و أهل الزجر و أصحاب الخواطر و أهل الإلهام يجدون العلم بذلك في قلوبهم و لا يعرفون من جاءهم به و

أهل الله يشاهدون تنزل الأرواح على قلوبهم و لا يرون الملك النا زل إلا أن يكون المنزل عليه نبيا أو رسولا فالولي يشهد الملائكة و لكن لا يشهدها ملقية عليه أو يشهدون الإلقاء و يعلمون أنه من الملك من غير شهود فلا يجمع بين رؤية الملك و الإلقاء منه إليه إلا نبي أو رسول و بهذا يفترق عند القوم و يتميز النبي من الولي أعني النبي صاحب الشرع المنزل و قد أغلق الله باب التنزل بالأحكام المشروعة و ما أغلق باب التنزل بالعلم بها على قلوب أوليائه و أبقى لهم التنزل الروحاني بالعلم بها ليكونوا على بصيرة في دعائهم إلى الله بها كما كان من اتبعوه و هو الرسول و لذلك قال أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِي فهو أخذ لا يتطرق إليه تهمة عندهم و لهذا قال القشيري في الثناء على علم أهل الله ما ظنك بعلم علم العلماء فيه تهمة لأن غيرهم من العلماء ما هم على بصيرة لا في الفروع و لا في الأصول أما في الفروع فللاحتمال في التأويل و أما في الأصول فلما يتطرق إلى الناظر صاحب الدليل إلى دليله من الدخل عليه فيه و الشبه من نفسه أو من نفس غيره فيتهم دليله لهذا الدخل و قد كان يقطع به و أهل البصائر من الله لا يتصفون بهذا في علمهم و ذلك العلم هو حق اليقين أي حق استقراره في القلب أن لا يزلزله شيء عن مقره و هذا القدر كاف في علم الروح الملقي و أما كيفية الإلقاء فموقوفة على الذوق و هو الحال و لكن أعلمك أنه بالمناسبة لا بد أن يكون قلب الملقي إليه مستعدا لما يلقى إليه و لولاه ما كان القبول و ليس الاستعداد في القبول و إنما ذلك اختصاص إلهي نعم قد تكون النفوس تمشي على الطريق الموصلة إلى الباب الذي يكون منه إذا فتح هذا الإلقاء الخاص و غيره فإذا وصلوا إلى هذا الباب وقفوا حتى يروا بما ذا يفتح في حقهم فإذا فتح خرج الأمر واحد العين و قبله من خلف الباب بقدر استعدادهم الذي لا تعمل لهم فيه بل اختص الله كل واحد باستعداد و هناك تتميز الطوائف و الأتباع من غير الأتباع و الأنبياء من الرسل و الرسل من الأتباع المسلمين في العرف أولياء فيتخيل من لا علم له أن سلوكهم إلى الباب سبب به وقع الكسب لما حصل لهم عند الفتح و لو كان ذلك لتساوى الكل و ما تساوى فما كان ذلك إلا بالاستعداد الذي هو غير مكتسب و من هنا أخطأ من قال باكتساب النبوة من النظار و لا يقول باكتسابها إلا من يرى أنها ليست من الله و إنما هي فيض من العقل و الأرواح العلوية على بعض النفوس المنعوتة بالصفاء و التخلص من أسباب الطبيعة فانتقش فيها صور ما في العالم لصفائها و صفاؤها مكتسب فما حصله صفاؤها فهو مكتسب و هذا غلط بل الصفاء صحيح و نقش صور ما في العالم صحيح في نفس من لها هذه الصفة من الاطلاع و كون هذا الشخص دون غيره من أهل الصفاء مثله رسولا و نبيا و صاحب تشريع دون غيره اختصاص إلهي ينقشه في نفسه ما في صور العالم فإن اللوح المحفوظ هو العام لما ذكرناه ففيه منقوش صورة الرسول و رسالته و صورة النبي و نبوته و صورة الولي و ولايته فإذا صفت النفس و انتقش فيها ما في اللوح لم يلزم أن يكون رسولا بل انتقش فيها من يكون رسولا و تميزت الأشياء عندها و هذا خلاف ما توهموه مما يحصل بصفاء النفوس

فانتقشت فيها المراتب و أصحابها علوا و سفلا و أما حكم الاستعداد الذي يقبل الإلقاء بالمناسبة التي هي الحبل الإلهي الحاصل في القلب الموجود بالاستعداد إذا اتصل بحضرة الحق نزل الإلقاء عليه و هو الطريق فيتنور القلب بما حصل فيه من علم الغيب و لا سيما إذا كان من العلم بالله الذي لا تعلق له بالكون كالعلم بأنه غني عن العالمين و بتنزيهه عن الأوصاف و ب لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و مثال الاستعداد و التنزل و الحبل المتصل مثل الفتيلة إذا بقي فيها النار خرج من ذلك النار شبه دخان يطلب الصعود بطبعه إلى فوق و يكون هناك سراج موقد فيضع الفتيلة الخارج منها الدخان تحت السراج و على سمته بحيث يتصل ذلك الدخان بسرعة فيتصل برأس الفتيلة فتتقد الفتيلة فتظهر صورة السراج المنير الذي منه نزل النور إليها و ينظر هل انتقص من السراج شيء أو هل حل منه فيه شيء فلا تجد مع وجود الصورة كأنه هو فمن علم سر هذا علم معنى قوله إن الله خلق آدم على صورته و علم إن الاستعداد إذا كان على المقابلة و صحة المناسبة و تعلقت الهمة الخاصة به أنه ينزل عليه بحسب ذلك و يكون النور الحاصل في الفتيلة في العظم الجرمي و الصغر بحسب كبر جرمها و صغره و تكون إضاءته بحسب صفائها و صفاء دهنها و تكون إقامته فيها بحسب كثرة دهنها و قلته فإنه الممد لبقائه فإن فهمت ما قلناه في هذا التشبيه فقد علمت علما لا يعلمه إلا العلماء بالله و تحققت إلقاء الروح على القلب علم الغيب كيف يكون و أي قلب يقبل ذلك و ما يكون عليه من الصفات و تعلم أن همة الأدنى تؤثر في الأعلى إذا تعلقت به كما وقع الجواب من الله للعبد إذا دعاه وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب التاسع و الستون و مائتان في معرفة علم اليقين و هو ما أعطاه الدليل الذي لا يقبل الدخل و لا الشبهة و معرفة عين اليقين و هو ما أعطته المشاهدة و الكشف و معرفة حق اليقين و هو ما حصل في القلب من العلم بما أريد له ذلك الشهود»

علم اليقين بعينه و بحقه تبدو دلائله على الأكوان
لو لا وجود العين في ملكوته ما قام توحيد على برهان
فانظر إلى حق اليقين و عينه في عالم الأرواح و الأبدان
تجد الذي عنه تكون سره في كل ما يبدو من الأعيان

اعلم أيدنا الله و إياك بروح منه أنا قد علمنا علما يقينا لا تدخله شبهة إن في العالم بيتا يسمى الكعبة ببلده يسمى مكة لا يتمكن لأحد الجهل بهذا و لا أن يدخله شبهة و لا يقدح في دليله دخل فاستقر العلم بذلك فأضيف إلى اليقين الذي هو الاستقرار إن لله بيتا يسمى

الكعبة بقرية تسمى مكة تحج الناس إليه في كل سنة و يطوفون به ثم شوهد هذا البيت عند الوصول إليه بالعين المحسوسة فاستقر عند النفس بطريق العين كيفيته و هيأته و حاله فكان ذلك عين اليقين الذي كان قبل الشهود علم يقين و حصل في النفس برؤيته ما لم يكن عندها قبل رؤيته ذوقا ثم فتح الله عين بصيرته في كون ذلك البيت مضافا إلى الله مطافا به مقصودا دون غيره من البيوت المضافة إلى الله فعلم علة ذلك و سببه بإعلام الله لا بنظره و اجتهاده فكان علمه بذلك حقا يقينا مقررا عنده لا يتزلزل فما كل حق له قرار و لا كل علم و لا كل عين فلذلك صحت الإضافة فلو كان علم اليقين و عينه و حقه نفس اليقين ما صحت الإضافة لأن الشيء الواحد لا يضاف إلى نفسه لأن الإضافة لا تكون إلا بين مضاف و مضاف إليه فتطلب الكثرة حتى يصح وجودها و من لم يفرق بين اليقين و العلم و يقول إن العلم هو اليقين و قد ورد في كتاب الله مضافا احتاج إلى طلب وجه في ذلك تصح له به الإضافة ليؤمن بما جاء من عند الله فقال قد يكون المعنى واحدا و يدل عليه لفظان مختلفان فيضاف أحد اللفظين إلى الآخر فإنهما غير إن بلا شك في الصورة مع أحدية المعنى و لفظة العلم ما هي لفظة اليقين فأضيف العلم إلى اليقين لهذا التغاير فصحت الإضافة في الألفاظ لا في المعنى و إنما احتال من احتال هذه الحيلة لقصور فهمه عما تدل عليه الألفاظ في الموضوعات من المعاني فلو علم ذلك لعلم أن مدلول لفظة العلم غير مدلول لفظة اليقين و إذا تقرر هذا فقد علمت معنى علم اليقين و عينه و حقه ثم بعد هذا فاعلم إن اليقين في هذه المسألة هو المطلوب و لهذا أضيفت هذه الثلاثة إليه و كان مدارها عليه فمن ثبت له القرار عند الله في الله بالله مع الله فلا بد له من علامة على ذلك تضاف إلى اليقين لأنها مخصوصة به و لا تكون علامة إلا عليه فذلك هو علم اليقين و لا بد من شهود تلك العلامة و تعلقها باليقين و اختصاصها به فذلك هو عين اليقين و لا بد من وجوب حكمة في هذه العين و في هذا العلم فلا يتصرف العلم إلا فيما يجب له التصرف فيه و لا تنظر العين إلا فيما يجب لها النظر إليه و فيه فذلك هو حق اليقين الذي أوجبه على العلم و العين و أما اليقين فهو كل ما ثبت و استقر و لم يتزلزل من أي نوع كان من حق و خلق فله علم و عين و حق أي وجوب حكمه إلا الذات الإلهية فيقينها ما له سوى حق اليقين و صورة حقها أي الوجوب علينا منها السكوت عنها و ترك الخوض فيها لأنها لا تعلم فما ثم علم يضاف إلى اليقين و لا يشهد فلا تضاف العين إلى اليقين و لها الحكم على العالم كله بترك الخوض فيها فلها الحق فأضيف إليها فلا يضاف إلى اليقين إلا ما يقبله فإن كان مما تدل عليه علامة أضيف إليه العلم و إن لم يكن فلا يضاف إليه و إن كان مما يشهد أضيفت إليه العين و إن لم يكن فلا تضاف إليه و إن كان ممن له في نفس الأمر حكم واجب على أحد من المخلوقين حتى على نفسه مثل قوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة أضيف إليه الحق فقيل حق اليقين لوجوبه و إن لم

يكن شيء مما ذكرناه فلا يضاف إلى شيء مما تقدم فقد أعطيتك أمرا كليا في هذه المسألة في كل متيقن فلك النظر في حقيقة ذلك اليقين و هذا القدر كاف وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ انتهى السفر الثامن عشر

(بسم الله الرحمن الرحيم)

«الباب السبعون و مائتان في معرفة منزل القطب و الإمامين من المناجاة المحمدية»

منزلة القطب و الإمامة　　منزلة ما لها علامة

يملكها واحد تعالى　　عن صفة السير و الإقامة

يعلوه في لونه اصفرار　　في أيمن الخد منه شامة

خفية ما لها نتو　　أيده الله بالسلامة

توجه الله بالمعالي　　في عالم الأمر في القيامة

اعلم أيدك الله بروح منه أن ممن تحقق بهذا المنزل من الأنبياء صلوات الله عليهم أربعة محمد و إبراهيم و إسماعيل و إسحاق عليهم السلام و من الأولياء اثنان و هما الحسن و الحسين سبطا رسول الله صلى الله عليه و سلم و إن كان لمن عدا هؤلاء المذكورين منه شرب معلوم على قدر مرتبته من الإمامة فاعلم إن الأقطاب و الصالحين إذا سموا بأسماء معلومة لا يدعون هناك إلا بالعبودية إلى الاسم الذي يتولاهم قال تعالى وَأَنَّهُ لَمَّا قامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ فسماه عبد الله و إن كان أبوه قد سماه محمدا و أحمد فالقطب أبدا مختص بهذا الاسم الجامع فهو عبد الله هناك ثم إنهم يفضل بعضهم بعضا مع اجتماعهم في هذا الاسم الذي يطلبه المقام فيختص بعضهم باسم ما غير هذا الاسم من باقي الأسماء الإلهية فيضاف إليه و ينادي في غير مقام القطبية كموسى صلى الله عليه و سلم اسمه عبد الشكور و داود عليه السلام اسمه الخاص به عبد الملك و محمد صلى الله عليه و سلم اسمه عبد الجامع و ما من قطب إلا و له اسم يخصه زائد على الاسم العام الذي له الذي هو عبد الله سواء كان القطب نبيا في زمان النبوة المقطوع بها أو وليا في زمان شريعة محمد صلى الله عليه و سلم و كذلك الإمامان لكل واحد منهما اسم يخصه ينادى به كل إمام في وقته هناك فالإمام الأيسر عبد الملك و الإمام الأيمن عبد ربه و هما للقطب الوزيران فكان أبو بكر رضي الله عنه عبد الملك و كان عمر رضي الله عنه عبد ربه في زمان رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى أن مات صلى الله عليه و سلم فسمي أبو بكر عبد الله و سمي عمر عبد الملك و سمي الإمام الذي ورث مقام عمر عبد ربه و لا يزال الأمر على ذلك إلى يوم القيامة و كان الحسن و الحسين رضي الله عنهما أمكن الناس في هذا المقام من غيرهما ممن اتصف به و جرت السنة الإلهية في القطب إذا ولي المقام أن يقوم في مجلس من مجالس القربة و التمكين و ينصب له فيه تخت عظيم لو

نظر إلى بهائه الخلق لطاشت عقولهم فيقعد عليه و يقف بين يديه الإمامان اللذان قد جعلهما الله له و يمد يده للمبايعة الإلهية و الاستخلاف و تؤمر الأرواح الملكية و الجن و البشر الروحاني بمبايعته واحدا بعد واحد فإنه جل جناب الحق أن يكون مصدرا لكل وارد و أن يرد عليه إلا واحد بعد واحد فكل روح يبايعه في ذلك المقام يسأله أعني يسأل الروح القطب عن مسألة من المسائل فيجيبه أمام الحاضرين ليعرفوا منزلته من العلم فيعرفون في ذلك الوقت أي اسم إلهي يختص به و قد أفردنا لهذه المبايعة كتابا كبيرا سميناه مبايعة القطب في حضرة القرب و ذكرنا فيه معاني مسائل كثيرة مما سئل عنها فأجاب و لا تبايعه إلا الأرواح المطهرة المقربة و لا يسأله من الأرواح المبايعة من الملائكة و الجن و البشر إلا أرواح الأقطاب الذين درجوا خاصة فذكرنا في ذلك الكتاب سؤالاتهم و جوابه عليها موفى و هكذا هي حالة كل قطب يبايع في زمانه فلنذكر في هذا الباب من بعض أحواله العامة لكل قطب دون الأحوال الخاصة به ليعلم الواقف على كتابي هذا صاحب الذوق المشاهد إياه أنا ما عدلنا في كتابنا هذا عن الطريقة التي لا يجهلها كل عارف من أهل هذا الشأن فلو ذكرنا الحال الخاص به ربما كان يقول هذه دعوى فلنبدأ أولا بحال الإمام الأقصى ثم الإمام الأدنى ثم القطب فأما الإمام الأقصى و هو عبد ربه فإن حاله البكاء شفقة على العالم لما يراهم عليه من المخالفات و ينظر إلى توجه الأسماء الإلهية التي تقتضي العقاب و الأخذ و لا يتجلى له من الأسماء الإلهية ما تقتضيه المخالفات من العفو و التجاوز فلهذا يكثر بكاؤه فلا يزال داعيا لعباد الله رحيما بهم سائلا الله سبحانه أن يسلك بهم طريق الموافقات و لقد عاينت في بعض سياحاتي هذا الإمام فما رأيت ممن رأيت من الصالحين أشد خوفا منه على عباد الله و لا أعظم رحمة فقلت له لم لا تأخذك الغيرة لله فقال إني لا أريد أن يغار لله من أجلي و لكن أريد أن يسأل الله من أجلي ليرحمني و يتجاوز فلا أحب لعباد الله إلا ما أحبه لنفسي و لا ينبغي للصادق مع الله أن يتصور في صورة حال لا يعطيه مقامه و لهذا الإمام قوة سلطان على الشياطين الملازمين أهل الخير و الصلاح ليصرفوهم عن طريقهم فإذا وقع نظر الشيطان على هذا الإمام و هو عند بعض الصالحين يحتال كيف يصرفه عن طريقته يذوب كما يذوب الرصاص في النار فيناديه الإمام باسمه عسى يسلم فيدبرها ربا فلا يزال ذلك الصالح محفوظا من إلقاء هذا الصنف من الشياطين إليه ما يخرجه عن صلاحه ما دام هذا الإمام حاضرا ناظرا إليه و إن كان ذلك الصالح لا يعرفه و لا يعرف ما جرى و قد عاينا هذا الطائفة فيدفع الله عن عباده بهذا الإمام الشرور التي تختص بالصالحين من عباده خاصة عناية منه بهم و من خاصية هذا الإمام التصديق بكل خبر مخبر به عن الله سواء كان ذلك المخبر صادقا في أخباره أو مفتريا فإن هذا الإمام يصدقه لكونه ناظرا إلى الاسم الإلهي الذي يتولى هذا المخبر في أخباره فإن كان صادقا فإخباره عن كشف محقق فيستوي هو و الإمام في ذلك و إن لم يكن له كشف و أخبر عما وقع عنده و هو لا يدري من أوقعه و يقصد الكذب فإن هذا الإمام يصدقه في أخباره و المخبر معاقب من الله محروم بقصده الكذب و هو في نفس الأمر ليس كذلك فوبال قصده عاد عليه فعذب إن آخذه الله بذلك و من أحوال هذا الإمام أن يسأل دائما الانتقال إلى مقام المشاهدة من الأحوال و مقام

الصلاح من المقامات و له اطلاع دائم إلى الجنان و إنما خصه الله بهذا الاطلاع إبقاء عليه فيقابل ما هو عليه من البكاء و الحزن المؤدي إلى القنوط بما يراه و يطلعه الله عليه من سرور الجنان و نعيم أهله فيه و يعاين اشتياق أهله إليه و انتظارهم لقدومه فيكون ذلك سببا لاعتداله و مقام هذا الإمام الإحسان الأول و هو قول جبريل عليه السلام لرسول الله عليه الصلاة و السلام ما الإحسان و جوابه صلى الله عليه و سلم الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه و الذي بعده ليس لهذا الإمام و بيد هذا الإمام مصالح العالم و ما ينتفعون به و هو يربي الأفراد و يغذيهم بالمعارف الإلهية و يقسم المعارف على أهلها بميزان محقق على قدر ما يرى فيه صلاح ذلك العارف لتحيا بتلك المعرفة نفسه و له السيادة على الثقلين و الحكم و التصرف فيهما بما تعطيه المصلحة لهم و من خصائص هذا الإمام الإقامة على كل ما يحصل له من الأحوال و المقامات و ليس ذلك لكل أحد فما يتصف بحال فينتقل عنه و لا بمقام و غير هذا الإمام إذا انتقل إلى مقام أو حال حكم عليه سلطان ذلك المقام و الحال و غيبه عما انتقل عنه و هذا الإمام ليس كذلك فإن المقام الذي انتقل عنه محفوظ عليه لا يغيب عنه قوة إلهية خصه الله بها و لروحه من الأجنحة مائتا جناح و أربعة أجنحة أي جناح نشر منها طار به حيث شاء و له قدم في المرتبة الثالثة و الأولى و يدعى في بعض الأحايين بالبر الرحيم و كانت بدايته من المرتبة الثالثة و نهايته إلى المرتبة الأولى فكان طريقته من غايته إلى بدايته بخلاف السلوك المعروف فرجع القهقري بقطع المقامات و الدرجات و المنازل فمن نهايته إلى بدايته تسعة عشر منزلا فيها منزل البداية و النهاية فتم منزل درجاته مائة و اثنتان و عشرة و تسعون و عشرون و ثلاثة و أربعة و ثلاثون و خمسة و أربعون و ستة و خمسون و سبعة و ستون و ثمانية و سبعون و ثمانون و تسعة و مائتان و لما كانت المراتب أربعا لا زائد عليها و كل مرتبة تقتضي أمورا لا نهاية لها من علوم و أسرار و أحوال فالمرتبة الأولى إيمان و الثانية ولاية و الثالثة نبوة و الرابعة رسالة و الرسالة و النبوة و إن انقطعت في هذه الأمة بحكم التشريع فما انقطع الميراث منهما فمنهم من يرث نبوة و منهم من يرث رسالة و نبوة معا و إذ قد ذكرنا ما لهذا الإمام الأقصى فلنذكر ما للإمام الأدنى و هو عبد الملك فنقول وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ إن لهذا الإمام من جهة روحانيته من الأجنحة تسعين جناحا أي جناح نشر منها طار به حيث شاء و كانت بدايته و نهايته في المرتبة الثانية ليس له قدم في باقي المراتب الثلاثة فلم يكن له منازل و لا درجات و لا مقامات يقطعها و لهذا الإمام الشدة و القهر و له التصرف بجميع الأسماء الإلهية التي تستدعي الكون مثل الخالق و الرازق و الملك و البارئ على بعض وجوهه و غير ذلك و ليس له تصرف بأسماء التنزيه بخلاف الإمام الذي تقدم ذكره و يلجأ إليه في الشدائد و النوازل الكبار فيفرجها الله على يده فإن الله قد جعل له عليها سلطانا و له الكرم و ليس له الإيثار لنزاهته عن الحاجة إلى ما يقع به الإيثار و له الإنعام على الخلق من حيث لا يشعرون و لقد أنعم على هذا ببشارة بشرني بها و كنت لا أعرفها في حالي و كانت حالي فأوقفني عليها و نهاني عن الانتماء إلى من لقيت من الشيوخ و قال لي لا تنتم إلا لله فليس لأحد ممن لقيته عليك يد مما أنت فيه بل الله تولاك بعنايته فاذكر فضل من لقيت إن شئت و لا تنتسب إليهم و انتسب إلى ربك و كان حال هذا

الإمام مثل حالي سواء لم يكن لأحد ممن لقيه عليه يد في طريق الله إلا لله هكذا نقل لي الثقة عندي عنه و أخبرني الإمام بذلك عن نفسه عند اجتماعي به في مشهد برزخي اجتمعت به فيه لله الحمد و المنة على ذلك و ولاة أمور الخلق راجعون إلى هذا الإمام فيولي و يعزل و يدفع الله به الشرور و له سلطان قوي على الأرواح النارية من الشياطين المبعودين من رحمة الله و يجتمع مع الإمام الأول الأقصى في درجة واحدة من خمس درجات و ينفرد عنه الإمام الأقصى بأربع درجات و قد ذكرنا من أحواله في جزء لنا في معرفة القطب و الإمامين ما فيه كفاية فلنقتصر على ما قد ذكرناه رغبة في الاختصار و إذ قد ذكرنا من أحوال الإمامين هذا القدر فلنذكر أيضا من حديث القطب ما تقع به الكفاية في هذه العجالة إن شاء الله فأما القطب و هو عبد الله و هو عبد الجامع فهو المنعوت بجميع الأسماء تخلقا و تحققا و هو مرآة الحق و مجلى النعوت المقدسة و مجلى المظاهر الإلهية و صاحب الوقت و عين الزمان و سر القدر و له علم دهر الدهور الغالب عليه الخفاء محفوظ في خزائن الغيرة ملتحف بأردية الصون لا تعتريه شبهة و لا يخطر له خاطر يناقض مقامه كثير النكاح راغب فيه محب للنساء يوفي الطبيعة حقها على الحد المشروع له و يوفي الروحانية حقها على الحد الإلهي يضع الموازين و يتصرف على المقدار المعين الوقت له ما هو للوقت هو لله لا لغيره حاله العبودية و الافتقار يقبح القبيح و يحسن الحسن يحب الجمال المقيد في الزينة و الأشخاص تأتيه الأرواح في أحسن الصور يذوب عشقا يغار لله و يغضب لله لا تتقيد له المظاهر الإلهية بالتدبير بل له الإطلاق فيها فتظهر له في تدبير المدبر روحانيته من البشر المحسوس من خلف حجاب الشهادة و الغيب لا يرى من الأشياء إلا وجه الحق فيها يضع الأسباب و يقيمها و يدل عليها و يجري بحكمها ينزل إليها حتى تحكم عليه و تؤثر فيه لا يكون فيه ربانية بوجه من الوجوه مصاحب لهذا الحال دائما إن كان صاحب دنيا و ثروة تصرف فيها تصرف عبد في مال سيد كريم و إن لم يكن له دنيا و كان على ما يفتح له لم تستشرف له نفس بل يقصد بنفسه عند الحاجة إلى بعض ما تحتاج إليه طبيعته بيت صديق ممن يعرفه يعرض عليه ما تحتاج إليه طبيعته كالشفيع لها عنده فيتناول لها منه قدر ما تحتاج إليه و ينصرف لا يجلس عن حاجته إلا من ضرورة فإذا لم يجب لجأ إلى الله في حاجة طبيعته لأنه مسئول عنها لكونه واليا عليها ثم ينتظر الإجابة من الله فيما سأله فإن شاء أعطاه ما سأل عاجلا أو آجلا فمرتبته الإلحاح في السؤال و الشفاعة في حق طبيعته بخلاف أصحاب الأحوال فإن الأشياء تتكون عن همتهم و طرحهم الأسباب عن نفوسهم فهم ربانيون و القطب منزه عن الحال ثابت في العلم مشهود فيه فيتصرف به فإن أطلعه الحق على ما يكون أخبر بذلك على جهة الافتقار و المنة لله لا على جهة الافتخار لا تطوي له أرض و لا يمشي في هواء و لا على ماء و لا يأكل من غير سبب و لا يطرأ عليه شيء مما ذكرناه من خرق العوائد و ما تعطيه الأحوال إلا نادرا لأمر يراه الحق فيفعله لا يكون ذلك مطلوبا للقطب بجوع اضطرارا لا اختيارا و يصبر عن النكاح كذلك لعدم الطول يعلم من تجلى النكاح ما يحرضه على طلبه و التعشق به فإنه لا يتحقق له و لا لغيره من العارفين عبوديته أكثر مما يتحقق له في النكاح لا في أكل و لا في شرب و لا في لباس لدفع مضرة و لا يرغب في النكاح للنسل بل

لمجرد الشهوة و إحضا ر التناسل في نفسه لأمر مشروع و التناسل في ذلك للأمر الطبيعي لحفظ بقاء النوع في هذه الدا ر فإن نكاح صاحب هذا المقام كنكاح أهل الجنة لمجرد الشهوة إذ هو التجلي الأعظم الذي خفي عن الثقلين إلا من اختصه الله به من عباده و على هذا يجري نكاح البهائم لمجرد الشهوة لكن غاب عن هذه الحقيقة كثير من العا رفين فإنه من الأسرا ر التي لا يقف عليها إلا القليل من أهل العناية و لو لم يكن فيه من الشرف التام الدال على ما تستحقه العبودية من الضعف إلا ما يجد فيه من قهر اللذة المفنية له عن قوته و دعواه فهو قهر لذيذ إذ القهر مناف للالتذاذ به في حق المقهور لأن اللذة في القهر من خصائص القاهر لا من خصائص المقهور إلا في هذا الفعل خاصة و قد غاب الناس عن هذا الشرف و جعلوه شهوة حيوانية نزهوا نفوسهم عنها مع كونهم سموها بأشرف الأسماء و هو قولهم حيوانية أي هي من خصائص الحيوان و أي شرف أعظم من الحياة فما اعتقدوه قبحا في حقهم هو عين المدح عند العا رف المكمل هذا مضى بسبيله و أما حب القطب الجمال المقيد المند رج في الجمال المطلق فذلك لقربه في المناسبة إلى الجمال فلا يحتاج فيه إلى غور بعيد و قوة يشق بها حجاب قبح الطبع إلى إدراك الجمال الإلهي المودع في ذلك القبح فالجمال المقيد يعطيه بأول وهلة مقصوده حتى يتفرغ إلى أمر آخر آكد عليه من مقاومة القبح الطبيعي لإدراك الجمال المطلق إذا لا نفاس عزيزة في دا ر التكليف و يريد أن لا يكون له نفس إلا و قد تلقاه بأحسن أدب و صرفه بأحسن خلعة و زينة و قد غاب عن هذا القد ر من المعرفة جماعة من العا رفين و أنفت نفوسهم من ذلك لمشا ركة أهل الأغراض من العامة فيه و ما علموا إن هذا الرجل له مشاهدة الجمال المطلق في الجمال المقيد و في غيره بخلاف العامة و اعلم أن القطب هو الرجل الكامل الذي قد حصل الأربعة الدنانير الذي كل دينا ر منها خمسة و عشرون قيراطا و بها توزن الرجال فمنهم ربع رجل و نصف و ثمن و سدس و نصف سدس و ثلاثة أرباع و رجل كامل فالدينا ر الواحد للمؤمن الكامل و الدينا ر الثاني للولي الخاص و الدينا ر الثالث للنبوتين و الدينا ر الرابع للرسالتين أعني الأصلية بحكم الأبوة و الوراثة بحكم البنوة فمن حصل الثاني كان له الأول و من حصل الثالث كان له الثاني و الأول و من حصل الرابع حصل الكل و القطب من الرجال الكمل و إنما قلنا من الرجال الكمل من أجل الأفراد فإنهم مكملون و من أحوال القطب تقرير العادات و الجري عليها و لا يظهر عليه خرق عادة دائما كما يظهر على صاحب الحال و لا يكون خرق العادة مقصودا له بل تظهر منه و لا تظهر عنه إذ لا اختيا ر له في ذلك كما قال العا رف أبو السعود بن الشبل في الرجل يتكلم على الخاطر و ما هو مع الخاطر فيكون في حقه بحكم الاتفاق الوجودي و في حق الله بحكم الإرادة و القصد فقد بينا بحمد الله الضروري الخاص من أحوال القطب و بينا رتبته لمن جهلها و أن الرجولية ليست فيما يتخيله الجهال من عامة الطريق بطريق الله فينحجبون بالحال عما يقتضيه العلم و المقام فيقولون كل علم لا يكون بالحال فليس بشيء فقل له لا تقل ذلك يا أخي فإنه خلاف الأمر و إنما الصحيح أن تقول كل علم لا يكون عن ذوق فليس بعلم أهل الله فأراك لا تفرق بين الحال و الذوق و ما ثم علم قط إلا عن ذوق لا يكون غير هذا و المتمكن في العبودة لا حال له البتة يخرجه عن عبودته فلو لم يكن في الأحوال

من النقص إلا أنها تخرج العبد عن مقامه إلى ما لا يستحقه و لا هو حق له حتى أنه لو مات في حال الحال لمات صاحب نقص و حشر صاحب نقص فليست الأحوال من مطالب الرجال لكن الأذواق مطالبهم و هي لهم لما يحصل لهم فيها من العلوم بمنزلة الأدلة لأصحاب النظر فيها فالله يجعلنا ممن فهم ففهم عن الله مراده وَاللهُ يَهْدِي من يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ و في هذا الباب من العلوم علم ما يستند إليه من الحضرة الإلهية و علم نسبة بنى آدم إلى الله من أسماء مخصوصة و علم ما يتقى و يحذر من العالم الروحاني و علم رجعة العالم الروحاني من أين و إلى أين و علم الصدور البشري

«الباب الأحد و السبعون و مائتان في معرفة منزل عند الصباح يحمد القوم السري

من المناجاة المحمدية و هو أيضا من منازل الأمر»

ما لفظة يقولها كل الورى | عند الصباح يحمد القوم السري
ما ذا ترى في قولهم يا من يرى | كل الأنام في الإمام و الورا
قد خاب في إنبائه من افترى | على الإله عالما بما جرى

اعلم أيدنا الله و إياك بروح منه أن هذا المنزل منزل علم السري و أهله و يتضمن معرفة عالم الخلق و الظلال و منه يعرف كسوف القمر أهل الكشف و أنه من الخشوع الطارئ عن القمر من التجلي و يتعلق بهذا المنزل علم ها روت و ما روت من علم السحر و علم طلوع الأنوار اعلم وفقك الله للقبول أن الأنوار على قسمين أنوار أصلية و أنوار متولدة عن ظلمة الكون كنور قوله تعالى وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهارَ فَإِذا هُمْ مُظْلِمُونَ و كقوله عز و جل فالِقُ الْإِصْباحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً ينظر إلى ذلك وَمن آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ من أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْها ليكون له على النور ولادة و النور المتكلم عليه في هذا المنزل هو النور المولد الزماني و هذا المنزل مخصوص بالإمام الواحد من الإمامين اللذين للقطب و هو المسمى بعبد ربه و تارة يكون هذا النور ذكرا و تارة يكون أنثى فإذا غشى الليل النهار فالمتولد منه هو النور المطلوب و هذا النور المولد الذي شرعنا فيه هو نور العصمة للنبي و الحفظ للولي و هو يعطي الحياء و الكشف التام فإنه يكشف و يكشف به و النور الأصلي يكشف و لا يكشف به لأنه يغلب على نور الأبصار فتزول الفائدة التي جاء لها النور و لهذا تلجأ نفوس العارفين بالأنوار و مراتبها إلى هذا النور المولد من الظلمة للمناسبة التي بيننا و بينه من خلق أرواحنا فإن الأرواح الجزئية متولدة عن الروح الكلي المضاف إلى الحق و الأجسام الطبيعية الظلمانية بعد تسويتها و حصول استعدادها للقبول فيظهر بينهما في الجسم الروح الجزئي الذي هو روح الإنسان ينفلق عنه الجسم كانفلاق الصباح من فالق الإصباح في الليل فتقع المناسبة بين هذا النور و بين روح الإنسان فلذلك يأنس به و يستفيد منه و هكذا أجرى الله العادة و لم يعط من القوة أكثر من هذا و لو شاء لفعل و هكذا جرت

المظاهر الإلهية المعبر عنها بالتجليات فإن النور الأصلي مبطون فيها غيب لنا و الصور التي يقع فيها التجلي محل لظهور المظهر فتقع الرؤية منا على المظاهر و لهذا هي المظاهر مقيدة بالصور ليكون الإدراك منا بمناسبة صحيحة فإن المقصود من ذلك حصول الفائدة به و بما يكون منه و هذا منزل عال كبير القدر العالم به متميز على أبناء جنسه و هو سار في الأشياء فكما أنه سبحانه ذكر أنه فَالِقُ الْإِصْبَاحِ كذلك هو فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى بما يظهر منهما فما وقعت الفوائد إلا بمثل هذا النور و كانت الأنبياء عليهم السلام تتخذه وقاية تتقي به حوادث الإكون التي هي ظلم الأغيار وكما تبين لك قدر هذا النور المولد و منزلته فلنبين ما يتخذ له وقاية و ذلك أن الوقاية لا تكون إلا من أجل الأمور التي يكرهها الإنسان طبعا و شرعا و هي أمور مخصوصة بعالم الخلق و التركيب الطبيعي لا بعالم الأمر و قد بينا في هذا الكتاب و غيره ما نريده بعالم الأمر و عالم الخلق و الكل لله تعالى قال عز و جل أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فخصه بالاسم الرب دون غيره و لما كان عالم الخلق و التركيب يقتضي الشر لذاته لهذا قال عالم الأمر الذي هو الخير الذي لا شر فيه حين رأى خلق الإنسان و تركيبه من الطبائع المتنافرة و التنافر هو عين التنازع و النزاع أمر مؤد إلى الفساد قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ من غير تعرض لمواقع الأحكام المشروعة وكذلك وقع مثل ما قالوه و رأوا الحق سبحانه يقول وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ و قال وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ فكرهوا ما كره الله و أحبوا ما أحب الله وجرى حكم الله في الخلق بما قدره العزيز العليم فما ظهر من عالم التركيب من الشرور فمن طبيعته التي ذكرتها الملائكة و ما ظهر منه من خير فمن روحه الإلهي الذي هو النور المولد فصدقت الملائكة و لذلك قال وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ و إذا كان عالم الخلق بهذه المثابة فواجب على كل عاقل أن يعتصم بهذا النور المذكور في هذا المنزل فالشرور كلها مضافة إلى عالم الخلق و الخير كله مضاف إلى عالم الأمر و اعلم أن الطبيعة لما تألفت و اجتمعت لظهور عالم الخلق بعد أن كانت متنافرة ليظهر بذلك شرف هذا النور بما يكون فيه من الخير مع تولده من هذا التركيب لقوته و غلبة عالم الأمر على نشأته دخلت في الوجود الحسي فسميت جسما و حيوانا و نباتا و جمادا و ما من شيء من هذا كله إلا و الفساد و التغيير موجود فيه في كل حال و لولا هذا النور الاعتصامي لهلك عالم الخلق جملة واحدة فأمر الله سبحانه أن يلجأ إليه بالدعاء في دفع هذه المكاره كلها فيؤيد الله هذا الروح بما يعطيه من هذا النور من الاسم الرب ليدفع به ما تقع له به المضرة من جانب ظلمة الطبع و اعلم أن مسمى الشر على الحقيقة و مسمى الخير إنما هو راجع إما لوضع إلهي جاءت به ألسن الشرائع و إما لملاءمة مزاج فيكون خيرا في حقه أو منافرة مزاج فيكون شرا في حقه و إما لكمال مقرر اقتضاه الدليل فيكون خيرا أو نقص عن تلك الدرجة فيكون شرا و إما لحصول غرض فيكون خيرا في نظره أو عدم حصوله فيكون شرا في نظره فإذا رفع الناظر نظره عن هذه الأشياء كلها لم تبق إلا أعيان موجودات لا تتصف

بالخير و لا بالشر هذا هو المرجوع إليه عند الإنصاف و التحقيق و لكن ما فعل الله سبحانه إلا ما قد حصل في الوجود من كمال و نقص و ملاءمة و منافرة و شرائع موضوعة بتحسين و تقبيح و أغراض موجودة في نفوس تنال وقتا و لا تنال وقتا و ما خلا الوجود من هذه المراتب و كلام المتكلم إنما هو بما حصل في الوجود لا بالنظر الآخر المنسوب إلى جانب الحق ثم أصل هذا الأمر كله إنما هو من جانب وجود واجب الوجود لذاته و هو الخير المحض الذي لا شر فيه و من جانب العدم المطلق الذي في مقابلة الوجود المطلق و هذا العدم هو الشر المحض الذي لا خير فيه فما ظهر من شر في العالم فهذا أصله لأنه عدم الكمال أو عدم الملاءمة أو عدم حصول الغرض فهي نسب و ما ظهر من خير فالوجود المطلق فاعله و لذلك قال قُلْ كُلٌّ من عِنْدِ اللهِ و ما هو موصوف بأنه عندك فليس هو عينك و الإعدام و الإيجاد بين إرادته سبحانه و قدرته و لهذا قلنا إن الخير فعل الحق و لم نقل في الشر فعلا و إنما قلنا إن ذلك العدم المطلق أصله فحررنا العبارة عنه ليعرف العاقل الناظر في كتابي هذا ما أردناه و إذ قد تبين هذا الأصل النافع في هذا الباب فلنقل و مما يلجأ إليه في دفع ما يكره من الأفعال ما تتلوه الشياطين على ملك سليمان من علم السحر الذي مزجوه بما أنزل على الملكين هاروت و ماروت من علم الحق فعلم الحق من ذلك هو العلم بالأمور التي تسمى معجزات فإن الحق معجز و هو النور الذي يستند إليه و علم الباطل من ذلك علم الخيال الذي قال فيه يُخَيَّلُ إِلَيْهِ من سِحْرِهِمْ أَنَّها تَسْعى و لهذا سمي السحر سحرا مأخوذ من السحر و هو اختلاط الضوء و الظلمة فالسحر له وجه إلى الظلمة و ليس ظلاما خالصا و له وجه إلى الضوء و ليس ضوءا خالصا كذلك السحر له وجه إلى الحق و هو ما ظهر إلى بصر الناظر فإنه حق و له وجه إلى الباطل لأنه ليس الأمر في نفسه على ما أدركه البصر فلهذا سمته العرب سحرا و سمي العامل به ساحر إلا العالم به و لهذا سمي كيدا من كاد يكيد أي كاد يقارب الحق قال تعالى إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً أي يقاربون الحق فيما يظهر لكم و كاد من أفعال المقاربة تقول العرب كاد العروس يكون أميرا أي قارب إن يكون أميرا قال تعالى إِنَّما صَنَعُوا كَيْدُ ساحِرٍ أي فعلوا ما يقارب الحق في الصورة الظاهرة للبصر فإذا لم يكن حقا فَما ذا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ أي كيف تصرفون عن معرفة هذه الحقائق و مما يتعلق بهذا العلم من الشر مقلوب الحمد و لهذا قال فَلا تَكْفُرْ فإن مقلوب الحمد كفر و هو الذم إذ الحمد هو الثناء على المحمود بما هو عليه من الخلال و بما يكون منه مما تعطيه مكارم الأخلاق و الذم في مقابلة ما ذكرناه قال تعالى فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُما أي من المعلمين ما يُفَرِّقُونَ به بَيْنَ الْمَرْءِ وَ زَوْجِهِ و الله قد كره ذلك و قد ذمه و ندب إلى الألفة و انتظام الشمل و لما علم سبحانه أن الافتراق لا بد منه لكل مجموع مؤلف لحقيقة خفيت عن أكثر الناس شرع الطلاق رحمة بعباده ليكونوا مأجورين في أفعالهم محمودين غير مذمومين إرغاما للشياطين و مع هذا فقد ورد في الخبر النبوي أنه صلى الله عليه و سلم قال ما خلق الله حلالا أبغض إليه من الطلاق لأنه رجوع إلى العدم إذ كان بائتلاف

الطبائع ظهر وجود التركيب و بعدم الائتلاف كان العدم فكانت الأسماء الإلهية معطلة التأثير فمن أجل هذه الرائحة كره الفرقة بين الزوجين فعدم عين الاجتماع أي هذه الحالة ارتفعت بافتراق هذين الزوجين و إن بقيت أعيانهما و إن كان الاجتماع و الافتراق و الحركة و السكون الحاصل من ذلك راجع إلى نسب معقولة لا أعيان موجودة كما يراه بعضهم و بهذا النور الخاص بهذا المنزل يندفع جميع ما ذكرناه من الشرور و ما لم نذكره مما ينطلق عليه اسم شر بالإضافة إلى ما قررناه من الكمال و الملاءمة و غير ذلك و هذا القدر من السحر الذي يعطي التفرقة هو الذي يدفعه سبب وجود هذا النور في هذا المنزل خاصة و عند الخروج من هذه السدف و الظلم بالإدلاج فيها حتى يطلع لك الصباح و تشرق الأنوار و ذلك عالم الآخرة حيث كان حينئذ تحمد مسعاك و ما فاتك بذلك السهر في سيرك من لذة النوم و الاضطجاع و السكون فوضعوا لذلك لفظا مطابقا و هو قولهم عند الصباح يحمد القوم السري و الصباح عبارة عن هذا النور و من حصل له هذا النور كان الناس فيه بين غابط و حاسد فالغابط من طلب من الله أن يكون له مثل ما حصل لهذا من هذه الحال من غير إن يسلب ذلك عن صاحبه و الحاسد من يطلب زوال هذا الأمر من صاحبه و لا يتعرض في طلبه لنيله جملة واحدة فإن طلب مع طلب إزالته من ذلك نيله فبه يقع الاشتراك بين الغابط و الحاسد و ما يقع به الاشتراك غير ما يقع به الامتياز فطلب نيل ذلك محمود و هو الغبط و طلب إزالته مذموم و هو الحسد فلذلك فصلنا فيه هذا التفصيل و إن كان الشرع قد أطلق لفظ الحسد في موضع الغبط فقال صلى الله عليه و سلم لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق فهو ينفق منه و يفرقه يمينا و شمالا و في هذا سر و تنبيه على فضل الكرم و العطاء لغير عوض فإنه من أعطى لعوض فهو شراء ليس بكرم إذ الكريم من لا يطلب المعاوضة فلذا قال يمينا و شمالا و لو عني بالشمال الإنفاق في معصية من زنا أو غيره فليس بكرم لأنه يحصل به عوضا هو أحب إليه من المال فإن قيل إن العوض له لازم فإن الثناء بالكرم لازم لذي الكرم قلنا هذا لا يقع إلا من الجاهل لأن الثناء الحسن من لوازم الكرم سواء طلبه أو لم يطلبه فاشتغاله بطلب الحاصل جهل فإن الحاصل لا يبتغى و اللازم للشيء لا بد له منه و إلا فليس بلازم فإن فعل ذلك التحق بأصحاب الأعواض و لم يتصف عند ذلك بالكرم و لا لبسه و الرجل الآخر رجل آتاه الله علما فهو يبثه في الناس أي يفرقه فيهم الحديث كما قاله عليه السلام فإنا أوردناه من جهة المعنى و بعض ألفاظه صلى الله عليه و سلم فسماه حسدا و قد يسمى الشيء باسم الشيء بما يقاربه أو يكون منه بسبب و بعد أن فصلنا ما أردنا ارتفع الإشكال فيما قصدناه و نحن إنما أردنا ما أراد الله تعالى بقوله وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ و ليس الشر في طلب نيل مثله و إنما الشر في طلب زواله ممن هو عنده و لما قلنا إن عبد الرب له خمس درجات و إنه يزيد على عبد الملك بأربع درجات كان هذا المنزل على خمس درجات و الدرجة السادسة التي لهذا المنزل فيها خلاف بين أهل هذا

الشأن فمنهم من جعلها د رجة مستقلة بنفسها لكنها فاصلة بين مقامين من المقامات الإلهية و ليس هو مذهبنا و منهم من جعلها د رجة سادسة في عين هذا المقام و هو مذهبنا و هذه الد رجة تتضمن منزلا واحدا من منا زل الغيب بالإجماع من أهل هذا الشأن و قيل ثلاث منا زل بخلاف بينهم فأما ابن برجان فانفرد دون الجماعة بإظها ر المنزل الثاني في هذه الد رجة من منا زل الغيب و لم أعلم ذلك لغيره و له وجه في ذلك و لكن فيه بعد عظيم و إن كنا نحن قد ذهبنا إلى هذا المذهب في بعض كتبنا و لكن ليس في وجوده تلك القوة و إنما يظهر عند صنعة التحليل و الكلام على المفردات من علم هذا الطريق و هو مما يتعلق بمعرفة الهوية و لهذه الد رجة تسعة عشر منزلا من منا زل الشهادة كل منزل من هذه المنا زل يمنع ملكا من التسعة عشر الذين على النا ر فلا يصيب صاحب هذه الد رجة من النا ر شيء قال تعالى عَلَيْها تِسْعَةَ عَشَرَ فلوجود هذه المنا زل في هذه الد رجة جعلت ملائكة النا ر تسعة عشر و لا نعكس فنقول من أجل هؤلاء الملائكة جعلت هذه المنا زل تسعة عشر فإن الأمر لم يكن كذلك و لم تكن هذه المنا زل بحكم الجعل بخلاف الملائكة فإن هذه الد رجة اقتضت هذه المنا زل لذاتها و قال في الملائكة وَما جَعَلْنا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً فكانوا بحكم الجعل و كانوا في عالم الشهادة لأن النا ر محسوسة مشهودة و تتضمن هذه الد رجة السادسة من العلوم علم الأسماء الإلهية المتعلقة بالكون و لها صورة في العموم من حيث الإيجاد و في الخصوص من حيث السعادة و اعلم أنه ما من منزل من هذه المنا زل التي في هذا الكتاب إلا و له هذه الد رجة و تختلف آثا رها باختلاف المنا زل إلا منزلا واحدا من منا زل القهر و سيأتي ذكره إن شاء الله وكنا قد ذكرنا في كتاب هياكل الأنوا ر هذا المنزل و ما يختص به و ما يعطيه هيكله فلينظر هناك و هو الهيكل الثاني عشر و مائة و هذه العجالة تضيق عن أسرا رها في كل منزل من هذه المنا زل المودعة فيه أعني في هذا الكتاب و كذلك المنا زلات و الفرق بين المنزل و المنا زلات ما نبينه لك و ذلك أن المنزل عبا رة عن المقام الذي ينزل الحق فيه إليك أو تنزل أنت فيه عليه و لتعلم الفرق بين إليك و عليه و المنا زلة أن يريد هو النزول إليك و يجعل في قلبك طلب النزول عليه فتتحرك الهمة حركة روحانية لطيفة للنزول عليه فيقع الاجتماع به بين نزولين نزول منك عليه قبل إن تبلغ المنزل و نزول منه إليك أي توجه اسم إلهي قبل أن يبلغ المنزل فوقوع هذا الاجتماع في غير المنزلين يسمى منا زلة و هنا يكون لصاحب هذه الحالة أحد ثلاثة أمور إما تحصل الفائدة عند اللقاء المطلوبة لذلك الاسم من هذا العبد و لهذا العبد من ذلك الاسم فينفصل عنه الاسم إلى مسماه و يرجع العبد إلى مقامه الذي منه خرج و إما أن يحكم عليه الاسم الإلهي بالرجوع إلى ما منه خرج و يكون ذلك الاسم الإلهي معه إلى أن يوصله إلى ما منه خرج و إما أن يأخذه الاسم الإلهي معه و يعرج به إلى مسماه و أي الأمرين حصل من هذا الذي ذكرنا فيسمى عندنا هذا المنزل الذي رجعا إليه بهذه الصفة الخاصة منزل المنا زلات لأنه يعطي من الأحكام خلاف ما يعطيه إذا لم يكن نزوله عن منا زلة

يعرف هذا أهل الأذواق و أهل الشرب و الري و قد جعلنا في هذا الكتاب من المنا زلات ما تقف عليه إن شاء الله و اعلم أن المنا زل لا ينطلق عليها هذا الاسم إلا عند النزول فيها فإن أقام فيها و لم ينتقل عنها حدث لها اسم الموطن لاستيطانه فيها و اسم المسكن لسكونه إليها و عدم انتقاله إلى منزل إلا أنه لا بد له أن ينتقل في نفس هذا المنزل في دقائقه بحيث لا يخرج عنه كمثل الذي يتصرف في بيوت الدا ر التي هو ساكنها فما دام العا رف مستصحبا لاسم واحد إلهي مع اختلاف تصرفه فيه كا ن موطنا له من حيث الجملة و من المحال أن يقيم أحد نفسين على حالة واحدة فلا بد له من الانتقال في كل نفس و لهذا منع بعضهم من أهل الله أن يكون الاسم موطنا أو مسكنا لأنه تخيل أن لكل نفس و كل حال اسما إلهيا و لم يد ر أن الاسم الإلهي قد يكون له حكم أو يكون له أحكام كثيرة مختلفة فيكون موطنا لهذا الشخص ما دام يتصرف تحت أحكامه فأما قولهم من المحال بقاؤه نفسين على حكم واحد على إن يكون واحد نعتا لحكم فصحيح و أما أن أ رادوا استحالة بقائه نفسين على حكم واحد على طريق الإضافة إضافة الحكم إلى الواحد فليس بصحيح فإن الوجوه لهذا الاسم الإلهي فالغفا ر يستره عن كذا و كذا و كذا بحسب المطالب التي تطلبه في كل نفس مما يصح أن يستره عنها الاسم الغفا ر على التتالي و التتابع من غير أن يتخللها ما يطلب اسما آخر و لهذا صحت فيه المبالغة لأنه يكثر منه ذلك و هكذا الخلاق و الرزاق و جميع الأسماء التي لها حكم في الكون إذا توالى على الإنسان ما يطلب هذا الاسم و لا بد فالأسماء الإلهية منا زل بوجه و مساكن و مواطن بوجه و قد بينا في هذا الباب على طريق الإشا رة و ضيق الوقت ما تقع به الفائدة لصاحب الذوق و ما نودع كل با ب مما عندنا فيه إلا نقطة من بحر محيط هذا بالنظر إلى ما عندنا فيه فكيف هو بالنظر إلى ما هو عليه في نفسه هو البحر الذي لا ساحل له و هذا المنزل من منا زل الأمر و هذه المنا زل الأمرية و إن كانت سبعة في العدد فمن حيث الأمهات و إنما هي أكثر من ذلك و لا بد لنا أن تفرغنا إليها من حصرنا إياه حتى يعلم إلى كم تنتهي من جناب الحق فإن فيها فوائد جمة هي مثبوتة في كتبنا و الله سبحانه يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ و في هذا المنزل من العلوم علم إخراج المغيبات بالأسماء الإلهية و علم الخلق و علم الغيب الداخل في الشهادة و علم الشبه و علم نفث الروح في الروع

«الباب الثاني و السبعون و مائتان في معرفة منزل تنزيه التوحيد»

بتنزيه توحيد الإله أقول ... و ذلك نور ما لديه أقول
و تنزيهه ما بين ذات و رتبة ... و إن الذي يدري به لقليل
تنزه عن تنزيه كل منزه ... فمن شاء قولا فليقل بيقول

فإن وجود الحق في حرف غيبه　　　فحرف حضور ما عليه قبول

اعلم أيدنا الله و إياك بروح منه أن المراد بلفظة تنزيه التوحيد أمران الواحد أن يكون التوحيد متعلق التنزيه لا الحق سبحانه و الأمر الآخر أن يكون التنزيه مضافا إلى التوحيد على معنى أن الحق تعالى قد ينزه بتنزيه التوحيد إياه لا بتنزيه من نزهة من المخلوقين بالتوحيد مثل حمد الحمد فإن قيام الصفة بالموصوف ما فيها دعوى و لا يتطرق إليها احتمال و الواصف نفسه أو غيره بصفة ما يفتقر إلى دليل على صدق دعواه فيتعلق بهذا فصول تدل عليها آيات من الكتاب منها هل يصح الإضمار قبل الذكر في غير ضرورة الشعر أم لا فالشاعر يقول جزى ربه عني عدي بن حاتم فأضمر قبل الذكر و لكن الشعر موضع الضرورة و من فصول هذا المنزل الأمر بتوحيد الله فلا يكون فيه توحيد الحق نفسه و يتعلق به التقليد في التوحيد لأن الأمر لا يتعلق بمن يعطيه الدليل ذلك إلا أن يكون متعلق الأمر الاستدلال لا التعريف على طريق التسليم أو الاستدلال بالتنبيه على موضع الدلالة مثل قوله إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلٰهٍ بِما خَلَقَ و كقوله لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلاَّ اللّٰهُ لَفَسَدَتا و كقوله لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ و من فصول هذا المنزل قوله تعالى ما اتَّخَذَ صاحِبَةً وَ لا وَلَداً لعدم الكفاءة إذ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ فلو كانت الكفاءة موجودة لجاز ذلك قال عز و جل وَ لا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ فجعل الكفاءة بالدين و قوله لَوْ أَرادَ اللّٰهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً فجعله من قبيل الإمكان فقال لَاصْطَفَى و الاصطفاء جعل و المجعول ينافي الكفاءة للجاعل و أين مرتبة الفاعل من المفعول و من فصول هذا المنزل التنزيه أن يكون مدركا بالمقدمات التي تنتج وجوده أو المعرفة به تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا و من فصول هذا المنزل إنه لا يكون مقدمة لإنتاج شيء للتركيب الذي يتصف به المقدمات و السبب الرابط في المقدمات فيستدعي المناسبة و المناسبة بين الخلق و الحق غير معقولة و لا موجودة فلا يكون عنه شيء من حيث ذاته و لا يكون عن شيء من حيث ذاته و كل ما دل عليه الشرع أو اتخذه العقل دليلا إنما متعلقة الألوهة لا الذات و الله من كونه إلها هو الذي يستند إليه الممكن لإمكانه فلنذكر ما يتعلق بفصول هذا المنزل على الاختصار إن شاء الله اعلم أن هذا المنزل هو الرابع من منزل العظمة في حق أصحاب البدايات و هو الحادي عشر و العاشر و مائة في حق الأكابر الروحانيين و لما كانت الحضرة الإلهية تنقسم إلى ثلاثة أقسام ذات و صفات و أفعال كان هذا المنزل أحدها و هو الثالث منها و لما كانت الصفات على قسمين صفة فعل و صفة تنزيه كان هذا المنزل صفة التنزيه منهما فأما تنزيه التوحيد فهو أن هذا التوحيد الذي ننسبه إلى جناب الحق منزه أن ينسب إلى غير الحق فهو المنزه على الحقيقة لا الحق و إنما قلنا هذا لأنه يجوز أن يوصف به غير الحق فيما يعطيه اللفظ كما وقعت المشاركة في إطلاق لفظة الوجود و العلم و القدرة و سائر الأسماء في حق الحق و الخلق فهذا المنزل ينزه هذا التوحيد المنسوب إلى الله أن يوصف به غيره فإنه توحيد الذات من جميع الوجوه و لا يوصف بهذا التوحيد غيره لا في

اللفظ و لا في المعنى و كانت ذات الحق المنسوب إليها هذا التوحيد لا يتعلق بها تنزيه لأنه لا يجوز عليها فتبعد عن وصفها الذي يجوز عليها إذ كانت في نفس الأمر منزهة لا بتنزيه منزه و أما إذا كان تنزيه التوحيد متعلقة الحق سبحانه فيكون منزها من حيث ذاته بلسان عين هذا الوصف الذي هو التوحيد له كثناء لسان صفة الكرم بالكريم لقيامه به لا بقول القائل و دليل الناظر إنه سبحانه واحد فقد كان له هذا الوصف و لا أنت و له هذا الوصف و أنت أنت و إذا كان هذا الأمر على هذا الحد فما ثم موجود يصح أن يضمر قبل الذكر إلا من يستحق الغيب المطلق الذي لا يمكن أن يشهد بحال من الأحوال فيكون ضمير الغيب له كالاسم الجامد العلم للمسمى يدل عليه بأول وهلة من غير أن يحتاج إلى ذكر متقدم مقرر في نفس السامع يعود عليه هذا الضمير فلا يصح أن يقال هو إلا في الله خاصة فإذا أطلق على غير الله فلا يطلق إلا بعد ذكر متقدم معروف بأي وجه كان مما يعرف به فيقال هو و عين محل هذا الضمير مشهود عند من لا يصح أن يقال فيه هو لحضوره عنده فيزول عنه اسم الهو بالنظر إلى ذلك و يثبت له اسم الهو بالنظر إلى من غاب عنه فإن قيل إذا صح ما قررته فإنه سبحانه مشهود لنفسه فيزول عنه الهو بالنظر إلى شهوده نفسه فإذا الهو ليس له بمنزلة الاسم العلم كما زعمت قلنا و إن شهد نفسه فإن الهوية معلومة غير مشهودة و هي التي ينطلق عليها اسم الهو هذا على مذهبنا و هو مذهب أهل الحق كيف و ثم طائفة تقول إنه لا يعلم نفسه فلا يزال الهو له منا و منه قال تعالى في أول سورة الإخلاص لنبيه عليه السلام قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ فابتدأ بالضمير و لم يجر له ذكر متقدم يعود عليه في نفس القرآن و إن كانت اليهود قد قالت له انسب لنا ربك فربما يتوهم صاحب اللسان أن هذا الضمير يعود على الرب الذي ذكرته اليهود و لتعلم إن هذا الضمير لا يراد به الرب الذي ذكرته اليهود لأن الله يتعالى أن يدرك معرفة ذاته خلقه و لذلك قال هُوَ اللهُ و ما ذكر في السورة كلها شيئا يدل على الخلق بل أودع تلك السورة التبري من الخلق فلم يجعل المعرفة به نتيجة عن الخلق فقال تعالى وَلَمْ يُولَدْ و لم يجعل الخلق في وجوده نتيجة عنه كما يزعم بعضهم بأي نسبة كانت فقال تعالى لَمْ يَلِدْ و نفى التشبيه بأحدية كل أحد بقوله وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ و أثبت له أحدية لا تكون لغيره و أثبت له الصمدانية و هي صفة تنزيه و تبرئة فارتفع إن يكون الضمير يعود على الرب المذكور المضاف إلى الخلق في قولهم له صلى الله عليه و سلم انسب لنا ربك فأضافوه إليه لا إليهم و لما نسبه صلى الله عليه و سلم بما أنزل عليه لم يضفه لا إليه و لا إليهم بل ذكره بما يستحقه جلاله فإذا ليس الضمير في هو الله يعود على من ذكر و أين المطلق من المقيد فهوية المقيد ليست هوية المطلق فهوية المقيد نسبة تتعلق بالكون فتتقيد به إذ تقيد الكون بها فيقال خالق و مخلوق و قادر و مقدور و عالم و معلوم و مريد و مراد و سميع و مسموع و بصير و مبصر و مكلم و مكلم و الحي ليس كذلك فهو هويته لا تعلق له بالكون و ليس القيوم كذلك فإذا عرفت ما ذكرناه عرفت أن الإضمار قبل الذكر لا يصح إلا على الله و بعد الذكر تقع فيه المشاركة قال تعالى الله

الَّذِي لا إِلهَ إِلَّا هُوَ فأعاد الضمير على الله المذكور في أول الآية و اعلم أن التوحيد الذي يؤمر به العبد أن يعلمه أو يقوله ليس هو التوحيد الذي يوحد الحق به نفسه فإن توحيد الأمر مركب فإن المأمور بذلك مخلوق و لا يصدر عن المخلوق إلا ما يناسبه و هو مخلوق عن مخلوق فهو أبعد في الخلق عن الله من الذي وجد عنه هذا التوحيد على كل مذهب من نفاة الأفعال عن المخلوقين و مثبتيها لأن النفاة قائلون بالكسب و غير النفاة قائلون بالإيجاد فكيف يليق بالجناب العزيز ما هو مضاف إلى الخلق و إن كنا تعبدنا به شرعا فنقرره في موضعه و نقوله كما أمرنا به على جهة القربة إليه مع ثبوت قدمنا فيما أشهدنا الحق من المعرفة به من كونه لا يعرف في لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و فيما ذكره في سورة الإخلاص و في عموم قوله بالتسبيح الذي هو التنزيه رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ و العزة تقتضي المنع أن يوصل إلى معرفته و من أسرار هذا المنزل قوله لَوْ أَرادَ اللهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً فإن كان لو حرف امتناع و لكنه امتناع شيء لامتناع غيره فهو عدم لعدم فإذا جاء حرف لا بعد لو كان لو حرف امتناع لوجود و لم يأت في هذه الآية لا فنفى الإرادة أن تتعلق باتخاذ الولد و لم يقل إن يلد ولدا فإنه يقول لَمْ يَلِدْ و الولد المتخذ يكون موجود العين من غير أن يكون ولدا فيتبنى بحكم الاصطفاء و التقريب في المنزلة أن ينزله من نفسه منزلة الولد من الوالد الذي يكون له عليه ولادة و الحقيقة تمنع من الولادة و التبني لأن النسبة مرتفعة عن الذات و النسبة الإلهية من الله لجميع الخلق نسبة واحدة لا تفاضل فيها إذا لتفاضل يستدعي الكثرة فلهذا أتى بلفظة لو و لم يجعل بعدها لفظة لا فكان حرف امتناع أي لم يقع ذلك و لا يقع لامتناع الذات إن توصف بما لا تستحقه و لهذا قال ما اتَّخَذَ صاحِبَةً وَ لا وَلَداً بعد قوله تعالى وَ أَنَّهُ تَعالى جَدُّ رَبِّنا فوصفه بالعلو عن قيام هذا الوصف لعظمة الرب المضاف إلى المربوب بالذكر فكيف بالرب من غير إضافة لفظية فكيف بالاسم الله فكيف بالذات من غير اسم فأعظم من هذا التنزيه ما يكون و أما نفي الكفاءة و المثل فربما يتوهم من لا معرفة له بالحقائق أنه لو وجدت الكفاءة جاز وقوع الولد بوجود الصاحبة التي هي كفؤ فليعلم إن الكفاءة مشروعة لا معقولة و الشرع إنما لزمها من الطرف الواحد لا من الطرفين فمنع المرأة أن تنكح ما ليس لها بكفء و لم يمنع الرجل أن ينكح ما ليس بكفء له و لهذا له أن ينكح أمته بملك اليمين و ليس للمرأة أن ينكحها عبدها و الحق ليس بمخلوق و هو الوالد لو كان له ولد و الكفاءة من جهة الصاحبة لا تلزم فارتفع المانع لوجود الولد لا لعدم الكفاءة بل لما تستحقه الذات من ارتفاع النسب و النسب و لما تستحقه أحدية الألوهة إذا لو ولد شبيه بأبيه فبطل مفهوم من حمل ما اتَّخَذَ صاحِبَةً وَ لا وَلَداً على جواز ذلك إذ كان متخذا و كان المفهوم منه و من نفي الكفء و المثل ما ذكرناه و لما كان التنزيه للذات على ما قررناه بطل أن تكون المعرفة به القائمة بنا نتيجة عن معرفتنا بنا لاستنادنا إليه من حيث إمكاننا و إن ذلك لا يتضمن معرفة ذاته بالصفة الثبوتية النفسية التي هو عليها بالأصح من ذلك إلا الاستناد لذات منزهة عما ينسب إلينا مجهولة عندنا ما ينسب إليها من حيث نفسيتها فلا

يعرف سبحانه أبدا و إذا كانت المعرفة به من النزاهة و العلو بهذا الحد فأحرى إن يكون وجوده معلولا لعلة تتقدمه في الرتبة أو مشروطا بشرط متقدم أو محققا لحقيقة حاكة أو مدلولا لدليل يربطه به وجه ذلك الدليل فلا جامع سبحانه بيننا و بينه من هذه الجوامع الأربعة فالتحقت المعرفة به منا بوجوده في النزاهة و الرفعة عن الإدراك لها و كما لم يصح أن ينتجه شيء فلا تكون هويته أيضا من حيث هويته لا من حيث مرتبته تنتج شيئًا إذ لو ارتبط به شيء من حيث هويته لارتبطت هويته بذلك الشيء فلا يصح أن يكون علة لمعلول و لا شرطا لمشروط و لا حقيقة لمحقق و لا دليلا لمدلول و لا سيما و قد قال سبحانه لَمْ يَلِدْ مطلقا و ما قيد فلو كان حقيقة لولد محققا و لو كان دليلا لولد مدلولا و لو كان علة لولد معلولا و لو كان شرطا لولد مشروطا فهو سبحانه المستند المجهول الذي لا تدركه العقول و لا تفصل إجماله الفصول فهذا أيضا وجه من وجوه تنزيه التوحيد و أما ما يتعلق بالواحد و الأحد من التوحيد في أحديته فإن لفظ الأحدية جاءت ثابتة الإطلاق على من سواه فقال وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً و إن كان المفهوم منه بالنظر إلى تفسير المعاني على طريق أهل الله أنه لا يعبد من حيث أحديته لأن الأحدية تنافي وجود العابد فكأنه يقول لا يعبد إلا الرب من حيث ربوبيته فإن الرب أوجدك فتعلق به و تذلل له و لا تشرك الأحدية مع الربوبية في العبادة فتتذلل لها كما تتذلل للربوبية فإن الأحدية لا تعرفك و لا تقبلك فيكون تعبد في غير معبد و تطمع في غير مطمع و تعمل في غير معمل و هي عبادة الجاهل فنفى عبادة العابدين من التعلق بالأحدية فإن الأحدية لا ثبت إلا لله مطلقا و أما ما سوى الله فلا أحدية له مطلقا فهذا هو المفهوم من هذه الآية عندنا من حيث طريقنا في تفسير القرآن و يأخذ أهل الرسوم من ذلك قسطهم أيضا تفسيرا للمعنى فيحملون الأحد المذكور على ما اتخذوه من الشركاء و هو تفسير صحيح أيضا فالقرآن هو البحر الذي لا ساحل له إذ كان المنسوب إليه يقصد به جميع ما يطلبه الكلام من المعاني بخلاف كلام المخلوقين و إذا علمت هذا علمت المراد بقوله جل ثناؤه لنبيه عليه السلام قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ أي لا يشارك في هذه الصفة و أما الواحد فإنا نظرنا في القرآن هل أطلقه على غيره كما أطلق الأحدية فلم أجده و ما أنا منه على يقين فإن كان لم يطلقه فهو أخص من الأحدية و يكون اسما للذات علما لا يكون صفة كالأحدية فإن الصفة محل الاشتراك و لهذا أطلقت لاحدية على كل ما سوى الله في القرآن و لا يعتبر كلام الناس و اصطلاحهم و إنما ينظر ما ورد في القرآن الذي هو كلام الله فإن وجد في كلام الله لفظ الواحد كان حكمه حكم لاحدية للاشتراك اللفظي فيه و إن كان لا يوجد في كلام الله لفظ الواحد يطلق على الغير فيلحقه بخصائص ما تستحقه الذات و يكون كالاسم الله الذي لم يتسم به أحد سواه ومما يتعلق بهذا المنزل من التنزيه الخاص به ما يحصل من المعارف التي ذكرناها في كتاب مواقع النجوم في التجلي الصمداني ولا نريد بذلك ما أراد العارف أبو عبد الله البستي في كتابه الذي جعله في عبد الرب و عبد الصمد فإن الصمد الذي نريده لا يضاف و لا

يضاف إليه فإن المتضايفين لا بد أن يكون لهما بينية فيكون بينهما نسبة رابطة بها يصح أن تكون الإضافة محققة لهما فالصمد الذي أراده البستي بعبد الصمد هو الذي يلجأ إليه و يتعلق به و يقابل بالتوجه و لهذا نهت الشريعة للمصلي إذا استتر بأصطوانة أو عصا أو مؤخرة رحل أو ما هو مثلها أن يصمد إليها صمدا و لكن ينحرف عنها قليلا يمينا أو شمالا و ليس من أوصاف التنزيه من يصمد إليه و لكنه من أوصاف الكرم فالصمدية المطلقة عن هذا التقييد هي التي تستحق أن تكون صفة تنزيه إذ لا تعلق للكون بها و هي المطلوبة في هذا المنزل و شرحها في اللغة مذكور الأسماء الإلهية و اعلم أن هذا المنزل و إن كان يطلب الأحدية و التنزيه من جميع الوجوه فإنه يظهر في الكشف الصوري المقيد بالظاهر كالبيت القائم على خمسة أعمدة عليها سقف مرفوع محيط به حيطان لا باب فيها مفتوح فليس لأحد فيه دخول بوجه من الوجوه لكن خارج البيت عمود قائم ملصق إلى حائط البيت يتمسح به أهل الكشف كما يقبلون و يتمسحون بالحجر الأسود الذي جعله الله خارج البيت و جعله يمينا له و أضافه إليه لا إلى البيت كذلك هذا العمود لا يضاف إلى هذا المنزل و إن كان منه إلا أنه ليس هو خاصا به فإنه موجود في كل منزل إلهي و كأنه ترجمان بيننا و بين ما تعطيه المنازل من المعارف و قد نبه على ذلك ابن مسرة الجبلي في كتاب الحروف له و هذا العمود له لسان فصيح يعبر لنا عما تحويه المنازل فنستفيد منه علم ذلك و من المنازل ما ندخل فيه و نمشي في زواياه فنجد الأمر على حد ما عرفناه فيه و من المنازل ما لا سبيل لنا إلى الدخول فيه مثل هذا المنزل فنأخذ من هذا العمود التعريف بحكم التسليم فإنه قد قام الدليل لنا على عصمته فيما يخاطبنا به في عالم الكشف كالرسول في عالم الحس فهو لسان حق و من الناس من يلحقه بأعمدة البيت فإن بعض الحائط عليه و لا يظهر لنا منه إلا وجه واحد و سائره مستور في الحائط فيقول بعض المكاشفين إن البيت قائم على ستة أعمدة فلا تناقض بين مثبتي الخمسة و الستة في قيام البيت عليها فقد بينا لك ذلك حتى لا تتخيل أن الحق في أحد القولين و مع إحدى الطائفتين فكل طائفة منهما صادقة فلهذا أخبرتك بكيفية ذلك و هكذا جميع ما يظهر للناس أنهم اختلفوا فيه فليس بين القوم بحمد الله خلاف فيما يتحققون به بل هم في شغلهم أصح و أحق من أهل الحس فيما يدركونه بحواسهم و اعلم أن الدخول لهذا المنزل من الدينار الثاني الذي للرجولية و النهاية فيه إلى الدينار الرابع و هو تمام الرجولية التي بها يسمى الشخص رجلا كما قد قدمناه في ترتيب الايمان و الولاية و النبوة و الرسالة و لا خامس لها يكون خامس خمسة بل قد يكون لها خامس أربعة فاعلم ذلك و إذا تفطنت إلى ما فصله الحق تعالى عرفت أنت تفصيله فيما أجمله في قوله وَ لاَ أَدْنى من ذٰلِكَ يعني الاثنين وَ لاَ أَكْثَرَ يعني السبعة فما فوقها من الأفراد ففصل الحق بقوله ما يَكُونُ من نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلّاَ هُوَ رابِعُهُمْ وَ لا خَمْسَةٍ إِلّاَ هُوَ سادِسُهُمْ و لم يقل و لا أربعة إلا هو خامسهم فعرفنا من أدنى ذلك و أكثر أنه يريد الأفراد يشفعها بما ليس منها فتحققنا إن الغيرة حكمت هنا فلم تثبت لأحد فردية إلا

شفعتها هوية الحق حتى لا تكون الأحدية إلا له فلا يشفع فرديته مخلوق و يشفع هو فردية المخلوقين و لذلك قال وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ و لم يقل و أنتم معه لأنه مجهول المصاحبة فيعلم سبحانه كيف يصحبنا و لا نعرف كيف نصحبه فالمعية له ثابتة فينا منفية عنا فيه فلم يقل و لا أربعة إلا هو خامسهم و لا اثنين إلا هو ثالثهما لأن الغيرة لا تتعلق بالشفعية في الأكوان لأن الشفع لها حقيقة و إنما تتعلق بالوترية إذا نسبت إلى الأكوان و هي لا تستحقها فنوترها بالحق ليكون الظهور له تعالى في الأشياء و هذا من أقوى الدلائل على وصفه تعالى بالغيرة لأنها مشتقة من رؤية الغير لأنه يستدعي المشاركة و الله بريء من مشاركة الغير فهو بريء أن يكون غير الأحد أو يكون أحد غير إله قال صلى الله عليه و سلم لا أحد أو كما قال أغير من الله فوصفه بالغيرة و حكمها في هذا المقام قوي فهذا قد ذكرنا نبذا مما يعطيه هذا المنزل على ضيق الوقت وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ و في هذا المنزل من العلوم علم الأحدية و الفرق بينها و بين الوحدانية و علم النسب الإلهي يقول الله تعالى يوم القيامة اليوم أضع نسبكم و أرفع نسبي أين المتقون و علم البسائط و العلم الضروري و علم التماثل وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ

(الباب الثالث و السبعون و مائتان في معرفة منزل الهلاك للهوى و النفس من المقام الموسوي)

هلاك الخلق في الريح إذا ما هب في اللوح
و لاذ بغير مولاه إله الجسم و الروح
و وعر مسلكا سهلا بما قد جاء في نوح
و في لوط فيا نفسي على ما قلته نوحي
و لو لا العشق آداه بريق من سنا يوحي

اعلم أن الله تعالى لما خلق الأفلاك و عمرها بالأملاك و قدر للكواكب السبعة السيارة فيها منازل تجري فيها إلى أجل مسمى تعين الزمان بجريانها و سباحتها و خلق المكانة قبل الأمكنة و مد منها رقائق إلى أمكنة مخصوصة في السموات السبعة و الأرض ثم أوجد المتمكنات في أمكنتها على قدر مكانتها فكان من تقدير الله العزيز العليم إن خلق عقلا من العقول أعلاما بما أودعه فيه من صفة القدرة لا من صفة غيرها خصه بذلك على أبناء جنسه و ذلك من الاسم الظاهر الذي يختص بهذا العقل فالقى إليه ذلك بضرب من القهر سار فيه مودة لها ثلج و برد و سرور فتفجرت فيه خمسة أنهار من العلم من الاسم الأول و الآخر الذي يختص به هذا العقل ثم جرت هذه الأنهار في الاسم الباطن الذي له فتقدست أوليته على سائر الأوليات و آخريته على سائر الآخريات و كذلك ظاهره و باطنه و

صدر عن أم الكتاب الذي عنده حضرة تسمى أم الجمع أدخلني الحق إياها فرأيتها و رأيت ظاهرها و باطنها و عاينت مكان هذا العقل منها نكتة سوداء مستورة نقية ما بين حمرة و صفرة و عاينت الرقيقة التي بين المكانة و هذا المكان المعين و رأيت موسى و ها رون و يوسف عليهم السلام ناظرين إلى هذا العقل و فرع سبحانه من هذه الحضرة الجامعة التي اختصها لنفسه حضرات لا يعلم عددها إلا الله في السماء و الأرض و ما بينهما و ما تحت الثرى إلى حد الاستواء كل هذه الحضرات للحق إليها نظر خاص رفعها بذلك على غيرها فلها عند من يعرفها ممن عرفه الحق بها حرمة و بروا كرام تسمى هذه الحضرات مقامات التنزيه إذا دخلتها الروحانيات العلى اكتسبت من أحوال التنزيه الإلهي ما لا يعلم قدره إلا الله و حصل لهم من الخضوع و الخشوع و الذلة و الافتقار ما لم يكن لهم قبل دخولهم و من هذه الحضرات و في هذه المقامات يحصل لهم رؤية وجه الحق في كل شيء على التمام و الكمال لكن من الرجال من يشاهدها و من الرجال من يعطيهم هذه الحال و لا يعرفها و لا يدري في أي رتبة حصلت له على قدر ما سبق به علم الله فيه فمنهم و منهم فلنرجع إلى ذلك العقل الذي ذكرناه الذي له أثر انفعال بمكانته في هذا المنزل و نذكر ما كان له و ما كان عنه و بسببه مما يختص بهذا المنزل عند كل من شاهده و شخص سبحانه مقام الصدق و الصفاء و عين فيه اثنتين و سبعين مرقاة كل مرقاة منها تعطي علوما لمن يرقى فيها للصفاء الذي استلزمته هذه الصورة فهي علوم كشف إلى أن ينتهي إلى ذروتها فتقابله حضرة الأم بذاتها فتعطيه من التنزيه الإلهي و الثناء بالوحدانية و الصدق و القهر و النصر و الإخلاص و الذلة و لما أدخلني الله هذه المراقي رأيته سبحانه قد حجبها عن الأعين بظلمة الطبيعة حجابا لا يرفع فليس اليوم لراق فيها قدم موضوعة لكنه يكاشف بها من خلف ظلمة الطبع و لا يحصل له فيها قدم كذا رأيته و رأيت معي من حقائق العارفين جملة كثيرة على مراتب مختلفة من عال و أعلى و هم فيها بهذه المثابة فأمر لهذا العقل المخصوص بهذا المنزل أن يرقى فيما شخصه مما ذكرناه و اجتمعت العقول إليه و أنا أنظر ما يصنع و ما يقول لأستفيد منه ثم رأيته شخص و لم يتكلم و لا أدري بأمر إلهي أشخص فرأيت عليه حين رجع أثر كآبة و قهر و انزعاج فعلمت أنه في مقام انذار من الإنذارات الحق للأرواح روى في خبر أن جبريل و ميكائيل عليهما السلام قعدا يبكيان فأوحى الله إليهما ما هذا البكاء فقالا إنا لا نأمن من مكرك فأوحى الله إليهما كذلك فلتكونا فلما ألقى إلينا ما ألقى إليه بخشوع و ذلة و اتفق إني اطلعت على اليسار فرأيت الهوى و الشهوة و هما يتناجيان و قد أعطى الله من القوة النافذة لهذا الهوى ما يظهر بها على أكثر العقول إلا أن يعصم الله تعالى فوقف الهوى في ذلك الموقف و قال أنا الإله المعبود عند كل موجود و أعرض عن العقل و ما جاء به من النقل فأتبعته الشياطين و الشهوة بين يديه حتى توسط بحبوحة النار ففرش له فراش من القطران و اعتمد على أمر تخيل أنه ينجيه من عذاب الله فحال الله بينه و بين من اعتمد عليه و استند إليه فهلك و من تبعه

بنعيم السعداء و كان مشهدا كريما هائلا مفزعا ما صدقنا التخلص منه أنا و كل عارف حضره معنا في ذلك اليوم ثم إني أردت أن أحيط بما في هذا المنزل من المراتب و الحقائق و الأسرار و العلوم فأخذ بيدي ذلك العقل صاحب هذا المنزل و بسببه ظهر هذا المنزل و قال لي هذا منزل الهلاك و مصرع الهلاك فرأيت فيه خمسة أبيات في البيت الأول أربع خزائن على الخزانة الأولى ثلاثة أقفال و على الثانية مثل ذلك و على الثالثة ستة أقفال و على الرابعة ثلاثة أقفال فأردت فتحها فقال لي سر حتى ترى ما في كل بيت من الخزائن و بعد ذلك تفتح أقفالها و تعرف ما فيها ثم أخذ بيدي و قمنا فخرجنا إلى البيت الثاني فدخلته فرأيت فيه أربع خزائن على الخزانة الأولى ستة أقفال و على الخزانة الثانية ثلاثة أقفال و على الخزانة الثالثة أربعة أقفال و على الخزانة الرابعة ستة أقفال ثم أخذ بيدي فخرجنا من ذلك البيت فدخلت البيت الثالث فرأيت فيه ثلاث خزائن على الخزانة الأولى خمسة أقفال و على الخزانة الثانية أربعة أقفال و على الخزانة الثالثة ستة أقفال ثم أخذ بيدي فخرجنا من ذلك البيت و كل ذلك أدخل من باب و أخرج من باب آخر فدخلت البيت الرابع و إذا فيه ثلاث خزائن على الخزانة الأولى سبعة أقفال و على الخزانة الثانية خمسة أقفال و على الثالثة خمسة أقفال ثم أخذ بيدي فخرجنا منها فدخلت البيت الخامس فرأيت فيه ثلاث خزائن على الخزانة الأولى سبعة أقفال و على الخزانة الثانية ثلاثة أقفال و على الخزانة الثالثة خمسة أقفال ثم أخذ بيدي و خرجنا نطلب البيت الأول لنفتح تلك الأقفال فنبصر ما تحوي عليه تلك الخزائن من الودائع فدخلت البيت الأول إلى الخزانة الأولى فرأيت معلقا على كل قفل مفتاحه و بعض الأقفال عليه مفتاحان و ثلاثة فرأيت على القفل الأول ثلاثة مفاتيح تحوي تلك المفاتيح على أربعمائة حركة فمددت يدي و فتحت ذلك القفل ثم رأيت على القفل الثالث كذلك ثلاثة مفاتيح تحوي على أربعمائة حركة ففتحت الثالث و رجعت إلى الثاني و عليه مفتاحان و هو قفل مطبق فهما قفلان في قفل واحد يحوي على أربع حركات في حركتين فلما فتحت الأقفال و أطلعت في الخزائن بدا لي من صور العلوم على قدر حركات مفاتيح تلك الخزانة لا تزيد و لا تنقص فرأيت علوما مهلكة ما اشتغل بها أحد إلا هلك من علوم العقل المخصوصة بأرباب الأفكار من الحكماء و المتكلمين فرأيت منها ما يؤدي صاحبها إلى الهلاك الدائم و رأيت منها ما يؤدي صاحبه إلى هلاك ثم ينجو غير أنه ليس لنور الشرع فيها أثر البتة قد حرمت صاحبها السعادة فيها من علوم البراهمة كثير و من علوم السحر و غير ذلك فحصلت جميع ما فيها من العلوم لنجتنبها و هي أسرار لا يمكن إظهارها و تسمى علوم السر و كان ممن اختص بها من الصحابة رضي الله عنهم حذيفة بن اليمان خصه بها رسول الله صلى الله عليه و سلم فلذلك كان بين الصحابة يقال له صاحب علم السر و به كان يعرف أهل النفاق حتى إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استحلفه يوما بالله هل في من ذلك شيء قال لا و لا أقوله لأحد بعدك و كان عمر بن الخطاب لا يصلي على جنازة بحضور

حذيفة حتى يرى حذيفة يقول بالصلاة عليها فإن صلى حذيفة صلى عمر و إلا فلا فمن علمها ليحذرها فقد سعد و من علمها يعتقدها و يعمل عليها فقد شقي فلما حصلتها و أحطت بها علما و نزهت نفسي بما عصمني الله به من العناية الإلهية عن العمل بها و الاتصاف بأثرها شكرت الله على ذلك و في هذه المقامات هلك كثير من سالكي هذه الطريقة لأنهم يرون علوما تتعشق بها النفوس و يكونون بها أربابا و يكونون بها أشياخا و النفوس تطلب الشفوف و الرئاسة على أبناء جنسها فيخرجون بها فيستعملونها في عالم الملك فيضلون و يضلون ف أَضَلُّوا كَثِيراً وَ ضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ثم إني انتقلت إلى الخزانة الثانية فرأيت على قفلين منها مفاتيح و القفل الثالث لا مفتاح عليه فرأيت على القفل الأول ثلاثة مفاتيح تحوي على عشر حركات ففتحته ثم جئت القفل الثاني فوجدت عليه مفتاحا واحدا يحوي على أربع حركات فأخذته و فتحت به القفل ثم جئت إلى القفل الثالث فلم أر عليه مفتاحا فحرت و لم أدر كيف أصنع فقيل لي اقرأ على كل قفل لا مفتاح له إن ربك هُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ثم قيل لي هذا القفل مفتاحه من مفاتيح الغيب لا يعلمه إلا هو فقلت ذلك فانفتح القفل و انفتحت الخزانة فرأيت صور العلوم على عدد حركات المفاتيح و رأيت صورة علم زائد على ما رأيت من الصور التي ظهرت على عدد حركات المفاتيح فقلت ما هذا العلم فقال العلم الساري في المعلومات و العلوم فجميع العلوم معلومات بهذا العلم لا بأنفسها فعلمت إن أبا المعالي الجويني لما قال إذ بالعلم يعلم العلم كما يعلم به سائر المعلومات و أراد أن العلم الذي به يعلم معلوم ما به يعلم نفس العلم و ليس الأمر كما زعم بل يعلم العلم بهذا العلم الساري فتكون العلوم به معلومة و هو لا يعلم فاعلم ذلك فهذا هو الذي أعطاه الكشف كشف المعاني لا كشف الصور و هذه العلوم التي رأيت في هذه الخزانة الثانية علوم القدرة و الاقتدار و العلوم التي تتكون عنها الأشياء و تظهر بها الأعيان المضافة إلى الأكوان و هي أعيان أفعال منسوبة إلى العباد فهذا المنزل يحكم عليها بالهلاك بسبب العلم الساري الذي صحبها و هو هلاك إضافة و نسبة لا هلاك عين فالذي هلك إنما هو نسبة هذه الأفعال إلى العباد فيعطيه هذا المنزل أن هذه النسبة ليست بصحيحة و هو عين هلاكها و أطلعه العلم الساري إنها أفعال الله فأعيان أفعال العباد بريئة من الهلاك فحصلت من هذه الحركة علوم التكوين و سر قوله كُنْ الساري في كل متكون ثم إني انتقلت إلى الخزانة الثالثة التي عليها ستة أقفال و مفاتيحها على أقفالها فعلى القفل الأول مفتاح واحد يحوي على حركة واحدة و على الثاني مفتاحان يحويان على حركتين و على الثالث مفتاحان يحويان على عشر حركات و على الرابع مفتاح واحد يحوي على ثلاثين حركة و على الخامس مفتاح واحد يحوي على خمس حركات و على السادس مفتاحان يحويان على حركتين فأخذت المفاتيح و فتحت الأقفال فلما انفتحت الخزانة رأيت جهنم تحطم بعضها بعضا و في وسطها روضة خضراء و رأيت رجلا قد أخرج من النار و وقف به في تلك الروضة ساعة ثم رد إلى النار فيعذب بستة أنواع من

العذاب ثم يعاد إلى الروضة ساعة ثم يخرج منها إلى النا ر فيعذب بستة أنواع من العذاب فحصلت من علم ما يتقى به ذلك العذاب المؤلم و النا ر المحرقة من ماء شربته من تلك الروضة كانت في تلك الشربة عصمتي ثم انتقلت إلى الخزانة الرابعة فرأيت على القفل الأول منها مفتاحا واحدا له ست حركات هندسية و على القفل الثاني ثلاثة مفاتيح تحوي الثلاثة المفاتيح على أربعمائة حركة بصنعة معلومة و على القفل الثالث و هو قفلان في قفل يعرف بالقفل المطبق مفتاحان يحويان على حركتين في أربع حركات ففتحت الأقفال فرأيت بقية علوم الخزانة الأولى من هذا البيت غير أن تلك العلوم التي في الخزانة الأولى من هذا البيت يتعلق إهلاكها بأعيان الصفات و هذه العلوم التي في الخزانة الرابعة يتعلق إهلاكها بأعيان الذوات الموصوفين بتلك الصفات الهالكة فحصلت علومها أيضا لأتقيها و أجتنب الأفعال التي تطلبها بالخاصية و صور العلوم فيها أيضا على قدر ما تحويه المفاتيح من الحركات و هكذا هي علوم هذا المنزل كلها عددها على عدد حركات مفاتيحها و لها تفاصيل و أحوال أضربنا عن ذكرها مخافة التطويل ثم انتقلنا إلى البيت الثاني لاطلع أيضا على ما في خزائنه و هي أربع خزائن فجئت الخزانة الأولى فإذا عليها ستة أقفال على القفل الأول مفتاح واحد يحوي على أربعين حركة و لم أر للقفل الثاني مفتاحا ففتحته بالاسم و رأيت على القفل الثالث مفتاحا واحدا يحوي على حركة واحدة و فتحت القفل الرابع بمفتاحين وجدتهما عليه يحويان على تسعمائة حركة كل حركة لا تشبه الأخرى و فتحت القفل الخامس بمفتاحين وجدتهما عليه يحويان على خمسين حركة هندسية و جئت القفل السادس فلم أر عليه مفتاحا ففتحته بالاسم و قد يظهر لبعض المكاشفين الداخلين هذا المنزل هذا القفل السادس و عليه مفتاحان يحويان على عشر حركات و عدم المفتاح أصح من وجوده لهذا القفل في حضرة الخطاب الفهواني و الذي يرى له المفتاح فإنما يراه من اللوح المحفوظ فلما فتحت هذه الخزانة رأيت صور العلوم المخزونة فيها على عدد حركات المفاتيح سواء لا ينقص و لا يزيد و هي علوم الفناء عن الأمر الذي يستند إليه من لا معرفة له بربه سبحانه و تعالى فحصلت جميع ما فيها من العلوم من علوم الفناء و كأنها تدل على حصر الأمور التي يستند إليها ثم خرجت من هذه الخزانة و جئت الخزانة الثانية فرأيت عليها ثلاثة أقفال على القفل الأول مفتاح و على الثاني مفتاحان و على الثالث مفتاح تحوي هذه المفاتيح على مائة و خمس و عشرين حركة ففتحت الخزانة فإذا علوم من صور علوم لا تؤخذ إلا عنه فهي مآخذ عزيزة المثال فحصلتها كلها في لحظة واحدة ثم جئت الخزانة الثالثة فإذا عليها أربعة أقفال على القفل الأول و الثالث و الرابع مفتاح مفتاح تحوي هذه المفاتيح على إحدى و سبعين حركة و القفل الثاني لا مفتاح له ففتحت تلك الأقفال بالمفاتيح و الاسم فإذا صور العلوم التي أضل بها السامري قَوْمَهُ وَما هَدى فحصلتها لأتقي شرها و أخذت بها مصرفا مرضيا عند الله لا تبعة فيه ثم جئت الخزانة الرابعة و عليها ستة أقفال على القفل الأول و الثاني و الرابع و الخامس

مفتاح مفتاح و الثالث لا مفتاح له و السادس عليه مفتاحان يحوي جميع المفاتيح على ثلاثمائة و تسع و ستين حركة ففتحت الأقفال بالاسم الإلهي و المفاتيح فرأيت صور العلوم التي تحويه و هي العلوم التي تنال بالكسب لا بطريق الوهب و هي العلوم المدركة بالفكر فحصلتها بطريق العمل حتى لا تبرح مكتسبة ثم إني خرجت إلى البيت الثالث فدخلته فرأيت فيه ثلاث خزائن فقصدت الخزانة الأولى فإذا عليها خمسة أقفال على القفل الثاني ثلاثة مفاتيح و القفل الخامس لا مفتاح له و بقية الأقفال عليها مفتاح مفتاح ففتحتها بالاسم و المفاتيح فرأيت فيها صور علوم الاصطلام و هي من علوم الأحوال فحصلتها من طريقها و خرجت عنها و قصدت الخزانة الثانية فرأيت عليها أربعة أقفال القفل الثاني و الرابع لا مفتاح عليه و القفل الأول عليه مفتاحان يحويان على خمسين حركة و القفل الثالث عليه مفتاح يحوي على مائتي حركة ففتحتها بالاسم و المفاتيح فإذا هي تحوي على علوم الخوف و المجاهدة و أحوال الشوق و الاشتياق و علم السعير من جهنم لا علم الزمهرير و علم ما يكون عنه نضج الجلود في جهنم إذ لا يكون عن النار و لا عن الزمهرير بل عذاب متولد بينهما من مجاورة كل واحد منهما لصاحبه فيتولد من امتزاجهما حالة ثالثة ليس هي عين واحد منهما تلك الحالة الحادثة هي العذاب الذي به ينضج الجلود في جهنم و علم تبديلها من أي حضرة تبدل و هو مشهد عظيم فإن التبديل قد ورد النص به في الجلود و السموات و الأرض و نفاه عن الخلق فقال لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ و نفاه عن القول الإلهي فقال ما يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ و قال لا تَبْدِيلَ لِكَلِماتِ اللهِ كل هذا تتضمنه هذه الخزانة ثم جئت الخزانة الثالثة فرأيت عليها ستة أقفال فيها شبه بأقفال الخزانة التي خرجت منها إلى هذه فالقفل الثاني لا مفتاح له و القفل الأول له مفتاحان و القفل الثالث عليه ثلاثة مفاتيح و القفل الرابع و الخامس لكل واحد منهما مفتاح و القفل السادس عليه مفتاحان تحوي هذه المفاتيح على ألف و مائة و سبع و ثلاثين حركة ففتحتها بالاسم و المفاتيح فإذا فيها صور علوم الارتقاءات و المعارج و معرفة اليوم الذي مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ و لكن إذا كانت الارتقاءات و المعارج من المريدين لا من المرادين فتكون عن شوق و مجاهدة و رياضة و مكابدة ثم جئت إلى البيت الرابع فدخلته فإذا فيه ثلاث خزائن الخزانة الأولى عليها سبعة أقفال القفل الثاني منها لا مفتاح عليه و القفل الأول له مفتاح فيه ست حركات و القفل الثالث يحوي مفتاحه على أربعين حركة و بقية الأقفال تحوي على ستمائة حركة و ست حركات فجميع حركات مفاتيحها ستمائة و اثنان و أربعون حركة ففتحتها فإذا فيها علم النكاح و كيف يصحب الإنسان زوجته إذا كانت لا تعينه على طاعة ربه و يقف على قوله وَلا تَعاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوانِ و هل يستعين الإنسان في عبادة ربه في وضوئه بغيره من صب الماء عليه إذا توضأ فإن بعض العلماء كره ذلك و قد رأى النفيس ابن وهبان السلمي في واقعته كراهة ذلك من النبي صلى الله عليه و سلم و أخبرني به فمن هذه الخزانة يعرف ذلك ثم جئت الخزانة الثانية فرأيت عليها خمسة أقفال القفل الثاني

منها مطبق و القفل الثالث لا مفتاح له و الأول له مفتاح و كذلك الثاني و الخامس و أما الرابع فله ثلاثة مفاتيح تحوي هذه المفاتيح على أربعمائة و ثمان و سبعين حركة ففتحتها فإذا هي تناسب التي قبلها و تزيد عليها بأمور ليست فيها ثم جئت الخزانة الثالثة فإذا عليها خمسة أقفال القفل الأول لا مفتاح له و الثاني و الثالث و الرابع ذو مفتاح مفتاح و الخامس مفتاحان تحوي هذه المفاتيح على ست و أربعين حركة ففتحتها فإذا هي معرفة الحجارة التي توقد بها النار في الآخرة و كيف تكون الحجارة تقبل الوقود و هي يابسة و اليابس لا يقبل الوقود في علم الطبائع و هل يجوز ما طبعه أمر ما أن يزال عنه طبعه مع بقاء عينه و ذاته فإن في هذا العلم زل كثير و جهل ممن أثبت ذلك و نفاه و كلتا الطريقتين غير محمودتين و لا صحيحتين و كل واحد منهما أثبته من غير وجهه و نفاه من غير وجهه قال تعالى يا نارُ كُونِي بَرْداً و شبه هذا ثم جئت البيت الخامس فرأيت فيه ثلاث خزائن الخزانة الأولى عليها سبعة أقفال القفل الأول و الثاني و الثالث و الرابع لكل واحد منها مفتاحان و الخامس و السادس لكل واحد مفتاح و السابع لا مفتاح له تحوي هذه المفاتيح على مائة و ثلاث عشرة حركة ففتحتها فإذا فيها علوم الحس و المحسوس و الخيال و المتخيل و الفكر و ما يفكر فيه و الحافظ و المحفوظ و العقل و المعقول و جميع القوي التي تدرك بها العلوم و معرفة الجماعات و الأنوار و الاستشرافات و مجاري الأرواح في طرق السموات و مجاري الطبيعة في الحيوانات و النبات و الجماد و ما يختص به عالم الأنفاس من العلوم و يقف على نفس الرحمن الذي أتى من قبل اليمن إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم جئت الخزانة الثانية فرأيت عليها ثلاثة أقفال على الأول و الثالث مفتاح مفتاح و على الثاني مفتاحان تحوي هذه المفاتيح على أربعين حركة ففتحتها فإذا فيها علم الأسباب العامة في الوجود و الخاصة بأهل الله و أسباب النزول المضافة إلى الله التي يعتمد عليها و يوصل إلى الله من يعتمد عليها و طرد من يتركها من باب الله و من سعادته و هي علوم شريفة زهد فيها أكثر الناس فشقي و استعملها بعض الناس فسعد و تحوي على علم الشرائع المنزلة لا علم الشريعة الحكمية ثم جئت الخزانة الثالثة فرأيت عليها خمسة أقفال القفل الأول عليه مفتاح و كذلك بقية الأقفال و تحوي أقفالها على أربعمائة و أربع و ثلاثين حركة ففتحتها فإذا فيها صور علوم الالتفاف التفاف الأرواح بالأجساد و التفاف أرواح المحبين و المحبوبين و التفاف الساقين و التفاف اللام بالألف و معنى قوله وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ و التفاف المتضايفين و هذه كلها علوم الارتباطات رب و مربوب و إله و مألوه و قادر و مقدور و عالم و معلوم فهذه الخزانة تتضمن جميع العلوم فهذا قد ذكرنا جميع ما يحويه هذا المنزل من خزائن العلوم قال تعالى وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزائِنُهُ وَما نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ غير أني تركت عند الدخول إلى هذا المنزل بيتا واحدا في دهليز هذا المنزل لا يفتح لكل أحد و قد فتح لي و دخلته و

عرفت ما فيه و هو يتضمن و يخزن فيه جميع مفاتيح الخزائن كلها التي تتضمنها هذه المنازل التي في هذا الكتاب و هو يحوي على أمور جليلة و للعارف به تحقق في إيجاد الكائنات عنه وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ و قد نبهنا على بعض ما في هذا المنزل من العلوم

(الباب الرابع و السبعون و مائتان في معرفة منزل الأجل المسمى من العالم الموسوي)

أتتك فتوح الكون بالبلد القفر مؤيدة بالعز و القسر و النصر
و بالليلة الغراء جاءت ركائب من العالم العلوي في كنف الغفر
فراجع إذا راجعت ربك وحده بتنزيه إيمان تولد عن ذكر
يراجعك من عرش و إن شاء من عمي بغير هواء حار في كونه فكري

قال تعالى ثُمَّ قَضىٰ أَجَلاً و هو نهاية عمر كل حي يقبل الموت وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ و هو ميقات حياة كل من كان قبل الموت في حياته الأولى و هو المعبر عنه بالبعث و لذلك قال تعالى ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ يعني فيه فإن الموت لا يمترون فيه فإنه مشهود لهم في كل حيوان مع الأنفاس و إنما وقعت المرية في البعث و هو الأجل المسمى المذكور و إنما لم يجعل أجل الموت مسمى لأن الله يقول وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللّٰهُ فاستثني طائفة لا يصعقون فلا يموتون فأما أن يكونوا لكونهم على حقائق لا تقبل الموت فيكون استثناء منقطعا و إما أن يكونوا على مزاج يقبل الموت لكن لم يسمعوا النفخ فلم يدركهم فلم يصعقوا فيكون استثناء متصلا فاعلم أيها السامع أن أهل الله إذا جذبهم الحق إليه سبحانه من مريد و مراد جعل في قلوبهم داعية إلى طلب سعادتهم فبحثوا عليها و فحصوا عنها و وجدوا في قلوبهم رقة و خشوعا و طلبا للسلامة مما الناس عليه من التكالب و التحاسد و التدابر و التنافر فإذا وفوا مكارم الأخلاق أو قاربوا ذلك وجدوا في أنفسهم داعية إلى الخلوات و الانفراد عن الناس فمنهم من أخذ في السياحة و لازم الجبال و الفلوات و منهم من كانت سياحته في البلاد كل ما أنس به أهل بلدة أو عرف فيها رحل عنها إلى غيرها و منهم من عزل في مسكنه بيتا و انفرد به و احتجب عن الناس كل ذلك ليقع له التفرد بالحق الذي دعاه إليه و الأنس به لا ليعلم و لا ليجد كونا من الأكوان من خرق عادة في ظاهر الحس أو في سره فلا يزال على كل ما ذكرناه إلى أن ينقدح له في نفسه لبعضهم أو في خياله لبعضهم أو من خارج لبعضهم من جانب الحق ما يحول بينه و بين نفسه و يستوحش من ذلك الوارد عليه و يطلب الأنس بالمخلوق في تلك الساعة فإذا سكت حكم الوارد عنه و عاد إلى حسه اشتاق إليه اشتياقا شديدا و استفرغ في محبة ذلك الوارد استفراغا عظيما و وجد حلاوته عند فقده و سرت اللذة في حسه و روحه و يأتيه في ذلك الوارد خطاب و تعريف بحاله أو بما يدعى إليه كإبراهيم بن أدهم حين نودي من قربوس سرجه ليس لهذا

خلقت و لا بهذا أمرت و آخر قيل له إن كنت تطلبني فقد فقدتني في أول قدم و آخر قيل له أنت عبدي فإن كان صاحب هذا الانقطاع من أصحاب الجبال و القفار جعل له الأنس في الحيوان و إن كان سائحا في البلدان جعل له الأنس في الحركة ما بين المدينتين و إن كان ممن لزم بيته جعل له الأنس في الروحانيات و كل هذا ابتلاء إلا أن يجعل الله له الأنس في الأرواح النورية الملكية فهذا يرجى فلاحه بل يتحقق و هي بشرى من الله سارعت إليه عناية منه به و ما عدا هذا فهو على خطر عظيم فليعمل في قطعه ثم إنه منهم من يظلم عليه الجو عند الوارد فيجد لذلك غما و ضيق صدر و عصرا في قلبه فليصبر فإنه يعقبه اتساع و انشراح ثم لا تزال الأرواح تلزمه في عالم خياله في أكثر حالاته و تظهر له في الحس في أوقات فلا يرمي بذلك و لا يزهد فيه و يتعمل في إزالة التعلق به و يقف مع الفائدة التي يأتيه بها فذلك المطلوب فإن سمع خطابا من وراء حجاب نفسه فليلق السمع و هو شهيد و يع ما يسمع فإن اقتضى الكلام جوابا على قدر فهمك فلتجب بقدر فهمك فإن رزقت العلم بذلك فهي العناية الكبرى و إن لم يقتض جوابا فلتحصل ما قيل لك في خزانة حفظك فإن له موطنا يحتاج إليه فيه و لا بد فيكون عندك بحكم الاستعداد لذلك الوقت فإن الله سبحانه يقول أعددت فإذا كان الحق مع نفوذ قدرته في الآن قد أعد أمور الأوقات ظهور أحكامها فالمخلوق أولى بهذا و قال وَإِنْ من شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ و إن هنا بمعنى ما فعم بها و بشيء و جعله مخزونا في خزائن غيبه عنا و لهذا قلنا إن الكون صادر من وجود و هو ما تحويه هذه الخزائن إلى وجود و هو ظهورها من هذه الخزائن لأنفسها بالنور الذي تكتشف به نفسها فإنها في ظلمة الخزائن محجوبة عن رؤية ذاتها فهي في حال عدمها و قال وَما نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ فما يتميز عنده إلا ما هو موجود له و لا يجري القدر إلا في عين مميزة عن غيرها و ليس هذا صفة المعدوم من كل وجه فدل ذلك كله على وجود الأعيان لله تعالى في حال اتصافها بالعدم لذاتها و هذا هو الوجود الأصلي الإضافي و العدم الإضافي فثبتت الأحوال للعالم و لكل ما سوى الله و أن الوجود ليس عين الموجود إلا في حق الحق سبحانه حتى لا يكون معلولا لوجوده فإنه لو كان معلولا لوجوده لكان حالا له تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فإذا خلص الإنسان بعد خروجه من ظلمة طبعه و هواه إلى نور عقله و هداه أربعين صباحا ظهر عنه مثل ما ظهر له و أخذ عنه مثل ما أخذ و تلك أول درجة الدينار الثالث و أول قيراط منه و لا يزال فيه حتى يجب عليه أن يطلب على من يأخذ عنه فإذا وجب عليه ذلك وجوبا شرعيا كفروض الأعيان كلها كان ذلك أول قيراط من الدينار الرابع و سمي رجلا عند ذلك و إن لم يحصل له هذا الوجوب فليس برجل فكمال الرجولية فيما ذكرناه و سواء كان ذكرا أو أنثى و أما الكمال الذاتي و هو غير كمال الرجولية فهو أن لا يتخلل عبوديته في نفسه ربانية بوجه من الوجوه فيكون وجودا في عين عدم و ثبوتا في عين نفي و لذلك أوجده الحق فكمال الرجولية عارض و كمال العبودة ذاتي فبين المقامين ما بين الكمالين و أما درجات منازل هذين الكمالين

فمعلومة عندنا حيث هي فدرجة الكمال الذاتي في نفس الحق و درجات الكمال العرضي في الجنان فلهؤلاء النور و لهؤلاء الأجور قال تعالى لَهُمْ أَجْرُهُمْ يعني من كمالهم العرضي و ما يستحق الأجر من كل أمر عرضي و لهم نُورُهُمْ من كمالهم الذاتي اللهُ نُورُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ و تقول الرسل قاطبة و هم الكمل بلا خلاف إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللهِ فإن ذلك المقام يعطي الأجر و لا بد فيقع التفاضل في الكمال العرضي و لا يقع في الكمال الذاتي قال تعالى تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ و قال هُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ اللهِ و لم يقل لهم درجات عند الله فجعلهم أعيان الدرجات لأنهم عين الكمال الذاتي و بالكمال العرضي لهم الدرجات الجنانية فاعلم ذلك جعلنا الله ممن جمع بين الكمالين فإن حرمنا الجمع فالله يجعلنا من أهل الكمال الذاتي بمنه و كرمه و أنا أرجو من الله إني قد حصلته تحصيلا لا يحال بي دونه بحسن ظني بربي فما أعلاه من مشهد فإذا حصل للعبد هذا الكمال العرضي و رأى الإجابة الكونية لندائه من غير طلب دليل و لا برهان علم قطعا إن الحق قد تجلى لقلوب عباده و أنه سبحانه قد رفع الوساطة في أمره بينه و بين قلوب عباده فإن أمره سبحانه برفع الوسائط لا يتصور أن يعصى لأنه بكن إذ كن لا تقال إلا لمن هو موصوف بلم يكن و ما هو موصوف بلم يكن ما يتصور منه إباية و إذا كان الأمر الإلهي بالوساطة فلا يكون بكن فإنها من خصائص الأمر العدمي الذي لا يكون بواسطة و إنما يكون الأمر بما يدل على الفعل فيؤمر بإقامة الصلاة و إيتاء الزكاة فيقال له أقم الصلاة و آت الزكاة فاشتق له من اسم الفعل اسم الأمر فيطيعه من شاء منهم و يعصيه من شاء منهم فإذا أطاعوه كما قد ذكرنا بهذا التجلي الإلهي لقلوب عباده الذي لا يحتاج فيه المأمور إلى دليل و لا برهان لوجود الإجابة من نفسه ضرورة لأن الضرورة إنما تصورت هنا لكون الإنسان لا يقدر على دفع ما تكون في نفسه فإن كن إنما تعلقت بما تكون في نفس الإنسان فكان الحكم لما تكون فيمن تكون فآمن و لا بد أو صلى و لا بد أو صام و لا بد على حسب ما تعطيه حقيقة الأمر الذي تعلق به كن و قد يرد أمر الواسطة و لا يرد الأمر الإلهي فلا يجد المخاطب آلة يفعل بها فيظهر كأنه عاص و إنما هو عاجز فاقد في الحقيقة لأنه ما تكون فيه ما أمر به أن يتكون عنه و الله الغني الحميد و اعلم أن الفتوح الإلهي الذي يتعلق بالكون مثل النصر على الأعداء و القهر لهم و الرحمة بالأولياء و العطف عليهم إنما هو من نتائج الرجولة لا من غيرها فإذا حصل هذا المقام و أكمل نشأته ناداه الحق في سره من كماله سبحانه لكمال العبد الذاتي فنزه ذات موجدة عن الكمال العرضي و هو الكمال الإلهي فإن الكمال الإلهي بالفعل فهو في نفوذ الاقتدار في المقدورات و نفوذ الإرادة في المرادات و ظهور أحكام الأسماء الإلهية و الكمال الذاتي للذات الغني المطلق عن هذا كله فيكون العبد في هذا المقام لا يشهد ذات موجدة من كونها موصوفة بالألوهة و إنما مشهده غناها عما تستحقه الألوهة من الآثار الكونية فيفتقر إليها افتقارا ذاتيا فهو في عبادته تلك صاحب عبادة ذاتية من غير اقتران أمر بها لأن الأمر إنما متعلقة الأمور العارضة لا الذاتية فلا يقال

للعبد كن عبدا فإنه عبد لذاته و إنما يقال له اعمل كذا أيها العبد و عمله أمر عرضي و العمل متعلق الأمر من العبد و قد يعمل و قد لا يعمل و هذا المنزل يعطي جميع ما ذكرناه و يكون تنزيهه لذات موجدة بما يستحقه من الثناء الذي يليق بالكمال الذاتي ثم إنه بما فيه من الكمال العرضي الذي هو كمال الرجولة قد يصدر عنه الثناء بما يستحقه الإله عارضا بعارض و لكن لا بطريق التنزيه فإن طريق التنزيه إنما هو للذات كما قال لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ للكمال الذاتي وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ للكمال الإلهي لطلب المسموع و المبصر و كل طالب يستدعي مطلوبا و المستدعي فاقد لما استدعاه من أحوال هذا العبد و الله غني حميد فلسان الأدب أن يقال طلبك لك لا له و في هذا ينبغي أن يقال ما قيل

كتاب فيه ما فيه بديع في معانيه

إذا عاينت ما فيه رأيت الدر يحويه

و هو هذا المنزل و هذا الكلام الذي سردناه و الكتاب الذي سطرناه ففيه ما فيه لسان الحقيقة يدل على إن الأمر فوق ما ذكر و سطر و ليس في قوة الترجمة عنه و العبارة أكثر مما ظهر و الله أكبر من ذلك ثم ستر هذا اللسان الحقيقي بقوله بديع في معانيه فكأنه يقول في قوله ما فيه على طريق التعجب به و الفرح و لهذا نبه على ذلك بما ذكره في البيت الثاني ثم إن الثناء على الله في هذا المنزل خاصة إنما هو بما تستحقه الربوبية لما خصصتك به من الفضل على أبناء جنسك لا بما تستحقه بما فضلت به على غيرك و ما أنعمت به على سواك فإن هذا المنزل لا يتضمن مثل هذا الثناء فيستعين العبد في هذا المنزل على تنزيه الحق بثناء الربوبية على نفسها من جهة ما خصتك به ثم إن العبد بعد استفراغ طاقته في الثناء على ربه بربه من جهة نعمته عليه لاح له علم إلهي في فلاة نفسه عن يمين طريقه فعرف أنه قد زل عن طريق ينبغي أن يسلك أيضا عليها و هنا مسألة دقيقة و هي تختص بهذا المنزل و ذلك أنه لما قيد ثناءه على ربه بما خصه به ربه هل ذلك نقص في المعرفة أو في معرفته أو ليس في الوسع إلا ما وقع و إذا لم يكن في الوسع فقد أتى بكمال ما في الوسع و ذلك أنه إذا أثنى على ربه بما كان منه سبحانه لغير هذا العبد المثنى فلا يخلو إما أن يثني عليه بما تحققه علما في نفسه و لا يكون إلا كذلك فقد صار هو منعوتا بذلك العلم و إن لم تقم به تلك الأوصاف التي وقع بها الثناء على الغير فوصفه بالعلم بذلك ثناء منه على ربه بما خصه به من العلم بذلك و هو صفة إلهية فإن الحق سبحانه يثني على عبده بما ليس هو الحق عليه و لا هي صفته فالثناء على الله من ذلك وصفه سبحانه بالعلم بذلك و الخلق له فيثني على العبد بالطاعة و ليست من صفات الحق كذلك هذا العبد إذا أثنى على ربه بما أعطى لغيره فثناؤه على ربه بما أعطاه في نفسه هو ما حصل له من ربه من العلم بذلك فاذن فما أثنى على ربه إلا بما خصه به سواء أثنى على ربه بما أعطاه سبحانه

لغيره أو لم يذكر الغير و لا تعرض له فتحقق هذه المسألة فإنها من الحقائق و الحقائق لا تقبل التبديل و هذا المنزل من حصل فيه يعطيه ما ذكرناه فإذا لاح له ذلك العلم الذي ذكرناه ستره نظره إليه عما هو عليه و عرف أن ذلك العلم يدل على أمر غيبي ينبغي له أن يبقيه في غيبه و لا يظهره و يرجع من حال الخطاب بالمواجهة و الحضور إلى الخطاب بالغيبة فإنه أنزه لأن الحقائق تعطي أنك ما حضرت إلا معك فإن الأمر إذا أعطى للحاضر في حضوره مع من حضر أنه لا يتمكن أن يحضر معه الأعلى حد ما تعطيه مرتبتك فمعك حضرت لا معه فإنه ما تجلى لك منه إلا قدر ما تعطيه مرتبتك فافهم ذلك تنتفع به و لا يغب هذا عنك في رجوعك إليه مما رجعت عنه لئلا تتخيل إنك رجعت إلى أعلى منك فإنك ما رجعت منك إلا إليك و الحق سبحانه لا يرجع إليك إلا بك لا به لأنه ليس في الوسع أن يطيقه مخلوق و لهذا تتنوع رجعاته و تختلف تجلياته و تكثر مظاهره و لا تتكرر و هو في نفسه منزه عن التكثر و التغير لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فيما ينسب إلى ذاته قال تعالى ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا فرجوع العباد إليه نتيجة رجوعه إليهم بإعطاء ما رجعوا به إليه فإذا رجعوا إليه ضاعف لهم الرجوع الإلهي الذي ينتجه رجوعهم إليه الذي هو في نفسه ينتجه رجوعه الأول إليهم فالرجوع الإلهي الأول رجوع عناية و تفضل و الرجوع الثاني الذي أنتجه رجوعهم إليه سبحانه في قوله من تقرب إلى شبرا تقربت منه ذراعا فمقدار الشبر من الذراع في الرجوع رجوع استحقاق يستحقه رجوعهم إليه و الشبر الثاني الذي به كمال الذراع من الرجوع رجوع منه لترجيح الوزن و الوصف بالفضل و الترغيب و التحضيض على معاملة الكريم فالرجوع الإلهي الثاني يتضمن أمرين رجوع الاستحقاق منه بمنزلة الجسد و رجوع المنة منه بمنزلة الروح للجسد الذي به حياته فإنه و إن كان الاستحقاق بما أوجبه الحق على نفسه فإن الحقيقة تعطي أن لا يستحق العبد شيئا على سيده فمن منته سبحانه على عبد إن أوجب له على نفسه ليأنس العبد بما أوجبه الحق عليه من طاعته ليسارع بأداء ما وجب عليه فإذا حصل العبد في هذا المقام فليس وراءه مرمى لرام و يعلم أن الله قد أراد أن ينقله من عالم شهادته إلى عالم غيبه ليكون له غيبه شهادة في موطن آخر غير هذا الموطن له حكم آخر و هو الموطن الذي تكون فيه المظاهر الإلهية و هو أوسع المواطن فلهذا عبر عن هذا المنزل بالأجل المسمى لأنه أجل البعث إليه من عالم الشهادة المقيد بالصورة التي لا تقبل التحول في الصور لكن تقبل التغيير و هو زوال عينها بغيرها لذلك الغيب الذي كانت به فيدبر الروح الغيبي صورة ذلك الغير فلهذا قلنا يقبل التغيير و لا يقبل التحويل فإن الحقائق لا تتبدل فانتقاله إلى موطن التحول في الصور يسمى أجلا مسمى أي معلوم النهاية و كان من المقام الموسوي دون غيره لأنه لم يرد في الخبر أنه عليه السلام رأى في إسرائه من جمع بين صورتين سوى موسى عليه السلام فرآه في السماء و كان بينهما ما كان و هو في قبره يصلي و النبي يراه صلى الله عليه و سلم عليهما في الحالتين معا و لا يقال في مثل هذا الكشف إن الآن لا يتسع لأمرين متعارضين في الشخص الواحد

فصحيح ما يقول و لكن أين الآن هنا إنما ذلك لمن تقيد بالزمان و تعين بالمكان فإذا كان الموجود لا يتقيد بالزمان و لا بالمكان فلا يستحيل هذا الوصف عليه و إذا فهمت ما أشرنا إليه لم يعارض ما ذهبنا إليه و ذكرناه كون الإسراء وقع بالليل و هو الزمان و كون موسى عليه السلام في القبر و السماء و هما المكان فإنك أنت تسلم من مذهبك إن الجسم لا يكون في مكانين و أنت تؤمن بهذا الحديث فإن كنت مؤمنا فقلد و إن كنت عالما فلا تعترض فإن العلم يمنعك و ليس لك الاختيار فإنه لا يختبر إلا الله و لا تتأول أن الذي في الأرض غير الذي في السماء فإن النبي عليه السلام ما قال رأيت روح موسى و لا جسد موسى و إنما قال رأيت موسى في السماء و معلوم أنه مدفون في الأرض و كذلك سائر من رآه من الأنبياء عليهم السلام فالمسمى موسى إن لم يكن عينه فالإخبار عنه كذب إنه موسى هذا و أنت القائل رأيتك البارحة في النوم و أنت تقول كذا و كذا و المرئي معلوم أنه كان في منزله على حالة غير الحال التي رآه عليها أو عليها و لكن في موطن آخر و لا تقول له رأيت غيرك ثم تنكر علينا مثل هذا و إنما تختلف الحضرات و المواطن و تختلف الأحوال و العين واحدة فهذا قد ذكرنا بعض ما يحوي عليه هذا المنزل و سكتنا عن بيوته و خزائنه فما من منزل إلا و له بيوت و خزائن و أقفال و مفاتيح و لكن يطول ذكرها في كل منزل و ربما إذا بيناها يدعيها الكاذب وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ و في هذا المنزل علم إتيان المعاني في الصور و علم الفتوح و له باب قد تقدم و علم الوافدين على الحق و علم التنزيه و علم الستر و التجلي و علم الرجوع الإلهي على من يرجع هل يرجع على عباده أو على أسمائه

«الباب الخامس و السبعون و مائتان في معرفة منزل التبري من الأوثان من المقام الموسوي و هو من منازل الأمر السبعة»

منازل الأمر بالندا ... منازل ما لها انتها
يا أي يا أي لا تفارق ... فكونكم ما له انقضا
و أي أي يكون منه ... لوجهه بيننا رآء
عساكر للحروف جاءت ... يضيق عن حملها الفضاء
أرماحها كلها نجوم ... أيدها الأمر و القضاء
سفائن بحرها عميق ... قد مخرت ريحها رخاء
فلتلتزم يا أخي علما ... ضاق له الأرض و السماء

و لتترك الغير في عماه بمشهد ما هو العماء

اعلم أن الذلة و الافتقار لا تكون من الكون إلا لله تعالى فكل من تذلل و افتقر إلى غير الله تعالى و اعتمد عليه و سكن في كل أمره إليه فهو عابد وثن و ذلك المفتقر إليه يسمى وثنا و يسميه المفتقر إلها و ألطف الأوثان الهواء و أكثفها الحجارة و ما بينهما و لهذا قال المشركون لما دعوا إلى توحيد الإله في ألوهته أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلٰهاً واحِداً إِنَّ هذا لَشَيْءٌ عُجابٌ فالناس يحملون قوله إِنَّ هذا لَشَيْءٌ عُجابٌ إنه من قول الكفار حيث دعاهم إلى توحيد إله و هم يعتقدون كثرتها و هو عندنا من قول الحق أو قول الرسول و أما قول الكفار فانتهى في قوله إلٰهاً واحِداً و التعجب إنه بأول العقل يعلم الإنسان أن الإله لا يكون بجعل جاعل فإنه إله لنفسه و لهذا وقع التوبيخ بقوله تعالى أَتَعْبُدُونَ ما تَنْحِتُونَ و الإله في ضرورة العقل لا يتأثر و قد كان هذا خشبة يلعب بها أو حجرا يستجمر به ثم أخذه و جعله إلها يذل و يفتقر إليه و يدعوه خوفا و طمعا فمن مثل هذا يقع التعجب مع وجود العقل عندهم فوقع التعجب من ذلك ليعلم من حجب العقول عن إدراك ما هو لها بديهي و ضروري ذلك لتعلموا إن الأمور بيد الله و أن الحكم فيها لله و أن العقول لا تعقل بنفسها و إنما تعقل ما تعقله بما يلقي إليها ربها و خالقها و لهذا تتفاوت درجاتها فمن عقل مجعول عليه قفل و من عقل محبوس في كن و من عقل طلع على مرآته صدا فلو كانت العقول تعقل لنفسها لما أنكرت توحيد موجدها في قوم و علمته من قوم و الحد و الحقيقة فيهما على السواء فلهذا جعلنا قوله تعالى إِنَّ هذا لَشَيْءٌ عُجابٌ ليس من قول الكفار فاعلم يا أخي أن هذا المنزل هو منزل من منازل الستر و الكتمان و تقرير الألوهة في كل من عبد من دون الله لأنه ما عبد الحجر لعينه و إنما عبد من حيث نسبة الألوهة إليه و لهذا ذكرنا أنه من منازل الكتمان و الستر قال تعالى وَقَضى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ الله فما ذكروا قط إلا الألوهية و ما ذكروا لأشخاص و لكن لم يقبل الله منهم العذر بل قال إِنَّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ الله أي الذي انفرد بهذا الاسم حَصَبُ جَهَنَّمَ و هو قوله وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجارَةُ و هو كل من دعاكم إلى عبادة نفسه أو عبدتموه و كان في وسعه أن ينهاكم عن ذلك فما نهاكم فمثل هؤلاء يكونون من حصب جهنم فالموحد يعبد الله من طريقين من طريق الذات من كونها تستحق وصف الألوهة و من طريق الألوهة فالسعيد الجامع بينهما لأن العابد مركب من حرف و معنى فالحرف للحرف و المعنى للمعنى فلذلك لم نعبد الذات معراة عن وصفها بالألوهية و لم تعبد الألوهية من غير نسبتها إلى موصوف بها فلم تقم العبادة إلا على ما تقتضيه حقيقة العبد و هو التركيب لا على ما تقتضيه حقيقة الحق و هو الأحدية و لهذا يكون القائل في عبادته وفاء لحق الله غير مصيب إذا أراد الذات فإن حقيقتها الأحدية و قد يمكن أن يصح قول من قال إنما أعبده وفاء لحق الربوبية لا لحقيقتها إذ كل حق له حقيقة فالحق من ذلك به تتعلق العبادة من العابد و الحقيقة هي الأحدية التي لا تتعلق و لا يتعلق بها و لهذا كانت

الألف في الوضع الإلهي بالخط العربي إذا تقدمت في الكلمة لا تتصل و لا يتصل بها و إذا تأخرت اتصل بها بعض الحروف ممن لا علم له بالأحدية المطلقة التي تستحقها هذه الذات إلا خمسة أحرف لا غير من جميع الحروف و هي الدال و الذال و الراء و الزاي و الواو و هي خمسة أحوال من اتصف بها عرف الأحدية و كانت عبادته ذاتية لم يقترن بها أمر و هي عبادة المعنى للمعنى فإن الأمر عبادة الحرف للحرف فلا يخطر لعابد المعنى فرق بين الذات و الألوهية و لا كثرة بل يرى عينا واحدة تستحق ما هو عليه هذا العارف من حيث معناه لا من حيث حرفه و هذا مقام الجلال و العظمة و أحدية العبد التي أعطته معرفة الأحدية الذاتية و التنزيه و الغني فهذه أحوال خمسة تدل عليها الحروف الخمسة التي لا تتصل بها الألف الواقعة في أواخر الكلم مثل جبيرا و عزيزا و أحدا و إذا و علوا فدلت الألف في أول الكلمة من عدم الاتصال على قوله كان الله و لا شيء معه و هو على ما عليه كان مع وجود الأشياء من عدم الاتصال كما لم تتصل الألف بالكلمة و دل عدم اتصال الحروف الخمسة بها في آخر الكلمة على حال معرفة مقام بعض العباد من العلماء بالله دون غيرهم حيث رفعوا النسبة بينهم و بين الله تعالى و أنهم مشاهدون لما ذكرناه من الجلال و العظمة و الأحدية و التنزيه و الغني و ما عدا هذه الطائفة جعلوا نسبة و رابطة بين الإله و المألوه و ما فرقوا بين المرتبة و الذات لما لم يعرفوا الله إلا من نفوسهم بحكم الدلالة لاستناد الممكن إلى المرجح فطلبوه و طلبهم و لهم من الحروف كل حرف اتصل بالألف في آخر الكلمة و لهؤلاء الأكابر أيضا قسم و حظ وافر في منزل هذه الحروف التي اتصلت من حيث حرفيتهم لا من حيث معناهم و هؤلائك جهلوا هذا القدر الفارق بينهم لكنهم ستروا ذلك عن العامة و انفردوا به عن أشكالهم يختص برحمته من يشاء و لأجل هذا قال الجنيد سيد هذه الطائفة لا يبلغ أحد درج الحقيقة حتى يشهد فيه ألف صديق بأنه زنديق فإن هذا المقام يضر بمن ليس من أهله كما يضر رياح الورد بالجعل لأن الحال التي هم عليها لا تقبل هذا المقام و لا يقبلها فإذا رآهم الناس في العموم لم يعرفوهم لأنه ليس على حرفهم أمر ظاهر يتميز به عن العامة و إذا رآهم الناس في الخصوص كالفقهاء و أصحاب علم الكلام و حكماء الإسلام قالوا بتكفيرهم و إذا رآهم الحكماء الذين لم يتقيدوا بالشرائع المنزلة مثل الفلاسفة قالوا إن هؤلاء أهل هوس قد فسدت خزانة خيالهم و ضعفت عقولهم فلا يعرفهم سواهم و من اقتطعهم من خلقه إليه قال تعالى في المعنى وَما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ و لهؤلاء حظ وافر في هذه الآية حيث جهلهم العام و الخاص و المسلم و غير المسلم فهم الضنائن المصانون بحجب الغيرة فلا يعرفهم إلا الحق و هل يعرف بعضهم بعضا فيه توقف و هم المطلوبون من العباد ألحقنا الله بهم و أرجو أن أكون منهم و أما تبري المسلم ممن استند إليه المشرك فليس تبرؤه إلا من النسبة و من المنسوب إليه لا من المنسوب فاجتمع المشرك و المسلم في المنسوب و افترقا في المنسوب إليه و النسبة و لهذا لم تضرب الجزية على المشرك و فرق بينه و بين الكفار من أهل الكتب المنزلة فإن

المشرك قادح في الحق و في الكون بشركه فلم يكن له مستند يعصمه من القتل لأنه قدح في التوحيد و في الرسل و الكفا ر من أهل الكتاب لم يقدحوا في التوحيد و لا في الكون أعني الرسل لكن قدحوا في رسول معين لهوى أو شبهة قائمة بنفوسهم أداهم ما قام بهم إلى جحود الحق ظلما و علوا مع اليقين به و إما لشبهة قامت بهم لم يثبت صدق صاحب الدعوى عندهم فلهذا كان لهم في الجملة مستند صحيح عندهم لا في نفس الأمر يعصمهم من القتل فضربت عليهم الجزية و تركوا على دينهم ليقيموه أو يقيموا بعضه على قدر ما يوفقون إليه و هنا نكتة لمن فهم إن دينهم مشروع لهم بشرعنا حيث قررهم عليه و لهذا كان رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا سمع أن الروم قد ظهرت على فارس يظهر السرور في وجهه مع كون الروم كافرين به صلى الله عليه و سلم و لكن الرسول لعلمه صلى الله عليه و سلم كان منصفا لأنه علم إن مستند الروم لمن استند إليه أهل الحق لأنهم أهل كتاب مؤمنون به لكنهم طرأت عليهم شبهة من تحريف أئمتهم ما أنزل عليهم حالت بينهم و بين الايمان و الإقرار بنبوة محمد صلى الله عليه و سلم أو بعمومها و كلامنا مع المنصف منهم من علمائهم فعذرهم الشرع لهذا القدر الذي علمه منهم و راعى فيهم جناب الحق تعالى حيث وحدوه و ما أشركوا به حين أشرك به فارس و عبدة الأوثان و قدحت في توحيد الإله و ما يستحقه من الأحدية و هكذا حال العارفين من أهل هذا المقام و أما قول رسول الله صلى الله عليه و سلم في أمره إيانا بمخالفة أهل الكتاب إنما هو في كونهم آمنوا ببعضه و كفروا ببعضه و أرادوا أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذٰلِكَ سَبِيلًا فأمرنا بمخالفتهم في أمور من الأحكام معينة و فيما ذكرناه و لو أمرنا بمخالفتهم على الإطلاق لكنا مأمورين بخلاف ما أمرنا به من الايمان فلا تصح مخالفتهم على الإطلاق فهذا المراد بقوله صلى الله عليه و سلم خالفوا أهل الكتاب و اعلم أن كل مشرك كافر فإن المشرك باتباع هواه فيمن أشرك و اتخذه إلها و عدوله عن أحدية الإله يسترها عن النظر في الأدلة و الآيات المؤدية إلى توحيد الإله فسمي كافرا لذلك الستر ظاهرا و باطنا و سمي مشركا لكونه نسب الألوهية إلى غير الله مع الله فجعل لها نسبتين فأشرك فهذا الفرق بين المشرك و الكافر و أما الكافر الذي ليس بمشرك فهو موحد غير أنه كافر بالرسول و ببعض كتابه و كفره على وجهين الوجه الواحد أن يكون كفره بما جاء من عند الله مثل كفر المشرك في توحيد الله و الوجه الآخر أن يكون عالما برسول الله و بما جاء من عند الله أنه من عند الله و يستر ذلك عن العامة و المقلدة من أتباعه رغبة في الرئاسة و هو الذي أراد عليه السلام بقوله في كتابه إلى قيصر فإن توليت فإن عليك إثم اليريسيين يعني الأتباع و اعلم أن التأيه و النداء مؤذن بالبعد عن الحالة التي يدعوه إليها من يناديه من أجلها فيقول يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فلبعدهم مما أيه بهم أن يؤمنوا به لذلك أيه بهم فإن كانوا موصوفين في الحال بما دعاهم إليه فيتعلق البعد بالزمان المستقبل في حقهم أي اثبتوا على حالكم الذي ارتضاه الدين لكم في المستقبل كما قال يعقوب لبنيه وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ في حال حياتهم فأمرهم بالإسلام في المستقبل أي

بالثبوت عليه و الاستقبال بعيد عن زمان الحال فيكون التأيه أيضا بما هو موجود في الحال أن يكون باقيا في المستقبل قال تعالى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ و هم في حال الوفاء بعقد الايمان فإنه نعتهم في تأيهه بهم بالإيمان فكان البعد في العقود إذا قبلوها متى قبلوها و اعلم أن النداء الإلهي يعم المؤمن و الكافر و الطائع و العاصي و الأرواح و الروحانيين و لا يكون النداء إلا من الأسماء الإلهية ينادي الاسم الإلهي من حكم عليه اسم إلهي غيره إذا علم أنه قد انتهت مدة حكمه فيه فيأخذه هذا الاسم الذي ناداه كذلك دنيا و آخرة فجميع من سوى الله تعالى منادى يناديه اسم إلهي لحال كوني يطلبه به ليوصله إليه فإن أجاب سمي مطيعا و كان سعيدا و إن لم يجب سمي عاصيا و كان شقيا فإن قال قائل كيف يكون النداء من اسم إلهي و يقف الكون عن إجابته مع ضعفه و قبوله للاقتدار الإلهي قلنا لم تكن إبايته عن إجابته من حيث نفسه و حقيقته لأنه مقهور دائما و لكن لما كان تحت قهر اسم إلهي لم يتركه ذلك الاسم أن يجيب من ناداه فالتنازع وقع بين الأسماء الإلهية و هم أكفاء و الحكم لصاحب اليد و هو الاسم الذي هو في يده في وقت نداء الاسم الآخر فلهذا كان أقوى للحال فإن قلت فلما ذا يؤاخذ بالإباءة قلنا لأنه ادعى الإباية لنفسه و لم يضفها إلى الاسم الإلهي الذي هو تحت قهره فإن قلت فالأمر باق فإنه إنما أبي لقهر اسم إلهي كانت الإباية عنه في هذا المدعو قلنا صدقت و لكنه جهل ذلك فأخذ بجهله فإن الجهل له من نفسه فإن قلت فإن جهله من اسم إلهي حكم عليه قلنا الجهل أمر عدمي لا وجودي و الأسماء الإلهية تعطي الوجود ما تعطي العدم فالعدم للمدعو من نفسه و الجهل عدم العلم فلم يدر المعترض ما اعترض به و الأسماء الإلهية لا تعطي إلا الوجود فلم يلزم ما ذكرته و انقطع الاعتراض من هذا القائل بما ذكرناه و إذا ثبت أن النداء يعم فالمنادي به أيضا يعم و لكن نداء الحق لا يكون إلا بما يكون في إجابته السعادة للعبد و أما النداء بما يكون فيه الشقاوة للعبد فذلك ليس نداء الحق و النداء من صفة الكلام فكل فعل يفعله العبد ينقسم إلى أمرين إلى فعل فيه سعادة ذلك العبد و هو الذي يقترن به نداء الحق تعالى و فعل لا يقترن به سعادة العبد فليس عن نداء الحق لكنه عن إرادة الحق و خلقه لا عن ندائه و أمر شرعه و نفي السعادة فيه على قسمين الواحد أن يكون فعلا لا يقترن به شقاوة و لا سعادة أو يكون فعلا تقترن به شقاوة و الفعل الذي تقترن به الشقاوة على قسمين قسم تقترن به على الأبد و هي شقاوة الشرك و شقاوة لا تقترن به على الأبد و هو كل فعل لا يكون شركا و لا نداء للحق فيه البتة فهذا المنزل هو منزل النداء لا منزل الأفعال و سيأتي إن شاء الله منازل الأفعال و يشتبه على بعض العارفين هذا المنزل و إخوانه بمنزل الأفعال لكونه يرى النداء بالأفعال و ليس المنزل واحدا في ذلك بل النداء له منزل و الفعل له منزل و اعلم أن النداء على مراتب لكل مرتبة أداة معينة فالأدوات الهمزة و يا و أيا و هيأ و أي مسكنة الياء فأقربها الهمزة في الرتبة و أبعدها هيأ و النداء قد يصحبه التنبيه و قد لا يصحبه التنبيه فإذا كان النداء بأي فهو نكرة فلا بد من التنبيه لأن

النداء إنما يطلب التعريف و هو بنفس المنادي فلا بد أن يصحب هاء التنبيه لأي في النداء لأن التنبيه تعريف ثم يردف التنبيه باسم المنادي ليعرف المنادي أنه منادى دون غيره فإن كان اسمه ناقصا كالذين فلا بد له من صلة و هو الذي يصفه به ليتم به المقصود و لا بد من رابط بين هذه الصلة و الموصول ليعلم أنه المراد بذلك النداء و إن لم يردف باسم ناقص لم يحتج إلى ما ذكرناه فيقال يا أَيُّهَا النَّاسُ و أمثال هذا و أما إذا لم يقترن بالنداء أي فإن النداء يتصل باسم المنادي و قد يكون منادى منكورا مطولا مثل قوله تعالى يا حَسْرَةً عَلَى الْعِبادِ و مثل قوله يا عجبا قال الشاعر

يا عجبا لهذه الفليقه   هل تذهبين القر بالريقة

و قد يكون منادى يعرف مثل يا جِبالُ أَوِّبِي مَعَهُ و لا يكون ما بعد النداء أبدا إلا منصوبا إما لفظا و إما معنى و لهذا عطف بالمنصوب على الموضع في قوله تعالى وَ الطَّيْرَ بالنصب عطفا على موضع يا جبال و إن كان مرفوعا في اللفظ فقد يراعي اللفظ في أوقات و لهذا قرئ أيضا و الطير بالرفع و لكل فصل من هذه الفصول حقائق إلهية لو لا التطويل لذكرناها فصلا فصلا فتركناها لمن يقف على كلامنا من العارفين كالتنبيه لهم على ما يتضمنه منزل النداء من المعاني الإلهية و أن الكون مرتبط بعضه ببعض ارتباط المعاني بالكلمات و ربما جعلوا الواو من أدوات النداء و لكن خصوها بنداء خاص لحال خاص بخلاف سائر الأدوات فخصوها بالاندتاب فينادون الميت و أجبلاه و اسنداه و به يعذب الميت الملك يطعنه في خاصرته أن هكذا كنت و يقولون وا زيداه وا سلطاناه و لا بد في هذا النداء من إدخال الهاء هاء السكت في آخره لأنه ليس من شرط هذا النداء أن يقال بعده شيء فلهذا أدخل هاء السكت عليه فيكتفي به فيقول وا جبلاه وا حزناه و لا يحتاج إلى أمر آخر و إذا قلت يا زيد و ناديته بسائر حروف النداء من غير نداء الندبة فلا بد أن تذكر السبب الذي ناديته من أجله فتقول يا جِبالُ أَوِّبِي مَعَهُ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا فلا تكون هاء السكت إلا في نداء الندبة خاصة و أما النداء المرخم فإنهم يريدون به تسهيل الكلام ليخف على المنادي ليصل إلى المقصود مسرعا بما حذفه من الكلمة فإن الترخيم التسهيل و منه رخيم الدلال في وصف المعشوق المستحسن أي هو سهل و مثل الترخيم في المرخم هو أن تحذف الآخر من اسم المنادي فتقول إذا ناديت من اسمه حارث يا حار هلم فحذفت آخر الكلمة طلبا للتسهيل و لتعلم إن الأسماء و أسماء الأفعال على قسمين معرب و مبني فما تغير آخره بدخول العوامل سمي معربا و الإعراب التغيير يقال أعربت معدة الرجل إذا تغيرت و قد تغير هذا الاسم من حال إلى حال هذا بعض وجوه اشتقاقه من كونه سمي معربا و المبني هو كل اسم لفعل كان أو لغير فعل ثبت على صفة واحدة لفظه و لم يؤثر فيه دخول العوامل التي تحدث التغيير في العرب عليه فسمي مبنيا من البناء لثبوته و عدم قبوله للتغيير و هذا له باب في الصفة الثبوتية

للاله من كونه ذاتا و من ثبوت نسبة الألوهية إليه دائما و المعرب له باب في المعا رف الإلهية من قوله كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ و سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلانِ فهذا الفرق بين المعرب و المبني فإذا رخم الاسم فقد ينتقل إعرابه إلى آخر ما يبقى من حروف الكلمة فتقول يا حا ر هلم بعد ما كانت الراء مكسورة نقل إليها حركة الثاء ليعرف السامع أنه قد حذف من الاسم حرف فإنه إنما يعرف المنادي اسمه إذا كان اسمه حا رثا بالثاء فإذا حذف الثاء ربما يقول ما هو أنا فإذا نقل إلى الراء حركة الثاء علم أنه المقصود كذلك إذا نودي العبد باسم إلهي ربما يقع في نفسه أنه جدير بذلك الاسم فينقل وصف عبوديته إلى ذلك الاسم الإلهي الذي نودي به هذا العبد فيعرف أنه المقصود من كونه عبدا لاستصحاب الصفة له هذا إذا نقل و إذا لم ينقل حركة المحذوف من الاسم لما بقي و ترك على حاله كان القصد في ذلك قصدا آخر و هو ترك كل حق على حقيقته حتى لا يكون لكون أثر في كون و لا يظهر لكون خلعة على كون ليكون المنفرد بذلك هو الله تعالى فإن الضمة التي على الثاء من حا رث هي لباسه فإذا خلعها على الراء في الترخيم فقد خلع كون على كون فربما قصده المخلوع عليه بالعبودية له و الثناء عليه و الخلع على الحقيقة إنما هو للمتكلم المنادي لا لحرف الثاء فالمنادي هو الذي خلع على الراء الرفع الذي كان لحرف الثاء لما أزال عينه من الوجود كخلع القطبية و الإمامة من الشخص الذي فقد عينه إلى الشخص الذي قام في ذلك المقام إذ كان الله هو الذي أقامه لا هذا الإمام الذي درج فهذا قد بينا في هذا المنزل بعض ما عندنا من أسرا ره ليقع التنبيه على ما فيه للطالب إن شاء الله تعالى وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب السادس و السبعون و مائتان في معرفة منزل الحوض و أسرا ره من المقام المحمدي»

الحوض منزل وصف الماء بالكدر ... و هي العلوم التي تختص بالبشر
فالماء في العين صاف ما به كدر ... و القعر يظهر ما فيه من الكدر
و علة الرنق كون الفكر ينتجه ... فاطلب من العلم ما يسمو عن الفكر
إن الخيال إذا جاءته قيدها ... بالفكر في عالم الأجساد و الصور
و الفكر من صورها وقتا يخلصها ... لكنه غير معصوم من الضرر
فاطلبه بالذكر لا بالفكر تحظ به ... منزها خالصا من شائب الغير

اعلم أيها الولي الحميم نور الله بصيرتك و حسن سريرتك أن العلوم على قسمين موهوبة و هو قوله تعالى لَأَكَلُوا من فَوْقِهِمْ و هي نتيجة التقوى كما قال تعالى وَ اتَّقُوا اللهَ وَ يُعَلِّمُكُمُ اللهُ و قال إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً و قال الرَّحْمنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ و مكتسبة و إليها الإشا رة

بقوله تعالى وَمن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ يشير إلى كدهم و اجتهادهم و هم أهل الاقتصاد و الضمير في أرجلهم يعود على الذين أكلوا من فوقهم و هم الذين أقاموا كتاب الله وَما أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ من رَبِّهِمْ و هم المسارعون في الْخَيْراتِ وَهُمْ لَها سابِقُونَ فمنهم من سبق بالخيرات و منهم من أقام الكتاب من رقدته فإن التأويل من العلماء أضجعه بعد ما كان قائما فجاء من وفقه الله فأقامه من رقدته أي نزهة عن تأويله و التعمل فيه بفكره فقام بعبادة ربه و سأله أن يوقفه على مراده من تلك الألفاظ التي حواها الكتاب و التعريف من المعاني المخلصة عن المواد فأعطاهم الله العلم غير مشوب قال تعالى وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يعلمهم الحق ما يؤول إليه هذا اللفظ المنزل المرقوم و ما أودع فيه من المعاني من غير فكر فيه إذ كان الفكر في نفسه غير معصوم من الغلط في حق كل أحد و لهذا قال وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ رَبَّنا لا تُزِغْ قُلُوبَنا يعني بالفكر فيما أنزلته بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا إلى الأخذ منك علم ما أنزلته إلينا وَهَبْ لَنا من لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ فسأله من جهة الوهب لا من جهة الكسب و لهذا جعلنا الضمير يعود على الذين أكلوا من فوقهم يقول و من تحت أرجل هؤلاء أمم مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ و هم أهل الكسب و هم الذين يتأولون كتاب الله و لا يقيمونه بالعمل الذي نزل إليه و لا يتأدبون في أخذه و هم على قسمين القليل منهم المقتصد في ذلك و هو الذي قارب الحق و قد يصيب الحق فيما تأوله بحكم الموافقة لا بحكم القطع فإنه ما يعلم مراد الله فيما أنزله على التعيين إلا بطريق الوهب و هو الإخبار الإلهي الذي يخاطب به الحق قلب العبد في سره بينه و بينه و من لم يقتصد في ذلك و تعمق في التأويل بحيث إنه لم يترك مناسبة بين اللفظ المنزل و المعنى أو قرر اللفظ على طريق التشبيه و لم يرد علم ذلك إلى الله فيه و هم الذين قال الله فيهم في الآية عينها وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ ساءَ ما يَعْمَلُونَ و أي سوء أعظم من هذا و هؤلاء هم القسم الثاني و لما شاهد الرسول هذا الأمر و قد بعث رحمة بما نزل به و رأى الكثير لم تصبه هذه الرحمة و أن علة ذلك إنما كان تأويلهم بالوجهين من التشبيه أو البعد عن مدلول اللفظ بالكلية تحير في التبليغ و توقف حتى يرى هل يوجب ذلك عليه ربه أم لا فأنزل الله تعالى يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ من رَبِّكَ و قيل له فَإِنَّما عَلَيْكَ الْبَلاغُ و قيل له لَيْسَ عَلَيْكَ هُداهُمْ فيما يجري منهم من خير و شر و قيل له إِنَّكَ لا تَهْدِي من أَحْبَبْتَ وَلكِنَّ اللهَ يَهْدِي من يَشاءُ فعلم الرسول أن المراد منه التبليغ لا غير فبلغ صلى الله عليه و سلم و ما أخفى مما أمر بتبليغه شيئا أصلا فإنه معصوم محفوظ قطعا في التبليغ عن ربه ما أمر بتبليغه و ما خص به فهو فيه على ما يقتضيه نظره فالتقدير في الآية على التفسير وَمن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ أمم مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ ساءَ ما يَعْمَلُونَ و لهذا قال لنبيه وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ من فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ و قال ما يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فأشرف العلوم ما ناله العبد من طريق الوهب و إن كان الوهب يستدعيه استعداد الموهوب إليه بما اتصف به من الأعمال الزكية المشروعة و لكنه لما لم يكن ذلك شرطا في حصول هذا العلم لذلك تعالى هذا العلم عن الكسب فإن

بعض الأنبياء تحصل لهم النبوة من غير أن يكونوا على عمل مشروع يستعدون به إلى قبولها و بعضهم قد يكون على عمل مشروع فيكون ذلك عين الاستعداد فربما يتخيل من لا معرفة له أن ذلك الاستعداد لولاه ما حصلت النبوة فيتخيل أنها اكتساب و النبوة في نفسها اختصاص إلهي يعطيه لمن شاء من عباده و ما عنده خبر بشرع و لا غيره و لا يعرف من هو و لا بما هو الأمر عليه فلو كان الاستعداد ينتج هذا العلم لوجد ذلك في الأنبياء و لم يقع الأمر كذلك فإن النبوة غير مكتسبة بلا خلاف بين أهل الكشف من أهل الله و إن كان اختلف في ذلك أهل الفكر من العقلاء فذلك من أقوى الدلالات عندنا على إن الفكر يصيب العاقل به و يخطئ و لكن خطؤه أكثر من إصابته لأن له حدا يقف عنده فمتى ما وقف عند حده أصاب و لا بد و متى جاوز حده إلى ما هو لحكم قوة أخرى يعطاها بعض العبيد قد يخطئ و يصيب عصمنا الله و إياكم من غلطات الأفكار و جعلنا من الذاكرين المذكورين بفضله لا رب غيره و لنا فيما ذكرناه آنفا نظم كتبت به إلى بعض الإخوان سنة إحدى و ستمائة من مدينة الموصل في النبوة إنها اختصاص من الله تعالى و لذلك لا يشوب رائقها كدر

ألا إن الرسالة برزخية و لا يحتاج صاحبها لنية
إذا أعطت بنيته قواها تلقتها بقوتها البنية
و إن الاختصاص بها منوط كما دلت عليه الأشعرية
و هذا الحق ليس به خفاء فدع أحكام كتب فلسفيه

في أبيات كثيرة و لكن قصدنا إلى الأمر الذي يطلبه هذا الموضع منها و لتعلم إن سبب ظهور الأكدار إنما هو قرار الماء و سكونه لطلب الراحة من الحركة في غير موضعها و محلها و لذلك كنينا عن هذه الحالة بالحوض لأن فيه قرار الماء و سكونه و قد قلنا في باب الغزل و النسيب أصف نزاهة المعشوق في نفسه

روحت كل من أشب بها نقلة عن مراتب البشر
غيرة إن يشاب رائقها بالذي في الحياض من كدر

أريد أن المحب إذا تعشق من صفته هذه حكم عليه هذا المعشوق فنقله إليه و كساه من ملابسه فأخرجه عن الذي يقتضيه عالم الطبيعة من كدر الشبه إذا كان المعشوق علما و الشبهات و الحرام إذا كان المعشوق عملا و الشهوات الطبيعية إذا كان المعشوق روحا مجردا عن المواد و عن البشرية إذا كان المعشوق ملكا و عما سوى الله إذا كان المحبوب هو الله فالمحب الصادق من انتقل إلى صفة

المحبوب لا من أنزل المحبوب إلى صفته ألا ترى الحق سبحانه لما أحبنا نزل إلينا في ألطافه الخفية بما يناسبنا مما يتعالى جده و كبرياؤه عن ذلك فنزل إلى التبشبش بنا إذا جئنا إلى بيته نقصد مناجاته و إلى الفرح بتوبتنا و رجوعنا إليه من إعراضنا عنه و التعجب من عدم صبوة الشاب من الشاب الذي هو في محل حكم سلطانها و إن كان ذلك بتوفيقه و إلى نيابته عنا في جوعنا و عطشنا و مرضنا و إنزاله نفسه إلينا منزلتنا لما جاع بعض عبيده قال للآخرين جعت فلم تطعمني و لما عطش آخر من عباده قال سبحانه لعبد آخر ظمئت فلم تسقني و لما مرض آخر من عباده قال لآخر من عباده مرضت فلم تعدني فإذا سأله هؤلاء العبيد عن هذا كله يقول لهم أما إن فلانا مرض فلو عدته لوجدتني عنده أما إنه جاع فلان فلو أطعمته لوجدت ذلك عندي أما إنه عطش فلان فلو سقيته لوجدت ذلك عندي و الخبر صحيح فهذا من ثمرة المحبة حيث نزل إلينا فلهذا قلنا إن الصدق في المحبة يجعل المحب يتصف بصفة المحبوب و كذا العبد الصادق في محبته ربه يتخلق بأسمائه فيتخلق بالغنى عن غير الله و بالعز بالله تعالى و بالعطاء بيد الله تعالى و بالحفظ بعين الله تعالى و قد علم العلماء التخلق بأسماء الله و دونوا في ذلك الدواوين و سبب ذلك لما أحبوه اتصفوا بصفاته على حد ما يليق بهم ثم نرجع إلى ما كنا بسبيله فنقول وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ إن العلوم و أعني بها المعلومات إذا ظهرت بذواتها للعلم و أدركها العلم على ما هي عليه في ذواتها فذلك العلم الصحيح و الإدراك التام الذي لا شبهة فيه البتة و سواء كان ذلك المعلوم وجودا أو عدما أو نفيا أو إثباتا أو كثيفا أو لطيفا أو ربا أو مربوبا أو حرفا أو معنى أو جسما أو روحا أو مركبا أو مفردا أو ما أنتجه التركيب أو نسبة أو صفة أو موصوفا فمتى ما خرج شيء مما ذكرناه عن إن يبرز للعلم بذاته و برز له في غير صورته فبرز العدم له في صورة الوجود و بالعكس و النفي في صورة الإثبات و بالعكس و اللطيف في صورة الكثيف و بالعكس و الرب بصفة المربوب و المربوب بصفة الرب و المعاني في صور الأجسام كالعلم في صورة اللبن و الثبات في الدين في صورة القيد و الايمان في صورة العروة و الإسلام في صورة العمد و الأعمال في صور الأشخاص من الجمال و القبح فذلك هو الكدر الذي يلحق العلم فيحتاج من ظهر له هذا إلى قوة إلهية تعديه من هذه الصورة إلى المعنى الذي ظهر في هذه الصورة فيتعب و سبب ذلك حضرة الخيال و التمثل و القوة المفكرة و أصل ذلك هذا الجسم الطبيعي و هو المعبر عنه بالحوض في هذا المنزل و قعر هذا الحوض هو خزانة الخيال و كدر ماء هذا الحوض المستقر في قعره هو ما يخرجه الخيال و التخيل عن صورته فيطرأ التلبيس على الناظر بما ظهر له فما يدري أي معنى لبس هذه الصورة فيتحير و لا يتخلص له ذلك أبدا من نظره إلا بحكم الموافقة و هو على غير يقين محقق فيما أصاب من ذلك إلا بأخبار من الله و لهذا لما قام أبو بكر الصديق في هذا المقام و سأل تعبير الرؤيا و أمره النبي صلى الله عليه و سلم بتعبيرها فلما فرغ سأل النبي صلى الله عليه و سلم فيما عبره هل أصاب أو أخطأ فقال له رسول الله

صلى الله عليه و سلم أصبت بعضا و أخطأت بعضا فما علم الصديق إصابته للحق في ذلك من خطئه فلهذا قلنا إن المصيب في مثل هذا ليس على يقين فيما أصابه فلهذا جنح العارفون و امتنعوا أن يأخذوا العلم إلا من الله بطريق الوهب الذي طريقه في الأولياء الذكر لا الفكر فإن أعطوا المعاني مجردة و برزت لهم المعلومات بذواتها في صورها التي هي حقائقها فهو المقصود و إن أبرزها الحق لهم عند الذكر و هذا الطلب في غير صورها و حجب عنهم ذواتها أعطوا من القوة و النور النفوذ في تلك الصور إلى ما وراءها و هو الذي أريدت له هذه الصور و قيد بها فمشهوده على كل حال المعاني التي هي المقصود و هي في عالم الألفاظ و العبارات بمنزلة المنصوص و المحكم الذي لا إشكال فيه و لا تأويل و الآخر بمنزلة الظواهر التي تحمل المعاني المتعددةو ما يعرف الناظر مقصد المتكلم بها منها و اعلم أن هذه العلوم إذا أعطاها الله العبد في غير صورها و أعلمه ما أراد بها فوقف على عينها من تلك الصورة في تلك الصورة فهو المشبه بالحوض لأنه يدرك الماء و يدرك الكدر الذي في قعر الحوض و يلبس الماء و لا بد في ناظر العين لون ذلك الكدر حمرة كان أو صفرة أو ما كان من الألوان فتبصر الماء أحمر أو أصفر و غير ذلك من الألوان و لهذا قال الجنيد و قد سئل عن المعرفة و العارف فقال لون الماء لون إنائه و لما قبل الماء هذا اللون صار في العين مركبا من متلون و لون و هو في نفس الأمر شيء آخر فيعلم الماء و يعلم أن ذلك لون الوعاء كذلك التجليات في المظاهر الإلهية حيث كانت فأما العارف فيدركها دائما و التجلي له دائم و الفرقان عنده دائم فيعرف من تجلى و لما ذا تجلى و يختص الحق دون العالم بكيف تجلى لا يعلمه غير الله لا ملك و لا نبي فإن ذلك من خصائص الحق لأن الذات مجهولة في الأصل فعلم كيفية تجليها في المظاهر غير حاصل و لا مدرك لأحد من خلق الله هذا هو العلم الذي لا ينتج غيره فهو منقطع النسل لا عقب له و ما عدا هذا من العلوم فقد يكون العلم بالنظر فيه ينتج علما آخر و لا يكون إلا هكذا و هو الأكثر بل هو الذي بأيدي الناس فإن المقدمات إن لم يحصل لك العلم بها و بما ينتج منها مما لا ينتج و بالسبب الرابط بينهما فبعد حصول هذا العلم ينتج لك العلم بما أعطاه هذا التركيب الخاص و هو التناسل الذي يكون في العلوم بمنزلة التناسل الذي يكون في النبات و الحيوان و هذا هو تناسل المعاني و لهذا قبلت المعاني الصور الجسدية لأن الأجسام محل التوالد فإن قلت فالذي يكون من العلوم لا ينتج فكان ينبغي أن لا يقبل الصورة قلنا إنما قبل الصورة من كونه نتيجة عن منتج و نتاج و هو في نفسه عقيم لا ينتج أصلا كالعقيم الذي يكون في الحيوان مع كونه متولدا من غيره و لكن لا يولد له لأنه على صفة قامت به تقتضي له ذلك و لذلك جاء الحق في تنزيه نفسه عن الأمرين فقال لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ و هذا تنزيه الذات فلا تتعلق و لا يتعلق بها و النتاج إنما وقع و ظهر في المرتبة فطلب الرب المربوب و القادر المقدور فإن قلت فإذا كان الأمر على ما ذكرت في لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ فكانت المظاهر تبطل و هي موجودة فما جوابك قلنا المظاهر للمرتبة لا للذات فلا يعبد إلا من كونه إلها و لا

يتخلق بأسمائه و هي عين العبادة له إلا من كونه إلها و لا يفهم من مظاهره في مظاهره إلا كونه إلها فاعلم ذلك و لو كانت المظاهر تظهرها الذات من كونها ذاتا علمت و لو علمت أحيط بها و لو أحيط بها حدت و لو حدت انحصرت و لو انحصرت ملكت و ذات الحق تعالى علوا كبيرا عن هذا كله فعلمنا أنه ليس بين الذات و بين هذه المظاهر نسبة يتعلق العلم بها من حيث نسبة المظهر إليها أصلا و إذا لم يحصل مثل هذا العلم في نفوس العلماء بالله و تعالى عن ذلك فأبعد و أبعد أن تعلم نسبة الذات إلى المظاهر فإن قلت إن النسبة واحدة و لكن لها طرفان من حيث الذات طرف و من حيث المظهر طرف قلنا ليس الأمر كما تظن في إن النسبة واحدة بين المتضايفين فإن نسبة الولد إلى الوالد نسبة بنوة و البنوة انفعال و نسبة الوالد إلى الولد نسبة أبوة و الأبوة فاعلية و أين أن يفعل من أن ينفعل هيهات فليست النسبة واحدة و لا لها طرفان أصلا فإنها غير معقولة الانقسام أعني هذه النسبة الخاصة و هو الطرف الذي جعلته أنت للنسبة بخيالك فذلك الطرف هو النسبة التي تذكر إذ الطرفان للشيء الموصوف بهما يؤذنان بقسمته و المعنى لا ينقسم فإنه غير مركب و الذي ينتجه هذا العلم المشبه بالحياض مناجاة الحق من جهة الصدر و هو مناجاتك إياه في صدورك عنه حين أمرك بالخروج إلى عباده بالتبليغ إن كنت رسولا و بالتثبيت إن كنت وارثا و هذه المناجاة لا تكون منه إليك إلا فيك لا في غيرك فمنك تعرفه لا من غيرك لأنك الحجاب الأقرب و الستر المسدل عليه و من كونك سترا و حجابا حددته فمعرفتك به في هذا الموطن عين عجزك عن معرفته و إن شئت قلت عين الجهل به و نريد بالجهل عدم العلم و أما الغير فحجاب أبعد بالنظر إليك فإن الله ما وصف نفسه إلا بالقرب إليك و هكذا قربه من غيرك إلى ذلك الغير كقربه إليك فوصفه بالقرب إليك أبعد بالنظر إلى غيرك إذا أراد العلم به منك كما أنت إذا أردت العلم به من غيرك قال تعالى وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ من حَبْلِ الْوَرِيدِ فأثبت قربه إلى الأشياء و نفى العلم بكيفية قربه من الأشياء بقوله تعالى وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلكِنْ لا تُبْصِرُونَ فعم البصيرة و البصر إذ كان إدراك البصر في الباطن يسمى بصيرة و الذات واحدة و اختلف عليها المواطن فسمى في إدراك المحسوس بصرا و في إدراك المعاني بصيرة فالمدرك واحد العين فيهما و لما كان على الحوض الذي يكون في الدار الآخرة كئوس كثيرة على عدد الشاربين منه و أن الماء في الإناء على صورة الإناء شكلا و لونا علمنا قطعا إن العلم بالله سبحانه على قدر نظرك و استعدادك و ما أنت عليه في نفسك فما اجتمع اثنان قط على علم واحد في الله من جميع الجهات لأنه ما اجتمع في اثنين قط مزاج واحد و لا يصح لأنه لا بد في الاثنين مما يقع به الامتياز لثبوت عين كل واحد و لو لم يكن كذلك لم يصح أن يكونا اثنين فما عرف أحد من الحق سوى نفسه فإذا عامل من تجلى له بما عامله به و قد ثبت أن عمله يعود عليه لن ينال الله من ذلك شيء قال صلى الله عليه و سلم إنما هي أعمالكم ترد عليكم فيكسوكم الحق من أعمالكم حللا على قدر ما حصنتموها و اعتنيتم بأصولها فمن لابس حريرا و من لابس مشاقة كتان و

قطن و ما بينهما فلا تلم إلا نفسك و لا تلم الحائك فما حاك لك إلا غزلك فإن قلت كيف تقول لن ينال الله من ذلك شيء و قد قال سبحانه يَنالُهُ التَّقْوى مِنْكُمْ فلتعلم إن المراد بإثبات النيل هنا و عدم النيل في جانب الحق إن الله سبحانه ما يناله شيء من أعمال الخلق مما كلفهم العمل فيه نيل افتقا ر إليه و تزين به ليحصل له لذلك حالة لم يكن عليها و لكن يناله التقوى و هو أن تتخذوه وقاية مما أمركم أن تتقوه به على درجات التقوى و منا زله فقد قال فَاتَّقُوا النّا رَ و اتَّقُوا الله و قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ فمعنى يَنالُهُ التَّقْوى أنه يتناولها منك ليلبسك إياها بيده تشريفا لك حيث خلع عليك بغير واسطة إذ لبسها غير المتقي من غير يد الحق و سواء كانت الخلعة من رفيع الثياب أو دنيئها فذلك راجع إليك فإنه ما ينال منك إلا ما أعطيته و إن جمع ذلك التقوى فإنه لا يأخذ شيئا سبحانه من غير المتقي فلهذا وصف نفسه بأن التقوى تناله من العباد و إنما وصف الحق سبحانه بأن التقوى تصيبه و اللحوم و الدماء لا تصيبه لما كانت الإصابة بحكم الاتفاق لا بحكم القصد أضاف النيل إلى المخلوق لأنه يتعالى أن يعلم فيقصد من حيث يعلم و لكن إنما يصاب بحكم الاتفاق مصادفة و الحق منزه أن يعلم الأشياء بحكم الإصابة فيكون علمه للأشياء اتفاقا فإذا ناله التقوى من المتقي و خدم بين يديه و جعل ذاته بين يديه مستسلما لما يفعله فيه فيخلع سبحانه عند ذلك من العلم على المتقي و من شأن هذا العلم أن يحصل من الله تعالى للعبد بكل وجه من وجوه العطاء حتى يأخذ كل آخذ منه بنصيب فمنهم من يأخذه من يد الكرم و منهم من يأخذه من يد الجود و منهم من يأخذه من يد السخاء و منهم من يأخذه من يد المنة و الطول إلا الإيثا ر فإنه ليس له يد في هذه الحضرة الإلهية إذ كان لا يعطي عن حاجة لكن الأسماء الإلهية لما كانت تريد ظهور أعيانها في وجود الكون و أحكامها يتخيل أن إعطاءها من حاجة إلى الأخذ عنها فتتنسم من هذا رائحة الإيثا ر و ليس بصحيح و إنما وقع في ذلك طائفة قد أعمى الله بصيرتهم و لذلك العا رفون اتصفوا بأصناف العطاء في التخلق بالأسماء لا بالإيثا ر فإنهم في ذلك أمناء لا يؤثرون إذ لا يتصور الإيثا ر الحقيقي لا المجا زي عندهم و العا رف لا يقول أعطيتكم و إنما يقول أعطيتك لأنه لا يشترك اثنان في عطاء قط فلهذا يفرد و لا يجمع فالجمع في ذلك توسع في الخطاب و الحقيقة ما ذكرناه و للكلام في هذا المنزل مجال رحب لا يسعه الوقت وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

منا زل الحوض و أسرا ره　　مراتب العلم و أنواره

و هو من العلم الذي لم يزل　　صفاؤه شيب بأكدا ره

محله الطبع الذي رنقه　　يلحقه القعر بإغبا ره

«الباب السابع و السبعون و مائتان في معرفة منزل التكذيب و البخل و أسرا ره من المقام الموسوي»

العلم علمان علم الدين في الصور　　الظاهرات من الأرواح في البشر

و علم حق بتحقيق يؤيده　　ما أودع الله في الآيات و السور

من كل ناظرة بالعين ناضرة　　فاللام ناظرة بالفاء في خبر

هذي منازل أنوار سباعية　　الخمس تخنس دون الشمس و القمر

منها ليظهر ما في الغيب من عجب　　فكل منزلة تسعى على قدر

إن الصفات التي جاء الكتاب بها　　تقدست على مجال العقل و الفكر

و كيف يدرك من لا شيء يشبهه　　من يأخذ العلم عن حس و عن نظر

فالعلم بالله عين الجهل فيه به　　و الجهل بالله عين العلم فاعتبر

و ليس في الكون معلوم سواه فما　　تقول يا أيها المغلوب عن حصر

إن الظهور إذا جاز الحدود خفا　　كذلك الأمر فانظر فيه و افتكر

اعلم أيها الولي الحميم نور الله بصيرتك أن العلم بالجزاء عن نور الايمان لا عن نور العقل فإن ارتباط الجزاء بالأعمال في الدنيا و الآخرة لا يعلم إلا من طريق الايمان و الكشف فأما تسميتنا إياه علما أعني علم الايمان و إن كان عين التصديق بخبر المخبر فمثل هذا لا يكون علما لزواله لو رجع المخبر عنه تقديرا و حينئذ فله وجهان الواحد أن المؤمن يجده ضرورة في نفسه لو رام الانفكاك عنه لم يقدر على ذلك فهو عنده من العلوم الضرورية عند كل عقل عنده الايمان و الوجه الآخر أن الايمان له نور يكشف به ما وقع الإخبار به كما يكشف المدلول العقل بالنظر الصحيح في الدليل الشاد بل أكمل لأن العقل إن لم يستند في دليله و برهانه إلى العلوم الضرورية في ذلك و إلا فليس ببرهان عنده و لا هو علم و علم الايمان علم ضروري و هو مستند العقل في الحق المطلوب فالإنسان إذا سئل عن الجزاء من جهة علمه النظري لم يقل إنه جزاء و إنما اقتضت الحركة الفلكية وجود هذه الواقعة في عالم الكون و الفساد بحسب القابل لها منه و اتفق أيضا أنه كان قبل ذلك حركة أخرى اقتضت لهذا القابل من عالم الكون و الفساد وجود أمر ما ظهر منه فنوسب بين الواقعتين الأولى و الثانية بأمر عرضي أو أمر وضعي مقرر في نفوس العامة فسموا الواقعة الآخرة جزاء للواقعة الأولى لمن قامت به ليس غير ذلك فما يدرك تلك الرابطة إلا أهل الكشف الإلهي و إن أدركها أهل النظر العقلي لأنه قد يدرك الرابطة من كونها فعلا لا من كونها جزاء و لا سبيل إلى رفع ذلك جملة واحدة و أهل الكلام من علماء النظر يجوزون رفعها بنور عقولهم و صدقوا فإن نور العقل لا يتعدى قوته فيما يعطيه و نور

الايمان فوق ذلك يعطي أيضا بحسب قوته و ما جعل الله فيه مما لا يدركه العقل معرى عن الشرط فإن العقل يقول إن كان سبق العلم به فلا بد منه عقلا فأدخل الشرط و الايمان ليس كذلك فإنه عن كشف محقق لا مرية فيه ثم إن طائفة من العقلاء الذين ذكرناهم و هي التي أثبتت الفعل و لم تصدق أنه جزاء أنكروا ذلك دنيا و آخرة فأما دنيا فلما ذكرناه و أما آخرة فانقسموا في ذلك قسمين فطائفة منهم أثبتوا الآخرة على وجه يخالف وجه الايمان و هم الذين أنكروا الإعادة في الأجسام الطبيعية و طائفة نفت الآخرة جملة واحدة فأحرى الجزاء فأما الطائفة التي أثبتت الآخرة و أنكرت الجزاء فما أنكرت إلا الجزاء الحسي من نعيم الجنان و جعلت الجزاء الروحاني كون الأرواح لما فارقت تدبير أجسادها و تخلصت من أسر الطبيعة و كانت في هذه المدة قد اكتسبت من الأخلاق الكريمة و العلوم الإلهية و الروحانية هيأة حسنة ألحقتها بالرتبة الملكية فلما انفصلت عن الطبيعة انفصالا يسمى الموت التحقت بالملائكة و دام لها ذلك مؤبدا فكان ذلك الدوام لها في هذه الرتبة الملكية ثمرة جنتها مما حصلته في حال سجنها في تدبير جسمها الطبيعي فذلك المسمى جزاء في الشرع و ما ثم غيره و أهل الايمان بالله و ما جاء من عنده و هم أصحابنا و أهل الكشف منا أيضا الذين عملوا بنور الايمان قد جمعنا مع هؤلاء فيما ذكروه من الجزاء الروحاني للنفوس التعليمية و انفردنا عنهم بالإعادة في الأجسام الطبيعية على مزاج مخصوص يقتضي لها البقاء في دار الكرامة و الجزاء الحسي من اللباس و الزينة و الأكل و الشرب و النكاح و رفع الخبائث من منزل الجنان كالأمور المستقذرة طبعا و الأرواح النتنة طبعا و ذلك في حال السعداء و أما في حال الأشقياء فالإعادة أيضا لهم في الأجساد الطبيعية و لكن على مزاج يقارب مزاج الدنيا في الذهاب و الزوال بالعلل المنضجة للجلود المذهبة لأعيانها و إيجاد غيرها مع بقاء العين المعذبة بذلك فليست تشبه إعادة الأشقياء إعادة السعداء و إن اشتركا في الإعادة فمرض الأشقياء في دار الشقاء زمانة مؤبدة إلى غير نهاية مدة أعمارهم التي لا انقضاء لها كالزمانة التي كانت للزمني في الدنيا مدة أعمارهم و تعلم كل طائفة من هؤلاء أن بعض الذي هم فيه جَزاءً بِما كانُوا يَعْمَلُونَ و إنما قلنا بالبعض لأن الجنان ثلاث جنة جزاء العمل و جنة ميراث و هي التي كان يستحقها المشرك لو آمن و جنة اختصاص غيرهاتين و لا أدري جنة الاختصاص هل تعم أم هي لخصائص من عباد الله و الذين ما عملوا خيرا قط مشروعا فلهم جنة الميراث و لا أدري هل لهم جنة اختصاص أم لا كما قلنا و أما جنة الأعمال المشروعة من كونها مشروعة لا من كونها موجودة فليس لهم فيها نصيب فإنهم قد يكون منهم من فيه مكارم الأخلاق و لكن لم يعمل بها من كونها مشروعة فإذا تقرر ما ذكرناه فاعلم أن الطائفة التي لم يحصل لها الايمان بعلم الجزاء يحرمون من العلوم الموهوبة قبول كل علم لا يقوم لهم فيه من نفوسهم ميزان من عمل عملوه فإذا جاءهم الفتح في خلواتهم و سطعت عليهم الأنوار الإلهية بالعلوم المقدسة عن الشوب القادح ينظرون ما كانوا عليه من الأعمال و ما كانوا عليه من الاستعداد

التعملي فيأخذون من تلك العلوم قدر ما أعطتهم موازينهم و يقولون هذا من عِنْدِ اللهِ و ما لم يدخل لهم في موازينهم من هذه العلوم دفعوا بها و هذا من أعجب الأمور الإلهية في حق هذه الطائفة أنها غير قائلة بعلم الجزاء و لا تأخذ من العلوم إلا ما أعطتها موازينهم من الأعمال و الاستعدادات التعملية و هذا نقيض ما بنى عليه الأمر عند أهل الطريق و هذا كشف خاص خص به أمثالنا لله الحمد على ذلك و أما نحن و من جرى مجرانا من أهل الطريق فلا نرمي بشيء مما يرد علينا من ذلك و لا ندفع به جملة واحدة سواء اقتضاه عملنا و استعدادنا التعملي أو لم يقتضه فإن الاقتضاء غير لازم عندنا في كل شيء بل أوجد الله ما يريد في أي محل يريد و لو نور الله بصائر هذه الطائفة التي ذكرناها لرأت و اتعظت بحالها فإنها لا تصدق بالجزاء و لا تقبل من العلوم إلا ما أعطاه ميزان الجزاء من نفوسهم و هم لا يشعرون و هو موضع حيرة كما إنا لا نرمي أيضا بشيء مما أعطانا الله على يد واسطة مذمومة كانت تلك الواسطة أو محمودة كما فعل سليمان عليه السلام أو بارتفاع الوسائط سواء كان ذلك منهيا عنه أو مأمورا به فإن الله قد أعطانا من القوة و علم السياسة بحيث نعلم كيف نأخذ و إذا أخذنا كيف نتصرف به و فيه و في أي محل نتصرف به و هذا مخصوص بأهل السماع من الحق دائما و هو طريقنا و عليه عمل أكابرنا و يحتاج إلى علم وافر و عقل حاضر و مشاهدة دائمة و عين لا تقبل النوم و لا تعرفه و تتحقق بذلك تحقيقا يسرى معها حسا و في حال نومها خيالا و في حال فنائها و غيبتها تحققا و هو مقام عزيز مخصوص بالإفراد منا و علم الأنبياء أكثره من هذه العلوم التي ليس لها مستند و لهذا كانت النبوة اختصاصا من الله لا يعمل و لا بتعمل و نحن ورثنا هذا المقام من عين المنة فحصلنا من العلوم التي لا مستند لها يطلبها ما عدا النبوة كثيرا تعرفها أسرارنا دون نفوسنا فلذلك لا يظهر علينا منها شيء فإنه لا تعلق لها بالكون قال تعالى أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوى وَ وَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدى وَ وَجَدَكَ عائِلًا فَأَغْنى فاختلف أصحابنا في هذه الأحوال الثلاثة و ما يشبهها هل هي استعدادات لما حصل من الإيواء و الهدى و الغني أم ليست استعدادا و منا من قال لا يكون استعداد إلا عن تعمل فيه و هم الأكثرون و منهم من قال الاستعداد من أهل لتحصيل أمر ما سواء كان عن تعمل أو غير تعمل فالخلاف لفظي و هو الخلاف الذي ينسب إلى أهل هذه الطريقة و قد يكون الاستعداد معلوما للشخص الذي هو صاحبه إنه استعداد و قد لا يكون و التحقيق في ذلك ما نذكره و ذلك أن حقيقة الاستعداد ما هو الطلب أن يكون معد الأمر ما عظيم من الله يحصل له فهذا يسمى تعملا لأنه استفعال مثل استخراج و استطلاق و استرسال و أما كونه معدا لما حصل له فلا بد أن يكون في نفسه على ذلك لا بجعل جاعل و أخفاه العدم الممكن و العدم المحال فلو لا إن العدم الممكن هو معد في نفسه لقبول أثر المرجح ما كان له الترجيح إلى أحد الجانبين في وقت و ترجيح الجانب الآخر في وقت آخر و العدم المحال لو لا ما هو في نفسه معد لعدم قبول ما يضاد ما هو عليه في نفسه لقبله و كذلك من ثبت له الوجوب الوجودي

لذاته فهذا تحقيق المسألة في الاستعداد و الفرق بينه و بين الإعداد و الإعداد لا بد منه وجودي و عدمي و لا وجودي و لا عدمي كالنسب فهذا الفصل من هذا المنزل قد استوفيناه و بقي من فصوله ما نذكره و ذلك معرفة العلم الذي يطلبه الفقير بافتقاره و مسكنته ما هو و إذا حصل هل يقع له به الغني أم لا و هل إلى ذلك طريقة معلومة لقوم أم لا و هل العالمون بها يتعين عليهم إن يحرضوا الناس على سلوكها أم لا فاعلم إن الافتقار في كل ما سوى الله أمر ذاتي لا يمكن الانفكاك عنه ذوقا و علما صحيحا إلا أنه تختلف مقاصده في تعيين ما يفتقر إليه هذا الفقير و ما هو المعنى الذي يفتقر إليه فيه فاعلم إن الفقر و المسكنة لما ثبت في العلم أنها صفة ذاتية كان متعلقها الذي افتقرت فيه طلبها استمرار كونها و استمرار النعيم لها على أكمل الوجوه بحيث إنه لا يتخلله النقيض فأهل هذه الطريقة لم يروا ذلك حالا و عقدا إلا من الله تعالى فافتقروا إليه في ذلك دون غيره سبحانه و لا يصح الافتقار لهم إليه في وجودهم لأنهم موجودون و إنما كان ذلك الافتقار منهم لوجودهم في حال عدمهم فلهذا أوجدهم فمتعلق الافتقار أبدا إنما هو العدم ليوجده لهم إذ بيده إيجاد ذلك و أما غيرنا فرأوا ذلك من الله عقدا لا حالا و هم المسلمون الأكثرون عالمهم و جاهلهم و من الناس من يرى ذلك من الله أصلا لا عقدا و لا حالا و هم القائلون بالعلل و المعلولات و هم أبعد الطوائف من الله و من الناس من لا يرى ذلك من الله لا أصلا و لا عقدا و لا حالا و هم المعطلة و ما من طائفة مما ذكرنا إلا و تجد الافتقار من ذاتها و من المحال أن يقع الغني من الله لأحد من هؤلاء الطوائف على الإطلاق أبدا و لكن قد يقع لهم الغني المقيد دائما لا ينفكون عنه و أما فرض الطريق إليه فهو ذاتي أيضا من حيث هو طريق و إنما الذي يتعلق به الاكتساب سلوك خاص في هذا الطريق لمن يفتقر إليه و إذا كان السلوك بهذه المثابة تعين التحريض عليه و تبيينه لمن جهله فمن عدل عن تبيينه لمن يستحقه و هو عالم به فهو صاحب حرمان و خذلان و قد نبه عليه السلام على مرتبة من مراتب ذلك بقوله صلى الله عليه و سلم من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار و السؤال قد يكون لفظا و حالا و المسئول عنه الذي تعلق به الوعيد لا بد أن يكون واجبا عليه السؤال عنه فلا بد أن يجب على العالم الجواب عنه و سؤالات الافتقار كلها بهذه المثابة قال الله تعالى يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ ففي هذا الخطاب تسمية الله بكل اسم هو لمن يفتقر إليه فيما يفتقر إليه فيه و هو من باب الغيرة الإلهية حتى لا يفتقر إلى غيره و الشرف فيه إلى العالم بذلك و في هذا الخطاب هجاء للناس حيث لم يعرفوا ذلك إلا بعد التعريف الإلهي في الخطاب الشرعي على ألسنة الرسل عليهم السلام و مع هذا أنكر ذلك خلق كثير و خصوه بأمور معينة يفتقر إليه فيها لا في كل الأمور من اللوازم التابعة للوجود التي تعرض مع الآنات للخلق و كان ينبغي لنا لو كنا متحققين بفهم هذه الآية أن نبكي بدل الدموع دما حيث جهلنا هذا الأمر من نفوسنا إلى أن وقع به التعريف الإلهي فكيف حال من أنكره و تأوله و خصصه فهذا قد بينا نبذة من الفصل الثاني المتعلق بهذا المنزل و أما الفصل

الثالث من فصول هذا المنزل فاعلم إن الله تعالى قد عرف عباده أن له حضرات معينة لأمور دعاهم إلى طلب دخولها و تحصيلها منه و جعلهم فقراء إليها فمن الناس من قبلها و من الناس من ردها جهلا بها فمنها حضرة المشاهدة و هي على منا زل مختلفة و إن عمتها حضرة واحدة فمنهم من يشهده في الأشياء و منهم قبلها و منهم بعدها و منهم معها و منهم من يشهده عينها على اختلاف مقامات كثيرة فيها يعلمها أهل طريق الله أصحاب الذوق و الشرب و منها حضرة المكالمة و منها حضرة الكلام و منها حضرة السماع و منها حضرة التعليم و منها حضرة التكوين و غير ذلك فإنها كثيرة لا يتسع هذا التصنيف لذكرها فحضرة المكالمة من خصائص هذا المنزل فمن عدل عنها فقد حرم ما يتضمنه من المعارف الإلهية و الالتذاذ بالمحادثة الربانية و كان ممن قيل فيه ما يَأْتِيهِمْ من ذِكْرٍ من رَبِّهِمْ و من الرَّحْمنِ على حسب التجلي مُحْدَثٍ إِلَّا كانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ و هي طائفة معينة و أخرى اسْتَمَعُوهُ وَ هُمْ يَلْعَبُونَ فأهل طريقنا لم يشتغلوا عند ورود هذا الكلام بما يلهيهم عما يتضمنه من الفوائد فإن اقتضى جوابا أجابوا ربهم و إن اقتضى غير ذلك بادروا إلى فعل ما يقتضيه ذلك الخطاب و هم يسارقون النظر في تلك الحالة إلى المتكلم لتقر أعينهم بذلك كما تنعمت نفوسهم من حيث السماع غير أنهم لا يتحققون بالنظر في هذه الحال لمعرفتهم بأن مراد الحق فيهم فيها الفهم عنه فيما يكلمهم به فيخافون من النظر مع شوقهم أن يفنيهم عن الذي طولبوا به من الفهم فيكونون ممن آثروا حظوظ نفوسهم على ما أراده الحق منهم فهم في كلا الحالين عبيد فقراء غير أن الأدب في كل حضرة من هذه الحضرات الوفاء بما تستحقه الحضرة التي يقام العبد فيها و لمطلوبه حضرة أخرى هي غير هذه فلا يستعجل فيحرم وَ ما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ الله إِلَّا وَحْياً أَوْ من وَراءِ حِجابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً ينوب عنه في الكلام و هو الترجمان قال تعالى فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ الله يريد على لسان الترجمان الذي هو رسول الله صلى الله عليه و سلم فسمعت بعض الشيوخ يقول ما دام في بشريته فالكلام له من وراء حجاب و لكن إذا خرج عن بشريته ارتفع الحجاب و هذا الشيخ هو عبد العزيز بن أبي بكر المهدوي المعروف بابن الكرة سمعته منه بمنزلة بتونس رحمه الله فأصاب فيه و أخطأ فأما إصابته فإثباته و تقريره للكلام من وراء الحجاب و إنه لم يجمع بينه و بين المشاهدة و أما خطؤه فقوله ارتفع الحجاب و لم يقيد و إنما يقال ارتفع حجاب بشريته و لا شك أن خلف حجاب بشريته حجبا أخر فقد يرتفع حجاب البشرية و يقع الكلام من الله لهذا العبد خلف حجاب آخر أعلاها من الحجب و أقربها إلى الله و أبعدها من المخلوق المظاهر الإلهية التي يقع فيها التجلي إذا كانت محدودة معتادة المشاهدة كظهور الملك في صورة رجل فيكلمه على الاعتدال للعادة و الحد و قد تجلى له و قد سد الأفق فغشي عليه لعدم المعتاد و إن وجد الحد فكيف بمن لم ير حدا و لا اعتاد فقد تكون المظاهر غير محدودة و لا معتادة و قد تكون محدودة لا معتادة و قد تكون محدودة معتادة و تختلف أحوال المشاهدين في كل حضرة منها فمن عدل عن حضرة المكالمة

فقد لحق بأهل الخسران و إن سعد و لكن بعد شقاء عظيم و إن من الناس من أصحاب الدعاوي في هذه الطريقة الذين قال الله فيهم وَ قَدْ خابَ من دَسَّاها حين أَفْلَحَ من زَكَّاها فيزعمون أنهم يكلمون الله في خلقه و يسمعون منه في خلقه و هو في نفسه مع نفسه ما عنده خبر من ربه لأنه لا يعرفه و لا يعرف كيف يسمع منه و لا ما يسمع منه فأصحاب الدعاوي في هذه الطريقة كالمنافقين في المسلمين فإنهم شاركوهم في الصورة الظاهرة و بانوا بالبواطن فهم معهم لا معه فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هذا مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ و هو و الله من عنده و لكن من غير الوجه الذي يزعمون و لهذا شقوا بما قالوه و إن كانوا لا يعتقدونه و سعد الآخر بقوله إنه من عند الله و اعتقاده ذلك على غير الوجه الذي يعطي الشقاء فالقول واحد و الحكم مختلف فسبحان من أخفى علمه عن قوم و أطلع عليه آخرين لا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ و لا يكون الأمر إلا هكذا فإنه هكذا وقع و لا يقع إلا ما علم أنه يقع كذا فإنه في نفس الأمر كذا لا يجوز خلافه و هنا عقدة لا يحلها إلا الكشف الاختصاصي لا تحلها العبارة و إذا فهمت هذا فاعلم أنه من آخر فصول هذا المنزل التعاون عَلَى الْبِرِّ وَ التَّقْوى فإنه يكون عنه علم شريف يتعلق بمعرفة الأسباب الموضوعة في العالم و إن رفعها عينا لا يصح إذا كان السبب علة فإن لم يكن علة فقد يصح رفع عينه مع بقاء لازمه لكن لا من حيث هو لازم له بل من حيث عين اللازم فهو لما هو لازم له على الطريقة المختصة لا يرتفع و هو من حيث عينه و إن كان لازما لغيره فيكون أثره لعينه فيوجد حكمه لعينه ففي الأسباب التي ترفع و يوجد اللازم يفعل لعينه كالغذاء المعتاد على الطريقة المختصة به يلازمه الشبع بالأكل منه و قد يكون الشبع من غير غذاء و لا أكل و مثل السبب العلي وجود اتصاف الذات بكونها شابعة لوجود الشبع فلو رفعت الشبع ارتفع كونه شابعا فمن الأسباب ما يصح رفعها و ما لا يصح و تقرير الكل في مكانه و على حده على ما قرره واضعه هو الأولى بالأكابر و ينفصلون عن العامة بالاعتماد فلا اعتماد للأكابر في شيء من الأشياء إذا وصفوا بالاعتماد إلا على الله فمن منع وجود الأسباب فقد منع ما قرر الحق وجوده فيلحق به الذم عند الطائفة العالية و هو نقص في المقام كمال في الحال محمود في السلوك مذموم في الغاية وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثامن و السبعون و مائتان في معرفة منزل الألفة و أسراره من المقام الموسوي و المحمدي»

منزل الألفة لا يدخله   غير موجود على صورته
فتراه عند ما تبصره   نازلا فيه على سورته
حاكما فيه بما يعلمه   جاريا فيه على سيرته
فاصطفاه الحق مرآة له   فلهذا زاد في سورته

فنهاه الله أعلاما له أن ذاك النهي من غيرته

عند ما حجر ما كان له مطلقا نزه عن حيرته

أكل المنهي عنه فبدت رتبة الأكل في عورته

فدرى حين رآها إنها زلة جاءته من جيرته

لا يتألف اثنان إلا لمناسبة بينهما فمنزل الألفة هي النسبة الجامعة بين الحق و الخلق و هي الصورة التي خلق عليها الإنسان و لذلك لم يدع أحد من خلق الله الألوهية إلا الإنسان و من سواه ادعيت فيه و ما ادعاها قال فرعون أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى و ما في الخلق من يملك سوى الإنسان و ما سوى الإنسان من ملك و غيره لا يملك شيئًا يقول تعالى في إثبات الملك للإنسان أَوْ ما مَلَكَتْ أَيمانُكُمْ و ما ثم موجود من يقر له بالعبودية إلا الإنسان فيقال هذا عبد فلان و لهذا شرع الله له العتق و رغبة فيه و جعل له ولاء العبد المعتق إذا مات عن غير وارث كما إن الورث لله من عباده قال تعالى إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَ مَنْ عَلَيْها و ما ثم موجود يقبل التسمية بجميع الأسماء الإلهية إلا الإنسان و قد ندب إلى التخلق بها و لهذا أعطى الخلافة و النيابة و علم الأسماء كلها و كان آخر نشأة في العالم جامعة لحقائق العالم مما اختص الله بها ملكه كله و صورته و من نشأته أيضا الطبيعية القائمة من الأربع الطبائع مع القوة الناطقة التي اختص بها في طبيعته دون غيره مما خلق من الطبيعة كالصورة الإلهية القائمة على أربع الذي لا يعطي الدليل العقلي غيرها و هي الحياة و العلم و القدرة و الإرادة فبهذه صح إيجاد العالم له و كان هو إلها بها إذ لو جرد عن هذه النسب لما كان إلها للعالم و هو المثل المقرر في القرآن الذي لا يماثل في قوله تعالى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ أي ليس مثل مثله شيء فأثبت المثلية له بالإنسان تنزيها له تعالى أي إذا كان المثل المفروض لا يماثل فهو تعالى أبعد و أنزه أن يماثل و في السنة خلق آدم على صورته و نفى بهذه الآية أن يماثل هذا المثل و جعل له غيبا و شهادة و لما كان الإنسان بهذه المثابة كانت الألفة بينه و بين ربه فأحبه و أحبه و لهذا ورد أن السماء و الأرض يعني العلو و السفل ما وسعه و وسعه قلب المؤمن التقى الورع و هذا من صفة الإنسان لا من صفة الملك هذا و إن شورك الإنسان في كل ما ذكرناه إلا إن الإنسان امتاز عن الكل بالمجموع و بالصورة فاعلم هذا فلا تصح العبودية المحضة التي لا يشوبها ربوبية أصلا إلا للإنسان الكامل وحده و لا تصح ربوبية أصلا لا تشوبها عبودة بوجه من الوجوه إلا لله تعالى فالإنسان على صورة الحق من التنزيه و التقديس عن الشوب في حقيقته فهو المألوه المطلق و الحق سبحانه هو الإله المطلق و أعني بهذا كله الإنسان الكامل و ما ينفصل الإنسان الكامل عن غير الكامل إلا برقيقة واحدة و هي أن لا يشوب عبوديته ربوبية أصلا و لما كان للإنسان الكامل هذا المنصب العالي كان العين المقصودة من العالم وحده و ظهر هذا الكمال في آدم عليه السلام في قوله تعالى وَ

عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كُلَّها فأكدها بالكل و هي لفظة تقتضي الإحاطة فشهد له الحق بذلك كما ظهر هذا الكمال في محمد صلى الله عليه و سلم أيضا بقوله فعلمت علم الأولين و الآخرين فدخل علم آدم في علمه فإنه من الأولين و ما جاء بالآخرين إلا لرفع الاحتمال الواقع عند السامع إذا لم يعرف ما أشرنا إليه من ذلك و هو صلى الله عليه و سلم قد أوتي جوامع الكلم بشهادته لنفسه و اختلف أصحابنا في أي المقامين أعلى من شهد له الحق أو من شهد لنفسه بالحق كيحيى و عيسى عليهما السلام فأما مذهبنا في ذلك فإن الشاهد لنفسه الصادق في شهادته أتم و أعلى و أحق لأنه ما شهد لنفسه إلا عن ذوق محقق بكماله فيما شهد لنفسه به مرتفعة شهادته تلك عن الاحتمال في الحال فقد فضل على من شهد له برفع الاحتمال و الذوق المحقق فهذا المقام أعلى و ليس من شأن المنصف الأديب العالم بطريق الله أن يتكلم في تفاضل الرجال و إن علم ذلك فيمنعه الأدب فلهذا قلنا الأديب و إنما يتكلم في تفاضل المقامات فيخرج عن العهدة في ذلك و يسلم له الحال عن المطالبة فيه إذ كانت المقامات ليس لها طلب و كان الطلب للموصوفين بها فالأديب حاله ما ذكرناه و هذا الذي ذكرناه كله يشهده من حصل في هذا المنزل و له من الحروف ألفة اللام بالألف و هو أول حرف مركب من الحروف فوحده الشكل فلم يعرف الألف من اللام فالحق بالمفردات فكأنهما حرف واحد لما تعذر الانفصال و لم يتميز شكل اللام فيه من شكل الألف فلم يدركه البصر فإن قيل إن السمع يدركه بقوله لا فليعلم إن اللام تحتمل الحركة و الألف لا تحتمل الحركة فلم يتمكن النطق بالألف فينطق باللام مشبعة الحركة لظهور الألف ليعلم أنه أراد لام الألف لا لام غيره من الحروف حتى يرقمه الراقم على صورته الخاصة به فلا تمتاز الألف من اللام لتمكن الألفة كذلك الإنسان إذا كان الحق سمعه و بصره كما ورد في الخبر يرتبط بالحق ارتباط اللام بالألف و لهذا تقدم في حروف شهادة التوحيد في لفظة لا إله إلا الله فنفى بحرف الألفة ألوهة كل إله أثبته الجاهل المشرك لغير الله فنفى ذلك بحرف يتضمن العبد و الرب فإنه يتضمن مدلول اللام و الألف كما قال عليه السلام آمنت بهذا أنا و أبو بكر و عمر فشركهما معه بنفسه في الايمان و لم يكونا حاضرين أو كانا فنابا عنهما فلما شهد الحق لنفسه بالتوحيد شهد عنه و عن عبده بذلك فأتى بحرف لام ألف و لهذا سمي لام ألف و لم يقل لام الألف بالتعريف فسمي باسم الحرفين لئلا يتخيل السامع إذا جاء به معرفا إنه أراد الإضافة و ما أراد هذا الحرف المعين فجرى مجرى رامهرمز و بعلبك و لم يجر مجرى عبد الله و عبد الرحمن و لهذا اختلف في موضع الإعراب من بعلبك و رامهرمز و بلالآباد و لم يختلف في موضع الإعراب من عبد الله و عبد الرحمن لأن المسمى بذلك قصد به الإضافة و لا بد فمن أجرى هذه الأسماء مجرى الاسم المضاف جعل محل الإعراب آخر الاسم الأول و من أجراه مجرى زيد جعل محل الإعراب آخر الاسم الثاني كذلك وقع الاختلاف في حرف لام ألف إذا وقع في الخط في تعيين أي فخذ من هذا الحرف هو اللام و أي فخذ هو الألف و اختلفت

مراعاة الناس في ذلك فمن قاس الخط على اللفظ كان اللام عنده الذي يبتدئ به الكاتب سواء كان الفخذ المتقدم في الترتيب أو المتأخر و من لم يحمله على النطق به بقي على الخلاف و جعل له التخيير في ذلك فيجعل أي شيء أراد اللام من الفخذين و أي شيء أراد الألف إذ كان كل واحد منهما على صورة الآخر للالتفاف الذي أخرج اللام عن حقيقته كذلك الإنسان الكامل و الحق في الصورة التي تنزلت منزلة الالتفاف فإن نسبت الفعل إلى قدرة العبد كان لذلك وجه في الإخبار الإلهي و إن نسبت الفعل إلى الله كان لذلك وجه في الإخبار الإلهي و أما الأدلة العقلية فقد تعارضت عند العقلاء و إن كانت غير متعارضة في نفس الأمر و لكن عسر و تعذر على العقلاء تمييز الدليل من الشبهة و كذلك في الإخبار الإلهي يتعذر و كذلك في حقيقة العبد متعذر لتعلق الأمر به فلا يؤمر إلا من له قدرة على فعل ما يؤمر به و تمكن من ترك ما ينهى عنه فيعسر نفي الفعل عن المكلف الذي هو العبد لارتفاع حكمة الخطاب في ذلك و الإخبار الآخر و الوجه الآخر العقلي يعطي أن الفعل المنسوب إلى العبد إنما هو لله فقد تعارضا خبرا و عقلا و هذا موضع الحيرة و سبب وقوع الخلاف في هذه المسألة بين العقلاء في نظرهم في أدلتهم و بين أهل الأخبار في أدلتهم و لا يعرف ذلك إلا أهل الكشف خاصة من أهل الله و كون الإنسان على الصورة يطلب وجود الفعل له و التكليف يؤيده و الحس يشهد له فهو أقوى في الدلالة و لا يقدح فيه رجوع كل ذلك إلى الله بحكم الأصل فإنه لا ينافي هذا التقرير و لهذا ضعفت حجة القائلين بالكسب لا من كونهم قالوا بالكسب فإن هؤلاء أيضا يقولون به لأنه خبر شرعي و أمر عقلي يعلمه الإنسان من نفسه و إنما تضعف حجتهم في نفيهم الأثر عن القدرة الحادثة و بعد أن علمت هذا الفصل من منزل الألفة فلنشرع فيما يرجع إلى تحقيقه في غير هذا النمط مما يتضمنه على جهة الإفصاح عنه فاعلم إن هذا المنزل هو منزل سفر الأبدال السبعة المجتمعين المتآلفين مع القبض الذي هم عليه بعضهم عن بعض و إنكار بعضهم على بعض مع وجود الصفاء فيما بينهم و لهم سفران في باب المعرفة سفر منهم إلى الإله في مظاهره و سفر آخر منهم أيضا إلى الذات فسفرهم إلى الإله من ربوبيتهم و سفرهم إلى الذات من ذواتهم فإذا أرادوا السفر إلى الذات قصدوا اليمن و إذا أرادوا السفر إلى الإله قصدوا الشام و بلاد الشمال و أي جهة قصدوا فإن استعدادهم على السواء في القدر الذي يحتاجون إليه و إن تنوع فإن الأغذية تتنوع بتنوع الجهات فلا يؤخذ من الزاد إلى كل جهة إلا ما يصلح مزاج المسافر إلى تلك الجهة لئلا يحول بينه و بين مقصده مرض للأهواء المختلفة في الجهات و أثرها في المزاج فلا بد أن يختلف الاستعداد على إن إقامتهم قليلة في السفرين و يعودون إلى مواطنهم فإذا قصدوا اليمن لم يقيموا فيه سوى أربعة و عشرين يوما يحصلون فيها مرادهم و يرجعون إلى سنة أخرى و إذا قصدوا الشمال لم يقيموا فيه إلا ستة أيام يحصلون فيها مرادهم و يرجعون إلى سنة أخرى و سفرهم روحاني لا جسماني فأما العلوم التي يستفيدونها في سفرهم إلى اليمن فعلوم الاصطلام و

علم السبحات من وراء الحجب علم ذوق و أما العلوم التي يستفيدونها في سفرهم إلى الشمال فعلوم زيادات اليقين بما يتجلى لهم و علم العبودية و القبض و ما تنتجه الخلوات علم ذوق و موطنهم الذي يستقرون فيه مكة فإن التنزل في روحانيتها أتم التنزل لأنها كما قال تعالى أُمَّ الْقُرى و قال يُجْبى إِلَيْهِ ثَمَراتُ كُلِّ شَيْءٍ فعم و قال فيه رِزْقاً مِنْ لَدُنّا فما أضافه إلى غيره فهي علوم وهب تحيا بها أرواحهم و لم يقل ذلك في غير مكة و لا تحصل هذه العلوم التي أشرنا إليها إلا لمن كان حاله الذلة و الافتقار و مقامه الجلال و القبض و الهيبة و الخوف فإذا كانت أوصاف العبد ما ذكرناه منحه الله العزة و الغني في حاله و الجمال و البسط و الأنس به و الرجاء في غيره لا في نفسه فإنه في حق نفسه من ربه في أمان لأنه قد بشر كما قال لَهُمُ الْبُشْرى فِي الْحَياةِ الدُّنْيا و بشارة الحق حق لا يدخلها نسخ فيؤمن بوجودها المكر و لكن إذا كان نصا و في هذا المنزل ذوق عجيب لا يكون في غيره و هو أنه إذا كنت في حال من الأحوال فإن الحق يهبك في تلك الحال علما من ذلك الحال لا تخرج عنه مثل الذي ينتقل من العلم بالشيء إلى معاينة ذلك الشيء فلم يحصل له إلا مزيد وضوح في عين واحدة كذلك هذا المنزل و هو منزل منه يعلم الجمع بين الضدين و هو وجود الضد في عين ضده و هذا العلم أقوى علم تعلم به الوحدانية لأنه يشاهد حالا لا يمكن أن يجهله إن عين الضد هو بنفسه عين ضده فيدرك الأحدية في الكثرة لا على طريقة أصحاب العدد فإن تلك طريقة متوهمة و هذا علم مشهود محقق و ممن تبرز في هذا المنزل المبارك أبو سعيد الخراز من المتقدمين و كنت أسمع ذلك عنه حتى دخلته بنفسي و حصل لي ما حصل فعرفت أنه الحق و أن الناس في إنكارهم ذلك على حق فإنهم ينكرونه عقلا و ليس في قوة العقل من حيث نظره أكثر من هذا و من أعطى ما في وسعه من حيث ما تقتضيه تلك الجهة فقد و في الأمر حقه و هذا الذي استقر عليه قدمنا و ثبت فلا ننكر على مدع ما يدعيه إلا الإنكار الذي أمرنا به فننكره شرعا و هذا الإنكار حقيقة أيضا لا نشهد إلا هيأة يجب الإنكار بها و فيها كما أنكرنا ذلك عقلا فللشرع قوة لا يتعدى بها ما تعطيه حقيقتها كما فعلنا في العقل و للذوق قوة نعاملها به أيضا كما عاملنا سائر ما نسب إليه القوي بحسب قوته فنحن مع الوقت فننكر مع العقل ما ينكره العقل لأن وقتنا العقل و لا ننكره كشفا و لا شرعا و ننكر مع الشرع ما ينكره الشرع لأن وقتنا الشرع و لا ننكره كشفا و لا عقلا و أما الكشف فلا ينكر شيئا بل يقرر كل شيء في رتبته فمن كان وقته الكشف أنكر عليه و لم ينكر هو على أحد و من كان وقته العقل أنكر و أنكر عليه و من كان وقته الشرع أنكر و أنكر عليه فاعلم ذلك

اعلم أن لهذا المنزل حالا لا يكون لغيره و هو أنه يعطي تحصيل هوية الأسماء الإلهية و هذا خلاف ما تعطيه حقيقة الهو فإن الهو من حقيقته أنه لا يتحصل و لا يشاهد أبدا إلا في هذا المشهد و المنزل فإن عين الظاهر فيه هو بنفسه عين الباطن غير أن هوية الحق لا تدخل في هذا المنزل و إنما قلنا ذلك في هوية الأسماء الإلهية من كون هويتها لا من أنانيتها و اعلم أن هذا المنزل إذا دخلته تجتمع فيه مع جماعة من

الرسل صلوات الله عليهم فتستفيد من ذوقهم الخاص بهم علوما لم تكن عندك فتكون لك كشفا كما كانت لهم ذوقا فيحصل لك منهم علم الأدلة و العلامات فلا يخفى عليك شيء في الأرض و لا في السماء إذا تجلى لك إلا تميزه و تعرفه حين يجهله غيرك ممن لم يحصل في هذا المنزل و هو علم كشف لأنك تشهده بالعلامة لا تراه من نفسك لأنه ليس بذوق لك و يحصل لك منهم علم القدم و هو علم عزيز به يكون ثباتك على ما يحصل لك من الأسرار و العلوم بعد انفصالك عن الحضرات التي يحصل لك فيها ما يحصل من العلم و الأسرار فكثير من الناس من نسي ما شاهده فإذا حصل له هذا العلم من هذا النبي يثبت فيه ثبات الأنبياء و يحصل لك منهم أيضا علم الشرائع في العالم و من أين مأخذها و كيف أخذت و لما ذا اختلفت في بعض الأحكام و فيما ذا اتفقت و اجتمعت حتى إن صاحب هذا الكشف لو لم يكن مؤيدا في كشفه لأدعى النبوة و لكن الله أيد أولياءه و عصمهم عن الغلط في دعوى ما ليس لهم لخروجهم عن حظوظ نفوسهم عند الخلق لكنهم لا يخرجون عن حظوظها عند الحق و لا يصح أن يطلب الحق للحق و إنما يطلب للحظ فإن فائدة الطلب التحصيل للمطلوب و الحق لا يحصل لأحد فلا يصح أن يكون مطلوبا لعالم فلم يبق إلا الحظ و من هذا العلم يداوي العشاق إذا أفرطت فيهم المحبة من هذه الحضرة يستخرج لهم دواء الراحة مما هم فيه من العذاب الذي يعطيه العشق من القلق و الكمد و الانزعاج و يحصل من مشاهدة هؤلاء الأنبياء أيضا علم ما يحتاج إليه نواب الحق في عباده من الرحمة و القهر و الشدة و اللين و ما يعاملون به الخلق و ما يعاملون به الحق و ما يعاملون به أنفسهم إذا كانوا نوابا فيستفيد هذا كله و إن لم يحصل له درجة النيابة في العامة و لكنه نائب الله في عالمه الخاص به الذي هو نفسه و أهله و ولده إن كان ذا أهل و ولد و يحصل له منهم السر الذي به يحيي الجاهل من موت جهله و ما يحيي الله به الموتى فإنه راجع إلى منزل الألفة لأن الحيا قللشيء إنما تكون لتألفها به و نظرها إليه من اسمه الحي الذي ليس عن تأليف و يحصل أيضا علم الخلق التام في قوله مُخَلَّقَةٍ و لا يحصل له في هذا المنزل علم غير المخلقة و إنما يحصل ذلك لمن حصل من منزل آخر و في هذا المنزل يعلم من هؤلاء الأنبياء العلم التصوري و هو العلم بالمفردات التي لم تتركب و من هذا المنزل تلبس المعاني الصور فيصور المسائل العالم في نفسه ثم يبرزها إلى المتعلمين في أحسن صورة و هي المخلقة فإن أخطأ فمن غير هذا المنزل و من هذا المنزل يعلم سبب العشق الحاصل في العاشق ما هو و ما الرابطة بين العاشق و المعشوق حتى التف به على الاختصاص دون غيره و لما ذا يراه في عينه أجمل ممن هو أجمل منه في علمه و لما ذا يكون تحت سلطان المعشوق و إن كان عبده و لما ذا ينتقل الحكم على السيد للعبد إذا كان معشوقا له فيكون تحت أمره و نهيه لا يقدر في نفسه أن يتصور مخالفته فيما يأمره به عبده و كيف انتقلت السيادة إليه و انتقلت العبودية إلى الآخر السيد ظاهرة الحكم بالتصرف فيه و لما ذا يتخيل أنه يراه أعظم عنده من نفسه و أن سعادته في عبوديته و ذلته بين يديه مع أنه يحب

الرئاسة بالطبع و لما ذا أثر في طبعه و تبين له قوة الأرواح على الطبع و أن العشق روحاني فرده إلى ما تقتضيه حقيقة الروح فإن الروح لا رياسة عنده في نفسه و لا يقبل الوصف بها و يعلم هل ينقسم العشق إلى طبع و روح أو هو من خصائص الروح أو هو من خصائص الطبع لوجوده من الحيوان و النبات و يعلم لما ذا كان العشق من الإنسان لجارية أو غلام بحيث أن يفنى فيه و يكون بهذه المثابة التي ذكرناها و لا يستفرغ هذا الاستفراغ في حب من ليس بإنسان من ذهب و فضة و عقار و عروض و غير ذلك و هو علم شريف و لما ذا يستفرغ مثل هذا الاستفراغ في محبة الحق وحده دون ما ذكرناه و يعلم هل محبته للحق جزئية أم كلية و معنى ذلك أنه هل أحبه بكله من حيث طبعه و روحه أو من حيث روحه فقط لأن الحب الطبيعي لا يليق أن يتعلق من المحب بذلك الجناب و هل لذلك الجناب مظهر يمكن أن يتعلق به الحب الطبيعي أم لا كل ذلك من خصائص علم هذا المنزل و مما يستفيد من علوم هذا المنزل علم الزمان و لما ذا يرجع هل لأمر وجودي أو لأمر عدمي و هل الليل و النهار زمان أو دليل على إن ثم زمانا و هل حدث الليل و النهار في زمان و من هذا المنزل يعلم ترتيب الهياكل الموضوعة لاستنزال الأرواح و صورها و أشكالها و بنائها و ما ينقش عليها و ما ينفعل عنها و كم مدتها بعد معرفته هل لها مدة أم لا و يعلم علم الحروف و النجوم من حيث خصائصها و طبائعها و تأثيراتها التي فطرها الله عليها و فيمن تؤثر و بما ذا تحتجب عن تأثيرها و إذا قيدت بما ذا يطلق من قيدته عن تقييدها و إذا أطلق بما ذا يقيد من إطلاقه و يعلم من هذا المنزل ما أردناه بقولنا

الحق ما بين مجهول و معروف فالناس ما بين متروك و مألوف
و الشأن ما بين و صاف و موصوف فالحال ما بين مقبول و مصروف

فهذا بعض ما يحويه هذا المنزل و هو كثير وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب التاسع و السبعون و مائتان في معرفة منزل الاعتبار و أسراره من المقام المحمدي»

تجليه في الأفعال ليس بممكن لدينا و عند الغير ذلك جائز
و يحتج في ذاك الجواز بفعله وكيف يرى في الفعل والعبد عاجز
فمن قائل الحق في الكون ظاهر و من قائل الحق في المنع ناجز
وتحقيق هذا الأمر عجز و حيرة و لا ينجلي إلا لمن هو فائز

اعلم أن التجلي الذاتي ممنوع بلا خلاف بين أهل الحقائق في غير مظهر و التجلي في المظاهر و هو التجلي في صور المعتقدات كائن بلا خلاف و التجلي في المعقولات كائن بلا خلاف و هما تجلى الاعتبارات لأن هذه المظاهر سواء كانت صور المعقولات أو صور

المعتقدات فإنها جسور يعبر عليها بالعلم أي يعلم أن وراء هذه الصور أمر إلا يصح أن يشهد و لا إن يعلم و ليس وراء ذلك المعلوم الذي لا يشهد و لا يعلم حقيقة ما يعلم أصلا و أما التجلي في الأفعال أعني نسبة ظهور الكائنات و المظاهر عن الذات التي تتكون عنها الكائنات و تظهر عنها المظاهر و هو قوله تعالى ما أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ فالحق سبحانه قرر في اعتقادات قوم وقوع ذلك و قرر في اعتقادات قوم منع وقوع ذلك و هو سبحانهقد ذكرنا أنه يتجلى في صور المعتقدات فمن عرف أن أفعال نفسه و غيره مخلوقة لله مع أنه يشاهدها عن قدرته و يعلم أنها عن القدرة الإلهية مع أنه لا يشهد تعلق قدرته أو قدرة غيره بمقدوره حالة إيجاده و إبرازه من العدم إلى الوجود يمنع إن يتجلى الحق في الأفعال إلا على حد ما وقع هنا فمنع وقوع هذا التجلي و من عرف أن أفعال نفسه مخلوقة له لا للقدرة القديمة مع أنه أيضا لا يعرفها مشاهدة إلا حال وجودها و لا يرى صاحب هذا الاعتقاد إذا أنصف تعلق قدرته بإيجادها و إنما يشهد تعلق الجارحة بالحركة القائمة قال بوقوع هذا التجلي ففيه خلاف بين أهل هذا الشأن لا يرتفع دنيا و لا آخرة غير أن الدنيا تقتضي بحالها أن يتنازعوا في هذا الأمر و غيره و في الجنة لا نزاع في ذلك لأن كل واحد قد قرره الحق على اعتقاده و أبقى عليه و همه في تلك الدار أنه متجل له في أفعاله و أبقى على الآخر علمه أنه لا يتجلى في أفعاله مع حصول تجلى من أبقى عليه و همه لمن أبقى علمه عليه بالمنع فصاحب المنع يشاهد من الحق ما يشاهده من يقول بوقوع التجلي في الأفعال فيعرف ما يشهد في ذلك التجلي كما يعرف هنا من يعقل معقولاته الصادرة عنه و ذلك الآخر لا يعلم من الله هذا الذي يعلمه من يقول بالمنع فحصل من هذا أن الأمر مشكل فهو سبحانه المثبت لذلك و النافي له فيما خاطبنا به هنا في كتبه و على ألسنة رسله و قرره في أفكار النظار لتاخذه العقول على حد ما قرره في الأفكار من المنع لذلك أو وقوعه و هذا الحجاب لا يرتفع أبدا و التكليف محقق من حيث إن الأفعال مكتسبة بلا خلاف بين الطائفتين و إنما الخلاف في الإيجاد عن أي القدرتين كان قال تعالى و تبين لكم كيف فعلنا بهم و هو أقوى حجة للقائلين بالوقوع و هو أقوى حجة للقائلين بالمنع أَلَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ فقرن الرؤية بإلى و جعل المرئي الكيف فيقول صاحب المنع لما لم نشهد هنا ذات الحق و هو يكيف مد الظل و لا رأيناه و إنما رأينا مد الظلال عن الأشخاص الكثيفة التي تحجب الأنوار أن تنبسط على الأماكن التي تمتد فيها ظلال هذه الأشخاص علمنا إن الرؤية في هذا الخطاب إنما متعلقها العلم بالكيف المشهود الذي ذكرناه و أن ذلك من الله سبحانه لا من غيره أي أنه لو أراد أن تكون الأشخاص الكثيفة منصوبة و الأنوار في جهة منها بمنع تلك الأشخاص انبساط النور على تلك الأماكن فيسمى منعها ظلالا أو يقبض تلك الظلال عن الانبساط على تلك الأماكن و لا يخلق فيها نورا آخر و لا ينبسط ذلك النور المحجوب على تلك الأماكن لما قصرت إرادته عن ذلك كما قال تعالى ثُمَّ قَبَضْناهُ إِلَيْنا قَبْضاً يَسِيراً و هو رجوع الظل إلى الشخص الممتد منه ببروز النور حتى يشهد

ذلك المكان فجعل المقبوض إنما كان قبضه إلى الله لا إلى الجدار و في الشاهد و ما تراه العين إن سبب انقباض الظل و تشميره إلى جهة الشخص الكثيف إنما هو بروز النور فما في المسائل الإلهية ما تقع فيها الحيرة أكثر و لا أعظم من مسألة الأفعال و لا سيما في تعلق الحمد و الذم بأفعال المخلوقين فيخرجها ذلك التعلق أن تكون أفعال المخلوقين لغير المخلوقين حال ظهورها عنهم و أفعال الله كلها حسنة في مذهب المخالف الذي ينفي الفعل عن المخلوق و يثبت الذم للفعل بلا خلاف و لا شك عنده في تعلق الذم بذلك الفعل من الله و سببه الكسب لما وقع مخالفا لحمد الله فيه مأمورا كان يفعله فلم يفعله أو منهيا عن فعله ففعله و هذا فيه ما فيه و في مثل هذه المسائل قلت

حيرة من حيرة صدرت ليت شعري ثم من لا يحار

أنا إن قلت أنا قال لا و هو إن قال أنا لا يعار

أنا مجبور و لا فعل لي و الذي أفعله باضطرار

و الذي أسند فعلي له ليس في أفعاله بالخيار

فإنا و هو على نقطة ثبتت ليس لها من قرار

فقد أوقفناك بما ذكرناه في هذا الباب على ما يزيدك حيرة فيه و بعد أن ذكرنا ما ذكرنا فاعلم أن هذا المنزل هو على الحقيقة منزل حيرة و مقام غيرة و من علوم هذا المنزل و هو داخل في باب الحيرة اتصاف العدم بالكينونة و هي تقتضيه و اتصاف الحق بجعل الموجودات في العدم و خلق العدم بحيث أن يقال فعل الفاعل لا شيء و لا شيء لا يكون فعلا و قد نسبه الحق إليه فقال إن يشأ يذهبكم أن يلحقكم بالعدم و يأت بخلق جديد فانظر كيف أضاف الإلحاق بالعدم إلى المشيئة و ليضفه إلى القدرة التي يقع الخلق و الجعل بها و الكتب الإلهية من هذا مشحونة و يحتوي عليها هذا المنزل و الصحيح في ذلك أن الموجودات إذا كانت كما قد ذكر لها أعيان ثابتة حال اتصافها بالعدم الذي هو للممكن لا للمحال فكما أبرزها للوجود و ألبسها حاله و عراها عن حال العدم فيسمى بذلك موجدا و تسمى هذه العين موجودة لا يبعد أن يردها إلى ما منه أخرجها و هي حالة العدم فيتصف الحق بأنه معدم لها و تتصف هي بأنها معدومة و لا يتعرض إلى العلم بأية صفة حصل ذلك فإن سألنا ألحقنا حصول الأمرين و الحالتين بالمشيئة و يسلم ذلك الخصمان و إذا سألنا عن إلحاق تلك العين بالوجود نسبنا ذلك إلى القدرة و المشيئة و يسلم الخصمان لنا ذلك فإذا فهمت ما أردناه فالحق الكل بالمشيئة و هو الأولى و الأوجه حتى تسلم من النزاع في صنف الخبر من ذلك حتى لا يتصور نزاع فيه من جميع الطوائف و من هذا الباب ذَهَبَ اللّٰهُ بِنُورِهِمْ أي أزاله عن أبصارهم و لكن لا يلزم من ذهابه عن أبصارهم الحاقة بالعدم لو لا إن المفهوم منه أن الله أعدم النور من أبصارهم وَ تَرَكَهُمْ في

ظُلُماتٍ لا يُبْصِرُونَ و من علوم هذا المنزل بعث الحق تعالى الجماعة لأمر يقوم به الواحد منهم أعني من تلك الجماعة و من علوم هذا المنزل وجود العلم عن النظرة و الضربة و الرمية و كيف تقوم هذه الأمور مقام كلام العالم للمتعلم و ذوقنا من هذا الفن ذوق النظرة فاعلم أنه كما يتضمن النظر بنور الشمس جميع المرئيات على كثرتها و بعدها في غير زمان مطول بل عين زمان اللمحة زمان بسط النور على المبصرات عين زمان إدراك البصر لها عين زمان تعلق العلم بما أدركه البصر من غير ترتيب زماني و لا امتداد و إن كان الترتيب معقولا مثل ترتيب العلة و المعلول مع تساوقهما في الوجود كذلك اللحظة أو الضربة أو الرمية تتضمن العلوم التي أودع الله فيها فإذا وقعت من الضارب أو الرامي أو اللاحظ أدرك من العلم جميع ما في قوة تلك الضربة مثل ما أعطت اللحظة بنور الشمس جميع ما في قوة تلك اللحظة من المبصرات و ليس القصور من الضربة و غيرها فإنها تتضمن ما لا نهاية له من العلوم كما تشرق الشمس على أكثر مما يدركه البصر و إنما القصور في قلب المدرك مثل القصور في المبصر عن إدراك جميع ما أشرقت عليه الشمس و هذا كله في آن واحد إن كان المدرك ممن يتقيد بالزمان كالأرواح التي لا تتصف بالتحيز فتدرك ما تدركه في غير زمان مما يدرك في زمان و في غير زمان و لهذه الإشارة بقوله صلى الله عليه و سلم إن الحق ضرب بيده بين كتفيه أو في ظهره فوجد برد الأنامل بين ثدييه أو في صدره فعلم علم الأولين و الآخرين فسبحان معلم من شاء بما شاء كيف شاء لا إله إلا هو العليم القدير و كذلك من هذا الباب لما رمى التراب في وجوه الأعداء يوم حنين فأصابت عيون القوم فانهزموا فانظر ما تضمنته تلك الرمية و ما تضمنته تلك الضربة و أما لنظرة فما رويتها عن أحد و لا سمعتها عن أحد لكني رأيتها من نفسي نظرت نظرة فعلمت ما تضمنته من العلوم و أعطيت نظرة فنظرت بها فعلمت بها من نظرت إليه من جميع ما تضمنته تلك النظرة من العلوم و هذا هو علم الأذواق و من هنا يعلم قول من قال يسمع بما به يبصر بما به يتكلم هذا مضى و أما فائدة ما يقوم به الواحد بما تبعث به الجماعة فللإنعام الإلهي بتلك الجماعة و عناية الحق بهم حيث جعل لهم نصيبا في ذلك الخير لا لقصور القدرة عن إبلاغ الواحد ذلك الأمر دون الجماعة إلا أن تكون حقائق النسب فإن ذلك ترتيب حقيقي لا وضعي كتقدم الحي على العالم و دخول المريد تحت إحاطة العالم و دخول القادر تحت إحاطة المريد فلا يقوم المريد بما يختص به القادر و لا يقوم العالم بما يختص به المريد و لا يقوم الحي بما يختص به العالم و لا يقوم العالم بما يختص به الحي و لا يقوم المريد بما يختص به العالم و لا يقوم القادر بما يختص به المريد و عين العالم هو عين الحي عين المريد عين القادر و عين الحياة هي عين العلم عين الإرادة عين القدرة و عين الحياة هي عين الحي عين العالم عين المريد عين القادر و كذلك ما بقي فالنسب مختلفة و العين واحدة و المعلوم صفة و حال و موصوف فالجمع في عين الوحدة مندرج حكما لا عينا فإنه ما ثم أعيان موجودة لهذا المجموع و إنما هي عين واحدة لها نسب مختلفة تبلغ ما بلغت فهذا هو

السريان الوجودي في الموجودات فهذا من قيام الواحد بما تقوم به الجماعة بين موجود و معقول فهذا المنزل يتضمن ما ذكرناه و من علوم هذا المنزل معرفة استحالات العناصر و المولدات بعضها إلى بعض بنسبة رابطة بين المستحيل و المستحال إليه فإن ارتفعت تلك النسبة الرابطة لم يستحل شيء إلى شيء فإنه منافر له من جميع الوجوه و لهذا كانت النسبة بين الرب و المربوب موجودة و بها كان ربا له و لم يكن بين المربوب و ذات الرب نسبة فلهذا لم يكن عن الذات شيء كما تقول أصحاب العلل و المعلولات فلا تتوجه الذات على إيجاد الأشياء من كونها ذاتا و إنما تتوجه على الأشياء من نسبة القدرة إليها و عدم المانع و ذلك مسمى الألوهة كذلك الطبائع رتبها الله ترتيبا عجيبا لأجل الاستحالات فجعل عنصر النار يليه الهواء و عنصر الهواء يليه الماء و عنصر الماء يليه التراب فبين الماء و النار منافرة طبيعية من جميع الوجوه و بين الهواء و التراب منافرة من جميع الوجوه طبيعية فجعل بينهما الوسائط لكونها ذات وجهين لكل واحد مما يلي الطرفين مناسبة خاصة فإذا أراد الحق أن يحيل الماء نارا و هو منافر طبعا أحاله أولا هواء ثم أحال ذلك الهواء نارا فما أحال الماء نارا حتى نقله إلى الهواء من أجل التناسب و كذلك جميع الاستحالات كلها في عالم الطبيعة و أما في الإلهيات فقد أشرنا إليه في هذه المسألة و في هذا الكتاب في وصف ذات المخلوق بصفة ذات الخالق و وصف ذات الخالق بصفة ذات المخلوق ثم تجرد ذات الخالق عما تقتضيه ذات المخلوق و تجرد ذات المخلوق عما تقتضيه ذات الخالق فلو لا النسبة الموجودة بين الرب و المربوب ما دل عليه و لا قبل الاتصاف بصفته لا هذا و لا هذا و بتلك النسبة كان الحق مكلفا عباده و آمرا و ناهيا و بها بعينها كان الخلق مكلفا مأمورا منهيا فحقق ما نبهناك عليه إن كنت ذا قلب و ألقيت السمع و أنت شهيد لما ذكرناه فإن لم تكن كذلك فاتك خير كثير و علم نافع جليل القدر لكنه عظيم الخطر إلا أن يعصم الله و مكر إلهي خفي في هذا المنزل صدر عن الاسم القاهر و القادر موجود من عالم الغيب في عالم الحس بيده حسام القهر صلتا يطلب به موجودا تعلق باسم رحماني مثل طلب موسى فرعون و طلب نمروذ و فراعنة الأنبياء للأنبياء عليهم السلام كل ذلك صفات تقوم للعارف في ظاهره و باطنه يكاشفها من نفسه فإذا صال رجال الاسم القاهر التجأ العارف إلى الاسم الباطن فشفع له عند القاهر فتبادر جماعة من الأسماء الإلهية من أجل الاسم الباطن تعظيما له لقربه من الهو و قاموا معه بالاسم القائم على الاسم الظاهر لبعد منزلته من الهو فأقام لهم الاسم من عالم الغيب جماعة في عالم البرزخ فإنه أشد قوة في التأثير من عالم الحس فإنه يؤثر في عالم الحس ما يؤثره الحس و الحس لا يقدر يؤثر في الخيال ألا ترى النائم يرى في الخيال إنه ينكح فينزل منه الماء في عالم الحس و يرى ما يفزعه فيتأثر لذلك جسم النائم بحركة أو صوت يصدر منه أو كلام مفهوم أو عرق لقوة سلطانه عليه و يظهر الخيال في صورة الحس ما ليس في نفسه بمحسوس و يلحقه بالحس و ليس في قوة الحس أن يرد المحسوس بعينه متخيلا فيحصل لهذا العارف علوم من عين تلك

الجماعة البرزخية يطلع بها على معرفة تلك الشبهة القادحة في سعادته لو ثبتت و مات عليها و لا بد في هذا المنزل من هذه الشبهة و هذه الأدلة (فصل) و اعلم أنه ما من منزل من المنازل و لا منازلة من المنازلات و لا مقام من المقامات و لا حال من الحالات إلا و بينهما برزخ يوقف العبد فيه يسمى الموقف و هو الذي تكلم منه صاحب المواقف محمد بن عبد الجبار النفري رحمه الله في كتابه المسمى بالمواقف الذي يقول فيه أوقفني الحق في موقف كذا فذلك الاسم الذي يضيفه إليه هو المنزل الذي ينتقل إليه أو المقام أو الحال أو المنازلة إلا قوله أوقفني في موقف وراء المواقف فذلك الموقف مسمى بغير اسم ما ينتقل إليه و هو الموقف الذي لا يكون بعده ما يناسب الأول و هو عند ما يريد الحق أن ينقله من المقام إلى الحال و من الحال إلى المقام و من المقام إلى المنزل و من المنزل إلى المنازلات أو من المنازلات إلى المقام و فائدة هذه المواقف أن العبد إذا أراد الحق أن ينقله من شيء إلى شيء يوقفه ما بين ما ينتقل عنه و بين ما ينتقل إليه فيعطيه آداب ما ينتقل إليه و يعلمه كيف يتأدب بما يستحقه ذلك الأمر الذي يستقبله فإن للحق آدابا لكل منزل و مقام و حال و منازلة إن لم يلزم الآداب الإلهية العبد فيها و إلا طرد و هو أن يجري فيها على ما يريده الحق من الظهور بتجليه في ذلك الأمر أو الحضرة من الإنكار أو التعريف فيعامل الحق بآداب ما تستحقه و قد ورد الخبر الصحيح في ذلك في تجليه سبحانه في موطن التلبيس و هو تجليه في غير صور الاعتقادات في حضرة الاعتقادات فلا يبقى أحد يقبله و لا يقربه بل يقولون إذا قال لهم أنا ربكم نعوذ بالله منك فالعارف في ذلك المقام يعرفه غير أنه قد علم منه بما أعلمه أنه لا يريد أن يعرفه في تلك الحضرة من كان هنا مقيد المعرفة بصورة خاصة يعبده فيها فمن أدب العارف أن يوافقهم في الإنكار و لكن لا يتلفظ بما تلفظوا به من الاستعاذة منه فإنه يعرفه فإذا قال لهم الحق في تلك الحضرة عند تلك النظرة هل كان بينكم و بينه علامة تعرفونه بها فيقولون نعم فيتحول لهم سبحانه في تلك العلامة مع اختلاف العلامات فإذا رأوها و هي الصورة التي كانوا يعبدونه فيها حينئذ اعترفوا به و وافقهم العارف بذلك في اعترافهم أدبا منه مع الله و حقيقة و أقر له بما أقرت الجماعة فهذه فائدة علم المواقف و ما ثم منزل و لا مقام كما قلنا إلا و بينهما موقف إلا منزلان أو حضرتان أو مقامان أو حالان أو منازلتان كيف شئت قل ليس بينهما موقف و سبب ذلك أنه أمر واحد غير أنه يتغير على السالك حاله فيه فيتخيل أنه قد انتقل إلى منزل آخر أو حضرة أخرى فيحار لكونه لم ير الحق أوقفه و التغيير عنده حاصل فلا يدري هل ذلك التغير الذي ظهر فيه هل هو من انتقاله في المنزل أو انتقاله عنه فإن كان هنالك عارف بالأمر عرفه و إن لم يكن له أستاذ بقي التلبيس فإنه من شأن هذا الأمر أن لا يوقفه الحق كما فعل معه فيما تقدم و كما يفعل معه فيما يستقبل فيخاف السالك من سوء الأدب في الحال الذي يظهر عليه هل يعامله بالأدب المتقدم أو له أدب آخر و هذا لمن أوقفه الحق من السالكين فإذا لم يوقفه الحق في موقف من هذه المواقف و لم يعطه الفصل بين ما ينتقل إليه و عنه كان عنده

الانتقالات في نفس المنزل الذي هو فيه فإنه ما ثم عند صاحب هذا الذوق إلا أمر واحد فيه تكون الانتقالات و هو كان حال المنذري صاحب المقامات و عليها بنى كتابه المعروف بالمقامات و أوصلها إلى مائة مقام في مقام واحد و هو المحبة فمثل هذا لا يقف و لا يتحير و لكن يفوته علم جليل من العلم بالله و صفاته المختصة بما ينتقل إليه فلا يعرف المناسبات من جانب الحق إلى هذا المنزل فيكون علمه علم إجمال قد تضمنه الأمر الأول عند دخوله إلى هذه الحضرات و يكون علم صاحب المواقف علم تفصيل و لكن يعفى عنه ما يفوته من الآداب إذا لم تقع منه و تجهل فيه و لا يؤثر في حاله بل يعطي الأمور على ما ينبغي و لكن لا يتنزل منزلة الواقف و لا يعرف ما فاته فيعرفه الواقف و هو لا يعرف الواقف فلهذا المنزل الذي نحن فيه موقف يجهل لا بل يحار فيه صاحب المواقف لأن المناسبة بين ما يعطيه الموقف الخاص به و بين هذا المنزل بعيدة مما بنى المنزل عليه و كذلك الذي يأتي بعده غير أن النازل فيه و إن كان حائرا فإنه يحصل له من الموقف في تلك الوقفة إذا ارتفعت المناسبة بين المنزل و الوقفة إن المناسبة ترجع بين الوقفة و النازل فيعرف ما تستحقه الحضرة من الآداب مع ارتفاع المناسبة فيشكر الله على ذلك فصاحب المواقف متعوب لكنه عالم كبير و الذي لا موقف له مستريح في سلوكه غير متعوب فيه و ربما إذا اجتمعا و رأى من لا موقف له حال من له المواقف ينكر عليه ما يراه فيه من المشقة و يتخيل أنه دونه في المرتبة فيأخذ عليه في ذلك و يعتبه فيها و يقول له الطريق أهون من هذا الذي أنت عليه و يتشيخ عليه و ذلك لجهله بالمواقف و أما صاحب المواقف فلا يجهله و لا ينكر عليه ما عامله به من سوء الأدب و يحمله فيه و لا يعرفه بحاله و لا بما فإنه من الطريق فإنه قد علم إن الله ما أراده بذلك و لا أهله فيقبل كلامه و غايته إن يقول له يا أخي سلم إلى حالي كما سلمت إليك حالك و يتركه و هذا الذي نبهتك عليه من أنفع ما يكون في هذا الطريق لما فيه من الحيرة و التلبيس فافهم وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثمانون و مائتان في معرفة منزل مالي و أسراره من المقام الموسوي»

قلت مالي فقال مالك عبدي ... قلت مالي فقال مالك عندي
قلت لما أضفته لي ملكا ... لم خصصته بقولك عندي
قال لما علمت أنك عندي ... كان ما تحت ملك عندك عندي
قلت إن كان عين إنك أني ... صح ما قلت إن عندك عندي
و كما قلت إن عندك عندي ... فلنقل نحن إن عندك عندي
و هو أولى فإن ذاتي ظرف ... و تعاليت أنت فالعند عندي

هذا منزل عال ليس بينه و بين موقفه مناسبة فترجع المناسبة إلى الواقف كما كان في المنزل الذي قبله من هذا المنزل قال يعقوب عليه السلام لبنيه وَما أُغْنِي عَنْكُمْ من الله من شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ و من هذا المنزل قال محمد صلى الله عليه و سلم و قد نزل عليه وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ فوقف على الصفا و جاء الناس يهرعون إليه فقال لأكرم الناس عليه يا فاطمة بنت محمد انظري لنفسك لا أغنى عنك من الله شيئا و قال مثل هذه المقالة لجميع الأقربين و كان عمه أبو لهب حاضرا فنفخ في يده و قال ما حصل بأيدينا مما قاله شيء و صدق أبو لهب فإنه ما نفعه الله بإنذاره و لا أدخل قلبه منه شيئا لما أراد به من الشقاء فأنزل الله فيه تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ما أَغْنى عَنْهُ مالُهُ وَما كَسَبَ فإنه كان معتمدا على ماله فمن اعتمد على غير الله في أموره خسر و القائلون بالأسباب إذا اعتمدوا عليها و تركوا الاعتماد على الله لحقوا بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمالًا و إذا أثبتوا الأسباب و اعتمدوا على الله و لم يتعدوا فيها منزلتها التي أنزلها الله فيها فأولئك الأكابر من رجال الله الذين لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ الله و أثبت لهم الحق الرجولة في هذا الموطن و من شهد له الحق بأمر فهو على حق في دعواه إذا ادعاه و من أثبت الأسباب بإثبات الحق و ركن إليها ركون الطبع و اضطرب عند فقدها في نفس الاعتماد على الله فذلك من متوسط الرجال و إذا وقع الاضطراب في النفس فإن أحس بالفقد و اضطرب المزاج فذلك من خصائص الرجال الأكابر و إن لم يضطرب المزاج و لم يحس بالفقد فذلك حال الاعتماد على الله و هو مقام المتوسطين أصحاب الأحوال و من هذا المنزل قيل للنبي صلى الله عليه و سلم في فتح مكة لما وقف بين يديه رجل ممن كان النبي صلى الله عليه و سلم يريد قتله فلما قضى حاجته منه و انصرف قال النبي صلى الله عليه و سلم لم لم تقتلوه حين وقف بين يدي فقال له أصحابه هلا أومأت إلينا بطرفك فقال صلى الله عليه و سلم ما كان لنبي أن تكون له خائنة عين و هي حالة لا يسلم منها و غاية إن يسلم منها من سلم في الشر و أما في الخير فإنهم ربما اتخذوها في الخير طريقا محمودة فيومئ الكبير في حق الحاضر إلى بعض من يمتثل أمره أن يجيء إليه بخلعة أو بمال يهبه لذلك الحاضر يكون ذلك إيماء بالعين لا تصريحا باللفظ من غير شعور من يومي في حقه بذلك الخير و لا يقع مثل هذا و إن كان خيرا من نبي و سببه أن لا تعتاده النفس فربما تستعمله في الشر لاستصحابها إياه في الخير إذ كانت النفس من طبعها أن تسترقها العادة و إنما سميت خائنة عين لأن الإفصاح عما في النفس إنما هو لصفة الكلام ليس هو من صفة العين و إن كان في قوة العين الإفصاح بما في النفس بالإشارة و لكن إنما لها النظر و الذي عندها من صفة الكلام إنما هو أمانة بيدها للكلام فإذا تصرفت في تلك الأمانة بالإيماء و الإشارة لمن تومئ إليه في أمر ما فقد خانت الكلام فيما أمنها عليه من ذلك فلهذا سميت خائِنَةَ الْأَعْيُنِ فوصفت بالخيانة و الخيانة التصرف في الأمانة فإن الأمانة ليست بملك لك و إنك مأمور بأدائها إلى أهلها فإذا اقتضى المنزل الأمر بخير و شر في حق شخص و في قوة العين الإفصاح عن ذلك لمن يشير إليه

به فعلمت إن ذلك صفة للكلام فلم تفعل و ردت تلك الأمانة إلى اللسان فنطق فقد أدت هذه العين الأمانة إلى أهلها و لم تخن فيها قال تعالى يَعْلَمُ خائِنَةَ الْأَعْيُنِ أي يعلم أنها خيانة و كيف هي خيانة و لم يقل يعلم ما أشارت به الأعين و ما أومأت فإن المشار إليه يعلم ذلك فلا يكون مدحا و لكن لا يعلم كل أحد أنها خيانة إلا من أعلمه الله بذلك و قد أعلمنا بها فعلمناها فهي في الخير خيانة محمودة و في الشر خيانة مذمومة و ما زالت عن كونها خيانة في الحالين و بعد أن بينا لك هذا الأمر فتحفظ منها ما استطعت أن تفعلها مع الحضور فإنك لست بمعصوم فاستعمل الحضور عسى تفوز بهذا المقام فإن قلت قد أشارت من شهد لها بالكمال و منعت من الكلام و هي مريم إلى عيسى إن يسألوه عن شأنه قلنا بعد ذلك نالت الكمال لا في ذلك الوقت أ لا ترى زكريا قيل له آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزاً و الرمز ما يقع بالإشارة فإن الإشارة صريحة في الأمر المطلوب بل هي أقوى في التعريف من التلفظ باسم المشار إليه في مواطن يحتاج المتكلم فيها إلى قرينة حال حتى لو قال شخص لآخر كلم زيدا بكذا و كذا و زيد حاضر احتمل أن يفهم عنه السامع زيدا آخر غير هذا و المتكلم إنما أراد الحاضر فإذا ترك التلفظ باسمه و أشار إليه بيده أو بعينه فقال كلم هذا مشيرا إليه كان أفصح و أبعد من الإبهام و النكر و الحرف إنما هو لفظ مجمل يحتمل التوجيه فيه إلى أمور مثل ما رمز الشاعر في التعريف بالنار من غير إن يسميها فقال

و طائرة تطير بلا جناح | و تأكل في المساء و في الصباح
و تمشي في الغصون لها صياح | و هز في الحسام لدى الكفاح
تفر الأسد منها في الفيافي | و تغلب للصوارم و الرماح
و تجلس بين أفخاذ العذارى | و تكشف ما خفي تحت الوشاح
إذا ماتت تجارح والداها | فترجع حية عند الجراح

يريد بالوالدين الزناد فهذا هو الرمز في النار و قال الآخر في العين فأحسن

و طائرة تطير بلا جناح | تفوق الطائرين و ما تطير
إذا ما مسها الحجر استكنت | و تنكر أن يلامسها الحرير

يريد بالحجر الإثمد و اعلم أنه من أقام في نفسه معبودا يعبده على الظن لا على القطع خانه ذلك الظن و ما أغنى عنه من الله شيئًا قال تعالى إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً و قال في عبادتهم إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ ما تَهْوَى الْأَنْفُسُ فما نسب إليهم قط أنهم عبدوا غير الله إلا على طريق الظن لا على جهة العلم فإن ذلك في نفس الأمر ليس بعلم فمن هنا تعلم أن العلم سبب النجاة و إن شقي في الطريق فالمال إلى

النجاة فما أشرف مرتبة العلم و لهذا لم يأمر الله نبيه صلى الله عليه و سلم أن يطلب من الله تعالى الزيادة من شيء إلا من العلم فقال له وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً فمن فهم ما أشرنا إليه علم أهل السعادة من أهل الشقاء و لم تؤثر فيه الأمور العرضية التي توجب الشقاء في الطريق فلو علم المشرك ما يستحقه الحق من نعوت الجلال لعلم أنه لا يستحق أن يشرك به و لو علم المشرك أن الذي جعله شريكا لا يستحق أن يوصف بالشركة لله في الوهته لما أشرك فما أخذ إلا بالجهل من الطرفين قال تعالى فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجاهِلِينَ و قال إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ فلو اقتصر المشرك على الشركة في الفعل لا في الألوهة لكان في الأمر سعة فإن إضافة الأفعال إلى المخلوقين فيه إشكال و يعذر صاحبه فيمن هو ذو فعل فإذا أضافوا الأفعال إلى من يعلمون أنه ليس بفاعل فبالجهل أخذوا و به وقع التوبيخ فقيل لهم أَ تَعْبُدُونَ ما تَنْحِتُونَ و قال في حق ذي فعل وَ أَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَ ما هَدى فنسب الإضلال لفرعون و ما نسبه إلى قومه فإنه عندهم ذو فعل و في نفس الأمر كذلك و قوله وَما هَدى أي ما بين لهم طريق الحق فإنه موضع لبس لكونه ذا أفعال فلو كان المعبود جمادا ما وقع اللبس فإن قيل فإن اتخذوا إلها من له فعل بالخاصية من جماد و نبات أ يعذرون قلنا لا يعذرون فإن خاصيته لا تكون سارية في كل شيء حتى تضاف إليه الأفعال كما تضاف إلى الله و بهذا القدر من الجهل أخذوا عبدة المخلوقين ذوي الأفعال كفرعون و غيره فإن القدرة التي له لا تزيد على قدرة العابد إياه فهي قاصرة عن سريانها في جميع الأفعال فإن القدرة الحادثة لا تخلق المتحيزات من أعيان الجواهر و الأجسام فعبدوا من لم يخلق أعيانهم و لهذا وبخهم بقوله تعالى أَ فَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَ فَلا تَذَكَّرُونَ فإن قيل فإن أقدر أحد على جهة خرق العادة على خلق جوهر فعبده أحد لذلك هل يعذر أم لا قلنا لا يعذر فإنه يشهد أنه يقبل الحوادث و لا يخلو عنها و ما لا يخلو عن الحوادث يستحيل أن يتقدمها على الجملة و إذا لم يتقدم الحوادث على الجملة كان حادثا مثلها و من شأن الإله أن يكون أقدم من كل ما يحدث على الجملة فلا بد أن يكون الحادث متأخرا عنه بأي نسبة كان من نسب التأخر فلما فاته هذا القدر من العلم و كان جاهلا به لم يعذر و أخذ بذلك و أصله إنما كان الجهل بذلك فمن استند إلى معبود موضوع فإنما استند إليه بظنه لا بعلمه فلذلك أخذ به فشقي إلا أن يعطي المجهود من نفسه في نفي الشريك فلم يعط فكره و لا نظره و لا اجتهاده نفيه جملة واحدة و لم يبعث إليه رسول و لم تصل إليه دعوته فإن جماعة من أهل النظر قالوا بعذر من هذه حالته و هو مأجور في نفس الأمر مع أنه مخطئ و ليس بصاحب ظن بل هو قاطع لا عالم و القطع على الشيء لا يلزم أن يكون عن علم و ربما يستروح من قول الله تعالى وَمن يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلهاً آخَرَ لا بُرْهانَ لَهُ به إن الله يعذره و لا شك أن المجتهد الذي أخطأ في اجتهاده في الأصول يقطع أنه على برهان فيما أداه إليه نظره و إن كان ليس ببرهان في نفس الأمر فقد يعذره الله تعالى لقطعه بذلك عن اجتهاده كما قطع الصاحب أنه رأى دحية و كان المرئي جبريل فهذا قاطع على غير علم فاجتهد

فأخطأ فإنه غير ذاكر لما نقصه من التقسيم فإنه لو قال إن لم يكن روحا تجسد و إلا فهو دحية بلا شك فتدبر ما قررناه في مثل هذا فإن النبي صلى الله عليه و سلم يقول في المجتهد إذا اجتهد فأصاب فله أجران و إن أخطأ فله أجر و لم يفصل بين الاجتهاد في الأصول و الفروع و قال تعالى وَ ما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً و يلحق بهذا الباب طوائف ممن أوجب أكثر العلماء عليهم العذاب و حكموا عليهم بالشقاء من غير دليل واضح يفيد العلم فأنزلوهم منازل الأشقياء بالظن و القطع على غير علم في نفس الأمر فالإله لا يكون بالحسبان فثبت بما ذكرناه أنه من ظن لم ينج من عذاب في الإله فإن قيل يقول الله أنا عند ظن عبدي بي قلنا له هو مذهبنا فإنه قال بي فقد أثبته و ما قال أنا عند ظن العبد بمن جعله إلها فمتعلق الظن كان عنده بالله فيما يظنه من سعادة أو شقاء فإنه عالم بالله صاحب ظن في مؤاخذته على الذنب أو العفو عنه و بعد أن تقرر هذا فلتعلم إن الجنة جنتان جنة حسية و جنة معنوية فالمحسوسة تتنعم بها الأرواح الحيوانية و النفوس الناطقة و الجنة المعنوية تتنعم بها النفوس الناطقة لا غير و هي جنة العلوم و المعارف ما ثم غيرهما و النار ناران نار محسوسة و نار معنوية فالنار المحسوسة تتعذب بها النفوس الحيوانية و النفوس الناطقة و النار المعنوية تتعذب بها النفوس الناطقة لا غير و الفرق بين النعيمين و العذابين إن العذاب الحسي و النعيم الحسي يكون بالمباشرة للذي يكون عن مباشرته الألم القائم بالروح الحيواني و العذاب المعنوي لا يكون بمباشرة للنفوس الناطقة و إنما هو بما حصل لها من العلم بما فاتها من العمل و العلم المؤدي إلى سعادة الروح الحيواني الذي يتضمن سعادة النفس الناطقة و أما نار الفكر الذي يتعلق ألمه بالحس و بالنفس فهي نار معنوية فإن حصل العلم عنها أعقبها نعيم جنة معنوية و إن لم يحصل العلم عنها لم يزل صاحبها معذبا ما دام مفكرا و لا نعيم له معنوي و إذا زال الفكر عنه بأي وجه زال من غير حصول علم فذلك النعيم الذي تجده النفس إنما هو الراحة من فقد نار التفكر المسلط على قلبه فهي راحة حسية لا معنوية فاعلم ذلك و اعلم أن هذا المنزل يتضمن علم عقل ما ليس بحيوان في الإدراك الحس العادي عن الله تعالى ما يأمره به مثل قوله تعالى إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ عَلَى السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها و قوله تعالى فَقالَ لَها وَلِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ فجمعهما جمع من يعقل و أثبت لها ما أثبت للحي العالم السميع القادر و قوله تعالى عَلَيْهِمْ نارٌ مُؤْصَدَةٌ فأخبر أنها مسلطة و لا يقبل التسليط إلا من يعقل و أنها محرقة بالطبع فإنه لو لم تحرق بالطبع ما قبلت الإرسال على الكفار إذ لو كان الحرق فيها بغير الطبع لما تصورت منها المخالفة لأن المخالف إنما هو الاحتراق فهو أمر آخر يفتقر وجوده إلى إيجاد موجدة و الحق ما خاطب إلا النار و الإحراق عرض و العرض يفتقر إلى وجود في غير عين النار فإنه إن وجد في النار فإنه لا ينتقل إلى الجسم المسلط عليه النار لأن العرض لا ينتقل إذ لو انتقل لخلا عن المحل و قام بنفسه و العرض لا يقوم بنفسه فمن المحال تحريق الجسم المحرق بالنار فيكون خطاب النار بالإحراق

عبثا و قد وقع الخطاب على النا ر بالتسليط فعلى من وقع فبطل إن يكون الحق يتكلم بالعبث فكيف يخرج هذا الخطاب و على من يقع إذا لم يكن الإحراق للنا ر بالطبع و هكذا كل جماد و نبات و حيوان خوطب لا بد أن يكون حيا عاقلا قابلا لما يخاطب به من شأنه أن يعقل ما قيل له افعل قبولا ذاتيا تابعا لوجود عينه فهذا قد نبهتك على هذا النوع من الإدراك الذي يتضمنه هذا المنزل و اعلم أن جميع ما يحويه هذا المنزل من العلوم لا يوصل إليها إلا بالتعريف الإلهي بوساطة روحانية الأنبياء لهذا المكاشف و تلك الأرواح لا يعلمها من الله إلا بوسائط لغموضها و دقتها فمن جملة ما يحويه علم كسر المكسور إلى ما لا نهاية له و معلوم من طريق العقل إن المكسور محصور فهو متناه لنفسه فكيف يقبل الكسر إلى ما لا يتناهى و هذه مسألة تشبه بمسألة انقسام الجسم إلى ما لا نهاية له عقلا لا حسا عند الحكماء لإبطال إثبات الجوهر الفرد الذي تنتهي إليه قسمة الجسم في مذهب المتكلمين فمن هذا المنزل تعرف الحق عند من هو من هاتين الطائفتين و تطلع من هذا المنزل على علم قيام العذاب و حمله في غير أجسام المعذبين و عذاب المعذبين به مع كونه غير قائم بهم و هو من أشكل المسائل كيف يوجب المعنى حكمه لغير من قام به فتشبه أيضا هذه المسألة مسألة من يقول إن الله إذا أراد أن يمضي أمرا خلق إرادة لا في محل ثم أراد بها إمضاء ذلك الأمر فقد أوجب المعنى حكمه لمن لم يقم به عند مثبتي الصفات أعيانا لها أحكام و هم المتكلمون و الفرق بين هذه المسألة و بين مسألتنا أن العذاب محمول في أجسام و حكمه في أجسام أخر غير الأجسام القائم بها العذاب و العذاب المحمول في هذه الأجسام لا تتعذب به و هو قائم بها و هي متصفة به من كونها محلاله لا من كونها معذبة به و الوجه الجامع بين المسألتين وجود الحكم المضاف إلى المعنى في غير المحل الذي قام به ذلك المعنى و هل العلم مثل الإرادة في هذا الباب و غيره من الصفات أم لا فيقوم العلم بزيد و لا يعلم به زيد و يعلم به عمر و هذا محال عقلا و لكن هذا المنزل يحكم بوقوع ذلك فإن أردت تأنيس النفس لقبول ما أعطاه هذا المنزل في هذه المسألة فانظر ما أنت مجمع عليه مع أصحابك إن الحق سبحانه يتعالى عن الحلول في الأجسام فإن الإنسا ن إنما يبصر ببصره القائم بجا رحة عينه في وجهه و يسمع بسمعه القائم بجا رحة أذنه و يتكلم بالكلام الموجود في تحريك لسانه و تسكينه و شفتيه و مخا رج حروفه من صد ره إلى شفتيه ثم إن هذا الشخص يعمل بطاعة الله تعالى الزائدة على فرائضه من نوافل الخيرات فينتج له هذا العمل نفي سمعه و بصره و كلامه و جميع معانيه من بطش و سعي التي كانت توجب له أحكامها فكا ن ينطلق عليه من أحكامها سميع بصير متكلم إلى غير ذلك فصا ر يسمع بالله بعد ما كا ن يسمع بسمعه و يبصر بالله بعد ما كا ن يبصر ببصره مع العلم بأن الله يتقدس أن تكون الأشياء محلا له أو يكون هو محلا لها فقد سمع العبد بمن لم يقم به و أبصر بما لم يقم به و تكلم بما لم يقم به فكا ن الحق سمعه و بصره

و يده فهكذا وجود العذاب في المحال التي لم تقم بها الصفة التي يكون حكمها العذاب كما قد ثبت أن الصفة تعطي خلاف حكمها في المحل و أنت القائل به و لا فرق بين المسألتين و قد أنشد في ذلك صاحب محاسن المجالس

فهل سمعتم بصب   سليم طرف سقيم

منعم بعذاب   معذب بنعيم

و أنشد أبو يزيد الأكبر طيفور بن عيسى البسطامي يخاطب ربه عز و جل

أريدك لا أريدك للثواب   و لكني أريدك للعقاب

و كل ما ربي قد نلت منها   سوى ملذوذ وجدي بالعذاب

فطلب اللذة في العذاب و هذا عكس الحقائق في العقل و لكن أهل الكشف و الذوق وجدوا أمورا أحالها العقل و إن كنا نعرف نحن ما قاله القائلان في شعرهما و من هذا الباب قال الله للنار كُونِي بَرْداً وَ سَلاماً و النار لا تكون بردا في العقل إذ لو كانت بردا لبطلت الحقائق أن تكون حقائق فقد جاء الذوق في تجليه بخلاف ما يعطيه العقل و إن كنا نحن نعرف ما قاله الحق في ذلك و لمن خاطب به و لكن جئنا بذلك تأنيسا للمريد ليتحقق أَنَّ اللّٰهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ و أن قدرته مطلقة على إيجاد المحال لو شاء وجوده كما ذكره في كتابه عن نفسه ما هو محال في العقل بما يعطيه دليله فقال لَوْ أَرادَ اللّٰهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً لَاصْطَفىٰ مِمّٰا يَخْلُقُ ما يَشٰاءُ سُبْحٰانَهُ هُوَ اللّٰهُ الْوٰاحِدُ الْقَهّٰارُ فألحقه بدرجة الإمكان بالنسبة إلى المشيئة الإلهية و العقل قد دل على إن ذلك محال لا من كونه لم يرده فكانت هذه الآية أولها جرح جرح به العقل في صحة دليله ليبطله ثم داوى ذلك الجرح في آخر الآية بقوله سبحانه أي هو المنزه أن يكون لأحديته ثان غير أن في قوله القهار أسرارا من اعتبرها لمن يكون قهارا و جميع الأفعال إنما هي أحكام أسمائه في الكون فلا فعل لأحد إلا لله فالأفعال كلها من الاسم القادر و القاهر فما يقهر بالاسم القاهر إلا موجد ذلك الفعل في الكون و هو أثر القاهر فما قهر إلا نفسه و هو أثر الاسم القادر فما قهر إلا الاسم القادر و هو المشارك له في وجود العين فما قهر القاهر القادر إلا بالاسم القادر فالقادر نفسه قهر بالاسم القاهر إلا أن يكون القهر بالمنع لا بالإيجاد فيكون عند ذلك القهر مضافا إلى الاسم المريد و لكن ما يمنع إلا بالاسم القاهر للعين التي تهيأت لقبول الوجود فقهرتها المشيئة و أخرتها عن الوجود لأن لها الترجيح فقد حصلت لك بما أوردته من الأنس في قبول هذه المسألة ما فيه كفاية فيما تعطيه طريقة القوم وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الأحد و الثمانون و مائتان في معرفة منزل الضم و إقامة الواحد مقام الجماعة

من الحضرة المحمدية»

صلاة العصر ليس لها نظير		لنظم الشمل فيها بالحبيب
هي الوسطى لأمر فيه دور		محصلة على أمر عجيب
و ما للدور من وسط تراه		و لا طرفين في علم اللبيب
فكيف الأمر فيه فدتك نفسي		فخص العبد بالعلم الغريب

قال رب هذا المنزل إن الصلاة الوسطى أجرها مقرون إذا لم تصل في جماعة بأجر من وتر أهله و ماله و قد قال العدل عيسى عليه السلام قلب كل إنسان حيث ماله فاجعلوا أموالكم في السماء تكن قلوبكم في السماء أي تصدقوا و إلى هنا انتهت معرفة هذا العدل و قال الصادق المؤتي جوامع الكلم رسول الله محمد صلى الله عليه و سلم الصدقة تقع بيد الرحمن فيربيها فيكون قلب العبد حيث ماله و إن حيثيته يد الرحمن و أين يد الرحمن من السماء فقد أجمع العدلان على إن المال له من القلب مكانة علية و أما الأهل من زوج و ولد فلا خفاء على ذي لب أنهم منوطون بالفؤاد فأما الزوجة فقد جعل الله بينها و بين بعلها المودة و الرحمة و السكون إليها و السكون صفة مطلوبة للأكابر و هي الطمأنينة قال إبراهيم بَلى وَلكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي أي يسكن إلى الوجه الذي يحيي به الموتى و يتعين لي إذ الوجوه لذلك كثيرة فسكن إليه سكونا لا يشوبه تحير و لا تشويش يعني في معرفة الكيفية فانظر بما ذا قرن النبي صلى الله عليه و سلم من فاتته صلاة العصر و سبب ذلك أن أوائل أوقات الصلوات الأربع محدودة إلا العصر فإنها غير محدودة و إن قاربت الحد من غير تحقيق فقربت من التنزيه عن تقييد الحدود إذ كان المغرب محدودا بغروب الشمس و هو محقق محسوس و العشاء محدود أوله بمغيب الشفق و هو محقق محسوس أي شفق كان على الخلاف المعلوم فيه و الفجر محدود أوله بالبياض المعترض في الأفق المستطير لا المستطيل و هو محقق محسوس و الظهر محدود بزوال الشمس و فيء الظل و هو محقق محسوس و لم يأت مثل هذه الحدود في العصر فتنزهت عن الحدود المحققة فجعل النبي صلى الله عليه و سلم وقتها أن تكون الشمس مرتفعة بيضاء نقية و الحد الوارد في ذلك ما يكون في الظهور مثل سائر حدود أوقات الصلوات فعظم قدرها النبي صلى الله عليه و سلم للمناسبة في نفي تحقيق الحدود و كذلك حب المال و الأهل لا يضبطه حد يقول القائل في الولد

و إنما أولادنا بيننا		أكبادنا تمشي على الأرض

فأنزل الولد منزلة النفس و كما لا يفنى الإنسان في حبه نفسه للقرب المفرط الذي ما يكون مثله قرب إليه البتة كذلك لا يفنى الإنسان في حب ولده و لا ماله و لا أهله لأنه منوط بقلبه بمنزلة نفسه للقرب المفرط يخفى ذلك فيه فإن اتفق أن يطلق امرأته و قد كان حبه إياها كامنا فيه لا يظهر لإفراط القرب أخذه الشوق إليها و هام فيها و حن إليها لبعدها عن ذلك القرب المفرط لتعلق الشوق و الوجد بها و لهذا يفنى العاشق في معشوقه الأجنبي لأنه ليس له ذلك القرب الظاهر الذي يحول بينه و بين الاشتياق إليه و لقرب الحق من قلوب العارفين بالعلم المحقق الذوقي الذي وجدوه لهذا صحوا و لم يهيموا فيه هيمان المحبين لله من كونه تجلى لهم في جمال مطلق و تجليه للعلماء به في كمال مطلق و أين الكمال من الجمال فإن الأسماء في حق الكامل تتمانع فيؤدي ذلك التمانع إلى عدم تأثيرها فيمن هذه صفته فيبقى منزها عن التأثير مع الذات المطلقة التي لا تقيدها الأسماء و لا النعوت فيكون الكامل في غاية الصحو كالرسل و هم أكمل الطوائف لأن الكامل في غاية القرب يظهر به في كمال عبوديته مشاهدا كمال ذات موجدة و إذا تحققت ما قلناه علمت أين ذوقك من ذوق الرجال الكمل الذين اصطفاهم الله فيه و اختارهم منه و نزههم عنه فهم و هو كهو و هم فسماه الكامل منهم العصر لأنه ضم شيء إلى شيء لاستخراج مطلوب فضمت ذات عبد مطلق في عبوديته لا يشوبها ربوبية بوجه من الوجوه إلى ذات حق مطلق لا يشوبها عبودية أصلا بوجه من الوجوه من اسم إلهي بطلب الكون فلما تقابلت الذاتان بمثل هذه المقابلة كان المعتصر عين الكمال للحق و العبد و هو كان المطلوب الذي له وجد العصر فإن فهمت ما أشرنا إليه فقد سعدت و ألقيتك على مدرجة الكمال فارق فيها و لهذا المعنى الإشارة في نظمنا في أول الباب

صلاة العصر ليس لها نظير لضم الشمل فيها بالحبيب

و بعد أن أبنت لك مرتبة الكمال فلنبين لك من هذا المنزل قيام الواحد مقام الجماعة و هو عين الإنسان الكامل فإنه أكمل من عين مجموع العالم إذ كان نسخة من العالم حرفا بحرف و يزيد أنه على حقيقة لا تقبل التضاؤل حين قبلها أرفع الأرواح الملكية إسرافيل فإنه يتضاءل في كل يوم سبعين مرة حتى يكون كالوضع أو كما قال و التضاؤل لا يكون إلا عن رفعة سبقت و لا رفعة للعبد الكلي في عبوديته فإنه مسلوب الأوصاف فلو أنتج لذلك الروح المتضايل حال هذا العبد الكلي في عبوديته لما تكرر عليه التضاؤل فافهم ما أشرت به إليك و قد نبهتك بهذا الخبر أن هذا الملك من أعلم الخلق بالله و تكرار تضاؤله لتكرار التجلي و الحق لا يتجلى في صورة مرتين فيرى في كل تجل ما يؤديه إلى ذلك التضاؤل هذا هو العلم الصحيح الذي تعطيه معرفة الله ثم لتعلم إن الله خلق الْإِنسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ للصورة التي خصه بها و هي التي أعطته هذه المنزلة فكان أحسن تقويم في حقه لا عن مفاضلة أفعل من كذا بل هو مثل قوله الله أكبر لا عن مفاضلة بل الحسن

المطلق للعبد الكامل كالكبرياء المطلق الذي للحق فهو أحسن تقويم لا من كذا كما هو الحق أكبر لا من كذا لا إله إلا هو و لا عبد إلا المصمت في عبودته فإن حاد العبد عن هذه المرتبة بوصف ما رباني و إن كان محمودا من صفة رحمانية و أمثالها فقد زال عن المرتبة التي خلق لها و حرم من الكمال و المعرفة بالله على قدر ما اتصف به من صفات الحق فليقلل أو يكثر و اعلم أن للإنسان حالتين حالة عقلية نفسية مجردة عن المادة و حالة عقلية نفسية مدبرة للمادة فإذا كان في حال تجريده عن نفسه و إن كان متلبسا بها حسا فهو على حالته في أحسن تقويم و إذا كان في حال لباسه المادة في نفسه كما هو في حسه فهو على حالته في خسر لا ربح في تجارته فيه فَما رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ وَ ما كانُوا مُهْتَدِينَ و هو قوله إِنَّ الْإِنْسانَ لَكَفُورٌ إِنَّ الْإِنْسانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ إِنَّ الْإِنْسانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولاً فإذا قال الإنسان الكامل الله نطق بنطقه جميع العالم من كل ما سوى الله و نطقت بنطقه أسماء الله كلها المخزونة في علم غيبه و المستأثرة التي يخص الله تعالى بمعرفتها بعض عباده و المعلومة بأعيانها في جميع عباده فقامت تسبيحته مقام تسبيح ما ذكرته فأجره غَيْرُ مَمْنُونٍ و سنومئ إلى تحقيق هذا في المنزل التاسع و الثمانين و مائتين و بعد أن نبهتك على معرفة قيام التوحيد بالواحد القائم مقام الجماعة في الخير و الشر فإنه قال تعالى في هذا المقام في الخير و الشر من قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّما قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَ مَنْ أَحْياها فَكَأَنَّما أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً و منزلتنا في هذا البيان لأصحابنا من أهل هذا الشأن و منزلة القابلين لما بيناه و غير القابلين ما أردف الله به هذه الآية من تعريف الأحوال فقال وَ لَقَدْ جاءَتْهُمْ رُسُلُنا بِالْبَيِّناتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ بَعْدَ ذلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ فلنبين إيمان العصاة المعبر عنه بالتوبة و ما يلزمه و ذلك أن الايمان الأصلي هو الفطرة التي فطر الله الناس عليها و هو شهادتهم له سبحانه بالوحدانية في الأخذ الميثاقي فكل مولود يولد على ذلك الميثاق و لكن لما حصل في حصر الطبيعة بهذا الجسم محل النسيان جهل الحالة التي كان عليها مع ربه و نسيها فافتقر إلى النظر في الأدلة على وحدانية خالقه إذا بلغ إلى الحالة التي يعطيها النظر و إن لم يبلغ هذا الحد فإن حكمه حكم و الدية فإن كانا مؤمنين أخذ بتوحيد الله تعالى منهم تقليدا و إن كانا على أي دين كان ألحق بهما فمن كان إيمانه تقليدا جزما كان أعصم و أوثق في إيمانه ممن أخذه عن الأدلة لما يتطرق إليها إن كان حاذقا فطنا قوي الفهم من الحيرة و الدخل في أدلته و إيراد الشبه عليها فلا يثبت له قدم و لا ساق يعتمد عليها فيخاف عليه فإذا تقدم إيمانه بتوحيد الله شرك ورثه عن أبويه أو عن نظره أو عن الأمة التي هو فيها فذلك الايمان هو عين إيمانه الميثاقي لا غيره و إنما حال بينه و بين العبد حجاب الشرك كالسحابة الحائلة بين البصر و الشمس فإذا انجلت ظهر الشمس للبصر كذلك ظهور الايمان للعبد عند ارتفاع الشرك إذ كان المشرك مقرا بوجود الحق فإن قلت فما حكم المعطل هل يكون إيمانه يوجد في الوقت أم حاله حال المشرك قلنا المعطل أقرب إلى الايمان من المشرك فإنه لا بد لكل إنسان أن يجد

نفسه مستندا في وجوده إلى أمر ما لا يدري ما هو فيقال له ذلك هو الله فإن حدث له بعد ذلك هل هو واحد أو أكثر من واحد كان في محل النظر في ذلك أو يقلد من يعتقد فيه من الموحدين فما ثم إيمان محدث بل هو مكتوب في قلب كل مؤمن فإن زال في حق المريد الشقاء فإنما تزول وحدانية المعبود لا وجوده و بالتوحيد تتعلق السعادة و بنفيه يتعلق الشقاء المؤبد و لهذا الإشارة بقوله تعالى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا في الأخذ الميثاقي آمَنُوا لقول الرسول إليكم من عندنا فلولا إن الايمان كان عندهم ما وصفوا به و أما نسبة الأعمال إلى هذا المنزل فهو على ما نقرره و ذلك أن النبي صلى الله عليه و سلم قال بعثت لأتمم مكارم الأخلاق و مكارم الأخلاق أعمال و أحوال إضافية لأن الناس الذين هم محل مكارم الأخلاق على حالتين حر و عبد كما إن الأخلاق محمودة و هي التي تسمى مكارم الأخلاق و مذمومة و هي التي تسمى سفساف الأخلاق و الذين تصرف معهم مكارم الأخلاق و سفسافها اثنان و واحد فالواحد هو الله و الاثنان نفسك إذا جعلتها منك بمنزلة الأجنبي و غيرك و هو كل ما سوى الله و كل ما سوى الله على قسمين و أنت داخل فيهم عنصري و غير عنصري فالعنصري تصريف الخلق معه حسي و غير العنصري تصريف الخلق معه معنوي فالأعمال المعبر عنها بالأخلاق على قسمين صالح و هو مكارمها و غير صالح و هو سفسافها قال تعالى في القسم الواحد وَعَمِلَ صالِحاً و قال في الآخر عَمَلٌ غَيْرُ صالِحٍ فَلا تَسْئَلْنِ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ فعلمه الأدب و إن من الأدب أن تسأل عن علم ما لا يعلم فإذا علم فإن كان من أهل الشفاعة و السؤال فيه سأل فيه و إن لم يكن لم يسأل فيه و لكن غلبت عليه رحمة الأبوة و هي شفقة طبيعية عنصرية فصرفها في غير موطنها فأعلمه الله أن ذلك من صفات الجاهلين و الجهل لا يكون معه خير كما إن العلم لا يكون معه شر فقول النبي صلى الله عليه و سلم بعثت لأتمم مكارم الأخلاق يريد أنه يعلم ما هي و كيف تصرف و أين تصرف فلتعلم إن المخاطبين بها كما ذكرنا لك حر و عبد فللعبد منها شرب و للحر منها شرب فإذا أضفت الخلق إلى الله تعالى فكل ما سوى الله عبد لله قال تعالى إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمنِ عَبْداً و إذا أضفت الخلق بعضه إلى بعض فهو بين حر و عبد فأما حظ العبد من الأخلاق فاعلم إن السيد على الإطلاق قد أوجب و حرم فأمر و نهى و قد أباح فخير و قد رجح فندب و كره و ما ثم قسم سادس فكل عمل يتعلق به الوجوب من أمر من السيد الذي هو الله بعمل أو ندب إلى عمل فإن العمل به من مكارم الأخلاق مع الله و مع نفسك إن كان واجبا و إن كان مندوبا إليه فهو من مكارم الأخلاق مع نفسك فإن تضمن منفعة الغير ذلك العمل كان أيضا من مكارم الأخلاق مع غيرك و ترك هذا العمل إذا كان على هذا الحكم من سفساف الأخلاق و كل عمل يتعلق به التحريم أو الكراهة فالتقسيم فيه كالتقسيم في الواجب و المندوب إليه على ذلك الحد فترك ذلك العمل لاتصافه بالتحريم أو الكراهة من مكارم الأخلاق و عمله من سفساف الأخلاق و ترك العمل فيه عمل روحاني

لا جسماني لأنه ترك لا وجود له في العين و أما العمل الذي تعلق به التخيير و هو المباح فعمله من مكارم الأخلاق مع نفسك دنيا لا آخرة فإن اقترن مع العمل كونك عملته لكونه مباحا مشروعا كان من مكارم الأخلاق مع الله و مع نفسك دنيا و آخرة و كذلك حكمه في ترك المباح على هذا التقسيم سواء فجميع الأقسام تتعلق بالعبد و قسم المباح يتعلق بالحر و قسم المكروه و المندوب إليه يتعلق بالحر و فيه من روائح العبودية شمة لا حقيقة فهذا قد حصر لك هذا المنزل منازل الشقاء و السعادة و أبانها لك معينة أي عينت لك من أين تعلمها و هو معرفة الشرع الذي أنت عليه فإن كان الإنسان ممن لم تبلغه الدعوة فمكارم الأخلاق في حقه ما قررها العقل من وجود الغرض و الكمال و ملاءمة المزاج كشكر المنعم الذي هو من مكارم الأخلاق عقلا و شرعا و كفر النعمة من سفساف الأخلاق عقلا و شرعا و ما كلف الله نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا سواء بلغتها الدعوة أو لم تبلغها فإن للشرع في عملها حكما في نفس الأمر و يعفى عنه فيما أتته من سفساف الأخلاق حيث لم تبلغها الدعوة و العفو عن ذلك من مكارم الأخلاق الإلهية فالحق أولى بصفات الكرم من العبد بل هي له حقيقة و في العبد بعناية التوفيق و مما يتعلق بهذا المنزل من المكارم التعاون على شكر المنعم و التعاون على تلقي البلاء من المبلى بأن لا يستند في ارتفاع البلاء عنه إلا لمن أنزله به و هو الله تعالى فإن أنزله بالغير فهو من سفساف الأخلاق و إن أنزله بالله كان من مكارم الأخلاق و العبد في الحالتين طالب رفع البلاء عنه و البلاء عبارة عن وجوده و إحساسه بالألم لا غير و في هذا المقام يغلط كثير من أهل الطريق فيحبسون نفوسهم عن الشكوى إلى الله فيما نزل بهم و الشبهة في ذلك لهم أنهم يقولون لا نعترض عليه فيما يجريه علينا فإنه يؤثر في حال الرضاء عنه فيقال لهم قد حصل مقام الرضاء بمجرد إحساسه و عدم طلب رفعه و ذلك حد الرضاء لا استصحابه فإن النفس كارهة لوجود الألم و لذا عبرنا عن البلاء بالألم لا بسببه و ينبغي للعبد أن يسأل الله تعالى أن يرفع عنه ما نزل به لما يؤدي به إليه من كراهة فعل الله به و لا بد من كراهته طبعا لأن الألم يوجب حكمه لنفسه و الفعل في إنزاله إنما هو لله فيتضمن كراهة الألم كراهته طبعا لأن الألم يوجب حكمه وجوده و وجود الألم لم يكن لنفسه و إنما أوجده الله في هذا العبد فتتعلق الكراهة حالا و ضمنا بالجناب العزيز فلهذا وقع من الأكابر رب أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ و التعليم بالسؤال في أن لا يقع منه في المستقبل ما لم يقع في الحال بقوله قالوا وَلا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنا به و يتعلق به من سوء الأدب مقاومة القهر الإلهي و مقاومة العبد السيد في أمر ما من سفساف الأخلاق إذ ليس ذلك من صفات العبودة فيستعين العبد إذا كان ضعيفا بأخيه المؤمن في ذلك و يجب على الآخر معونته بالتعليم و التعزية فإن المؤمن كثير بأخيه و إذا انفرد الإنسان بهمه عظم عليه و إذا وجد من يلقيه إليه ليقاسمه فيه و يستريح عليه و يخف عنه فأعانه الآخر يحسن الإصغاء إليه فيما يلقى إليه من همه و جوابه إياه بما يسره في ذلك و مشاركته بإظهار التألم لما ناله فذلك الصديق الصادق المعين كما قيل

صديقي من يقاسمني همومي　　　ويرمي بالعداوة من رمانى

و قال الآخر

إذا الحمل الثقيل تقسمته　　　رقاب الخلق خف على الرقاب

فهذا قد بينا لك بعض ما يحويه هذا المنزل بالإجمال لا بالتفصيل مخافة التطويل فما تركنا منه شيئا و لا أعلمناك منه بشيء و هكذا فعلنا في كل منزل إن شاء الله تعالى وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثاني و الثمانون و مائتان في معرفة منزل تزاور الموتى و أسراره من الحضرة الموسوية»

إذا جهلت أرواحنا علم ذاتها　　　فذلك موت و الجسوم قبور

و إن علمت فالحشر فيها محقق　　　و كان لها من أجل ذاك نشور

فما العلم إلا بين نور و ظلمة　　　و كل كلام دون ذلك زور

اعلم أن الموت عبارة عن مفارقة الروح الجسد الذي كانت به حياته الحسية و هو طارئ عليهما بعد ما كانا موصوفين بالاجتماع الذي هو علة الحياة فكذلك موت النفس بعدم العلم فإن قلت إن العلم بالله طارئ الذي هو حياة النفوس و الجهل ثابت لها قبل وجود العلم فكيف يوصف الجاهل بالموت و ما تقدمه علم قلنا إن العلم بالله سبق إلى نفس كل إنسان في الأخذ الميثاقي حين أشهدهم على أنفسهم فلما عمرت الأنفس الأجسام الطبيعية في الدنيا فارقها العلم بتوحيد الله فبقيت النفوس ميتة بالجهل بتوحيد الله ثم بعد ذلك أحيا الله بعض النفوس بالعلم بتوحيد الله و أحياها كلها بالعلم بوجود الله إذ كان من ضرورة العقل العلم بوجود الله فلهذا سميناه ميتا قال تعالى أَوَمن كانَ مَيْتاً يعني بما كان الله قد قبض منه روح العلم بالله فَأَحْيَيْناهُ وَجَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِي به في النَّاسِ فرد إليه علمه فحيي به كما ترد الأرواح إلى أجسامها في الدار الآخرة يوم البعث و قوله كَمَنْ مَثَلُهُ في الظُّلُماتِ يريد مقابلة النور الذي يمشي به في الناس و ما هو عين الحياة فالحياة الإقرار بالوجود أي بوجود الله و النور المجعول العلم بتوحيد الله و الظلمات الجهل بتوحيد الله و الموت الجهل بوجود الله و لهذا لم يذكر الله في الآية عنا في الأخذ الميثاقي إلا الإقرار بوجود الله لا بتوحيده ما تعرض للتوحيد فيها فقال أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ فقالُوا بَلى فأقروا له بالربوبية أي أنه سيدهم و قد يكون العبد مملوكا لاثنين بحكم الشركة فأي سيد قال له أ لست بربك فلا بد أن يقول العبد بلى و يصدق فلهذا قلنا إن الإقرار إنما كان بوجود الله ربا له أي مالكا و سيدا و لهذا أردف الله في الآية حين قال فَأَحْيَيْناهُ فلم يكتف حتى قال وَجَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِي به في النَّاسِ يريد العلم بتوحيد الله لا غيره فإنه العلم الذي يقع به الشرف له و السعادة و ما عدا هذا لا يقوم

مقامه في هذه المنزلة فتأمل ما قلناه فقد علمت أن ورود الموت على النفوس إنما كان عن حياة سابقة إذ الموت لا يرد إلا على حي و التفرق لا يكون إلا عن اجتماع و بعد أن علمت هذا فاعلم أنه من خصائص هذا المنزل أن علم الواحد بالكثرة يوجب له الجهل بنفسه لأن الكثرة مشهودة له و ذلك أن الروح لا يعقل نفسه إلا مع هذا الجسم محل الكم و الكثرة و لم يشهد نفسه قط وحده مع كونه في نفسه غير منقسم و لا يعرف إنسانيته إلا بوجود الجسم معه و لهذا إذا سئل عن حده و حقيقته يقول جسم متغذ حساس ناطق هذا هو حقيقة الإنسان وحده الذاتي النفسي فيأخذ أبدا في حده إذا سئل عنه من كونه إنسانا هذه الكثرة فلا يعقل أحديته في ذاته و إنما يعقل أحدية الجنس لا الأحدية الحقيقية و الذي يحصل له بالاكتساب أنه واحد في عينه علم دليل فكري لا علم ذوق شهودي كشفي و كذلك العلم بالله إنما متعلقة العلم بتوحيد الألوهة لمسمى الله لا توحيد الذات فإن الذات لا يصح أن تعلم أصلا فالعلم بتوحيد الله علم دليل فكري لا علم شهود كشفي فالعلم بالتوحيد لا يكون ذوقا أبدا و لا تعلق له إلا بالمراتب و أين التوحيد في الذات مع ما قد ورد من الصفات المعنوية و اختلاف الناس فيها و اختلاف أعيانها بالحد و الحقيقة و إن هذه ليست عين هذه هذا في العقل و في الشرع ثم انفرد التعريف الإلهي باليد و العين و القدم و الأصابع و غير ذلك و هذه كلها تنافي توحيد الذات و لا تنافي توحيد الألوهة و لهذا ورد التنازع في قوله عليه السلام إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما لأن أحدية المرتبة لا تقبل الثاني و لا تحمل الشركة لأن المطلوب الصلاح لا الفساد و الإيجاد لا الإعدام و قال تعالى لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتا فوحد الإله و ما قال لو كانت ذات الإله تنقسم لفسدتا ما تعرض لشيء من ذلك و إن الإله عند المتكلمين مجموع ذوات فإن الصفات أعيان زائدة موجودة قائمة بذات الحق و بالمجموع يكون إلها فأين التوحيد الذي يزعمونه و كذلك العقلاء من الفلاسفة الإله عندهم مجموع نسب فأين الوحدانية عندهم فإنهم يصفونه بالعلم و الحياة و اللذة و الابتهاج بكماله فالوحدة أمر يسمع و اسم على غير مسمى حقيقي إذا أنصفت فلا إله إلا الله الواحد في ألوهيته القهار للمنازعين له في ألوهيته من عباده و المزاحمين له في أفعاله و ما عدا هذين الصنفين فلهم الله الواحد الغفار و بعد أن علمت هذا فلا تحجبك هذه الكثرة عن توحيد الله تعالى و لكن بينت لك متعلق توحيدك و ما تعرضنا إلى الذات في عينها لأن الفكر فيها ممنوع شرعا قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لا تتفكروا في ذات الله و قال تعالى وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ يعني أن تتفكروا فيها فتحكموا عليها بأمر أنها كذا و كذا و ما حجر الكلام في الألوهة و لا تدرك بفكر و مشاهدتها من حيث نفسها ممنوعة عند أهل الله و إنما لها مظاهر تظهر فيها بتلك المظاهر تتعلق رؤية العباد و قد وردت بها الشرائع و ما بأيدينا من العلم به إلا صفات تنزيه أو صفات أفعال و من زعم أن عنده علما بصفة نفسية ثبوتية فباطل زعمه فإنها كانت تحده و لا حد لذاته فهذا باب مغلق دون الكون لا يصح أن يفتح انفرد به الحق سبحانه و إذا كان الحق

على ما أخبر الرسول صلى الله عليه و سلم عن علمه بما علمه الله فقال اللهم إني أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم غيبك فعنده أسماء لا يعلمها إلا هو هي راجعة إليه و قد منع باستئثاره أنه لا يعلمها أحدا من خلقه و أسماؤه ليست أعلاما و لا جوامد و إنما أسماؤه على طريق المحمدة و المدح و الثناء و لهذا كانت حسني لما يفهم من معانيها بخلاف الأسماء الأعلام التي لا تدل إلا على الأعيان المسماة بها خاصة لا على جهة المدح و لا جهة الذم و أعظمها عندنا الاسم الله الذي لا تقع فيه المشاركة فأين التوحيد مع هذا التعريف الذي يزعمه هذا الزاعم أنه قد حصل على علم التوحيد النفسي و إذا لم يشهد له شرع و لا عقل و لا كشف و ما ثم غير هؤلاء و هم عدول فكيف بك بما خرج عن هؤلاء فالزم ما كلفته من زيارة الموتى و هو اللحوق بهم و الانخراط في سلكهم و هو العجز عن إدراك الأمر على ما هو عليه و إنما نحن متصرفون في أفعال المقاربة و هي كاد و أخواتها فيقال كاد العروس يكون أميرا و ما هو أمير في نفس الأمر و كاد زيد يحج أي قارب الحج و قال تعالى إِذا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَراها فوصفه بأنه ما رآها و لا قارب رؤيتها فإنه نفى القرب بدخول لم على يكاد و هو حرف نفي و جزم يدخل على الأفعال المضارعة للأسماء فينفيها و يتعلق بهذا المنزل علم الزجر و الردع لمن قال من الناس إنه قد علم ذات الحق أنه لا ينكشف له جهله بما زعم أنه عالم به إلا في الدار الآخرة فيعلم هناك أن الأمر على خلاف ما كان يعتقده من علمه و أنه لا يعلم دنيا و لا آخرة قال تعالى وَبَدا لَهُمْ من الله ما لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ فعم فبدا لكل طائفة تعتقد أمرا ما مما الأمر ليس عليه نفي ذلك المعتقد و ما تعرض في الآية بما انتفى ذلك هل بالعجز أو بمعرفة النقيض و كلا الأمرين كائن في الدار الآخرة كمن يقول بإنفاذ الوعيد لمن مات عاصيا على غير توبة فيغفر الله له يوم القيامة فقد بدا له من الله ما لم يكن يعلمه من التجاوز و زال علمه بالمؤاخذة فكل طائفة يبدو لها من الله بحسب مسألتها فلو كان العلم في نفس الأمر علم يقين لما تبدل و إنما هو حسبان و ظن قد احتجب عن صاحبه بصورة علم فهو يقول إنه يعلم و الحق يقول له تظن و تحسب و أين مقام من مقام فما كل أمر يعلم و لا كل أمر يجهل فاعلم العلماء من علم ما يعلم أنه يعلم و ما لا يعلم أنه لا يعلم قال صلى الله عليه و سلم لا أحصي ثناء عليك فقد علم أنه ثم أمر لا يحاط به و قال الصديق العجز عن درك الإدراك إدراك أي أنه أدرك أن ثم أمرا يعجز عن إدراكه فهذا علم لا علم فيعلم الإنسان يوم القيامة عجز فكره عن إدراك ما حسب أنه أدركه غير أنه معذب بفكره بنار اصطلامه فإن حجة الشرع عليه قائمة إذ قد أبان له و أعرب عما ينبغي له أن يفكر فيه كما قال أَ وَلَمْ يَتَفَكَّرُوا ما بِصاحِبِهِمْ من جِنَّةٍ أي أنه يوصل إلى معرفة الرسول بالدليل و بهذه الآية يستدل على أنه لا بد من أن ينصب الله تعالى على يد هذا الرسول دليلا يصدقه في دعواه و لو لم يكن كذلك ما صدق قوله أَ وَلَمْ يَتَفَكَّرُوا و لا تكون الفكرة إلا في دليل على صدقه إنه رسول من عند الله و الدليل هو المنظور فيه الموصل إلى المدلول فلو لا ما

نصب الأدلة ما شرع للعقلاء التفكر و لا طالبهم و كذلك في معرفتهم به سبحانه فقال لما ذكر أمورا إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ فإذا تعدى بالفكر حده و فكر فيما لا ينبغي له أن يفكر فيه عذب يوم القيامة بنار فكره ثم إن الإنسان يشغله الفكر فيما لم يشرع له التفكر فيه عن شكر المنعم على النعم التي أنعم الله عليه بها فيكون صاحب عذابين عذاب الفكر فيما لا ينبغي و عذاب عدم الشكر على ما أنعم به عليه و لا نعمة أعظم من نعمة العلم و إن كانت نعم الله لا تحصى من حيث أسبابها الموجبة لها و إنما النعيم على الحقيقة وجود اللذة في نفس المنعم عليه بها عند أسباب كثيرة لا تحصى محصورة في أمرين في وجود ما تكون به اللذة و في عدم ما يكون بعدمه اللذة و هي أمور نسبية كوجود لذة خائف من عدو يتوقعه فيهلك ذلك العدو فيجد هذا من اللذة عند هلاكه ما لا يقدر قدرها و ذلك لوجود الأمن مما كان يحذره فالأسباب لا تحصى كثرة و اللذة واحدة و هي النعمة المحققة كما إن الألم هو العذاب المحقق و أسبابه لا تحصى فسمى الشيء باسم الشيء إذا كان مجاورا له أو كان منه بسبب و اعلم أن الزيارة مأخوذة من الزور و هو الميل فمن زار قوما فقد مال إليهم بنفسه فإن زارهم بمعناه فقد مال إليهم بقلبه و شهادة الزور الميل إلى الباطل عن الحق فزيارة الموتى الميل إليهم تعشقا لصفة الموت إن تحل به فإن الميت لا حكم له في نفسه و إنما هو في حكم من يتصرف فيه و لا يتصور من الميت منع و لا إباية و لا حمد و لا ذم و لا اعتراض بل هو مسلم تسليم حال ذاتي كذلك ينبغي لزائره إن يكون حاله مع الله حال الميت مع من يتصرف فيه و إذا بلغ إلى هذا المقام على الحد المشروع فيه لا على الإطلاق حينئذ يبلغ مبلغ الرجال و لا يكون موصوفا بهذه الصفة على الإطلاق إلا في معناه لا في حسه الظاهر و الباطن بل ينبغي له أن يكون حيا في أفعاله الظاهرة و الباطنة في الأمور التي تعلق بها النهي الإلهي و يكون ميتا بالتسليم لموارد القضاء عليه في كل ذلك لا للمقضي وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب الثالث و الثمانون و مائتان في معرفة منزل القواصم و أسرارها من الحضرة المحمدية)

إذا كنت مشغوفا بحب المعاصم تذكر من الآيات آي القواصم
فإن لها عن ذاك زجرا و عصمة و أفلح من تحييه آي العواصم
و هذي أمور لم أنلها بفكرة و لكنها جاءت على يد قاسم
و يعطي إله الخلق عدلا و منة بقصمة قهار و عصمة عاصم
فكم بين شخص بالملائك ملحق و بين شخيص ملحق بالبهائم

اعلم أنه لما وصلت إلى هذا المنزل في وقت معراجي الذي عرج بي ليريني من آياته سبحانه ما شاء و معي الملك قرعت بابه فسمعت من خلف الباب قائلا يقول من ذا الذي يقرع باب هذا المنزل المجهول الذي لا يعرف إلا بتعريف الله فقال الملك عبد الحضرة عبدك محمد بن نور ففتح فدخلت فيه فعرفني الحق جميع ما فيه و لكن بعد سنين من شهودي إياه فكان ذلك شهودا صوريا من غير تعريف ثم بعد ذلك وقع التعريف به و لما عرفني بأنه منزل مجهول قصم ظهري و لما وقع التعريف به رأيته كله قواصم إلا أن يعصم الله مما رأيت فخفت فسكن الله روعي بما جلى لي فرأيت في هذا المنزل تحول الصور الحسية في الصور الجسمية كما يتشكل الروحانيون في الصور فتخيلت إن تلك الصور الأول ذهبت فحققت النظر فيها فلم أدركها حتى أعطيت القوة عليها فتحولت فأدركت المطلوب فإذا هو على نوعين في التحول النوع الواحد أن تعطي قوة تؤثر بها في عين الرائي ما شئته من الصور التي تحب أن تظهر له فيها فلا يراك إلا عليها و أنت في نفسك على صورتك ما تغيرت لا في جوهرك و لا في صورتك إلا أنه لا بد أن تحضر تلك الصورة التي تريد أن تظهر للرائي فيها في خيالك فيدركها بصر الرائي في خيالك كما تخيلتها و يحجبه ذلك النظر في الوقت عن إدراك صورتك المعهودة هذا طريق و طريقة أخرى يتضمنها هذا المنزل و ذلك أن الصورة التي أنت عليها عرض في جوهرك فيزيل الله ذلك العرض و يلبسك ما أردت أن تظهر به من صور الأعراض من حية أو أسد أو شخص آخر إنساني و جوهرك باق و روحك المدبر جوهرك على ما هو عليه من العقل و جميع القوي فالصورة صورة حيوان أو نبات أو جماد و العقل عقل إنسان و هو متمكن من النطق و الكلام فإن شاء تكلم و إن شاء لم يتكلم بأي لسان شاء الحق أن ينطقه به فحكمه حكم عين الصورة في المعهود و من هذا الباب يعرف نطق الجمادات و النبات و الحيوان و هي على صورها و تسمعها كنطق الإنسان كما إن الروح إذا تجسد في صورة البشر تكلم بكلام البشر لحكم الصورة عليه و ليس في قوة الروحاني أن يتكلم بكلام غير الصورة التي يظهر فيها بخلاف الإنسان و هو في غير صورة الإنسان و هذا منزل الممسوخ من هذه الحضرة تمسخ الصورة الحسية في الدنيا و الآخرة و من هذا المنزل تمسخ البواطن فترى الصورة أناسا و في الباطن غير تلك الصورة من ملك أو شيطان بصورة حيوان مناسب لما هو باطنه عليه من كلب أو خنزير أو قرد أو أسد و كل ذلك يخالف ما تطلبه إنسانيته إما عال و إما دون و مسلخ البواطن قد كثر في هذا الزمان كما ظهر المسخ في الصورة الظاهرة في بنى إسرائيل حين جعلهم الله قردة و خنازير و لا بد في آخر الزمان أن يظهر المسخ في هذه الأمة و لكن في اليهود منها لا في المسلمين فإن الايمان يحفظهم فما يمسخ من هذه الأمة إلا يهودي أو منافق يظهر الإسلام و يخفى اليهودية و إنما ألحقنا اليهود بهذه الأمة لأن أمة النبي ليست قبيلته و إنما أمته جميع من بعث إليهم و محمد صلى الله عليه و سلم بعث إلى الناس عامة فجميع الناس أمته من جميع الملل فمنهم من آمن و منهم من كفر و منهم من أسلم و أما دخول

الجن في دينه صلى الله عليه و سلم فكان دخولهم في دينه مثل ما كان دخول من لم يبعث إليه نبي في وقته في دين نبي وقته ثم إن ذلك النبي الذي ما بعث إليه إذا لم يكن ذلك الداخل ممن بعث إليه نبي آخر تجري أحكامه على من بعث إليه بما بعث به فإن لكل نبي شِرْعَةً وَ مِنْهاجاً فهكذا كان إيمان الجن برسول الله صلى الله عليه و سلم و أما ما ذكرناه من مسخ البواطن فقول النبي صلى الله عليه و سلم يخبر عن ربه في صفة قوم من أمته أنهم إخوان العلانية أعداء السريرة ألسنتهم أحلى من العسل و قلوبهم قلوب الذئاب يلبسون للناس جلود الضأن من اللين فهذا هو مسخ البواطن أن يكون قلبه قلب ذئب و صورته صورة إنسان فالله العاصم من هذه القواصم و طريقة أخرى في التحول في الصورة و هي أن تبقي صورة هذا الشخص على ما كانت عليه و يلبس نفسه صورة روحاني يجد ذلك الروحاني في أي صورة شاء هذا الشخص أن يظهر للرائي فيها و يغيب هذا الشخص في تلك الصورة و هي عليه كالهواء الحاف به فتقع عين الرائي على تلك الصورة الأسدية أو الكلبية أو القردية أو ما كانت كل ذلك بتقدير العزيز العليم و طريقة أخرى و هي أن يشكل الهواء الحاف به على أي صورة شاء و يكون الشخص باطن تلك الصورة فيقع الإدراك على تلك الصورة الهوائية المشكلة في الصورة التي أراد أن يظهر فيها و لكن إن وقع من تلك الصورة نطق فلا يقع إلا بلسانه المعروف عند الرائي فيسمع النعمة فيعرفها و يرى الصورة فينكرها لا يتمكن لمن هذه حالته أن يزول عن نغمته و هذه قوة الجن لمن يعرفهم فإنهم يظهرون فيما شاءوه من الصور و النغمة منهم نغمة جن لا يقدرون على أكثر من ذلك و من لا معرفة له بهذا القدر فلا معرفة له بالجن إلا إن ثم أقواما تلعب الجن بعقولهم فتخيل لهم في عيونهم صورا مثل ما يخيل الساحر الحبال في صورة حيات ساعية فيحسبون أنهم يرون الجن و ليسوا بجن و تكلمهم تلك الصور فيما يخيل إليهم و ليست الصور بمتكلمة بخلاف تجسد الجن في أنفسهم فمن عرف من العارفين نغمات كل طائفة عرف ما رأى و لم يطرأ عليه تلبيس فيما رآه و قد رأينا جماعة بالأندلس ممن يرون الجن من غير تشكل و في تشكلهم منهم فاطمة بنت ابن المثنى من أهل قرطبة و كانت عارفة بهم من غير تلبيس و رأيت طائفة بمدينة فاس ممن كانت الجن تخيل لهم صورا في أعينهم و تخاطبهم بما شاءوا لتفتنهم و ليسوا بجن و لا بشكل جن منهم أبو العباس الزقاق بمدينة فاس و كان قد لبس عليه الأمر في ذلك فكان يخيل إليه أن الأرواح الجنية تخاطبه و يقطع بذلك و سبب ذلك الجهل بنغمتهم فكان إذا قعد عندي و حضر مجلسي يبهت ثم يصف ما يرى فاعلم أنه يخيل له فكان يصل في ذلك إلى حد الملاعبة و المصاحبة و المحادثة و ربما يقع بينه و بين ذلك الذي شاهده مخاصمة في أمور و مناكرة فتضره الجن من طريق آخر و هو يتخيل أن تلك الصور منها صدر الضرر و غلب عليه ذلك رحمه الله و كان أبو العباس الدهان و جميع أصحابنا يشاهدون ذلك منه فمن عرف النغمات لم تلتبس عليه صورة أصلا و قليل من يعرف ذلك و يغترون بصدق ما يظهر من تلك الصور في أوقات فهذا قد بينا لك مراتب

التحول في الصور من هذا المنزل و فيه من هذا الظهور في الصور عجائب جمة تنهر العقول و أعظمها تغير المزاج إلى مزاج آخر مع بقاء الجوهر لا بد منه الحامل لهذه الصورة فإن لم يبق الجوهر فما تحول قط و لكن هذا جوهر آخر في صورته ما تبدل و لا هو ذلك كما إن زيدا ليس عمرا و من هذا المنزل أيضا وزن أبي بكر الصديق بالأمة فرجح هذا منزل حضرة الوزن بين المخلوقين من كل ما سوى الله و من عرف ما في هذا المنزل و شاهد حكمه و رفعت له موازين الخلق على ما وضعهم الله عليه من الحال و المقام عرف فضل الملائكة بعضهم على بعض و فضل الناس بعضهم على بعض و فضل الجن بعضهم على بعض و فضل الحيوان بعضه على بعض و فضل النبات بعضه على بعض و فضل الجماد بعضه على بعض و المفاضلة بين الملائكة و البشر و بين الجن و البشر و بين الجماد و النبات و البشر و يعرف مفاضلة كل جنس مع غير جنسه و من هنا يعرف فضل الحجر الأسود مع كونه جمادا و هو يمين الله فانظر هذه الرتبة و هو جماد و انظر في فرعون و أبي جهل و هو إنسان و من هذا المنزل إذا وقفت على هذه المفاضلات رأيت الجنة فيمن تسري من هؤلاء الأجناس و أنواع الأجناس و أنواع الأنواع إلى آخر درجة و هي أشخاص النوع الأخير و يشاهد أيضا سريان النار في الأجناس بين حر و زمهرير و في أنواع الأجناس و أنواع الأنواع حتى تنتهي إلى أشخاص النوع الأخير فتحكم على كل من تشاهده بما تشاهده فإنك إنما تشاهده بما له لا بوقته و هنا يقع تلبيس من حضرة خيالية في مقابلة هذه الحضرة فيشاهد ما يعطيه شاهد الوقت فيحكم عليه بالمال و هو تلبيس شيطاني من الصفة التي ذكرناها آنفا من كون الجن و الشياطين تخيل للناس صورا عنهم و عن غيرهم و ليس بحقيقة و هذه المسألة التبس الأمر فيها على أبي حامد الغزالي و غيره و ممن التبس عليه الأمر في ذلك من الشيوخ الذين أدركناهم أبو أحمد بن سيد بون بوادي أشت فكان يقول هو و أمثاله إن الإنسان إنما يطرأ عليه التلبيس ما دام في عالم العناصر فإذا ارتقى عنها و فتحت له أبواب السماء عصم من التلبيس فإنه في عالم الحفظ و العصمة من المردة و الشياطين فكل ما يراه هنالك حق فلنبين لك الحق في ذلك ما هو و ذلك أن الذي ذهبت إليه هذه الطائفة القائلون بما حكيناه عنهم من رفع التلبيس فيما يرونه لكونهم في محال لا تدخلها الشياطين فهي محال مقدسة مطهرة كما وصفها الله و ذلك صحيح إن الأمر كما زعموه و لكن إذا كان المعراج فيها جسما و روحا كمعراج رسول الله صلى الله عليه و سلم و أما من عرج به بخاطره و روحانيته بغير انفصال موت بل بفناء أو قوة نظر يعطي إياها و جسده في بيته و هو غائب عنه بفناء أو حاضر معه لقوة هو عليها فلا بد من التلبيس إن لم يكن لهذا الشخص علامة إلهية بينه و بين الله يكون فيها عَلى بَيِّنَةٍ من رَبِّهِ فيما يراه و يشاهده و يخاطب به فإن كان له علامة يكون بها عَلى بَيِّنَةٍ من رَبِّهِ و إلا فالتلبيس يحصل له و عدم القطع بالعلم في ذلك إن كان منصفا و قد يكون الذي شاهده حقا و يكون معصوما محفوظا في نفس الأمر و لكن لا علم له بذلك فإذا كان عَلى بَيِّنَةٍ من

رَبِّهِ حينئذ يأمن التلبيس كما أمنته الأنبياء عليهم السلام فيما يلقى إليهم من الوحي في بيوتهم و ذلك أن الشيطان لا يزال مراقبا لحال هذا المريد المكاشف سواء كان من أهل العلامات أو لم يكن فإن له حرصا على الإغواء و التلبيس و لعلمه بأن الله قد يخذل عبده بعد عصمته مما يلقي إليه فيقول عسى و يعيش بالترجي و التوقع و إن عصم باطن الإنسان منه و رأى أنوار الملائكة قد حفت بهذا العبد انتقل إلى حسه فيظهر له في صورة الحس أمورا عسى يأخذه بها عما هو بسبيله مع الله في باطنه و هذا فعله مع كل معصوم محفوظ بأنوار الملائكة حسا في باطنه و أما إن كان معصوما في نفس الأمر و ليس على باطنه حفظة من الملائكة فإن الشيطان يأتي إلى قلبه و هذا الشخص بكونه معصوما في نفس الأمر بالبينة التي هو عليها من ربه لا يقبل منه ما يلقى إليه هذا إن لم يكن متبحرا في العلم و يكون صاحب مقام مقصور عليه و أما إن كان صاحب تمكين و تبحر في العلم الإلهي أخذ ذلك منه فإنه رسول من الله إليه فإن كان محمودا فقلب عينه في مجرد الأخذ حيث أخذه عن الله و لم يلتفت إلى الواسطة لعلمه بمحلها عند الله من الطرد و البعد فينقلب خاسئا حيث أراد أمرا فلم يتم له بل كان فيه زيادة سعادة لهذا الشخص و لكن من حرصه على الإغواء يعود إليه المرة بعد المرة و إن كان الذي أتاه به مذموما قلب عينه فصار محمودا في حقه بأن يصرفه على المصرف المرضى فينقلب خاسئا حيث أراد أمرا فلم يتم له بل كان فيه سعادة لهذا الشخص فإن كان حال هذا الشخص الأخذ من الأرض أقام له الشيطان أرضا ليأخذ منها فأما إن يرده خاسئا و يفرق بين الأرضين و إما أن يكون متبحرا فيشكر الله حيث أعطاه أيضا أرضا متخيلة كما أعطاه أرضا محسوسة و ينظر سر الله فيها و يأخذ منها ما أودع الله فيها من الأسرار التي لم تخطر ببال إبليس و يردها الله لهذا الشخص زيادة في ملكه و إن كان حاله السماء فإن الشيطان يقيم له سماء مثل السماء التي يأخذ منها و يدرج له من السموم القاتلة ما يقدر عليه فيعامله العارف بما ذكرناه في معاملته له بالأرض و إن لم يكن في هذا المقام لبس عليه و تجرع تلك السموم القاتلة و لحق بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمالًا و إن كان حاله في سدرة المنتهى أو في ملك من الملائكة جلى له صورة سدرة مثلها أو صورة مثل صورة ذلك الملك و تسمى له باسمه ثم ألقى إليه ما عرف أنه يلقى إليه من ذلك المقام الذي هو فيه ليلبس عليه فإن كان من أهل التلبيس فقد ظفر به عدوه و إن كان معصوما حفظ منه فيطرده و يرمي ما جاء به أو يأخذه من الله دونه و يشكر الله على ما أولاه و ما زاده ثم يرتقي هذا الشخص إلى حال هو أعلى فإن كان حاله العرش أو العماء أو الأسماء الإلهية ألقى إليه الشيطان بحسب حاله ميزانا بميزان فإن كان من أهل التلبيس كان كما ذكرناه و إن لم يكن انقسم أمره إلى ما ذكرناه فقد أعلمتك أن الشيطان لا يجلي للشخص إلا على ما هي عليه حالته في صورة ذلك على السواء و على ما استقر في ذهنه مما قررته الشريعة ألا ترى ابن صياد لما أظهر له إبليسه العرش إذ كان حاله و أبصر ذلك العرش على البحر لأنه رأى الله تعالى يقول وَكانَ

عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ فجلى له العرش على البحر و هو قاعد عليه يأخذ عنه ابن صياد و يتخيل أنه يأخذ عن الله فإن الله قد قال على ما أخبره به رسول الله صلى الله عليه و سلم في قوله وَكانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم ما ذا ترى قال أرى العرش قال أين قال على البحر فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم ذلك عرش إبليس و خبا له رسول الله صلى الله عليه و سلم سورة الدخان من القرآن فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم ما خبأت لك فقال الدخ و الدخ هي لغة في الدخان فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم اخسأ فلن تعدو قدرك يعني إنك ممن لبس عليه الأمر فإنه صلى الله عليه و سلم ما خبا له إلا سورة الدخان و هي تحوي على الدخان و على غيره فما خبا له الدخان فأتاه باسم السورة لا بما خبا له و ما قال سورة الدخان و إنما قال الدخ و لم يأت في هذه السورة إلا الدخان لا الدخ و إن كان هو بعينه فلم يفرق ابن صياد بين سورة الدخان و بين الدخان فجهل فلهذا قال له رسول الله صلى الله عليه و سلم اخسأ فلن تعدو قدرك حيث جاءه من هذه السورة بما يناسب إبليس الذي عرفه بذلك و هو أن الشيطان مخلوق من النار فما رأى من تلك الخبيئة إلا ما يناسبه و ما عرف أنها سورة الدخان فالقى إلى ابن الصياد في روعة هذا القدر و ذلك أن النبي صلى الله عليه و سلم تلفظ باسم السورة عند ما عينها في نفسه فسرقها الشيطان و اختطفها من لفظه و لو أضمرها رسول الله صلى الله عليه و سلم في نفسه ما عرفها إبليس فإنه ليس له على قلبه صلى الله عليه و سلم اطلاع و لا استشراف بخلاف قلب الولي و لهذا إن النبي معصوم من الوسوسة في حال نزول الوحي و في غيرها لا فرق أ لا ترى الشيطان لما علم إن رسول الله صلى الله عليه و سلم بهذه المثابة و العناية من الله في عصمة قلبه من استشراف إبليس عليه جاءه في الصلاة في قبلته بشعلة نار مخيلة فرمى بها في وجهه و غرضه أن يحول بينه و بين الصلاة لما يرى له فيها من الخير فإنه يحسده بالطبع فتأخر النبي صلى الله عليه و سلم إلى خلف و لم يقطع صلاته و أخبر بذلك أصحابه و أما الولي فقد يلقى إليه في قلبه و قد يسمع منه ما يحدث به نفسه فيطمع أن يلبس عليه حاله كما ذكرناه فمن كان على بينة من ربه فقد سعد و ارتفع الإشكال و لا بد للبينة التي يكون عليها أن تكون بينة له و إن لم تكن بينة فلا يقدر أن يحكم بها فإنه قد تكون علامة لا بينة فيتخيل إن العلامة هي البينة و ليس كذلك فإن العلامة إذا لم تكن بينة و هو التحقق بها و بها يقطع النبيون و الأولياء فيما يرد عليهم من الله و لقد أخبرني أبو البدر التماشكي البغدادي و هو من الفقراء الصادقين من أنظفهم ثوبا و أحسنهم عبارة قال لي جمع بيني و بين الشيخ رغيب الرحبي مجلس و كان من العارفين غير أنه لم يبلغ فيما نقل إلينا مبلغ العارفين المكملين في شغلهم أنه قال له عن رجل الوقت إنه رأى خلعة قد خرجت له من الحضرة و قد أعطى علامة في ذلك الرجل و إلى الآن فما رآه لأنه لم ير تلك العلامة فقال له أبو البدر رضي الله عن جميعهم يا شيخ أ لم تر بعد ذلك رجالا كثيرة فقال له نعم قال و كانوا من الأكابر قال نعم و

لكن ما رأيت تلك العلامة في واحد منهم فقال له أبو البدر و ما يدريك أن واحدا من أولئك الرجال الذين رأيتهم كان هو المقصود بتلك الخلعة و تغرب عليك حتى لا تعرفه فقال له رغيب قد يكون ذلك فهذا صاحب علامة و لكن ما هو على بينة في علامته فإن العلامة إنما هي في الباطن لا تزول عنه و هو الذي يكون بها على بينة من ربه في نفسه فإذا جعلت له العلامة في غيره كان ذلك الغير حاكما لها إن شاء ظهر له فيها و إن شاء لم يظهر فلذلك قال رغيب ما قال في العلامة و لم يبين من كان محل العلامة هل هو أو ذلك الرجل فلما أقر بوقوع ما قال له أبو البدر في الدخول عليه في علامته علمنا قطعا إذا صدقنا رغيبا في دعواه أن العلامة كانت في غيره فإنه ما هو عَلى بَيِّنَةٍ من رَبِّهِ فعلامته فيه ما يكون في غيره فلذلك قد يمكن أن يصح ما قال أبو البدر أن يكون الرجل قد دخل عليه فيمن رأى من الرجال و تغرب عليه فاعتراض أبي البدر على هذا العارف اعتراض صحيح محرر في الطريق و إقرار رغيب في ذلك إقرار صادق يدل على صدق دعواه إلا أنه قد يكون هذا الشيخ ممن ليس على بينة و قد يكون من أهل البينة إذ لم يقع في دعواه لفظ البينة و عدل إلى العلامة التي يدخلها الاشتراك و أما الشيخ أبو السعود ابن الشبل شيخ أبي البدر المذكور فالموصوف من أحواله أنه كان على بينة من ربه إلا أنه كان أعقل أهل زمانه و لولا ما حكى عنه أبو البدر المذكور أنه انتهر شخصا في ذكر عبد القادر بغيظ لا بسكون و هدو و عرفه إنه يعرف عبد القادر كيف كان حاله في أهله و حاله في قبره لكان عبدا محضا و لكن عاش بعد هذا فقد يمكن أنه صار عبدا محضا لأنه لم ينتهر هذا الشخص لكونه أتى أمرا محرما في الشرع و إنما وصف أحوال عبد القادر و عظم منزلته فلو أنه وقع في محظور شرعي و انتهره و غضب عليه لم يخرجه ذلك عن إن يكون عبدا محضا فسبحان من أعطى أبا السعود ما أعطاه فلقد كان واحد زمانه في شأنه نعم لو كان هذا الذاكر تلميذا له لتعين عليه انتهاره إياه لأن انتهاره من تربيته فإن كان من تلامذته فذلك الانتهار لا يخرجه عن عبوديته فإن كان ذلك الانتهار من أبي السعود عن أمر إلهي خوطب به في نفسه لمصلحة الوقت في حق من كان أو لغيرة من الله على مقام قد أساء هذا المتكلم فيه الأدب فانتهاره ذلك مما يحقق عبوديته لا يخرجه عنها و هذا هو الظن بحال أبي السعود لا الذي ذكرناه أولا و إنما ذكرنا ذلك و هذا و ما بينهما لنستوفي الكلام على المقام بما يقتضيه من الوجوه على كمالها فلا بد أن يكون هذا الشيخ على واحد منها و لم يحكم عليه بواحد منها فأفدنا الواقف على هذا الكتاب معرفة هذا المقام و أحواله و إن الله ما أخبرني بحال من أحوال أبي السعود حتى نلحقه بمنزلته و الله أعلم أي ذلك كان إلا أني أقطع أن ميزانه بين الشيوخ كان راجحا نفعنا الله بمحبته و بمحبة أهل الله و قد أوردنا من هذا المنزل بعض ما يحوبه من القواصم فإنها كلها مخوفة وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الرابع و الثمانون و مائتان في معرفة منزل المجاراة الشريفة

و أسرارها من الحضرة المحمدية»

تجارت جياد الفكر في حلبة الفهم　　تحصل في ذاك التجاري من العلم
بأسرار ذوق لا تنال براحة　　تعالت عن الحال المكيف و الكم
أغار على جيش الظلام صباحها　　فأسفر عن شمسي و أعلن عن كتمي
و أورى زناد الفكر نارا تولدت　　من الضرب بالروح المولد عن جسم
فقمت على ساق الثناء ممجدا　　فجاءت بشارات المعارف بالختم
فسبحان من أحيا الفؤاد بنوره　　و خصصني بالأخذ عنه و بالفهم

من هذا الباب قوله تعالى أُولٰئِكَ يُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ وَ هُمْ لَها سابِقُونَ و الناطق الذي يقوم للذاكرين في قلوبهم و ما هو بحكمهم من دوام الذكر الذي يكونون عليه من غير إن يتخلله فترة فيسمعون ناطقا في قلوبهم يذكر الله فيهم و هم سكوت أو في حديث من أحاديث النفوس و ما يعرفون من ينطق فيهم فذلك الناطق هو القائل لموسى صلى الله عليه و سلم إني أنا الله لا إله إلا أنا و يسمى هذا النطق نطق القلب و هو الناطق عندهم و طائفة تقول إنه ملك خلقه الله من ذكره الذي كان عليه و أسكنه فيه ينوب عن هذا العبد في ذكره في أوقات غفلاته المتخللة بالذكر فإن استمرت غفلاته و ترك الذكر فقد هذا الناطق و من الناس من يرى فيه إن الحق أسمعه نطق قلبه الذي في صدره الذي هو عليه دائما خرق عادة كرامة لهذا الشخص من الله حيث أسمعه نطق قلبه ليزيد إيمانا بنطق جوارحه كما قال لِيَزْدادُوا إِيماناً مَعَ إِيمانِهِمْ بما جاء من نطق جوارحهم في آخر الزمان و في الدار الآخرة قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لا تقوم الساعة حتى يكلم الرجل فخذه بما فعل أهله و حتى يكلم الرجل عذبة سوطه و قال الله تعالى وَ تُكَلِّمُنا أَيْدِيهِمْ وَ تَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ و قال وَ ما كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَ لا أَبْصارُكُمْ وَ لا جُلُودُكُمْ وَ لٰكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللّٰهَ لا يَعْلَمُ كَثِيراً مِمّا تَعْمَلُونَ و قال هؤلاء يوم القيامة لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنا فقالت الجلود أَنْطَقَنَا اللّٰهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ و من زاد على مرتبة هذا الذاكر الذي سمع نطق قلبه بسمعه أسمعه الله نطق جسده كله بل نطق جميع الجمادات و النباتات و الحيوانات فأما الحيوانات فقد يسمع نطقها و يفهم ما تقول بغير طريق الذكر بل بخاصية لحم حيوان أو مرقة لحمه يطلع آكله أو شارب مرقته على غيوب ما يحدث الله في العالم من الحوادث الجزئية و العامة و يسمع و يفهم ما تنطق به جميع الحيوانات و قد رأيت من رأى من أكل من لحم هذا الحيوان و شرب من مرقته فكانت له هذه الحالة فكان من رآها منه يتعجب و يكون هذا الحيوان في البرية التي بين مكة و العراق لكن خارجا عن طريق

الركب بأيام في غيضة عظيمة و شكل هذا الحيوان شكل امرأة تتكلم باللسان العربي يخرج إليها عرب تلك البرية و هم قبيلة معروفة في كل سنة يوما معلوما يأتون إلى تلك الغيضة بأيديهم الرماح فيقفون على أفواه سكك تلك الغيضة و تدخل طائفة منهم في الغيضة يتفرقون فيها بالصياح و يلحون في الطلب على هذا الحيوان لينفروه فيخرج هذا الحيوان عند ذلك ها ربا شا ردا أما على بعض تلك الأفواه فإن تمكن منه الواقف على تلك السكة طعنة بالرمح فقتله و إن فاته و توغل في البرية رجعوا إلى مثل ذلك اليوم من السنة المستقبلة هكذا في كل عام فإذا ظفروا به قطعوه و قسموا لحمه على الحي كله و طبخ كل واحد منهم قطعته و أكلها و شرب مرقتها و أطعم منها من شاء من أهله و بيته و إن كان عندهم غريب ممن قد انقطع من الركب و تاه و حصل عندهم و صادف ذلك اليوم منعوه من أكل لحمها أو شرب مرقتها إلا أن يتناوله بسرقة من غير علم منهم فإن علموا به استفرغوه جبرا بالقيء المفرط فينقص فعل ذلك اللحم منه و لا يذهب بالكلية و يبقى عليه بقية من علم الغيوب فسبحان من أخفى علم ما أودعه في مخلوقاته عن بعض مخلوقاته لا إله إلا هو العليم الحكيم و كل ما ذكره من ذكره في معنى هذا الناطق و حقيقته فصحيح فإنه قد يكون هذا الناطق عين قلبه و قد يكون ملكا يخلق من ذكره و قد يكون روحا يستلزمه و قد يكون ما أومأنا إليه و الفرقان بين ما أومأنا إليه و بين ما قاله غيرنا في تعيينه أنه يحادثه و يخاطبه بما شاء من التعريفات الإلهية و الكونية أي بما يتعلق بمعرفة الله و بما يتعلق بالمخلوقين إذا استمر على ذكره و دام على طاعة ربه و هو الذي قال لصاحب المواقف ما حكاه عنه في مواقفه من القول إن لم يكن هو رحمه الله قد نبه على مراتب علوم فقال لي و قلت له فإن بعض العارفين قد يفعل هذا إذ لم يروا قائلا في الوجود غير الله حالا و لفظا و كله علم محقق غير أنه إذا كان تعبيرا عن مراتب علوم فيتوهم السامع منه إذا قال صاحب هذا المقام قال لي و قلت له إن الحق يكلمه فإن سأله السامع عرفه بالأمر فإنهم أهل صدق إذا كان السائل مؤمنا بما يقوله أهل طريق الله فإن كان مترددا في إيمانه بذلك فإنه يسكت عنه في ذلك إن كان ممن لا تلزمه طاعته شرعا فإن كان ممن تلزمه طاعته شرعا و ليست عنده أهلية لذلك قال له إنما هي عبارات أحوال و نطق حال لا نطق مقال كما تقول الأرض للوتد لم تشقني فيقول لها الوتد سل من يدقني يعني الدقاق الذي يدق به الوتد و هذا لسان حال معلوم يضرب مثلا معروفا بين الناس ثم لتعلم بعد أن بينت لك هذا أن المسارع إلى الخيرات السابق لها إن كان يريد المشاهد الإلهية و العلوم الربانية فليكثر سهر الليل و ليكثر فيه الجمعية دائما فإن لاحت له أنوار متفرقة يتخللها ظلمة ما بين كل نور و نور و لا يكون لتلك الأنوار بقاء تكون سريعة الذهاب فتلك أول علامات القبول و الفتح فلا يزال تظهر له تلك الأنوار الشريفة بالمجاهدات و المسارعة فيها و إليها إلى أن يطلع له نور أعظم فإنه يكشف به الموانع التي تمنع الناس من نيل هذه العلوم و يكشف أسرارا في مقاماتها ليس فيه منها شيء و لا هو موصوف بها فيكشف له عن أعماله التي

كان عليها من أذكاره و رياضاته و مجاهداته قد أنشأها الله خلقا روحانيا فتسابق إلى أخذ تلك الأسرار كما يسبق هو بها فيأخذها و تكسو عاملها بها جزاء وفاقا له حيث كان سببا لوجود أعيان ذلك الخلق الذين هم عين أفعاله البدنية من نطق و حركة و كان الحضور أرواح تلك الصور العملية فيتصف العامل عند ذلك بالعلم بتلك العلوم و الأسرار هكذا يشاهدها إذا أشهدها و قد يجد تلك العلوم من خلف حجاب الغيب و لا يطلع على الأمر كيف كان و هو كما ذكرنا قال القائل

جيش إذا عطس الصباح على العدي　　كانت إغارة خيله تشميتا

و يشاهد موافقات بين صورتك العلوم و بين صور هذه الأعمال من أجل انتظار الأذن الإلهي في ذلك فإن كان العامل ممن قد أراد الله أن يفتح له في الدنيا في حصول هذه الأسرار و رد الأذن الإلهي بذلك ففتح على هذا العامل في باطنه بعلوم شتى فيقال فلان قد فتح عليه و إن كان الله يريد أن يخبأ له ذلك إلى الدار الآخرة لمصلحة يراه له في منع ذلك لم تمكن صور الأعمال من خلع تلك العلوم على العامل لكن تلبسها الأعمال إلى أن ينقلب العامل إلى الدار الآخرة فيجدها مخبوءة له في أعماله فيلبسها خلعا إلهية فيقال في هذا العامل في الدنيا إنه ما فتح له مع كثرة عمله و يتعجب المتعجبون من ذلك لأنهم يتخيلون أن الفتح أمر لازم و كذلك هو أمر لازم تطلبه الأعمال و تناله و لكن متى يكون ذلك صفة للعامل هل في الدنيا أو في الآخرة ذلك إلى الله فإذا رأيت عامل صدق أو عرفت ذلك من نفسك و لم تر يفتح لك في باطنك مثل ما فتح لمن تراه على صورتك من العمل فلا تتهم فإنه مدخر لك و اطرح عن نفسك التهمة في ذلك فلا تتهم و لا تجعل نفسك من أهل التهم و قل كما قلت في ذلك

ما أنا من أهل التهم　　و لا أنا ممن اتهم
و إنني إن قلت لا　　أقول من بعد نعم
و لا أقول عكس ذا　　فإنني بحر خضم
و إنني ابن حاتم　　بيت السماح و الكرم
فكم لنا مآثر　　منصوبة مثل العلم
ليهتدي بضوئها　　في عرب و في عجم
معلومة مشهورة　　مذكورة بكل فم
محبوبة مشكورة　　سارية و كم و كم

و ما أحسن قول القائل في مثل ما قلت

و إني إذا أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادي و منجز موعدي

و هذا من الكرم الإلهي أنه جعل مانعا في مقابلة الوعيد و إنفاذه و هو العفو و التجاوز و لم يجعل للوعد بالخير مانعا من اسم إلهي و إذا كانت حالة العبد من الكرم بهذه المثابة فالجناب الإلهي أحق بهذه الصفة و إنما نبهت على إنني ابن حاتم من أجل الكرم الذي جبلت عليه ولي فيه الأصل المؤثل مثل ما قيل إن الجياد على أعراقها تجري و الأعراق هي الأصول جمع عرق و هو الأصل في لسان العرب و اعلم أن العارفين يعاملون المواطن بحسب ما تقتضيه و غير العارفين ليس كذلك فالعارف إن أظهر للناس ما منحه به ربه من المعارف و الأسرار لا يظهر ذلك إلا من أجل ربه لا على طريق الفخر على أبناء جنسه فحاشاه من ذلك كما قال صلى الله عليه و سلم حين أمر أن يعرف الناس بمنزلته أنا سيد ولد آدم هذا الذي قيل له قل ثم قال من نفسه و لا فخر يقول إني ما قصدت بهذا الكلام الفخر و لكن عرفتكم بالمقام الإلهي عن الأذن و أما إذا كان تعريف العارف منزلته للناس عن غير أمر إلهي و لا إذن رباني فإنه هوى نفس بتأويل ظهر لهو هي زلة وقعت منه ينبغي له أن يتعوذ بالله من شرها فإن الموطن الدنياوي لا يقتضي الفخ و لا التعريف بالمقام إلا للأنبياء خاصة إذا أرسلوا و أما الأولياء فحصرتهم العبودية المحضة فهم في ستر مقامهم و حالهم لربهم لا لأنفسهم أي من أجل ربهم و إنهم حاضرون في ذلك مع ربهم و إن كان العارف من حيث إنسانيته و نفسه محبا في الثناء عليه بمنزلته من سيده ليظهر بذلك الشفوف على أبناء جنسه و هو معذور فأي فخر أعظم من الفخر بالله و لكن العبد الخالص له الدين الخالص و الدين الخالص هو ما يجازيه به ربه من ثنائه عليه بلسان الحق و كلامه لا بلسان المخلوقين فهو يحب الثناء من الله ليعلم بإعلام الله إياه أنه ما أخل بشيء مما يقتضيه مقام العبودية أو يستحقه مقام الربوبية ليكون من نفسه على بصيرة فقد أحب ما تقتضيه إنسانيته و نفسه من حب الثناء و لكن من الله لا من المخلوق و لا من نفسه على نفسه عند المخلوقين فإنه على غير بصيرة فيه و لا إذن من ربه في ذلك كما أنه يحب المال لما يستلزمه من الغني عن الافتقار إلى المخلوقين فمن كان غناه بربه فهو ماله إذ المال ليس محبوبا لنفسه و لا لادخاره من غير توهم رفع الحاجة بوجوده فاعلم ذلك فجميع النفوس محبة للمال في الظاهر و هو الغني في المعنى فبأي شيء وقع الغني في نفس العبد فهو المال المحبوب عنده بل لكل نفس و في ذلك قلت

بالمال ينقاد كل صعب من عالم الأرض والسماء

فحبسه عالم حجاب لم يعرفوا لذة العطاء

و منها أعني من هذه القصيدة

لا تحسب المال ما تراه　　من عسجد مشرق لرائي

بل هو ما كنت يا بنى　　به غنيا عن السواء

فكن برب العلي غنيا　　و عامل الحق بالوفاء

و من هذا المنزل تعلم يا بنى ما أكنته القلوب من الأمور و ما يجري فيها من الخواطر و ما تحدث به نفوسها على طريق الإحصاء لها فيما مضى حتى إن المتحقق بهذا المنزل يعرف من الشخص جميع ما تضمنه قلبه و ما تعلقت به إرادته من حين ولادته و حركته لطلب الثدي إلى حين جلوسه بين يديه مما لا يعرفه ذلك الشخص من نفسه لصغره و لما طرأ عليه من النسيان و عدم الالتفات لكل ما يطرأ في قلبه و ما تحدثه به نفسه لقدم الزمان فيعرفه صاحب هذا المنزل منه معرفة صحيحة لا يشك و لا يرتاب فيها لا من نفسه و لا من كل من هو بين يديه أو حاضر في خاطره و هو حال يطرأ على العبد و هذا المنزل قد سمعنا من أحوال أبي السعود بن الشبل أنه كان له حدثنا صاحبنا أبو البدر رحمه الله أن الشيخ عبد القادر ذكر بين يدي أبي السعود و أطنب في ذكره و الثناء عليه و كان القائل قصد به تعريف الشيخ أبي السعود و الحاضرين بمنزلة عبد القادر و أفرط فقال له الشيخ أبو السعود كم تقول أنت تحب أن تعرفنا بمنزلة عبد القادر كالمنتهر له و الله إني لا عرف حال عبد القادر كيف كان مع أهله و كيف هو الآن في قبره و هذا لا يعلم إلا من هذا المنزل و لكن لا يحصل له هذا التحصيل الكامل إلا في الرجوع من الحق إلى رؤية المخلوقين بعين الله و تأييده لا بعينه و قوته و من هذا المنزل أيضا يعلم كم حشر يحشر فيه الإنسان فاعلم إن الروح الإنساني أوجده الله حين أوجده مدبرا لصورة طبيعية حسية له سواء كان في الدنيا أو في البرزخ أو في الدار الآخرة أو حيث كان فأول صورة لبستها الصورة التي أخذ عليه فيها الميثاق بالإقرار بربوبية الحق عليه ثم إنه حشر من تلك الصورة إلى هذه الصورة الجسمية الدنياوية و حبس بها في رابع شهر من تكوين صورة جسده في بطن أمه إلى ساعة موته فإذا مات حشر إلى صورة أخرى من حين موته إلى وقت سؤاله فإذا جاء وقت سؤاله حشر من تلك الصورة إلى جسده الموصوف بالموت فيحيا به و يؤخذ بأسماع الناس و أبصارهم عن حياته بذلك الروح إلا من خصه الله تعالى بالكشف على ذلك من نبي أو ولي من الثقلين و أما سائر الحيوان فإنهم يشاهدون حياته و ما هو فيه عينا ثم يحشر بعد السؤال إلى صورة أخرى في البرزخ يمسك فيها بل تلك الصورة هي عين البرزخ و النوم و الموت في ذلك على السواء إلى نفخة البعث فيبعث من تلك الصورة و يحشر إلى الصورة التي كان فارقها في الدنيا إن كان بقي عليه سؤال فإن لم يكن من أهل ذلك الصنف حشر إلى الصورة التي يدخل بها الجنة و المسئول يوم القيامة إذا فرغ من سؤاله

حشر في الصورة التي يدخل بها الجنة أو النا ر و أهل النا ر كلهم مسئولون فإذا دخلوا الجنة و استقروا فيها ثم دعوا إلى الرؤية و بادروا حشروا في صورة لا تصلح إلا للرؤية فإذا عادوا حشروا في صورة تصلح للجنة و في كل صورة ينسى صورته التي كان عليها و يرجع حكمه لي حكم الصورة التي انتقل إليها و حشر فيها فإذا دخل سوق الجنة و رأى ما فيه من الصور فآية صورة رآها و استحسنها حشر فيها فلا يزال في الجنة دائما يحشر من صورة إلى صورة إلى ما لا نهاية له ليعلم بذلك الاتساع الإلهي فكما لا يتكرر عليه صور التجلي كذلك يحتاج هذا المتجلي له أن يقابل كل صورة تتجلى له بصورة أخرى تنا ر إليه في تجليه فلا يزال يحشر في الصور دائما يأخذها من سوق الجنة و لا يقبل من تلك الصور التي في السوق و لا يستحسن منها إلا ما يناسب صورة التجلي الذي يكون له في المستقبل لأن تلك الصورة هي كالاستعداد الخاص لذلك التجلي فاعلم هذا فإنه من لباب المعرفة الإلهية و لو تفطنت لعرفت أنك الآن كذلك تحشر في كل نفس في صورة الحال التي أنت عليها و لكن يحجبك عن ذلك رؤيتك المعهودة و إن كنت تحس بانتقالك في أحوالك التي عليها تتصرف في ظاهرك و باطنك و لكن لا تعلم أنها صور لروحك تدخل فيها في كل آن و تحشر فيها و يبصرها العا رفون صورا صحيحة ثابتة ظاهرة العين و هذا المنزل منزل الخبرة و المهيمن عليه الاسم الرب و هذه الصور إنما تطلبها الخبرة لإقامة الحجة عليها في موطن التكليف فالعا رف يقدم قيامته في موطن التكليف التي يؤول إليها جميع الناس فيزن على نفسه أعماله و يحاسب نفسه هنا قبل الانتقال و قد حرض الشرع على ذلك فقال حاسبوا أنفسكم قبل إن تحاسبوا و لنا فيه مشهد عظيم عايناه و انتفعنا بهذه المحاسبة فيه فلم تعد علينا في الموطن الذي يحاسب الناس فيه و ما أخذت هذا المقام إلا من شيخنا أبي عبد اللّٰه بن المجاهد و أبي عبد اللّٰه بن قسوم بإشبيلية فإنه كان حالهما و زدت على ابن قسوم في ذلك بمحاسبة نفسي بالخواطر و كان الشيخ لا يحاسب نفسه إلا على الأفعال و الأقوال لا غير و هذا القد ر كاف في التعريف بما يتضمنه هذا المنزل ﴿وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ قيل لي قل في آخر كل منزل سبحانك اللهم و بحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك و أتوب إليك

«الباب الخامس و الثمانون و مائتان في معرفة منزل مناجاة الجماد و من حصل فيه حصل من الحضرة المحمدية و الموسوية نصفها»

تناجيني العناصر مفصحات — بما فيها من العلم الغريب
فاعلم عند ذاك شفوف جسمي — على نفسي و عقلي من قريب
فيا قومي علوم الكشف تعلو — بما تعطي على علم القلوب

فإن العقل ليس له مجال بميدان المشاهد و الغيوب
فكم للفكر من خطأ و عجز و كم للعين من نظر مصيب
و لو لا العين لم يظهر لعقل دليل واضح عند اللبيب

أما قولنا و كم للعين من نظر مصيب فإنما جئنا به صنعة شعرية لما قلنا قبل في صد ر البيت و إنما المذهب الصحيح إن العين لا تخطئ أبدا لا هي و لا جميع الحواس فإن إدراك الحواس الأشياء إدراك ذاتي و لا تؤثر العلل الظاهرة العا رضة في الذاتيات و إدراك العقل على قسمين إدراك ذاتي هو فيه كالحواس لا يخطئ و إدراك غير ذاتي و هو ما يدركه بالآلة التي هي الفكر و بالآلة التي هي الحس فالخيال يقلد الحس فيما يعطيه و الفكر ينظر في الخيال فيجد الأمور مفردات فيحب أن ينشئ منها صورة يحفظها العقل فينسب بعض المفردات إلى بعض فقد يخطئ في النسبة الأمر على ما هو عليه و قد يصيب فيحكم العقل على ذلك الحد فيخطئ و يصيب فالعقل مقلد و لهذا اتصف بالخطإ و لما رأت الصوفية خطأ النظار عدلوا إلى الطريقة التي لا لبس فيها ليأخذوا الأشياء عن عين اليقين ليتصفوا بالعلم اليقيني فإن الجاهل قد يتصف بالعلم فيما جهله و لا يتصف باليقين و لهذا جا ز أن يضاف العلم إلى اليقين و ليس من إضافة الشيء إلى نفسه لا لفظا و لا معنى فأما اللفظ فإن لفظة اليقين ما هي لفظة العلم فجا زت الإضافة و من طريق المعنى إن اليقين عبا رة عن استقرا ر العلم في النفس و الاستقرا ر ما هو عين المستقر بل الاستقرا ر صفة للمستقر و هي حقيقة معنوية لا نفسية فليست عين نفس العلم فجا زت الإضافة و إنما قلنا إن الجاهل قد يتصف بالعلم فيما هو جاهل به فهو قوله تعالى فَأَعْرِضْ عَنْ من تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَياةَ الدُّنْيا ذِلكَ مَبْلَغُهُمْ من الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدى فذكر اعلم في الصنفين إنما شرحنا بهذا الكلام ما قلناه في شعرنا فهو يتضمن شرح ما في هذا المنزل فلهذا أوردناه فلنرجع لي ما يعطيه هذا المنزل فنقول و الله المؤيد اعلم أن من هذا المنزل تسبيح الحصى في كف النبي صلى الله عليه و سلم و من هذا المنزل أكله كتف الشاة و من هذا المنزل حبه جبل أحد و من هذا المنزل سلم عليه الحجر و منه يشهد للمؤذن مدى صوته من رطب و يابس و منه هرب الحجر بثوب موسى عليه السلام حتى أبصرت بنو إسرائيل عورته بريئة مما نسبوا إليه فقال فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قالُوا وَكانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهاً و منه قالت السموات و الأرض لما تعلق بهما الأمر الإلهي أَتَيْنا طائِعِينَ و لما كان طلب حمل الأمانة عرضا لا أمرا لهذا أبت القبول لعلمها أنها تقع في الخطر فلا تدري ما يؤول إليه أمرها في ذلك و حكم هذا المنزل في الشرع واسع فلنذكر بتأييد الله بعض ما يتضمنه هذا المنزل إن شاء الله تعالى فأول علم يتضمنه هذا المنزل علم الحركات المعقولة و المحسوسة فاعلم إن الحركات و هي المعاني التي تكون عنها الانتقالات و اختلف أصحابنا فيها هل هي ذوات

موجودة في عينها أم هي نسب و هي عندنا نسب و هذه النسب تعطي من الأحكام بحسب ما تنسب إليه فلها نسبة في المتحيزات تخالف نسبتها في غير المتحيزات و نسبة في الأجسام تخالف نسبتها في الجواهر و ما من موجود إلا و لها فيه نسبة خاصة و إن كانت نسبة قال رسول الله صلى الله عليه و سلم ينزل ربنا إلى السماء الدنيا في الثلث الباقي من الليل و هو موصوف سبحانه بأنه على عرشه مستو بالمعنى الذي أراده وَهُوَ سبحانه مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ كما يليق به و هو أقرب من حَبْلِ الْوَرِيدِ إلينا و هو تعالى في العماء ما فوقه هواء و ما تحته هواء فهذا كله يدلك على ما يراد بالانتقالات فقد يكون ظهور حكم صفة على صفة و قد يكون الانتقال من حال إلى حال و قد يكون من حيز إلى حيز و قد يكون من مكان إلى مكان و قد يكون من منزلة إلى منزلة فقد أعلمتك أن الانتقال سار في جميع الموجودات على ما تستحقه ذواتها فتختلف كيفيات النسب و كله راجع إلى حكم الحركة و من هذا الباب قوله تعالى سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلانِ و قوله كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ثم لتعلم بعد أن قررنا هذا أن الحركة في المتحركات على قسمين طبيعية و هي كالنمو في الناميات و عرضية و العرضية اختيارية و غير اختيارية فالاختيارية لا توجد إلا في الحيوان و غير الاختيارية تكون في الحيوان و غيره و قسرية و هي التي تقع من غير المتحرك سواء اقتضاها طبعه أو لم يقتضها طبعه فالجماد و النبات الحركة القسرية فيه لا يقتضيها طبعه و غير الجماد تكون فيه على خلاف ما يقتضيه اختياره و قد يكون المحرك من جنس المحرك و قد لا يكون و قد تكون الحركة قسرية عن حركة قسرية و قد تكون لا عن حركة قسرية فالأولى كتحريك الرياح الأغصان و الثانية رمى الإنسان الحجر علوا في الهواء و يدق الكلام في هذه المسألة و يخفى فإنها مسألة عظيمة القدر و ما هي من العقول ببال و لها تعلق بباب التولد مثل حركة الخاتم لحركة الإصبع و حركة الكم لحركة اليد و للحركة سلطان عظيم حكمها مشهود في الأجسام و لوازمها و معقول في المعاني و ما لا يعرف حده فلها السريان الأتم في الموجودات و أول حكم لها في كل ما سوى الله خروج الأعيان و انتقالها من حالة العدم إلى حالة الوجود و لا يصح استقرار من موجود أصلا فإن الاستقرار سكون و السكون عدم الحركة فافهم و بعد أن تقرر هذا فإن الحركة التي في هذا المنزل التبس على الناس أمرها فما عرفوا هل هي طبيعية أو قسرية أو طبيعية قسرية أو طبيعية لا قسرية أو قسرية لا طبيعية و إنما تصور الخلاف ممن لم يشهد هذا المنزل و لا دخل فيه و هي عندنا حركة طبيعية اختيارية لإظهار أسرار عن أمر إلهي و اختلفوا في السبب الموجب لهذه الحركة هل السبب سبب الحميات أو سببها عالم الأنفاس أو لا سبب لها إلا الأمر الإلهي فاعلم إن الأمر في ذلك وجود الأمر الإلهي في عالم الأنفاس فتوجه على هذا الكون فحركه فقبل الحركة بطبعه كتوجه الهواء على الأشجار ليحركها بهبوبه فالمشاهد يرى حركة الأغصان لهبوب الرياح و العلم يرى أنه لو لا ما أخلت الأغصان أحيازها لم تجد الرياح حيث تهب فلها الحكم فيها بوجه و ليس لها الحكم

فيها بوجه و كان المقصود من تحريك الهواء الأشجار إزالة الأبخرة الفاسدة عنها لئلا تودع فيها ما يوجب العلل و الأمراض في العالم إذا تغذت به تلك الأشجار فيأكلها الحيوان أو تفسد هي في نفسها بتغذيها بذلك فكان هبوب الرياح لمصالح العالم حيث يطرد الوخم عنه و يصفي الجو فتكون الحياة طيبة فالريح سبب مقصود غير مؤثر في مسببه و إنما الأثر في ذلك لناصب الأسباب و جاعلها حجابا عنه ليتبين الفضل بين الخلائق في المعرفة بالله و يتميز من أشرك ممن وحد فالمشرك جاهل على الإطلاق فإن الشركة في مثل هذا الأمر لا تصح بوجه من الوجوه فإن إيجاد الفعل لا يكون بالشركة و لهذا لم تلتحق المعتزلة بالمشركين فإنهم وحدوا أفعال العباد للعباد فما جعلوهم شركاء و إنما أضافوا الفعل إليهم عقلا و صدقهم الشرع في ذلك و الأشاعرة وحدوا فعل الممكنات كلها من غير تقسيم لله عقلا و ساعدهم الشرع على ذلك لكن ببعض محتملات وجوه ذلك الخطاب فكانت حجج المعتزلة فيه أقوى في الظاهر و ما ذهبت إليه الأشاعرة في ذلك أقوى عند أهل الكشف من أهل الله و كلا الطائفتين صاحب توحيد و المشرك إنما جهلناه لكون الموجود لا يتصف إلا بإيجاد واحد و القدرة ليس لها في الأعيان إلا الإيجاد فلا يكون الموجود موجودا بوجودين فلا يصح أن يكون الوجود عن تعلق قدرتين فإن كل واحدة منهما إنما تعطي الوجود للموجود فإذا أعطته الواحدة منهما وجوده فما للأخرى فيه من أثر فبطل إذا حققت الشركة في الفعل و لهذا هو غير مؤثر في العقائد فالمشرك الخاسر المشروع مقته هو من أضاف ما يستحقه الإله إلى غير الله فعبده على أنه إله فكأنه جعله شريكا في المرتبة كاشتراك السلطانين في معنى السلطنة و إن كان هذا لا يحكم في ملك هذا و لكن كل واحد منهما سلطان حقيقة و بعد أن عرفت ما يتعلق من العلم بالحركة على قدر ما أعطاه الوقت من التعريف بذلك فلنبين من هذا المنزل لم وجدت هذه الحركة الخاصة فاعلم أنها وجدت لإظهار ما خفي في الغيب من الأخبار التي يثقل كونها على الخلق كما قال تعالى إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا و قال في شأن الساعة ثَقُلَتْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ و ذلك أن الغيب إذا ثقل عليه الأمر و ضاق عنه و لم يتسع له استراح على عالم الشهادة فتنفس الغيب تنفس الحامل المثقل فأبرز في عالم الشهادة ما كان ثقل عليه حمله و هو في المعنى كما يثقل على الإنسان كتم سره و حمل همه إذا لم يجد من يستريح عليه من إخوانه فإذا وجد أخا يبث إليه من همه الذي هو فيه و ثقل عليه ما يجد في بثه له راحة بما أخذه منه صاحبه فكأنه قاسمه فيه فخف عليه فإن كان ما وقع له به الهم تحت قدرة من يبثه إليه من إخوانه فقضى حاجته أزال ذلك الثقل عنه بالكلية فمثل هذا هو الثقل الذي يكون في الغيب فيستريح على الشهادة و سبب ذلك كونه ليس له إنما هو أمانة عنده للشهادة و إذا كان المطلوب من ذلك الأمر الشهادة فإنما هو عند الغيب أمانة فيكون الغيب مكلفا بحفظها و أدائها في وقتها إلى الشهادة فبالضرورة يثقل عليه ألا ترى إلى قول الله تعالى إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ عَلَى السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَأَشْفَقْنَ مِنْها و

حَمَلَهَا اْلْإِنْسانُ إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً يعني لنفسه جَهُولاً يعني بقدرها فهي ثقيلة في المعنى و إن كانت خفيفة في التحمل فكانت السموات و الأرض و الجبال في هذه المسألة اعلم من الإنسان و لم تكن في الحقيقة اعلم و إنما الإنسان لما كان مخلوقا على الصورة الإلهية و كان مجموع العالم اغتر بنفسه و بما أعطاه الله من القوة بما ذكرناه فهان عليه حملها ثم إنه رأى الحق قد أهله للخلافة من غير عرض عليه مقامها فتحقق إن الأهلية فيه موجودة و لم تقو السموات على الانفراد و لا الأرض على الانفراد و لا الجبال على الانفراد قوة جمعية الإنسان فلهذا فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَ أَشْفَقْنَ مِنْها و ما علم الإنسان ما يطرأ عليه من العوارض في حملها فسمي بذلك العارض خائنا فإنه مجبول على الطمع و الكسل و ما قبلها إلا من كونه عجولا فلو فسح الحق له في الزمان حتى يفكر في نفسه و ينظر في ذاته و في عوارضه لبان له قدر ما عرض عليه فكان يأبى ذلك كما أبته السماء و غيرها ممن عرضت عليه و لقد روينا فيما رويناه عن الحسن البصري أن رجلا قدم من سفر فقصد دار الحسن فلما خرج إليه الحسن قال له إني قدمت من مدينة كذا و حملني فلان صديقك السلام عليك فهو يسلم عليك فقال له الحسن متى قدمت قال الساعة قال هل مشيت إلى بيتك قبل إن تأتيني قال لا هذا دخولي على حالتي إليك لأؤدي أمانتك قال يا هذا أما إنك لو مشيت إلى بيتك قبل أن تأتيني و مت مت خائنا فالعاقل من لا يعد و لا يحمل أمانة و حكم الأمانة إنما هي لمن توصل إليه لا لمن يحملك إياها قال تعالى إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا اْلأَماناتِ إِلى أَهْلِها و لا شك و لا خفاء أنه في طبع كل شيء القلق مما يثقل عليه حتى يخرجه عنه لكونه ليس له ما ثقل عليه و إنما هو أمر زائد فإذا كان ذلك الأمر له زال ذلك الثقل و فرح به حيث صار ملكه و ظهرت له سيادته عليه ألا ترى أن الإنسان إذا أودعت عنده مالا كيف يجد ثقله عليه و يتكلف حفظه و صيانته فإذا قال له رب المال قد وهبته لك و أخرجته عن ملكي و خرجت عنه كيف يرجع حمل ذلك المال عنده خفيفا و يسر به سرورا عظيما و يعظم قدر ذلك الواهب في نفسه كذلك العبد أوصاف الحق عنده أمانة لا يزال العارف بكونها أمانة عنده تثقل عليه بمراقبته كيف يتصرف بها و أين يصرفها و يخاف أن يتصرف فيها تصرف الملاك فإذا ثقل عليه ذلك ردها إلى صاحبها و بقي ملتذا خفيفا بعبوديته التي هي ملك له بل هي حقيقته إذ الزائد عليه قد زال عنه و حصل له الثناء الإلهي بأداء أماناته سالمة فقد أفلح من لم يتعد قدره كما يقال في المثل ما هلك امرؤ عرف قدره و من هذا المنزل يعلم متعلق الاستفهام حيث كان و ذلك أن الاستفهام لا يكون إلا مع عدم العلم في نفس الأمر أو مع إظهار عدم العلم لتقرير المستفهم من استفهمه على ما استفهمه مع علم المستفهم بذلك فيقول المستفهم أي شيء عندك و مالك ضربت فلانا فعلة الاستفهام عن الأمور عدم العلم و الباعث على الاستفهام يختلف باختلاف المستفهم فإن كان عالما بما استفهم عنه فالمقصود به إعلام الغير حيث ظنوا و قالوا خلاف ما هو الأمر عليه مثل قوله تعالى لعيسى عليه السلام أَنْتَ قُلْتَ لِلنّاسِ اتَّخِذُونِي وَ

أُمِّي إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللّٰهِ بحضور من نسب إليه ذلك من العابدين له من النصارى فتبرأ عيسى بحضورهم من هذه النسبة فيقول سُبْحانَكَ ما يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ ما لَيْسَ لِي بِحَقٍّ فكان المقصود توبيخ من عبده من أمته و جعله إلها فقد وقع في الصورة صورة الاستفهام و هو في الحقيقة توبيخ و مثل هذا في صناعة العربية إذا أعربوه في الاصطلاح يعربونه همزة تقرير و إنكار لا استفهام و إن قالوا فيه همزة استفهام و المراد به الإنكار فلهم في إعراب مثل هذا طريقتان فينبغي للعبد أن لا يظهر بصفة تؤديه إلى أن يستفهم عنه فيها ربه لما تعطيه رائحة الاستفهام في المستفهم من نفي العلم و ذلك الجناب مقدس منزه عن هذا فاحذر من هذا المقام و لا تعصم من مثل هذا إلا بأن تكون عبوديتك حاكمة عليك ظاهرة فيك على كل حال فإن استفهمك الحق عن شيء فيكون ذلك ابتداء منه لا سبب لك فيه و هو سبحانه لا يحكم عليه شيء فإنه إن شاء استفهم و إن شاء لم يستفهم مع نسبة العلم إليه تعالى فيما يستفهم عنه لا بد من ذلك و للاستفهام أدوات مثل ما و أي و الهمزة فيخص هذا المنزل من الأدوات بما خاصة دون من و غيرها من الأدوات ليس لغيرها من أدوات الاستفهام في هذا المنزل دخول و ما وقفت إلى الآن على سبب اختصاص هذا المنزل بها دون غيرها و هي في الحكم فيمن تدخل عليه حكم من و الهمزة فإنها تدخل على الأسماء و الأفعال و الحروف و ما ثم إلا هذه الثلاث مراتب فعمت فكان لهذا المنزل عموم الاستفهام و لا يصح أن يظهر في هذا المنزل على هذه الحالة إلا أداة ما لأن معانيه تطلبها و قد يستفهم بالإشارة و من هذا المنزل إفشاء الأسرار و خفي الغيوب لطلب المواطن لها فيعلم الإنسان من هذا المنزل المواطن التي ينبغي أن يبدي فيها مما عنده من الغيوب و يعرف أن موطن الدنيا لا يقتضي ذلك و لهذا لم يظهر من ذلك على الملامية شيء و أعني بالغيوب هنا كل غيب لا يطلبه الموطن و أما الغيوب التي يطلبها كل موطن فلا بد أن يخرج غيب كل موطن في موطنه إلى الشهادة و هذا حال الملامية إلا أن يقترن بإبراز ذلك أمر إلهي و لا يقترن به أمر قط إلا أن يطلبه حال ما من الأحوال و أما من غير حال تطلبه فلا و لهذا جهل الناس مقادير أهل اللّٰه تعالى عند اللّٰه و بهذا سموا أمناء فإذا اقتضى الموطن إبراز غيبه فالعارف أول من يبادر إلى ذلك و يسارع فيه و إن لم يفعل كان غاشا خائنا لا يصلح لشيء فإن سبق بإظهاره غيره تعين عليه ذلك الوقت إخفاؤه و أن لا يطلع أحد من الخلق على ما عنده فيه إذ قد ناب غيره فيه منابه فلم يبق لهذا العارف في إظهار ذلك منه إلا حظ نفس لا غير و هذا ليس من شأن خصائص الحق و أهله فإن جاءه وحي من اللّٰه بذلك مع أنه قد ظهر على يد غيره فليبادر لأمر اللّٰه فيه و ليظهره و يكون فيه كالمؤيد للأول و اعلم أنه ما من جنس من أجناس المخلوقين إلا و قد أوحي إليه من ملك و جن و إنسان و حيوان و نبات و جماد فذكر من الحيوان النحل و من الجماد السماء و الأرض و إن كان الكل عندنا أحياء و لكن نجري على المعهود المتعارف في الحس الغالب و قال تعالى وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ و قال وَ إِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيها

نَذِيرٌ و قال وَلَوْ جَعَلْناهُ مَلَكاً لَجَعَلْناهُ رَجُلًا و قال لَوْ كانَ فِي الْأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ مَلَكاً رَسُولًا و قال وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسانِ قَوْمِهِ أي بلحنهم و الوحي على ضروب شتى و يتضمنه هذا المنزل فمنه ما يكون متلقى بالخيال كالمبشرات في عالم الخيال و هو الوحي في النوم فالمتلقى خيال و النازل كذلك و الوحي كذلك و منه ما يكون خيالا في حس على ذي حس و منه ما يكون معنى يجده الموحى إليه في نفسه من غير تعلق حس و لا خيال بمن نزل به و قد يكون كتابة و يقع كثيرا للأولياء و به كان يوحى لأبي عبد الله قضيب البان و لأبي زكريا البجائي بالمعرة بدير النقرة و لتقي بن مخلد تلميذ أحمد بن حنبل صاحب المسند و لكن كان أضعف الجماعة في ذلك فكان لا يجده إلا بعد القيام من النوم مكتوبا في ورقة و مما يتضمن هذا المنزل خلق الأعراض صورا ذوات قائمة متحيزة في رأى العين فاعلم أن الإنسان إذا جاء الله به إليه جمعه عليه جمعية لا تفرقة فيها حتى يهبه الله تعالى في ذلك ما يريد أن يهبه مما سبق في علمه فإذا خرج عن ذلك المشهد و عن تلك الحالة حرج بما حصل له و كان قد حصل له أمرا كليا مجملا غير مفصل فيبدو له عند الخروج مفصل الأعيان لكل جزء منه صورة تخصه فيخرج عن حال جمعيته إلى حال تفرقته فتبادر صور الأعمال إليه دفعة واحدة و تتعلق كل صورة منها بمن كان أصلا في وجودها فأما له و إما عليه فتتعلق بعينه صور نظره و بإذنه صور تعلق سمعه و كذلك سائر حواسه في ظاهره و يتعلق بباطنه صور أعمال باطنه من أعمال فكره و خياله و سائر قواه الباطنة فيه فإن كانت الصور العملية توجب فرحا فرح بذلك و بضده و إن كانت صور الأعمال توجب حزنا و غما كان الإنسان بحسب ما توجبه الصورة فإن كان من صورة ما يوجب هذا و يوجب هذا كان فرح الجزء الذي له صورة العمل المفرح فرحا من حيثيته لا من حيث النفس المكلفة فيتنعم ذلك الجزء الإنساني بقدر ذلك و يحزن الجزء الآخر بصورة عمله أيضا و النفس في هذه الحالة تفرح بحكم التبعية لفرح هذا و تحزن بحكم التبعية لحزن هذا في حال واحدة بإقبالين مختلفين كما كانت تسمع في حال النظر في حال البطش في حال السعي في حال اللمس في حال الشم في حال الطعم و لا يشغلها واحد عن الباقي مع أحدية المدرك كذلك ينعم من طريق و يحزن من طريق فهو الفرح المحزون و هو الرابح المغبون إلى أن يدخل الجنة و هذا من أعجب المشاهد و قليل واجده في هذه الدار من أهل الطريق لعدم كشفهم و تحققهم و قلة علمهم بذلك وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب السادس و الثمانون و مائتان في معرفة منزل من قيل له كن فأبى فلم يكن من الحضرة المحمدية)

شمس الفناء بدت في كاف تكويني　　لعلمها أنها بالنور تفنيني

و قد أشارت و لم أعلم إشارتها　　بأن في ذلك الإيماء تعنيني

فكنت واو العين العلم ظاهرة خفية العين بين الكاف و النون

فصلت في اللوح أسرارا متوجة قد كان أجملها الرحمن في النون

من هذا المنزل قيدت جزءا سميته الفناء في المشاهدة فلنذكر الآن ما يتضمنه هذا المنزل على ما يحوي عليه من الأصول فإن البسط فيه يطول فاعلم أن مظهر هذا المنزل اسمه النور و لكن الأنوار على قسمين نور ما له شعاع و نور شعشعاني فالنور الشعشعاني إن وقع فيه التجلي ذهب بالأبصار و هو الذي أشار إليه رسول الله صلى الله عليه و سلم حين قيل له يا رسول الله هل رأيت ربك فقال صلى الله عليه و سلم نوراني أراه يقول نور كيف أراه يريد النور الشعشعاني فإن تلك الأشعة تذهب بالأبصار و تمنع من إدراك من تنشق منه تلك الأشعة و هو أيضا الذي أشار إليه صلى الله عليه و سلم بقوله إن لله سبعين حجابا من نور و ظلمة لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه و السبحات هنا هي أنوار حقيقته فإن وجه الشيء حقيقته و أما النور الذي لا شعاع له فهو النور الذي يكون فيه التجلي و لا شعاع له و لا يتعدى ضوؤه نفسه و يدركه المبصر في غاية الجلاء و الوضوح بلا شك و تبقي الحضرة التي يكون فيها هذا الذي كشفت له في غايةمن الوضوح لا يغيب عنه منها شيء في غاية الصفاء و في هذا التجلي يقول النبي صلى الله عليه و سلم ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر فمن بعض ما يريد بهذا التشبيه الذي وقع بالرؤية إدراك ذات القمر لضعف أشعة القمر أن يمنع البصر من إدراك ذاته و الصحيح في ذلك أنه يريد به إذا كسف ليلة بدره فإنه عند ذلك يدرك البصر ذات القمر التي لا تقبل الزيادة و لا النقصان فهو إدراك محقق لذات القمر ثم قال في نفس الحديث أو كما ترون الشمس بالظهيرة ليس دونها سحاب و في ذلك الوقت يكون نورها أقوى فتظهر الأشياء كلها بها فيدرك البصر كلما وقع عليه من الأشياء إدراكه حين كشفت له هذه الشمس و إذا أراد أن يحقق النظر إلى ذات الشمس في هذه الحالة لا يقدر فأوقع التشبيه أن هذا التجلي ليس يمنع أن يرى الناس بعضهم بعضا أي لا يفنى فلهذا أوقع التشبيه برؤية القمر ليلة البدر و برؤية الشمس و ما اقتصر على واحد منهما و أكد البقاء في هذا المشهد بقوله لا تضارون و لا تضامون من الضيم و الضم الذي هو المزاحمة و من الضير و الإضرار و لما دخلت هذا المنزل وقع لي فيه التجلي في النور الذي لا شعاع له فرأيته علما و رأيت نفسي به و رأيت جميع الأشياء بنفسي و بما تحمله الأشياء في ذواتها من الأنوار التي تعطيها حقائقهم لا من نور زائد على ذلك فرأيت مشهدا عظيما حسيا لا عقليا و صورة حقية لا معنى ظهر في هذا التجلي اتساع الصغير لدخول الكبير فيه مع بقاء الصغير على صغره و الكبير على كبره كالجمل يلج في سَمِّ الْخِيَاطِ يشاهد ذلك حسا لا خيالا و قد وسعه و لا تدري كيف و لا تنكر ما تراه فسبحان من تعالى عن إدراك ما تكيفه العقول و فضل إدراك البصر عليها لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ فأظهر عجز العقول

بهذا التجلي الذي أظهر به قوة الأبصا ر و فضلها على العقول و أظهر في تجليه في النور الشعشعاني عجز الأبصا ر و قوة العقول و فضلها على الأبصا ر ليتصف الكل بالعجز و ينفرد الحق بالكمال الذاتي فمن عاين هذا المنزل يرى من العجائب و الآيات ما لا يمكن أن يحويه غيره و أول هذا المنزل عند دخولك فيه ترى نفسك مظهرا للحق فإذا رأيته تتحقق من نفسك أنه ليس هو و هو آخر هذا المنزل فيتضمن أوله هو مشاهدة و يخاطبك في هذا التجلي بأنه ليس هو فإنه من التجليات التي لا تفني عين المشاهدة فتجمع بين الرؤية و الخطاب و آخر هذا المنزل يتضمن الهو و هو في الغيب من غير رؤية و هو متعلق نظر العقل فأول هذا المنزل بصري و آخره عقلي و ما بينهما و هذا منزل يتضمن أيضا ما نذكره فاعلم إن الأسرا ر التي يمنحها الحق عبده من أهل هذه الطريقة على قسمين منها أسرا ر تعطيك بذاتها إن تظهرها في الأكوان من غير حرج في ذلك عليك و لا تحتاج في إظها رها للغير إلى إذن إلهي و أسرا ر لا تعطيك بذاتها هذا الحكم و هي على قسمين قسم منها تحتاج في إظها ره إلى إذن إلهي فإن أظهرته عن غير إذن قوبلت و وقع الحرج و الجناح عليك في إظها ره و قد وقع لي مثل هذا و لكن بحمد الله قوبلت بالعتاب لا بالعقاب رحمة من الله بي و عناية و أسرا ر أخر لا يعطيها الحق لأحد بواسطة فلو طلبت الأذن فيها إذا أطلعك الحق عليها أن توصلها ما أذن لك فإنها أذواق لا تعرفها من غيرك بمجرد العبا رة عنها فإنها مما ينفرد الحق بإيصالها من الحق إلى العبد كما يفعل بالأحوال فلو رام أحد أن يعبر عن الشوق الذي يجده إلى من اشتاق إليه ما أطاق ذلك و لا وصل إلى فهم الآخر منه شيء إلا أن يقوم الشوق به مثل ما قام بصاحبه فيعرف عند ذلك حقيقة مسمى هذا اللفظ و كذلك ما في معناه و كلذة الجماع التي حرمها العنين لا يتمكن لمن قامت به أن يوصلها بالتعريف إلى العنين و كذلك كل علم يتعلق بالحواس لا يمكن للعقل أن يصل إلى معرفته بنفسه و لا بالعبا رة عنه إلا أن يحس به الآخر فالذي يختص بهذا المنزل معرفة الأسرا ر التي يتوقف إظها رها ممن قامت به و أعطيته على الأذن الإلهي و معرفة الأسرا ر الإلهية المستورة خلف حجاب الصور التي لا تظهر إلا لمن كان على بينة من ربه في ذلك فإذا شهدت البينة لها عند العبد قبلها فلا يحتاج إلى شاهد مثل ما يحتاج في غيرها فإذا حصل العبد في هذا المقام و وهبه الحق من هذه الأسرا ر وهب تجل و اطلع على أمور غامضة من العلم بالله سترها في نفسه و كتمها عن غيره وفاء بحق الأمانة و حفظها و معرفة بقد رها و منزلتها و يطلع على هذه الأسرا ر معنا من ينسب بعض الأفعال إلى غير الله من المعتزلة و الفلاسفة و أهل الشرك الذين عبدوا غير الله مع عبادة الله فقد ينفردون في أوقات مع الله دون الشريك و ذلك في أوقات الضرورات المهلكة التي يقطعون فيها إن آلهتهم لا تغني عنهم فيها شيئًا فيلجئون إلى الله في رفعها فمن تلك الحقيقة المستورة فيهم في حال لا يكون فيه تحت اضطرا ر حسي من ذلك الوجه ينالون هذه الأسرا ر و إن كانوا أشقياء فإن نيلهم إياها مما يزيد في شقاوتهم حيث عرفوا من بيده الاقتدا ر و عدلوا عنه و

عملوا لغيره مما نصبوه بأيديهم و أيدي من هو من جنسهم إلها و ظهر لهم عجزه و تمادوا على غيهم كما قال تعالى فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ و اعلم أن بينة الله في عباده على قسمين القسم الواحد هو البينة الحقيقية و هو قوله تعالى أَ فَمَنْ كانَ عَلى بَيِّنَةٍ من رَبِّهِ يعني في نفسه و أما من تقام له البينة في غيره فقد يمكن أن يقبلها و يمكن أن لا يقبلها و الذي يقبلها إن قبلها تقليد أ لم تكن في حقه آية بينة و لا تنفعه و إنما يكون التقليد فيما يجيء به الرسول من الأحكام لا من البينات و الشواهد على صدقه و إن لم يقبلها تقليدا فما قبلها إلا أن يكون هو عَلى بَيِّنَةٍ من رَبِّهِ في إن تلك آية بينة على صدق دعوى من ظهرت على يديه فيما ادعاه فعلمت من هذا أن الشيء لا ينفعك إلا إذا كان فيك و لا يضرك إلا إذا كان فيك و لهذا نقول في كثير من كلامنا إن حقيقة العذاب هو وجود الألم فيك لا أسبابه سواء وقعت الأسباب فيك أو في غيرك فلا نقول في الأشياء إلا أن تقوم لك منك و أقلها أن يقوم بك التصديق بما يتحقق به أهل طريق الله بأنه حق و إن لم تذقه و لا تخالفهم فتكون على بينة من ربك و لا بد في كونهم صادقين و بتلك البينة التي أنت عليها توافقهم في ذلك فأنت منهم في مشرب من مشاربهم فإنهم أيضا ممن يوافق بعضهم بعضا فيما يتحققون به في الوقت و إن كان لا يدرك هذا ذوقا ما أدركه صاحبه فيقر له به و يسلمه له و لا ينكره لارتفاع التهمة و مجالسة هؤلاء الأقوام لغير المؤمن بهم خطر عظيم و خسران مبين كما قال بعض السادة و أظنه رويما من قعد معهم و خالفهم في شيء مما يتحققون به في سرائرهم نزع الله نور الايمان من قلبه فلا يزال الإنسان على الحالة التي هو عليها حتى يقوم له الشاهد بالخروج عنها فمن كان في حالة الكتم كتم و من كان في حالة الإظهار أظهر و أفشى قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلى شاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدى سَبِيلاً من هؤلاء الفرق فالله يجعلنا و إياكم ممن هو عَلى بَيِّنَةٍ من رَبِّهِ فإن تلاه شاهد فحسن و مزيد طمأنينة و تقوية للنفس فيما هي بسبيله و إن لم يكن ذلك ففي كونه على بينة من ربه كفاية فإن الشاهد إن لم يكن فيه المشهود له على بينة أنه صادق فيما يشهد له به و إلا فلا يقبله في باطنه كالشاهد مع صاحب الدعوى إذا كان في دعواه محقا فهو على بينة في نفسه من ربه إنه صادق و لكن الحاكم يطالبه بالشاهد فإذا شهد الشاهد له علم المشهود له أنه صادق في شهادته ببينته التي هو عليها إنه على حق في دعواه و إن كان المدعي ليس بصادق في دعواه فهو على بينة من نفسه و من ربه إنه غير صادق فيما ادعاه فإذا طلبه الحاكم بالشاهد فأتى بشاهد زور فشهد له أنه صادق في دعواه فالمدعي على بينة من نفسه و من ربه إن ذلك الشاهد الذي شهد له زور و شهد بالباطل و لا يقبله في نفسه و إن قبله الحاكم فأول ما يتجرح شاهد الزور عند من شهد له بما يعلم المشهود له أن الأمر على خلاف ما شهد له به فلهذا قلنا إن الشاهد لا نلتزمه إذ كنا لا نقبله و لا نتحقق صدقه و لا كذبه إلا حتى يكون في ذلك على بينة من الله فاعلم ذلك و اعلم بعد أن تقرر هذا أن الأمر الذي كنى عنه الحق بأنه بينة لك من عنده هو سفير من الله إلى قلبك من خفي غيوبه مختص بك من حضرة الخطاب الإلهي و التعريف

من الله أنه من عنده فخذ به و انظر ما يقبله فاقبله و ما يدل عليه فاعتمد عليه و ما ينفيه فانفه كما يفعل صاحب الفكر في دليله غير إن صاحب الفكر قد يتخذ دليلا ما ليس بدليل في نفس الأمر و قد يتخذ دليلا ما هو دليل في نفس الأمر و لكن بالنظر إلى قوة العقل فقد أعطى ما في قوته فلا يكون أبدا من حيث هو عقل إلا إن ذلك دليل و هو دليل و صاحب البينة من ربه على نور من الله و صراط مستقيم لا يعلم الأشياء بها إلا على ما تكون عليه الأشياء لا يقبل الشبه إلا شبها ذوقا من صورته لا يتمكن له أن يلبس فيها عليه بخلاف أصحاب الأفكار و الذي يعطيه هذا السفير منه ما يعطيه ما هو مختص به و منه ما يعطيه ما هو مطلوب له و لغيره و منه ما هو مطلوب لغيره و لا يعطيه ما ليس له و لا لغيره و مما يعطيه ما هو له مقيم و ما ليس له بمقيم فالمقيم كالمقامات و غير المقيم كالأحوال ثم إن أصحاب هذا المقام يتفرقون فيه و يتنوعون على نوعين منهم من يعصم من تأثير هواه و منهم من لا يعصم من تأثير هواه فيه مع أن كل واحد من الطائفتين على علم محقق فبينتهم التي هم عليها أنه معصوم و أن هواه ليس له عليه سبيل و أنه غير معصوم و أن هواه قد أثر فيه لما سبق في علم الله فيه و هل ينفعه هذا العلم عند الله في سعادته أم لا فعندنا إنه نافع و عند غيرنا إنه غير نافع و إنما وقع الخلاف في مثل هذه المسألة بوجود الكشف عند الواجد و عدم الكشف عند المخالف مع الاستناد إلى أمر معارض إما عقلي و إما سمعي ثم إن الله تعالى أمر عباده بالإقامة على ما خلقهم له من الذلة و الافتقار إليه ببواطنهم عامة و بظواهرهم على طريقة مخصوصة بينها لهم الشارع و هي جميع الأفعال المقربة إلى الله سواء اقترنت بها في الصورة الظاهرة عزة أو ذلة و ربوبية أو عبودية بخلاف الباطن فإن الباطن يجري على الأمر المحقق الذي هو في نفسه عليه و الظاهر يجري على ما تقتضيه المصلحة في الوقت بك أو بغيرك فإن ظهر ربوبية و عزة في ظاهر العبد العارف كما ذكرناه لمصلحته فإن الميل في الباطن إلى الذلة و العبودية موجود عنده و هو المعتمد عليه و ذلك عارض و لا سيما في موطن التكليف و من هذا المنزل ينشئ العبد الأعمال صورا قائمة يكون فيها خلاقا بالفعل و لكن مما يقع له به السعادة عند الله فلا يزال ينشئ تلك الصورة حتى يراها قائمة بين يديه حسا ينظر إليها و يفرح بها و جميع ما يظهر من تلك الصورة مما تقتضيه السعادة فإنما هو لمنشئ هذه الصورة و هو هذا العبد فهي له كرأس المال و ما يكون عنها كالأرباح و الأرباح إنما تعود منفعتها على رب المال لا على نفس المال و من هذا المنزل أيضا يظهر الجود الذاتي الذي لا يمكن دفعه لا اختيار للعبد فيه فيعطي من نفسه لربه ما سأله فيه إن يعطيه مما لو لم يسأله فيه لأعطاه إياه و هذا من كرم الله حيث علم أنه لا بد أن يعطيه ذلك لأنه أمر تقتضيه ذاتك فسألك في ذلك أن يجازيك على امتثال أمره في ذلك كما سألك فيما يمكن أن تعطيه و فيما يمكن أن تأباه فأجرى هذا مجرى هذا جودا منه و ليقوم جزاء ما أعطيته عن أمره مما هو عطاء ذاتي في مقابلة ما منعته و خالفت فيه أمره مما ليس هو عطاء ذاتيا بل إمكانيا و هي جميع الأعمال المشروعة فلهذا

أمرك بما لا يمكنك الانفكاك عنه كما لا يمكن للسراج أن يمنع ضوءه و لكن يتصور أن يقال له أعط الأبصار ضوءك ليدركوا به الأشياء فتجازي من حيث ذلك و ذلك أن تعلم أن حضرة كن تتضمن روحا و جسما و قد يرتبطان و قد لا يرتبطان فإذا ارتبطا كان هذا الجسم حيا على هذه الصورة من الكاف و الواو و النون و إذا كان حيا انفعل عنه ما يتوجه عليه لارتباط الروح به و هو الأذن الإلهي كالنفخ من عيسى عليه السلام في الطائر مقارنا للاذن الإلهي الذي هو النفخ الإلهي فاندرج النفخ الإذني الإلهي الذي به حيي الطائر و ارتبط روحه في النفخ الجسماني القائم بعيسى فإذا وجد جسم كن من غير ارتباط الروح به لم يكن عنه شيء أصلا إذ الميت لا يضاف إليه فعل أصلا و لا يقوم لعقل فيه شبهة بخلاف الحي و الصورة الجسمية فيهما واحدة و إذا انفرد روح كن دون جسميته انفعلت عنه الأشياء و من جملة الأشياء جسمية كن الذي هو في عالم الحروف فإذا علمت ما أوضحناه لك في هذا الكلام وقفت على أمر عظيم من قوله تعالى إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ذلك الأمر و لا بد و يقول الحق سبحانه لعباده في كلامه العزيز أَقِيمُوا الصَّلاةَ و اصْبِرُوا وَ صابِرُوا وَ رابِطُوا و جاهِدُوا و لا يقع شيء من ذلك لأنه قال لهم اخلقوا و ليس من شأنهم أن يخلقوا فتعلق بهم جسم كن لا روحها فكانت ميتة يحرم عليهم استعمالها فإذا تعلق الأذن الإلهي الذي هو كن الحية بإيجاد عين الجهاد أو الرباط أو الصلاة أو أي شيء كان من أفعال العباد تكون في حين التوجه علينا و ليس من شأن الأفعال أن تقوم بنفسها فكانت الصلاة تظهر في غير مصل و الصيام في غير صائم و الجهاد في غير مجاهد و هو لا يصح فلا بد من ظهورها في المجاهد و المصلي و غير ذلك فإذا ظهرت فيه نسب الله الفعل إليه و جازاه عليه منة منه و فضلا لأنه ما ظهر عين الصلاة إلا في المصلي فلو لم ينسب الفعل إليه لكان قد جافى الخطاب و التكليف و مباهتة للحس و كان لا يوثق بالحس في شيء فحسم الله هذا الأمر بما نسب من هذه الأفعال لمن أظهرها فيه و أضافها إليه و أمرهم بها و ليس خلقها لهم وإنما ذلك إلى الله تعالى فانظر ما أعجب هذا الأمر مع ما يتضمنه من التناقض المحقق و الايمان بالطريقتين المتناقضتين فيه واجب و الاطلاع عليه من باب الكشف مع وجود الايمان به تأييد عظيم و قوة لمن أعطى ذلك فإن في هذا الموطن زل كثير من أهل الكشف و هو قوله و أضله الله على علم و العلم كان لا ينبغي أن يصاحبه الضلال و لا يستلزمه و هنا قد وجد فيه ذلك فلا يخلو إما أن ضل بعلم أو لا بعلم و الأمر فيه إشكال ثم إن هذا المنزل يتضمن الجزاء على الأعمال يعني جزاء من ذكرناه في هذا المنزل من الكاتمين لأسرار الحق الذين أمنهم الله عليها مما لا يظهرونها إلا عن إذن إلهي و من ذكرناه من الطوائف معهم فجزاؤهم الجلال و العظمة و الهيبة و في الدنيا الخوف و القبض و الوحشة و في الأحوال الاصطلام و في المحبة الغليل و الاشتياق و الشوق و الكمد و الخشية و التحقق بذلك في كل موطن بحسب ذلك الموطن من الدوام و عدم الدوام إلا أنه في ظهور كونه لا يتخلله غفلة و لا فترة أصلا فإذا زال

المقام زال الحال لزواله هذا جزاء من حفظ الأمانة و لم يظهرها إلا بأمر الله و جزاء من أظهرها بإذن الله الإقامة في جوار الله من اسمه الرب لا غيره من الأسماء و معرفة العلوم التي تتعلق بمن هو تحت حيطته و دون منزلته لا بمن هو فوقه و إن هذه الحالة لهم دائمة و المقام لهم دائم في الدنيا و الآخرة و لهم الجمال و الأنس و من الأحوال الرضاء و من المحبة الوصلة و التعانق و الالتذاذ بشم المحبوب و ضمه و من خصائص هذا المنزل إن صاحبه لا يبذل المجهود من نفسه في أعماله بل أعماله دون قوته و طاقته و يقبل الله منه ذلك فإنه ممن اتقى الله حَقَّ تُقَاتِهِ ما هو ممن اتقى الله استطاعته و صاحب هذا المقام لا يتصور منه أن يطلب من الحق ما لم يعطه مما هو جائز أن يحصل له و يمنعه من ذلك الحياء من الله حيث لم يبذل المجهود من نفسه فيما كلفه من الأعمال على جهة الندب فهو قانع بما أعطاه ربه و لا يجد حسرة فوت لما فإنه مع علمه بما فاته لأن حاله الالتذاذ في ذلك الوقت بما هو فيه من النعيم و قد بينا أصول هذا المنزل وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب السابع و الثمانون و مائتان في معرفة منزل التجلي الصمداني و أسراره من الحضرة المحمدية»

شخص الزمان له نفس تدبره غيدا معطرة من عالم الأمر
جيم و عين وفاء من منازلها جاءت به رسله في محكم الذكر
لها صلاتان من علم الغيوب و ما للظهر و العصر ذاك الفخر و الفجر

من أراد أن يقف على ما تضمنه هذا المنزل في التجلي الصمداني الذي هو خاص به من المعارف و الحقائق و الأسرار الضيائية و غيرها فليطالعه في باب القلب من كتاب مواقع النجوم لنا في علم هذا الطريق فلنذكر في هذا المنزل ما سوى ذلك مخافة التطويل فاعلم إن لهذا المنزل الإنابة و ممن تحقق بها أبو يزيد البسطامي و هي الجمعية الذاتية و لا تكون للعارف من الله إلا عن شهود محقق من خلف حجاب مظهر بشرى و اعلم أن القوم قد اصطلحوا على ألفاظ لمعان قرروها في نفوسهم يخاطبون بها بعضهم بعضا كما فعلت كل طائفة فيما تنتحله من العلوم كالنحويين و أصحاب العدد و المهندسين و الأطباء و المتكلمين و الفقهاء و غيرهم فمما اصطلحت عليه هذه الطائفة الهوية و الإنية و الأنانية لأغراض في نفوسهم فهذا المنزل من ذلك منزل الأنانة فالإنية هي عبارة عن الحقيقة من حيث الأحدية و الأنانية التي هنا عبارة عن الحقيقة الأحدية التي هي عين الجمع فهذا منزل من منازل الغيوب لا ظهور له في الشهادة لكن المنازل التي في الغيب على ضربين منازل يكون عنها آثار في الشهادة يستدل بتلك الآثار عليها و إن كانت غيبا سواء ورد بذلك التعريف الإلهي أو لم

يرد من حيث الخطاب و منا زل لا يكون عنها في الشهادة أثر فلا تعرف إلا من طريق التعريف الإلهي و لا تتحقق منا زل الآثا ر و هذه الأنانية من المنا زل التي لها آثا ر في عالم الشهادة و الملكوت و آثا رها مختلفة و تتقيد باختلاف آثا رها و إن كانت في نفسها مطلقة فتا رة تتقيد باسم ضمير مثلها في الرتبة فتحتاج إلى تقييد آخر مثل قوله تعالى إنا أوحينا إليك فإنا و النون من أوحينا على مرتبة واحدة من حيث أحدية حقيقة الجمعية و التقييد لأنا الوحي و التقييد للنون من أوحينا ما يذكره بعده من قرآن أو روح أو غير ذلك و تا رة لا يتقيد باسم ضمير مثل قولهم إنا بنى فلان و كما قيل

نحن بنى ضبة إذ جد الوهل الموت أحلى عندنا من العسل

و ما وقفت على مثل هذا في القرآن فكنا نستشهد به و إنما استشهدت بهذا و إن لم يكن قرآنا فإنه من كلام العرب الذي نزل القرآن بلسانهم و الذي تقيدت به في هذا المنزل الإنزال الإلهي لا التنزيل على العا رفين من عباده إما بما أجراه في خلقه أو بما يجريه في خلقه و إنزاله على قسمين قسم يكون الإنزال على جهة التعريف بمكانة ما يجريه في خلقه أو ما أجراه و مرتبته فيكون تنزله على قلب لعبد من الغيب في الغيب من عين واحد إلى عين واحد لا يقبل التفصيل و القسم الآخر يكون تنزله على قلب العبد و هو مشغول في تدبير هيكله و طبيعته لا يأخذه عن ذلك و ذلك الإنزال من عين جمع إلى عين جمع ليفصل ما نزل عليه لخلقه مما أجراه الله أو يحكيه حكى لنا عن جماعة منهم أبو البدر عن شيخنا عبد القادر رحمه الله أنه قال إن السنة تأتيني إذا دخلت فتخبرني بما يكون فيها و يحدث و كذلك الشهر و الجمعة و اليوم و كذلك كان الشيخ أبو يعزى أبو النور ببلاد المغرب كان إذا دخل رمضان جاءه يعلمه بما قبل فيه من العمل و ممن قبل و يقبل و إنما قيدته هنا في حق شيخنا أبي يعزى برمضان لأن صاحبنا أبا زيد الرقراقي الأصولي أخبرني بشهادة هذا في شهر رمضان إذ كان هذا المخبر عنده في ذلك الوقت فرأى رمضان قد جاءه مخبرا بما ذكرناه فلا تعرف منا زل الأكوان عند الله من طريق التعريف الإلهي و العناية بهذا المقرب إلا بتعريف الله عباده في أسرارهم بما يلقيه فيها من نفث روح في روع مثل ما كانت الملائكة تنزل على الأنبياء عليهم السلام بذلك و اعلم أن المراتب التي يكون الخلق عليها متفاضلة في كل جنس فالرسل يفضل بعضهم بعضا و الأنبياء يفضل بعضهم بعضا و المحققون يفضل بعضهم بعضا و العا رفون يفضل بعضهم بعضا و هكذا إلى أصحاب الصنائع العملية فهذا المنزل يفضل غيره في التجليات الإلهية المشبه رؤيتها برؤية القمر و الشمس بألفي تجل و ثمان تجليات منطوية مندرجة في الألفين المذكورين غير أن هذه الثمانية لها خصوص وصف يظهر في تجلى المقامات الذي هو مائة و ستة و ستون تجليا فعند ذلك يظهر سلطان هذه الثمانية من التجليات و يعطي من المعا رف ما شاء الله أن يعطي و أما الألفان فهي تجليات سريعة الزوال مكثها قليل و لا تعطي علما عاما و أما

المائة و الستة و الستون فتعطي من العلوم العامة السارية في الموجودات و بقائها و ما يكون عنها و بسببها علما عاما مجردا خالصا ثابتا لا يتزلزل و لا يشتبه و إن كان حكمه ينتقل منه و فيه و لا يخرج عنه و اختلف أصحابنا هل ثم تجل في هذه التجليات يتصف بالنقص من حيث الصورة التي يتجلى فيها إذا كانت صورة طبيعية و الطبائع رباعية فيكون التجلي الناقص في الصورة الطبيعية في وقت في العنصر الناري فيكون غير كامل في نفسه و لكن يعطي بحسب ما يعطيه عنصره لا يزيد عليه فإذا كان في تجل آخر انضاف إلى تلك الصورة العنصر الثاني إلى أن يكمل العناصر في أربع تجليات فيقع التجلي في العنصر الرابع بكمال الصورة الطبيعية على صورة مكملة فيلحق بإخوانه من التجليات و الأمر عندنا ليس كذلك و لا يصح أن يكون هناك تجل ينقص أو يزيد و إنما هذا الشخص القائل بهذا ظهرت له حالته في عين التجلي فتخيل أن النقص في التجلي و كان النقص فيه ثم اتفق أنه لما تجلى له التجلي الثاني رأى تلك الصورة التي كان عليها في نفسه قد زاد فيها ما لم يكن و النقص و الزيادة فيه فحكم على التجلي بذلك و اعلم أن الأرواح النورية المسخرة لا المدبرة تنزل على قلوب العارفين كما قلناه بالأوامر و الشئون الإلهية و الخبرات بحسب ما يريده الحق بهذا العبد فترقيه بما نزلت به إليه ترقية و تخليصا إلى الحجاب الأقرب من الحجب البعيدة إلى أن يتولاه الله بارتفاع الوسائط غير إن هذا القلب إذا فارقته التنزلات الروحية التي يشترك فيها أهل هذه الطريقة و الحكماء العاملون على تصفية النفوس و تخليصها من كدر الطبع و قبل أن يتولى الحق أمره بارتفاع الوسائط يمكث معرى عن الأمرين مثل الوقفة بين المقامين و مثل النومة العامة بين الحس و الخيال و هو مقام الحيرة لهذا القلب فإن الذي كان يأنس إليه و يأخذ عنه قد فقده و الذي يأتي إليه ما رآه بعد فيبقى حائرا و لقد أخبرني صاحبي أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الأنصاري القرطبي و فقه الله عن شيخنا أبي زكريا الحسني ببجاية قال أخبرني غير واحد من أصحابه و ممن حضر موته أن الشيخ خرج إلى الناس و كان في المسجد الجامع معتكفا في شهر رمضان و قد غير لباسه الذي كان عليه و قد ظهر فيه التغير فقال لهم ادعوا لي فإني قد فقدت الذي كان عندي و لم يكن بعد قد حصل له شيء مما يأتي و حار في أمره فطلب من الناس الدعاء له فإنه لم يكن من أهل الأذواق الإلهية لغلبة الفقه عليه ما تخلص له الأمر ثم عاد إلى خلوته فأبطأ عليهم خروجه فدخلوا عليه فإذا هو مسجى قد فارق الدنيا فأشار إليهم بتغيير لباسه إن الذي كان يلبسه قد جرد عنه و الحيرة و الافتقار إلى دعاء الإخوان دلت على أنه ما كان الحق تولى أمره الذي أومأنا إليه ففرحت له بذلك لعل الله يكون قد تولاه قبل موته بلحظة فقبضه إليه و هو عنده و حال العارف في هذه الحيرة و الوقفة التضرع و الابتهال إلى الله بالافتقار و الخشوع المستعمل في إن يتجلى له حكم توليه إياه بارتفاع الوسائط من الوجه الخاص الذي بين كل موجود و بين ربه الذي لا يعرفه كل عارف و من هذا المنزل يعرف ما ينزل الحق من المعارف على قلوب عباده بإنزال الأرواح إليها قال تعالى يُلْقِي الرُّوحَ من

أَمْرِهِ عَلى من يَشاءُ من عِبادِهِ . . . أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا أَنَا و لم يقل هو فكان الروح هو الملقي من عند الله إلى قلوب عباده و يكون أمر الله هو الذي ألقاه و يكون ذلك الروح صورة قوله لا إِلهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ فارتفعت الوساطة في هذا المنزل إذ كان عين الوحي المنزل هو عين الروح و كان الملقي هو الله لا غيره فهذا الروح ليس عين الملك و إنما هو عين المالكة فافهم فمثل هذا الروح لا تعرفه الملائكة لأنه ليس من جنسها فإنه روح غير محمول ليس نورانيا و الملك روح في نور و هذا الذوق لنا و لسائر الأنبياء و أما الملائكة فقد يكونون ممن اختص بهم الرسل و هو قوله تعالى نَزَلَ به الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِكَ فهو رسول الرسول و أما تنزل الأرواح الملكية على قلوب العباد فإنهم لا ينزلون إلا بأمر الله الرب و ليس معنى ذلك أن الله يأمرهم من حضرة الخطاب بالإنزال و إنما يلقي إليهم ما لا يليق بمقامهم في صورة من ينزلون عليه بذلك فيعرفون إن الله قد أراد منهم الإنزال و النزول بما وجدوه في نفوسهم من الوحي الذي لا يليق بهم و أن ذلك الوحي من خصائص البشر و يشاهدون صورة المنزل عليه في الصور التي عندهم تسبيحها يا من أظهر الجميل و ستر القبيح للستور التي تسدل و ترفع فيعرفون من تلك الصور من هو صاحبها في الأرض فينزلون عليه و يلقون إليه ما ألقى إليهم فيعبر عن ذلك الملقي بالشرع و الوحي فإن كان منسوبا إلى الله بحكم الصفة سمي قرآنا و فرقانا و توراة و زبورا و إنجيلا و صحفا و إن كان منسوبا إلى الله بحكم الفعل لا بحكم الصفة سمي حديثا و خبرا و رأيا و سنة و قد ينزلون أيضا بالأمر الإلهي من حضرة الخطاب و كلا الوجهين من التنزل يتضمنه قول جبريل لمحمد صلى الله عليه و سلم لما قال له الحق أن يقر له لنبيه صلى الله عليه و سلم عن ربه و لهذا جعله من القرآن و هو حكاية الله عن جبريل و جبريل هو الذي نزل به و ما أخرجه نزوله به و الحكاية عنه عن إن يكون قرآنا فكان جبريل يحكي عن الله تعالى ما حكى الله تعالى عن جبريل أن لو قال لمحمد صلى الله عليه و سلم ذلك لقاله له على هذا الحد في عالم الشهادة و هو قوله وَما نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ ما بَيْنَ أَيْدِينا وَما خَلْفَنا وَما بَيْنَ ذلِكَ وَما كانَ رَبُّكَ نَسِيًّا فيما شاهده من قول جبريل لمحمد عليهما السلام و هم أعيان ثابتة في حال عدمهم و خطاباتهم أعيان ثابتة في حال عدمهم له فهو الإشارة إليه بقوله نَسِيًّا فكانت الحكاية أمرا محققا عن وجود لله محقق لا يتصف بالحدوث ثم حدث الوجود لتلك الأعيان فأخبرت بما كان منها قبل كونها مما شاهده الحق و لم تشهده لعدم وجودها في عينها روى عن الزهري أنه حدث عن شخص من الثقات حديثا أو حدث عنه فقال المحدث عنه لا أعلم هذا الحديث و لا أنا منه على يقين و لكن أنت عندي ثقة فرواه عنه عن نفسه و قال حدثني فلان عني و قال إني قلت له حدثني فلان و اتصل الإسناد فتنبه لهذه المسألة في طريق الرواية و مما يتضمن هذا المنزل فضل العلم المستور على العلم المشهور و العلم المستور هو على ضربين ضرب منه لم يضمن في الشهادة صور كلمات و ضرب ضمن صور كلمات فمثل العلم المضمن صور كلمات و هو مستور عن إن يتعلق به معرفة عارف على القطع إلا بأخبار إلهي

فهو علم ما تشابه من القرآن الذي لا يعلم تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ فهذا من العلوم المستورة و لكن لا يعرف من صور الكلمات في أي وجه هو مستور فيه و العلم الثاني المستور هو الذي لم يكن له صورة يحتجب بها من صور الكلمات و فضل مثل هذا العلم و منزلته مجهولة يعلمها الله و من أعلمه الله و قد يصادف الإنسان العمل بما يقتضيه ذلك العلم و هو لا يعرف ذلك حتى ينتقل إلى الدار الآخرة فيجد ثمرة عمله مرتبطة بمنزلة ذلك العلم المستور فيعلمه عند ذلك و مما يتعلق بهذا الباب إنزال الهو منزلة الشاهد مع بقاء الهو في عينه منزها و لا يكون الهو ينزل أبدا إلا في صور مدركة بالحس إما في الحس و إما في الخيال و يسمى بالهو في حال ظهور الصورة ليعلم أن الهو روح تلك الصورة و مدلولها فيعلم إن تلك الصورة لا يعلم معناها إلا الله كما قال تعالى وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُها إِلَّا هُوَ و من كان عند الهو كان بحيث الهو و الهو غيب و الذي يكون عنده غيب و إذا كان غيبا عند غيب فلا تعلمه الشهادة و إنما يعلمه الغيب فلا يعلم ما في الغيب إلا من هو غيب فمن حيث الصور ينسب إلى الغيب الظرفية فإذا ارتفعت الصور زال الغيب لأن الحجاب قد ارتفع فلا يتصف بالغيب و لا بالشهادة لأن الشهادة لا تنفك عن الصور و قد قلنا لا صورة فقد قلنا لا شهادة و الصورة تجعل ذلك الأمر غيبا و قد قلنا بزوال الصورة فقد رفعنا حكم الغيب عن ذلك الأمر فلا غيب و لا شهادة و في هذا المنزل من العجائب و الأسرار ما لو أظهرناه لتوقفت عقول أكثر علماء هذه الطريقة السليمة عن قبول مثلها و من هذا المنزل يتلقى ملك الموت آجال الناس و اختلف أهل الكشف في آجال الحيوان و في آجال كل ما سوى الإنسان هل هذا المنزل منزل علمها أم لا و هل لما عدا الحيوان آجال أم لا فاعلم إن الله تعالى جعل لكل صورة في العالم أجلا تنتهي إليه في الدنيا و الآخرة إلا الأعيان القابلة للصور فإنه لا أجل لها بل لها منذ خلقها الله الدوام و البقاء قال تعالى كُلٌّ يَجْرِي إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى و قال ثُمَّ قَضى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ فجاء بكل و هي تقتضي الإحاطة و العموم و قد قلنا إن الأعيان القابلة للصور لا أجل لها فبما ذا خرجت من حكم كل قلنا ما خرجت و إنما الأجل الذي للعين إنما هو ارتباطها بصورة من الصور التي تقبلها فهي تنتهي في القبول لها إلى أجل مسمى و هو انقضاء زمان تلك الصورة فإذا وصل الأجل المعلوم عند الله في هذا الارتباط انعدمت الصورة و قبل العين صورة أخرى فقد جرت الأعيان إلى أجل مسمى في قبول صورة ما كما جرت الصورة إلى أجل مسمى في ثبوتها لتلك العين الذي كان محل ظهورها فقد عم الكل الأجل المسمى فقد قدر الله لكل شيء أجلا في أمر ما ينتهي إليه ثم ينتقل إلى حالة أخرى يجري فيها أيضا إلى أجل مسمى فإن الله خلاق على الدوام مع الأنفاس فمن الأشياء ما يكون مدة بقائه زمان وجوده و ينتهي إلى أجله في الزمان الثاني من زمان وجوده و هي أقصر مدة في العالم و فعل الله ذلك ليصح الافتقار مع الأنفاس من الأعيان إلى الله تعالى فلو بقيت زمانين فصاعدا لاتصفت بالغنى عن الله في تلك المدة و هذه مسألة لا يقول بها أحد إلا أهل الكشف المحقق منا و الأشاعرة من

المتكلمين و موضع الإجماع من الكل في هذه المسألة التي لا يقدرون على إنكارها الحركة إلا طائفتين من يجعل الحركة نسبة لا وجود لها و هو الباقلاني من المتكلمين و أصحاب الكمون و الظهور القائلون به و إن قال القائلون بالكمون و الظهور بذلك فإنهم تحت حيطة كل بهذا المذهب فإنه قد جرى في كمونه إلى أجل مسمى و هو زمان ظهوره فقد انقضت مدة كمونه و جرى في ظهوره إلى أجل مسمى و هو زمان كمونه فقد انقضت مدة ظهوره و لا يلزم من جريانهم إلى الأجل أن المراد عدمهم بل يجوز أن يكون له العدم و يجوز أن يكون الانتقال مع بقاء العين الموصوفة بالجري و يجوز أن يكون منه أجل بعدمه و منه ما يكون له أجل بانتقاله بعدمه و هو الذي نذهب إليه و نقول به و اعلم أن لله في هذا المنزل أرواحا من الملائكة بأيديهم من الخيرات و النعيم الدائم ما لا يدري مقداره إلا الله تعالى قد وكلهم الله على ذلك و جعلهم حفظة عليه و خزانا لأصحابه من الأناسي يؤدون ذلك إليه في الوقت الذي قد قرر لهم الحق ذلك و عينه لهم بالحال التي ينتقل ذلك العبد السعيد إليها و كذلك له ملائكة خزنة بالنقيض أيضا معدة لإنسان آخر يؤدون ذلك إليه في الوقت الذي قرره الحق لهم بالحال التي ينتقل إليها ذلك العبد الشقي كل ذلك بتقدير العزيز العليم و اعلم أنه ما من كلمة يتكلم بها العبد إلا و يخلق الله من تلك الكلمة ملكا فإن كانت خيرا كان ملك رحمة و إن كانت شرا كان ملك نقمة فإن تاب إلى الله و تلفظ بتوبته خلق الله من تلك اللفظة ملك رحمة و خلع من المعنى الذي دل عليه ذلك اللفظ بالتوبة الذي قام بقلب التائب على ذلك الملك الذي كان خلقه من كلمة الشر خلعة رحمة و واخى بينه و بين الملك الذي خلقه من كلمة التوبة و هو قوله تبت إلى الله فإن كانت التوبة عامة خلع على كل ملك نقمة كان مخلوقا لذلك العبد من كلمات شره خلع رحمة و جعل مصاحبا للملك المخلوق من لفظة توبته فإنه إذا قال العبد تبت إليك من كل شيء لا يرضيك كان في هذا اللفظ من الخير جمعية كل شيء من الشر فخلق من هذا اللفظ ملائكة كثيرة بعدد كلمات الشر التي كانت منه فإن الإنسان أعطى لفظا يدل على الإفراد و أعطى لفظا يدل على الاثنين و أعطى لفظا يدل على الكثرة فلفظة كل تدل على الكثرة فعلم إن قوله تبت إلى الله من كل شيء إنه تبت إلى الله من كذا تبت إلى الله من كذا تبت إلى الله من كذا كما تقول زيدون تريد بذلك زيد و زيد و زيد هذا أقله إلى ما لا يتناهى كثرة و كذلك لفظة زيود في جمع التكسير فلهذا خلق الله من كلمة الجمع ملائكة بعدد ما تعمه تلك الكلمة و إنما قلنا بأن الملائكة المخلوقة من كلمة الشر يخلع عليها خلع الخير و ترجع ملائكة رحمة في حق هذا التائب و يصاحب بينها و بين الملائكة المخلوقة من لفظ التوبة عن ذلك الشر فإن الكشف أعطى ذلك و صدقه الوحي المنزل بقول الله تعالى في هذا الصنف ﴿يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ فجعل التبديل في عين السيئة و هو ما ذكرناه و لقد أخبرني عبد الكريم بن وحشي المصري و كان من الرجال بمكة رحمه الله سنة تسع و تسعين و خمسمائة قال لي ركبت البحر من جدة نطلب الديار المصرية فلما مخرنا جئنا ليلة و نحن نجري في وسط

البحر و قد نام أهل المركب فإذا شخص من الجماعة قد قام يريد قضاء الحاجة فزلقت رجله و وقع في البحر و أخذته الأمواج فسكت الرائس و ما تكلم و كانت الريح طيبة فما شعر رائس المركب إلا و الرجل يجيء على وجه الماء حتى دخل المركب و صحبته طائر كبير فلما وصل إلى المركب طار الطائر و نزل بجامور الصاري على رأس القرية ثم رآه قد مد منقاره إلى إذن ذلك الرجل كأنه يكلمه ثم طار فلم يقل له الرائس شيئًا حتى إذا كان في وقت آخر من النهار أخذه الرائس و أكرمه و سأله الدعاء فقال له الرجل ما أنا من القوم الذين يسأل منهم الدعاء فقال له الربان رأيتك البارحة و ما جرى منك فقال يا أخي ليس الأمر كما ظننت و لكني لما وقعت في البحر و أخذتني الأمواج تيقنت بالهلاك و علمت إن الاستغاثة بكم لا تفيد فقلت ذلك تقدير العزيز العليم مستسلما لقضاء الله فما شعرت إلا و طائر قد قبض علي و أقامني من بين الأمواج و حملني على موج البحر إلى أن أدخلني المركب كما رأيت فتعجبت من صنع الله و بقيت أتطلع إلى الطائر و أقول يا ليت شعري من يكون هذا الطائر الذي جعله الله سبب نجاتي و حياتي فمد الطائر منقاره من أعلى الصاري إلى أذني و قال لي أنا كلمتك ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ و به سميت فكان اسم ذلك الطائر ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ فهذا مما أشرنا إليه من خلق الله الملائكة من الكلمات و تلك الكلمات تكون أسماءهم و بها يتميزون و بها يدعون كانت ما كانت و يختص بهذا المنزل علوم كثيرة و تجليات يطول الكلام فيها و يكفي هذا القدر وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثامن و الثمانون و مائتان في معرفة منزل التلاوة الأولى من الحضرة الموسوية»

كن للاله كبسم الله للبشر ... من اسمه الرب رب الروح و الصور

فالخلق و الأمر و التكوين أجمعه ... له فلا فرق بين العقل و الحجر

كالزاهد المتعالي في غناه به ... فلا يميز بين العين و المدر

و العارف المتعالي في نزاهته ... له التميز بين العين و البصر

إذ الرجوع إلى التحقيق شيمة من ... يرى المنازل في الأعلام و السور

أول ما أمر الله به عبده الجمع و هو الأدب و هو مشتق من المأدبة و هو الاجتماع على الطعام كذلك الأدب عبارة عن جماع الخير كله قال صلى الله عليه و سلم إن الله أدبني أي جمع في جميع الخيرات لأنه قال فحسن أدبي أي جعلني محلا لكل حسن فقيل للإنسان اجمع الخيرات فإن الله جعل في الدنيا عبده عاملا جابيا يجبي له سبحانه جميع ما رسم له فهو في الدنيا يجمع ذلك فما خلقه الله إلا للجمع فإن جمع ما أمر بجمعه و جباه كان سعيدا و وهبه الحق جميع ما جباه و أنعم عليه فكانت أجرته عين ما جمعه مع الثناء الإلهي الحسن عليه

بالأمانة و العدل و عدم الظلم و الخيانة و إن كان عبد سوء خان في أمانته فأعطاها غير أهلها و جمع ما لم يؤمر بجمعه مما نهي عنه إن يدخل فيه نفسه و ترك جمع ما أمر بجمعه فلما انقلب إلى سيده و حصل في ديوان المحاسبة و قعد أهل الديوان يحاسبونه و رأى شدة الهول في حسابه و حساب غيره و رأى الأمناء الذين جبوا على حد ما رسم لهم قد سعدوا و آمنوا كثر عليه الغم و الحزن فمنهم من عفي عنه و خلى سبيله لشفاعة شافع و منهم من لم يكن له شفيع فعذب و عصر فمن عرف ما خلق له و عمل عليه استراح راحة الأبد مع أنه في نفسه في زمان جبايته على حذر و خطر و إن كان هذا فأحسن ما جمعه الإنسان في حياته العلم بالله و التخلق بأسمائه و الوقوف عند ما تقتضيه عبوديته و أن يوفي ما تستحقه مرتبة سيده من امتثال أوامره و منزل هذا الأمر من الأسماء الإلهية الاسم الرب و قد نعت الله سبحانه هذا الاسم بالعظمة و الكرم و العلو في مواضع من كتابه العزيز و ذكر ما جعل تحت حكمه و بيده من الأمور و جعل للباء في هذا المنزل سلطانا عظيما حيث جعلها واسطةبين الله و عبده فإن الله تعالى قال لعبده سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى فأمره بتنزيهه فقال له العبد مقالة حال بما نسبحه فقال فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ أي لا تنزهه إلا بأسمائه لا بشيء من أكوانه و أسماؤه لا تعرف إلا منه عندنا و إن كانت هذه المسألة مسألة خلاف بين علماء الرسوم فإذا لم تعرف أسماؤه إلا منه و لا ينزه إلا بها فكان العبد ناب مناب الحق في الثناء عليه بما أثنى هو على نفسه لا بما أحدثه العبد من نظره و أي شرف أعظم من شرف من ناب مناب الحق في الثناء عليه و المعرفة به فكان الحق استخلف عبده عليه في هذه الرتبة فلو إن المثنى على الله بأسمائه يعرف قدر هذه المنزلة التي أنزله الله فيها لفنى عن وجوده فرحا بما هو عليه ثم لا يخلو العبد في هذا الثناء إما أن يثني على الله بأسماء التنزيه أو بأسماء الأفعال فالمتقدم عندنا من جهة الكشف أن تبتدئ بأسماء التنزيه و بالنظر العقلي بأسماء الأفعال فلا بد من مشاهدة المفعولات فأول مفعول أشاهده الأقرب إلي و هو نفسي فأثنى عليه بأسماء فعله بي و في و كلما رمت أن أنتقل من نفسي إلى غيري اطلعت على حادث آخر أحدثه في نفسي بطلب يطلب مني الثناء عليه به فلا أزال كذلك أبد الأبد دنيا و آخرة و لا يكون إلا هكذا فانظر ما يبقى علي من منازل الثناء على الله من مشاهدة ما سوای من المخلوقين و هذا المشهد يطلب لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك و لهذا التتميم قال الصديق العجز عن درك الإدراك إدراك و بعد الفراغ مني و من المخلوقين حينئذ أشرع في الثناء عليه بأسماء التنزيه و الفراغ من نفسي محال فالوصول إلى مشاهدة الأكوان بالفراغ من الأكوان محال فالوصول إلى أسماء التنزيه محال فإذا رأيت أحدا من العامة أو ممن يدعي المعرفة بالله يثني على الله بأسماء التنزيه على طريق المشاهدة أو بأسماء الأفعال من حيث ما هي متعلقة بغيره فاعلم أنه ما عرف نفسه و لا شاهدها و لا أحس بآثار الحق فيه و من عمي عن نفسه التي هي أقرب إليه فهو على الحقيقة عن غيره أعمى و أضل سبيلا قال تعالى وَ

من كانَ فِي هذِهِ أَعْمى يعني في الدنيا و سماها دنيا لأنها أقرب إلينا من الآخرة قال تعالى إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيا يريد القريبة وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوى يعني البعيدة فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ثم لتعلم أنك من جملة أسمائه بل من أكملها اسما حتى إن بعض الشيوخ و هو أبو يزيد البسطامي سأله بعض الناس عن اسم الله الأعظم فقال أروني الأصغر حتى أريكم الأعظم أسماء الله كلها عظيمة فاصدق و خذ أي اسم إلهي شئت و لقيت الشيخ أبا أحمد بن سيد بون بمرسية و سأله إنسان عن اسم الله الأعظم فرماه بحصاة يشير إليه إنك اسم الله الأعظم و ذلك أن الأسماء وضعت للدلالة فقد يمكن فيها الاشتراك و أنت أدل دليل على الله و أكبره فلك إن تسبحه بك فإن قلت و هكذا في جميع الأكوان قلنا نعم إلا إنك أكمل دليل عليه و أعظمه من جميع الأكوان لكونه سبحانه خلقك على صورته و جمع لك بين يديه و لم يقل ذلك عن غيرك من الموجودات فإن قلت فقد وصف نفسه بالعظمة قلنا و قد وصفك بالعظمة و ندبك إلى تعظيمه فقال وَمن يُعَظِّمْ شَعائِرَ اللهِ فَإِنَّها مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ و أنت أعظم الشعائر فيتضمن قوله تعالى فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ إن تنزهه بوجودك و بالنظر في ذاتك فتطلع على ما أخفاه فيك من قرة أعين فأنت اسمه العظيم و من كونك على صورته ثبتت العلاقة بينك و بينه فقال يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ و المحبة علاقة بين المحب و المحبوب و لم يجعلها إلا في المؤمنين من عباده و لا خفاء إن الشكل يألف شكله و هو الإنسان الكامل الذي لا يماثل في لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و لك حرف لام ألف من الصورة فإنه يلتبس على الناظر أي الفخذين هو اللام و أيهما هو الألف للمشابهة في لا تداخل كل واحد منهما على صاحبه و لهذا كان لام الألف من جملة الحروف و إن كان مركبا من ذاتين موجودتين في العلم غير مفترقتين في الشكل و لهذا وقع الإشكال في أفعالنا لنا أو لله فلا يتخلص في ذلك دليل يعول عليه فالألف لها الأحدية في المرتبة و الأول من العدد و اللام لها المرتبة الثالثة من أول مراتب العقد و الثلاثة هي أول الأفراد فقد ظهر التناسب بين الأحد و الفرد من حيث الوترية فهو أول في الأحدية و الإنسان الكامل أول في الفردية فاعلم ذلك و لهذا جاء في نشأة الإنسان أنه علقة من العلاقة و العلقية في ثالث مرتبة من أطوار خلقته فهي في الفردية المناسبة له من جهة اللام في مراتب العدد قال تعالى خَلَقْنَا الْإِنسانَ مِن سُلالَةٍ مِن طِينٍ و هذه أول مرتبة ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِي قَرارٍ مَكِينٍ هذي ثانية ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً و هي المرتبة الفردية و لها الجمع و الإنسان محل الجمع لصورة الحضرة الإلهية و لصورة العالم الكبير و لهذا كان الإنسان وجوده بين الحق و العالم الكبير و انفصل جميع المولدات ما سوى الإنسان عن وجود الإنسان بأن جميع المولدات ما عداه موجودون عن العالم فهو عن أم بغير أب كوجود عيسى بن مريم صلوات الله عليه و إنما نبهناك على هذا لئلا تقول إن جميع المولدات وجدوا بين الله و العالم و ما كان الأمر كذلك و إلا فلا فائدة لقوله خلق آدم على صورته و لو كانت الصورة ما يتوهمه بعض أصحابنا بل شيوخنا من كونه ذاتا و سبع صفات فإن ذلك ليس بصحيح فإن الحيوان معلوم أن له ذاتا و أنه حي

عالم مريد قادر متكلم سميع بصير فكان يبطل اختصاص الإنسان بالصورة و إنما جاءت على جهة التشريف له فلم يبق إلا أن تكون الصورة غير ما ذكروه فإن منعت العلم عن الحيوان كابرت الحس فإن الحيوان مفطور على العلم و أنه يوحى إليه كما قال وَأَوْحى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ فإن نازعت في الكلام قلنا لك كلامه من جنس ما يليق بمزاجه و أما المكاشف فلا يحتاج معه إلى هذا فإنه يرى ما نرى و يعلم ما نعلم فإن قلت فكلامنا هو الحقيقة قلنا فالكلام الذي تثبته لنفسك إن أردت به الأصوات و الحروف المركبة فكلام الله عندك على خلاف هذا ليس بصوت و لا حرف إن كنت أشعريا و إن كنت معتزليا فالكلام لمن خلقه و إن كان الكلام عندك عبارة عن كلام النفس فذلك موجود في الحيوان فصوت السنور إذا طلب ما يأكل خلاف صوته إذا طلب ما ينكح فقد أعرب بصوته عما حدثته به نفسه فإن قلت إن ذلك الذي في النفس إرادة و ليس بكلام قلنا و كذلك الإنسان الذي في نفسه إرادة و ليس بكلام فإن قلت ما استدل به أبو إسحاق الأسفراييني الأستاذ من حديث النفس بما مضى و ما مضى لا يكون مرادا إذن فليست إرادة أعني ذلك الذي في النفس قلنا ذلك هو العلم بما قد مضى و التبس عليك و لا دليل لهم على كلام النفس أوضح من هذا و هو مدخول كما رأيت فخرج من هذا أن قوله صلى الله عليه و سلم على صورته لا يريد ما ذكره أصحابنا من الذات و الصفات و كل الجماعة على ذلك فابحث على هذا الكنز حتى يفتح الله عليك به كما فتح به على من شاء من خلقه في قوله يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ و مما يختص به هذا المنزل من العلوم أيضا إن الله لما خلق العقل الأول أعطاه من العلم ما حصل له به الشرف على من هو دونه و مع هذا ما قال فيه إنه مخلوق على الصورة مع أنه مفعول إبداعي كما هي النفس مفعول انبعاثي فلما خلق الله الإنسان الكامل أعطاه مرتبة العقل الأول و علمه ما لم يعلمه العقل من الحقيقة الصورية التي هي الوجه الخاص له من جانب الحق و بها زاد على جميع المخلوقات و بها كان المقصود من العالم فلم تظهر صورة موجود إلا بالإنسان و العقل الأول على عظمه جزء من الصورة و كل موجود مما عدا الإنسان إنما هو في البعضية و لهذا ما طغى أحد من الخلائق ما طغى الإنسان و علا في وجوده فادعى الربوبية و أكبر العصاة إبليس و هو الذي يقول إِنِّي أَخافُ اللهَ رَبَّ الْعالَمِينَ عند ما يكفر الإنسان إذا وسوس في صدره بالكفر و ما ادعى قط الربوبية و إنما تكبر على آدم لا على الله فلو لا كمال الصورة في الإنسان ما ادعى الربوبية فطوبى لمن كان على صورة تقتضي له هذه المنزلة من العلو و لم تؤثر فيه و لا أخرجته من عبوديته فتلك العصمة التي حبانا الله بالحظ الوافر منها في وقتنا هذا فالله يبقيها علينا فيما بقي من عمرنا إلى أن نقبض عليها أنا و جميع إخواننا و محبينا بمنه لا رب غيره و من هذا المنزل تعرف عقوبة من لم يعرف قدره و جاز حده و احتجب بالصورة عما أراد الحق منه في خلقه بما أخبر به في شريعته فقال وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ثم لتعلم إن علم القربة في هذا المنزل من وقف عليه و شاهده كان على بينة من ربه

فيما يتقرب إليه به و هو ما نبهناك عليه و مما يتضمنه هذا المنزل خاصة علم الجمع بين التقدير و الإيجاد و لا تجد ذلك في منزل من المنا زل مفصلا لا واسطة بينهما إذ كان التقدير يتقدم الإيجاد في نفس الأمر في عالم الزمان و لهذا قيل و بعض الناس يخلق ثم لا يفري فاعلم أنه لم يكن في الأزل شيء يقد ر به ما يكون في الأبد إلا الهو فأ راد الهو أن يرى نفسه رؤية كمالية تكون لها و يزول في حقه حكم الهو فنظر في الأعيان الثابتة فلم ير عينا يعطي النظر إليها هذه الرتبة الأنانة إلا عين الإنسان الكامل فقد رها عليه و قابلها به فوافقت إلا حقيقة واحدة نقصت عنه و هي وجودها لنفسها فأوجدها لنفسها فتطابقت الصورتان من جميع الوجوه و قد كان قد ر تلك العين على كل ما أوجده قبل وجود الإنسان من عقل و نفس و هباء و جسم و فلك و عنصر و مولد فلم يعط شيء منها رتبة كمالية إلا الوجود الإنساني و سماه إنسانا لأنه آنس الرتبة الكمالية فوقع بما رآه الإنس له فسماه إنسانا مثل عمران فالألف و النون فيه زائدتان في اللسان العربي فإن قلت فلما ذا ينصرف و عمران لا ينصرف قلنا في عمران علتان و هما اللتان منعتاه من الصرف و هما الزيادة و التعريف أعني تعريف العلمية و الإنسان ليس كذلك فإن فيه علة واحدة و هي الزيادة و ما لفظ الإنسان للإنسان اسم علم و إنما تعريفه إذا سمي بآدم فلما سمي بآدم لم ينصرف للتعريف و الوزن و إنما سمي باسم معلول بعلة تمنعه من الصرف الذي هو التصرف في جميع المراتب ليعلم في صورته الإلهية أنه مقهور ممنوع عبد ذليل مفتقر إذ كانت الصورة الإلهية تعطيه التصرف في جميع المراتب و لهذا سمي بإنسان فرفع و خفض و نصب و ما ثم في الأسماء مرتبة أخرى فهو إنسان من حيث الصورة و منها يتصرف في المراتب كلها و منع الصرف من حيث هو في قبضة موجدة ملك يبقيه ما شاء و يعدمه إن شاء فبالصورة نال الخلافة و التصريف و اسم الإنسانية فمن إنسانيته ثبت أنه غير يؤنس به و من الخلافة ثبت أنه عبد فقير ما له قوة من استخلفه بل الخلافة خلعت عليه يزيلها متى شاء و يجعلها على غيره كما قد وقع و لهذا قال تعالى هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ و هي محل الخفض إذ الخفض لا يليق بالجناب العالي فلهذا أقام له نائبا فيه ليعلم أنه عبد فلو استخلف الإنسان في السماء مع وجوده على الصورة لم يشاهد عبوديته في رفعته للصورة و المكان و المكانة فربما طغى و لو طغى ما وقع الأنس به و لهذا من زاحم قصم قال الله الكبرياء ردائي و العظمة إزاري من نازعني واحدا منهما قصمته فالعبد صغير في كبرياء الحق فإن هذا الكبرياء الإلهي ألبسه الصغار و هو حقير في عظمة الحق فإن هذه العظمة الإلهية ألبسته الحقارة فالصغار رداء العبد و الحقارة إزاره فمن نازعه من الأناسي واحدة منهما أي طلب مشاركته فيهما عصم لا قصم و رحم ما حرم و لهذا خلق فتأمل أيها الإنسان لم سماك إنسانا و تأمل لم سماك خليفة و تأمل لم سماك آدم في أول صورة ظهرت و لا تتعد ما تعطيه حقيقة هذه الأسماء و لا تغب عنك فتكون من المفلحين و لهذا ختم الاستخلاف الكامل باسم منصرف و هو محمد صلى الله عليه و سلم ليجبر به ما منع آدم من التصريف فإنه ما منع

إلا لعلة قامت به و هو أول في هذا النوع فعصم باسم غير منصرف ليعلم أنه تحت الحجر مقهور لا ينصرف و لا يتصرف إلا فيما حد له ثم بعد ذلك أعطى التصريف جماعة من الخلفاء كنوح و شيث و شعيب و صالح و محمد و هود و لوط و غيرهم لأنه أمن بالأول وقوع ما كان يحذر ثم إنه تخلل هؤلاء الخلفاء أسماء لا تنصرف كإدريس و إبراهيم و إسماعيل و إسحاق و يعقوب و سليمان و داود تنبيها للإنسان إذا سلك طريق الله ثم عاد بعد قطع الأسباب و الاعتماد على الله إلى القول بالأسباب و الوقوف عندها لكون الحق وضعها و ربط الأمور بها و حاله الاعتماد على الله و الطبع من عادته الألفة و يسرق صاحبه إلى الركون لمألوفه كما قلنا لأنه إنسان يأنس بمألوفه فربما يتخلله اعتماد على السبب فيضعف اعتماده على الله تعالى فيتفقد نفسه بقطع الأسباب وقتا بعد وقت كما فعل الله بأسماء الخلائف وقتا دعاهم باسم يقتضي لهم التصريف و وقتا دعاهم باسم يمنعهم التصريف تعليما لهم لئلا يقعوا في محظور محذور قال تعالى عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ فلهذا كانت هذه الأسماء التي تمنع الصرف في بعض الخلفاء و أما الذين أعطوا التصريف فهم على قسمين منهم من أعطى التصريف ظاهرا و معنى و هو التصريف الكامل فلهم الاسم الكامل مثل محمد و صالح و شعيب و كل اسم منصرف ظاهر لواحد من هؤلاء الخلفاء و القسم الآخر أعطى التصريف معنى لا ظاهرا فليست له علة تمنعه من الصرف في المعنى و كان آخره حرف علة منعه ذلك الحرف من التصرف في الظاهر فكان مقصورا و سمي ذلك الاسم مقصورا كموسى و عيسى و يحيى فقصروا على المعنى دون الظاهر و سميت هذه بالمقصورة أي قصرت عن درجة التصرف في الظاهر و حبست عنه و منه حور مقصورات في الخيام و إنما قصر من قصر منهم صيانة لا سجنا فصانوا مثل هؤلاء كما صين من لم ينصرف من الأسماء عناية ثم إن الله تعالى لما أراد أن لا يحجبهم عنهم طبا في حقهم لما يعلم ما تقتضيه هذه النشأة من العلل إذ كان الكمال لا يطاق حكمه إلا بالعناية الإلهية فكان من العناية الإلهية بهم إن أجرى عليهم الأسماء النواقص ليعلموا أنهم في مرتبة النقص و هو كمالهم عن الكمال الإلهي فقال وَالَّذِي جاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ به يعني محمدا صلى الله عليه و سلم فكنى عنه بالذي جاء بالصدق و الذي من الأسماء النواقص و لما علم إن العبد المقرب يتألم بظهور نقصه و يخاف من الحاقة بالعدم و رجوعه إلى أصله آنسه سبحانه من باب اللطف و الكرم فسمى سبحانه نفسه بالأسماء النواقص فقال هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ و قال هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ من السَّماءِ و ليس في القرآن لله تعالى أكثر من الأسماء النواقص فكان ذلك تأمينا للخلفاء فإنهم قاطعون بأن الحق ليس له مرتبة النقص و لا يقبلها و مع ذلك قد جرت عليه الأسماء النواقص فلو أثرت الأسماء لذاتها في المسمى لأثرت في الله و هي غير مؤثرة فيه إذا فنرجو أنها لا تؤثر فينا تأثير العدم و لكن كمالنا في أن تؤثر فينا تأثير وقوفنا مع عجزنا و

فقرنا و هذا الباب الذي فتحناه علينا في هذا المنزل باب واسع لا يتسع الوقت لا يراد بعض ما يعطيه فليكف هذا القدر منه وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَيَهْدِي السَّبِيلَ انتهى السفر التاسع عشر من الفتوح المكي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

«الباب التاسع و الثمانون و مائتان في معرفة منزل العلم الأمي الذي ما تقدمه علم من الحضرة الموسوية»

العلم بالله تزيين و تحلية — و العلم بالفكر تشبيه و تضليل

و العلم بالفكر إجمال و مغلطة — و العلم بالله تحقيق و تفصيل

و العلم بالفكر أعلام مجردة — و العلم بالله تحويل و تبديل

فلا تغرنك أقوال مزخرفة — فإن مدلولها جهل و تعليل

فالفيلسوف يرى نفي الإله بما — تعطيه علته و ذاك تعطيل

و الأشعري يرى عينا مكثرة — و ذاك علم و لكن فيه تمثيل

الأمية عندنا لا تنافي حفظ القرآن و لا حفظ الأخبار النبوية و لكن الأمية عندنا من لم يتصرف بنظره الفكري و حكمه العقلي في استخراج ما تحوي عليه من المعاني و الأسرار و ما تعطيه من الأدلة العقلية في العلم بالإلهيات و ما تعطيه للمجتهدين من الأدلة الفقهية و القياسات و التعليلات في الأحكام الشرعية فإذا سلم القلب من علم النظر الفكري شرعا و عقلا كان أميا و كان قابلا للفتح الإلهي على أكمل ما يكون بسرعة دون بطء و يرزق من العلم اللدني في كل شيء ما لا يعرف قدر ذلك إلا نبي أو من ذاقه من الأولياء و به تكمل درجة الايمان و نشأته و يقف بهذا العلم على إصابة الأفكار و غلطاتها و بأي نسبة ينسب إليها الصحة و السقم و كل ذلك من الله و يعلم مع حكمه بالباطل أنه لا باطل في الوجود إذ كان كل ما دخل في الوجود من عين و حكم لله تعالى لا لغيره فلا عبث و لا باطل في عين و لا حكم إذ لا فعل إلا لله و لا فاعل إلا الله و لا حكم إلا لله و لا حاكم إلا الله فمن تقدمه العلم بما ذكرناه فبعيد إن يحصل له من العلم اللدني الإلهي ما يحصل للأمي منا الذي ما تقدمه ما ذكرناه فإن الموازين العقلية و ظواهر الموازين الاجتهادية في الفقهاء ترد كثيرا مما ذكرناه إذ كان الأمر جله و معظمه فوق طور العقل و ميزانه لا يعمل هنالك و فوق ميزان المجتهدين من الفقهاء لا فوق الفقه فإن ذلك عين الفقه الصحيح و العلم الصريح و في قصة موسى و الخضر دليل قوي على ما ذكرناه فكيف حال الفقيه و أين الأينية و ما شاكلها التي نسبها الشارع و الكشف إلى الإله من الموازين النظرية و البراهين العقلية على زعم العقل و حكم المجتهد فالرحمة التي يعطيها الله عبده أن يحول بينه و بين العلم النظري و الحكم الاجتهادي من جهة نفسه حتى يكون الله يحابيه بذلك في الفتح الإلهي و العلم الذي يعطيه من

لدنه قال تعالى في حق عبده خضر عَبْداً من عِبادِنا فأضافه إلى نون الجمع آتَيْناهُ رَحْمَةً من عِنْدِنا بنون الجمع وَعَلَّمْناهُ بنون الجمع من لَدُنّا بنون الجمع عِلْماً أي جمع له في هذا الفتح العلم الظاهر و الباطن و علم السر و العلانية و علم الحكم و الحكمة و علم العقل و الوضع و علم الأدلة و الشبه و من أعطى العلم العام و أمر بالتصرف فيه كالأنبياء و من شاء الله من الأولياء أنكر عليه و لم ينكر هذا الشخص على أحد ما يأتي به من العلوم و إن حكم بخلافه و لكن يعرف موطنه و أين يحكم به فيعطي البصر حقه في حكمه و سائر الحواس و يعطي العقل حكمه و سائر القوي المعنوية و يعطي النسب الإلهية و الفتح الإلهي حكمهم فبهذا يزيد العالم الإلهي على غيره و هوالبصيرة التي نزل القرآن بها في قوله تعالى أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمن اتَّبَعَنِي و هو تتميم قوله تعالى بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ فهو النبي الأمي الذي يدعو على بصيرة مع أميته و الأميون هم الذين يدعون معه إلى الله على بصيرة فهم التابعون له في الحكم إذ كان رأس الجماعة و المجتهد و صاحب الفكر لا يكون أبدا على بصيرة فيما يحكم به فأما المجتهد فقد يحكم اليوم في نازلة شرعية بحكم فإذا كان في غد لاح له أمر آخر أبان له خطأ ما حكم به بالأمس في النازلة فرجع عنه و حكم اليوم بما ظهر له و يمضي الشارع حكمه في الأول و الآخر و يحرم عليه الخروج عما أعطاه الدليل في اجتهاده في ذلك الوقت فلو كان على بصيرة لما حكم بالخطإ في النظر الأول بخلاف حكم النبي فإن ذلك صحيح أعني الحكم الأول ثم رفع الله ذلك الحكم بنقيضه و سمي ذلك نسخا و أين النسخ من الخطاء فالنسخ يكون مع البصيرة و الخطاء لا يكون مع البصيرة و كذلك صاحب العقل و هو واقع من جماعة من العقلاء إذا نظروا و استوفوا في نظرهم الدليل و عثروا على وجه الدليل أعطاهم ذلك العلم بالمدلول ثم تراهم في زمان آخر أو يقوم لهم خصم من طائفة أخرى كمعتزلي و أشعري أو برهمى أو فيلسوف بأمر آخر يناقض دليله الذي كان يقطع به و يقدح فيه فينظر فيه فيرى إن ذلك الأول كان خطأ و أنه ما استوفى أركان دليله و أنه أخل بالميزان في ذلك و لم يشعر و أين هذا من البصيرة و لما ذا لا يقع له هذا في ضرورات العقل فالبصيرة في الحكم لأهل هذا الشأن مثل الضروريات للعقول فمثل هذا العلم ينبغي للإنسان أن يفرح به حكي عن أبي حامد الغزالي المترجم عن أهل هذه الطريقة بعض ما كانوا يتحققون به قال لما أردت أن انخرط في سلكهم و آخذ مأخذهم و أغرف من البحر الذي اغترفوا منه خلوت بنفسي و اعتزلت عن نظري و فكري و شغلت نفسي بالذكر فانقدح لي من العلم ما لم يكن عندي ففرحت بذلك و قلت إنه قد حصل لي ما حصل للقوم فتأملت فيه فإذا فيه قوة فقهية مما كنت عليه قبل ذلك فعلمت أنه بعد ما خلص لي فعدت إلى خلوتي و استعملت ما استعمله القوم فوجدت مثل الذي وجدت أولا و أوضح و أسنى فسررت فتأملت فإذا فيه قوة فقهية مما كنت عليه و ما خلص لي عاودت ذلك مرارا و الحال الحال فتميزت عن سائر النظار أصحاب الأفكار بهذا القدر و لم ألحق بدرجة القوم في ذلك و علمت أن الكتابة على المحو

ليست كالكتابة على غير المحو ألا ترى الأشجار منها ما يتقدم ثمره زهره و هو كمرتبة علماء النظر إذا دخلوا طريق الله كالفقيه و المتكلم و منه ما لا يتقدم ثمره زهره و هو الأمي الذي لم يتقدم علمه اللدني علم ظاهر فكري فيأتيه ذلك بأسهل الوجوه و سبب ذلك أنه لما كان لا فاعل إلا الله و جاء هذا الفقيه و المتكلم إلى الحضرة الإلهية بميزانهما ليزنوا على الله و ما عرفوا إن الله تعالى ما أعطاهم تلك الموازين إلا ليزنوا بها لله لا على الله فحرموا الأدب و من حرم الأدب عوقب بالجهل بالعلم اللدني الفتحي فلم يكن على بصيرة من أمره فإن كان وافر العقل علم من أين أصيب فمنهم من دخل و ترك ميزانه على الباب حتى إذا خرج أخذه ليزن به لله و هذا أحسن حالا ممن دخل به على الله و لكن قلبه متعلق بما تركه إذ كان في نفسه الرجوع إليه فحرم من الحق المطلوب بقدر ما تعلق به خاطره فيما تركه للالتفات الذي له إليه و أحسن من هذا حالا من كسر ميزانه فإن كان خشبا أحرقه و إن كان مما يذوب أذابه أو برده حتى يزول كونه ميزانا و إن بقي عين جوهره فلا يبالي و هذا عزيز جدا ما سمعنا أن أحدا فعله فإن فرضنا و ليس بمحال إن الله قوى بعض عباده حتى فعل مثل هذا كما ذكر أبو حامد الغزالي عن نفسه أنه بقي أربعين يوما حائرا و هذا خطر ليس حال الأمي على هذا فإن الأمي يدخل إلى الله مؤمنا و هذه الحال التي ذكرها أبو حامد ليست حال القوم و إنما هي حالة من لم يكن على شريعة فأراد إن يعرف ما ثم فسأل فدل على طريق القوم فدخل ليعرف الحق بتعريف الله فهذا أيضا طاهر المحل و أبو حامد كان محله مشغولا بالحيرة فلم يقو قوة هذا في قبول ما يرد به الفتح الإلهي فإذا اتفق على التقدير أن يفتح على مثل هذا الشخص الذي هو بهذه المثابة أبصر فيما يفتح له به تلك الموازين التي أذهبها فيعجب من ذلك فلما خرج خرج بها فوزن بها لله لا عليه كما فعلته الأنبياء عليهم السلام فهو لا يرد شيئا و لا يضع شيئا في غير ميزانه و ارتفع الغلط و الشك و عرف معنى قوله وَنَضَعُ الْمَوازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيامَةِ فجعلها موازين كثيرة ليزن بكل ميزان ما وضع له و لما وزن المتكلم بميزان عقله ما هو خارج عن العقل لكونه وراء طوره و هو النسب الإلهية لم يقبله ميزانه و رمى به و كفر به و تخيل أنه ما ثم حق إلا ما دخل في ميزانه و المجتهد الفقيه وزن حكم الشرع بميزان نظره كالشافعي المذهب مثلا أراد أن يزن بميزانه تحليل النبيذ الذي قبله ميزان أبي حنيفة فرمى به ميزان الشافعي فحرمه و قال أخطأ أبو حنيفة و لم يكن ينبغي للشافعي المذهب مثلا أن يقول مثل هذا دون تقييد و قد علم إن الشرع قد تعبد كل مجتهد بما أداه إليه اجتهاده و حرم عليه العدول عن دليله فما وفى الصنعة حقها و أخطأ الميزان العام الذي يشمل حكم الشريعة على الإطلاق و هو الذي استند إليه علماء الشريعة بلا خلاف في أصول الأدلة و في فروع الأحكام فأما في الأصول فالمثبتون القياس دليلا أداهم إلى ذلك اجتهادهم المشروع لهم و قد علم المخالف لهم من الظاهرية أن كل مجتهد متعبد بما أعطاه اجتهاده و لكن يقول فيهم إنهم أخطئوا في إثباتهم القياس دليلا و ليس للظاهرية تخطئة ما قرره الشرع حكما

فيثبت القياس دليلا شرعا و يثبت نفي القياس أن يكون دليلا شرعا و أما في الفروع فكعلي رضي الله عنه الذي يرى نكاح الربيبة إذا لم تكن في الحجر و إن دخل بأمها لعدم وجود الشرطين معا و إنه بوجودهما تحرم الربيبة يعني بالمجموع و المخالف لا يرى ذلك فالميزان العام يمضي حكم كل واحد منهما و لكن العامل بالميزان العام قليل لعدم الإنصاف فقد بينا في هذا الفصل سبب الحرمان الذي حكم على الفقهاء العقلاء النظار فلم يلجوا باب هذا العلم الشريف الإحاطي الذي يسلم لكل طائفة ما هي عليه سواء قادهم ذلك إلى السعادة أو إلى الشقاء و لا يسلم له أحد طريقه سوى من ذاق ما ذاقوه و آمن به كما قال أبو يزيد إذا رأيتم من يؤمن بكلام أهل هذه الطريقة و يسلم لهم ما يتحققون به فقولوا له يدعو لكم فإنه مجاب الدعوة و كيف لا يكون مجاب الدعوة و المسلم في بحبوحة الحضرة و لكن لا يعرف أنه فيها لجهله بها فالله يجعلنا ممن جعل له نورا من النور الذي يَهْدِي به من يَشاءُ من عِبادِهِ حتى يهدي به إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ صِراطِ اللهِ الَّذِي لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ من الموازين و الصراطات أَلا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ و ترجع قال تعالى في معرض الامتنان منه على رسوله صلى الله عليه و سلم وَكَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً من أَمْرِنا و هو قوله يُلْقِي الرُّوحَ من أَمْرِهِ . . . ما كُنْتَ تَدْرِي ما الْكِتابُ وَلا الْإِيمانُ و هو عرو المحل عن كل ما يشغله عن قبول ما أوحي به إليه وَلكِنْ جَعَلْناهُ نُوراً يعني هذا المنزل نَهْدِي به من نَشاءُ من عِبادِنا فجاء بمن و هي نكرة في الدلالة مختصة عنده ببعض عباده من نبي أو ولي و إنك لتهدي بذلك النور الذي هديتك به فإن كان هذا العبد نبيا فهو شرع و إن كان وليا فهو تأييد لشرع النبي و حكمه أمر مشروع مجهول عند بعض المؤمنين به إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ في حق النبي طريق السعادة و العلم و في حق الولي طريق العلم لما جهل من الأمر المشروع فيما يتضمنه من الحكمة قال تعالى يُؤْتِي الْحِكْمَةَ من يَشاءُ وَمن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً لا يقال فيه قليل ثم قال وَما يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبابِ و اللب نور في العقل كالدهن في اللوز و الزيتون و التذكر لا يكون إلا عن علم منسي فتنبه لما حررناه في هذه الآيات تسعد إن شاء الله تعالى و بعد أن أبنت لك عن مرتبة هذا العلم من هذا المنزل فلنبين أصل هذا العلم و مادة بقائه و حجاب مادته و بما ذا يوصل إلى ذلك بتأييد الله و توفيقه فاعلم إن أصل هذا العلم الإلهي هو المقام الذي ينتهي إليه العارفون و هو أن لا مقام كما وقعت به الإشارة بقوله تعالى يا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقامَ لَكُمْ و هذا المقام لا يتقيد بصفة أصلا و قد نبه عليه أبو يزيد البسطامي رحمه الله لما قيل له كيف أصبحت فقال لا صباح لي و لا مساء إنما الصباح و المساء لمن تقيد بالصفة و أنا لا صفة لي فالصباح للشروق و المساء للغروب و الشروق للظهور و عالم الملك و الشهادة و الغروب للستر و عالم الغيب و الملكوت فالعارف في هذا المقام كالزيتونة المباركة التي لا هي شرقية و لا غربية فلا يحكم على هذا المقام وصف و لا يتقيد به و هو حظه من لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ فالمقام الذي بهذه المثابة هو أصل هذا العلم و بين هذا

الأصل و هذا العلم مراتب فالأصل هو الثبات على التنزيه عن قبول الوصف و الميل إلى حال دون حال ثم ينتج هذا الثبات صورة يتصف بها العارف لها ظاهر و لها باطن فالباطن منها لا يصل إليه إلا بعد المجاهدة البدنية و الرياضة النفسية فإذا وصل إلى سر هذا الباطن و هو علم خاص هو لهذا العلم المطلوب كالدهن للسراج و العلم كالسراج فلا يظهر لهذا العلم ثمرة إلا في العلماء به كما لا يظهر للدهن حكم إلا في السراج القائم بالفتيلة و هنا يقع له اكتساب الأوصاف التي نزهنا الأصل عنها في ذلك المقام و في هذا المقام نصفه بها من أجلنا لا من أجله فهذا الوصف للآثار لا له كان الله و لا شيء معه و سيأتي الكلام على هذا الأصل في الباب الخمسين و ثلاثمائة من هذا الكتاب و مما يتضمنه هذا المنزل علم خلق الأجسام الطبيعية و أن أصلها من النور و لذلك إذا عرف الإنسان كيف يصفي جميع الأجسام الكثيفة الظلمانية أبرزها شفافة للنورية التي هي أصلها مثل الزجاج إذا خلص من كدورة رملة يعود شفافا و جلى الأحجار من هذا الباب و معادن البلور و المها و إنما كان ذلك لأن أصل الموجودات كلها الله من اسمه نُورُ السَّماواتِ و هي ما علا وَالْأَرْضِ و هي ما سفل فتأمل في إضافته النور إلى السموات و الأرض و لو لا النورية التي في الأجسام الكثيفة ما صح للمكاشف أن يكشف ما خلف الجدران و ما تحت الأرض و ما فوق السموات و لو لا اللطافة التي هي أصلها ما صح اختراق بعض الأولياء الجدران و لا كان قيام الميت في قبره و التراب عليه أو التابوت مسمرا عليه مجعولا عليه التراب لا يمنعه شيء من ذلك عن قعوده و إن كان الله قد أخذ بأبصارنا عنه و يكشفه المكاشف منا و قد ورد في ذلك أخبار كثيرة و حكايات عن الصالحين و لهذا ما ترى جسما قط خلقه الله و بقي على أصل خلقته مستقيما قط ما يكون أبدا إلا مائلا للاستدارة لا من جماد و لا من نبات و لا من حيوان و لا سماء و لا أرض و لا جبل و لا ورق و لا حجر و سبب ذلك ميلة إلى أصله و هو النور فأول موجود العقل و هو القلم و هو نور إلهي إبداعي و أوجد عنه النفس و هو اللوح المحفوظ و هي دون العقل في النورية للواسطة التي بينها و بين الله و ما زالت الأشياء تكثف حتى انتهت إلى الأركان و المولدات و بما كان لكل موجود وجه خاص إلى موجدة به كان سريان النور فيه و بما كان له وجه إلى سببه به كان فيه من الظلمة و الكثافة ما فيه فتأمل إن كنت عاقلا فلهذا كان الأمر كلما نزل أظلم و أكثف فأين منزلة العقل من منزلة الأرض كم بينهما من الوسائط ثم لتعلم إن جسم الإنسان آخر مولد فهو آخر الأولاد مركب من حَمَإٍ مَسْنُونٍ صَلْصالٍ و هو كما رأيت مائل إلى الاستدارة و إن كانت له الحركة المستقيمة دون البهائم و النبات و فيه من الأنوار المعنوية و الحسية و الزجاجية ما فيه مما لا تجده في غيره من المولدات بما أعطاه الله من القوي الروحانية فما قبلها إلا بالنورية التي فيه فهي المناسبة لقبول هذه الإدراكات و لهذا قال تعالى وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهارَ فاعلم إن النور مبطون في الظلمة فلو لا النور ما كانت الظلمة و لم يقل نسلخ منه النور إذ لو أخذ منه النور لانعدم وجود الظلام إن

كان أخذ عدم و إن كان أخذ انتقال تبعه حيث ينتقل إذ هو عين ذاته و النهار من بعض الأنوار المتولدة عن شروق الشمس فلولا إن للظلمة نورا ذاتيا لها ما صح أن تكون ظرفا للنهار و لا صح أن تدرك و هي مدركة و لا يدرك الشيء إن لم يكن فيه نور يدرك به من ذاته و هو عين وجوده و استعداده بقبول إدراك الأبصار بما فيها من الأنوار له و اختص الإدراك بالعين عادة و إنما الإدراك في نفسه إنما هو لكل شيء فكل شيء يدرك بنفسه و بكل شيء ألا ترى الرسول صلى الله عليه و سلم كيف كان يدرك من خلف ظهره كما كان يدرك من أمامه و لم يحجبه كثافة عظم الرأس و عروقه و عظامه و عصبه و مخه غير إن الله أعطى الظلمة و الكثافة الأمانة فهي تستر ما تحوي عليه و لهذا لا تظهر ما فيها فإذا ظهر فيكون خرق عادة لقوة إلهية أعطاها الله بعض الأشخاص و إذا أمر من أودع الأمانة من أودعها أن يظهرها لمن شاءه المودع و هو الحق تعالى فله أن يؤديها إليه فلا أمين مثل الأجسام المظلمة على ما تنطوي عليه من الأنوار و قد نبه الله على أماناتهم بذكر بعضهم في قوله وَهٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ فسماه أمينا و هو أرض ذو جدران و أسوار و تراب و طين و لبن فوصفه بالأمانة و أقسم به كما أقسم بغيره تعظيما لمخلوقات الله و تعليما لنا أن نعظم خالقها و نعظمها بتعظيم الله إياها لا من جهة القسم بها فإنه لا يجوز لنا أن نقسم بها و من أقسم بغير الله كان مخالفا أمر الله و هي مسألة فيها خلاف بين علماء الرسوم مشهور أعني القسم بغير الله فكلما اعوجت الأجسام كانت أقرب إلى الأصل الذي هو الاستدارة فإن أول شكل قبل الجسم الأول الاستدارة فكان فلكا و لما كان ما تحته عنه كان مثله و ما بعد عنه كان قريبا منه و لو لم تكن الطبيعة نورا في أصلها لما وجدت بين النفس الكلية و بين الهيولى الكل و الهيولى الذي هو الهباء أول ما ظهر الظلام بوجودها فهو جوهر مظلم فيه ظهرت الأجسام الشفافة و غيرها فكل ظلام في العالم من جوهر الهباء الذي هو الهيولى و بما هي في أصلها من النور قبلت جميع الصور النورية للمناسبة فانتفت ظلمتها بنور صورها فإن الصورة أظهرتها فنسبت إلى الطبع الظلمة في اصطلاح العقلاء و عندنا ليست الظلمة عبارة عن شيء سوى الغيب إذ الغيب لا يدرك بالحس و لا يدرك به و الظلمة تدرك و لا يدرك بها فلولا إن الظلمة نور ما صح أن تدرك و لو كانت غيبا ما صح أن تشهد فالغيب لا يعلمه إلا هو و هذه كلها مفاتيح الغيب و لكن لا يعلم كونها مفاتح إلا الله يقول تعالى وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ و إن كانت موجودة بيننا لكن لا نعلم أنها مفاتح للغيب و إذا علمنا بالأخبار أنها مفاتح لا نعلم الغيب حتى نفتحه بها فهذا بمنزلة من وجد مفتاح بيت و لا يعرف البيت الذي يفتحه به عالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً ثم لتعلم بعد ما عرفتك بسريان النور في الأشياء أن الخلق بين شقي و سعيد فبسريان النور في جميع الموجودات كثيفها و لطيفها المظلمة و غير المظلمة أقرت الموجودات كلها بوجود الصانع لها بلا شك و لا ريب و بما له الغيب المطلق لا تعلم ذاته من طريق الثبوت لكن تنزه عما يليق بالمحدثات كما أن الغيب يعلم أن ثم غيبا و لكن لا

يعلم ما فيه و لا ما هو فإذا وردت الأخبا ر الإلهية على ألسنة الروحانيين و نقلتها إلى الرسل و نقلتها الرسل عليهم السلام إلينا فمن آمن بها و ترك فكره خلف ظهره و قبلها بصفة القبول التي في عقله و صدق المخبر فيما أتاه به فإن اقتضى عملا زائدا على التصديق به عمله فذلك المعبر عنه بالسعيد و هو مما أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ و له الجزاء بما وعده به من الخير في دا ر القرا ر و النعيم الدائم الذي لا يجري إلى أجل مسمى فينقطع بحلول أجله من حيث الجملة حكما إلهيا لا يتبدل و لا ينخرم و لا ينتسخ و من لم يؤمن بها و جعل فكره الفاسد أمامه و اقتدى به و رد الأخبا ر النبوية إما بتكذيب الأصل و إما بالتأويل الفاسد فإن كذب المخبر بما أتاه به و لم يعمل بمقتضى ما قيل له إن اقتضى ذلك عملا زائدا على التصديق به فذلك المعبر عنه بالشقي و هو من جهة ما فيه من الظلمة كما آمن السعيد من جهة ما فيه من النور و له الجزاء بما أوعده إن كذب من الشر في دا ر البوا ر و عدم القرا ر لوجود العذاب الدائم الذي لا يجري إلى أجل مسمى و إن كان له أجل في نفس الأمر من حيث الجملة حكما إلهيا عدلا كما كان في السعيد فضلا لا يتبدل و لا ينخرم و لا ينتسخ و في هذا خلاف بين أهل الكشف و هي مسألة عظيمة بين علماء الرسوم من المؤمنين و بين أهل الكشف و كذلك أيضا بين أهل الكشف فيها الخلاف هل يتسرمد العذاب عليهم إلى ما لا نهاية له أو يكون لهم نعيم بدا ر الشقاء فينتهي العذاب فيهم إلى أجل مسمى و اتفقوا في عدم الخروج منها و إنهم بها ماكثون إلى ما لا نهاية له فإن لكل واحدة من الدا رين ملؤها و تتنوع عليهم أسباب الآلام ظاهرا لا بد من ذلك و هم يجدون في ذلك لذة في أنفسهم بالخلاف المتقدم باطنا بعد ما يأخذ الألم منهم جزاء العقوبة حدثني عبد الله المورو ري في جماعة غيره عن أبي مدين إمام الجماعة أنه قال يدخل أهل الدا رين فيهما السعداء بفضل الله و أهل النا ر بعدل الله و ينزلون فيهما بالأعمال و يخلدون فيهما بالنيات و هذا كشف صحيح و كلام حر عليه حشمة فيأخذ جزاء العقوبة الألم موازيا لمدة المعمر في الشرك في الدنيا فإذا فرغ الأمد جعل لهم نعيم في النا ر بحيث إنهم لو دخلوا الجنة تألموا لعدم موافقة المزاج الذي ركبهم الله فيه فهم يتلذذون بما هم فيه من نا ر و زمهرير و ما فيها من لدغ الحيات و العقا رب كما يلتذ أهل الجنة بالظلال و النور و لثم الحور الحسان لأن مزاجهم يقضي بذلك ألا ترى الجعل في الدنيا هو على مزاج يتضرر بريح الورد و يلتذ بالنتن كذلك من خلق على مزاجه و قد وقع في الدنيا أمزجة على هذا شاهدناها فما ثم مزاج في العالم إلا و له لذة بالمناسب و عدم لذة بالمنافر ألا ترى المحرور يتألم بريح المسك فاللذات تابعة للملائم و الآلام لعدم الملائم فهذا الأمر محقق في نفسه لا ينكره عاقل و إنما الشأن هل أهل النا ر على هذا المزاج بهذه المثابة بعد فراغ المدة أم لا أو هم على مزاج يقتضي لهم الإحساس بالآلام للأشياء المؤلمة و النقل الصحيح الصريح النص الذي لا إشكال فيه إذا وجد مفيدا للعلم يحكم به بلا شك ف الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ و إن كنت لا أجهل الأمر في ذلك و لكن لا يلزم الإفصاح عنه فإن الإفصاح عنه لا يرفع الخلاف من العالم و بعض أهل

الكشف قال إنهم يخرجون إلى الجنة حتى لا يبقى فيها أحد من الناس البتة و تبقي أبوابها تصفق و ينبت فيها الجرجير و يخلق الله لها أهلا يملؤها بهم من مزاجها كما يخلق السمك في الماء و عالم الهواء في الهواء و عالم في بطن الأرض لا حياة لهم إلا فيها كالخلد فإذا حصل على ظهر الأرض مات فالغم الذي لنا في ذلك الغم حياتهم فالسمك إذا خرج إلى الهواء مات و كان في الهواء غمه فينطفي فيه نور حياته و الإنسان و الحيوان البري إذا غرق في الماء هلك و كان في الماء غمه ينطفي به نور حياته و ثم حيوان يرى بحري يعيش هنا و يعيش هنا كالتماسح و إنسان الماء و كلبه و بعض الطيور و هذا كله بالطبع و المزاج الذي ركبه الله عليه و قد ذكرنا في هذا المنزل ما فيه كفاية و استوفينا أصوله بعون الله و الهامة وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب التسعون و مائتان في معرفة منزل تقرير النعم من الحضرة الموسوية»

بالقول نشرح ذات القول فاعتبروا — في شرح ما هو في التحقيق مشروح
أن الأسامي للمعنى مفاتيح — و في العبارات تعديل و تجريح
لا يحصل الشوق للملقى إليه إذا — ما لم يكن منك للإلقاء تلويح
فاكشف معارف أهل الله في حجب — لا يحكمنك تبيين و تصريح
و أنطق بما تغتذي به النفوس و لا — تنطق بما يغتذي بعلمه الروح
فالروح يكتم ما يلقى إليه كما — تبدي النفوس الذي تجري به الريح
إن النفوس بما تهواه ناطقة — و الروح إن زل بالتصريح مجروح

اعلم أيدك الله و إيانا أن المنعم إذا أبطل نعمته بالمن و الأذى لا يكون مشكورا عند الله على ذلك و إن شكره المنعم عليه لمعرفته بذله و فقره إليه فمن مكارم الأخلاق أن لا يمن المنعم بما أنعم به على المنعم عليه و لا سيما مع شكره على ذلك فإذا احتاج المنعم عليه لأمر و أظهر الذلة و الافتقار إلى المنعم في طلب ذلك الأمر الذي مست الحاجة فيه إليه و ذلك الأمر عند المنعم عليه في النعمة التي أنعم بها المنعم عليه فللمنعم عند ذلك أن يعرفه بما أنعم به عليه و يقرره على ذلك و أن الذي طلب منه موجود في نفس نعمته فلما ذا يفتقر في غيره موضع الافتقار حينئذ يجوز للمنعم أن يذكر للمنعم عليه نعمته عليه كرجل وهب رجلا ألف دينار إنعاما عليه ثم رآه يفتقر إلى ثوب يلبسه و مركب يركبه و أهل يأنس إليه و قد نسي أو جهل إن إرادة المنعم فيما أنعم به عليه إن ينال جميع ما سأله من تلك النعمة فللمنعم عند ذلك أن يعرفه بأن جميع ما تسألني فيه تصل إليه بما وهبتك إياه من المال فلما ذا تستعجل الذلة ففي مثل هذا الموطن يجب

التقرير بالنعم على وجه التعليم و التنبيه لا على المن و الأذى إلا إن من مكا رم الأخلاق إذا قرره على ما أنعم به عليه إن لا يخيب سؤاله إما بعطاء في الوقت و إما بوعد فيبسطه بعد انقباضه لما حصل عنده من الخجل تخلقا إلهيا فاعلم إن هذا المنزل يتضمن تقرير النعم على ما ذكرت لك و يتضمن علم التشريح الذي تعرفه الأطباء من أهل الحكمة و التشريح الإلهي التي تتضمنه الصورة التي اختص بها هذا الشخص الإنساني من كونه مخلوقا على صورة العالم و على صورة الحق فعلم تشريحه من جانب العالم علمك بما فيه من حقائق الأكوان كلها علوها و سفلها طيبها و خبيثها نورها و ظلمتها على التفصيل و قد تكلم في هذا العلم أبو حامد و غيره و بينه فهذا هو علم التشريح في طريقنا و أما علم التشريح الثاني فهو إن تعلم ما في هذه الصورة الإنسانية من الأسماء الإلهية و النسب الربانية و يعلم هذا من يعرف التخلق بالأسماء و ما ينتجه التخلق بها من المعارف الإلهية و هذا أيضا قد تكلم فيه رجال الله في شرح أسماء الله كأبي حامد الغزالي و أبي الحكم عبد السلام بن برجان الإشبيلي و أبي بكر بن عبد الله المغافري و أبي القاسم القشيري و يتضمن هذا المنزل التكليف و رفعه من حيث ما فيه من المشقة لا من حيث ترك العمل فاعلم إن الله تعالى أمر عباده بالإيمان به و بما أنزل عليهم على أيدي رسله و جعل مع الايمان إلزاما من المعاني أمرهم الله تعالى أن يحملوها كلها في بواطنهم حملا معنويا و جعل محلها القلوب و عين أمورا عملية أنزلها على ظواهرهم و حملها جوارحهم مما فيه كلفة حسية من عمل الأيدي و الأرجل و مما لا يعمل إلا بالأبدان كالصلاة و الجهاد و مما لا كلفة فيه حسية كغض البصر عن المحرمات و النظر في الآيات ليؤدي ذلك النظر إلى الاعتبار و تنزيه السمع عن سماع الغيبة و الإصغاء إلى الحديث الحسن فمثل هذا لا كلفة فيه حسية و إنما كلفته نفسية فإن فيها ترك الغرض و هو مما يشق على النفس و إذا أقيمت هذه الحضرة التي في هذا المنزل ممثلة في صور حسية يقام له توابيت على يمينه و توابيت على يساره فالتوابيت التي على يمينه مملوءة درا و ياقوتا و أحجارا نفيسة و حللا و مسكا و طيبا و منها توابيت كبار و صغار و قيل له لا بد لك من حمل هذا إلى موضع معين إلى دار حسنة و روضة مورقة و قيل له إذا أوصلت هذه الأحمال إلى هذه الروضة كان أجرك عليها و على ما آلمك من ثقلها ما تحوي عليه هذه التوابيت كلها و لك هذه الدار التي وصلتها بجميع ما تحوي عليه من الملك و هي خمسة أنواع من التوابيت منها توابيت الأمر الواجب و توابيت الأمر المندوب و توابيت الأمر المبيح من حيث الايمان به و توابيت النهي الواجب و توابيت النهي المكروه و من هذه التوابيت ما يختص بك و منها توابيت تتعلق بغيرك و كلفت أنت حملها فكل خطاب شرعي يختص بذاتك لا تتعدى بالعمل فيه إلى غيرك فهو المختص بك و كل خطاب شرعي يختص بذاتك و تتعدى في العمل به إلى غيرك فذلك الذي يتعلق بغيرك و كلفت أنت حمله كالسعي على العيال و تعليم الجاهل و إرشاد الضال و النصيحة لله و لرسوله و لأئمة المسلمين و عامتهم فهذه توابيت أصحاب اليمين فكما

حملت ما هو لك و لغيرك في الدنيا كان لك أجرك و أجر غيرك في الآخرة و لا ينقص الغير من أجره شيئًا إن كان مؤمنا و إن لم يكن مؤمنا مثل التكليف الذي يتعلق بك في معاملة أهل الذمة فلك أجرهم لو كانوا مؤمنين و لا أجر لهم و لهذا قيد النبي صلى الله عليه و سلم هذا الأمر بالعمل فقال من سن سنة حسنة فله أجرها و أجر من عمل بها إلى يوم القيامة فالمؤمن لا ينقصه من أجره الأخروي شيء و الذمي يعطى أجره في الدنيا إما بمنفعة معجلة أو دفع مضرة معجلة يكون ذلك لهذا العامل في الآخرة محققا و قد يجمع له بين الدنيا و الآخرة فيرى العامل ما تحمل تلك التوابيت من الأشياء النفيسة و مالها و قد حصل له البشرى بأنها له ملك إذا حملها بحيث يفنى في حبها و التعشق بها فيهون عليه حملها و يخف لحمل الهمة إياها فلا يجد فيها مشقة و هو حال تلذذه بالأذى و بما يحسن لأهل الذمة و آخر ينظر إلى ثقلها و هو المؤمن الذي لا كشف عنده إلا مجرد تصديق الخبر فيجدها ثقيلة المحمل فمنهم من يحملها بمشقة و كلفة لغلبة التصديق بما فيها و للحرص الشديد و الطمع في أخذها و ملكها لكون الآمر يحملها قال له هي لك في أجر حملك و منهم من ثقلت عليه فأخرج منها جملة طرحها في الأرض ليخف عنه الثقل الذي يجده فلما خف حمله ببعض ما طرح منها حمل ما بقي و كلما طرحه من ذلك عاد ذلك المطروح حديدا و رصاصا و نحاسا و زيد في التوابيت التي على شماله و التوابيت التي أقيمت له على شماله كلها مملوءة حديدا و نحاسا و قطرانا و آنكا و شبه ذلك مما يثقل و تكره رائحته و قيل له هذه التوابيت يحملها على ظهرك على ترتيب ما قررناه في توابيت اليمين و توصلها إلى دار ذات لهب و زمهرير و ما تحوي عليه هذه التوابيت ملكك و هذا قوله تعالى وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ و قوله صلى الله عليه و سلم من سن سنة سيئة فله وزرها و وزر من عمل بها إلى يوم القيامة و إن لم يحضر للمكاشف في هذا المنزل صورا نزلت على قلبه معاني مجردة عن المواد و عرف تفاصيلها و الحق كل شيء منها بمقامه و محله و لم يجد لذلك كلفة و لا مشقة لأنه لا غرض له مع إرادة سيده منه فهو في عالم الانفساح و الانشراح و إن ضعفت أجسامهم عن حمل بعض ما كلفوه فقد أمر أن لا يحمل إلا وسع نفسه النفس هنا عبارة عن إكمال الحس لأن النفس المعنوية لا كلفة عليها إلا إذا كانت صاحبة غرض فكلفت بما لا غرض لها فيه فلهذا لم يعذر الإنسان من حيث نفسه و يعذر من حيث حسه لخروج ذلك عن طاقته في المعهود و يتعلق بهذا المنزل طرف من العلم بنشء الملائكة و إنهم من عالم الطبيعة مخلوقون مثل الأناسي غير إنهم ألطف كما إن الجن ألطف من الإنسان مع كونهم من نار من مارجها و النار من عالم الطبيعة و مع هذا فهم روحانيون يتشكلون و يتمثلون فلو كانت الطبيعة لا تقبل ذلك لما قبله عالم الجن و كيف ينكر ذلك و معلوم قطعا إن الإنسان من عالم الطبيعة الكثيفة و فيه منها خزانة الخيال في مقدم دماغه يتخيل بها ما شاء من المحالات فكيف من الممكنات فكذلك الملائكة عليهم السلام من عالم الطبيعة و هم عمار الأفلاك و السموات و قد عرفك الله أنه اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ

فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ و جعل أهلها منها و هو قوله وَأَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها و لا خلاف إن الدخان من الطبيعة و إن كانت الملائكة أجساما نورية كما إن الجن أجسام نارية و لو لم يكن النور طبيعيا لما وصف بالإحراق كما توصف النار بالتجفيف و الذهاب بالرطوبات و هذا كله من صفات الطبيعة ثم إن الله قد أخبر عن الملإ الأعلى أنهم يختصمون و الخصام من الطبيعة لأنها مجموع أضداد و المنازعة و المخالفة هي عين الخصام و لا يكون إلا بين الضدين و من هذا الباب قولهم أَ تَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَيَسْفِكُ الدِّماءَ هذا من طبيعتهم و غيرتهم على الجناب الإلهي فلو وقفوا مع روحانيتهم لم يقولوا مثل هذا حين قال لهم الله إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً بل كان جوابهم من حيث ما فيهم من السر الإلهي أن يقولوا ذلك إليك سبحانك تفعل ما تريد و نحن العبيد تحت أمرك بالطاعة لمن أمرتنا بطاعته فبالذي وقع من الإنسان من الفساد و غيره مما يقتضيه عالم الطبع به بعينه وقع الاعتراض من الملائكة فرأوه في غيرهم و لم يروه في نفوسهم و ذلك لما قررناه من أن التعشق بالغرض يحول بين صاحبه و بين فعل ما ينبغي له أن يفعله و لهذا قال لهم الله تعالى إِنِّي أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ ثم أراهم الله شرفه عليهم بما خصه به من علم الأسماء الإلهية التي خلق المشار إليهم بها و جهلتها الملائكة فكأنه يقول سبحانه أجعل علمي حيث شئت من خلقي أكرمه بذلك فمن هنا تعلم ما ذكرناه و سيأتي العلم بهذا الأمر محققا مستوفى في منزله الخاص به فإن علوم هذه المنازل على قسمين منها علوم مختصة بالمنزل لا توجد في غيره و منها علوم يكون منها في كل منزل طرف و اعلم أن القلب و إن كان محل السعة الإلهية فإن الصدر محل السعة القلبية إذ كان إنما سمي صدرا لصدوره و لهذا قال وَلكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ فإن القلب في حال الورود يضيق لما يقتضيه من الجلال و الهيبة و ما يعطيه القرب الإلهي و التجلي و إذا صدر اتسع و انفسح لأنه كون و هو صادر إلى الكون فينفسح للمناسبة و تتسع أشعة نوره بانبساطها على الأكوان و يبتهج بكونه خص بهذا التعريف الإلهي على أبناء جنسه و لهذا إذا عرض له عارض يقبضه في غير محل القبض ينبهه الحق يذكره ما أنعم الله به عليه ليتذكر النعمة الإلهية عليه فيحول بينه و بين ما كان عليه من الضيق فهو في الظاهر من إلهي و في المعنى رحمة بهذا القلب فمن هنا يقرر الحق عبده على ما منّ به عليه فإن قلت فإن الله قد ذكر أنه يمن على عباده قلنا إنما جاء هذا لما امتنوا على رسول الله صلى الله عليه و سلم بإسلامهم فقال الله له قل لهم يا محمد بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَداكُمْ لِلْإِيمانِ أي إذا دخلتم في حضرة المن فالمن لله لا لكم فهو من علم التطابق لم يقصد به المن فما كان الله ليقول في المن ما قال و يكون منه كما قال صلى الله عليه و سلم ما كان الله لينهاكم عن الربا و يأخذه منكم و ما كان الله ليدلكم على مكارم الأخلاق من العفو و الصفح و يفعل معكم خلافه فإذا وقع منكم من سفساف الأخلاق ما وقع رد الحق سبحانه أعمالكم عليكم لا أنه عاملكم بها من نفسه و إنما أعمالكم لم تتعداكم فلله المنة التي هي النعمة و الامتنان الذي هو إعطاء المنة لا المن سبحانه و

تعالى و إذا أراد الله تعالى رفعة عبده عند خلقه ذكر لعباده منزلته عنده إما بالتعريف و إما بأن يظهر على يده و في حاله ما لا يمكن أن يكون إلا للمقرب من عباده فتنطلق له الألسنة و تنطق بعلو مرتبته عند سيده مثل فتحه صلى الله عليه و سلم باب الشفاعة يوم القيامة الذي اختص به على سائر الرسل و الأنبياء فيعلو منا ره في ذلك الموطن على كل أحد و هنالك تطلب الرئاسة و العلو و أما في الدنيا فلا يبالي العا رف كيف أصبح و لا أمسى عند الناس لأنهم في محل الحجاب و هو في موطن التكليف فكل إنسان مشغول بنفسه مطلوب بأداء ما كلف به من العمل و مما يتضمن هذا المنزل علم التنكير و هو التجلي العام و علم التعريف و هو التجلي الخاص و هو مندرج في العام كالاسم الرب إذا تجلى فيه الحق لعباده فإنه تجل عام و إذا تجلى في مثل قوله فَوَ رَبِّكَ فهو تجل خاص و إن كانت التجليات من الربوبية و لكن بينهما تباين فإن الحال التي لك مع الملك في مجلس العامة ليس هو الحال التي لك معه إذا انفردت به فلهذا مقام و علم خاص و لهذا مقام و علم خاص و التجلي العام أكثر علما و أنفع و التجلي الخاص أعظم قربة اعلم أن أصل الأمور كلها المعرفة عندنا و النكرة عرض طارئ فإذا عرض وقع الإبهام و الإشكال فالعارف من عرفه في حال التنكير فهو نكرة في العموم و عند هذا هو معرفة في النكرة إذا قال القائل كلمت اليوم رجلا فرجل هنا نكرة و هو عند من كلمه معرفة بالتعيين في حال الحكم عليه بالنكرة فالذي يشاهد العارف من الحق في حال النكرة و الإنكار من العالم هو عين المعرفة عنده لكونه أبقاه على الإطلاق الذي يستحقه في حال تقيده به العقائد فيجهله العامة في التنكير و هو مقام عظيم الفائدة للعارفين و اعلم أن العارف في هذا المنزل لا يتمكن له أن يسأل الحق في أمر إلا من الوجه الأخص لا من الوجه الأعم و لا يصح له سؤال الحق في أمر هو فيه لأنه شغل عما يستحقه ذلك الأمر من الأدب فإذا وفاه حقه حسا كان مما يتعلق بالعبادات البدنية أو معنى كان مما يتعلق بالعبادات القلبية و أراد الحق أن ينقله من تلك العبادة لم يعرف العارف مراد الحق فيه لأي مرتبة ينقله هل ينقله إلى واجب آخر أو مندوب أو مباح أو مكروه أو محظور فيبقى واقفا بين المقام الذي فرغ منه و بين الأمر الذي إليه في علم الله ينتقل فعند ذلك يأتيه رسول من الله مظهر في سره يقول له إن الله قد أمرك أن تتضرع إليه و ترغبه و تسأله في هذا الأمر الذي ينقلك إليه إن كانت بقيت لك حياة فليكن من الواجبات و هو المراد فإن لم يكن فمن المندوبات فإن لم تسبق العناية بالإجابة فمن المباحات فإن لم يكن و رأيت لوائح تبرق إليك من خلف حجاب الخذلان و تعلم أنك تنتقل إلى محظور أو مكروه فاسأل من الله الحضور معه في ذلك الأمر الذي تنتقل إليه و أسأله أن يجعل فيك من الكراهة لذلك الأمر و لا يحول بينك و بين معرفتك بأنه شيء يسوءك فعله و أن العلم الإلهي لا يتبدل فيك بوقوعه منك حتى أنه إذا وقع منك و أنت على هذه الحالة لم يبق حكم للمعصية فيك جملة و كان الحكم في ذلك للقدر فإذا توجهت العقوبة على من هذه حالته لما تطلبه المخالفة من وجه من وجوهها توجه العفو و الغفور و الرحيم و هم

الأسماء التي تطلبها المخالفة ويعتضدون بالأسماء التي تطلبها الكراهة التي كانت فيك لذلك الفعل و الايمان بالقدر السابق فيها ويد الله مع الجماعة فتكون الغلبة و الحكم لهؤلاء الأسماء التي تعطيه السعادة و الخير مع وقوع المعصية و تكون معصيته بحضوره فيها مع الله حية ذات روح إلهي يستغفر له إلى يوم القيامة ويبدل الله سيئها حسنا كما بدل عقوبتها مثوبة وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الحادي و التسعون و مائتان في معرفة منزل صدر الزمان و هو الفلك الرابع من الحضرة المحمدية»

أقسمت بالدهر أن الدهر ليس له — عين و لكنه للعقل معقول
فإن حلفت به فاحلف على عدم — لا في وجود فإن الحنث تعطيل
و اعلم بأن الذي لا أم تؤنسه — و لا أب هو في الأحكام مبتول
إلا الذي رقيت فيه معارفه — و كان عنه فذاك الشخص مقبول
كما الذي تاه في بحر و ليس له — هاد فذلك بالأهواء معلول
و إن نقلت إلى فقر بغير غنى — فإنكم لدليل العقل مدلول

اعلم وفق الله الولي الحميم أن لكل شيء صدرا و معرفته في هذا الطريق من أرفع العلوم و المعارف إذ كان العالم و كل جنس على صورة الإنسان و هو آخر موجود و كان الإنسان وحده على الصورة الإلهية في ظاهره و باطنه و قد جعل الله له صدرا فما بين الحق و الإنسان الذي له الآخرية و للحق الأولية صدور لا يعلم عددها إلا الله فلنعين منها بعض ما يصل إليه فهمك و ما يمكن أن يقبله عقلك و نسكت عما لا يصل إليه فهمك و لا يقبله عقلك فلنبتدئ أولا بالأعلى و ننزل إلى آخر درجة فنقول إن الصدر في الرتبة الثانية من كل صورة سواء كانت الصورة جنسية أو نوعية أو شخصية فصدر الواجبات الحياة الأزلية المنعوت بها الحق عز و جل و صدر الأسماء المؤثرة العالم و صدر صفات التنزيه نفي المثلية و صدر الأينيات العماء الذي ما فوقه هواء و ما تحته هواء و صدر الوجود الممكنات و صدر الموجودات العقل الأول و صدر الدهر ما بين الأزل و الأبد و صدر الزمان زمان قبول الهيولى للصورة و صدر الطبيعة كيفية الجسم الأول و صدر الكيفيات تعلق القدرة بالإيجاد و صدر الكميات تقسيم المعاني و صدر الأفلاك الكرسي و صدر العناصر الماء و صدر الليل مغيب الشفق الأحمر و صدر النهار إشراق الشمس لا شروقها و صدر المولدات الحيوان و صدر الإنسان معروف و صدر الأمة زمان إدريس و صدر هذه الأمة القرن الأول و صدر الدنيا وجود آدم و صدر الأيام يوم الإثنين و صدر الآخرة البعث و صدر البرزخ النوم و صدر النار الموبق و صدر الجنة النزول في المنازل منها و صدر العذاب و النعيم رؤية أسبابهما و صدر

الدين فلان رسول الله و اعلم أن لكل صدر قلبا فما دام القلب في الصدر فهو أعمى لأن الصدر حجاب عليه فإذا أراد الله أن يجعله بصيرا خرج عن صدره فرأى فالأسباب صدور الموجودات و الموجودات كالقلوب فما دام الموجود ناظرا إلى السبب الذي صدر عنه كان أعمى عن شهود الله الذي أوجده فإذا أراد الله أن يجعله بصيرا ترك النظر إلى السبب الذي أوجده الله عنده و نظر من الوجه الخاص الذي من ربه إليه في إيجاده جعله الله بصيرا فالأسباب كلها ظلمات على عيون المسببات و فيها هلك من هلك من الناس فالعارفون يثبتونها و لا يشهدونها و يعطونها حقها و لا يعبدونها و ما سوى العارفين يعاملونها بالعكس يعبدونها و لا يعطون حقها بل يغصبونها فيما تستحقه من العبودية التي هي حقها و يشهدونها و لا يثبتونها فما تسمع أحدا من الناس إلا و هو يقول ما ثم إلا الله و ينفي الأسباب فإذا أخذته بقوله أو نزلت به نازلة شاهد السبب و عمي عمن أثبته و كفر به و آمن بما نفاه فإذا اتفق لبعض الناس أن تلك النازلة ما ارتفعت بهذا السبب الذي استند إليه و انقطعت به الأسباب حينئذ يكفر بها و يرجع إلى الله خالق الأسباب فلم يدر بما ذا كفر و لا بما به آمن و لم يدر ما معنى السبب و لا غيره إذ لو علم إن السبب لا يصح إلا أن يكون عنه المسبب لعلم أن السبب الذي استند إليه في رفعه لهذه النازلة لم يكن سببها بوجه من الوجوه إذ لو كان سببها لرفعها و إنما كان ذلك السبب في منعه رفع النازلة سببا في رجوعه إلى الله في رفعها فلم يزل في المعنى تحت تأثير الأسباب فإن الأسباب محال رفعها و كيف يرفع العبد ما أثبته الله ليس له ذلك و لكن الجهل عم الناس فأعماهم و حيرهم و ما هداهم وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ بالروح الموحى من أمر الله فـ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فقد أثبت الهداية بالروح و هذا وضع السبب في العالم فالوقوف عند الأسباب لا ينافي الاعتماد على الله و لهذا جعل سبحانه الأسباب مسببات لأسباب غيرها من الأدنى حتى ينتهي فيها إلى الله سبحانه فهو السبب الأول لا عن سبب كان به نعم سبب الكون المرتبة لا الذات و سبب المرتبة الكون فسبب الكون في الإيجاد المرتبة و سبب المرتبة في المعرفة الكون فافهم فلما أضاء النهار للحركة وقعت الولادة للأشياء بها بها فظهرت الأعيان في عالم الحس غالبا و هبت الرياح في البحار فتلاطمت الأمواج و جرت السفن و رمت البحار ما فيها لتلاطم الأمواج و لما أظلم الليل للسكون سكنت الرياح و سكنت الأمواج و أمسك البحر ما فيه غالبا و ظهرت الولادة في البرزخ فكانت الأحلام و رؤيا المبشرات و المفزعات كالصورة القبيحة و الجميلة في صور المولدات في الحس من الأفعال و النشآت و أغلب وقوع هذا في صدر الليل و في صدر النهار لأن الرياح لا تهب إلا بعد طلوع الشمس حينئذ تكون الرياح كما إن رياح النصر لا تهب إلا في صدر العشي و هو بعد الزوال و لهذا يستحب فيه القتال و لما كان الليل محلا للسكون و المسامرة و لا يبيت شخص إلا مع من يحبه و يسكن إليه غالبا و لا يسامر إلا من يأنس به لذلك كان الليل أصل المودة و الرحمة حتى إن الذين تعذ بهم الملوك لا

تعذبهم إلا بالنهار غالبا و أما الليل فلا لأن المعذب يتعذب بالليل إذا عذب للسهر و عدم النوم و الذي يلحقه فالليل زمان السكون و الراحة و المعذب لا يريد أن يعذب نفسه فيترك العذاب إلى النهار الذي هو محل الحركة فأصل الود و المحبة موجود من الليل و ضده موجود بالنهار ثم إن الغيبة أعني غيبة المحبوب عن المحب غيبة تعليم و تأديب لما تعطيه المحبة فإن المحب إذا كان صادقا في دعواه و ابتلاه الله بغيبة محبوبه ظهرت منه الحركة الشوقية إلى مشاهدته فيصدق دعواه في محبته فيعظم منزلته و تتضاعف جائزته من التنعيم بمحبوبه فإن اللذة التي يجدها عند اللقاء أعظم من لذة الاستصحاب كحلاوة ورود الأمن على الخائف لا يقوي قوتها حلاوة الأمن المستصحب فهو يزيد به تضاعف النعيم و لهذا أهل الجنة في نعيم متجدد مع الأنفاس في جميع حواسهم و معانيهم و تجليهم فهم في طرب دائمون فلهذا نعيمهم أعظم النعيم لتوقع الفراق و توهم عدم المصاحبة و لجهل الإنسان بهذه المرتبة يطلب الاستصحاب و العالم يطلب استصحاب تجديد النعيم و الفرق بين النعيمين حتى يقع الالتذاذ بنعيم جديد كما هو في نفس الأمر و إن لم يعرفه كل إنسان و لا شاهدته كل عين و لا عقل فهو متجدد مع الآنات في نفس الأمر و للجهل القائم بهذا الشخص لعدم مشاهدته التجديد في النعيم يقع الملل فلو ارتفع عنه هذا الجهل ارتفع الملل من العالم فالملل أقوى دليل على جهل الإنسان بالله في حفظ وجوده عليه و تجديد آلائه مع الأنفاس فالله يحققنا بالكشف الأتم و المشهد الأعم فما أشرف عين اليقين و ما أسعد صاحب مشاهدة الأمور على ما هي عليه و لكن راعى الله سبحانه بهذا الجهل أصحاب الهموم فهو رحمة في حقهم فإنهم لو شاهدوا تجديدا لهم في كل زمان فرد لم يزل عذابه كبيرا عندهم و آلامه متضاعفة فلما حيل بينهم و بين هذه المشاهدة و تخيلوا أن الهم الأول هو الذي استصحبهم لم يقم عندهم مقام فجأته في الفعل و هان عليهم حمله للاستصحاب الذي تخيلوه رحمة من الله بهم و تخفيفا عنهم إلا في جهنم فإن أهلها مع الأنفاس يشاهدون تجديد العذاب و كلامنا إنما هو في هذه الدار الدنيا محل الحجاب إلا للعارفين فإن لهم مقام الآخرة في الدنيا فلهم الكشف و المشاهدة و هما أمران يعطيهما عين اليقين و هو أتم مدارك العلم فالعلم الحاصل عن العين له أعظم اللذات في المعلومات المستلذة فهم في الآخرة حكما و في الدنيا حسا و هم في الآخرة مكانة و في الدنيا مكانا ثم يتصل لهم ذلك بالآخرة من القبر إلى الجنة و ما بينهما من منازل الآخرة و هو قوله تعالى لَهُمُ الْبُشْرى فِي الْحَياةِ الدُّنْيا و هي ما هم فيه من مشاهدة ما ذكرناه وَفِي الْآخِرَةِ من القبر إلى الجنة فهو نعيم متصل فهذا نعيم العارفين و ليس لغيرهم هذا النعيم الدائم ثم إن الحق سبحانه و تعالى في هذا المنزل أمر عبده المعتنى به أن يكون مع خلقه كما كان الحق معه في مثل هذا المشهد و كل ما يؤدي إلى سعادتهم و ذلك بالنصيحة و التبليغ ليس بيده من الأمر غير هذا فللعارف إيضاح هذا الطريق الموصل إلى هذا المقام و الإفصاح عنه و ليس بيده إعطاء هذا المقام فإن ذلك خاص بالله تعالى قال تعالى يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ فلما بلغ قيل له فَإِنَّما

عَلَيْكَ الْبَلاغُ لَيس عَلَيْكَ هُداهُمْ إِنَّكَ لا تَهْدِي من أَحْبَبْتَ وَلكِنَّ اللهَ يَهْدِي من يَشاءُ و ما أحسن قوله في الحقائق وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ فإن العلم أنما يتعلق بالمعلوم على ما هو المعلوم عليه و قال لَعَلَّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ فوظيفة الرسل و الورثة من العلماء إنما هي التبليغ بالبيان و الإفصاح لا غير ذلك و جزاهم جزاء من أعطى و وهب و الدال على الخير كفاعل الخير فإن الدلالة على الخير من الخير فيتضمن هذا المنزل من علم الاستناد و المستند إليه أعظم الاستنادات و هو الاستناد الإلهي و هو استناد الأسماء الإلهية إلى محال وجود آثارها لتعيين مراتبها و استناد المحال إلى الأسماء الإلهية لظهور أعيانها فهذا أعلى الاستنادات و أعلى المستندات إليها و قد رمينا بك على الطريق فأدرج عليه نازلا و صاعدا و من هنا يعرف ما تخبط فيه الناس من تفضيل الفقر على الغني و الغني على الفقر و الخوض في هذه المسألة من الفضول الذي في العالم و الجهل القائم به فإن الحالات تختلف و المنازل تختلف و كل حالة كمالها في وجود عينها فالله يقول أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ فما تركت هذه الآية لأحد طريقا إلى الخوض في الفضول لمن فهمها و تحقق بها غير إن الفضول أيضا من خلق الله فقد أعطى الله الفضول خلقه ثُمَّ هَدى أي بين أن من قام به الفضول فهو المعبر عنه بالمشتغل بما لا يعنيه و جهله بالأمر الذي يعنيه و الفقر في عينه كامل الخلق لا قدم له في الغني و الغني في حاله كامل الخلق لا قدم له في الفقر و لو تداخلت الأمور لكان الفقر عين الغني و الغني عين الفقر إذ كان كل واحد منهما من مقومات صاحبه و الضد لا يكون عين الضد و إن اجتمعا في أمر ما فلا يجتمع الغني و الفقر أبدا فليس للفقر منزلة عند الله في وجوده و ليس للغني منزلة عند العبد في وجوده فكما لا يقال الله أفضل من الخلق أو الخلق كذلك لا يقال الغني أفضل من الفقر أو الفقر أفضل من الغني فالفقر صفة الخلق و الغني صفة الحق و المفاضلة لا تصح إلا فيمن يجمعهما جنس واحد و لا جامع بين الحق و الخلق فلا مفاضلة بين الغني و الفقر قال تعالى في الغني فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ و قال في الفقر يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إِلَى اللهِ وَ اللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ فمن قال بعد علمه بهذا الغني أفضل من الفقر أم الفقر أفضل كمن قال من أفضل الله أم الخلق و كفى بهذا جهلا من قائله و أما الذي بأيدي الناس الذي يسمونه غني فكيف يكون غني و أنت فقير إليه غير مستغن في غناك عن غناك فغناك عين فقرك و هذا على الحقيقة لا يسمى غنى فكيف تقع المفاضلة ما بين ما له وجود حقيقي و هو الفقر و بين ما ليس له وجود حقيقي و هو غناك و إذا سمي الإنسان غنيا فهو عبارة عن وجود السبب المؤثر عنده فيما له فيه غرض في الوقت فيكون بذلك السبب غنيا فيما يفتقر إليه لوجوده به فهو الفقير الذاتي في غناه العرضي و إذا لم يكن عنده وجود السبب المؤثر فيما افتقر إليه سمي فقيرا من غير غنى فالفقر له في الحالين معا لأن ذاته له في الحالين معا و الأمر إذا كان على هذا فطلب المفاضلة جهل بين الوصف الحقيقي و الإضافي العرضي و مما يتضمنه هذا المنزل ما يلزم العالم و المتعلم و السائل و المسئول فلنبين من ذلك طرفا لمسيس الحاجة إليه فإنه يقع

من الناس في غالب الأوقات و ذلك أن الجاهل إذا جاء ليسأل العالم في أمر لا يعلمه من الوجه الذي يسأل عنه و يعلم منه قدر الوجه الذي دعاه إلى السؤال عنه كمن سمع حسا من خلف حجاب فيعلم قطعا إن خلف الحجاب أمرا لا يدري ما هو أو لا يدري محل ذلك الحس و لعله ليس خلف ذلك الستر فيسأل من يعلم محل ذلك الستر هل خلفه ما يمكن أن يحس أم لا و إذا كان فما هو فيتصور السؤال من السائل عما لا يعلم لوجه ما معلوم عنده يتضمن ما لا يعلم إلا بعد السؤال عنه و على هذا المقام أورد بعض النظار أشكالا و بهذا القدر ينفصل عن ذلك الإشكال و ليس كتابنا مما قصد به النسب الفكرية النظرية و إنما هو موضوع للعلوم الوهبية الكشفية فجرت العادة عند العلماء القاصرين عما ذكرناه أن المتعلم السائل إذا جاء ليسأل العالم عن أمر لا يعلمه فإن كانت المسألة بالنظر إلى حالة السائل عظيمة قال له لا تسأل عما لا يعنيك و هذا ليس قدرك و تقصر عن فهم الجواب على هذا السؤال و ليس الأمر كذلك عندنا و لا في نفس الأمر و إنما القصور في المسئول حيث لم يعلم الوجه الذي تحتمله تلك المسألة بالنظر إلى هذا السائل فيعلمه به ليحصل له الفائدة فيما سأل عنه و يستر عنه الوجوه التي فيها مما لا يحتمله عقله و لا يبلغ إليه فهمه فيسر السائل بجواب العالم و يصير عالما بتلك المسألة من ذلك الوجه و هو وجه صحيح إن فات علمه للعالم الفهم الفطن فقد فاته من المسألة بقدر ذلك الوجه فاستوى الفهم الفطن مع القدم في عدم استيعاب وجوه تلك المسألة فما سأل سائل قط في مسألة ليس فيه أهلية لقبول جواب عنها و لقد علمنا رسول الله صلى الله عليه و سلم من هذا الباب في تأديب الصحابة ما يتأدب به في ذلك و ذلك أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو بين ظهراني أصحابه فقال يا رسول الله إني أسألك عن ثياب أهل الجنة أخلق تخلق أم نسيج تنسج فضحك الحاضرون من سؤاله فغضب رسول الله صلى الله عليه و سلم و قال أ تضحكون أن جاهلا سأل عالما يا هذا الرجل إنها تشقق عنها ثمر الجنة فأجابه بما أرضاه و علم أصحابه الأدب مع السائل فأزال خجله و انقلب عالما فرحا و قال الله تعالى وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ فعمم و إن كان المقصود في سبب نزولها السؤال في العلم لأنه تعليم لحال سابق كان لرسول الله صلى الله عليه و سلم و هو قوله وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدى أي حائرا فأبان لك عن الأمر فأما السائل إذا جاءك يسألك فإنما هو بمنزلتك حين كنت ضالا فلا تنهره كما لم أنهرك و بين له كما بينت لك كما قال له تعليما لحال سبق له في قوله أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوى فلم يذلك و لا طردك بالقهر ليتمك و كسرك فأما اليتيم إذا وجدته فلا تقهره و الطف به و آوه و أحسن إليه قال رسول الله صلى الله عليه و سلم إن الله أدبني فحسن تأديبي فينبغي لنا أن نتبع الآداب الإلهية التي أدب الله سبحانه بها أنبياءه مثل هذا و مثل قوله لنوح إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ فرفق به في قوله أعظك لشيخوخته و كبر سنه و مخاطبة الشيوخ لها حد و وصف معلوم و مخاطبات الشباب لها حد معلوم و قال في حق محمد رسوله صلى الله عليه و سلم فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجاهِلِينَ فأين ذلك

اللطف من هذا القهر فذلك لضعف الشيخوخة و ذا القوة الشباب و أين مرتبة الخمسين سنة من رتبة خمسمائة و أزيد فوقع الخطاب على الحالات في أول الرسل و هو نوح و في آخرهم و هو محمد صلى الله عليه و سلم و على جميع الأنبياء و من الآداب الإلهية كل ما ورد في القرآن من افعل كذا و لا تفعل كذا فانظره في القرآن تحط بالأدب الإلهي فاستعمله توفق إن شاء الله وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثاني و التسعون و مائتان في معرفة منزل اشتراك عالم الغيب و عالم الشهادة من الحضرة الموسوية»

الليل يستر ما في الغيب من عجب ... و الشمس تظهر ما الأظلام يستره
و الشخص إن كان أنثى ليس يذكره ... حتى إذا جاءت الأخرى تذكره
و الجود أصل و ضد الجود ليس بذي ... أصل و لكن عين الجود تظهره
لا شيء يغنيك غير الله فارض به ... ربا و لا تك ممن ظل يضمره
و قم به علما في رأس رابية ... و إن شهدت هلالا فهو يبدره
و إن دعاك الهوى يوما لمنقصة ... فإن داعيه عن ذاك يزجره
عطاؤه منه أولى و آخرة ... و ليس عن عوض كذاك أذكره
إن الجزاء وفاق لا على عوض ... فإن يكن عوض فلست أوثره

سلام عليكم و رحمة الله و بركاته اعلموا يا إخواننا أن هذا المنزل من أعظم المنازل قدرا هو منزل النكاح الغيبي و هو نكاح المعاني و الأرواح و يختص بهذا المنزل علم التجلي الإلهي المشبه بالشمس ليس دونها سحاب دون التجلي القمري البدري و هو قوله صلى الله عليه و سلم ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر و ليس لهذا التجلي مدخل في هذا المنزل و كما ترون الشمس بالظهيرة ليس دونها سحاب و هذا المنزل منزله و من هنا يعرف و هو مظهر إلهي عجيب و من هذا المنزل يعرف الجود المقيد بالخوف و الجزاء و مرتبة الصدق و إن قبح و مرتبة الكذب و إن حسن و الغني المكتسب و هو الغني العرضي و علامات السعادة و علامات الشقاء و خيبة المعتمد على الأمور التي قد نصبها الله للاعتماد عليها و لماذا يخيب صاحبها مع كون الحق نصبها لهذا و أهلها لها و علم الإفصاح عن درجات التقريب الإلهي من حضرة اللسن و معرفة المقام الذي تتألف فيه الضرتان و تتحابان و معرفة الاصطلام اللازم و صفة من أعطى مقام هذا الاصطلام من المقربين من أمثالهم ممن لم يعطه و الجود بما يجده العارف من كل شيء مما لا يجب عليه و هو خلق الجود

الإلهي و هل يكون الحق عوضا ينال بعمل خاص أم لا و لنبين إن شاء الله حقائق هذا المنزل فصلا فصلا إيماء و تلويحا فإنه يطول و الله المؤيد لا رب غيره فمن ذلك النكاح الغيبي المنتج قال تعالى وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ و قال تعالى وَأَنْزَلَ من السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجَ به من الثَّمَراتِ و قال جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِراشاً وَالسَّماءَ بِناءً و قد تقدم الكلام على هذا الفصل في فصل المعارف من هذا الكتاب في باب الآباء العلويات و الأمهات السفليات فلينظر هنالك و لنذكر في هذا المنزل ما يتعلق به و هو أن المعاني تنكح الأجسام نكاحا غيبيا معنويا فيتولد بينهما أحكامهما و ذلك حجاب على اليد الإلهية الغيبية التي ما من شأنها أن تدرك و من ذلك جميع الصور الظاهرة في الهباء الهباء لها كالمرأة و الصور لها كالبعل و لا يوجد عنهما إلا أعيانهما و هذا من أعجب الأسرار أن يكون الولد عين الأب و الأم لمن هو لهما ولد و الأب و الأم عين الولد لمن هما له أبوان و هو الذي أشار إليه الحلاج رحمه الله في قوله ولدت أمي أباها و لا يكون الوالد عين الولد لمن هو له والد و هو له ولد إلا في هذا النكاح و من هذا الباب قوله كُنْ و هي كلمة أمر التكوين و قال في عيسى إنه كلمة الله و في الموجودات إنها كلمات الله و ما له كلمة في الموجودات إلا كن و هي عين الموجود فإنه الكلمة و توجهها على العيون الثابتة فالأعين لها كالأم فظهرت الكلمات و هو وجود تلك الأعيان عن هذا النكاح الغيبي و كان الولد بينهما عينهما ليس غيرهما و هذا ألطف من الأمر الأول فإن الولد هنا عين كلمة الحضرة فكن عين المكون و هو منسوب إلى الله و الأول في الدرجة الثانية فإنه منسوب إلى الهباء و الصورة و هذا النكاح مدرج فيه فافهم فقد رميت بك على الطريق فالجسمانيات كلها أولاد عن نكاح غيبي و الأجسام كلها منها ما هو عن نكاح غيبي و منها ما هو عن نكاح غيبي مدرج في نكاح حسي كنكاح الرياح و المياه و الحيوانات و النبات و المعادن و ما يتولد في الأجسام العنصرية لا الأجسام الطبيعية فإن العالم الملكي لا يتولد عنه من جنسه شيء إلا أن يكون أبا في وقت لأم عنصرية بما يلقى إليها فما ينتج فذلك الولد بينهما قد يخلق ملكا و هو المعبر عنه بلمة الملك و هو ما يلقيه إلى النفس الإنسانية فيتولد بينهما تسبيحة أو تهليلة تخرج نفسا من المسبح و المهلل فينفتح في عين ذلك النفس و جوهره صورة ملكية يكون ذلك الملك الملقي أباها و النفس أمها فترتقي تلك الصورة إلى أبيها و تلازمه بالاستغفار لأمه التي هي النفس الإنسانية إلى يوم القيامة و من هنا يحكم في الشريعة للوالد بأخذ ولده عن أمه إذا ميز و عقل بلا خلاف فإن هذا الملك يخلق عاقلا و من أعجب الأنكحة الإعدام و لهذا اختلف فيه أهل الكشف فالله سبحانه علقه بالمشيئة فقال إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ و علق الاقتدار بإيجاد قوم آخرين فقال وَيَأْتِ بِآخَرِينَ و كان الله على ذلك و لم يقل ذينك على التثنية فكانت الإشارة من حيث أحديتها للأقرب و هو الذي أتى به و من هذا الباب إرسال الريح العقيم فإنها لإزالة أعيان الصور الظاهرة عن التأليف لا أعيان الجواهر فما أنتجت وجودا فنسب إليها العقم و نفي عنها أن تكون لاقحة فهذا نكاح لمجرد الشهوة لا لوجود الولد

كنكاح أهل الجنة فما يكون عن كل شهوة كيان و لا بد وجود عيني لنفسه و من هنا وقع الخلاف بين أهل الكشف فمن كشف رجوع أعيان الصور التي كانت موجودة إلى كونها ثابتة غير موجودة قال بأن الريح العقيم قد أنتجت في حضرة الثبوت ما كان قد خرج عنها و هو مشهود للحق و به تعلقت المشيئة بقوله إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أي يردكم إلى الحالة التي كنتم موصوفين فيها بالعدم و إنما كان هذا عقما لأنه لم يظهر عنه وجود العين لنفسه و إن كان ظاهرا مشهودا لخالقه و من لم يشهد رجوع أعيان الصور الموجودة إلى العدم عند توجه المشيئة أو هبوب الريح العقيم قال إن ذلك لا ينتج شيئا فإن الإيجاد للاقتدار لا للمشيئة فقط و للريح اللاقحة لا للعقيم إذ لو ظهر شيء وجودي عنها لم تكن عقيما فهذا سبب الخلاف بين أهل الكشف فمتعلق النافي عين الوجود و متعلق المثبت عين الثبوت فما توا ردا على شيء واحد فلا خلاف في الحقيقة إذ كان هذا الطريق عند المحققين منا لا يتصور فيه خلاف إلا أن يكون مثل هذا و هذا خلاف لفظي فإذا فسر كل واحد ما أراده بذلك اللفظ ارتفع الخلاف و يكفي ما أومأنا إليه و من هذا المنزل التجلي الشمسي لما وقع التشبه عند علماء الرسوم في رفع الشك عن الرائي في المرئي بالشمس و القمر ليلة البدر و هو من بعض الوجوه المقصودة في هذا الحديث و لكن عرف المحققون زائدا على هذا أن المظهرين مختلفان و أن التجلي المشبه بالقمر ليلة البدر مظهر خاص لأنه قال ليلة البدر و لم يقل في إبداره فأضافه إلى الليلة فإني أشاهده بدرا مع وجود الشمس بالنهار فما أضافه إلى الليلة إلا لأمر عرفه المحققون و ليس هذا منزل الكلام عليه و لكن هذا المنزل يتضمن منزل التجلي في الشمس فإن الحق يتعالى عند المحققين أن يتجلى في صورة واحدة مرتين أو لشخصين فلا تكرار في أمر عند الحق للإطلاق الذي هو عليه و الاتساع الإلهي و التكرار مؤد إلى الضيق و التقييد فاعلم إن التجلي الشمسي أي المشبه بالشمس هو يسمى عندنا التجلي الأوسع و هو التجلي الذي لا يفنى الإنسان عن رؤية نفسه فيه و قد أومأنا إليه في أول هذا الكتاب في باب الأرض التي خلقت من بقية الطينة الآدمية و هذا التجلي مظهر ذاتي عجيب و نسب التجلي فيه إلى معلوله لا إلى علته مع ظهور العلة في معلولها عينا محققة مجهولة الكيفية كظهور الشمس في النهار مع كون النهار معلولا عن ظهور الشمس و نور السراج عن السراج المنبسط في زوايا الكون فمثل هذا يسمى شهود العلة و معلولها معا فكل تجل لا يغنيك عنك فهو بهذه المثابة و إنما سمي أوسع لأن المشاهد يعم رؤيته المتجلي و المتجلي فيه و له و غير الأوسع لا تشاهد غيره لا نفسك و لا غيرك و لا تعلم شهودك و لا ما أنت فيه حتى تعود إليك و يقع الحجاب فلو قرع الحجاب كان ذلك التجلي مقيدا ضيقا إذ قيده الحجاب و الأوسع يظهر في الحجاب و في غير الحجاب و يفرق الشاهد بين الصورتين و لهذا يقال فيهم ردوهم إلى قصورهم للاشارة إلى عجزهم أي يحبسون فيه و هنا بحور تحوي على أنواع من نفيس الجواهر لا يدركها إلا كل غواص واسع النفس عاشق في الغيب فقد بينت لك المقصود من هذا التجلي الذي يحويه

هذا المنزل و فوائده لا تحصى لو ذهبنا نذكرها ما وسعها ديوان فإن له التأبيد في العالم العلوي في الدنيا و له التأبيد في العالم الأخروي السفلي و ما ثم تجل يجمع فيما يكون عنه بين الضدين من ألم و لذة إلا هذا التجلي و هو كتجلي المحبوب للمحب يعانق غيره و يقبله فهو من نظره في لذة و من نظره في ألم و من هذا المنزل معرفة الجود المقيد بالخوف و الجزاء و مرتبة الصدق و إن قبح و مرتبة الكذب و إن حسن و الغني المكتسب و هو الغني العرضي و علامات السعادة و علامات الشقاء و اعلم أن أسباب العطاء تختلف فمنهم من يعطي للعوض و يسمى شراء و بيعا ففيه من الجود إن المشتري قد أنعمت عليه من كونك بائعا ماله غرض عظيم في تحصيله و قد أعطاك هو ما هو مستغن عنه فكل واحد منهما قد جاد على صاحبه بإيصاله إليه ما كان له غرض في تحصيله إذ كان له منع ذلك فبهذا القدر يلحق بباب الجود من جهة المعطي له اسم مفعول لا من جهة المعطي اسم فاعل و قد يعطي الإنسان من هذا الباب خوفا على عرضه أو حلول آلام حسية تحل به فكأنه يشتري الثناء الحسن و العافية و الأمن بذلك العطاء فهو كالأول و الفرق بينهما إن الذي اشترى به في الأول هو مما يمكن أن يكون له فيه غرض و هذا لا يمكن أن يكون له في الألم و إزالة العافية و الأمن غرض أصلا و من يقول بخلاف هذا من أصحابنا إن كان محققا كأبي يزيد في قوله

و كل مآربي قد نلت منها سوى ملذوذ وجدي بالعذاب

فقد أبان عن مقصوده و هو اللذة و هو ما قلناه و ذهبنا إليه و إن لم يكن محققا فما هو من أصل طريقنا بالمعنى و إن ظهر بالصورة فلا كلام لنا معه و منهم من يعطي للانعام و غير ذلك و ليس من هذا المنزل إلا ما ذكرناه خاصة و من هذا الباب قول رسول الله صلى الله عليه و سلم أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه فأمرنا بمحبته لإنعامه و إحسانه و هل يكون منه سبحانه في حق العباد أمر وجودي يخرج عن الإنعام بوجه من الوجوه اختلف أصحابنا في ذلك فمنهم من رأى أن الإنعام فيه عين وجوده و لا يلتفت إلى الأغراض المتعلقة مما يعطيه حكم هذا الموجود المنعم عليه بالوجود فإنه قد أنعم على الألم بوجود عينه و إن كان من يتألم به لا يوافق غرضه فهو نعمة الله على نفسه و لو توقف الأمر على عموم النعمة على الكل بالعين الواحدة ما كان شيء أصلا فإن الحقائق تأبى ذلك فإذا له في كل وجود نعمة فمن كان مقامه الإيثار يصدق في غرضه بزهده إذا قام به حكم الألم أن يشكر الله على ما أنعم به على الألم من وجود عينه بعد أن لم يكن إيثار الجناب الله على غرضه حيث ظهر في الملك من يساعده على تعظيم الله و شكره لأنه يشاهد شكر الألم لله تعالى على إيجاد عينه فأعظم شفيع يكون لمن هذه حاله عند الله الألم من الموجودات و الاسم المبلي و المسقم من الإلهيات فيكون نتيجة تلك الشفاعة وجود اللذة و رحلة الألم إما بزوال السبب أو ببقائه فيكون خرق عادة و هذا من أعظم الخلق الذي يشرف به الإنسان و أما إيثاره في هذا

لإرادة الله فلا يدري أحد ما يحصل له من اسمه المريد من الخير إلا الله الذي خصه بهذه الحال الشريفة فهذا هو الصدق مع الله في المعاملة و إن قبح فإنه لو نزل ذلك الألم بغيره فلا بد أن تصحبه هذه الحالة و قبيح عليه في حق الغير أن يراه يشكر الله على ما قام بذلك الغير من الألم و لا سيما إن كان محبوبا له أو نبيا أو رسولا و بما ينتجه هذا المقام من وجود العافية في ذلك الغير ستر القبح الذي كان لبسه هذا المحقق و أما من ترك العطاء في مثل هذا الموطن الذي ذكرناه فأنت تعرف مما بيناه لك ما سبب ذلك الترك و ما المشهود لهذا التارك في وقت الترك فإنه يندرج علم ذلك كله فيما قررناه فابحث عنه فإنه يطول إن أوردناه و قد أعطيناك المفتاح و عينا لك قفله فافتح ما شئته من ذلك و أما الغني المكتسب في هذا الباب فهو حكمه فإن الإنسان إذا استغنى عن الغير كان دليلا على جهله بالحقائق إذ كان الغير لا أثر له فيه فقد علق غناه بغير متعلق و إن استغنى عن الله تعالى فأجهل و أجهل فإنه خرج بهذا الوصف عن العلم المحقق و عن الإسلام فلا أخسر منه لأنه لا أجهل منه فالاستغناء لا يصح حقيقة فإذا أضيف الغني إلى أحد فهي إضافة عرضية لا ذاتية و لهذا هو الاسم الغني للحق تعالى وصف سلبي سلب عنه الافتقار إلى العالم و من افتقر إلى شيء لم يستغن عنه البتة فالاستغناء على الحقيقة إنما هو بالأسباب من حيث النسب أي من حيث إنها نسب فكل نسبة أذهبت عنك ضدها فهي الحاكمة عليك و هل تسمى بغني أم لا فلك النظر فيها بحسب ما تعطيك حقيقة تلك النسبة فإن كانت أغنتك عن غيرها فهي غنى و أنت غني بها و إن لم تغنك فما هي غنى و لا أنت غني بها فالشبع مثلا بمجرد حقيقته لا يقال فيه إنك قد استغنيت به عن الجوع من حيث حقيقة الجوع لأن الجوع ليس مطلوبا لك حتى تستغني بالشبع عنه و لكن إن كان الجوع إذا قام بك أعطاك من الصفاء و الرقة و اللطافة و التحقق بالعبودة و الافتقار ما يعطيه حقيقته فأنت طالب له غير مستغن عنه فإن أعطاك الشبع ما أعطاك الجوع من كل ما ذكرناه فقد استغنيت بالشبع عن الجوع إذ الجوع ليس مطلوبا لنفسه و إنما هو مطلوب لما ذكرناه فإذا وجدنا ذلك في ضده فلا حاجة لنا به إذ الطبع يرده كما إن الطبع يوجده و لذلك كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يتعوذ من الجوع و يقول إنه بئس الضجيع و ذلك لأنه أيضا و إن أعطى ما ذكرناه و لكن لا يقطع أن يكون افتقاره ذلك إلى الله بل قد يكون لغير الله فلذا قال رسول الله صلى الله عليه و سلم فيه إنه بئس الضجيع في العموم فإن شيوخ الطريق يقولون لو بيع الجوع في السوق لزم المريد أن يشتريه و من نظر منهم إلى ما نظره النبي صلى الله عليه و سلم جعله من أغاليط أهل الطريق كأبي عبد الرحمن السلمي إذ عمل أوراقا فيما غلطت فيه الصوفية و هو مذهبنا و للجوع حد و مقدار و هو الجوع المحقق بخلاف الجوع المتخيل فما وقعت الاستعاذة النبوية إلا من الجوع المحقق فإنه يكون به الإنسان عاصيا للشرع ظالما لنفسه إذا كان اختيارا و لهذا كان رسول الله صلى الله عليه و سلم لا يجوع قط إلا اضطرارا و هو حال العلماء بالله لأنهم من صفتهم العدل و قد أبنت لك ما فيه كفاية

فإنه تلويح يغني عن التصريح و أما أعمال السعادة فعلاماتها أن يستعمل الإنسان في الحضور مع الله في جميع حركاته و ممكناته و أن تكون مشاهدة نسبة الأفعال إلى الله تعالى من حيث الإيجاد و الارتباط المحمود منها و أما الارتباط المذموم منها فإن نسبه إلى الله فقد أساء الأدب و جهل علم التكليف و بمن تعلق و من المكلف الذي قيل له افعل إذ لو لم يكن للمكلف نسبة إلى الفعل بوجه ما لما قيل له افعل و كانت الشريعة كلها عبثا و هي حق في نفسها فلا بد أن يكون للعبد نسبة صحيحة إلى الفعل من تلك النسبة قيل له افعل و ليس متعلقها الإرادة كالقائلين بالكسب و إنما هو سبب اقتداري لطيف مدرج في الاقتدار الإلهي الذي يعطيه الدليل كاندراج نور الكواكب في نور الشمس فتعلم بالدليل أن للكواكب نورا منبسطا على الأرض لكن ما ندركه حسا لسلطان نور الشمس كما يعطي الحس في أفعال العباد إن الفعل لهم حسا و شرعا و أن الاقتدار الإلهي مندرج فيه يدركه العقل و لا يدركه الحس كاندراج نور الشمس في نور الكواكب فإن نور الكواكب هو عين نور الشمس و الكواكب لها مجلى فالنور كله الشمس و الحس يجعل النور للكواكب فيقول قد اندرج نور الكواكب في نور الشمس و على الحقيقة ما ثم إلا نور الشمس فاندرج نوره في نفسه إذ لم يكن ثم نور غيره و المرائي و إن كان لها أثر فليس ذلك من نورها و إنما النور يكون له أثر من كونه بلا واسطة في الكون و يكون له أثر آخر في مرآة تجليه بحكم يخالف حكمه من غير تلك الواسطة فنور الشمس إذا تجلى في البدر يعطي من الحكم ما لا يعطيه من الحكم بغير البدر لا شك في ذلك كذلك الاقتدار الإلهي إذا تجلى في العبيد فظهرت الأفعال عن الخلق فهو و إن كان بالاقتدار الإلهي و لكن يختلف الحكم لأنه بوساطة هذا المجلى الذي كان مثل المرآة لتجليه و كما ينسب النور الشمسي إلى البدر في الحس و الفعل لنور البدر و هو للشمس فكذلك ينسب الفعل للخلق في الحس و الفعل إنما هو لله في نفس الأمر و لاختلاف الأثر تغير الحكم النوري في الأشياء فكان ما يعطيه النور بوساطة البدر خلاف ما يعطيه بنفسه بلا واسطة كذلك يختلف الحكم في أفعال العباد و من هنا يعرف التكليف على من توجه و بمن تعلق و كما تعلم عقلا إن القمر في نفسه ليس فيه من نور الشمس شيء و أن الشمس ما انتقلت إليه بذاتها و إنما كان لها مجلى و أن الصفة لا تفارق موصوفها و الاسم مسماه كذلك العبد ليس فيه من خالقه شيء و لا حل فيه و إنما هو مجلى له خاصة و مظهر له و كما ينسب نور الشمس إلى البدر كذلك ينسب الاقتدار إلى الخلق حسا و الحال الحال و إذا كان الأمر بين الشمس و البدر بهذه المثابة مع الخفاء و إنه لا يعلم ذلك كل أحد فما ظنك بالأمر الإلهي في هذه المسألة مع الخلق أخفى و أخفى فمن وقف على هذا العلم فهو من أعلى علامات السعادة و فقد مثل هذا من علامات الشقاء و أريد بهذا سعادة الأرواح و شقاوتها المعنوية و إنما السعادة الحسية و الشقاوة فعلاماتهما الأعمال المشروعة بشروطها و هو الإخلاص قال تعالى ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ و قال ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ﴾ و يكفي هذا القدر من

العلامات مجملا و الله الموفق لا رب غيره و أما خيبة المعتمد على الأمور التي نصبها الله للاعتماد عليها و لما ذا يخيب صاحبها مع كون الحق نصبها لهذا الأمر و أهلها له فاعلم أيها الأخ الولي أن الأمور التي نصبها الحق للاعتماد عليها ما خرجت عنه و لكن جعلها هذا الخائب أربابا من دون الله فاعتمد عليها لذواتها لا على من جعلها فاضربه الجهل كما ذكرناه آنفا فالآثار الظاهرة عن نور الشمس في مرآة البدر إذا نظر فيه الناظر و اعتمد على الشمس في ذلك من حيث هذا المجلى الخاص الذي ربط الله الأثر به فهذا لا يخيب فانه أعطى الأمر حقه و هذا لا ينكسف البدر في حقه أبدا و الذي يخيب هو الذي ينكسف البدر في حقه فيبقى في ظلمة جهله مع وجود ذات المرآة القمرية فيكون هذا الخائب مع ذلك المظهر في الظلمات فإن القمر قد حجب في حق هذا الشخص الذي كان يعتمد عليه إِنَّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ من دُونِ الله حَصَبُ جَهَنَّمَ و هي الظلمة فإن الظلمة جهنم و أية ظلمة و أي جهنم أعظم من الجهل و بها شبه الله في قوله أَوْ كَظُلُماتٍ فقال ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ و هو جهل على جهل و هو من جهل و لا يعلم أنه جهل فنفى عنه إن يقارب رؤية يده فكيف إن يراها و أدخل اليد هنا دون غيرها لأنها محل وجود الاقتدار و بها يقع الإيجاد أي إذا أخرج اقتداره ليراه لم يقارب رؤيته لظلمة الجهل لأنه لو رآه لرآه عين الاقتدار الإلهي ألا تراه إذا أخرجه في النور الذي هو العلم رأى يده و هو اقتداره فعلم إن الاقتدار الكوني هو اقتدار الحق لارتفاع الظلمات المتراكمة التي كانت بعضها فوق بعض و لهذا وقع التشبيه بأشد الظلمات فإن ظلمة الجو تقترن معها ظلمة البحر تقترن معها ظلمة الموج تقترن معها ظلمة تراكم الموج تقترن معها ظلمة السحاب التي تحجب أنوار الكواكب فلا يبقى للنور ظهور لا في عينه و لا في مجلى من مجاليه فظلمة الليل ظلمة الطبع و ظلمة البحر ظلمة الجهل و هو فقد العلم و ظلمة الفكر ظلمة الموج و ظلمة الموج المتراكم ظلمة تداخل الأفكار في الشبه و ظلمة السحاب ظلمة الكفر فمن جمع هذه الظلمات فقد خسر خسرانا مبينا و هذه حالة المعطلة لا غيرهم و أما ما يتضمنه هذا المنزل من علم الإفصاح عن درجات القرب الإلهي من حضرة اللسن فاعلم أن ذلك معرفة علم الشارع المترجم عن الله الذي أمرنا بالإيمان بمحكمه و متشابهه و لنقبل جميع ما جاء به فإن ناولنا شيئًا من ذلك على أنه مراد المتكلم به في نفس الأمر زال عنا درجة الايمان فإن الدليل حكم على الخبر فيعطل حكم الايمان و جاء العلم الصحيح من المؤمن يقول لصاحب هذا الدليل أما القطع منك بأن هذا الذي أعطاك نظرك هو مقصود المفصح بما أفصح به فهو عين الجهل و فقد العلم الصحيح و إن صادف العلم و قد زال عنك الايمان و السعادة مرتبطة بالإيمان و بالعلم الصحيح عن علم و العلم الصحيح هو الذي يبقى معه الايمان فعلى العارف أن يبين طريق السعادة نيابة عن الله تعالى في خلقه كنيابة القمر عن الشمس في إيصال النور فالأنبياء المرسلون عليهم السلام هم التراجمة عن الحق و الورثة على درجتهم بما يعطيهم الله من الفهم فيما جاءت به الرسل من كتاب و سنة فهذا هو علم

الإفصاح مختصر و أما علم تألف الضرتين فاعلم إن أبا سعيد الخراز قيل له بم عرفت الله فقال بجمعه بين الضدين و تلا هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ أي هو أول من عين ما هو آخر و ظاهر من حيث ما هو باطن لأن الحيثية في حقه واحدة و كل ضدين ضرتان و هذا لا يدرك من قوة العقل فإن قوة العقل لا تعطيه و إنما يدرك هذا من المقام الذي وراء طور العقل الذي كان من ذلك الطور أعطى الواجبات وجوبها و الجايزات جوازها و المستحيلات إحالتها و الأحديات أحديتها فهو الذي جعل الواحد واحدا كما جعل الواجب واجبا بإعطائه الوجوب و ليس في قوة العقل إدراك ما ذكرناه من حيث فكره فهذا علم صحيح إلهي لا عقلي فإذا اجتمع الضدان في العلم الإلهي فقد تألفت الضرتان و تحابا إذ كانا لعين واحدة فتدبر هذا الفصل بنور الايمان لا بنور العقل فإنه مردود عقلا غير مقبول و كما لم يكن في قوة البصر أن يدرك المعقولات و لم يتعد حده كذلك العقل ليس في قوته إن يدرك ما يعطيه البصر بذاته من غير واسطة البصر فإذا عجزت قوة العقل أن تستقل بعلم المبصرات من حيث ما هي مبصرات و هي مخلوقة و قوة البصر مخلوقة فمن له بإدراك ما يخرج عن طوره إلى ما هو أعلى في نسبته إلى الحق و قد عجز عن إدراك ما خرج عن طوره إلى ما هو أنزل درجة و هو الحس في زعمه و من افتقر إلى مخلوق مثله في أمر فهو إلى الخالق أفقر و يكفي هذه الإشارة فيما يعرفه العارفون من ذلك و أما معرفة الاصطلام اللازم و صفة من أعطى مقام هذا الاصطلام من المقربين من أمثالهم ممن لم يعطه فاعلم أن الاصطلام نار ترد على قلوب المحبين تحرق كل شيء تجده ما سوى المحبوب و قد تذهب في أوقات بصورة المحبوب من نفس المحب و هو الوقت الذي يطلب المحب أن يتخيل محبوبه فلا يقدر على تخيله و لا يقيم صورته لقوة سلطان حرقة لهيب نار الحب فيقال فيه في ذلك الحال مصطلم و هو الذي أراد القائل بقوله

أودع فؤادي حرقا أودع ... ذاتك تؤذى أنت في أضلعي
وارم سهام الحب أو كفها ... أنت بما ترمي مصاب معي
موقعها القلب و أنت الذي ... مسكنه بذاك الموضع

و من هذه الحال قال قيس بن الملوح مجنون بنى عامر صاحب ليلى و كان قد جاءته ليلى و هو مصطلم يأخذ الجليد و يلقيه على صدره فيذيبه من ساعته حرارة الفؤاد و هو يصيح ليلى ليلى طلبا لها لفقد صورتها من خياله فنادته يا قيس أنا مطلوبك أنا ليلى فلم يكن لها في نفسه صورة متخيلة يعرفها بها إلا أنه لما سمع منها اسمها قال لها إليك عني فإن حبك شغلني عنك فهذا حال الاصطلام و هو نعت لازم للحضرة الإلهية مؤثر و لكل اسم إلهي مشهود فيه جمال الحق يحول بين العبد و بين تكييف الحق و يذهب بكل صورة يضبطها أو يتخيلها و لهذا قال صلى الله عليه و سلم ألظوا بيا ذا الجلال و الإكرام من الإلظاظ و هو المثابرة و قرن الجلال بالإكرام و ما ورد الجلال قط في

النبويات إلا و الإكرام مصاحب له ليبقى رسم العبد و لا يذهب بعينه فالجلال الذي هو جلال الجمال يكسوك الهيبة فتهاب المقام و هو الذي يجده المحب و العارف في نفسه من تعظيم المحبوب فيؤثر جنابه على كل شيء فإكرام الله به أنه يؤثره على كل شيء و ثم اصطلام يزول في الوقت و هو ما يرد على القلب من مشاهدة المحبوب في صورة الخيال فما دام هذا الخيال دام اصطلامه و الجلال يمحو هذه الصورة من النفس غيرة من تقييده بصورة و له الإطلاق فيزول اصطلام تلك الصورة المقيدة بزوالها و يبقى الاصطلام اللازم الذي هو أثر الجلال في النفس فيرى المحب يكذب الصورة المتخيلة في نفسه التي تقول له أنا محبوبك و يعرض عنها إجلالا لمحبوبه أن يقيده لمعرفته بأن محبوبه لا يتقيد فلهذا يحترق في نفسه حيث يريد أو يتمنى أن يضبط ما لا ينضبط لينعم به و لهذا كان العلم أشرف من المحبة و به أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه و سلم أن يسأله الزيادة منه لأنه عين الولاية الإلهية به يتولى الله عباده و به يكرمهم و به يعرفون أنه لا يعرف و أما المحب إذا لم يكن عارفا فهو يخلق في نفسه صورة يهيم فيها و يعشقها فما عبد و لا اشتاق إلا لمن هو تحت حيطته و لا يزيله عن هذا المقام إلا المعرفة فحيرة العارف في الجناب الإلهي أعظم الحيرات لأنه خارج عن الحصر و التقييد

تفرقت الظباء على خداش   فما يدري خداش ما يصيد

فله جميع الصور و ما له صورة تقيده و لهذا كان يقول صلى الله عليه و سلم اللهم زدني فيك تحيرا لأنه المقام الأعلى و المنظر الأجلى و المكانة الزلفى و المظهر الأزهى و الطريقة المثلى و من هذه الحضرة صدر الإنذار فعدم القرار و حل البوار بساحة الكفار فلم يبق ستر و لا حجاب إلا مزقه و خرقه هذا المشهد الأسنى فإن الستر يقيد المستور و الحجاب يحد المحجوب و لا حد لذاته و لا تقييد لجلاله فكيف يستره شيء أو تغيب له عين تَجْرِي بِأَعْيُنِنا جَزاءً لِمَنْ كانَ كُفِرَ فمن قال لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فقد صدق لأنه ما ثم موجود لا يغيب له عين و لا يحصره أين إلا الله فجميع الصور الحسية و المعنوية مظاهره فهو الناطق من كل صورة لا في كل صورة و هو المنظور بكل عين و هو المسموع بكل سمع و هو الذي لم يسمع له كلام فيعقل و لا نظر إليه بصر فيحد و لا كان له مظهر فيتقيد فالهو له لازم لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ يَمْحُوا و هو عين ما يمحو قال وَيُثْبِتُ و هو عين ما يثبت فـ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ في هذا الحكم و به شهد له العلم الصحيح الموهوب فعلم الدليل ينفيه إذ لم يكن بيده منه و لا له تعلق بسوى صفات السلب و التنزيه و علم الكشف يثبته و يبقيه و لا يبدو له مظهرا لا و يراه فيه و العلمان صحيحان فهو لكل قوة مدركة بحسبها ليعرفها أنها ما زالت عن منصبها و أنها لم تحصل بيدها من العلم بالله إلا ما هي عليه في نفسها فذاتها عرفت و نفسها وصفت فخرج عن التقييد و الحدود بظهوره فيها ليكون هو المعبود فقد قضى أن لا يعبد إلا إياه فكانت الأصنام و الأوثان مظاهر له في زعم الكفار فأطلقوا عليها اسم الإله فما عبدوا إلا الإله و هو الذي دل عليه ذلك المظهر فقضى

حوائجهم و سقاهم و عاقبهم إذ لم يحترموا ذلك الجناب الإلهي في هذه الصورة الجمادية فهم الأشقياء و إن أصابوا أو لم يعبدوا إلا الله فانظر إلى هذا السريان الوجودي في هذه المظاهر كيف سعد به قوم و شقي به آخرون قال بعضهم كل ما تخيلته في نفسك أو صوره وهمك فالله بخلاف ذلك فصدق و كذب و أظهر و حجب و قال الآخر لا يكون الحق مدلولا لدليل و لا معقولا للعقول لا تحصله العقول بأفكارها و لا تستنزله المعارف بأذكارها فإذا ذكر فبه يذكر و به يفكر و يعقل فهو عقل العقلاء و فكرة المفكرين و ذكر الذاكرين و دليل الدالين لو خرج عن شيء لم يكن و لو كان في شيء لم يكن فهذا قد أبنت لك ما أثره الاصطلام اللازم و أن العلماء هم المقربون الذين أدركوا هذا المشهد الأحمى و هذه المعرفة العظمى و من سواهم فقد نصب له علامة يعبدها و حقيقة يشهدها و هي ما انطوى عليه اعتقاده لدليل قام عنده أو قلد صاحب دليل فهو عند نفسه قد ظفر بمطلوبه و اعتكف على معبوده و سكن إليه و استراح من الحيرة و كفر بما ناقض ما عنده و كفر بلا شك غيره ممن اعتقد غير معتقده فلهذا يكفر بعضهم ببعض و يلعن بعضهم بعضا دنيا و آخرة و العالم المحقق لما هو الأمر في عينه يتفرج في ذاته و في العالم ظاهره و باطنه فهو العين المصيبة و هو المثل المنزه المنصوص عليه الذي نفى الحق أن يماثل أو يقابل بقوله تعالى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ أي ليس مثل مثله شيء فالكاف كاف الصفة ما هي زائدة كما يرى بعضهم فبعض العلماء يرى في ذلك أن لو فرض له مثل لم يماثل ذلك المثل فأحرى إن يماثل هو في نفسه و عند بعضهم نفي المثل عن المثل المحقق الذي ذكرناه سئل الجنيد عن المعرفة و العارف فقال لون الماء لون إنائه فأثبت الماء و الإناء فأثبت الحرف و المعنى و الإدراك و نفى الإدراك ففرق وجمع فنعم ما قال و بعد أن أبنت لك عن مرتبة الاصطلام اللازم فلنبين لك ما بقي من هذا المنزل و هو العلم بالجود الإلهي الخارج عن الوجوب و هل يكون الحق عوضا ينال بعمل خاص أم لا فاعلم إن لله جودا مقيدا وجودا مطلقا فإنه سبحانه قد قيد بعض جوده بالوجود فقال كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أي أوجب و فرض على نفسه الرحمة لقوم خواص نعتهم بعمل خاص و هو أنه من عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهالَةٍ ثُمَّ تابَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ فهذا جود مقيد بالوجوب لمن هذه صفته و هو عوض عن هذا العمل الخاص و التوبة و الإصلاح من الجود المطلق فجلب جوده بجوده فما حكم عليه سواه و لا قيده غيره و العبد بين الجودين عرض زائل و عرض ماثل قال سهل بن عبد الله عالمنا و امامنا لقيت إبليس فعرفته و عرف مني أني عرفته فوقعت بيننا مناظرة فقال لي و قلت له و علا بيننا الكلام و طال النزاع بحيث إن وقفت و وقف و حرت و حار فكان من آخر ما قال لي يا سهل الله عز و جل يقول وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فعم و لا يخفى عليك إني شيء بلا شك لأن لفظة كل تقتضي الإحاطة و العموم و شيء أنكر النكرات فقد وسعتني رحمته قال سهل فو الله لقد أخرسني و حيرني بلطافة سياقه و ظفره بمثل هذه الآية و فهم منها ما لم نفهم و علم منها و من دلالتها ما لم نعلم فبقيت حائرا

متفكرا و أخذت أتلو الآية في نفسي فلما جئت إلى قوله تعالى فيها فَسَأَكْتُبُها الآية سررت و تخيلت أني قد ظفرت بحجة و ظهرت عليه بما يقصم ظهره و قلت له يا ملعون إن الله قد قيدها بنعوت مخصوصة يخرجها من ذلك العموم فقال فَسَأَكْتُبُها فتبسم إبليس و قال يا سهل ما كنت أظن أن يبلغ بك الجهل هذا المبلغ و لا ظننت إنك ها هنا أ لست تعلم يا سهل أن التقييد صفتك لا صفته قال سهل فرجعت إلى نفسي و غصصت بريقي و أقام الماء في حلقي و والله ما وجدت جوابا و لا سددت في وجهه بابا و علمت أنه طمع في مطمع و انصرف و انصرفت و والله ما أدري بعد هذا ما يكون فإن الله سبحانه ما نص بما يرفع هذا الإشكال فبقي الأمر عندي على المشيئة منه في خلقه لا أحكم عليه في ذلك بأمد ينتهي أو بأمد لا ينتهي فاعلم يا أخي أني تتبعت ما حكي عن إبليس من الحجج فما رأيت أقصر منه حجة و لا أجهل منه بين العلماء فلما وقفت له على هذه المسألة التي حكى عنه سهل ابن عبد الله تعجبت و علمت أنه قد علم علما لا جهل فيه فهو أستاذ سهل في هذه المسألة و أما نحن فما أخذناها إلا من الله فما لإبليس علينا منة في هذه المسألة بحمد الله و لا غيرها و كذا أرجو فيما بقي من عمرنا و هي مسألة أصل لا مسألة فرع فإبليس ينتظر رحمة الله إن تناله من عين المنة و الجود المطلق الذي به أوجب على نفسه سبحانه ما أوجب و به تاب على من تاب و أصلح فَالْحُكْمُ لِلّٰهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ عن التقييد في التقييد فلا يجب على الله إلا ما أوجبه على نفسه فالعارف كذلك في جوده لا يتقيد و لا يعطي واجبا يجب عليه فإن وجوب العطاء إنما سببه الملك و لا ملك للعارف مع الله فالمال الذي بيد العارف هو لله ليس له و الزكاة تجب في عين المال على رب المال و لا رب له سواه سبحانه فقد أوجب على نفسه أن يخرج من هذا المال مقدارا معينا هو حق لطائفة من خلقه أوجبه لهم على نفسه في هذا المال الذي بيد العارف فيخرج العارف من هذا المال حق تلك الطائفة نيابة عن رب المال كما يخرج الوصي عن اليتيم بحكم الوكالة فإنه وليه و من هذا الباب زلت طائفة في كشفها لهذا المقام فلم تؤد زكاة ما بيدها من المال و رأيت منهم جماعة مع كونهم يخرجون ما هو أكثر من الزكاة و لا يزكونه و يقولون إن الله تعالى لا يجب عليه شيء و هذا المال لله ليس لي و يدي فيه عارية و أنا في هذه المسألة حنفي المذهب فكما لا يجب على ولي اليتيم إخراج الزكاة عن اليتيم لأن اليتيم لا تجب عليه الزكاة في ماله لأنه المخاطب فلا أزكيه فقد بينت لك وفقك الله الجود الإلهي و تقسيمه و أما هل يكون الحق عوضا لعمل خاص أم لا فاعلم إن مالك بن أنس رضي الله عنه يقول في الرجل يعطي الرجل هدية ثم إن المعطى له لا يكافئه فيطلبه بالمكافاة عند الحاكم فللحاكم إن يفصل عليه الأمر لما فيه من الإجمال ليترتب الحكم على التعين فيقول له حين أعطيته هذه الهدية ما ابتغيت بها هل ابتغيت بها جزاء من الجنة أو معاوضة في الدنيا أو ابتغيت بها وجه الله فإن قال الخصم ابتغيت بها الأجر في الآخرة من الجنة أو المعاوضة في الدنيا حكم على المعطي إياه برد عين ما أخذه منه إن كانت عينه باقية و إن كانت العين قد

ذهبت حكم له بالقيمة على الخلاف في ذلك هل تعتبر القيمة في الشيء في زمان العطاء أو في زمان القضاء و إن قال إنما أعطيتها ابتغاء وجه الله لم يحكم له بشيء في ذلك و قال ليس بيد صاحبك ما قصدته بهديتك فمن وجه أثبته عوضا عنها فيما يظهر فإنه لم يصرح مالك بأكثر من هذا و من وجه ينفي أن يكون عوضا فإنه لا يماثله في القدر شيء من مخلوقاته و الكل نعمته غير أنه المعاوضة على الله لهذا المعطي في الدار الآخرة مما يناسب هديته فإن زاد على ذلك فمن باب المنة و قد قيل

لكل شيء إذا فارقته عوض   و ليس لله إن فارقت من عوض

و التحقيق في هذه المسألة أن الحق من حيث ذاته و وجوده لا يقاومه شيء و لا يصح أن يراد و لا يطلب لذاته و إنما يطلب الطالب و يريد المريد معرفته أو مشاهدته أو رؤيته و هذا كله منه ليس هو عينه و إذا كان منه لا عينه فقد يصح أن يكون عوضا فيكون عمله في الدنيا الذي هو الحضور مع الله في قوله اعبد الله كأنك تراه فيكون هذا العمل جزاؤه عند الله رؤيته و هي أرفع المنازل فهي للحاضر هنا في عمله جزاء و هي لغير الحاضر زيادة و منة فهو عند هذا ليس عوضا و هو عند الآخر عوض فيكون الحضور في الدنيا من الجود المطلق من عين المنة و تكون الرؤية من الجود المقيد جزاء بما أوجبه على نفسه فمن جوده شهدت جوده فما خرج عنه شيء و لا أوجب مخلوق عليه شيئا لا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ فإذا أعطى العبد ابتداء لغيره لا جزاء يستحقه ذلك الغير فيكون هذا المعطي لأجل ذلك الاستحقاق تحت قيد الحق فيكون عطاه مثل هذا لا عن استحقاق لا يطلب بذلك إلا وجه الله سواء طلبه بنيته أو لم يطلبه فإن حالة العطاء المبتدأ يعطي ذلك فإنه اتصف فيه بصفة الحق من الجود المطلق حيث لم يكن عطاؤه جزاء و لما كان حاله هذا فكما إن الله تعالى يطلب الجزاء على ما امتن به من النعم على عباده و هو الشكر عليها و معرفة النعم منه و يجازي هو على ذلك الشكر و على تلك المعرفة كذلك يعطى هذا العبد المنعم على غيره ابتداء إطلاق لسان المنعم عليه بالشكر و الثناء عليه ثم يتولى الله جزاءه به لا بالجنة حتى اتصف بهذا العطاء بصفته تعالى فهذا قد أبنت محتملات ما يتضمنه هذا المنزل وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثالث و التسعون و مائتان في معرفة منزل سبب وجود عالم الشهادة و سبب ظهور عالم الغيب من الحضرة الموسوية»

إذا ما الشمس كان لها شعاع   فذاك النور من قبلي أتاها
إذا ما الموت حل بكل نفس   فذاك الموت من رب براها
إذا ما جنة المأوى تجلت   مزينة إلينا في حلاها

نعمنا بالرياح لما حوته | من الطيب المسك في شذاها
و إن طمست نجوم في سماء | فذاك الطمس أورثها زهاها
و إن دخلت نفوس في نفوس | فإن دخولها فيها مناها
و عمار القفار لها شرود | من الصيد الذي يفنى ذماها
و لو أن الرسول يرى نفوسا | ترد رسالتيه لما أتاها
و لو عرضت عليه الحجب عما | يجيء به المنازع ما أباها
و لو أن الجواري سابحات | إلى أمد لحقق منتهاها
و لو أن الليالي مرسلات | غدائرها لما شقوا دجاها
و لو أن الصباح يرى وجوها | منورة الجوانب من ضحاها
لأخجله و مات بها عزاما | و هيمه و تيمه هواها
و لو أن الهلال يكون بدرا | لأربعة و عشر ما تلاها
و لو أن البحار تكون ماء | فراتا لم يلذ به سواها
و لو أن الأراضي ذات سطح | لما قال المهيمن قد دحاها
و أظهر فبه زينة كل شيء | و أخفى حكمة فيه ثراها
و لو أن الديار بها أنيس | لكان أنيسها رب بناها
و لكن لا يصح الأنس عندي | بذات ما لها صفة تراها
و لو أن العوالي في سفال | لكان سفالها أعلى ذراها
و لو أن الرواسي شامخات | لكان شموخها ممن علاها
و لكن الشموخ لها مقام | به رب البرية قد حباها
و لو أن الصحيفة قيدت من | يقيدها لري و قد محاها
و لو أن الجحيم تكون نارا | بلا برد مشيت على هواها

و لكن العذاب وجود ضد		تراه النفس ذوقا في جناها
و لو أن المحبة ذات شخص		لا ضعف شوقها منها قواها
و لو نظر المشرع حين تخلو		بمن تهواه شرعا ما نهاها
و لو أن السماء بلا نجوم		لنورها قليل من سناها
و لو أن الرياح جرت رخاء		لزعزعها و أفقدها رخاها
و لو أن المياه تغور غورا		لاحيا العالمين ندا يداها
و لو أن السحاب حمت حياها		عن الكفار أغناهم حياها
و لو أن الجبال تسير سيرا		لكان سماؤها منها ثراها
و لو أن العيون ترى سناها		بلا حجب لحل بها عماها
و لو أن الملوك تراك عينا		إذا أقبلتم حلت حباها
و لو نطق الكتاب بكل حمد		على أحد من الدنيا عناها
و لو أن المغير يغير صبحا		عليها في الفلاة لما سباها
و يثبت في مواقف مهلكات		لقوتها إذا أمر دهاها
لقد أقسمت بالسبع المثاني		و من سور الحروف بعين طاها
لقد أبصرت عين الشمس تخفى		عن الأبصار إذ تعطي نداها
فتبصر جوها يبدي سحابا		و تبصر أرضها تزهو رباها
و تظهر حسنها لعمي عيون		و يخفى طرفها عنا عناها
و لما قيل قد رحلت و غابت		و قد تركت خليفتها أخاها
أجبت رسولها لما أتاني		ليسأل أن تكلمني شفاها
فقلت الستر أولى بي لأني		رأيت فناء عيني في فناها
فما رحلت لبغض كان منها		و لكن كان عن حاد حداها

إجابته لأمر و اعتناء   به جود المهيمن قد حذاها
فصار الكل مفتقرا إليها   و صار الكون يرغب في حداها
فكم من حفرة قد كنت فيها   و لولاها لملت على شفاها
لعلة شهوة لو أن عيسى   تؤيده الأساة لما شفاها
و كم من طعمة أكلت بحرص   لشهوتها و لم تبلغ أناها
و كم من شهوة نظرت إلينا   و نلناها عصمنا من أذاها
و لم تك نفسنا يوما نوتها   و كان العقل قد أخفى نواها
مخافة أن تطالبه نفوس   بها و العقل يحذر من جفاها
و لا خطرت له يوما ببال   و لا حكمت عليه و لا نواها
و لكن الشريعة أثبتتها   إلى أهل السعادة في خساها
فنالوها و لم تعقب حجابا   و صانهم المهيمن عن زكاها

اعلم أيدنا الله و إياك أن هذه القصيدة و كل قصيدة في أول كل باب من هذا الكتاب ليس المقصود منها إجمال ما يأتي مفصلا في نثر الباب و الكلام عليه بل الشعر في نفسه من جملة شرح ذلك الباب فلا يتكرر في الكلام الذي يأتي بعد الشعر فلينظر الشعر في شرح الباب كما ينظر النثر من الكلام عليه ففي الشعر من مسائل ذلك الباب ما ليس في الكلام عليه بطريق النثر و هي مسائل مفردات تستقل كل مسألة في الغالب بنفسها إلا أن يكون بين المسألتين رابط فيطلب بعضها بعضا كالإنسان فإنه يطلب الكلام في الحيوان بما فيه من الإحساس و يطلب النبات بما فيه من النمو و الغذاء و يطلب الجماد بما فيه مما لا يحس كالأظفار و الشعر فيتعلق بالنبات لنموها و يتعلق بالجماد لعدم إحساسها و ما في الوجود شيء أصلا لا يكون بينه و بين شيء آخر ارتباط أصلا حتى بين الرب و المربوب فإن المخلوق يطلب الخالق و الخالق يطلب المخلوق و لذا كان العلم من العالم على صورة المعلوم و خرج المعلوم على صورة العلم و إن لم يكن كذلك فمن أين يقع التعلق فلا تصح المنافرة من جميع الوجوه أصلا فلا بد أن تتداخل المسائل للارتباط الذاتي الذي في الوجود بين الأشياء كلها فافهم ما أشرت به إليك في هذا الارتباط فإنه ينبئ عن أمر عظيم إن لم تتحققه زلت بك قدم الغرور في مهواة من التلف فإنه من هنا تعرف ما معنى قول من قال بحدوث العالم و من قال بقدم العالم مع الإجماع من الطائفتين بأنه ممكن و إن كل جزء منه حادث و ليس له مرتبة واجب

الوجود بنفسه و إنما هو عند بعضهم واجب الوجود بغيره إما لذات الموجد عند بعضهم و إما لسبق العلم بوجوده عند آخرين و لو لا صحة الارتباط الذي أشرنا إليه لما صح أن يكون العالم أصلا و هو كائن فالارتباط كائن و المنافرة و عدم المنافرة من وجه آخر فكل حقيقة إلهية لها حكم في العالم ليس للأخرى و هي نسب فنسبة العالم إلى حقيقة العلم غير نسبته إلى حقيقة القدرة فحكم العلم فيه لا مناسبة بينه و بين المقدور و إنما مناسبته بينه و بين المعلوم و الأمر من كونه معلوما يغاير كونه مقدورا فإذا نظرته على هذا النسق قلت لا مناسبة بين الله و بين عباده و إذا نظرت بالعين الأخرى أثبت النسبة فإنها موجودة في الكل فاحكم بحسب ما تراه و ما يغلب عليك في الوقت و إذا تبينت الحقائق لذي عينين فليقل ما حد له الشرع أن يقول و لا يقل بعقله فإن إطلاق الألفاظ منها ما هو محجور علينا مع صحة المعنى و منها ما هو مباح لنا مطلقا مع فساد المعنى طلاق نسبة الظرفية لمن لا يقبل الظرفية و كنسبة استفادة العلم لمن لا يستفيد علما فالإطلاق مشروع و الوجه المنافي معقول كما حجر إطلاق نسبة الولد و أدخله تحت حكم لو و كما حجر تبديل القول الإلهي في قوله ما يبدل القول لدي و أدخله تحت لو و لا يدخل تحت لو إلا الممكن و العقل يدل على الإحالة في الولد دلالة عقلية و يدل على الإمكان في هداية الناس أجمعين دلالة عقلية و يدل على إحالة هداية الناس أجمعين لما سبق في العلم من الاختلاف دلالة عقلية و تدل لفظة لو على أنه مخير في نفسه إن شاء شاء أمرا ما و إن شاء لم يشأ ذلك الأمر و هذا ورد به الإخبار الإلهي و يحيله العقل و قد أمرنا الله بالعلم به و جعل الآيات دلائل لأولي الألباب و لكن لما هي دلائل عليه خاصة فلا يخلو الأمر في أمره إيانا بالعلم به هل نسلك في ذلك دلالة الشارع و الوقوف عند إخباره تقليدا أو نسلك طريقة النظر فيكون معقولا أو نأخذه من دلالة العقل ما يثبت به عندنا كونه إلها و نأخذ من دلالة الشرع ما نضيفه إلى هذا الإله من الأسماء و الأحكام فنكون مأمورين في العلم به سبحانه شرعا و عقلا و هو الصحيح فإن الشرع لا يثبت إلا بالعقل و لو لم يكن كذلك لقال كل أحد في الحق ما شاء مما تحيله العقول و ما لا تحيله و هم قد فعلوا ذلك مع الايمان بالشرع و دخلوا بالتأويل في أمور لا حاجة لهم بها و لو استغنوا عنها لم يطالبهم العقل بذلك و لا سألهم الشرع عن ترك ذلك بل يسألهم الشرع عن فعل ذلك و هم فيه على خطر و لا حجة على ساكت إلا إذا وجب عليه الكلام فيما سكت فيه و قد اندرج في هذا الكلام جميع ما ذكرناه في القصيدة التي في أول الباب فإنه جميع ما عدد فيها من الأمور تطلب حقائق إلهية تستند إليها و تنافر حقائق إلهية فمما يتضمن هذا المنزل تجلى الحجاب بين كشفين و تجلى الكشف بين حجابين و ما في المنازل منزل يتضمن هذا الضرب من التجلي إلا هذا المنزل فإن التجلي المنفرد في المظهر من غير بينية يعطي ما لا يعطيه في البينية و التجلي المفرد الذاتي في غير المظهر يعطي ما لا يعطيه في البينية و هذا التجلي الواقع في البينية يعطي الحصر بين أمرين و كل محصور محدود بمن حصره و هذا أعجب المعارف في هذا الطريق أن

يكون التجلي الذاتي الذي له الإطلاق محصورا فهو كما يقال عن القاعد في حال قعوده إنه قائم فظاهر الأمر أنه لا يتصور فسبحان من تنزه عن الأضداد و قبلتها أوصافه قال صلى الله عليه و سلم ترون ربكم كما ترون الشمس بالظهيرة فإن كان أراد النهار بهذا اللفظ فقد عم التجليات الذاتية و إن اختلفت في حكم التجلي كاختلاف صفة تنزيهه باسمه الغني عن الفقر و صفة تنزيهه بالأحدية عن الشريك بقوله وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ كذلك التجليات الذاتية البصرية مثل هذه التجليات الذاتية العقلية و إن كان أراد بالظهيرة وقتا معينا في النهار و هو الأظهر في المعنى المحقق و اللفظ و عليه أولى أن يحمل هذا القول فإن النهار كله تجل ذاتي لأن الشمس فيه ظاهرة بذاتها فإن النهار جلاها للابصار و إن كان النهار معلولا عنها فظهرت بذاتها من أول شروقها إلى حال غروبها و لها تجل و حكم في كل دقيقة يعرفها من يعرفها و يجهلها من يجهلها و الذي يعرف الكل من ذلك ما امتد زمانه فيفرقون ما بين حكمها في طلوعها و شروقها و حكمها في إشراقها و حكمها في ضحاها و حكمها في زوالها و هو أول غشيها و حكمها في عصرها و حكمها في قبض ضوئها و قلة سلطانه عما كان عليه فيما يقابله من أول النهار و صدره و حكمها عند سقوطها و لكل تجل و إن كان ذاتيا حكم ليس للآخر فما عدا الطرفين فهو تجل ذاتي بين تجليين ذاتيين إلا الطرفين فهو تجل ذاتي عقيب تجل حجابي و الطرف الآخر تجل ذاتي يعقبه تجل حجابي فهو تجل ذاتي بين تجل ذاتي و حجابي و قد رمينا بك على الطريق فافهم من حالات تغير الأحكام الشمسية في هذه الآنات و وقوع التشبيه منها في آن معين و هو الظهيرة و حالة الصحو و عدم السحاب بينها و بين الرائي و خذ أنت في الآنات الباقية آثار التجلي الذاتي فاعلم إن النور المنبسط على الأرض الذي هو من شعاع الشمس الساري في الهواء ليس له حقيقة وجودية إلا بنور البصر المدرك لذلك فإذا اجتمعت العينان عين الشمس و عين البصر استنارت المبصرات و قيل قد انبسط الشمس عليها و لذلك يزول ذلك الإشراق بوجود السحاب الحائل لأن العين فارقت هذه العين الأخرى بوجود السحاب و هي مسألة في غاية الغموض لأني أقول لو أن الشمس في جو السماء و ما في العالم عين تبصر من حيوان ما كان لها شعاع منبسط في الأرض أصلا فإن نور كل مخلوق مقصور على ذاته لا يستنير به غيره فوجود أبصارنا و وجود الشمس معا أظهر النور المنبسط ألا ترى الألوان تنقلب في الجسم الواحد المتلون بالخضرة مثلا أو الحمرة إذا اختلفت منك كيفيات النظر إليه من الاستقامات و الانحرافات كيف يعطيك ألوانا مختلفة محسوسة تدركها ببصرك لا وجود لها في الجسم المنظور إليه في الشمس و لا تقدر تنكر ذلك و لا سيما إذا كان الجسم المنظور إليه في الشمس فقد أدركت ما لا وجود له حقيقة بل نسبة كذلك النور المنبسط على الأرض و كتقلب الحرباء في لون ما تكون عليه من الأجسام على التدريج شيئا بعد شيء ما هي مثل المرآة تقبل الصورة بسرعة و لا هي جسم صقيل و إدراك تقلبها في الألوان محسوس مع علمك بأن تلك الألوان لا وجود لها في

ذلك الجسم الذي أنت ناظر إليه و لا في أعيانها في علمك كذلك العالم مدرك لله في حال عدمه فهو معدوم العين مدرك لله يراه فيوجده لنفوذ الاقتدار الإلهي فيه ففيض الوجود العيني إنما وقع على تلك المرئيات لله في حال عدمها فمن نظر إلى وجود تعلق رؤية العالم في حال عدمه و إنها رؤية حقيقية لا شك فيها و هو المسمى بالعالم و لا يتصف الحق بأنه لم يكن يراه ثم رآه بل لم يزل يراه فمن قال بالقدم فمن هنا قال و من نظر إلى وجود العالم في عينه لنفسه و لم يكن له هذه الحالة في حال رؤية الحق إياه قال بحدوثه و من هنا تعلم أن علة رؤية الرائي الأشياء ليس هو لكونها موجودة كما ذهب إليه من ذهب من الأشاعرة و إنما وجه الحق في ذلك إنما هو استعداد المرئي لأن يرى سواء كان موجودا أو معدوما فإن الرؤية تتعلق به و أما غير الأشاعرة من المعتزلة فإنها اشترطت في الرؤية البصرية أمورا زائدة على هذا تابعة للوجود و لهذا صرفت الرؤية إلى العلم خاصة فأما تجلى الذات بين تجليين حجابيين فلا بد أن يظهر في ذلك التجلي الذاتي من صور الحجابين أمر للرائي فيكون ذلك التجلي له كالمرآة يقابل بها صورتين فيرى الحجابين بنور ذلك التجلي الذاتي في مرآة الذات كما تشهد الفقر في حال تنزيهك الحق عنه سبحانه الغني الحميد و إن لم يكن الأمر كذلك فكيف تنزهه عما ليس بمشهود لك عقلا فهكذا صورة الحجاب في الذات عند التجلي و أوضح من هذا فلا يمكن فإذا أدرك العارف صورة هذين الحجابين أو صورة الحجاب و التجلي الذاتي الذي هذا التجلي الذاتي الآخر بينهما أو أدرك التجليين الذاتيين في مجلى الحجاب الواقع بينهما فليكن ذكره و عمله بحسب ما تعطيه تلك الصورتان في ذلك المجلى و العلة في أنه لا يدرك أبدا في التجلي أي تجل كان إلا صورتين لا بد منهما لكون الواحد يستحيل أن يشهد في أحديته و لما كان الإنسان لا تصح له الأحدية و هو في الرتبة الثانية من الوجود فله الشفعية لهذا لا يشاهد في التجلي إلا الصورتين الذي هو المجلى بينهما فلا يرى الرائي من الحق أبدا حيث رآه إلا نفسه فهذا التجلي يعرفك بنفسك و بنفسه فإن كان التجلي بين حجابين كانت الصورتان عملا إن كان في الدنيا فيكون عمل تكليف مشروع و إن كان في الآخرة فيكون عمل نعيم في منكوح أو ملبوس أو مأكول أو مشروب أو تفرج بحديث أو كل ذلك أو ما أشبه ذلك بحسب الحجاب و لهذا إذا رجع الناس من التجلي في الدار الآخرة يرجعون بتلك الصورة و يرون ملكهم بتلك الصورة و بها يقع النعيم و يظهر أن النعيم متعلقة الأشياء و ليس كذلك و إنما متعلق النعيم وجود الأشياء أو إدراكها على تلك الصور الحجابية التي أدركها في المجلى الذاتي و إن كان التجلي تجليا حجابيا بين تجليين ذاتيين كتجلي القمر بين الضحى و الظهيرة و تجلى الليل بين نهارين كانت الصورتان في ذلك المجلى الحجابي علما لا عملا و لكن من علوم التنزيه فتتحلى به النفس و تنعم به النعيم المعنوي و تلك جنتها المناسبة لها فافهم و إن كان التجلي الذاتي بين تجل حجابي و ذاتي كانت الصورتان صورة علم لا صورة عمل فالتجلي الذاتي في الذاتي صورة علم تنزيه لا غير و صورة التجلي الحجابي فيه صورة علم تشبيه

و هو تخلق العبد بالأسماء الإلهية و ظهوره في ملكه بالصفات الربانية و في هذا المقام يكون المخلوق خالقا و يظهر بأحكام جميع الأسماء الإلهية و هذه مرتبة الخلافة و النيابة عن الحق في الملك و به يكون التحكم له في الموجودات بالفعل بالهمة و المباشرة و القول فأما الهمة فإنه يريد الشيء فيتمثل المراد بين يديه على ما أراده من غير زيادة و لا نقصان و أما القول فإنه يقول لما أراده كُنْ فَيَكُونُ ذلك المراد أو يباشره بنفسه إن كان عملا كمباشرة عيسى الطين في خلق الطائر و تصويره طائرا و هو قوله لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ فللإنسان في كل حضرة إلهية نصيب لمن عقل و عرف و إن كان التجلي الحجابي بين تجل حجابي و ذاتي فالتجلي الحجابي في الحجابي علم ارتباطه بالحق من حيث ما هو دليل عليه و كونه سببا عنه و أنه على صورته و نسبة الشبه به و أما صورة التجلي الذاتي في الحجابي فهو علم تجلى الحق في صفات المخلوق من الفرح و التعجب و التبشبش و اليد و القدم و العين و الناجذ و اليدين و القبضة و اليمين و القسم للمخلوق بالمخلوقين و بنفسه و اتصافه بحجب النور و الظلم و بحصر سبحانه المحرقة خلف تلك الحجب النورية و الظلمية و قد حصرت لك مقام التجليات في أربع و ليس ثم غيرها أصلا و لما أعطت الحقيقة في التجليات الإلهية إنها لا تكون إلا في هذه الأربع في العالم كانت الموجودات كلها على التربيع في أصلها الذي ترجع إليه فكل موجود لا بد أن يكون في علمه علم تنزيه أو علم تشبيه و في عمله إما في عمل صناعي أو عمل فكري روحاني و لا تخلو من هذه الأربعة الأقسام و كذا الطبيعة أعطت بذاتها لحكم هذه التجليات فإن الموجودات إنما خرجت على صورة هذه التجليات فكانت الحرارة و البرودة و اليبوسة و الرطوبة و هي في كل جسم بكمالها غير أنه قد تكون في الجسم على التساوي في القوة و هو سبب بقاء ذلك الجسم و قد لا تكون في الجسم على السواء في القوة فتكون العلل لذلك الجسم مستصحبة و حالات الأمراض تنقلب عليه بحسب غلبة بعضها على بعض فإن أفرطت كان الموت و إفراطها منها فإن السبب الموجب لإفراطها إنما وقع منها بمأكول يأكله الإنسان أو الحيوان فما يكون الغالب في ذلك المأكول أو المباشر يزيد في كمية ما يناسبه من الجسم إن كان حارا قوي الحرارة و إن كان باردا قوي البرودة و كذلك ما بقي ثم إنه لما ألف بين هذه الأربعة لم يظهر إلا أربعا و لا قبلت إلا أربعة وجوه فإن حقائق تلك التجليات الأربعة أعطت أن لا تأتلف من هذه الأربع إلا وزنها في العدد و لهذا كانت منها المنافرة من جميع الوجوه و المناسبة كما ذكرناه في الإلهيات في أول هذا الباب و تلك الحقيقة الإلهية حكمت على العالم أن يكون بتلك المثابة إذ كان المعلوم على صورة العلم و علمه ذاته فافهم فالمنافرة كالحرارة و البرودة و كذلك الرطوبة و اليبوسة فلذلك لا تجتمع الحرارة و البرودة و لا الرطوبة و اليبوسة في حكم أبدا و أوجد الله العناصر أربعة عن تأليف هذه الطبائع فكان النار عن الحرارة و اليبوسة ثم لم يجعل ما يليه ما ينافره من جميع الوجوه بل جعل إليه ما يناسبه من وجه و إن فارقه من وجه فكان الهواء له جارا بما يناسبه من الحرارة و إن نافره

بالرطوبة فإن للوساطة أثرا و حكما لجمعها بين الطرفين فقويت على المنافرة لهما فالهواء حار رطب فبما هو حار يستحيل إلى النار بالمناسب و غلب الوساطة و بما هو رطب يستحيل إلى الماء بالمناسب ثم جاور الهواء من الطرف الأسفل الماء فقبل الهواء جوار النار للحرارة و قبل جوار الماء للرطوبة و إن نافره بالبرودة كما نافره الهواء بالحرارة و كذلك جاور بين التراب و بين الماء للبرودة الجامعة لمجاورتهما فما ظهر عنها إلا أربعة لذلك الأصل و كذلك الجسم الحيواني المولد جعل أثر النار فيه الصفراء و أثر الهواء الدم و أثر الماء البلغم و أثر التراب السوداء فركب الجسم على أربع طبائع و كذلك القوي الأربعة الجاذبة و الماسكة و الهاضمة و الدافعة و كذلك قرن السعادة و الشقاء بالأربعة باليمين و الشمال و الخلف و الأمام لأن الفوقية لا يمشي الجسم فيها بطبعه و التحتية لا يمشي فيها الروح بطبعه و الإنسان و الحيوان مركب منهما فما جعلت سعادته و شقاوته إلا فيما يقبله طبعه في روحه و جسمه و هي الجهات الأربع و بها خوطب و منها دخل عليه إبليس فقال ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ من بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمن خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمانِهِمْ وَعَنْ شَمائِلِهِمْ و لم يقل من فوقهم و لا من تحتهم لما ذكرناه فإبليس ما جاءه إلا من الجهات التي تؤثر في سعادته إن سمع منه و قبل ما يدعوه إليه و في شقاوته إن لم يسمع منه و لم يقبل ما دعاه إليه فسبحان العليم الحكيم مرتب الأشياء مراتبها و هكذا فعل العالم الجسماني العلوي فجعل البروج التي جعل الأحكام عنها في العالم على أربع نارية و ترابية و هوائية و مائية و كذلك جعل أمهات المطالب أربعة هل و ما و لم و كيف و كذلك أمهات الأسماء المؤثرة في العالم و هو العالم و المريد و القادر و القائل فعلمه بكونه يكون في وقت كذا على حالة كذا دون ذلك لا يمكن فهذا العلم علق الإرادة بتعين ذلك الحال فالقائل علق القدرة بإيجاد تلك العين فعلم فأراد و قال فقدر فظهرت الأعيان عن هذه الأربعة فالحرارة للعلم و اليبوسة للإرادة و البرودة للقول و الرطوبة للقدرة فللحرارة التسخين و لليبوسة التجفيف و للرطوبة التليين و للبرودة التبريد قال تعالى و لا رطب و لا يابس فذكر المنفعلين دون الفاعلين لدلالتهما على من كانا منفعلين عنهما و هما الحرارة انفعل عنها اليبوسة و كذلك البرودة انفعل عنها الرطوبة فانظر ما أعطته هذه التجليات بحصرها فيما ذكرناه و كذلك العالم سعيد مطلق و شقي مطلق و شقي ينتقل إلى سعادة و سعيد ينتقل إلى شقاوة فانحصرت الحالات في أربع و منه الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْباطِنُ و ما ثم خامس و هذه نعوت نسبته مع العالم و مراتب العدد أربعة لا خامس لها و هي الآحاد و العشرات و المئات و الآلاف ثم يقع التركيب و تركيبها كتركيب الطبائع لوجود الأركان سواء و اعلم يا أخي أنه ليلة تقييدي لبقية هذا المنزل من بركاته رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم و قد استلقى على ظهره و هو يقول ينبغي للعبد أن يرى عظمة الله في كل شيء حتى في المسح على الخفين و لباس القفازين و كنت أرى في رجليه صلى الله عليه و سلم نعلين أسودين جديدين و في يديه قفازين و كأنه يشير إلي مسرورا بما وضعته في هذا المنزل من العلم بما يستحقه جلال الله ثم يقول

ما دام البدر طالعا فالنفوس في البساتين نائمة و في جواسقها آمنة فإذا كان الظلام و لم يطلع البدر خيف من اللصوص فينبغي إن يدخل الإنسان المدينة حذرا من اللصوص فكنت أفهم عنه من هذا الكلام أنه يريد أن النفوس إذا كان شهود الحق غالبا عليها محققة به و فيه عند من يدخل بساتين معرفة الله و الكلام في جلاله على ضروبه و كثرة فنونه فشبه الحق بالبدر و شبه ما تحويه البساتين من ضروب الفواكه بما تحوي عليه الحضرة الإلهية من معارف الأسماء الإلهية و صفات الجلال و التعظيم و فهمت منه في المنام من قوله إذا غاب البدر و ذلك شهود الحق في الأشياء و الحضور معه و النية الخالصة فيه كان ظلام الجهل و الغفلة عن الله و الخطاء و خيف من اللصوص يريد الشبه المضلة الطارئة لأصحاب النظر الفكري و أصحاب الكشف الصوري فذكر ذلك خوفا على النفوس إذا اشتدت في الكلام على ما يستحقه جناب الحق فليدخل المدينة يريد فليتحصن من ذلك بالشرع الظاهر و ليلزم الجماعة و هم أهل البلد فإن يد الله مع الجماعة ثم رأيته صلى الله عليه و سلم يتقلق قلقا عظيما بجميع أعضائه لعظيم ما هو فيه من السرور بما يتضمنه هذا المنزل من المعرفة و كانتا في الليل و البدر طالع حتى كان منه في النهار أرى البدر يضيء في كبد السماء و قائل يقول لم ير رسول الله صلى الله عليه و سلم في قلق عظيم لما يرد عليه من الله و يشهده و استيقظت فقيدت الرؤيا في هذا المنزل و استبشرت بما رأيته لله الحمد على ذلك و يتضمن هذا المنزل علوما جمة و ما من منزل إلا و يحتمل ما يحوي عليه من المعارف مجلدات كثيرة فقلت لأصحابى في هذه الليلة إنما أجعل من المنزل بعض ما يحوي عليه من المعارف مسألة من مسائله فسألني بعض أصحابي قال إذا كان الأمر على هذا فنبهنا على عدد ما يحويه من المسائل بذكر رءوس أصولها خاصة لنعرفها من غير تفصيل مخافة التطويل فقلت إن شاء الله ربما أفعل ذلك فبما بقي علينا من هذه المنازل في هذا الكتاب فكانت على هذه الليلة ليلة مباركة فاعلم إن هذا المنزل يتضمن علم التجلي في النجوم على كثرتها في كل نجم منها في آن واحد برؤية واحدة و علم تداخل التجليات و علم تجلى التابع و المتبوع و هل يحصل للتابع ذوق من تجلى المتبوع أم لا فإن المتبوع إنما جاء يدعو إلى الله ما جاء يدعو إلى نفسه فقال تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللهِ و قال أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي فجعل للتابع نصيبا في الدعاء إلى الله فكل علم يستقل به الإنسان من كونه عاقلا لا يحتاج فيه إلى غيره من رسول و لا دل عليه كالعلم بتوحيد الله و ما يجب له و كذلك ما يحصل له من الفيض الإلهي في الكشف في خلواته و طهارة نفسه بمكارم الأخلاق فمثل هذا يكون له من التجلي مثل ما للمتبوع لأنه ليس بتابع إنما هو ذو بصيرة إما لدليل عقل سار أو لكشف محقق هو فيه مثل المتبوع و كل إنسان ما له هذا المقام و كان الذي عنده من العلم بالله أخذه إيمانا من المتبوع و مشى عليه و يكون ذلك العلم مما لا يمكن أن يحصل إلا على طريقة الرسول صلى الله عليه و سلم و هو علم التقرب إلى الله

من كونه قربة لا من كونه علما و كذلك الأعمال البدنية و القلبية على طريق القربة لا تعلم إلا من المتبوع فإذا كان التجلي في هذا المقام لصاحب هذا العلم فلا يلحق فيه التابع المتبوع أبدا فهو للمتبوع تجل شمسي و هو للتابع تجل قمري و نجومي فاعلم ذلك و مما يتضمنه هذا المنزل تجلى الحق لأهل الشقاء في غير الاسم الرب مع أن الله ما جعل الحجاب إلا في يومئذ مخصوصا و في اسم الرب المضاف إليهم لا في إطلاق الاسم فهم في الحجاب في زمان مختص من اسم مضاف خاص بهم فلا يمنع تجليه في هذا الاسم الخاص لهم في غير ذلك الزمان و في اسم الرب المطلق و في غيره من الأسماء قال تعالى كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ فأضافه إليهم يومئذ لَمَحْجُوبُونَ فجعله زمانا معينا فافهم و يتضمن هذا المنزل أنه ليس كل تجل يقع به النعيم و أن النعيم بالتجلي إنما يقع للمحبين المشتاقين الذين وفوا بشروط المحبة و يتضمن هذا المنزل بطون عالم الشهادة في الغيب فيرجع ما كان شهادة غيبا و ما كان غيبا شهادة و هكذا ذهب إليه بعض العارفين في نشأة الآخرة إن الأجسام تكون مبطونة في الأرواح و أن الأرواح تكون لها ظروفا ظاهرة بعكس ما هي في الدنيا فيكون الظاهر في الدار الآخرة و الحكم للروح لا للجسم و لهذا يتحولون في أية صورة شاءوا لغلبة الروحية عليهم و غيبية الجسم فيها كما هم اليوم عندنا الملائكة و عالم الأرواح يظهرون في أية صورة شاءوا و من منازل أصحاب الكشف الذين أنكروا حشر الأجسام فإنهم أبصروا في كشفهم الأمر الواقع في الدار الآخرة و رأوا أرواحا تتحول في الصور كما يريدون و غيب عنهم ما تحوي عليه تلك الأرواح من الجسمية كما غاب عنهم في هذه الدار في البشر الروحانية المبطونة في الأجسام فكانت الأجسام قبورا لها و في الآخرة بالعكس الأرواح قبور الأجسام فلهذا أنكروا ذلك و الكشف التام الذي فزنا به و أصحابنا هنا و في الآخرة إنا كشفنا الأرواح هنا و غلب الأجسام الطبيعية عليها في الصورة الظاهرة فلا يرى من الأرواح في ظاهر الأجسام إلا آثارها و لولا الموت و النوم ما عرف غير المكاشف إن ثم أمرا زائدا على ما يشاهده في الظاهر و مع وجود الموت و السكون و ظهور الجسم عريا عما كان له من الآثار ذهبت طائفة إلى هذا المذهب و هم الحشيشية فما رأت أن ثم خلف هذه الصورة الظاهرة شيئا أصلا فكيف بهؤلاء لو لم يكن موت في العالم و يتضمن هذا المنزل معرفة العالم العلوي و ترتيب صورته في تركيبه و إنه على خلاف ما يذكره أصحاب علم الهيئة و إن كان ما قالوه يعطيه الدليل و يجوز أن يكون الله يرتبه على ذلك و لكن ما فعل مع أنه يعطي هذا الترتيب ما يعطيه ما ذهب إليه أصحاب علم الهيئة و يتضمن علم ما أودع الله في العالم السفلي في ترتيبه من الأمور و يتضمن معرفة المكلفين و من أين كلفت و ما يحركهم و يتضمن علم القربات و يتضمن علم سبب قصم الجبابرة المتكبرين على الله و يتضمن إلحاق الحيوان بالإنسان في العلم بالله و يتضمن علم العواقب و ما آل كل عالم فقد ذكرت رءوس و مسائله وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الرابع و التسعون و مائتان في معرفة المنزل المحمدي المكي من الحضرة الموسوية»

حرم الله قلب كل نبي و كذا قيل قلب كل ولي
ورثوه و ورثوه بينهم في علوم و في مقام علي
فإذا ما نسبت للشرع علما فاطلب العلم في حروف الروي
و بحار لها معارف نور في شريف محقق و دني
و نبي مطهر و رسول و فقير ممردك و غني
و نعيم مرتب في علو و عذاب مقسم في ركي

اعلم أن هذا المنزل يتضمن علم مرتبة العالم عند الله بجملته و هل العدم له مرتبة عند الله يتعين تعظيمه من أجلها أم لا و هل من خلق من أهل الشقاء المغضوب عليه له مرتبة تعظيم عند الله أم لا و هل التعظيم الإلهي له أثر في المعظم بحيث أن يسعد به أم لا و ما سبب تعظيم الله العالم و هل لمن عظم العالم من الخلق صفة يعرف بها أم لا و ما الأسماء الإلهية التي تضاف إلى المخلوقين في مذهب من يقول ما أقسم الله قط إلا بنفسه لكن أضمره تارة و أظهره في موطن آخر ليعلم أنه مضمر فيما لم يذكر و جميع ما يتعلق بهذا الفن يتضمنه هذا المنزل إن ذكرناها على التفصيل طال الكلام و مما يتضمن هذا المنزل علم خلق الإنسان من العالم و هل الحيوان مشارك له في هذا الخلق أم هو خصيص به و لم خص بهذا الضرب من الخلق و إن كان يشاركه الحيوان فيه فلم عين الإنسان بالذكر وحده و لما ذا ذكرت لفظة الإنسان في القرآن حيثما ذكرت و نيط بذكرها إما الذم و إما الضعف و النقص و إن ذكر بمدح أعقبه الذم منوطا به فالذم كقوله إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ إِنَّ الْإِنْسانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ و الضعف و النقص مثل قوله خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ و قوله لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِي كَبَدٍ و الذم العاقب للمدح كقوله لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ هذا مدح ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ هذا ذم و يتضمن علم مال أصحاب الدعاوي التي تعطيها رعونة الأنفس و يتضمن تقرير النعم الحسية و المعنوية و يتضمن التخلق بالأسماء و يتضمن علم القوة التي أعطيها الإنسان و أن لها أثرا و في ذلك رد على الأشاعرة و تقوية للمعتزلة في إضافة الأفعال إلى المكلفين و يتضمن علم ما يقع فيه التعاون و يتضمن علم مال عرف الدليل و تركه لهوى نفسه فهذا جميع رءوس ما يتضمنه هذا المنزل من المسائل و هي تتشعب إلى ما لا يحصى كثرة إلا عن مشقة كبيرة فأما مرتبة العالم عند الله بجملته فاعلم إن الله تعالى ما خلق العالم لحاجة كانت له إليه و إنما خلقه دليلا على معرفته ليكمل بذلك ما نقص من مرتبة الوجود و مرتبة المعرفة فلم يرجع إليه سبحانه من خلقه وصف كمال لم يكن عليه بل له الكمال

على الإطلاق و لا أيضا كان العالم في خلقه مطلوبا لنفسه لأنه ما طرأ عليه من خلقه صفة كمال بل له النقص الكامل على الإطلاق سواء خلق أو لم يخلق بل كان المقصود ما ذكرناه مرتبة الوجود و مرتبة المعرفة أن تكمل بوجود العالم و ما خلق الله فيه من العلم بالله لما أعطاه التقسيم العقلي فإن وصف العالم بالتعظيم فمن حيث نصب دليلا على معرفة الله و أن به كملت مرتبة الوجود و مرتبة المعرفة و الدليل يشرف بشرف مدلوله و لما كان العلم و الوجود أمرين يوصف بهما الحق تعالى كان لهما الشرف التام فشرف العالم لدلالته على ما هو شريف فإن قال القائل كان يقع هذا بجوهر فرد يخلقه في العالم إن كان المقصود الدلالة قلنا صدقت و ذلك أردنا إلا أن لله تعالى نسبا و وجوها و حقائق لا نهاية لها و إن رجعت إلى عين واحدة فإن النسب لا تتصف بالوجود فيدخلها التناهي فلو كان كما أشرت إليه لكان الكمال للوجود و المعرفة بما يدل عليه ذلك المخلوق الواحد فلا يعرف من الحق إلا ما تعطيه تلك النسبة الخاصة و قد قلنا إن النسب لا تتناهى فخلق الممكنات لا تتناهى فالخلق على الدوام دنيا و آخرة فالمعرفة تحدث على الدوام دنيا و آخرة و لذا أمر بطلب الزيادة من العلم أ تراه أمره بطلب الزيادة من العلم بالأكوان لا و الله ما أمر إلا بالزيادة من العلم بالله بالنظر فيما يحدثه من الكون فيعطيه ذلك الكون عن أية نسبة إلهية ظهر و لهذا نبه صلى الله عليه و سلم القلوب بقوله في دعائه اللهم إني أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم غيبك و الأسماء نسب إلهية و الغيب لا نهاية له فلا بد من الخلق على الدوام و العالم من المخلوقين لا بد أن يكون علمه متناهيا في كل حال أو زمان و أن يكون قابلا في كل نفس لعلم ليس عنده محدث متعلق بالله أو بمخلوق يدل على الله ذلك العلم فافهم فإن قال القائل فالأجناس محصورة بما دل عليه العقل في تقسيمه و كل ما يخلق مما لا يتناهى داخل في هذا التقسيم العقلي إذ هو تقسيم دخل فيه وجود الحق قلنا التقسيم صحيح في العقل و ما تعطيه قوته كما أنه لو قسم البصر المبصرات لقسمها بما تعطيه قوته و كذلك السمع و جميع كل قوة تعطي بحسبها و لكن ما يدل ذلك على حصر المخلوقات فإنها قسمت على قدر ما تعطي قوتها و ما من قوة تعطي أمرا و تحصر القسمة فيه إلا و يخرج عن قسمتها ما لا تعطيه قوتها فقوة السمع تقسم المسموعات و متعلقها الكلام و الأصوات لا غير فقد خرج عنها المبصرات كلها و المطعومات و المشمومات و الملموسات و غيرها و كذلك أيضا العقل لما أعطى بقوته ما أعطى لم يدل ذلك على أنه ما ثم أمور إلهية لا تعطي العلم بتفاصيلها و حقائقها قوة العقل و إن دخلت في تقسيمه من وجه فقد خرجت عنه من وجوه و جائز أن يخلق الله في عبده قوة أخرى تعطي ما لا تعطيه قوة العقل فيرد المحال واجبا و الواجب محالا و الجائز كذلك فمن جهل ما تقتضيه الحضرة الإلهية من السعة بعدم التكرار في الخلق و التجليات لم يقل مثل هذا القول و لا اعترض بمثل هذا الاعتراض فإن قال لا بد أن يكون ما خلق تحت حكم العقل و داخلا في تقسيمه إما تحت قسمة النفي أو الإثبات قلنا صدقت ما

تمنع أن يكون ما يعلم مما كان لا يعلم إما في قسم النفي أو الإثبات و لكن ما يدخل تحت ذلك النفي أو الإثبات هل يعطي ما يعطي النفي من العلم أو يعطي ما يعطي الإثبات من العلم أو يعطي أمرا آخر فإن النفي قد أعطى من العلم بالله ما أعطى من حيث ما هو نفي لا من حيث ما هو تحت دلالته من المنفيات التي لا نهاية لها و إن الإثبات قد أعطى من العلم بالله ما أعطى من حيث ما هو إثبات لا من حيث ما تحت دلالته من المثبتين فإذا الإيجاد مستمر و العلم فينا يحدث بحدوث الإيجاد و المعلوم الذي تعلق به العلم من ذلك الدليل الخاص ليس هو المعلوم الآخر فهو معلوم لله لا للعالم فكملت مرتبة ذلك العلم بوجوده في هذا العالم الكوني و كملت مرتبة الوجود الخاص بهذا الموجود بظهور عينه و الذي يعطيه كل موجود من العلم الذوقي لا يعطيه الآخر و لقد يجد الإنسان من نفسه تفرقة ذوقية في أكله تفاحة واحدة في كل عضة يعض منها إلى أن يفرغ من أكلها ذوقا لا يجده إلا في تلك العضة خاصة و التفاحة واحدة و يجد فرقانا حسيا في كل أكلة منها و إن لم يقدر يترجم عنها و من تحقق ما ذكرناه يعلم أن الأمر خارج عن طور كل قوة موجودة كانت تلك القوة عقلا أو غيره فسبحان من تعلق علمه بما لا يتناهى من المعلومات لا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ قال تعالى وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِما شاءَ و قد بين لك في هذه الآية أن العقل و غيره ما أعطاه الله من العلم إلا ما شاء وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً و لذا قال وَعَنَتِ الْوُجُوهُ عقيب قوله وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً أي إذا عرفوا أنهم لا يحيطون به علما خضعوا و ذلوا و طلبوا الزيادة من العلم فيما لا علم لهم به منه و الوجوه هنا أعيان الذوات و حقائق الموجودات إذ وجه كل شيء ذاته و كل ما خلق الله من العالم فإنما خلقه الله على كماله في نفسه فذلك الكمال وجهه قال تعالى أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ فقد أكمله ثُمَّ هَدى فأعطى الهدى أيضا الذي هو البيان هنا خلقه فأبان الأمر بعبيده على أكمل وجوهه عقلا و شرعا ما أبهم و لا رمز و لا لغز إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ و لو لا البيان ما فصل بين المتشابه و المحكم ليعلم أن المتشابه لا يعلمه إلا الله و المحكم يتعلق به علمنا فلو لم ينزل المتشابه لنعلم أنه متشابه لكوننا نرى فيه وجها يشبه أن يكون وصفا للمخلوق و يشبه أن يكون وصفا للخالق فلا يعلم معنى ذلك المتشابه إلا الله فلو لم ينزل المتشابه لم يعلم أن ثم في علم الله ما يكون متشابها و هذا غاية البيان حيث أبان لنا أن ثم ما يعلم و ثم ما لا يعلمه إلا الله و قد يمكن أن يعلمه الله من يشاء من خلقه بأي وجه شاء أن يعلمه و مما يتضمن هذا المنزل العلم بالأقسام الإلهية التي وردت في الشرائع المتقدمة و المتأخرة لما أقسم و إذا أقسم بمن أقسم هل بنفسه أو بمخلوقاته أو بهذا وقتا و بهذا وقتا آخر مثل قوله تَاللّٰهِ لَقَدْ أَرْسَلْنا فأقسم بالله و كقوله فَوَ رَبِّكَ فَوَ رَبِّ السَّماءِ وَالْأَرْضِ و كقوله وَالذّارِياتِ وَالْمُرْسَلاتِ وَالصَّافّاتِ وَالنَّجْمِ وَالشَّمْسِ و غير ذلك من المخلوقين الذين أقامهم في الظاهر مقام أسمائه فإن كان أضمر فما أضمر من الأسماء و على كل حال فلها شرف عظيم بإضافتها إليه سواء أظهر الاسم أو لم يظهر و القسم العام فَلا أُقْسِمُ بِما

تُبْصِرُونَ وَما لاَ تُبْصِرُونَ فدخل في هذا القسم من الموجودات جميع الأشياء و دخل فيه العدم و المعدومات و هو قوله وَما لاَ تُبْصِرُونَ و ما تبصرونه في الحال و المستقبل و المستقبل معدوم فللأشياء نسبة إلى الشرف و التعظيم وكذلك العدم فأما شرف العدم المطلق فإنه يدل على الوجود المطلق فعظم من حيث الدلالة و هومما يجري على ألسنة الناس و قد نظم ذلك فقيل و بضدها تتميز الأشياء فالعدم ميز الوجود و الوجود ميز العدم و أما شرف العدم المقيد فإنه على صفة تقبل الوجود و الوجود في نفسه شريف و لهذا هو من أوصاف الحق فقد شرف على العدم المطلق بوجه قبوله للوجود فله دلالتان على الحق دلالة في حال عدمه و دلالة في حال وجوده و شرف العدم المطلق على المقيد بوجه و هو أنه من تعظيمه لله و قوة دلالته إنه ما قبل الوجود و بقي على أصله في عينه غيرة على الجناب الإلهي أن يشركه في صفة الوجود فينطلق عليه من الاسم ما ينطلق على الله و لما كان نفس الأمر على هذا شرع الحق للموجودات التسبيح و هو التنزيه و هو أن يوصف بأنه لا يتعلق به صفات المحدثين و التنزيه وصف عدمي فشرف سبحانه لعدم المطلق بأن وصف به نفسه فقال سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ تشريفا للعدم لهذا القصد المحقق منه في تعظيم الله فإنه أعرف بما يستحقه الله من المعدوم المقيد فإنه له صفة الأزل في عدمه كما للحق صفة الأزل في وجوده و هو وصف الحق بنفي الأولية و هي وصف العدم بنفي الوجود عنه لذاته فلم يعرف الله مما سوى الله أعظم معرفة من العدم المطلق و لما كان للعدم هذا الشرف و كان الدعوى و المشاركة للموجودات لهذا قيل لنا وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً أي و لم تك موجودا فكن معي في حال وجودك من عدم الاعتراض في الحكم و التسليم لمجاري الأقدار كما كنت في حال عدمك فجعل شرف الإنسان رجوعه في وجوده إلى حال عدمه فلولا شرف العدم بما ذكرناه ما نبه الحق الموجود المخلوق على الرجوع إلى تلك الحالة في الحكم لا في العين و لا يقدر على هذا الوصف من الرجوع إلى العدم بالحكم مع الوجود العيني إلا من عرف من أين جاء و ما يراد منه و ما خلق له فقد تبين لك من شرف العدم المطلق ما فيه كفاية و هذه مسألة أغفلها الناس و لم يعقلوها عن الله حين ذكرها و لما تبين أن الشرف للموجودات و المعدومات إنما كان من حيث الدلالة وجب تعظيمها فقال تعالى وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعائِرَ اللهِ فَإِنَّها مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ و الشعائر هي الإعلام فهي الدلالات فمن عظمها فهو تقي في جميع تقلباته فإن القلوب من التقليب و ما قال سبحانه إن ذلك من تقوى النفوس و لا من تقوى الأرواح و لكن قال مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ لأن الإنسان يتقلب في الحالات مع الأنفاس و هو إيجاد المعدومات مع الأنفاس وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ في كل تقلب يتقلب فيه فهو غاية ما طلب الله من الإنسان و لا يناله إلا الأقوياء الكمل من الخلق لأن الشعور بهذا التقلب عزيز و لهذا قال شَعائِرَ اللهِ أي هي تشعر بما تدل عليه و ما تكون شعائر إلا في حق من يشعر بها و من لا يشعر بها و هم أكثر الخلق فلا يعظمها فإذا لا يعظمها إلا من قصد الله في جميع توجهاته و تصرفاته كلها و لهذا ما ذكرها

الله إلا في الحج الذي هو تكرار القصد و لما كان القصد لا يخلو عنه إنسان كان ذكر الشعائر في آية الحج و ذكر المناسك و هي متعددة أي في كل قصد فكان سبب القسم بالأشياء طلب التعظيم من الخلق للأشياء حتى لا يهملوا شيئًا من الأشياء الدلالة على الله سواء كان ذلك الدليل سعيدا أو شقيا و عدما أو وجودا أي ذلك كان و إن كان القصد الإلهي بالقسم نفسه لا الأشياء بل المقصود الأمران معا و هو الصحيح فاعلم أنه ليس المراد بهذا القصد الآخر إلا التعظيم لنا و التعريف فذكر الأشياء و أضمر الأسماء الإلهية لتدل الأشياء على ما يريده من الأسماء الإلهية فما تخرج عن الدلالة و شرفها فقال وَالسَّماءِ وَما بَناها أي و باني السماء وَالْأَرْضِ وَما طَحاها أي و باسط الأرض وَالنَّجْمِ إِذا هَوى أي و مسقط النجم فاختلفت الأشياء فاختلفت النسب فاختلفت الأسماء و تعينت المختصة بهذا الكون المذكور فعلم من الله ما ينبغي أن يطلق عليه من الأسماء في المعنى فيما أضمر و في اللفظ فيما أطلق إذ لو أراد إطلاق ما أضمره عليه لأظهره كما أظهره في قوله فَوَ رَبِّ السَّماءِ وَالْأَرْضِ فجاء بالاسم الرب بالنسبة الخاصة المتعلقة بالسماء خاصة و اسم الأرض مضمر لأنه للرب نسبة خاصة في الأرض ليست في السماء و لذلك لم يتماثلا بل السماء مغايرة للأرض لاختلاف النسب فنسبة الرب لخلق السماء مغايرة للنسبة الربانية لخلق الأرض و لو لا وجود الواو في قوله و الأرض الذي يعطي التشريك لقلنا باختلاف الاسم الرب لاختلاف النسبة و لكن الواو منعت و القرآن نزل باللسان العربي و الواو في اللسان في هذا الباب إذا ذكر الأول و لم يذكر في المعطوف عليه حكم آخر دلت على التشريك فإذا قلت قام زيد و عمرو فلا يريد القائل إذا وقف على هذا من غير قاطع عرضي مثل انقطاع النفس بسعلة تطرأ عليه أو شغل يشغله عن تمام تلفظه في مراده فهو للتشريك و لا بد فيما ذكر فالقاطع منعه أن يقول و عمر و خارج أو يقول و عمر و أبوه قاعد فهذه الواو واو الابتداء و الحال لا واو العطف فإذا قال قام زيد و خرج عمرو فهذه واو العطف أعني عطف جملة على جملة لا واو التشريك فلهذا جعلنا الواو في قوله و الأرض للتشريك في الاسم الإلهي المذكور الذي هو المعطوف عليه و كان الإضمار في النسبة التي يقع فيها التغاير فافهم فإنه من دقيق المعرفة بالله و اعلم أنه لما رأى بعض العارفين تعظيم هذه الأمور مشروعا ألحق كل ما سوى الله بالسعادة التي هي في حق أصحاب الأغراض من المخلوقين وصولهم إلى أغراضهم التي تخلق لهم في الحال فلم يبق صاحب هذا النظر أحدا في العذاب الذي هو الألم فإنه مكروه لذاته و إن عمروا النار فإن لهم فيها نعيما ذوقيا لا يعرفه غيرهم فإنه لكل واحدة من الدارين ملؤها فأخبر الله أنه يملؤها و يخلد فيها مؤبدا و لكن ما ثم نص بتسرمد العذاب الذي هو الألم لا الحركات السببية في وجود الألم في العادة بالمزاج الخاص المحس للألم فقد نرى الضرب و القطع و الحرق في الوجود ظاهرا و لكن لا يلزم عن تلك الأفعال ألم و لا بد و قد شاهدنا هذا من نفوسنا في هذا الطريق و هذا من شرف الطريق و فيه يقول أصحابنا ليس العجب من ورد في بستان فإنه

المعتاد و إنما العجب من ورد في وسط النار لأنه غير معتاد يريد أنه ليس العجب ممن يجد اللذة في المعتاد و إنما العجب ممن يجد اللذة في غير السبب المعتاد و هو كان مطلوب أبي يزيد في قوله سوى ملذوذ وجدي بالعذاب و لهذا سمي عذابا لأنه يعذب في حال ما عند قوم ما لمزاج يطلبه و إذا كان الحق يأمر بتعظيم كل ما سواه مما هو مضاف إليه و ما ثم إلا ما هو مضاف إليه إما نصا أو عقلا فبعيد إن يتسرمد عليه العذاب الذي هو الألم و قد كان الله و لا شيء معه و لم يرجع إليه وصف لم يكن عليه مما أوجده و خلقه فكذلك هو و يكون و إنما قلنا هذا من أجل من يقول بنفي اسم من الأسماء الإلهية لا أثر له قلنا و إن لم يكن له أثر فليس كماله بوجود الأثر عنه فإن العين واحدة فافهم ذلك و هذه مسألة من أشكل المسائل في هذا الطريق و الله يقول إن رحمته سبقت غضبه يريد أن حكمه برحمة عباده سبق غضبه عليهم و لا يظهر السبق في نفس الشأو فإنه قد يكون الفرس واسع النفس بطيء الحركة و الآخر ضيق النفس سريع الحركة و الشأو طويل فلا يزال الواسع النفس و إن أبطأ في الحضر يدخل على الضيق النفس حتى يزيد عليه و يتركه خلفه فلا يحكم بالسبق إلا في آخر الشأو فمن حاز قصب السبق فهو السابق و لهذا يطول في المسابقة بين الخيل في المسافة و هو مشروع في معرض التنبيه على هذا المقام و آخر المسافة هو الذي ينتهي إليه الحكم بالسبق و الرحمة سبقت غضب الله على خلقه فهي تحوز العالم في الدارين بكرم الله و ما ذلك على الله بعزيز و إن كانوا في النار فلهم فيها نعيم فإنهم ليسوا منها بمخرجين و يصدق قوله تعالى سبقت رحمتي غضبي و يصدق قوله لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ من الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ و يصدق قوله وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ و قد أظهرت أمرا في هذه المسألة لم يكن باختياري و لكن حق القول الإلهي بإظهاره فكنت فيه كالمجبور في اختياره و الله ينفع به من يشاء لا إله إلا هو و هذا القدر كاف من علم هذا المنزل وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب الخامس و التسعون و مائتان في معرفة منزل الأعداد المشرفة من الحضرة المحمدية)

تفجرت الأنهار من ذات أحجار وغاصت بأرضي في خزائن أسراري
فعشر من العلم اللدني ظاهر و ما كتمت منه فتسعة أعشار
تطالبني نفسي بمثنى وجودها و يطلبني و ترى المصاب بأوتار
فحصنت نفسي في مدينة سيد بناها من الماء المركب و النار
فلم ير حصن مثله في ارتفاعه تحصنت فيه خلف سبعة أسوار
مكانتها ما بين ذل و عزة يعاملني فيها على حد مقداري

إلى أن يكون النفخ في صور حسه		إلى صور تخييل ببرزخ أغياري
و يبقى دوام الأمر فيه مخلدا		إلى أن يكون البعث من قبر أفكاري
فأشهده علما و عينا و حالة		بمشهد أنوار و مشهد أسراري
منوعة تلك المظاهر عندنا		برؤية أفكار و رؤية أبصار

فهرست ما يتضمنه هذا المنزل من العلوم و ذلك علم اللوائح و هي مقدمات الذوق و هي منزلة عجيبة لا تقبل الغفلة و النسيان و فيه علم دخول التأنيث في العدد و هو مذكر و فيه علم المانية من أين ضلت و ما وجه الحق الذي عندها حتى قادها إلى هذا الاعتقاد و هل لها عذر مقبول في ذلك يوم القيامة أم لا و فيه علم الدخول و هو طلب الأوتار و لما ذا تطلب و لمن يرجع فضلها و هل المغصوب على نفسه بالقتل هل يرضى بذلك أم لا ولاية حكمة جعل ذلك للولي و هل إذا عفا الولي عن الدم هل يسقط حق المقتول يوم القيامة أم مثل الحوالة في الدين إذا قبلها صاحب الحق لم يبق له رجوع على الأول إن أعسر المرجوع إليه عنه بعد رضاء صاحب الدين بالحوالة و فيه علم قرار الغيب حتى لا يشهد و لما ذا يقر و فيه علم الغيب الذي يجب أن يشهد و طلبه لذلك من الله و فيه علم العقل و مرتبة صاحبه و فيه علم الاعتبار و فيه علم الانتقال في الأحوال و المقامات و فيه علم الكيفيات و الكميات و فيه علم التعالي و لما ذا يؤدي و إنه مخصوص بأهل البلادة دون الأذكياء و فيه علم الصلاح و الفساد و فيه علم ما يترتب على الأعمال سواء وقع التكليف أو لم يقع و فيه من أين أخذ علم أهل النجوم الحاكمون بها الواقفون على ما أودع الله فيها من الأحكام من العلوم الإلهية و شرفه على سائر العلوم و ذكر الحيوان الذي إذا أكل أعلاه أعطى بالخاصية لمن أكله علم النجوم و إذا أكل وسطه أعطى علم النبات و إذا أكل عجزه و هو ما يلي ذنبه أعطى علم المياه المغيبة في الأرض فيعرف إذا أتى أرضا لا ماء فيها على كم ذراع يكون الماء فيها و هذا الحيوان حية ليست بالكبيرة و لا بالصغيرة لا يوجد إلا بأحواز شلب من غرب الأندلس و كان قد وقع بها عندنا عبد الله بن عبدون كاتب أمير المسلمين فقطع رأسها و ذنبها بسكين ذي شعبتين في ضربة واحدة و قسمها ثلاث قطع و كانوا ثلاثة إخوة فأكل عبد الله أعلاها فكان في علم القضاء بالنجوم آية من غير مطالعة كتاب أو توقيف إمام و أكل أخوه عبد المجيد الوسط منها فكان آية في علم النبات و خواصه و تركيباته من غير مطالعة كتاب و لا توقيف أخبرني ولده المنجنيقي بذلك بقونية و أكل الأخ الثالث القطعة الاخيرة التي تلي الذنب منها فكان آية في استخراج المياه من جوف الأرض فسبحان من أودع أسراره في خلقه و فيه علم الفرق في خرق العوائد بين الكرامة و الاستدراج و فيه علم السبب الذي أوجب أن يحب العالم الحيواني الإنساني غير الله و سبب الحب أمران النسبة و الإحسان و النسبة إلى الله أقرب فإنه

مخلوق على الصورة و الإحسان من الله فهو المنعم عليه بإيجاد عينه ثم لكل ما هو فيه فكيف يحب غيره و يفنى فيه و فيه علم الآخرة و ما يتعلق بها من حين وقوف الناس على الجسر دون الظلمة إلى أن يدخلوا منا زلهم من الشقاء و السعادة فهذا جميع ما يتضمنه هذا المنزل من العلوم قد نبهتك عليها لترتفع الهمة إلى طلبها فلنذكر منها مسألة أو أكثر على قدر ما يتسع الكلام مع الاختصار دون الإطالة و الإكثار فأقول وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ اعلم أن الله لما خلق الأرواح الملكية المهيمة و هم الذين لا علم لهم بغير الله لا يعلمون أن الله خلق شيئا سواهم و هم الكروبيون المقربون المعتكفون المفردون المأخوذون عن أنفسهم بما أشهدهم الحق من جلاله اختص منهم المسمى بالعقل الأول و الأفراد منا على مقامهم فجلال الله في قلوب الأفراد على مثل ذلك فلا يشهدون سوى الحق و هم خارجون عن حكم القطب الذي هو الإمام و هو واحد منهم و لكنه يكون مادته من العقل الأول الذي هو أول موجود من عالم التدوين و التسطير و هو الموجود الإبداعي ثم بعد ذلك من غير بعدية زمان انبعث عن هذا العقل موجود انبعاثي و هو النفس و هو اللوح المحفوظ المكتوب فيه كل كائن في هذه الدار إلى يوم القيامة و ذلك علم الله في خلقه و هو دون القلم الذي هو العقل في النورية و المرتبة الضيائية فهو كالزمردة الخضراء لانبعاث الجوهر الهبائي الذي في قوة هذه النفس فانبعث عن النفس الجوهر الهبائي و هو جوهر مظلم لا نور فيه و جعل الله مرتبة الطبيعة بين النفس و الهباء مرتبة معقولة لا موجودة ثم بما أعطى الله من وضع الأسباب و الحكم و رتب في العالم من وجود الأنوار و الظلم لما يقتضيه الظاهر و الباطن كما جعل الابتداء في الأشياء و الانتهاء في مقاديرها بأجل معلوم و ذلك إلى غير نهاية فما ثم إلا ابتداءات و انتهاءات دائمة من اسميه الأول و الآخر فعن تينك الحقيقتين كان الابتداء و الانتهاء دائما فالكون جديد دائما فالبقاء السرمدي في التكوين فأعطى لهذه النفس لما ذكرناه قوة عملية عن تلك القوة أوجد الله سبحانه بضرب من التجلي الجسم الكل صورة في الجوهر الهبائي و ما من موجود خلقه الله عند سبب إلا بتجل إلهي خاص لذلك الموجود لا يعرفه السبب فيتكون هذا الموجود عن ذلك التجلي الإلهي و التوجه الرباني عند توجه السبب لا عن السبب و لو لا ذلك لم يكن ذلك الموجود و هو قوله سبحانه و تعالى فينفخ فيه فلم يكن للسبب غير النفخ فيكون طائرا بإذن الله فالطائر إنما كان لتوجه أمر الله عليه بالكون و هو قوله تعالى كُنْ بالأمر الذي يليق بجلاله فلما أوجد هذا الجسم الأول لزمه الشكل إذ كانت الأشكال من لوازم الأجسام فأول شكل ظهر في الجسم الشكل المستدير و هو أفضل الأشكال و هو للاشكال بمنزلة الألف للحروف يعم جميع الأشكال كما إن حرف الألف يعم جميع الحروف بمروره هواء من الصدر على مخارجه إلى أن يجوز الشفتين فهو يظهر ذوات الحروف في المخارج فإذا وقف في الصدر ظهر حرف الهاء و الهمزة في أعيانهما عن حرف الألف فإذا انتقل من الصدر إلى الحلق و وقف في مراتب معينة في الحلق أظهر في ذلك الوقوف وجود الحاء المهملة ثم

العين المهملة ثم الخاء المعجمة ثم الغين المعجمة ثم القاف المعقودة ثم الكاف و أما القاف التي هي غير معقودة فهي حرف بين حرفين بين الكاف و القاف المعقودة ما هي كاف خالصة و لا قاف خالصة و لهذا ينكرها أهل اللسان فأما شيوخنا في القراءة فإنهم لا يعقدون القاف و يزعمون أنهم هكذا أخذوها عن شيوخهم و شيوخهم عن شيوخهم في الأداء إلى أن وصلوا إلى العرب أهل ذلك اللسان و هم الصحابة إلى النبي صلى الله عليه و سلم كل ذلك أداء و أما العرب الذين لقيناهم ممن بقي على لسانه ما تغير كبني فهم فإني رأيتهم يعقدون القاف و هكذا جميع العرب فما أدري من أين دخل على أصحابنا ببلاد المغرب ترك عقدها في القرآن و هكذا حديث سائر الحروف إلى آخرها و هو الواو و ليس وراء الواو مرتبة لحرف أصلا و ليس للاشكال في الأجسام حد ينتهي إليه يوقف عنده لأنه تابع للعدد و العدد في نفسه غير متناه فكذلك الأشكال فأول شكل ظهر بعد الاستدارة المثلث و من المثلث المتساوي الأضلاع و الزوايا تمشي الأشكال في المجسمات إلى غير نهاية و أفضل الأشكال و أحكمها المسدس و كلما اتسع الجسم و عظم قبل الكثير من الأشكال ثم أمسك الله الصورة الجسمية في الهباء بما أعطته الطبيعة من مرتبتها التي جعلناها بين النفس و الهباء و لو لم يكن هنالك مرتبتها لما ظهر الجسم في هذا الجوهر و لا كان له فيه ثبوت فكانت الطبيعة للنفس كالآلة للصانع التي يفتح بها الصور الصناعية في المواد فظهر الجسم الكل في هذا الجوهر عن النفس بآلة الحرارة و ظهرت الحياة فيه بمصاحبةالحرارة الرطوبة و ثبتت صورته في الهباء بالبرودة و اليبوسة و جعله أعني هذا الجسم الكري على هيأة السرير و خلق له حملة أربعة بالفعل ما دامت الدنيا و أربعة أخر بالقوة يجمع بين هؤلاء الأربعة و الأربعة الآخر يوم القيامة فيكون المجموع ثمانية و سماه العرش و جعله معدن الرحمة فاستوى عليه باسمه الرحمن و جعله محيطا بجميع ما يحوي عليه من الملك متحيزا يقبل الاتصال و الانفصال و عمر الأينية الظرفية المكانية و كان مرتبة ما فوقه بينه و بين العماء الذي ما فوقه هواء و ما تحته هواء و هو للاسم الرب و الله هو الاسم الجامع المهيمن على جميع الأسماء الإلهية فصفته المهيمنية و توحدت الكلمة في العرش فهي أول الموجودات التي قبلها عالم الأجسام ثم أوجد جسما آخر في جوهر هذا الهباء فإن جوهر هذا الهباء هو الذي عمر الخلأ فكل ما ظهر من الصور المتحيزة الجسمية و الجسمانية فهذا الجوهر هو القابل لها و إنما قلنا هذا لئلا يتخيل أن الكرسي صورة في العرش و ليس كذلك و إنما هو صورة أخرى في الهباء قبلها كما قبل صورة العرش على حد واحد و لكن بنسب مختلفة فسمى هذا الموجود الآخر كرسيا و دلى إليه القدمين من العرش فانفلقت الرحمة انفلاق الحب فتنوعت الرحمة في الصفة إلى إطلاق و تقييد فظهرت الرحمة المقيدة و هي القدم الواحدة و تيمزت الرحمة المطلقة بظهور هذه القدم الأخرى فظهر في هذه القدم انقسام الكلمة الواحدة العرشية التي لم يظهر لها انقسام في العرش إلى خبر و حكم و انقسم الحكم إلى أمر و نهي و انقسم الأمر إلى وجوب

و ندب و إباحة و انقسم النهي إلى حظر و كراهة و انقسم الخبر إلى هذه الأقسام و زيادة من استفهام و تقرير و دعاء و إنكار و قصص و تعليم فتنوعت الألسن و ظهرت الملاحن في الكرسي فظهر تفصيل النغمات التي كانت مجملة في العرش فهو أول طرب ظهر في عالم الأجسام من السماع و من هنالك سرى في عالم الأفلاك و السموات و الأركان و المولدات ثم أوجد الحق أيضا جسما آخر مستديرا دون الكرسي في الرتبة و جعله مستديرا فلكيا غير مكوكب قدر فيه سبحانه أثنى عشر تقديرا مقادير معينة سمي كل مقدار منها باسم لم يسم به الآخر و هي المعروفة بالبروج و أظهر منها سلطان الطبيعة فجعل منها ثلاثة من اجتماع الحرارة و اليبوسة و جعل أحكامها مختلفة و إن كانت على طبيعة واحدة و لكن المكان المعين من هذا الفلك لما اختلف اختلفت أحكامها من ذلك الوجه و بما هي على طبيعة واحدة من الحر و اليبس اتفقت أحكامها فتعمل بالاتفاق من وجه و بالاختلاف من وجه و لهذا ظهر عنها الكون و الفساد و التغيير و الاستحالات و لست أعني بالفساد الشرور المعتادة عندنا هنا و إنما أعني بالفساد زوال نظم مخصوص يقال فيه فسد ذلك النظام أي زال كما تأكل التفاحة أو تشقها بالسكين إلى أقسام فقد فسد نظامها فذهبت تلك الصورة بظهور صورة أخرى فيها و عن هذا الفلك يتكون جميع ما في الجنة و عنه يكون الشهوة لأهلها و هو عرش التكوين ثم إن الله تعالى أوجد في جوف هذا الفلك الأطلس الذي هو محل لهذه الطبائع التي هي آلة النفس العملية فلكا آخر في جوهر الهباء كما ذكرنا و بالتجلي الإلهي كما ذكرنا إذ لا يكون التكوين الإله سبحانه و هذا الفلك هو فلك الكواكب الثابتة و المنازل التي يقدر بها تقسيم البروج المقدرة في الأطلس إذ كان الأطلس متشابه الأجزاء و هي ثمانية و عشرون منزلة و هي النطح و البطين و الثريا و الدبران و الهنعة و الهقعة و الذراع و النثرة و الطرف و الجبهة و الزبرة و الصرفة و العوا و السماك و الغفر و الزبانا و الإكليل و القلب و الشولة و النعائم و البلدة و سعد الذابح و سعد بلع و سعد السعود و سعد الأخبية و الفرع المقدم و الفرع المؤخر و الرساء فهذه ثمان و عشرون منزلة معروفة مسماة يحكم لها بطبائع البروج و هي الحمل و الثور و الجوزاء و السرطان و الأسد و السنبلة و الميزان و العقرب و القوس و الجدي و الدلو و الحوت و لهذا الفلك المكوكب أعني فلك المنازل قطع في الفلك الأطلس فلك البروج و جعل لكل تقدير في فلك البروج منزلتين و ثلث من المنازل المذكورة و لمنازله و جميع كواكبه سباحة في أفلاك لها بطيئة لا يحس بها البصر إلا بعد آلاف من السنين كما ذكر عن أهرام مصر أنها بنيت و النسر في الأسد و هو اليوم في الجدي و نحن في سنة أربع و ثلاثين و ستمائة ثم أوجد على سطح هذا الفلك المكوكب الجنة بما فيها بطالع الأسد و هو برج ثابت فلهذا كان لها الدوام فإن أصحاب هذا الفن قد سموا هذه البروج بالأسماء التي ذكرناها و نعتوها بأمور على حسب ما أطلعهم الله عليه من آثارها العجيبة في حركاتها فعرفوا منها الثابت و المنقلب و ذا الجسدين و غير ذلك و إلى

الفلك الأطلس ينتهي علم أهل الإرصاد و على الحقيقة إنما ينتهي إلى الكوكب فإن حركات الكواكب و الكواكب تعين أفلاكها و لو لا ذلك ما عرف عددها و أما الفلك الأطلس فما استدلوا عليه من حيث أدركوه حسا كما أدركوا أفلاك لكواكب و إنما علموا إن هذه الأفلاك لا تقطع إلا في أمر وجودي فلكي مثلها فأثبتوه عقلا لا حسا و سموه أطلس لكونه لا كوكب فيه يعينه للحس و يبطل عليهم هذا الدليل بحركة أقصى الأفلاك فإن حركتها موجودة و لا تقطع في شيء عندهم أصلا فما يد ريك يا صاحب الرصد لعل هذا الفلك المكوكب يقطع في لا شيء و الحكماء لم يمنعوا أن يكون فوق الفلك الأطلس أفلاك أخر إلا أن الراصد لم يبلغ إليها لأنه ما ثم ما يدل عليها بل هي في حكم الجواز عندهم لكن قالوا إن كان هنالك فلك فلا بد أن يكون له نفس و عقل و مع ذلك لا بد من الانتهاء و من هذا الفلك وقع الخلاف بيننا و بين الحكماء من الفلاسفة في ترتيب التكوين و ما نازعونا فيما فوق الأطلس الذي هو الكرسي و العرش و قالوا بالجواز فيه فترتيب الأمر عندنا بعد الفلك المكوكب و لم يكن مكوكبا عند خلقه و إنما ظهرت الكواكب بعد هذا فيه و في غيره من السموات فيها كانت حركة ما ذكرناه من هذه الأفلاك الموجودة الأربعة التي كملت فيها الطبيعة و ظهر سلطانها حسا بعد ما كان معقولا فإن المعاني هي أصل الأشياء فهي في أنفسها معان معقولة غيبية ثم تظهر في حضرة الحس محسوسة و في حضرة الخيال متخيلة و هي هي إلا أنها تنقلب في كل حضرة بحسبها كالحرباء تقبل الألوان التي تكون عليها فأول ما أوجد الأرض و هي نهاية الخلأ و هو أقصى الكثائف و الظلم و هو نازل إلى الآن دائما و الخلأ لا نهاية له فإنه امتداد متوهم لا في جسم فالعالم كله بأسره نازل أبدا في طلب المركز و هذا الطلب طلب معرفة و مركزه هو الذي يستقر عليه أمره فلا يكون له بعد ذلك طلب و هذا غير كائن فنزوله للطلب دائم مستمر و هو المعبر عنه بطلب الحق فالحق هو مطلوبه و أثر فيه هذا الطلب التجلي الذي حصل له تعشق به فهو يطلبه بحركة عشقية و هكذا سائر المتحركات إنما حركتها المحبة و العشق لا يصح إلا هذا و من لا يعشق ذلك التجلي و هو المنعوت بالجمال و الجمال معشوق لذاته و لو لا ما تجلى سبحانه في صورة الجمال لما ظهر العالم فكان خروج العالم إلى الوجود بذلك العشق صل حركته عشقية و استمر الحال فحركة العالم دائمة لا نهاية لها و لو كان ثم أمر ينتهي إليه يسمى المركز يكون إليه النهاية لسكن العالم بعضه على بعض بالضرورة و بطلت الحركة فبطل الإمداد فادى ذلك إلى فناء العالم و ذهاب عينه و الأمر على خلاف هذا و إنما الناس و أكثر الخلق لا يشعرون بحركة العالم و لأنه بكله متحرك فيبقى الترتيب المشهود من البعد و القرب على حاله فلهذا الشهود يتخيلون سكون الأرض حول المركز ثم أوجد ركن الماء و هو كان الموجود الأول من الأركان و إنما ذكرنا الأرض مقدمة من أجل السفل و الماء كان أول العناصر فما كثف منه كان أرضا و ما سخف منه كان هواء ثم ما سخف منه كان نارا و هو كرة الأثير فأصل العناصر عندنا الماء و وافقنا على ذلك بعض الناس

من النظا ر في هذا الفن لكن مستندنا الكشف فيما ندعيه من هذا و غيره من العلوم و قد تكون تلك العلوم مما تد رك بالنظر الفكري فمن أصاب في نظره وافق أهل الكشف و من أخطأ في نظره خالف أهل الكشف و الحكماء في هذه المسألة على ستة مذاهب خمسة منها خطأ و الواحد منها صواب و هو الذي وافق الكشف و التعريف الإلهي لأهل خطابه من ملك و نبي و ولي و كان وجود هذه العناصر ببرج السرطان و ما من برج إلا و قد جعل له الله مدة في الولاية معلومة مع المشا ركة لغيره في مد ته فلجميعها مدة معلومة عندنا نسميها أعني الجملة عمر العالم فإذا انتهت المدد عاد الأمر ابتداء على حاله من الدوام فلا عدم يلحقه أبدا من حيث جوهره و لا يبقى صورة أبدا زمانين فالخلق لا يزال و الأعيان قابلة للخلع عنها و عليها فالعالم في كل نفس من حيث الصورة في خلق جديد لا تكرا ر فيه فلو شا هد ته لرأيت أمرا عظيما يهولك منظره و يورثك خوفا على جوهر ذا تك و لو لا ما يؤيد الله أهل الكشف بالعلم لتاهوا خوفا فلما حصلت العناصر و هي الأركان الأربعة محلا مهيئًا أنوثيا لقبول التناسل و الولادة و ظهرت الاحتراقات من عنصر النا ر في رطوبات الهواء و الماء صعد منها دخان يطلب الأعظم الذي هو الفلك الأعلى الأقصى فوجد فلك الكواكب يمنعه من الرقي إلى الفلك الأعلى فعاد ذلك الدخان يتموج بعضه في بعض متراكم فريق ففتق الله رتقه بسبع سماوات ثم إنه تتطايرت الشرر من كرة الأثير في ذلك الدخان فقبلت من السموات و من الفلك المكوكب أماكن فيها رطوبات طبيعية فتعلقت بها تلك الشرر فانقدت تلك الأماكن لما فيها من الرطوبات فحدثت الكواكب فأضاء الجو كما يضيء البيت بالسراج ألا ترى القادح للزناد يعلق الشرر الحراق بما فيه من الرطوبة فيتقد فيكون منه المصباح و لهذا قال تعالى و جعلنا الشمس سراجا يضيء به العالم و تبصر به الأشياء التي كان يسترها الظلام فحدث الليل و النها ر بحدوث كوكب الشمس و الأرض فالليل ظلمة الأرض الحجابية عن انبساط نور الشمس و الكواكب عندنا كلها مستنيرة لا تستمد من الشمس كما يراه بعضهم و القمر على أصله لا نور له البتة قد محا الله نوره و ذلك النور الذي ينسب إليه هو ما يتعلق به البصر من الشمس في مرآة القمر على حسب مواجهة الأبصا ر منه فالقمر مجلى الشمس و ليس فيه من نور الشمس لا قليل و لا كثير ثم إن الله رتب في كل فلك و سماء عالما من جنس طبيعة ذلك الفلك سماهم ملائكة على مقامات فطرهم الله عليها من التسبيح و التهليل و كل ثناء على الله تعالى و جعل منهم ملائكة مسخرين لمصالح ما يخلقه في عالم العناصر من المولدات و هي ثلاثة عوالم طبيعية و يسرى في كل عالم مولد من هذه الثلاثة من النفس الكلية صاحبة الآلات أرواح هي نفوس هذه المولدات بها تعلم خالقها و منشئها و بها سرت الحياة فيها كلها و بها خاطبها الحق و كلفها و هو رسول الحق إليها وداع كل شخص منه إلى ربه فما بطنت حيا ته سمي جمادا و نباتا و انفصل هذان المولدان و تميزا بالنمو و الغذاء فقيل في النامي منه نبات و في غير النامي جماد و ما ظهرت حيا ته و حسه سمي حيوانا و الكل قد

عمته الحياة فنطق بالثناء على خالقه من حيث لا نسمع و علمهم الله الأمور بالفطرة من حيث لا نعلم فلم يبق رطب و لا يابس و لا حار و لا بارد و لا جماد و لا نبات و لا حيوان إلا و هو مسبح لله تعالى بلسان خاص بذلك الجنس و خلق الجان من لهب النار و الإنسان مما قيل لنا و نفخ الأرواح في الكل و قدر الأقوات التي هي الأغذية لهذه المولدات من الإنس و الجن و الحيوان البحري و البري و الهوائي وَ أَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها بما أودع الله في حركات هذه الكواكب و اقتراناتها و هبوطها و صعودها في بيوت نحوسها و سعودها و عن حركاتها و حركات ما فوقها من الأفلاك حدثت المولدات و عن حركات الأفلاك الأربعة حدثت الأركان و هذا خلاف ما ذهب إليه غير أهل الكشف من المتكلمين في هذا الشأن فأودع الله في خزائن هذه الكواكب التي في الأفلاك علوم ما يكون من الآثار في العالم العنصري من التقليب و التغيير فهي أسرار إلهية قد جعل الله لها أهلا يعرفون ذلك و لكن لا على العلم بل على التقريب و الأمر في نفسه صحيح غير إن الناظر من أهل هذا الشأن قد لا يستوفي النظر حقه لأمر فإنه من غفلة أو غلط في عدد و مقدار لم يشعر بذلك فيحكم فيخطئ فوقع الخطاء من نظره لا من نفس الأمر و قد يوافق النظر العلم فيقع ما يقوله و لكن ما هو على بصيرة فيه من حيث تعيين مسألة بعينها و هذا العلم لا تفي الأعمار بإدراكه فيعلم أصله من النبوات فكان أول من شرع في تعليم الناس هذا العلم إدريس عليه السلام عن الله فأعلمه ما أوحى في كل سماء و ما جعل في حركة كل كوكب و بين له اقترانات الكواكب و مقادير الاقترانات و ما يحدث عنها من الأمور المختلفة بحسب الأقاليم و أمزجة القوابل و مساقط نطفه في أشخاص الحيوان فيكون القرآن واحدا و يكون أثره في العالم العنصري مختلفا بحسب الإقليم و ما يعطيه طبيعته فشروطه كثيرة يعلمها أهل ذلك الشأن فلما أعطتهم الأنبياء الموازين و علمتهم المقادير علموا ما يحدث الله من الأمور و الشئون في الزمان البعيد و عن الزمان البعيد الذي لو وكلهم الله فيه إلى نفوسهم بالحكم المعتاد حتى يتكرر ذلك عليهم تكرار يوجب القطع عادة و رب أمر لا يظهر تكراره الذي يوجب القطع الظني به إلا بعد آلاف من السنين فهذا كان سبب التعريف الإلهي على السنة الأنبياء عليهم السلام فأعلمت الناس بما أوحى الله إليها ما أمن الله عليها هذه الكواكب المسخرة من الحوادث و لو عرف الجهال المنكرون هذا العلم قوله تعالى وَ النُّجُومَ مُسَخَّراتٍ بِأَمْرِهِ لما قالوا شيئاً مما قالوه فما علموا تسخيرها و إنها كما قال تعالى وَ رَفَعْنا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيًّا كما سخر الرياح و البحار و الفلك هكذا سخر الكواكب و هل في هذه المسخرات من الكواكب و الأفلاك و الرياح و البحار و الدواب و كل مسخر عالم بما هو له مسخر أم لا هذا لا يعرفه إلا أهل طريقنا خاصة حكى القشيري أن رجلا رأى شخصا راكبا على حمار و هو يضرب رأس الحمار فنهاه عن ذلك فقال له الحمار دعه فإنه على رأسه يضرب فمن عرف الجزاء كيف لا يعرف ما سخر له و قد رأينا من مثل هذا كثيرا من

الجمادات و الحيوانات و قد طال الكلام و هذا القدر كاف في معرفة ترتيب العالم الذي هو أحد أقسام ما يحتوي عليه هذا المنزل من العلوم وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب السادس و التسعون و مائتان في معرفة منزل انتقال صفات أهل السعادة

إلى أهل الشقاء في الدار الآخرة من الحضرة الموسوية»

غشيت منازلا لمقام صدق　　لها في قلب نازلها خشوع

و نار الاصطلام لها وقود　　إذا ما ابتز خلعتها الضجيع

و أغذية العلوم تزيد حرصا　　ولا يذهب لها عطش و جوع

و لو طعم الوجود لمات جوعا　　و يحييه الخريف أو الربيع

بخلق ثم صلب في سطوح　　يجليها لرفعتها الرفيع

فعلم من تشاء بغير قهر　　عسى وقتا يكون له رجوع

يريد في البيت الخامس قوله تعالى أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّماءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ يريد الاعتبار في ذلك اعلم وفقنا الله و إياك أن درجات الجنة على عدد دركات النار فما من درج إلا و يقابله درك من النار و ذلك أن الأمر و النهي لا يخلو الإنسان إما أن يعمل بالأمر أو لا يعمل فإن عمل به كانت له درجة في الجنة معينة لذلك العمل خاصة و في موازنة هذه الدرجة المخصوصة لهذا العمل الخاص إذا تركه الإنسان درك في النار لو سقطت حصاة من تلك الدرجة في الجنة لوقعت على خط استواء في ذلك الدرك من النار فإذا سقط الإنسان من العمل بما أمر فلم يعمل كان ذلك الترك لذلك العمل عين سقوطه إلى ذلك الدرك قال تعالى فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَواءِ الْجَحِيمِ فالاطلاع على الشيء من أعلى إلى أسفل و السواء حد الموازنة على الاعتدال فما رآه إلا في ذلك الدرك الذي في موازنة درجته فإن العمل الذي نال به هذا الشخص تلك الدرجة تركه هذا الشخص الآخر الذي كان قرينه في الدنيا بعينه فانظر إلى هذا العدل الإلهي ما أحسنه و هما الرجلان اللذان ذكرهما الله في سورة الكهف المضروب بهما المثل و هو قوله تعالى وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ إلى آخر الآيات في قصتهما في الدنيا و ذكر في الصافات حديثهما في الآخرة في قوله تعالى قالَ قائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كانَ لِي قَرِينٌ يَقُولُ أَ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ و فيها ذكر المعاتبة و في قوله تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ لما اطلع عليه فَرَآهُ فِي سَواءِ الْجَحِيمِ و هو قوله ما أَظُنُّ السَّاعَةَ قائِمَةً و ورد في الأخبار الإلهية الصحاح عن رسول الله صلى الله عليه و سلم عن

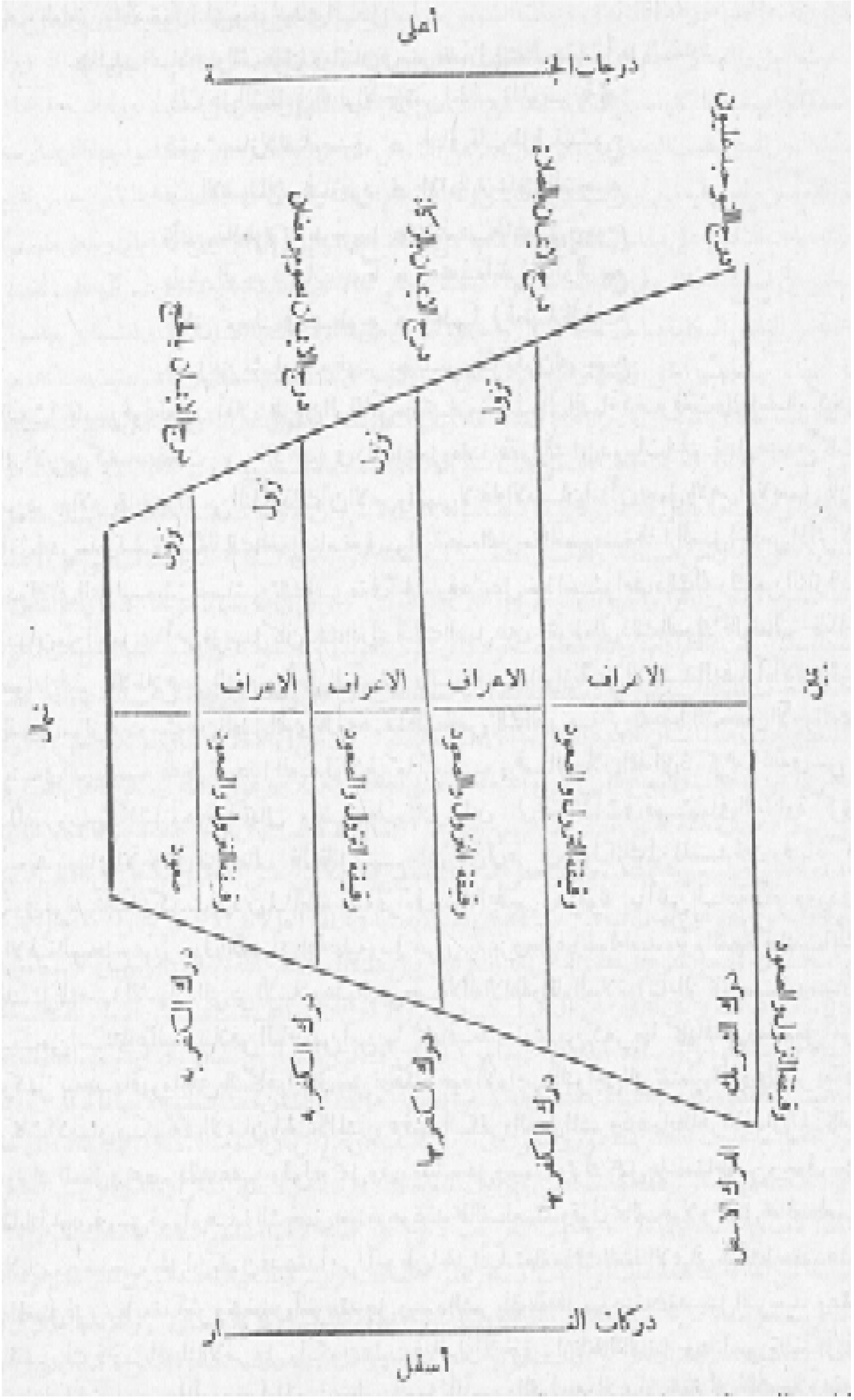

ربه عز و جل فيما

يقوله لعبده يوم القيامة أ فظننت إنك ملاقي فلنمثل لك منها الأمهات التي بنى الإسلام عليها و هي خمسة لا إله إلا الله و إقام الصلاة و

إيتاء الزكاة وصيام رمضان وحِجُّ الْبَيْتِ من اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً فمن الناس من آمن بها كلها فسعد و منهم من كفر بها كلها فشقي و منهم من آمن ببعضها و كفر ببعضها فهو ملحق بالكافر إلحاق حق و هكذا جميع الأوامر و النواهي التي تقتضيها فروع الشريعة في جميع حركات الإنسان وسكونه في الايمان بالحكم المشروع فيها والكفر والعمل المشروع فيها بظاهر الإنسان المكلف وباطنه وترك العمل و يحصر ذلك عقد و قول وعمل وفي مقابلته حل وصمت وترك عمل هذه مقابلة من وجه في حق قوم ومقابلة أخرى في حق قوم أو هذا الشخص بعينه و هو عقد مخالف لعقد و قول يخالف قولا و عمل مخالف لعمل إذ كان لا يلزم من صاحب الحل أن يكون قد عقد أمرا آخر فإن الحل إنما متعلقة ذلك العقد الإيماني بذلك المعقود عليه فأسقطه المعطل فلم يرتبط بعقد آخر و شخص آخر عقد على وجود الشريك لله فحل من عنقه عقد حبل التوحيد و عقد حبل التشريك فلهذا فصلنا الأمر على ما يكون عليه في الدار الآخرة موازنا لحالة الدنيا وهذا صورة الشكل في الأمهات وعليها نأخذ جميع المأمور بها و المنهي عنها من العمل بالمأمور و القول به والايمان به و ترك ذلك حلا وعقدا في الكل أو في البعض وكذلك المنهي عنها من العمل به و القول به و العقد عليه و ترك ذلك حلا و عقدا للكل و البعض صورة درج الجنة و درك النار و الأعراف و هو السور الذي باطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظاهِرُهُ من قِبَلِهِ الْعَذابُ و الرقائق النازلة و الصاعدة وضعناها لك لتتصورها في ذهنك إن كنت بعيد الفهم و الله المعين لا رب غيره

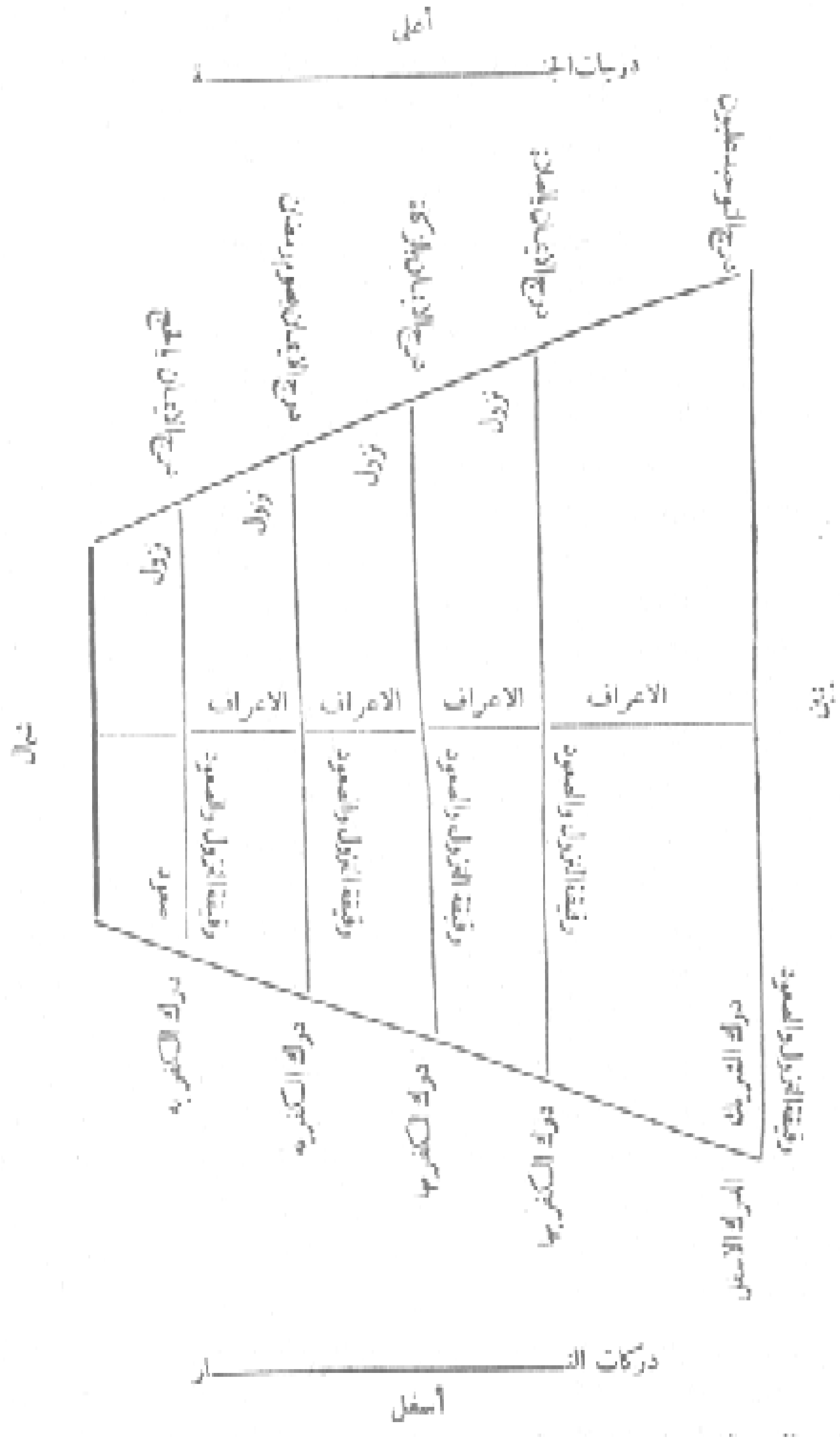

و هكذا درج العمل بالأمر و النهي و درك ترك العمل بهما و درج القول بالأمر و النهي و درك تركهما عقدا و حلا كلا و بعضا و هكذا مناسبات الجزاء كلها لا تختل قال الله عز وجل وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ و قال قالُوا (إِنَّا مَعَكُمْ) إِنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ و قال إِنَّ

تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَما تَسْخَرُونَ و قال تعالى إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كانُوا من الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ و قال في الجزاء فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا من الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ثم بين فقال هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ ما كانُوا يَفْعَلُونَ فعم بالألف و اللام و رد الفعل عليهم و قال تعالى نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ و لهذا سمي جَزاءً وِفاقاً و لو لم يكن الأمر كذلك لما كان جزاء و قد ورد في المتكبرين أنهم يحشرون كأمثال الذر يطئوهم الناس بأقدامهم صغارا لهم و ذلة و لتكبرهم على أوامر الله فالجنة خير لا شر فيها و النار شر لا خير فيها فجميع علم المشرك و عمله و قوله الذي لو كان موحدا جوزي عليه في الجنة بحسبه يعطي ذلك الجزاء للموحد الجاهل بذلك الأمر و العلم المفرط في ذلك العمل التارك لذلك القول و الجزاء عليه الذي لو كان مشركا لحصل له في النار يعطي لذلك المشرك الذي لا حظ له في الجنة فإذا رأى المشرك ما كان يستحقه لو كان سعيدا يقول يا رب هذا لي فأين جزاء عملي الذي هذا جزاؤه فإن الأعمال بمكارم الأخلاق و التحريض عليها الذي هو القول يقتضي جزاء حسنا وقع ممن وقع فيقول الله له لما عملت كذا و يذكر له ما عمل من مكارم الأخلاق و القول بها و العمل بمواقعها قد جازيتك على ذلك بما أنعمت به عليك من كذا و كذا فيقرر عليه جميع ما أنعمه عليه جزاء لا نعمة في خلقه المبتدأة التي ليست بجزاء فيزنها المشرك هنالك بما قد كشف الله من علم الموازنة فيقول صدقت فيقول الله له فما نقصتك من جزائك شيئا و الشرك قطع بك عن دخول دار الكرامة فتنزل فيها على موازنة هذه الأعمال و لكن أنزل على درجات تلك الأعمال فإن صاحبها منعه التوحيد أن يكون من أهل هذه الدار فهذا هو من الميراث الذي بين أهل الجنة و أهل النار و نذكر الكلام في هذا الفصل في باب الجنة و النار من هذا الكتاب فهذا هو الانتقال الذي بين أهل السعادة و أهل الشقاء فإن المؤمن هنا في عبادة و العبادة تعطيه الخشوع و الذلة و الكافر في عزة و فرحة فإذا كان في هذا اليوم يخلع عز الكافر و سروره و فرحه على المؤمن و يخلع ذل المؤمن و خشوعه الذي كان لباسه في عبادته في الدنيا على الكافر يوم القيامة قال تعالى خاشِعِينَ من الذُّلِّ يَنْظُرُونَ من طَرْفٍ خَفِيٍّ فإن هذا النظر هو حال الذليل لا يقدر يرفع رأسه من القهر و ذلك الخشوع من الكافر يوم القيامة و الذلة و النظر المنكسر الذي لا يرفع بسببه رأسه إنما هو لله تعالى خوفا منه و هذا كان حال المؤمن في الدنيا لخوفه من الله ف ذلِكَ يَوْمُ التَّغابُنِ حيث يرى الإنسان صفة عزه و سروره و فرحه على غيره و يرى ذل غيره و غمه و حزنه على نفسه فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ و يتضمن هذا المنزل من العلوم علم سؤال الحق عباده السعداء عن مراتب الأشقياء بأي اسم يسأل و علم المناسبات و علم ما تعطيه الأفكار و علم الكيفيات و هو على ضربين ضرب منه لا يعرف إلا بالذوق و ضرب منه يدرك بالفكر و هو من باب التوسع في الخطاب لا من باب التحقق فإن التحقق بعلم الكيفيات إنما هو ذوق و لقد نبهني الولد العزيز العارف شمس الدين إسماعيل بن سودكين النوري على أمر كان عندي محققا من غير الوجه الذي نبهنا عليه هذا الولد ذكرناه في باب الحروف من

هذا الكتاب و هو التجلي في الفعل هل يصح أو لا يصح فوقتا كنت أنفيه بوجه و وقتا كنت أثبته بوجه يقتضيه و يطلبه التكليف إذ كان التكليف بالعمل لا يمكن أن يكون من حكيم عليم يقول اعمل و افعل لمن يعلم أنه لا يعمل و لا يفعل إذ لا قدرة له عليه و قد ثبت الأمر الإلهي بالعمل للعبد مثل أَقِيمُوا الصَّلاٰةَ وَ آتُوا الزَّكٰاةَ و اصْبِرُوا وَ صٰابِرُوا وَ رٰابِطُوا و جاهِدُوا فلا بد أن يكون له في المنفعل عنه تعلق من حيث الفعل فيه يسمى به فاعلا و عاملا و إذا كان هذا فبهذا القدر من النسبة يقع التجلي فيه فبهذا الطريق كنت أثبته و هو طريق مرضي في غاية الوضوح يدل أن القدرة الحادثة لها نسبة تعلق بما كلفت عمله لا بد من ذلك و رأيت حجة المخالف واهية في غاية من الضعف و الاختلال فلما كان يوما فاوضني في هذه المسألة هذا الولد إسماعيل أبو سودكين المذكور فقال لي و أي دليل أقوى على نسبة الفعل إلى العبد و إضافته إليه و التجلي فيه إذ كان من صفته من كون الحق خلق الإنسان على صورته فلو جرد عنه الفعل لما صح أن يكون على صورته و لما قبل التخلق بالأسماء و قد صح عندكم و عند أهل الطريق بلا خلاف إن الإنسان مخلوق على السورة و قد صح التخلق بالأسماء فلم يقدر أحد أن يعرف ما دخل علي من السرور بهذا التنبيه فقد يستفيد الأستاذ من التلميذ أشياء من مواهب الحق تعالى لم يقض الله للاستاذ أن ينالها إلا من هذا التلميذ كما نعلم قطعا أنه قد يفتح للإنسان الكبير في أمر يسأله عنه بعض العامة مما لا قدر له في العلم و لا قدم و يكون صادق التوجه في هذا العلم المسئول عنه فيرزق العالم في ذلك الوقت لصدق السائل علم تلك المسألة و لم تكن عنده قبل ذلك عناية من الله بالسائل و تضمنت عناية الله بالسائل إن حصل للمسئول علما لم يكن عنده و من راقب قلبه يجد ما ذكرناه فالحمد لله الذي استفدنا من أولادنا مثل ما استفاده شيوخنا منا أمورا كانت أشكلت عليهم و يتضمن هذا المنزل علم التبليغ عن الله إلى خلقه من رسول و نبي و وارث و يتضمن علم السياسة في التعليم بباب اللطف من حيث لا يشعر المطلوب بذلك و يتضمن علم الجزاء المطلق و المقيد فالمطلق مجازاة العبد ربه مثل الشكر على المنعم و مجازاة الله العبد مثل المزيد فيما وقع عليه الشكر من العبد و المجازاة المقيدة هي جزاء الله العبد في الدار الآخرة فإنها ليست بدار تكليف قال تعالى وَ أَوْفُوا بِعَهْدِي في موطن التكليف و هو الدنيا أُوفِ بِعَهْدِكُمْ في الدارين معا دنيا و آخرة و هذا القدر كاف في هذا الباب إن شاء الله تعالى وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب السابع و التسعون و مائتان في معرفة منزل ثناء تسوية الطينة الإنسية في المقام الأعلى من الحضرة المحمدية»

تنزه أيها الخلق المسوي على صفة المسوي بالسواء
و لا تنظر إلى ما حال منه و جاء به الرسول من السماء
فإن خفت الرجاء أيدت فيه بما تعطيه مأمنة الرجاء

سليمانية وقفت أمامي أقيم بها رخاء من رخاء
وقفت على الصفا أعنو لسر إلهي بمنزلة الصفاء
و عانقت الغزالة في سناها لا علو فوق منزلة السهاء
و جاوزت العقول بغير حد وخضت حيا النفوس على حياء

قال الله تعالى وَإِنْ من شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ فما من صورة في العالم و ما في العالم إلا صور إلا و هي مسبحة خالقها بحمد مخصوص ألهمها إياه و ما من صورة في العالم تفسد إلا و عين فسادها ظهور صورة أخرى في تلك الجواهر عينها مسبحة لله تعالى حتى لا يخلو الكون كله عن تسبيح خالقه فتسبحه أعيان أجزاء تلك الصورة بما يليق بتلك الصورة و الصور التي في العالم كلها نسب و أحوال لا موجودة و لا معدومة و إن كانت مشهودة من وجه ما فليست بمشهودة من وجه آخر و عين زمان فناء تلك الصور عين زمان وجود تلك الصور أي عين فسادها هو عين الأخرى لا أنه بعد الفساد تحدث الأخرى و اعلم إذا علمت هذا أن العالم كله ما عدا الإنس و الجان مستوفى الكشف لما غاب عن الإحساس البشري فلا يشاهد أحد من الجن و الإنس ذلك الغيب إلا في وقت خرق العوائد لكرامة يكرمه الله بها أو خاصية أمر ما من الأمور التي تعطي كشف الغيوب كما إن كل جماد و نبات و حيوان في العالم كله و في عالم الإنسان و الجن و أجسام الملائكة و الأفلاك و كل صورة يدبرها روح محسوسا كان ذلك التدبير فيمن ظهرت حياته أو غير محسوس فيمن بطنت حياته كأعضاء الإنسان و جلوده و ما أشبه ذلك كل هؤلاء في محل كشف الغيوب الإلهية المستورة عن الأرواح المدبرة لهذه الأجسام من ملك و إنس و جن لا غير فإنها محجوبة عن إدراك هذا الغيب الإلهي إلا بخرق عادة في بعضهم أو في كلهم و قد عرفت أن الحجر و الحيوان و النبات عرف من هذا الباب نبوة محمد صلى الله عليه و سلم و هو من الغيوب الإلهية فيجهل كل روح مثل هذا إلا أن يعرفه الله به إلا من ذكرناهم فإنهم يعرفونه بالفطرة التي فطرهم الله عليها إذا ظهر ناداهم الحق به في ذواتهم باسمه و إذا حضر بعينه أخبرني يوسف ابن يخلف الكومي من أكبر من لقيناه في هذا الطريق سنة ست و ثمانين و خمسمائة رحمه الله قال أخبرني موسى السدراني وكان من الأبدال المحمولين قال لما مشيت أنا و رفيقي إلى الجبل المسمى قاف و هو جبل محيط بالبحر المحيط بالأرض و قد خلق الله حية على شاطئ ذلك البحر بين البحر و الجبل دارت بجسمها بالبحر المحيط إلى أن اجتمع رأسها بذنبها فوقفنا عندها فقال لي صاحبي سلم عليها فإنها ترد عليك قال موسى فسلمت عليها فقالت و عليك السلام و رحمة الله و بركاته ثم قالت لي كيف حال الشيخ أبي مدين و كان أبو مدين ببجاية في ذلك الوقت فقلت لها تركته في عافية و ما علمك به فتعجبت و قالت و هل على وجه

الأرض أحد لا يحبه وجهها إنه و الله مذ اتخذه الله وليا نادى به في ذواتنا و أنزل محبته إلى الأرض في قلوبنا فما من حجر و لا مدر و لا شجر و لا حيوان إلا و هو يعرفه و يحبه فقلت لها و الله لقد ثم أناس يريدون قتله لجهلهم به و بغضهم فيه فقالت ما علمت إن أحدا يكون على هذه الحال فيمن أحبه الله فهذا من ذلك الباب و منه شهادة الأيدي و الأرجل و الجلود و الأفواه و الألسنة التي هي في نظرنا خرس هي ناطقة في نفس الأمر فكل مخلوق ما عدا بنى آدم في مقام الخشوع و التواضع إلا الإنسان فإنه يدعي الكبرياء و العزة و الجبروت على الله تبارك و تعالى و أما الجن فتدعى ذلك على من دونها في زعمها من المخلوقين كاستكبار إبليس من حيث نشأته على آدم عليه السلام و لذا قال أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً لأنه رأى عنصر النار أشرف من عنصر التراب و قال أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي من نارٍ وَخَلَقْتَهُ من طِينٍ فلم يتكبر على الله عز و جل فاختص الإنسان وحده من سائر المخلوقات بهذه الصفة فلما حصلت مثل هذه الدعوى في الوجود و تحققت من المدعي في نفسه و فيمن اعتقد ذلك فيه مثل فرعون و من استخف من قومه جعل الله في الوجود أفعل من كذا بمعنى المفاضلة كالمقرر لتلك الدعوى و المثبت لها فقال الله أكبر فأتى بلفظة افعل و قال صلى الله عليه و سلم الله أعلى و أجل فأتى بأفعل فكل افعل من كذا المنعوت به جلال الله فسببه مشاركة الدعوى في تلك الصفة لكن منها محمود و مذموم فالمذموم ما ادعاه فرعون و المحمود مثل قوله تعالى عن نفسه إنه أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ و أَحْسَنُ الْخالِقِينَ فأتى بأفعل و أثنى على الرحماء من عباده بأن جعل نفسه أرحم منهم بخلقه و أما تقريره العام فإن الرحمة منهم حقيقة أوجدها فيهم فتراحموا بها و أوجد الكبرياء في الإنسان بالصورة فتكبر به فإن قلت إذا ورد أفعل فليس هو المقصود به أفعل من قلنا فالله يقول أَحْسَنُ الْخالِقِينَ و هو هنا افعل من بلا شك و كذلك في حق الإنسان لما قال تعالى أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ فكل موجود فهو على التقويم الذي يعطيه خلقه و قال في الإنسان إنه خلقه في أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ أي التقويم الذي خلقه عليه أفضل من كل تقويم و ما صحت له هذه الصفة التي فضل بها على غيره إلا بكونه خلقه الله على صورته فإن قلت فهذا التغيير الذي يطرأ على الإنسان في نفسه و صورة الحق لا تقبل التغيير قلنا الله يقول في هذا المقام سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلانِ و قال صلى الله عليه و سلم فرغ ربك و قال يتجلى في أدنى صورة ثم يتحول عند إنكارهم إلى الصورة التي عرفوه فيها بالعلامة التي يعرفونها فقد أضاف إلى نفسه هذا المقام و هو العلي عن مقام التغيير بذاته و التبديل و لكن التجليات في المظاهر الإلهية على قدر العقائد التي تحدث للمخلوقين مع الآنات تسمى بهذا المقام و إذا كان الأمر على ما ذكرناه و كذلك هو فيصح ما ذكرناه و يرتفع الاعتراض الوهمي تعالى الله علوا كبيرا و مما يتضمن هذا المنزل من العلوم علم أسماء الأسماء و أن لها من الحرمة ما للمسمى بأسمائها فالحروف المرقومة في الصحف أعيان كلام يفهم منها كلام الله الذي هو موصوف به و لما ذا يرجع ذلك الوصف علم آخر اختلف الناس فيه و لا

حاجة لنا في الخوض في ذلك فالحق سبحانه من كونه متكلما يذكر نفسه بأسمائه بحسب ما ينسب إليه الكلام الذي لا تكليف نسبته و لتلك الأسماء أسماء عندنا في لغة كل متكلم فيسمى بلغة العرب الاسم الذي سمي به نفسه من كونه متكلما الله و بالفارسية خداي و بالحبشية واق و بلسان الفرنج كريطور و هكذا بكل لسان فهذه أسماء تلك الأسماء و تعددت لتعدد النسب فهي معظمة في كل طائفة من حيث ما تدل عليه و لهذا نهينا عن السفر بالمصحف إلى أرض العدو و هو خط أيدينا أوراق مرقومة بأيدي المحدثات بمداد مركب من عفص و زاج فلولا هذه الدلالة لما وقع التعظيم لها و لا الحقارة و لهذا يقال كلام قبيح و كلام حسن في عرف العادة و في عرف الشرع و أمثال ذلك و سببه مدلول هذه الألفاظ في الاصطلاح و الوضع و هذا علم شريف لا يدركه سوى أهل الكشف على ما هو الأمر عليه فليس بأيدينا سوى أسماء الأسماء فإذا وقع التنزيه لأسماء الأسماء فتنزيه العبد الكامل أولى بالحرمة لأجل الصورة و لا سيما الوجه إذ كان الوجه أشرف ما في ظاهر الإنسان لكونه حضرة جميع القوي الباطنة و الظاهرة و وجه كل شيء ذاته مر رسول الله صلى الله عليه و سلم على رجل و هو يضرب وجه غلام له فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم اتق الوجه فإن الله خلق آدم على صورته و هو محل الإقبال على الله دون غيره من الجهات فهي الجهة العظمى و من علوم هذا المنزل العلم بالفرق بين الخلق و التقدير فالتقدير متعلق الاسم المدبر و المفصل لا غيرهما من الأسماء و قد قال ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ و كلا الاسمين تحت حيطة الاسم العالم و لا دخول للاسم القادر في هذه الحضرة فإن هذه الأسماء الثلاثة راجعة إلى ذات الحق و لا يكون الحق مقدورا لنفسه فلا حكم للاسم القادر هنا فالاسم المقدر هو المعتبر في هذه المرتبة و الخلق يطلب الاسم القادر عقلا و يطلب الاسم القائل كشفا و شرعا و إنما قلنا كشفا ليفرق في ذلك بين الولي و النبي لأن كل واحد من هذين الرجلين يقول بهذا بخلاف ما يعطيه النظر الفكري للعقل بدليله فكما تميز الاسم القادر من المقدر لفظا و معنى كذلك تميز الخلق من التقدير لفظا و معنى فبالتقدير يقع البيان في صور الموجودات على اختلاف ذواتها حسية كانت أو معنوية من عالم الحروف الرقمية أو اللفظية أو الفكرية و من عالم الأعيان القائمة بأنفسها و من عالم الأعيان التي لا تقوم بأنفسها و يدخل في ذلك عالم النسب فبما في هذه الأعيان من التسوية لذوات أشخاصها في عالم الغيب و الشهادة يكون خلقا و لا يدخل في هذا عالم النسب لأنها ليست أعيانا وجودية و لا تتصف بالعدم المطلق لكونها معقولة و بما فيها كلها من التمييز الذي يتضمنه أعيانها عقلا كان أو حسا يكون للتقدير لا للخلق فإذا ظهر عين ما ذكرناه من كل عالم للحس أو للعقل عن الاسم الخالق أو المدبر المفصل و المقدر علق نفع بعضه ببعض فنفعت الأعيان بعضها بعضا و دعاهم الحق إليه من خلف ستر هذه الأعيان عند توجه بعضها لبعض بالمنافع فيدعو كل صورة من كل صورة إليه فمنا من يشعر فيعرف من دعاه و منا من يلتبس عليه ذلك و لا يعرف كيف الأمر و يجد في نفسه قوة

الفرقان و لا يبدو له وجه الفرقان و منا من لا يلتبس عليه ذلك و يكون أعمى مكفوف البصر أكمه فيقول ما ثم إلا ما نشاهد و هي أعيان هذه الصور فنحن ثلاثة أصناف صنف سليم النظر حديد الطرف و صنف قام به غشاء في عينيه فلا يتحقق الصور مع معرفته أن ثم أمر أما و لكن لا يحقق صورته و منا من هو أكمه ما أبصر شيئا قط فهو مستريح الخاطر و ما ثم صنف رابع و تختلف منافع هذه الصور باختلاف القوابل و السائلين و كل سائل يسأل بحسب حاجته و عرضه و قد يكون ضروريا و قد لا يكون و على الحقيقة ما ثم إلا ضروري و لهذا يتعين العطاء فإن السائل ما يسأل إلا لغرض أحوجه ذلك الغرض إلى السؤال فالغرض هو السائل و اللسان بالحال أو بالمقال هو المترجم عن ذلك الغرض و ليس لذلك الغرض حياة إلا بتحصيل ما سأل فيه فإن لم ينله هلك فكان المانع له مما سأل فيه كان سبب زوال صورته من العالم فنقص بمنعه صورة من العالم كانت مسبحة لله تعالى و المحقق يريد أنه لو زاد و لا ينقص و الأغراض قد تكون مذمومة و إذا مكنت مما تطلبه وقع الإنسان في محظور أشد من قتل هذا الغرض بما منع من سؤاله و كيف التخلص في هذه المسألة فاعلم أنه لا يخاطب بقضاء الأغراض على الإطلاق من هو مقيد معقول في قبضة عقل التكليف و إنما هذا المقام لأصحاب الأحوال المغلوب على عقولهم فإن قلت فالحفظ أحسن كما قال الإمام في وله الشبلي حين قيل له إنه يرد في أوقات الصلوات فإذا فرغ حكم عليه حال الوله و حال بينه و بين عقله الذي يعطيه الصحو فقال الإمام أبو القاسم الجنيد بن محمد سيد هذه الطائفة الحمد لله الذي لم يجر عليه لسان ذنب و لم يضف إليه الذنب و لكن يتعلق به لسان الذنب من حيث الصورة عند من لا يعرفه و هو في نفس الأمر غير مذنب قال بعض أصحابنا فلو لا إن التنزه عن جريان لسان الذنب أولى و أعظم لما حمد الله على ذلك هذا الإمام قلنا ليس الأمر كما زعمت و أن هذا الإمام خاف على من لم يبلغ هذه الرتبة أن يظهر بها و هو غير محقق بها فيخطئ فيقع في الذنب و لهم الشفقة على العالم و أما أن يكون من طريق الأفضلية و كيف يكون ذلك و قد أطلق سبحانه ألسنة عباده عليه و على رسله بالذم و السب فلصاحب هذا الوله فيمن ذكرنا أسوة و عز فليس في ذلك فضل عندنا و مما يتضمن هذا المنزل علم الرحمة التي أبطنها الله في النسيان الموجود في العالم و إنه لو لم يكن لعظم الأمر و شق و فيما يقع فيه التذكر كفاية و أصل هذا وضع الحجاب بين العالم و بين الله في موطن التكليف إذ كانت المعاصي و المخالفات مقدرة في علم الله فلا بد من وقوعها من العبد ضرورة فلو وقعت مع التجلي و الكشف لكان مبالغة في قلة الحياء من الله حيث يشهده و يراه و القدر حاكم بالوقوع فاحتجب رحمة بالخلق لعظيم المصاب ألا تراهم في الأمور المدبرة بالعقل الجارية على السداد العقلي إذا أراد الله إمضاء قضائه و قدره في أمر ما أخفى في ذلك الأمر حكمته و علمه الذي أجراه له مما لا يقتضيه نظر العقل فإذا أمضاه رد عليهم عقولهم ليعلموا أن الله قد رحمهم بزوال العقل في ذلك الحين لرفع المطالبة قال صلى الله عليه و سلم إن الله إذا أراد

نفاذ قضائه و قدره سلب ذوي العقول عقولهم حتى إذا أمضى فيهم قضاءه و قدره ردها عليهم ليعتبروا وقال صلى الله عليه و سلم رفع عن أمتي الخطاء و النسيان فلا يؤاخذهم الله به في الدنيا و لا في الآخرة فأما في الآخرة فمجمع عليه من الكل و أما في الدنيا فأجمعوا على رفع الذنب و اختلفوا في الحكم و كذلك في الخطاء على قدر ما شرع الشارع في أشخاص المسائل فمن أفطر ناسيا في رمضان فطائفة أوجبت القضاء عليه مع رفع الإثم و قوم لم يوجبوا القضاء عليه مع ارتفاع الإثم أيضا فإن الله أطعمه و سقاه هذا قول الشارع فيه فهذا من الرحمة المبطونة فيه أعني في النسيان و كذلك ما نسي من القرآن و لم يتذكر فينقل إلينا فيكون زيادة علينا في التكليف فرحم عباده بذلك و قد كان صلى الله عليه و سلم يقول اتركوني ما تركتكم و قال لو قلت نعم للسائل عن الحج في كل عام لوجبت و كانت الأحكام تحدث بحدوث السؤال عن النوازل فكان غرض النبي صلى الله عليه و سلم حين علم ذلك أن يمتنع الناس عن السؤال و يجرون مع طبعهم حتى يكون الحق هو الذي يتولى من تنزيل الأحكام ما شاء فكانت الواجبات و المحظورات تقل و تبقي الكثرة في قبيل المباحات التي لا يتعلق بها أجر و لا وزر فأبت النفوس قبول ذلك و أن تقف عند الأحكام المنصوص عليها فأثبتت لها عللا و جعلتها مقصودة للشارع و طردتها و ألحقت المسكوت عنه في الحكم بالمنطوق به بعلة جامعة بينهما اقتضاها نظر الجاعل المجتهد و لو لم يفعل لبقي المسكوت عنه على أصله من الإباحة و العافية فكثرت الأحكام بالتعليل و طرد العلة و القياس و الرأي و الاستحسان وَما كانَ رَبُّكَ نَسِيًّا و لكن بحمد الله جعل الله في ذلك رحمة أخرى لنا لو لا إن الفقهاء حجرت هذه الرحمة على العامة بإلزامهم إياها مذهب شخص معين لم يعينه الله و لا رسوله و لا دل عليه ظاهر كتاب و لا سنة صحيحة و لا ضعيفة و منعوه أن يطلب رخصة في نازلته في مذهب عالم آخر اقتضاه اجتهاده و شددوا في ذلك و قالوا هذا يفضي إلى التلاعب بالدين و تخيلوا أن ذلك دين و قد قال النبي صلى الله عليه و سلم إن الله تصدق عليكم فأقبلوا صدقته فالرخص مما تصدق الله بها على عباده و قد أجمعنا على تقرير حكم المجتهد و على تقليد العامي له في ذلك الحكم لأنه عنده عن دليل شرعي سواء كان صاحب قياس أو غير قائل به فتلك الرخصة التي رآها الشافعي في مذهبه على ما اقتضاه دليله قد قررها الشرع فيمنع المفتي من المالكية المالكي المذهب أن يأخذ برخصة الشافعي التي تعبده بها الشارع و إنما أضفناها إلى الشارع لأن الشرع قررها بمنعه مما يقتضيه الدليل في الأخذ به بأمر لا يقتضيه الدليل الذي لا أصل له و هو ربط الرجل نفسه بمذهب خاص لا يعدل عنه إلى غيره و يحجر عليه ما لم يحجر الشرع عليه و هذا من أعظم الطوام و أشق المكلف على عباد الله فالذي وسع الشرع بتقرير حكم المجتهدين من هذه الأمة ضيقه عوام الفقهاء و أما الأئمة مثل أبي حنيفة و مالك و أحمد بن حنبل و الشافعي فحاشاهم من هذا ما فعله واحد منهم قط و لا نقل عنهم إنهم قالوا لأحد اقتصر علينا و لا قلدني فيما

أفتيتك به بل المنقول عنهم خلاف هذا رضي الله عنهم ومما يتضمنه هذا المنزل الفرق بين تعلق علمه سبحانه بما يسره العبد في نفسه و بين ما يبديه و يظهره و هل يرجع ذلك إلى نسبة واحدة أو نسبتين و يتعلق بهذا الباب ما يريده الحق بقوله تعالى من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي و من ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم فهاتان حالتان في الذكر و العلم فاعلم إن للحق سبحانه غيبا و مظهرا فبما هو غيب له الاسم الباطن و هو ذكره عبده في نفسه و علمه بما يسره و مع ذلك الاسم يكون سر العبد الذي يعلمه الحق و ذكر النفس الذي يذكر العبد به ربه و بما له المظهر من الاسم الظاهر و هو ذكره تعالى عبده في ملأ من ملائكته أو ملأ الأسماء الإلهية و علمه بما يبديه العبد في عالم الشهادة و مع ذلك الاسم يكون علانيةالعبد التي يعلمها الحق و ذكر العلانية التي يذكر العبد به ربه و أما العلم بما هو أخفى من السر فهو ما لا يعلمه إلا الله وحده لا علم لهذا العبد به و لا يمكن أن يعلمه إلا الله و هو علمه بنفسه و ما عدا هذا العلم فهو إما علم سره أو علم علانية فمتعلق العلم ثلاثة أشياء الجهر و السر و ما هو أخفى من السر و متعلق الذكر أمران ذكر الملإ و هو نوعان ملأ الأسماء و ملأ الملائكة و الأمر الآخر ذكر النفس فتساوي الذكر مع العلم في التقسيم و مما يتضمن هذا المنزل كون الإنسان قد أودع الله فيه علم كل شيء ثم حال بينه و بين أن يدرك ما عنده مما أودع الله فيه و ما هو الإنسان مخصوص بهذا وحده بل العالم كله على هذا و هو من الأسرار الإلهية التي ينكرها العقل و يحيلها جملة واحدة و قربها من الذوات الجاهلة في حال علمها قرب الحق من عبده و هو قوله تعالى وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَ لكِنْ لا تُبْصِرُونَ و قوله وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ و مع هذا القرب لا يدرك و لا يعرف إلا تقليدا و لو لا إخباره ما دل عليه عقل و هكذا جميع ما لا يتناهى من المعلومات التي بعلمها هي كلها في الإنسان و في العالم بهذه المثابة من القرب و هو لا يعلم ما فيه حتى يكشف له عنه مع الآنات و لا يصح فيه الكشف دفعة واحدة لأنه يقتضي الحصر و قد قلنا إنه لا يتناهى فليس يعلم الأشياء بعد شيء إلى ما لا يتناهى و هذا من أعجب الأسرار الإلهية أن يدخل في وجود العبد ما لا يتناهى كما دخل في علم الحق ما لا يتناهى من المعلومات و علمه عين ذاته و الفرق بين تعلق علم الحق بما لا يتناهى و بين أن يودع الحق في قلب العبد ما لا يتناهى إن الحق يعلم ما في نفسه و ما في نفس عبده تعيينا و تفصيلا و العبد لا يعلم ذلك إلا مجملا و ليس في علم الحق بالأشياء إجمال مع علمه بالإجمال من حيث إن الإجمال معلوم للعبد من نفسه و من غيره فكل ما يعلمه الإنسان دائما و كل موجود فإنما هو تذكر على الحقيقة و تجديد ما نسيه و يحكم هذا المنزل على إن العبد أقامه الحق في وقت ما في مقام تعلق علمه بما لا يتناهى و ليس بمحال عندنا و إنما المحال دخول ما لا يتناهى في الوجود لا تعلق العلم به ثم إن الخلق أنساهم الله ذلك كما أنساهم شهادتهم بالربوبية في أخذ الميثاق مع كونه قد وقع و عرفنا ذلك بالأخبار الإلهي فعلم الإنسان دائما إنما هو تذكر فمنا من إذا ذكر تذكر أنه قد كان علم ذلك المعلوم و نسيه كذي النون المصري و

منا من لا يتذكر ذلك مع إيمانه به أنه قد كان يشهد بذلك و يكون في حقه ابتداء علم و لو لا أنه عنده ما قبله من الذي أعلمه و لكن لا شعور له بذلك و لا يعلمه إلا من نور الله بصيرته و هو مخصوص بمن حاله الخشية مع الأنفاس و هو مقام عزيز لأنه لا يكون إلا لمن يستصحبه التجلي دائما و يتضمن هذا المنزل مسائل ذي النون المشهورة و هي إيجاد المحال العقلي بالنسب الإلهية و يتضمن علم المفاضلة بين المتنافرين من جميع الوجوه و يتضمن أن كل جوهر في العالم يجمع كل حقيقة في العالم كما إن كل اسم إلهي مسمى بجميع الأسماء الإلهية و ذلك قوله تعالى قُلِ ادْعُوا اللّٰهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمٰنَ أَيًّا ما تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنىٰ و هذا العلم خاصة انفردت به دون الجماعة في علمي فلا أدري هل عثر عليه غيري و كوشف به أم لا من جنس المؤمنين أهل الولاية لا جنس الأنبياء و أما في الأسماء الإلهية فقد قال به أبو القسم بن قسي في خلع النعلين له فرحم الله عبدا بلغه إن أحدا قال بهذه المسألة عن نفسه كما فعلت أنا أو عن غيره فيلحقها بكتابي هذا في هذا الموضع استشهاد إلي فيما ادعيته فإني أحب الموافقة و أن لا أنفرد بشيء دون أصحابي وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثامن و التسعون و مائتان في معرفة منزل الذكر من العالم العلوي في الحضرة المحمدية»

زهر المعارف من زهر الرياضات و زهر روضك من زهر السموات
فللجسوم علوم ليس يشبهها علم النفوس لأسباب و آفات
حقائق الحق لا تخفى مداركها لأن إدراكها للذات بالذات
و ما سواها فإدراك بواسطة بما يراه من أعلام و آيات
هزل الأكابر جد عن مشاهدة في طيه عندهم مكر الكرامات
إمهالهم ليس إهمالا لعلمهم بأن ذلك مربوط بأوقات
إن الرجال و إن حققت نسبتهم إلى أب واحد أولاد علات
إن قلت هم فهم أو قلت لا فهم لكونهم بين آلام و لذات
لأنه ليس تفنيهم مظاهره و هي المعبر عنها بالستارات

اعلم وفقك الله أن شيخنا أبا العباس العريبي كان ممن تحقق بهذا المنزل و فاوضناه فيه مرارا فكانت قدمه فيه راسخة رحمه الله و اعلم أن هذا المنزل قد جمع بين المشقة الشديدة و الأمور التي لا تنال إلا بالقهر الشديد و الآفات المانعة عن إدراك المطلوب و بين الرفق و

ارتفاع الآفات و الوصول إلى المطلوب بالراحة المستلذة المعشوقة للنفوس و ما بين هاتين الصفتين شدائد عظام فأول علم يتضمن هذا المنزل علم الخروج عن الطبع فاعلم إن الحركات منها طبيعية و منها قسرية فلا تتخيل أن الحركة الطبيعية تعطي لذة و الحركة القسرية تعطي ألما لخروجك عن الطبع قد يكون الأمر كذلك و قد يكون على النقيض فلو وقع الإنسان من علو عظيم لكان نزوله إلى الأرض عن حركة طبيعية و لكن إذا وصل إلى الأرض ربما تكسرت أعضاؤه و تضاعفت آلامه و سببه الاضطراب الذاتي و عدم موافقة الاختيار الذي تطلبه ربانيته المودعة فيه التي قيل له اخرج عنها فما فعل و الحركة القسرية هي أن يعرج به فيرى من الآيات و الفرح و الانفساحات و التنزه على قدر ما علت به تلك الحركة القسرية التي أخرجته عن طبعه و اضطراره و وافقته في اختياره فلا تفرح بكل ما يقتضيه الطبع فإنه أيضا ما قبل الحركة القسرية إلا بطبعه فالطبع لا يفارقه حكمه في الحركتين و اعلم أن الصفات التي جبل عليها الإنسان لا تتبدل فإنها ذاتية له في هذه النشأة الدنيا و المزاج الخاص من الجبن و الشح و الحسد و الحرص و النميمة و التكبر و الغلظة و طلب القهر و أمثال هذا و لما لم يتجه تبدلها بين الله لها مصارف صرفها إليها حكما مشروعا فإن صرفت إليها أحكام هذه الصفات سعدت و نالت الدرجات فجبنت عن إتيان المحارم لما تتوقعه من المضرة و شحت بدينها و حسدت منفق المال و طالب العلم و حرصت على الخير وسعت بين الناس بإيصال الخير فنمت به كما تنم الروضة بما فيها من الأزهار الطيبة الريح و تكبرت بالله على من تكبر على أمر الله و أغلظت القول و الفعل في المواطن التي تعلم أن ذلك في مرضاة الله و طلبت القهر على من ناوى الحق و قاواه فلم تزل هذه النفس عن صفاتها و صرفتها في المصارف التي يحمدها عليها ربها و ملائكته و رسله فالشرع ما جاء إلا بما يساعده الطبع فلا أدري من أين ينال الإنسان المشقة و ما حجر عليه ما يقتضيه طبعه من هذه الصفات بتبيين المصارف فما هلك الناس إلا بسلطان الأغراض فإنه الذي أدخل الألم عليهم و المكروه فلو أن الإنسان يصرف غرضه إلى ما أراده له خالقه لاستراح قيل لأبي يزيد ما تريد قال أريد أن لا أريد أي اجعلني مريد الكل ما تريد حتى لا يكون إلا ما يريد الحق سبحانه فما يريد بعباده إلا اليسر و لا يريد بهم العسر و يريد لهم الخير و ليس إليه الشر كما ورد في الخبر الصحيح و الخير كله في يديك و الشر ليس إليك و إن كان الكل من عند الله بحكم الأصل و لما كان خروج الإنسان عن إن يكون مريدا محالا و إنه أول ما كان يقدح ذلك في الطاعات فيفعلها من غير نية مشروعة فلا تكون طاعة و إنما طلب أبو يزيد الخروج عن الأغراض النفسية التي لا توافق مرضاة الحق عز و جل و اعلم أن المشي في الظلمة بغير سراج و ضوء في طريق كثيرة المهالك و الحفر و الأوحال و المهاوي و الحشرات المؤذية التي لا يتقى شيء من هذا كله إلا أن يكون الماشي فيها بضوء يرى به حيث يجعل قدمه و يجتنب به ما ينبغي أن يجتنب مما يضره من مهواة يهوى فيها أو مهلك يحصل فيه أو حية تلدغه و ليس له ضوء سوى

نور الشرع الذي قال فيه تعالى نُوراً نَهْدِي بِهِ مَن نَشاءُ مِن عِبادِنا و قال وَ مَن لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِن نُورٍ و قال نُورٌ عَلى نُورٍ فإذا اجتمع نور الشرع مع نور بصر التوفيق و الهداية بان الطريق بالنورين فلو كان نور واحد لما ظهر له ضوء و لا شك أن نور الشرع قد ظهر كظهور نور الشمس و لكن الأعمى لا يبصره كذلك من أعمى الله بصيرته لم يدركه فلم يؤمن به و لو كان نور عين البصيرة موجودا و لم يظهر للشرع نور بحيث أن يجتمع النوران فيحدث الضوء في الطريق لما رأى صاحب نور البصيرة كيف يسلك لأنه في طريق مجهولة لا يعرف ما فيها و لا أين تنتهي به من غير دليل و موقف فهذا الشخص الماشي في هذه الطريق إن لم يحفظ سراجه من الأهواء إن تطفئه بهبوبها و إلا هبت عليه رياح زعازع فأطفأت سراجه و ذهب نوره و هو كل ريح يؤثر في نور توحيده و إيمانه فإن هبت ريح لينة تميل لسان سراجه و تحيره حتى يتحير عليه الضوء في مشاهدة للطريق فتلك الريح كمتابعة الهوى في فروع الشريعة و هي المعاصي التي لا يكفر بها الإنسان و لا تقدح في توحيده و إيمانه فلقد خلقنا لأمر عظيم و لكن إذا اقتحمنا هذه الشدائد و قاسينا هذه المكاره حصلنا على أمر عظيم و هو سعادة الأبد التي لا شقاء فيها و مما يتضمن هذا المنزل علم الوقت الذي يصحبه فيه القرينان من الملك و الشيطان فاعلم إن الإنسان إذا خلقه الله في أمة لم يبعث فيها رسول لم يقترن به ملك و لا شيطان و يبقى يتصرف بحكم طبعه ناصيته بيد ربه خاصة فكل ما يمشي فيه في ذلك الوقت فهو على صراط مستقيم فإن ربه على صراط مستقيم قال تعالى ما مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِناصِيَتِها إِنَّ رَبِّي عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ فإذا بعث فيهم رسول أو خلق في أمة فيهم رسول لزمه من حين ولادته قرينان ملك و شيطان من حين يولد لأجل وجود الشرع و أعطى كل واحد من القرينين لمة يهمزه و يقبضه بها و لا تقل إن المولود غير مكلف فلما ذا يقرن به هذان القرينان فاعلم إن الله ما جعل له هذين القرينين في حق المولود و إنما ذلك من أجل مرتبة والديه أو من كان فيهمزه القرين الشيطاني فيبكي أو يلعب بيده فيفسد شيئًا مما يكره فساده أبوه أو غيره فتكون تلك الحركة من المولود الغير مكلف سببا مثيرا في الغير ضجرا و تسخطا كراهة لفعل الله فيتعلق به الإثم فلهذا يقرن به الشيطان لا لنفسه و كذلك الملك و هو كل حركة تطرأ من المولود مما تثير في نفس الغير أمرا موجبا للشر أو للخير فإن كان شرا فمن الشيطان و إن كان خيرا فمن الملك و ليس للصبي الصغير قط حركة نفسية و لا ربانية حتى يدرك و إن لم يكن في أمه لها شرع فحركته كلها نفسية من حال ولادته إلى أن يموت ما لم يرسل إليه رسول أو يدخل هو في دين إلهي يتقيد به أي دين كان مشروعا من الله أو غير مشروع حينئذ يوكل به القرينان إذ لم يكن للعقل أن يشرع القربات و إن كان على مكارم الأخلاق المعتادة في العرف المحبوبة بالطبع التي يدركها العقل و لكن لا يحكم عليها بحكم أصلا يقطع به على الله و ليس له حكم في إثبات الآخرة و لا نفيها لكن هو متمكن بعقله من النظر في إثبات موجدة و لمن يستند في وجوده و ما ينبغي أن يكون عليه موجدة من الصفات و ما ينبغي

أن يعظه به من نعوت الجلال لكن لا على جهة المنزلة الأخراوية عنده و لا يعرف بعقله ما يصير إليه بعد الموت و لا يدري هذا المدبر لبدنه ما هو و لا أين يذهب من الميت إذا مات و لو لا إن الأمر من آدم كان ابتداؤه بالنبوة فأخبر بما هنالك ففطنت العقول حيث أعلمت مال هذه النفوس فذلك الذي حرضها على البحث و النظر في ذلك و حشر النفوس بعد الموت إلى أين يكون و كيف يجمع و صورة ما ينتقل به و إليه و هل تنتقل مدبرة لمواد أخر أو تتجرد عن المادة و هل كان لها وجود قبل تسوية البدن في التكوين أم حدثت بحدوث البدن و وقفوا على حكم تأثيرات في العالم فراقبوا الأفلاك و حركات الكواكب و رأوا حدوث الآثار عند تلك الحركات عن تكرار فعلموا إن ثم نسبة بين هذا الأثر و تلك الحركات و أما ما لم تدرك الأعمار تكراره فذلك بإعلام النبي عليه السلام الذي كان في زمانهم أتاهم بما أعلمه الله و أطلعه على ما اختزنه في تلك الحركات العلوية من الآثار العنصرية و أعلمهم حكمها في الدنيا و الآخرة و ليس مثل هذا كله من مدركات العقول من غير موقف فلو لا التعريف الإلهي في هذه الدار و الدار الآخرة ما عرف أحد شيئًا مما هنالك و اعلم أن كل مخلوق ما سوى الإنس و الجان مفطورون على تعظيم الحق و التسبيح بحمده و كذلك أعضاء جسد الإنس و الجان كلها و لكن لا على جهة التقريب و ابتغاء المنزلة العظمى بل التسبيح لهم كالأنفاس في المتنفسين لما تستحقه الذات و هكذا يكون تسبيح الإنس و الجان في الجنة و النار لا على طريق القربة و لا ينتج لهم قربة بل كل واحد منهم على مقام معلوم فتصير العبادة طبيعية تقتضيها حقائقهم و يرتفع التكليف و لا يتصور منهم مخالفة لأمر الله إذا ورد عليهم و لا يبقى هنالك نهي أصلا بعد قوله لأهل النار اخْسَؤُا فِيها وَ لا تُكَلِّمُونِ و كلامنا إذا نزل الناس منازلهم في كل دار و غلقت الأبواب و استقرت الداران بأهلها الذين هم أهلها و ارتفع شأن أرض الحشر و عادت كلها نارا و صار كل ما تحت مقعر فلك الكواكب الثابتة إلى منتهى أسفل سافلين دارا واحدة تسمى جهنم تحوي على حرور و زمهرير و بينهما برازخ يكون فيها التكوينات في الجلود التي يقع فيها التبديل عند الإنضاج خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ يريد المدة التي كانت الأرض عليها من يوم خلقها الله إلى يوم التبديل و كانت العرب التي نزل القرآن بلسانها تطلق هذه اللفظة و نريد بها التأبيد و هي منقطعة بالخبر الإلهي و تعريف النبي صلى الله عليه و سلم إِلَّا ما شاءَ رَبُّكَ بما يرزقون في النار من اللذة و النعيم بها إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ و في الجنة خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ من حيث جوهرهما لا من حيث صورتهما و لهذا قال عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ أي غير مقطوع و يقع الاستثناء في قوله إِلَّا ما شاءَ رَبُّكَ من زوال صورتهما إذ كانت السماء سماء و الأرض أرضا فإنا نعلم أن جوهر السماء هو جوهر الدخان و تبدلت عليه الصور فالجوهر الذي قبل صورة الدخان هو الذي قبل صورة السماء كما قبل جوهر الطين و الحجر صورة البيت فإذا تهدم البيت و يبس الطين ذهبت صورة البيت و الطين و بقي عين الجوهر و كذلك العالم كله بالجوهر

واحد و بالصور يختلف فاعلم ذلك فيكون الاستثناء في حق أهل النا ر لمدة عذابهم ويكون الاستثناء في حق أهل الجنة على معنى إلا أن يشاء ربك و قد شاء أن لا يخرجهم فهم لا يخرجون فإن الله ما شاء ذلك بقوله عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ و لم يقل في أهل النا ر عذابا غير مجذوذ فافهم فإن الخبر الصحيح المتواتر قد ورد فقال تعالى يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَ السَّماواتُ و وصف السماء بأنها تصير كالدهان و وصفها بالانشقاق و إنها تمور و قال تعالى فَكانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهانِ أي مثل الدهن الأحمر في اللون و السيلان فهذا كله إخبا ر عن ذهاب الصورة لا ذهاب الجوهر ومما يتضمن هذا المنزل علم ما أراد الله من الإنسان أن يشتغل به في حال اعتبا ره و تفكره لما يؤديه ذلك النظر إليه من المعرفة بخالقه لا بربه فإنه لكل اسم من أسماء الله في العالم دليل خاص لا يدل على غيره من حيث هو دليل عليه و من هنا تعلم أن الأرض خلقت من تموج الماء حتى أزبد فكا ن ذلك الزبد عين الأرض لأنه انتقل من المائية إلى الزبدية و في الزبد يكون الأرض و هذا هو السبب في اختراق الصالحين لها و جلوس الميت في قبره مع ردم الأرض عليه و حكم كل ما خلق منها حكمها و حكمها حكم الزبد و حكم الزبد حكم الماء و الماء يقبل الخرق و تحرك الأشياء فيه فيجري حكم هذا الأصل في جميع ما وجد عنه سواء كثف كالأرض أو سخف كالهواء و النا ر لكن النا ر للماء بمنزلة ولد الولد و الأرض للماء بمنزلة الولد و الهواء و الزبد للماء بمنزلة أولاد الصلب فالماء لهما أب و هو للنا ر جد من جهة الهواء و للأرض جد من جهة الزبد فبين خلق آدم و الماء وجود التراب الزبد فهو ولد ولد الولد من حيث كثافته و كذلك بما فيه من النا ر و بما فيه من الهواء هو ولد الولد و أما خلق حواء فبينها و بين الأصل ثلاثة آدم و التراب و الزبد فهي أبعد من الأصل و أما خلق بنى آدم فهم أقرب إلى الأصل من آدم فإنهم مخلوقون من الماء فهم من الماء مثل الزبد فهم أولاد الماء لصلبه و الزبد أخ لبني آدم و هو جد لآدم و أب للأرض فبنو آدم أعمام للأرض فتكون منزلة آدم من بنيه منزلة ابن الأخ من عم أبيه و يكون بنو آدم من آدم بمنزلة عم أبيه فهم أولاده و هو ولد ابن أخيهم فهم في الإسناد من هذا الوجه أقرب إلى السبب الأول و هو الجد الأعلى إلا بما في آدم من الماء الذي صا ر به التراب طينا ففيه إلحاق بولد الصلب بمنزلة من نكح امرأة و هي حامل من غيره فسقى زرع غيره فله فيه بما حصل له من ذلك السقي نصيب و أما خلق عيسى عليه السلام فبينه و بين الماء أمه و حواء و آدم و الأرض و الزبد إلا من وجه آخر فهو يشبهنا و قليل من يعثر عليه و قد نبه الله على ما أومأنا إليه بقوله فَتَمَثَّلَ لَها بَشَراً سَوِيًّا لما أراد الله فسرت اللذة بالنظر إليه بعد ما استعاذت منه و عرفها أنه رسول الحق ليهب لها غلاما زكيا فتأهبت لقبول الولد فسرت فيها لذة النكاح بمجرد النظر فنزل الماء منها إلى الرحم فتكون جسم عيسى من ذلك الماء المتولد عن النفخ الموجب للذة فيها فهو من ماء أمه و ينكر ذلك الطبيعيون و يقولون إنه لا يتكون من ماء المرأة شيء و ذلك ليس بصحيح و هو عندنا إن الإنسان يتكون من ماء الرجل و من ماء المرأة و قد ثبت عن

النبي صلى الله عليه و سلم الذي لا ينطق عن الهوى أنه قال إذا علا ماء الرجل ماء المرأة أذكرا و إذا علا ماء المرأة ماء الرجل أنثا و في رواية سبق بدل علا فقد جاء بالضمير المثنى في أذكرا و أنثا و قد قلنا في كتاب النكاح لنا في هذا الفصل إن المرأة و الرجل إذا لم يسبق أحدهما صاحبه في إنزال الماء و أنزلا معا بحيث أن يختلطا و لا يعلو أحد الماءين على الآخر فإنه من أجل تلك الحالة إذا وقعت على تلك الصورة يخلق الله الخنثى فيجمع بين الذكورة و الأنوثة فإن كانا على السواء من جميع الجهات و الاعتدال من غير انحراف ماء من أحدهما كان الخنثى يحيض من فرجه و يمني من ذكره فيعطي الولد و يقبل الولد ممن ينكحه و قد روى أنه رؤي رجل و معه ولدان أحدهما من صلبه و الآخر من بطنه و إن انحرف الماء عن الاعتدال و لم يبلغ مبلغ العلو على الآخر كان الحكم للمنحرف إلى العلو فإن كان ماء المرأة حاض الخنثى و لم يمن و إن كان ماء الرجل أمنى و لم يحض فسبحان القدير الخلاق العليم و هذا من أعجب البرازخ في الحيوان ذلك لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً و يكفي علم هذا القدر من هذا المنزل فإنه يتضمن مسائل كثيرة أكثرها في تولد العالم الطبيعي بين حركات الأفلاك و توجهاتها و توجهات كواكبها بأشعة النور و بين قبول العناصر و المولدات لآثار تلك الأنوار فيظهر من تلك الأحكام إيجاد الأعيان و المراتب و الأحوال و هذا علم كبير طويل و يتعلق بهذا المنزل علم الابتلاء في غير موطن التكليف و يتضمن علم الديوان الإلهي و يتضمن علم وجوب الكلمة الإلهية التي لا تتبدل و يتضمن علم أنه ما في العالم باطل و لا عبث و إنه حق كله بما فيه من الحق و الباطل و يتضمن لما ذا أخر الله غالبا العقوبات إلى الدار الآخرة في حق الأكثرين و عجلها في حق آخرين و هو المعبر عنه بإنفاذ الوعيد و هو خبر و الخبر الذي لا يتضمن حكما لا يدخله النسخ فقد ينفذ ما أوعد به لمن خالفه لأنه لم يخص بإنفاذه دارا من دار بل قال في الدنيا لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا و هو من جملة إنفاذ الوعيد فالذاهبون إلى القول بإنفاذ الوعيد مصيبون و لكن إنفاذه حيث يعينه الحق تعالى فإذا أنفذه في الدنيا بمرض و ألم نفسي أو حسي يدخله على هذا المستحق بالوعيد كان ذلك سترا له عن عقوبة الآخرة فهو المعبر عن ذلك هنا بالمغفرة أي لا يؤاخذ بها في الآخرة و هذه أحوال أكثر السعداء و السعداء الذين لا تهمهم النار و لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ الذين فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ و لهذا عظم ابتلاء النفوس و البلاء المحسوس في الأمثال من الناس كالأنبياء و الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النّاسِ من رد الحق في وجوههم و ما يسمعون من الكفرة مما يتأذون به في نفوسهم و قد أخبر الله بذلك و كذلك ما سلط عليهم من القتل و الضرب كل ذلك من إنفاذ الوعيد لخطرات و حركات تقتضيها البشرية و الطبع مما لا يليق بالمنصب الذي هم فيه لكن هو لائق بالبشر و من هنا يعرف قول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه و سلم لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ ما تَأَخَّرَ فقد قرر الذنب و أوقع المغفرة و أفهم من ذلك عباده أنه لا يعاقبهم في الآخرة و ما علق المغفرة بالدنيا لما فيها من الآلام و

الأمراض النفسية و الحسية و هو عين إنفاذ الوعيد في حقهم و يصح قول المعتزلي في هذه المسألة مسألة إيلام البريء فإن الأشعري يجوز ذلك على الله و لكن ما كل جائز واقع و كل ما يحتجون به على المعتزلة فليس هو بذلك الطائل و الانفصال عنه سهل و ليس هذا الكتاب موضع إيراد هذا العلم وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب التاسع و التسعون و مائتان في معرفة منزل عذاب المؤمنين من المقام السرياني في الحضرة المرادية المحمدية»

إن البروج منازل لمنازل قد هيئت للسبعة الأنوار

فإذا مشت بالعدل في أفلاكها تبدو لعينك أعين الأغيار

فالحق يجري في المنازل حكمه و الكون في الأكوار و الأدوار

و الخلق من تحت المنازل ظاهر و الأمر من فوق المنازل جاري

فيقال في لغة الكيان بأنه أمر تصرفه يد الأقدار

و الكف و القلم العلي مخطط في اللوح ما يبدو من الأسرار

اعلم وفقنا الله و إياك أن هذا المنزل من أعظم المنازل الذي تخافه الشياطين النارية لقوة سلطانه عليهم و هو منزل عال يتضمن علوما جمة اعلم أن الروح الإنساني لما خلقه الله خلقه كاملا بالغا عاقلا عارفا مؤمنا بتوحيد الله مقرا بربوبيته و هو الفطرة التي فطر الله الناس عليها قال رسول الله صلى الله عليه و سلم كل مولود يولد على الفطرة و أبواه هما اللذان يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه فذكر الأغلب و هو وجود الأبوين فإنه قد يكون يتيما فالذي يربيه هو له بمنزلة أبويه فالروح ليس له كمية فيقبل الزيادة في جوهر ذاته بل هو جوهر فرد لا يجوز أن يكون مركبا إذ لو كان كذلك لجاز أن يقوم بجزء منه علم بأمر ما و بالجزء الآخر جهل بذلك الأمر عينه فيكون الإنسان عالما بما هو به جاهل و هذا محال فتركيبه في جوهره محال فإذا كان هكذا فلا يقبل الزيادة و لا النقصان كما يقبله الجسم لعدم التركيب و لو لا ما هو عاقل بذاته و هو عقل لنفسه ما أقر بربوبية خالقه عند أخذ الميثاق منه بذلك إذ لا يخاطب الحق إلا من يعقل عنه خطابه هذا هو حقيقة الإنسان في نفسه ثم إن الله تعالى جعل له في الجسم الذي جعله الله له ملكا و استوى عليه جعل فيه قوى و آلات حسية و معنوية و قيل له خذ العلوم منها و صرفها على حد كذا و كذا و جعلت له هذه الآلات على مراتب فالقوى المعنوية كلها قوى كاملة إلا قوة الخيال فإنها خلقت ضعيفة و القوة الحساسة و جعلت هاتان القوتان تابعة للجسم فكلما نما الجسم و كبر و زادت كميته كلما تقوى حسه و خياله إذ كانت جميع القوي لا تأخذ الأشياء إلا من الخيال و هي قوة هيولانية قابلة لجميع ما يعطيها الحس من الصور و قابلة لما تفتح فيها

القوة المصورة من الصور التي تركبها من أمور موجودة قد أمسكها الخيال من القوة الحساسة و ليس في القوي من يشبه الهيولى في قبول الصور إلا الخيال فإذا تقوى الخيال حينئذ وجد الفكر حيث يتصرف و يظهر سلطانه و الوهم كذلك و العقل كذلك و القوة الحافظة كذلك فلم تكن لطيفة الإنسان من حيث ذاتها مدركة لما تعطيها هذه القوي إلا بوساطتها فلو اتفق أن تعطيها هذه القوي المعلومات من أول ما يظهر الولد في عالم الحس قبلها الروح الإنساني قبولا ذاتيا ألا ترى أن الله قد خرق العادة في بعض الناس في ذلك و هو ما ذكر من صبي يوسف حين شهد له بالبراءة و كلام عيسى عليه السلام حين شهد بالبراءة و صبي جريج حين شهد له بالبراءة هذا سبب تأخير التكليف عن الروح الإنساني إلى الحلم الذي هو حد كمال هذه القوي في علم الله فلم يبق عند ذلك عذر للروح الإنساني في التخلف عن النظر و العمل بما كلفه ربه و أول درجات التكليف إذ كان ابن سبع سنين إلى أن يبلغ الحلم و قد اعتبر الله فعل الصبي في غير زمان تكليفه لو قتل لم يقم عليه الحد و حبس إلى أن يبلغ و يقتل بمن قتل في صباه إلا أن يعفو ولي الدم فقد آخذه الله بما لم يعمله في زمان تكليفه و القصد من هذا التمهيد ليقع الأنس بما نورده من عذاب المؤمن فإن الإنسان كما قلنا خلق مؤمنا و إن ألحقناهم بآبائهم في دفنهم في قبورهم معهم ورقهم إذا ملكناهم بطريق الإلحاق لا بطريق الاستحقاق تشريفا و تبيينا لعلو مرتبة ظهور الايمان الذي في الآباء و كما أن الكفر عارض كان الاسترقاق عارضا أيضا و الأصل الحرية و الايمان فمن إنفاذ الوعيد من حيث لا يشعر به وجود التكليف و هو أول العذاب لقيام الخوف بنفس المكلف فقد عذب عذابا نفسيا مؤلما و هو عقوبة ما جرى منه في الزمان الذي لم يكن فيه مكلفا من الأفعال التي تطرأ بين الصبيان من الأذى و الشتم و الضرب على طريق التعدي و كل خير يفعله الصبي يكتب له و قد قرر ذلك الشارع حين رفعت امرأة إليه صلى الله عليه و سلم صبيا صغيرا و هو في الحج فقالت له يا رسول الله ألهذا حج فقال لها رسول الله صلى الله عليه و سلم نعم له حج و لك أجر و ذلك أن لها أجر المعونة التي لا يقدر الصبي عليها و قد ورد عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أن الصبي إذا حج قبل بلوغ التكليف ثم مات قبل البلوغ كتب الله له ذلك الحج عن فريضته و كذلك العبد إذا حج عبدا ثم مات قبل العتق و هذا الحديث و إن كان قد تكلم فيه من طريق إسناده فإن الحديث الصحيح يعضده و قد ورد في الصحيح أن الله يقول يوم القيامة في حق العبد يأتي بما فرض الله عليه ناقصا قد انتقص منه شيئًا أن يكمل له من تطوعه ما نقص من ذلك فقد أقام التطوع مقام الفرض و هو هذا بعينه لأن حج غير المكلف به ليس هو فرض عليه قال صلى الله عليه و سلم عن الله تعالى في الحديث الصحيح إنه أول ما ينظر فيه من عمل العبد الصلاة فيقول الله انظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها فإن كانت تامة كتبت له تامة و إن كان انتقص منها شيئًا قال انظروا هل لعبدي من تطوع فإن كان له تطوع قال أكملوا لعبدي فريضته من تطوعه قال صلى الله عليه و سلم ثم تؤخذ الأعمال على

ذاكم أي فيفعل في الزكاة و الصوم و الحج مثل ما فعل في الصلاة سواء فلو لم يعتبر الشرع ذلك لم يحكم بهذا و كل ما يفعله الصبي في غير بلوغ زمان التكليف معتبر في الشرع في الخير و في الشر غير إن الكرم الإلهي جا زاه بالخير المعمول في هذا الزمان في الدا ر الآخرة و ادخر له ذلك و أما الشر فلم يدخر له في الآخرة منه شيئًا بل جا زاه به في الدنيا من آلام حسية و نفسية تطرأ على الصبيا ن و هي موجودة لا يقد ر أحد على إنكا رها و هي عقوبات و عذاب لأمور تطرأ من الصبيان يعرف هذا القد ر أهل طريقنا حكمة أوقفهم الحق عليها و هي في حق المؤمنين كما قلنا عذاب أوجب لهم الكفا رة و في حق الكفا ر إذا أد ركوا وَماتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ و عوقبوا في الآخرة و قد كانوا عذبوا في الدنيا و هم صغا ر مثل ما تعذب المؤمنون في حال صغرهم فذلك قوله تعالى زِدْناهُمْ عَذاباً فَوْقَ الْعَذابِ يعني الذي عذبوا به في الدنيا و ما شاكل هذا فإن هذا نص في تضاعف العذاب على مراتبه الذي هو واحد من ذلك و من عذاب المؤمنين ما سلط الله عليهم من أصحاب الأهواء و الكفا ر من الأسر و العذاب و الاسترقاق و القتل في الدنيا كل هذا تكفير لهفوات و مزلات نفسية و حسية على قد ر ما وقع منهم و ما يقع هذا من الكفا ر بالمؤمنين إلا لأجل إيمانهم قال تعالى يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا فإن و ما بعدها بتأويل المصد ر كأنه يقول يخرجون الرسول و إياكم من أجل إيمانكم و قال تعالى وَما نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا و عليه يخرج تخليد من قتل مؤمنا متعمدا أي قصد قتله لإيمانه و مما يتضمن هذا المنزل علم الابتلاء و ليس ذلك إلا لله قال تعالى وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ و قال عز و جل أيضا لِيَبْلُوَكُمْ و ليس للمؤمن أن يبتلي المؤمن إلا بأمر إلهي فيكون الابتلاء لله تعالى و منه لا منهم مثل قوله تعالى فَامْتَحِنُوهُنَّ فالله أمر بذلك فامتثل العبد أمر سيده كالسلطان يأمر بعذاب شخص فيتولى عذابه من أمر بتعذيبه و إن كان شفيقا عليه و لكن أمر السلطان واجب أن يمتثل للمرتبة لما يقتضيه من الهيبة فالابتلاء لا يكون إلا لله و كل من ابتلى أحدا من المؤمنين بغير أمر إلهي فإن الله يؤاخذه على ذلك و بهذا المقام انفرد الاسم الخبير و هو من أعجب أحكام الأسماء لأن الخبرة إنما جاءت لاستفادة علم المخبر المختبر و هنا في الجناب الإلهي العلم محقق بما يكون من هذا المختبر اسم مفعول فلا يستفيد علما المختبر اسم فاعل فيظهر أنه لا حكم لهذا الاسم و كان الأولى به العبد لجهله بما يكون من المختبر اسم مفعول و العبد ممنوع من الاختيا ر إلا بأمر إلهي فقد يسمى الله تعالى بما يستحقه العبد فحكمه في جناب الحق إفادة العلم للمختبر في نفسه بهذا الاختبا ر لإقامة الحجة عليه و له فلهذا لا يلحق الخبير بصفة العلم كما ألحقه أبو حامد و الأسفراييني و أكثر الناس و لو كان كما زعموا لكان نقصا و إنما أوقعهم في ذلك قوله تعالى حَتَّى نَعْلَمَ و هو حجة عليهم إن لو كان الأمر على ظاهره فإن الاختبا ر سبب في تحصيل العلم ما هو نفس العلم و بالخبرة سمي خبيرا فإذا حصل العلم سمي عالما في ذلك الحال و غاية من نزه مثل ابن الخطيب و غيره في قوله حَتَّى نَعْلَمَ تعلق العلم بهذه الحالة و تعلق العلم محدث و لا يؤدي إلى حدوث العلم فبقي العلم

على حاله من الوصف بالقدم و إن حدث التعلق فهذا منتهى غايتهم في التنزيه و يقولون لو تعلق العلم بما من شأنه إنه سيكون كائنا أو قد كان فقد علم الشيء على خلاف ما هو به و كذلك لو علم ما هو كائن قد كان أو سيكون أو علم ما كان هو كائن أو سيكون لكان هذا كله جهلا و الله يتعالى عن ذلك فأدخلوا على الله الزمان من حيث لا يشعرون و التقدم في الأشياء و التأخر و ما علموا إن الله تعالى يشهد الأشياء و يعلمها على ما هي عليه في أنفسها و الأزمنة التي لها من جملة معلوماته مستلزمة لها و أحوالها و أمكنتها إن كانت لها و محالها إن كانت ممن يطلب المحال و أحيازها كل ذلك مشهود للحق في غير زمان لا يتصف بالتقدم و لا بالتأخر و لا بالآن الذي هو حد الزمانين و لهذا لم يرد مع قوله صلى الله عليه و سلم عن ربه كان الله و لا شيء معه و أتى بكان و هي حرف وجودي لا بفعل و لم يقل و هو الآن فإن الآن نص في وجود الزمان فلو جعله ظرفا لهوية الباري تعالى لدخل تحت ظرفية الزمان بخلاف كان فإن لفظ كان من الكون و هو عين الوجود فكأنه يقول الله موجود و لا شيء معه في وجوده فما هي من الألفاظ التي ينجر معها الزمان إلا بحكم التوهم و لهذا لا ينبغي أن يقال كان فعل ماض في إعرابه على طريقة النحويين و قد بوب عليها الزجاجي و سماها بالحرف الذي يرفع الاسم و ينصب الخبر و لم يجعلها فعلا فينجر معها الزمان الماضي و الحال و المستقبل و بهذا القدر المتوهم الذي يتخيل في هذه الصيغة التي هي كان و يكون و سيكون من الزمان أشبهت الفعل الصحيح الذي هو قام و يقوم و سيقوم و جعلوا قائما مثل كائن فأجروها مجرى الأفعال من هذا الوجه و إذا كان أمرها على هذا فيطلق من الوجه الذي لا يقبل به ظرفية الزمان على الله تعالى و هو قوله وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً و كَانَ ٱللَّهُ شَاكِراً عَلِيماً و ما أطلق عليه الآن لما ذكرناه لأنه نص في الزمان اسم علم له و معناه الظرف كما جاء الاستواء على العرش بلفظ العرش و لفظ الاستواء و ما هو نص في ظرفية المكان بخلاف اسم لفظة المكان فإنه نص بالوضع في ظرفيته و المتمكن في المكان نص فيه فعدل إلى الاستواء و العرش ليسوغ التأويل الذي يليق بالجناب العالي لمن يتأول و لا بد و الأولى التسليم لله فيما قاله ورد ذلك إلى علمه سبحانه بما أراده في هذا الخطاب و نفى التشبيه المفهوم منه بقوله لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ على زيادة الكاف أو فرض المثل إذ كان لا يستحيل فرض المحال و مما يتضمن هذا المنزل علم العالم العلوي المختص بالفلك الأطلس خاصة و من عمارة و ما تسبيحهم و ما يتعلق به عمن يأخذ و لمن يعطي و من يتلقى منه و العطاء الذاتي و هو عطاء العلة و العطاء الإرادي و هو عطاء الاختيار و معرفة الآخرة و معرفة ما يحصل من التجلي في نفس العبد و تأثير الضعيف في القوي و ما تؤدي إليه الأغراض و الأهواء الربانية السارية في العالم التي يدعيها كل أحد من الحيوان الإنسان و غيره و معرفة الصلاح الذي تسأله الأنبياء من الله و التصديق الإنساني خاصة و لمن يصدق و بما ذا يصدق و ما ذا يرد و هل يلزمه التصديق بما يحيله دليل العقل و ما منزلته عند الله و أين ينتهي بصاحبه و هل المؤمنون فيه على السواء أو يتفاضلون

و هل يقبل الزيادة و النقص أو هل ينقص في وقت عند قيام شبهة على ما وقع به التصديق و هل إذا قام به النقص في مسألة من مسائل الايمان هل يسرى ذلك النقص في الايمان كله أو يؤثر في زواله بالكلية أو هو مقصور على ما وقعت عليه الشبهة و معرفة سرعة الأخذ الإلهي ما سببها فإنه لما أطلعني الله تعالى على إنزال هذه الآية بالإنزال الذي يرد على أمثالنا ممن ليس بنبي فإن القرآن و كل كلام ينزل على التالين و المتكلمين في حال تلاوتهم و كلامهم و لولا ذلك ما تلوا و لا تكلموا و هنا لطائف إلهية لمن نظر فقيل لي اقرأ قلت و ما أقرأ فقيل لي اقرأ وَكَذٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ فقرأت هذه الآية على ما كنت أحفظها فقيل لي لما وصلت إلى قوله تعالى إِنَّ أَخْذَهُ قيل لي قل بك فقلت ما هو في القرآن و لا نزل كذا فقيل لي لا تقل هكذا بل هكذا هو و كذا نزل قل بك و شدد علي فقرأت إن أخذه بك أليم شديد فطلبت معنى ذلك فأقيم لي شخص كنت أعرفه و كان قد افترى علي فقيل لي هذا مأخوذ بك أي بسببك فاقرأ إن أخذه بك أليم شديد و هو ممدود بين يدي فلما فرغ ذلك التنزيل استدعيت بالشخص و قلت له ما رأيت فتأفف علي و أظهر التوبة و خرج عني و هو على حاله من الفرية فلم يكمل الشهر حتى قتله الله بحجر شدخ رأسه و ما أخذ القاتل من ثيابه و لا فرسه و لا ماله شيئًا فشاع الخبر و انتهى إلى السلطان و قرروا عند السلطان إني كنت سبب قتله فما التفت السلطان فلما كان بعد ثلاث سنين جاء القاتل و اعترف بين يدي السلطان بقتله فسأله ما سبب ذلك فقال ما له سبب و لا فعل معي قبيحا إلا أني مررت عليه و هو نائم في خربة و لجام فرسه في يده فزين لي قتله فعمدت إلى حجر كبير فاقتلعته و وازنت رأسه و رميت عليه الحجر فما تحرك و لا أخذت له شيئًا و ما طمعت في شيء من ذلك و لا اكترثت فقتله السلطان به و بعث إلى الخبر بذلك و هذا من أعجب التنزلات وجود مثل هذه الزيادة فيعرف العارف من هذا المنزل من أين صدرت و ما اسمها و ما منزلتها من كلام الحق فإن الأخبار النبوية المروية عن الله لا تسمى قرآنًا مع أنها من كلام الله و يتضمن هذا المنزل علم بدء الخلق و إعادته و كيفية إعادته فإن أهل الكشف اختلفوا في الكيفية فذهب ابن قسي إلى كيفية انفرد بها و ذهب الآخرون إلى غير ذلك على اختلاف بينهم و كذلك اختلف فيه علماء النظر الفكري و يتضمن علم المحبة الإلهية و ثبوتها و علم الستور التي بين المحبوبين و بين ما يؤدي لو وقع من غيرهم إلى عقوبتهم كما قيل

و إذا الحبيب أتى بذنب واحد   جاءت ملاحته بكل شفيع

و علم العرش و عددها و صفاتها و علم الإرادة المضافة إليه و ما تأثيرها في حال العارفين و هل هي من نعوت الجلال أو من نعوت الجمال و يتضمن علم الاعتبار و يتضمن علم الوعيد من أي اسم هو و يتضمن علم النفس الكلية و لماذا لا يلحقها التغيير و ما شرف القرآن على غيره من الكتب و الصحف و الأخبار المروية عن الله مع أن ذلك كله كلام الله و ينجر مع هذا العلم في نفس القرآن شرف آية

الكرسي على سائر آي القرآن بالسيادة و يس بالقلبية و إذا زلزلت بقيامها مقام نصف القرآن و سورة الكافرون مقام ربع القرآن و كذلك إذا جاء نصر الله و سورة الإخلاص مقام ثلث القرآن و يس مقام القرآن عشر مرار و لما ذا يرجع ذلك و من هو الموصوف بهذا الفضل هل الدليل أو المدلول أو الناظر في الدليل و يكفي هذا القدر من هذا المنزل وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(انتهى الجزء الثاني من كتاب الفتوحات المكية بحمد الله و عونه و حسن توفيقه و يتلوه

المجلد الثالث أوله الباب الموفي ثلاثمائة)